

* فهرسة الجزء الرابع من فتح البيان *

صفحة

٠٢ سورة الانفال

٦١ سورة براءة

١٨٤ سورة يونس

٢٧٧ سورة هود

* فهرسة الجزء الرابع من تفسير

الحافظ ابن كثير *

صفحة

٠٣٨ سورة الانعام

١٧٠ سورة الاعراف

٢٨٥ سورة الانفال

٣٤٣ سورة التوبة

* (ت) *

* (ت) *

(الجزء الرابع)

من التفجير المسمى فتح البيان
في مقاصد القرآن للسيد الامام المجهّد المحقق
الهمام المؤيد من مولاة القدير الباري أبي الطيب
صديق بن حسن القنوجي البخاري ملك
مدينة بهوبال حالا بالاقطار الهندية
لا زالت تكواكب فضله
في الافاق زاهرة

مضـ

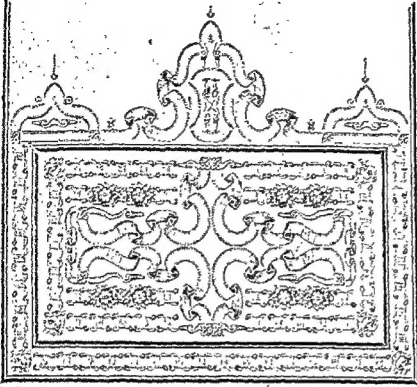
آمين

وبه امسه تفسير الامام الجليل الكبير الحافظ عماد الدين أبي القداء اسمعيل بن عمر بن
كثير القرشي الدمشقي المولود سنة سبع مائة وعشرة المتوفى سنة سبع مائة وأربعة وسبعين
وهذا التفسير جليل فسر بالا حاديث والآثار مستندة من أصحابها مع
الكلام على ما يحتاج اليه جرحا وتعديلا اهـ من كشف الظنون

* (الطبعة الاولى) *

(بالمطبعة الكبرى الميرية بيولاقي مصر المحمية)

سنة ١٣٠١ هجرية



﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

أحل لكم صيد البحر وطعامه
متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم
صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله
الذي اليه تحشرون جعل الله
الكعبة البيت الحرام قياما للناس
والشهر الحرام والهدي والقلائد
ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات
وما في الارض وان الله بكل شئ عليم
اعلموا ان الله شديد العقاب وان
الله غفور رحيم ما على الرسول
الا البلاغ والله يعلم ما يدون وما
تكتُمون قال ابن أبي طلحة عن
ابن عباس في رواية عنه وسعيد بن
المسيب وسعيد بن جبير وغيرهم
في قوله تعالى أحل لكم صيد البحر
يعني ما يصاد منه طريا وطعاما يتزود
منه لمحيا يساوي وقال ابن عباس
في الرواية الممثلة سورة عنه صيده
ما أخذ منه حيا وطعامه ما لفظه
ميتا وهذا روي عن أبي بكر الصديق
وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمرو
وأبي أيوب الأنصاري رضي الله
عنه وعكرمة وأبي سلمة بن عبد
الرحمن وإبراهيم النخعي والحسن
البصري قال سليمان بن عيينة عن
عمرو بن دينار عن عكرمة عن أبي
بكر الصديق أنه قال طعامه كل
ما فيه رياه ابن جبر وابن أبي حاتم
وقال ابن جبر حدثنا ابن جبير

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سورة الانفال﴾

صرح كثير من المفسرين بأنهم امدية لم يستثنوا منها شيئا وبه قال الحسن وعكرمة وجابر
ابن زيد وعطاء وعبد الله بن الزبير وزيد بن ثابت وعن ابن عباس أنه قال نزلت في بدر وفي
لفظ تلك سورة بدر قال القرطبي وعنه هي مدينة الاسبع آيات من قوله واذا عكر بك الذين
كفروا الى آخرها يعني فأنهم امكية (قلت) وان كانت في شأن الواقعة التي وقعت بمكة فلا
يلزم أن تكون كذلك فلا تات بآيات بالمدية نذكر كبراله بما وقع في مكة فهذا القول ضعيف
والاول هو الاصح وجمله آياتها خمس أو ست أو سبع وسبعون آية وقد كان النبي صلى الله
عليه وآله وسلم يقرأهم في صلاة المغرب كما أخرجه الطبراني بسند صحيح عن أبي أيوب

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ يا محمد (عن الانفال) جمع قتل محمدا وهو الغنمة أي الغنائم لمن هي وبه قال
ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة وكذا المفسرين على أنهم نزلت في غنائم بدر وأصل
القتل الزيادة وسبب الغنمة به لانها زيادة فيما أحل الله لهذه الامة مما كان محررا على
غيرهم ولأنها زيادة على ما يحصل للجاهدين من أجر الجهاد ويطلق القتل على معان
آخر منها المين والابتغاء ونبت معروف والنسالة التطوع لكونهم أزيدا على الواجب
والنسالة ولد الولد لانه زيادة على الولد وهو سؤال استفتاء لان هذا أول تنزيه الغنمة

حدثنا جرير عن مغيرة عن سماك قال حدثت عن ابن عباس قال خطب أبو بكر الناس فقال أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وطعامه ما قدف قال وحديثا يعقوب بن عليه عن سليمان التيمي عن أبي مجاز عن ابن عباس في قوله أحل لكم صيد البحر وطعامه ما قدف وقال عكرمة عن ابن عباس طعامه ما لا ينظر من ميتة ورواه ابن جرير أيضا وقال سعيد بن المسيب طعامه ما لا ينظر حيا أو حشر عنه فثبت رواه ابن أبي حاتم وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الوهاب حدثنا ثوبان عن نافع أن عبد الرحمن بن أبي هريرة قال قال ابن عمر قال إن البحر قد قذف حيا نانا (٣) كثيرة ميتة أنفأ كلها فقال لا تأكلوها

فلما رجع عبد الله إلى أهله أخذ المصحف فقرأ سورة المائدة فأتى هذه الآية وطعامه متاعا لكم والسيارة فقال اذهب فقل له فلما كل فإنه طعامه وهكذا اختار ابن جرير أن المراد بطعامه مامات فيه قال وقد روي في ذلك خبروان بعضهم يرويه موقوفا وحديثا هناد بن السري قال حدثنا عمدة ابن سليمان عن محمد بن عمرو حدثنا أبو سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم قال طعامه ما لا ينظر ميتة ثم قال وقد وقف بعضهم هذا الحديث على أبي هريرة حدثنا هناد حدثنا ابن أبي زائدة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة في قوله أحل لكم صيد البحر وطعامه ما لا ينظر ميتة ورواه ابن جرير أيضا وقال سعيد بن المسيب طعامه ما لا ينظر حيا أو حشر عنه فثبت رواه ابن أبي حاتم وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الوهاب حدثنا ثوبان عن نافع أن عبد الرحمن بن أبي هريرة قال قال ابن عمر قال إن البحر قد قذف حيا نانا (٣) كثيرة ميتة أنفأ كلها فقال لا تأكلوها فلما رجع عبد الله إلى أهله أخذ المصحف فقرأ سورة المائدة فأتى هذه الآية وطعامه متاعا لكم والسيارة فقال اذهب فقل له فلما كل فإنه طعامه وهكذا اختار ابن جرير أن المراد بطعامه مامات فيه قال وقد روي في ذلك خبروان بعضهم يرويه موقوفا وحديثا هناد بن السري قال حدثنا عمدة ابن سليمان عن محمد بن عمرو حدثنا أبو سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم قال طعامه ما لا ينظر ميتة ثم قال وقد وقف بعضهم هذا الحديث على أبي هريرة حدثنا هناد حدثنا ابن أبي زائدة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة في قوله أحل لكم صيد البحر وطعامه ما لا ينظر ميتة ورواه ابن جرير أيضا وقال سعيد بن المسيب طعامه ما لا ينظر حيا أو حشر عنه فثبت رواه ابن أبي حاتم وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الوهاب حدثنا ثوبان عن نافع أن عبد الرحمن بن أبي هريرة قال قال ابن عمر قال إن البحر قد قذف حيا نانا (٣) كثيرة ميتة أنفأ كلها فقال لا تأكلوها

وفاعل السؤال من حضر بدرا وقال النخاع وعكرمة هو سؤال طلب وعن بعض من وهذا الاضرة تدعو اليه وقيل صله ويؤيده قراءة سعد بن أبي وقاص وابن مسعود وعلي ابن الحسين وغيرهم بدون عن والصحیح أنها على ارادة حرف الجر وكان سبب نزول الآية اختلاف الصحابة في غنائم يوم بدر فقال الشبان هي لنا لا نأبشرا القتال وقال الشيوخ كذا رد لكم تحت الرايات ولو انكم شتمتم أي انهم شتمتم لثقتهم لينا أي لرجعت لينا فترع الله ما غنموا من أيديهم وجعله لله والرسول فقال (قل لهم) (الانفال لله والرسول) أي حكمها مختص بها يقتسمها بينهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أمر الله سبحانه حيث شاء وليس لكم حكم في ذلك فقتسمها صلى الله عليه وآله وسلم بينهم على السواء رواه الحاشي في المستدرک وقد ذهب جماعة من الصحابة والتابعين إلى أن الانفال كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاصة ليس لاحد فيها شيء حتى نزل قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسة فوهى على هذا منسوخة به قال مجاهد وعكرمة والبدوي وقال ابن زيد حكمه مجمله وقد بين الله بمصارفها في آية الخس ولا امام ان ينقل من شاء من الجديش ما شاء قبل الخميس (فاتقوا الله وأصلحو ذات بينكم) أي نفس ما بينكم والذي بينهم هو الوصلة الاسلامية فالبين هنا بمعنى الاتصال كما في قوله لقد قطع بينكم والبين بطلق على الضدين الاتصال والقران وذات هذا الين هي حالة أي الامور التي تحققه بالموادة وقرن النزاع (وأطيعوا الله ورسوله) أمرهم بالقوى واصلاح ذات البين وطاعة الله والرسول بالتسليم لامرهم ما وترك الاختلاف الذي وقع بينهم وقال امتثلوا هذه الاوامر الثلاثة (ان كنتم مؤمنين) بالله جوابه كما ذهب إليه أبو العباس المبرد وغيره أطيعوا الله السابق اذ يجوز عندهم تقديم الجواب على الشرط والصحیح ما ذهب اليه سيوريه وهوانه محذوف اندالة ما قبله عليه وفيه من التجميع والالهاب والتنسيب للمخاطبين والحاشي لهم على المسارعة الى الامتثال ما لا يخفى مع كونهم في تلك الحال على الايمان فكانه قال ان كنتم مستمريين على الايمان بالله لان هذه الامور الثلاثة لا يكمل الايمان بدونها بل لا يثبت أصله الا لمن لم يتشكك فان من ليس بمؤمن لا يطيع الله ولا رسوله ممن قال عطاء طاعة الله والرسول اتباع الكتاب والسنة أخرجه ابن أبي حاتم (انما المؤمنون) جملة مستأنفة مسوقة لبيان من أريد بالمؤمنين بذكر أوصافهم الجليلة

ومع يكون زاد المسافر من والنا من البحر وقد روي نحوه عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وقد استدل الجمهور على حل ميتة بهذه الآية الكريمة فبحارواه الامام مالك بن أنس عن ابن وهب وابن كيسان عن جابر بن عبد الله قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا قبل الساحل فأمر عليهم أبو عبيدة بن الجراح وهم ثمانية وأناقهم قال فخرجنا حتى اذا كنا ببعض الطريق فني الزاد فأمر أبو عبيدة بأن واد ذلك الجديش فجمع ذلك كله فكان مزودي قال فكان يقولنا كل يوم قليلا قليلا حتى فني فلم يكن يصينا الاقرة فرة فقال فقد وجدنا فقد هاجرين فقد فت ثم انتمينا الى البحر فاذا حوت مثل الطريق فأكل منه ذلك الجديش ثمان عشرة ليلة

ثم أمر أبو عبيدة بضلعين من أضلاعها فاصب ثم أمر برأجله فرحلت وموت تحتها فلم تصبها وهذا الحديث يخرج من الصحاح
وله طرق عن جابر وفي صحيح مسلم من رواية أبي الزبير عن جابر فاذل ساحل البحر مثل الكتيب الضخم فأثناه فاذاباه فقال لهما
العنبر قال قال أبو عبيدة منية ثم قال لا تخن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أضرتكم فكلاوا قال فأثناه عليه شهر وأثن
ثلاثه حتى سنا ولقد رأينا تغترف من قرب عينيه بالقلل الدهن وتقطع منه القندر كالثور قال ولقد أخذنا أبو عبيدة ثلاثة
عشر رجلا فأفقدتهم في قرب عينيه وأخذ (٤) ضلعان أضلاعه فأصابها ثم رحل أعظم بعير معانقر من تحتها وترودنا

المستبعدة لما ذكر من الخلال الثلاث وفيه من يدرغيب لهم في الامتثال بالأوامر
المذكورة أي انما الكاملون في الايمان المخلصون فيه (الذين اذا ذكر الله) أي وعبد
(وجلل) أي فزعزعت وخضعت وخافت وركت (قلوبهم) لذكر الله استعظاما له وتوقيرا
من جلالة والوجل والخوف والفرع يقال وجل بالكسر في الماضي بوجعل بالفتح وقرئ
كوعبد بعدو يقال بآيات الواو في المضارع والمراد أن حصول الخوف من الله والفرع منه
عند ذكره هو شأن المؤمنين الكاملين في الايمان المخلصين لله فالخصر باعتسار كمال الايمان
لا باعتبار أصل الايمان قال جماعة من المفسرين هذه الآية متضمنة للتحرير على
طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعيا أمر به من قسمة الغنائم ولا يخفك أن هذا
وان صرح ادراج تحت معنى الآية من جهة أن وجل القلوب عند الذكر وزيادة الايمان
عند تلاوة آيات الله يستلزم امتثال ما أمر به سبحانه من كون الانفال لله والرسول
ولكن الظاهر أن مقصود الآية هو اثبات هذه الغزوة لمن كل ايمان من غير تقيد بحال
دون حال ولا وقت دون وقت ولا بواقعة دون واقعة وعن ابن عباس وجلت فرقته وقال
المنافقون لا يدخل قلوبهم شيء من ذكر الله عند اداء فرائضه ولا يؤمنون بشيء من آيات
الله ولا يتوكلون على الله ولا يصليون اذا اصابوا ولا يؤدون زكاة أموالهم فأخبر الله أنهم
ليسوا بمؤمنين ثم وصف المؤمنين فقال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
فأدوا فرائضه وعن أم الدرداء قالت انما الوجل في القلب كاحتراق السعفة واشهرين
حوشب أما تجد شعيرة قلت لي قالت فادع عندها فان الدعاء يستجاب عند ذلك وقال
ثابت البناني قال فلان اني لاعلم متى يستجاب لي قالوا ومن أين لك قال اذا اقتشع جلد
ووجل قلبي وفاضت عيناى فذلك حين يستجاب لي قالوا ومن أين لك قال اذا اقتشع جلد
المؤمن الا كضربة السعفة فاذا وجل أحدكم فليدع عند ذلك وعن السدي قال هو
الرجل يريد أن يظلم أو يرمم بمصيبة فيقال له انني فيجبل قلبه فان قيل قال هنا وجلت
قلوبهم وقال في آية أخرى ونطمئن قلوبهم فكيف الجمع بينهما قلت الاطمئنان بذكره
بصفات الجمال والوجل انما هو بذكره صغته وكال قدرته في آياته التكوينية بذكر
تلاوة الآيات المتزلة أو التعبير عن بديع صنعته وكال قدرته في آياته التكوينية بذكر
خلقها البديع وعجايبها التي يتعجب عند ذكرها المؤمنون (زادهم ايمانا) أي تصديقا

من لجه وشأنك فلما قدمنا المدينة
أننا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذكرنا ذلك فقال هورزق
أخرجه الله لكم هل معكم من لجه
شيء فقطعتمونا قال أنارسلنا إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأكله وفي بعض روايات مسلم أنهم
كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم
حين وجدوا هذه السمكة فقال
بعضهم هي واقعة أخرى وقال
بعضهم هي قضية واحدة ولكن
كانوا أولامع النبي صلى الله عليه
وسلم ثم بعثهم سرية مع أبي عبيدة
فوجدوا هذه في سرية بهم تلك مع
أبي عبيدة والله أعلم قال مالك عن
صفوان بن سليم عن سعيد بن سلمة
من آل ابن الأزرق أن المغيرة بن
أبي بردة هو من بني عبد الدار
أخبرناه سمع أباه يروي يقول سأل
رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله اناركب البحر
ونحمل معنا القليل من الماء فان
توضأنا به عطشنا اقتضأنا
البحر فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم هو الظهور ماؤه الحل ميتة
وقد روي هذا الحديث الامامان

الشافعي وأحمد بن حنبل وأهل السنن الأربع وصححه البخاري والترمذي وابن خزيمة وابن حبان وغيرهم
وقد روي عن جماعة من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه وقد روي الامام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه عن طريق
عن جابر بن سلمة حدثنا أبو الهيثم هو يزيد بن سفيان سمعت أباه يروي يقول كذا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حج أو عمرة
فاستقبلنا رجل جراد فجعلنا نضرب بهن بعضنا فقتلوه ففسط في أيدينا فقتلنا ما نصنع ونحن محرمون فأنارسل رسول الله صلى الله عليه
عليه وسلم فقال لا بأس بصيد البحر أو الهيثم ضعيف والله أعلم وقال ابن ماجه حدثنا هرون بن عبد الله الجليل حدثنا هاشم بن القاسم

حدثنا ياد بن عبد الله بن علامة عن موسى بن محمد بن إبراهيم عن أبيه عن جابر وأبي مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دعا على الجراد قال اللهم أهلك كبارها وقتل صغارها وأبعد بيضه واقطع دابرهم وخذ بأقواهم عن معايشنا وارزقنا منك سبع الدعاء فقال خالد بن رسول الله كيف تدعوا على أجدان من أجدان الله يقطع دابرهم فقال ان الجراد ثرة موت في البحر قال هشام قال زياد حدثني من رأى الحوت يثرة تغربه ابن ماجه وقد روى الشافعي عن سعيد بن أبي جريج عن عطاء بن ابن عباس انه أنكر على من يصيد الجراد في الحرم وقد احتج بهذه الآية الكريمة (٥) من ذهب من الفقهاء الى أنه يؤكل دواب البحر ولم يستثن من ذلك شياً وقد تقدم

عن الصدوق أنه قال طعمه بكل مافيه وقد استثنى بعضهم الضفادع وأباح ما سواها لما رواه الامام أحمد وأبو داود والنسائي من رواية ابن أبي ذئب عن سعيد بن خالد عن سعيد بن المسيب عن أبي عبد الرحمن بن عثمان التيمي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل الضفدع والنسائي عن عبد الله بن عمرو قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الضفدع وقال نبيها تسبيح وقال آخرون يؤكل من صيد البحر السمك ولا يؤكل الضفدع واختلفوا فانسواهم ما قبل يؤكل سائر ذلك وقيل لا يؤكل وقيل ما كل شبهه من البراءة كل مثله في البحر وما لا يؤكل شبهه لا يؤكل وشبهه كلها وجوه في مذهب الشافعي رحمه الله تعالى وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى لا يؤكل مامات في البحر كالإيوان مامات في البر لمعم قوله حرم عليكم الميتة وقد ورد حديث بخود ذلك فقال ابن مردويه حدثنا

قاله ابن عباس وعن الربيع بن أنس قال خشية والمراد بزيادة الايمان وزيادة النشرح الصدر وطماينة القلب وانفلاخ الخاطر عند تلاوة الآيات وقيل المراد بزيادة العمل لان الايمان شئ واحد لا يزيد ولا ينقص والآيات المتكاثرة والاحداث المتواترة ترد ذلك وتدفعه والآية صريحة في زيادة الايمان وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الايمان بضغ وسبعون شعبة أعلاها شهادة ان لا اله الا الله وأدناها ما طمأ الاذى عن الطريق والحياة شعبة من الايمان أخرجه الشيخان وفي هذا دليل على أن الايمان فيه أعلى وأدنى وإذا كان كذلك كان قابلاً للزيادة والنقصان قال الواحدي عن عامة أهل العلم ان كل من كانت الدلائل عنده أكثر وأقوى كان ايمانه أزيد قال الكرخي ان نفس المتصدق يقبل القوة وهي التي عبر عنها بالزيادة للفرق المعين بين يقين الانبياء وأرباب المكاشفات ويقين آحاد الامة ويؤيد ذلك قول علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما زددت يقيناً وكذا من قام عليه دليل واحد ومن قامت عليه أدلة كثيرة لان تظاهر الأدلة أقوى للمدلول عليه وأثبت أقدمه وعليه يحمل ما نقل عن الشافعي من أنه يقبل الزيادة والنقص فلا يريد كيف قال ذلك مع أن حقيقة الايمان عند الاكثر لا تزيد ولا تنقص كالألوهية والوحدانية اهـ وقيل المعنى أنهم تكلموا بآية جديدة أو بأخبار جديده وتصدق جديده فكان ذلك زيادة في ايمانهم (وعلى ربهم يتوكلون) التوكل على الله تفويض الامر اليه في جميع الامور قال ابن عباس لا يرجون غيره وعلى بمعنى المباءة ويتوكلون بمعنى يتفون وتقديم المعمول للحصر وقال السمين التقديم يفيد الاختصاص أي عليه لا على غيره والجله في محل الحال أو مستأنفة أو معطوفة على الصلاة (الذين يقيمون الصلاة) المفروضة سجدة وداؤها أو ركناً في أوقاتها ومن في (وما) التسبيح (زرقتاهم يتفنون) ويدخل فيه النقة في الزكاة والجهاد وغير ذلك من الاتفاق في أنواع البر والقربات رخص إقامة الصلاة والصدق لكونهما أصل الخير وأساسه (أو أولئك) أي المتصفون بالآوصاف المتقدمة (هم المؤمنون) أي الكاملون الايمان البالغون فيه الى أعلى درجاته وأقصى غاياته (حقاً) أي حق ذلك حقاً وإيماناً حقيقياً يقينا لا شك في ايمانهم وصداقاً لا ريب فيه قال ابن عباس برئوا من الكفر وحقاً أي خالصاً وقيل التقدير حقاً لهم درجات وهذا انما يجوز على رأي ضعيف أعنى تقديم المصدر

عبد الباقي هو ابن قانع حدثنا الحسين بن اسحق التستري وعبد الله بن موسى بن أبي عثمان قال حدثنا الحسين بن يزيد الطحان حدثنا حفص بن غياث عن ابن أبي ذئب عن أبي الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صدقتموه وهو حق فأكلموه وما أتى البحر ميتاً طافياً فلا تأكلوه ثم رواه من طريق اسمعيل بن أمية ويحيى بن أبي شيبة عن أبي الزبير عن جابر به وهو منكر وقد احتج الجوهري من أصحاب مالك والشافعي وأحمد بن حنبل بحديث العنبر المتقدم ذكره وبحديث هو الطهور وماؤه الحل ميتته وقد تقدم أيضاً وروى الامام أبو عبد الله الشافعي عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم أكلت لامتنان ودمان فاما الممتنان فالحوت والجراد وأما الدمان فالكبد والطحال ورواه أحمد وابن ماجه والدارقطني والبيهقي وله شاهد وروى موقوفا والله أعلم وقوله وحرم عليكم صيد البر ما دمت حرم أى في حال احرامكم يحرم عليكم الاصطياد وقصيدة لالة على تحريم ذلك فاذا اصطاد الحرم الصيد تمتعوا ثم غرم أو مخطأ غرم وحرم عليه أكله لانه في حقه كالميتة وكذا في حق غيره من الحرمين والحليين عند مالك والشافعي في أحد قوليه وبه يقول عطاء والقاسم وسالم وأبو يوسف ومحمد بن الحسن وغيرهم فان أكله أو شيا منه فهل يلزمه جزاء فيه قولان (٦) للعلماء أحد ما نمى قال عبد الرزاق عن ابن جريح عن عطاء قال ان

ذبحه ثم أكله فكفارتان واليه ذهب طائفة والشافعي لا جزاء عليه في أكله نص عليه مالك بن أنس قال أبو عمر بن عبد البر وعلى هذا مذاهب فقهاء الانصار وجمهور العلماء ثم روجه أبو عمر بمالوطي ثم وطى ثم قبل أن يحد فانما عليه حد واحد وقال أبو حنيفة عليه قيمة ما أكل وقال أبو نوراذا قتل الحرم الصيد فعليه جزاؤه وحلال أكل ذلك الصيد الا انى أكرهه لادى قتله للنبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صيد البر لكم حلال ما لم تصيدوه أو يصب لكم وهذا الحديث سبأى بيانه وقوله بابا حلة للقاتل غريب واما غيره ففيه خلاف فقد ذكرنا المنع عن تقدم وقال آخرون بابا حلة لغیر القاتل سواء الحرمون والحلون لهذا الحديث والله أعلم وأما اذا صاد حلال صيد فأفاده الى محرم فقد ذهب ذايعون الى اباحتها مطلقا ولم يستفصلوا بين أن يكون قد صاده لاجله أم لاحكى هذا القول أبو عمر بن عبد البر عن عمر بن الخطاب وأبي هريرة والزبير بن

المؤكل لمضون جلة عليها وقد استدل بظاهر هذه الآية أبو حنيفة ومن قال بقوله انه يجوز أن يقول أنا مؤمن حقوا ولا يجوز الاستثناء وأجيب عنه بأن الاستثناء ليس على طريق الشك بل التبرك بقوله وأنا ان شاء الله بكم لاحقون مع العلم القطعي انه لا حق بهم أو المراد صرف الاستثناء الى الطاعة والزراع عند التحقيق لفظي كما نتر في موطنه وانما حكم سبحانه بكونهم مؤمنين حقاً في هذه الآية اذا أتوا تلك الاوصاف الخمسة كما يفيد لفظه انما لانها العصر (لهم درجات) يعنى فضائل ورحمة فاله سعيد بن جبير وعن مجاهد قال أعمال رفعة وقال النخاس أهل الجنة بعضهم فوق بعض فرى الذى هو فوق فضله على الذى هو أسفل منه ولا يرى الا شغل فضل أحد عليه ذكر ما أعلن كن جامعين هذه الاوصاف من الكرامة فقال لهم منازل خير وكرامة وشرف في الجنة كائنة (عند ربهم) وفي كونها عنده سبحانه زيادة تشرى ربهم وتكريم وتعظيم وتنفخ (وهم مقفرون) لذنوبهم وعن ابن زيد قال بترك الذنوب (ورزق كريم) دائم مستقر بكرمهم الله به من واسع فضله وفائض جوده وعن ابن زيد قال هو الاعمال الصالحون عن محمد بن كعب القرظي قال اذا سمعتم الله يقول ورزق كريم فهى الجنة (كما أخرجه ريبك) قال الزجاج أى الانتقال ثابتة لك مثل اخرج ريبك وبه قال المبرد والمعنى امض لامرئ في الفناء ونفل من شئت وان كرهوا لان بعض الصحابة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين جعل لكل من أتى بأسرئاً قال بنى أكثر الناس بغيرئى فوضع الكاف نصب وقال أبو عبيدة هو قسم أى الذى أخرجه فالكاف يعنى الواو وما يعنى لذى وقال الاخفش المعنى أولئك هم المؤمنون حقاً كما أخرجه ريبك وقال عكرمة المعنى أطيعوا الله ورسوله كما أخرجه ريبك وقيل الكاف كاف التشبيه على سبيل المجازاة وقيل يعنى على أى امض على الذى أخرجه فانه حق وقيل يعنى اذأى اذ كرايما اذ أخرجه وقيل هذه الحال كمال اخرجك يعنى أن طالعهم في كراهة ما رأيت من تنبيل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجك للبر بذكره صاحب الكشاف وقال السمين فيه عشرون وجهاً * الثانى منها أن تقديره أصلها واذن بينكم اصلاحاً كما أخرجه وقد التفت من خطاب الجماعة الى خطاب الواحد * الثالث تقديره وأطيعوا الله ورسوله طاعة ثابتة بحقيقة كما أخرجه * الرابع تقديره متوكلون وتوكلوا حقيقة كما أخرجه * السادس عشر منها تقديره قسمتم

العوام وكعب الاحبار ومجاهد وعطاء في رواية وسعيد بن جبير وبه قال الكوفيون قال ابن جرير حدثنا محمد الغضائى عن عبد الله بن زبيغ حدثنا بشر بن المفضل حدثنا سعيد عن قتادة أن سعيد بن المسيب حدثه عن أبي هريرة أنه سئل عن لحم صيد صاده حلال أيا كاه الحرم قال فافتأ بما كاه ثم لقي عمر بن الخطاب فأخبره بما كان من أمره فقال لو أقيمت بغير هذا لوجعت لك رأسك وقال آخرون لا يجوز أكل الصيد للمعمر بالكتابة ومنعوا من ذلك طائفة منهم هذه الآية الكريمة وقال عبد الرزاق عن معمر بن ابن طاوس وعبد الكريم عن ابن أبي أسية عن طاوس عن ابن عباس أنه كره أكل الصيد للمعمر وقال هنى مبهمة يعنى

قوله وحرم عليكم صيد البر ما دبتم حرما قال وأخبرني معمر عن الزهري عن ابن عمر أنه كان يكره للصحرى أن يأكل من لحوم الصيد على كل حال قال معمر وأخبرني أيوب عن نافع عن ابن عمر مثله قال ابن عبد العروبة قال طاوس وجابر بن زيد واليه ذهب النزرة واحتج بن راهويه في رواه وقد روى نحوه عن علي بن أبي طالب رواه ابن جرير من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب أن عليا كره أكل لحوم الصيد للصحرى على كل حال وقال مالك والشافعي وأحمد بن حنبل واحتج بن راهويه في رواية وأبوجهور أن كان الحلال قد قصده الحرم بذلك الصيد لم يحز للصحرى (٧) أكله لحديث الصعبي بن حنيفة أنه أهدى

لذي صلى الله عليه وسلم حمار وحشا وهو بالأنواء وأبو دان فرد عليه فلما رأى ما في وجهه قال ألم نرد عليك إلا نحرهم وهذا الحديث يخرج في الصحيحين وله ألفاظ كثيرة قالوا فوجهه أن النبي صلى الله عليه وسلم قل أن هذا النخا صادم من أجل فردة فلما إذا لم يقصده بالاصطيد فإنه يجوز له الأكل منه لحديث أبي قتادة حين صاد حمار وحش وكان حلالا لم يحرم وكان البخاري يحرر من فموقفوا في أكله ثم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل كان منكم أحد أشار إليها وأنا في قبليها قالوا لا قال فكلوا أو أكل منها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه القصة ناسئة أيضا في الصحيحين باللفاظ كثيرة وقال الامام أحمد حديثنا سعيد بن منصور وقتيبة بن سعيد قال حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب بن عبد الله بن حنبل عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قتيبة في حديثه سمعت

الغنائم حتى كما كان آخر حبل حقاها السابع عشر أن التشبيه وقع بين أخراجين (من يتك) أي المدينة أو بيتك الذي بها (بالحق) أي أخراجا متلبسا بالحق لاشبهه فيه وقال مجاهد كما أخرجه ربك من بيتك بالحق كذلك أيجاد لولك في خروج القتال وعن السدي قال خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى بدر وقيل المراد أخراجه من مكة إلى المدينة للهجرة الأولى وأولى به قال جمهور المفسرين وقيل هذا الوجدان مؤمن حتى في الآخرة كما أخرجه ربك من بيتك بالحق الواجب له فأخرجوه عنك وظفره بعد ذلك وأولى ذلك ذكره النحاس واختاره وفي الجبل أي أخرجه من المدينة لتأخذ العير التي مع أي سفين أي قنصها فأصل خروج النبي والمؤمنين لأجل أن يغفوا القافلة فلم تكن في خروجهم كراهة وانما عرضت لهم الكراهة بعد الخروج قريب بدرا أخبر وأن العير بحث منهم وأن قريشا أو إلى بدر وأشار عليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنهم يضمنون إلى قتال قريش الذين خرجوا ليدنو المسلمين عن القافلة فكبره المسلمون القتال لأعصيا نابل بالطبع حيث خرجوا من غير استعداد للقتال لا بعدد ولا بعدد وانما كان أصل خروجهم لأخذ الغنمة لقوله (وأن فريقا من المؤمنين لكارهون) حال مقدرة لما علمت أن الكراهة لم تقارن الخروج وقبل أي كما أخرجه في حال كراهتهم لذلك لأنه لما عدهم الله إحدى الطائفتين أما العير أو النفر ربه في العير لما فيها من الغنمة والسلامة من القتال وكروهاه أقلته عددهم وسلاحهم وكثرة عدوهم وسلاحهم وفي الكار هون هم إعاقة معنى الفريق (بمجادلونك) ومجادلهم لم يندبهم إلى إحدى الطائفتين وفات العير وأمرهم يقتال النفر ولم يكن معهم كثيرا أشبه لذلك شق عليهم وقالوا أو أخبرتنا بالقتال لأخذنا للعدة وأكلنا الأهبة والجلمة مستأنفة أو حال ناسئة أي أخرجه حال مجادلهم أو حال من الضمير في لكارهون أي لكارهون في حال الجدال والضمير يجوز أن يعود على الكفار وجداهم ظاهر والظاهر أنه يعود على الفريق المتقدم (في الحق) أي في القتال (بعد ما بين) لهم أنك لا تأمر بشئ إلا بأذن الله أو بعد ما بين لهم أن الله وعدهم بالظفر بإحدى الطائفتين وأن العير إذا فانت ظفروا بالنفر (كأنما يساقون إلى الموت) أي حال كونهم في شدة فزعهم من القتال يشبهون حال من يساق بالعنف والصغار ليقبل (وههم ينظرون) يعني إلى الموت كن هو مشاهد لأسباب قبله ناظر إليها بعينه لا يشك فيها والجامع بينهما الكراهة في كل

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول صيد البر لكم حلال قال سعيدوا بتم حرم ما لم يصيده أو يصد لكم وكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي جميعا عن قتيبة وقال الترمذي لا نعرفه للمطلب معان من جابر ورواه الامام محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه من طريق عمرو بن أبي عمرو عن مولا المطلب عن جابر ثم قال وهذا أحسن حديث روى في هذا الباب وأئیس وقال مالك رضي الله عنه عن عبد الله بن أبي بكر عن عبد الله بن عامر عن ربيعة قال رأيت عثمان بن عفان بالرح وهو محرم في يوم صائف قد غلبني وجهه بقطعة أربحوا ثم أتى بعم صيد فقل لأصحابه كوافقوا أو لا تأكل أنت فقال أني است كهفتكم انما صيد

جلى (قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أجيحك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أُولِي الْأَلْسَابِ لعلكم تتقون) يا أيها الذين آمنوا
 سبوا عن أشباهه ان تبدلتم تسوء ثم وان تساءلوا عن احين ينزل القرآن تبدلتم عفا الله عنها والله غفور رحيم قد سألها قوم من
 قلمكم ثم اصحروا بها (كافرين) يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لا يستوي الخبيث والطيب ولو أجيحك كثرة
 الخبيث يعني أن القليل الحلال النافع خير من الكثير النافع الحرام كما جاء ما قل وتكني خيرا كثر وألهى وقال أبو القاسم البغوي
 في معجمه حديثا أخره حديثا الخطوطي (٨) - حديثنا محمد بن شعيب حديثنا معان بن رفاعه عن علي بن يزيد عن

القاسم عن أبي امامة أن ثعلبة
 ابن حاطب قال يا رسول الله ادع
 الله أن يرزقني ما لا قال قليل تؤذي
 شكره خبير من كثير لا تطيقه
 فاتقوا الله يا أُولِي الْأَلْسَابِ أَى
 يا ذوى العقول الصحيحة المستقيمة
 وتجنبوا الحرام ودعوا واقنعوا
 بالحلال واكفوا به لعلكم
 تقلمون أى فى الدنيا والآخره ثم
 قال تعالى يا أيها الذين آمنوا
 لا تسألوا عن أشياء ان تبدلتم
 تسوءكم هذا تأديب من الله تعالى
 لعباده المؤمنين ونهى لهم عن أن
 يسألوا عن أشياء مما لا فائدة لهم
 فى السؤال والتنبع عنها لانها
 ان ظهرت لهم تلك الامور ربما
 أساءتهم وشق عليهم سماعها كما
 جاء فى الحديث أن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم قال لا يبلغنى أحد
 عن أحد شيئا الى أحب أن أخرج
 اليكم وأنا ناسم الصدر وقال
 البخارى حديثا من ذى الوليد بن
 عبد الرحمن الجارودى حديثا أبى
 حديثا شعيب عن موسى بن أسد
 عن أسد بن مالك قال خطب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم

(واذ بعدكم الله احدى الطائفتين) أى واذا كروا وقت وعبد الله اياكم وأمرهم بشد ك الوقت
 مع أن المقصود كرمافيه من الحوادث لقصص المبالغة والطائفتان هما فرقة أبي سفيان
 مع العير وفرقة أبي جهل مع النضير (أيها) أى احدى الطائفتين مسخرة (لكم) وأنكم
 تغلبونها وتغفون منها وتصفون بها ما شئتم من قتل واسر وغلبة لا يطيقون لكم دفعا
 ولا يملكون لانفسهم منكم ضرا ولا نفعا وفى هذه الجملة تذكير لهم بنعمة من النعم التى
 أنعم الله بهم اعلهم (وتوتون) أى تريدون وتتمون معطوف على بعدكم من جملة الحوادث
 التى أمر واذا كروا وقتها (أن غيظت الشوكه) من الطائفتين وهى طائفة العير التى ليس
 فيها قتال ولا شوكه (تكون لكم) دون ذات الشوكه وهى طائفة النضير قال أبو عبيدة أى
 غيظت الحدو الشوكه السلاح والنبت الذى له حد ومنه رجل شائك السلاح أى حديد
 السلاح ثم قلب فيقال شاكى السلاح فالشوكه مستعارة من واحدة الشوك والمعنى
 وتودون أن تظفروا بالطائفة التى ليس معها سلاح وهى طائفة العير لانها غنية صافية عن
 كدر القتال اذ لم يكن دعوا من يقوم بالدفع عنها قال الضحاك وهى عير أبي سفيان وقد
 أحسب محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن العير كانت لهم وأن القتال صرف عنهم (ويريد
 الله أن يحق الحق بكلماته) وهو من جملة ما أمر واذا كروا أى ويريد الله غير ما تريدون
 وهو أن يحق الحق بظواهره لما قضاه من ظفركم بذات الشوكه وقتلكم لصناديدهم وأسر
 كثير منهم واعتنام ما عنتم من أموالهم التى أجلبوا بها عليكم وراموا دفعكم بها والمواد
 بالكلمات الايات التى أنزلها فى محاربة ذات الشوكه وزعمكم منه بالظفر بها وقيل
 الكلمات عداته التى سبقت لكم من اظهار الدين واعزازه وقيل أسباب النصر مثل
 نزول الملائكة وأوامره لهم بالامداد (ويقطع دابر الكافرين) الدابر الاخر وقطعه
 عبارة عن الاستئصال والمعنى ويستأصلهم جميعا حتى لا يبقى منهم أحد (ليحق الحق ويبيطل
 الباطل) هذه الجملة على ما يريد الله أى أو اذ ذلك أو يريد ليظهر الحق ويرفعه وهو
 الاسلام ويبطل الباطل ويضعه وهو الكفر أو فعل ذلك ليحق الحق وليس فى هذه الجملة
 تكرير لما قبلها لان الاولى لبيان التفاوت فيما بين الارادتين وهذه لبيان الحكمة
 الداعية الى ذلك والعلة المنتزعة له والمصلحة المترتبة عليه وقيل لا يقال فيه تحصيل
 الحاصل اذ المراد بالحق الايمان وبالباطل الشرك وقيل المراد بالاول تثبيت ما وعده

خطبة ماسمعت مثلها فاقط وقال فيها ولعلكم ما أعلم لضعفكم قليلا وايكم كثيرا قال فغضى أصحاب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم حين فقال رجل من أبى قال فلان فترلت هذه الآية لا تسألوا عن أشياء رواد النظر وروح
 ابن عبادة عن شعبة وقد رواه البخارى فى غير هذا الموضع ومسلم وأحمد والترمذى والنسائى من طرق عن شعبة بن الحجاج به وقال
 ابن جرير حديثا بن حديثا بن سعد عن قتادة فى قوله يا أيها الذين آمنوا تسألوا عن أشياء ان تبدلتم تسوءكم الآية قال
 حديثا أن أسد بن مالك حديثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوه حتى أحقوه بالمسئلة فتخرج عليهم ذات يوم فصعد المنبر فقال

لأتسألوني اليوم عن شيء إلا ينسئ لكم فأشفق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون بين يدي أمر قد حضر فعملت لأتسأل
 لا يجنونا ولا شاعلا الا وجدت كلا لا فارأسه في ثوبه يبي فأنشأ رجل كان يلاحي فیدعی الى غير آیه فقال تباي الله من أبي قال أبوك
 حذافة قال ثم قام عمر وأبو قال فأنشأ عمر فقال رضي الله عنك يا رسول الله وعبد الله بن شمر الفتي
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أرفي الخبر والشرك اليوم قط صورت لي الجنة والنار حتى رأيتهم بدون الحائط أخرجاهم من
 طريق سعيدهم ورواه معمر بن الزهري عن أنس بن مالك قال قال الزهري فقالت أم عبد الله بن حذافة ما رأيت
 ولدا ألقى منك قالت أ كنت تأمن

أن أمك قد فارقت ما فارقت أهل
 الجاهلية ففضحها على رؤس
 الناس فقال والله لو ألقيني بعدد
 أسود للحقته وقال ابن جرير أيضا
 حدثنا الخثر حدثنا عبد العزيز
 حدثنا قيس عن أبي حصين عن
 أبي صالح عن أبي هريرة قال خرج
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
 غضبان فخرجت وجهه حتى جلس
 على المنبر فقام إليه رجل فقال
 أين أنا قال في النار فقام آخر فقال
 من أبي قال أبوك حذافة فقام
 عمر بن الخطاب فقال رضي الله
 عنك يا رسول الله وعبد الله بن شمر
 الفتي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لا يجنونا ولا شاعلا الا وجدت كلا لا فارأسه في ثوبه يبي فأنشأ رجل كان يلاحي فیدعی الى غير آیه فقال تباي الله من أبي قال أبوك
 حذافة قال ثم قام عمر وأبو قال فأنشأ عمر فقال رضي الله عنك يا رسول الله وعبد الله بن شمر الفتي
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أرفي الخبر والشرك اليوم قط صورت لي الجنة والنار حتى رأيتهم بدون الحائط أخرجاهم من
 طريق سعيدهم ورواه معمر بن الزهري عن أنس بن مالك قال قال الزهري فقالت أم عبد الله بن حذافة ما رأيت
 ولدا ألقى منك قالت أ كنت تأمن

في هذه الواقعة من النصر والظفر بالاعداء وبالناتق بآلهة الكافرين من قهر الكافرين مع كثرتهم كان سببا لا عزاز
 الذي وقع يوم بدر من نصر المؤمنين مع قتلهم ومن قهر الكافرين مع كثرتهم كان سببا لا عزاز
 الدين وقوته ولهذا قرينه بقوله ويطل الباطل (ولو كره) أن يبق الحق ويطل الباطل
 (المجرمون) أي المشركون من قريش أو جميع طوائف الكفار ووقعة بدر قد اشتملت
 عليها كتب الحديث والسير والتواريخ متوافرة فلا نطيل بذكرها (اذتغشون ربكم)
 أي اذكروا وقت استغاثتكم تذكيرهم بنبعة أخرى والمقام للمأذى وانما عبر بالمضارع
 حكاية للحال الماضية أي اذتغشون ربكم من عدوكم وتطلبون منه العون والنصر
 والاستغاثة طلب العون يقال استغاث فلان فأغثته والاسم الغياث والمعنى أن المسلمين
 لما علموا أنه لا بد من قتال الطائفة ذات الشوك وهم النكير كما أمرهم الله بذلك وأرادهم منهم
 ورأوا كثرة عدد النكير وقلة عددهم استغاثوا بالله سبحانه وهو معنى قول الزهري وقيل
 المستغث هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحده واعتادوه بلفظ الجمع تعظيما له
 وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب أن عددا من المشركين يوم بدر أتوا وعدد
 المسلمين ثلثمائة وسبعة عشر رجلا وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما رأى ذلك استقبل
 القبلة ثم تديبه بفعل يهتف به اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم أن
 تم لك هذه العصابة من أهل الاسلام لا تعبد في الأرض خالزال يهتف به حتى سقط رداؤه
 عن منكبيه فأنه أبو بكر فأنشأ خذراءه فأنشأه على منكبيه ثم التزمه من وراءه وقال تباي
 الله كفالك مناشدتك ربك فأنه سيخبرك ما وعدك فأنزل الله عز وجل هذه الآية
 (فاستجاب لكم) عطف على تستغيثون داخل معه في التذكير وهو وان كان مستقبلا فهو
 بمعنى الماضي ولهذا عطف عليه استجاب (أي) أي بآي (ممدكم) بوعدى اياكم بالامداد
 وذلك لانه وقت الاجابة لم يحصل الامداد بالفضل لان الدعاء واستجابته كانا قبل وقوع
 القتال (بألف من الملائكة مردين) قرئ بكسر الهمزة والفتح شعرا بأن غيرهم أردفهم لكونهم
 في التصفية كان وراء كل ملك ملائكة رديفاه فقرائة الفتح شعرا بأن غيرهم أردفهم لكونهم
 خلفهم وقراءة الكسر شعرا بأن الراكب خلف صاحبه قد أردفه فصيح التعبير باسم التفاعل
 تارة واسم المفعول أخرى وجعل أبو البقاء مفعول مردين بالكسر مجذوقا أي مردين
 أمثالهم ويجوز أن يكون معنى الأرداف المجيء بعد الأوائل أي جعلوا رديفا للأوائل قاله

(٢ - فتح البيان ح) تبدل لكم تسوكم قال غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم من الأيام فقام خطيبا فقال سلوني فأنسئكم
 لا تسألوني عن شيء إلا أنسئكم به فقام إليه رجل من قريش من بني سهم يقال له عبد الله بن حذافة وكان يطعن فيه فقال يا رسول الله
 من أبي قال أبوك فلان فدعاه لآيه فقام إليه عمر بن الخطاب فقبل وجهه وقال يا رسول الله رضي الله عنك يا رسول الله وعبد الله بن شمر الفتي
 وبالقرآن اماما فاعف عنا الله عنك فلم يزل به حتى رضي فيومئذ قال الوليد للفراس وللعاهر الخثر قال قال الخثر حدثنا الفضل بن
 سهل حدثنا أبو النضر حدثنا أبو خزيمة حدثنا أبو الجويرية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان قوم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليه وسلم استنزه يقول الرجل من أي وي يقول الرجل فضل ناقته أين ناقتي فأُنزل الله فيهم هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
عن أشياء من تبدل لكم تسوكم حتى فرغ من الآية كلها تفرد به البخاري وقال الإمام أحمد حدثنا منصور بن وردان الاسدي حدثنا
علي بن عبد الأعلى عن أبيه عن أبي الجعفي وخو سعيدين بن زرعون عن علي قال لما نزلت هذه الآية والله على الناس حج لبيت من استطاع
إليه سبيلا قالوا يا رسول الله أتى كل عام فكت فقلوا أتى كل عام فكت قال نعم قالوا أتى كل عام فقل لا ولولا فكت نعم لو جبت ولو
وجبت لما استطعتم فأُنزل الله يا أيها الذين (١٠) آمنوا اتقوا الله عن أشياء من تبدل لكم تسوكم الآية وكذا رواه الترمذي وابن

السين وقد قيل إن ردف وأردى بمعنى واحد وأنكره أبو عبيدة قال لقوله تعالى تبت عليها
الرادفة ولم يقل المردفة قال ابن عباس مردفين متابعين وعنه قال الممدود عنه قال وراء
كل ملائكة وعن الشعبي قال كان ألف مردفين وثلاثة آلاف منبرين وكانوا أربعين
ألف وهم مددا المسلمين في غورهم وقال مجاهد مردفين مجتدين وقال قتادة متابعين
أمدهم الله بألف ثم بثلاثة ثم أكلهم خمسة آلاف وعن علي قال نزل جبريل في خمسة آية
من الملائكة عن ميمونة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفيها أبو بكر ونزل ميكائيل في
خمس آيات من الملائكة عن ميمونة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأما في الميسرة وعن
مجاهد قال ما أمد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأكثر من هذه الألف التي ذكرها الله في
الأنفال وما ذكر الثلاثة الآلاف والخمسة الآلاف للبشرى قال في الجمل لم يثبت أن
الملائكة قاتلت في وقعة الأبي بدر وأما في غيرهما فكانت تنزل لتكثير عدد المسلمين
ولا تقابل كما وقع في حنين (وما جعله الله) أي الامداد المدلول عليه بقوله أتى مدكم
(البشرى) أي إشارة لكم بضمه وهو استنفاص غنى ما جعل أمدادكم بشيئ من
الاشياء الا للبشرى لكم بالنصر (ولتطمئن به) أي بالامداد (قلوبكم) وفي هذا الشعار بأن
الملائكة لم يقاتلوا بل أمد الله المسلمين بهم للبشرى لهم وثبتت قلوبهم بمعنى نزول
الملائكة قال قتادة وذكرنا أن عمر قال أما يوم بدر فلا نشك أن الملائكة كانوا معنوا أما
بعد ذلك قاله أعلم (وما النصر الا من عند الله) لا من عند غيره ليس للملائكة في ذلك
أثر فهو الناصر على الحقيقة وليسوا الأسباب من أسباب النصر التي سبها الله لكم وأمدكم
بها وفيه تنبيه على أن الواجب على المسلم أن لا يتوكل الا على الله في جميع أحواله ولا يتق
بغيره فان الله تعالى بيده الطفرة العانة (ان الله عزيز) لا يغالب (حكيم) في كل أفعاله
(اذبحسبكم) الناعل هو الله وفيه ثلاث قرآت سبعية يغشاكم كلفاكم من غشاه اذ اتاه
وأصابه ويغشيك من أغشاه أي أمره بكم وأوقعه عليكم ويغشيك من غشاه تغشيه
غطاء وقبل الفاعل (النعاس أمة منته) وهو النوم الخفيف والاكثر على الاول وهذه
الآية تضمن ذكر نعمته أنعم الله بها عليهم وهي أنهم مع خوفهم من لقاء العدو والمهاجرة
لجانبه سكن الله قلوبهم وأمنها حتى ناموا آمنين غير خائفين وكان هذا النوم في الليلة التي
كان القتال في غدها قيل وفي امتنان الله عليهم بالنوم في هذه الليلة وجهان أحدهما

ما جبه من طريق منصور بن وردان
به وقال الترمذي غريب من هذا
الوجه وسمعت البخاري يقول
أبو الجعفي لم يدركه عليا وقال ابن
جرير حدثنا أبو بكر بن حدثنا عبد
الرحيم بن سليمان عن إبراهيم بن
مسلم الهجري عن ابن عباس عن
أبي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله كتب عليكم
الحج فقال الرجل أتى كل عام
يا رسول الله فأعرض عنه حتى عاد
مرتين أو ثلاثا فقال من السائل
فقال فلان فقال والذي نفسي بيده
لو قلت نعم لو جبت ولو وجبت عليكم
ما أطقوه ولو تركوه لكفرتم
فأنزل الله عز وجل يا أيها
الذين آمنوا اتقوا الله عن أشياء من
تبدل لكم تسوكم حتى ختم الآية ثم
رواه ابن جرير من طريق الحسين
ابن واقد عن محمد بن زياد عن أبي
هريرة وقال فقام محسن الاسدي
وفي رواية من هذه الطريق عكاشة بن
محسن وهو أشبهه وإبراهيم بن مسلم
الهجري ضعيف وقال ابن جرير
أيضا حدثني زكريا بن يحيى عن
صفوان بن عمرو حدثني سليمان بن

عاصم قال سمعت أبا أمامة الهادي يقول قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فقال كتب عليكم الحج فقام رجل من
الاعراب فقال أتى كل عام قال فعلى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسكت واستغضب ومكث طويلا ثم تكلم فقال من السائل
فقال الاعرابي انما ذاقنا موتنا ان أقول نعم والله لو قلت نعم لو جبت ولو وجبت لكفرتم لأنه انما أهلك الذين من قبلكم
أنما الحرج والله لو أني أهدت لكم جميع ما في الارض وحرمت عليكم منها موضع خنفر لوقعتم فيه قال فأنزل الله عند ذلك يا أيها الذين
آمنوا اتقوا الله عن أشياء من تبدل لكم تسوكم إلى آخر الآية في اسناده ضعف وظاهر الآية التهي عن السؤال عن الاشياء التي اذا علم

بها الشخص ساءه فالاولى الاعراض عنها وتركها وما أحسن الحديث الذي رواه الامام أحمد حيث قال حدثنا حجاج قال سمعت
اسرائيل بن يونس عن الوليد بن أبي هاشم مولى الهذلي عن زيد بن زائد عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يجناه لا يبلغني أحد عن أحد شيئا فإني أحب أن أخرج إليكم وأسلم الصدرا الحديث وقد رواه أبو داود والترمذي من حديث
اسرائيل قال أبو داود عن الوليد قال الترمذي عن اسرائيل عن السدي عن الوليد بن أبي هاشم ثم قال الترمذي غريب من هذا
الوجه وقوله تعالى وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلنكم أي أو تسألوا (١١) عن هذا الاشياء التي تهيم عن السؤال عنها حين
ينزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليه وسلم تبين لكم وذلك على
الله يسير ثم قال عفا الله عنها
أي عما كان منكم قبل ذلك والله
غفور رحيم وقيل المراد بقوله وإن
تسألوا عنها حين ينزل القرآن
تبدلنكم أي لا تسألوا عن أشياء
تسألون السؤال عنها فله قد
ينزل بسبب سؤالكم تشديد أو
تخفيف وقد ورد في الحديث أعظم
المسلمين جرما من سأل عن شيء لم
يحرم فحرم من أجل مسأله
ولكن إذا نزل القرآن بها مجمله
فسألتهم عن بيانها بينت لكم حيث
لاحتجاجكم اليها عفا الله عنها أي
ما لم يذكر في كتابه فهو مما عفا عنه
فاسكتوا أنتم عنها كما سكنت عنها وفي
الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنه قال ذروني ما تركتكم فإني
أهمل من كان قبلكم كثرة سؤالهم
واختلافهم على أنبيائهم وفي
الحديث الصحيح أيضا أن الله تعالى
فرض فرائض فلا تضعوها وحد
حدودا فلا تعذبوها وحرم أشياء
فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء
رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا

أنه قواهم بالاستراحة على السآل من الغد الثاني أنه أمهم بزوال الرعب من قلوبهم
وقيل إن النوم غشيه في حال النقاء الصغين وقد مضى في يوم أحد فحرم من هذا في سورة
آل عمران عن علي قال ما كان فينا فارس يوم بدر غير المتداد ولقد رأينا وما فينا إلا نائم
الرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي تحت شجرة حتى أصبح قال مجاهد أمته أي
أمتنا من الله لكم من عدوكم أن يغلبكم وقال قتادة درجة منه أمته من العدو وعنه قال
النعاس في الرأس والنوم في القلب وعنه قال كان النعاس أمته من الله وكان النعاس
نعاسين يوم بدر ويوم أحد وقال ابن مسعود النعاس في القتال أمته من الله وفي الصلاة
من الشيطان وقيل إن ذلك النعاس كان في حكم المحجة لأنه أمر خارق للعادة (وينزل
عليكم من السماء ماء) هذا المطر كان بعد النعاس وقيل قبله وحكي الزجاج أن الكفار يوم
بدر سبقوا المؤمنين إلى ماء بدر فزولوا عليه وبني المؤمنين لاء لهم فأنزل الله المطر ليه
يدرو الذي في سيرة ابن إسحق وغيره أن المؤمنين هم الذين سحقوا إلى ماء بدر وأنه منع
قريش أن يسبقوا إلى الماء مطر عظيم ولم يصب المسلمين منه إلا ما شئت لهم دهم الوادي
وأعانهم على المير وقيل مجاهد المطر أنه الله عليهم قبل النعاس فأطفا بالمر الغبار
والتبدت به الأرض وطابت به أنفسهم وثبتت به أقدامهم وعن عروة بن الزبير قال بعث
الله السماء وكان الوادي دها وأصاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ما لم يد
الأرض ولم ينعمهم المسير وأصاب قريش ما لم يتدروا على أن يرتحلوا معه (ليظهركم به)
أي ليرفع عنكم الأحداث والجنابة عن ابن عباس أن المشركين غلبوا المسلمين في أول
أمرهم على الماء فظنوا المسلمون وصلوا المجنبيين محدثين وقد قدمنا أن المشهور في كتب
السيرة العدة أن المشركين لم يغلبوا المؤمنين على الماء بل المؤمنون هم الذين غلبوا عليه
من الابتداء وهذا المروي عن ابن عباس في استناده العوفي وهو ضعيف جدا (ويذهب
عنكم رجز الشيطان) أي وسوسته لكم عما كان قد سبق إلى قلوبكم من الخواطر التي
منها الخوف والفشل حتى كانت حالكم حال من يساق إلى الموت والرجز في الأصل
العذاب الشديد وأريد به هنا نفس وسوسة الشيطان بحجاز المشقة على أهل الإيمان كما
قيل كل ما اشتدت مشقته على النفوس فهو رجز (وليربط على قلوبكم) بالنصر واليقين
فليجعلها صابرة قوية ثابتة في مواطن الحرب والربط في اللغة الشد وكل من صبر على أمر

عنها ثم قال تعالى قدسأ لها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين أي قدسأ لها هذه المسائل المنهية عنها قوم من قبلكم فأجيبوا عنها
ثم لم يؤمنوا بها فأصبحوا بها كافرين أي بسببها أي بينت لهم فلم تنفعوا بها لأنهم لم يسألوا على وجه الاسترشاد بل على وجه الاستعزاء
والعناد وقال العوفي عن ابن عباس في الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن في الناس فقال يا قوم كتب عليكم الحج فقام رجل
من بني أسد فقال يا رسول الله أفى كل عام فأعذب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا فقال والذي نفسي بيده لو قلت نعم لوجبت
ولو وجبت ما استطعتم وإذا لم يكن منكم شيء فافعلوا وإذا همس بكم عن شيء فأنهوا عنه فأنزل الله

رب عمرو بن عامر اخراجه بجر قصبة النار كان أول من سبب السوائب والوصيلة النافعة البكر تكبر في أول صباح الابل ثم تفتي
بعد باثني وكانوا يديونه الطواغيتهم ان وصلت احداها بالآخرى ليس بينهما ذكروا والحام نقل الابل يضرب الضراب المعدود فاذا
قضى ضرابه ودعوه الطواغيت وأغفوه عن الحمل فلم يجعل عليه شيء وسعوا الحامي وكذا رواه مسلم والنسائي من حديث ابراهيم بن
سعد بن عمار قال البخاري وقال في أبو الهيثم أن خبرنا شبيب عن الزهري - هبت سعيدا قال يخبره بهذا قال وقال أبو هريرة سمعت النبي
صلى الله عليه وسلم يخبره ورأه ابن الهادي عن ابن شهاب عن سعيد (١٤) عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه سمعت عن النبي

صلى الله عليه وسلم قال الحاكم أزداد
البخاري أن يزيد بن عبد الله بن الهادي
رواه عن عبد الوهاب بن ميمون عن
الزهري كذا أحكام شيخنا أبو الحجاج
المزني في الأطراف وسكت ولم ينه
عليه وفيما قال الحاكم نظر فان
الامام أجده وأبا جعفر بن جرير روى
من حديث الليث بن سعد عن ابن
الهادي عن الزهري نفسه والله أعلم
ثم قال البخاري حدثنا محمد بن أبي
يعقوب أبو عبد الله الكرماني
حدثنا الحسن بن ابراهيم حدثنا
يونس عن الزهري عن عروة أن
عائشة رضى الله تعالى عنها قالت
قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم رأيت جهنم يحطم بعضها
بعضا ورأيت عمرا يجرح قصبة وهو
أول من سبب السوائب تفريده
البخاري وقال ابن جرير حدثنا هناد
حدثنا يونس بن بكير حدثنا محمد بن
اسحق حدثني محمد بن ابراهيم بن
الحري عن أبي صالح عن أبي هريرة
قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول لا كتم بين الجنون
يا كتم رأيت عمرو بن لحي بن قعدة
أن خنذف بجر قصبة في النار فإني
رأيت رجلا أشبهه برجل منكم

وهو ظاهر قول الزنجشري وقال أبو عبيدة أنها بمعنى على تقديره فاضربوهم على الاعناق
وهو قريب من الاول وقال ابن قتيبة هي بمعنى دون قال ابن عطية وهذا خطأ بين وغلط
فاحش وانما دخل عليه اللبس من قوله تعالى بعوضة ففوقها أي فنادونها وليست فوق
هنا بمعنى دون وانما المراد ففوقها في القلة والضعف وعن الفضالة قال اضربوا الرقاب
وقيل المراد بفوق الاعناق أعاليها لأن المفاصل التي يكون الضرب فيها أسرع على القطع
قاله في الكشف قيل هذا أمر للملائكة فيكون متصلا بما قبله وقيل للمؤمنين فيكون
منقطعاً عما قبله وعلى الاول قيل هو تقصير لقوله فقتلوا الذين آمنوا (واضربوا منهم
كل بيان) أي كل مفصل قال الزجاج واحداً للبيان بانه وهي هنا الاصابع وغيرها من
الأعضاء والبيان مشتق من قولهم أن الرجل بالمكان اذا قام به لانه يعمل بها ما يكون
للاقامة والحياة وقيل المراد بالبيان هنا أطراف الاصابع من اليدين والرجلين وهو
عبارة عن النبات في الحرب فاذا ضربت السنان تعطل من المفروب القتال بخلاف سائر
الأجزاء قال ابن فارس السنان الاصابع وقال عطية كل مفصل بانه وقال ابن عباس
الأطراف وقال أبو الهيثم السنان المفاصل قيل أمرهم الله بضرب أعلى الجسد وهو الرأس
وقبه هلاك الانسان وبضرب أضعف الأعضاء وهو السنان وفيه تعطيل حركة الانسان
فيدخل في ذلك كل عضو في الجسد (ذلك) إشارة الى ما وقع عليهم من القتل والاسر
ودخل في قلوبهم من العرب (بأنهم شاقوا الله ورسوله) أي بسبب مساقتهم والمساقة
المخالفة وأصلها من الجباة وكذا الشقاق أصله أن يصير كل واحد من الخصمين في شق
كانهم صاروا في شق وجانب عن شق المؤمنين وجانبهم وهذا مجاز معناه أنهم شاقوا أولياء
الله وهم المؤمنون وأشاقوا دين الله وقد تقدم تحقيق ذلك (ومن يشاقق الله) أي يخالفه
ويحاجه (ورسوله فإن الله شديد العقاب) له بعاقبه بسبب ما وقع منه من الشقاق بمعنى
ان الذي نزل به سم في ذلك اليوم من القتل والاسر شيء قليل فيما أعد الله لهم من العقاب
يوم القيامة والشرطية تكمل له لما قبلها وتكرير لما بعده وتحقق للسبي بالطريق
البرهاني كأنه قيل ذلك العذاب الشديد بسبب مساقتهم الله تعالى ورسوله وكل من
يشاقق الله ورسوله كأنه ثامن كان فله بذلك عقاب شديد فاذا لهم بسبب مساقتهم له ما
عقاب شديد قاله أبو السعود (ذلكم) إشارة الى ما تقدم من العقاب والعذاب بالقتل

ولا يهمل ذلك فقال كتم تخشى أن يضرك في شبيه ما رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لانك مؤمن وهو كافر انه أول من
غدير بن ابراهيم وبجر البجيرة وسبب السائبة وحج الحامي ثم رواه عن هناد عن عبيد بن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم يخبره ومثله ليس هذا الطريقان من الكتب وقال الامام أحمد حدثنا عمرو بن ميمون حدثنا ابراهيم
الهمداني عن أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أول من سبب السوائب وعبد الأصنام أبو
خزاعة عمرو بن عامر واني رأته يجير أعمامه في النار تفريده أحمد من هذا الوجه وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر بن زيد أن سلم قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف اول من سيب السوائب وأول من غيدين ابراهيم عليه السلام قالوا ومن هو يا رسول الله
قال غيرون بنى ثغوى كعب لقد رآته يجز قصبه في النار وقد رآته أكل النار واني لاعرف أول من يجز الجار قالوا ومن هو
يا رسول الله قال رجل من بني مدح كاتب له ثمان خدع أذنه ما حرم ألبانهم شرب ألبانهم ما بعد ذلك فلقد رآته في النار
وهما يفتانه بأثوابه ويطأه بأخفافهما فعمرو هذا هو ابن لحي بن قبة أحد رؤساء خزاعة الذين ولوا البيت بعد جرحهم وكان
أول من غيدين ابراهيم الخليل فأدخل (١٤) صنم الى الجحاز ودعا لزعامة الناس الى عبادتهم والتقرب بهم ووسع لهم

والاسروفه أوجد منها العقاب ذلكم أو الامر ذلكم الثاني ذلكم العقاب (فذكره)
الخطاب عن الكافرين كما أن الخطاب في قوله ذلكم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أول لكل
من يصلح الخطاب وأشار بالتريق الى أن عذاب الدنيا عاجل يسير بالإضافة الى المؤجل
(وان للكافرين عذاب النار) معطوفة على ما قبلها فتكون الإشارة على هذا الى العقاب
العاجل الذي أصيبوا به ويكون ذلك إشارة الى العقاب الآجل الذي أعد الله لهم في
الآخرة ووضع الظاهر فيه موضع المضمرة للدلالة على أن الكفر سبب العذاب الآجل
أو الجمع بينهما في أن وجوده خمسة ذكرها السمين (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الذين كنتم الذين كنتم
زحفا) الزحف الدنو قليلا قليلا وأصله الاندفاع على الالية ثم حكي كل ماش في الحرب الى
آخر أحقا والتزاحف التذاق والتناوب يقال زحف الى العدو وزحفوا وازدحف القوم
أي مشى بعضهم الى بعض ويطلق على الجيش الكثير زحف تسخيم المصدر والجمع زحوف
أي حال كونكم زاحفين الى الكفار وأحال كون الكفار زاحين اليكم أو متزاحسين
على أديبارهم في بطن السير وذلك لان الجيش اذا كثرت أفعاله بعضهم بعض يتراءى أن
سيره بطيء وان كان في نفس الامر سريعا فالتقصود من هذه الحال بعد كون المراد التشبيه
ما يلزم هذه المشابهة وهو الكثرة أي جماعتهم كما أنهم لكثرتهم زحفون (فلا تلوهم
الآديبار) أي ظهوركم منهم من منهم فان المنهزم يولي ظهوره ويرى أن الله المؤمنين أن
ينهمزوا عن الكفار والقوم وقد دبر بعضهم الى بعض للقتال وظاهر هذه الآية العموم
لكل المؤمنين في كل زمن وعلى كل حال الاحالة التحرف والتجيز وقد روى عن عمرو بن عمر
وابن عباس وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وأبي بصرة عن كريمة نافع والحسن وقتادة
وزيد بن أبي جيب والفضلاء أن تحريم القمار من الزحف في هذه الآية مختص بيوم بدر
وان أهل بدر لم يكن لهم أن ينحازوا ولولا انحازوا الى المشركين اذ لم يكن في
الارض يومئذ مسلمون غيرهم ولا لهم فئة الا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاما بعد ذلك
فان بعضهم فسد قلوبهم وبه قال أبو حنيفة قالوا بؤيده قوله ومن يولهم يومئذ دبره فانه
إشارة الى يوم بدر وقيل ان هذه الآية منسوخة بآية الضعف وذهب جمهور العلماء الى
أن هذه الآية محكمة عامة غير خاصة وان القرار من الزحف محرم ويؤيده أن هذه
الآية تزلت بعد انتصار الحرب في يوم بدر وأجيب عن قول الأولين بأن الإشارة في يومئذ

هذه الشرائع الجاحلة في الانعام
وغيرها كذكره الله تعالى في سورة
الانعام عند قوله تعالى وجعلنا الله
مما ذرأ من الخمر والانعام نصيبا
الى آخر الآيات في ذلك فاما الحيرة
فقال علي بن أبي طلحة عن ابن
عباس رضي الله عنهما هي الناقة
اذا انتجت خمسة أبطن نظروا الى
الخماس فان كان ذكرا ذبحوه
فان كله الرجال دون النساء وان
كان أنثى جددوا أذانها فقلوا
هذه بحيرة وذكر السدي وغيره
قريب من هذا واما السابعة فقال
مجاهد هي من الغنم فحوا مفسر
من الحيرة الا أنها ما ولدت من ولد
كان بينها وبينه ستة أولاد كانت على
هيقها فاذا ولدت السابع ذكر أو
ذكرين ذبحوهما فكله رجالهم دون
نساءهم وقال محمد بن اسحق
السابعة هي الناقة اذا ولدت عشر
اناث من الولد ليس بينهم ذكر
سبيت فلم تترك ولم يجز ورواهم
يحب لبني الاضييف وقال أبو روق
السابعة كان الرجل اذا خرج
فقتضت حاجته سب من ماله ناقة
أو غيرها جعلها لظوا غبت فاولدت

من شيء كان له قال السدي كان الرجل منهم اذا قضت حاجته أو عوفي من مرض أو كثر ماله سب شأ من ماله للاثنان الى
ثمن عرض لمن الناس عوقب بعقوبة في الدنيا وأما الوصيلة فقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هي الشاة اذا انتجت سبعة أبطن
نظروا الى السابع فان كان ذكرا وهو ميت اشترك فيه الرجال دون النساء وان كان أنثى استحوها وان كان ذكرا أو أنثى في بطن واحد
استحوها وقالوا وصلة اخته فرمت عليا واه ابن أبي حاتم وقال عبد الرزاق أنبا ناسم عن الزهري عن سعيد بن المسيب ولا وصلة
قال قالوا وصلة من الابل كانت الناقة يتكربا أي تمت بآتي فسموها الوصلة ويقولون وصلت اثنين ليس بينهما ذكرا فيجدها

لطوا غنهم وكذا روى عن الامام مالك بن أنس رحمه الله تعالى وقال محمد بن اسحق الوصيلة من الغنم اذا ولدت عشر اناث في خمسة ابطن ثوأمين ثوأمين في كل بطن سميت الوصيلة وتركت فاولدت بعد ذلك مذكراً وثلاث جعالت للذكور ودون الاناث وان كانت ميتة اشتركوها واما الحام فقال العوفي عن ابن عباس قال كان الرجل اذا القى خله عشر اقل حام فتركوه كذا قال أبو روق وقادة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس واما الحام فالتعل من الابل اذا ولد له فاولا وحى هذا ظهره فلا يحملون عليه شيئاً ولا يجوزون له وبر ولا يئنه وفيه من حى رعى ومن حوض يشرب منه وان كان الخوض لغير (١٥) صاحبه وقال ابن زهب سمعت مالكا يقول

اما الحام فاما من الابل كان يضرب في الابل فاذا انقضى ضراجه جعلوا عليه ريش الطواريس وسيبوه وقد قيل غير ذلك في تفسير هذه الآية وقد ورد في ذلك حديث رواه ابن أبي حاتم عن طريق أبي اسحق السبيعي عن أبي الاحوص الجشعي عن أبيه مالك بن فضالة قال آتيت النبي صلى الله عليه وسلم في خلتان من الثياب فقال لي هل لك من مال فقلت نعم قال من أى المال قال قلت من كل المال الابل والغنم والحمل والرقيق قال فاذا آنالك الله مالا فكنتم عليكم ثم قال نتج ابلك وافية آذانها قال قلت نعم قال وهل ينتج الابل الا كذلك قال فلعنك تأخذ المولى فتقطع آذان طائفة منها وتقول هذه بحير ونسق آذان طائفة منها وتقول هذه حرم قلت نعم قال فلا تنسعل ان كل ما آنالك الله لك حل ثم قال ما جعل الله من بحيرة ولا سائمة ولا وصيلة ولا حام اما الحرة فهن السبي يجدعون آذانهم فلا تنفع امرأته ولا ثناته ولا أحد من أهل بيته بصوفها ولا أولادها ولا شعاعها ولا

الى يوم يدر بأن الاشارة الى يوم الزحف كما يفيد السياق ولا منافاة بين هذه الآية وآية الضعف بل هذه الآية مفيدة فيها فيكون الفرار من الزحف محرماً بشرط ما بينه الله في آية الضعف ولا وجه لما ذكره من أنه لا يمكن في الارض يوم يدر مسلمون غير من حضرها فقد كان في المدينة اذ ذلك خلق كثير لم يأمرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالخروج لانه صلى الله عليه وآله وسلم خرج معهم لكونه في البدء اثناءه سيكون قتالاً وبؤيد هذا ورود الاحاديث الصحيحة المصرحة بأن الفرار من الزحف من جملة الكبائر كما في حديث اجتبوا السبع الموبقات وفيه والتولى يوم الزحف ونحوه من الاحاديث وهذا البحث تطول ذنوبه وتشعب طرقه وهومين في موطنه وورد عن جماعة من الصحابة أن التولى يوم الزحف من الكبائر قال ابن عطية والادبار جمع دبر والعبارة بالدبر في هذه الآية متكسفة في الفصاحة لما في ذلك من السنعة على الفار والذم له قلت ويطلق الدبر على مقابل القبل وعلى الظهر وهو المراد هنا والمقصود من قوله الظاهر وهو الانزمام وهذا من باب التعريض حيث ذكر لهم حاله تستجيب من فاعلمنا فاني بلغنا الدبر دون القل والذم وبعض أهل علم البيان يسمي هذا النوع كناية وليس بشئ (ومن يواهم يومئذ أى يوم لقيتموه) (دبره الامتحر للقتل) أى منعنا وما اتلنا له والنصب على الحال أو الاستثناء من خبر المؤمنين أى ومن يواهم الارجل منهم متحرراً واللام للتعليل أى لاجل قتال أى لاجل الفتن منه والتحرر الزوال عن جهة الاستواء والمراد به هنا التحرف من جانب الى جانب في المعركة طلباً لمكانة الحرب وخدع العدو وكن يومهم أنه منزم لاتباعه العدو وفكر عليه ويمكن منه ونحو ذلك من مكائده الحرب فان الحرب خدعة (أو تحييز الى فئة) أى منعنا وصائرنا الى جماعة من السايين غير الجماعة المتعاقبة للعدو أى رجلا منهم متحرراً أو تحييزاً ووزن تحييز متعيل لا متفعل لاندس حازم يحوز فبنا متفعل منه متحوز والتحيز والتحوز الانقسام وتحوزت الحمية انطوت وحزت الشيء منه والحوزة ما يضم الاشياء (فقدباء) أى من يهزم ويهزم من الزحف الا في حالتين الحالتين فقد رجع (بغضب) كأن (من الله وما وجهه) أى المكان الذي يأوى اليه هو النار ففراراً أو قعاً الى ما هو أشد بلاءً مما فرمته وأعظم عقوبة والمأوى ما يأوى اليه الانسان (وبئس المصير) ما صار اليه من عذاب النار وقد اشتملت هذه الآية على هذا الوعيد الشديد بل ينزع عن الزحف وفي

ألبانها فاذا ماتت اشتركوها واما السائمة فهي التي يسيرون لا تهم ويذهبون الى آهاتهم فيسيبونها واما الوصيلة فالسائمة تلد ستة ابطن فاذا ولدت السابع جذعت وقطعت فممن انيقولون قد وصلت فلا يذبحونها ولا تنسرب ولا تخضع مواردت على حوض هكذا يذكر تفسير ذلك مدرجاً الحديث وقدرى من وجه آخر عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عوف بن مالك من قوله وهو أشبه وقد روى هذا الحديث الامام أحمد عن سفيان بن عيينة عن أبي الزرراء عمرو بن عمرو عن عمة أبي الاحوص عوف بن مالك بن نضلة عن أبيه بليس فيه تفسير هذه الآية أعلم وقوله تعالى ولكن الذين كفروا يشترون على الله الكذب وأكثرتهم لا يعقلون أى

ما شرع الله هذه الاشياء لاهي عندهم بقوله ولكن المشركون افتروا الله وجعلوا شرعهم وقربه يتقربون بها اليه وليس ذلك بحاصل
لهم بل هو وبال عليهم وان قيل لهم تعالى الى ما ترضون الله الى رسول قالوا ربنا ما وجدنا عليه آية الا ان الله يدعو الى دين الله
وشرعه ما اوجبه وترك ما حرمة قالوا لا يقتضيهما وجدنا عليه آية انما كانوا لاجل ادمان الفارائق والمسائل قال الله تعالى اولو كان باؤهم
لا يعلمون شيئا لاني دعوتهم حقوا لا يعرفونه ولا يشعرون اليه فكيف يتبعونهم والخالقة خذ له ليقبهم الامن هو احول منهم وأفضل
سبلا (يا أيها الذين آمنوا عليكم انفسكم (16) لا يضركم من ضل اذا اعتديتم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون)

ذلك دلالة على انهم البكر الموبقة (ولم تتلوهم) أي اذا عرفتم ما قصه الله عليكم من
امره هذه لكم باللائمة وايضا ان عيسى في قلوبهم فلم يتلقوهم بقوتكم (ولكن الله
قتلهم) بما يبروكم من الاسباب الموجبة لتصلهم قالوا من يخشى الفاني في جواب
شرط محذوف أي وان اقتصر بقتلهم فلم تقتلهم انتم وقال الشيخ وليست جوابا بل ربط
الكلام ببعضه بعض (ومرست اذ مرست) اختلف المفسرون في هذا الموضع على اقول
قرئ عن مائة أن المراد بما كنتم صلي الله عليه وآله وسلم في يوم حنين فانه روى
المشركين بقبض من حصاة الواح فأصاب كل واحد منهم وقيل المراد به الرمية التي روى
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبي بن خلف بالحرية في عقبه فانه زم مات بها وقيل
المراد به السهم الذي روى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حصن خيبر ارقى الهوى
حتى أصاب ابن أبي الحقيق وهو على فراشه وهذه الاقوال ضعيفة لأن الآية ترتب عقب
وقعتهم وأيضا الظهور في كتب السير واخذت في قتل أبي الحقيق أنه وقع على صورة
غير هذه الصورة والصحيح كما قال ابن الحقيق وغيره أن ايراد الرمي المذكور في هذه الآية هو
ما كنتم صلي الله عليه وآله وسلم في يوم بدر فانه أخذ قبض من تراب نرى بها في وجوه
المشركين فأصاب كل واحد منهم ودخلت في عينه ومخبره وأنته قال تغلب المعنى
وماريت النزع والرعيف قلوبهم اذ مرست بالحياة فانهم زعموا (ولكن الله ربي) أي
أعانك وأظفركم والعرب تقول ربي الله لآي أعانك وأعظرك وصنع لك وقد حكى مثل
هذا أبو عبيد في كتاب المجاز وقال محمد بن يزيد المبرد المعنى وماريت بقوله اذ مرست
ولكنك بقوله الله ربي وقيل المعنى ان الرمية سبقت القبض من التراب التي رمية تالم
زعماء أنت على الحقيقة لأنك لم يرميها ما بلغ أثرها الا ما بلغه ربي البشر ولكنها رمية
الله حيث أثرت ذلك الاثر العظيم فأثبت الرمية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأن
صورتها وجعلت منه ونفاذها عنه لأن أثرها التي لا يطيقه البشر فعل الله عز وجل فكان
الله فاعل الرمية على الحقيقة وكانها لم يوجد من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصلا
هكذا في الكثافي وفي الآية سان أن فعل العبد ضاقي اليه كسا والى الله خلقا لا كما
تقوله الجبرية والمعتزلة لأنه أثبت الفعل لغيرهم فتافعه وأنت لنفسه فصع هذا النبي
والاشياء قال الكر حتى نفي الفعل عنهم وعن باعتبار اليجاد اذا الموجد حقيقة هو الله

يقول تعالى أمر عباده المؤمنين
أن يصلوا انفسهم ويضعوا أيديهم
في جيبهم وظلماتهم ويختر لهم آية
من أصلح أمره لا يضروهم فسد من
فسد من الناس سواء كان قريما منه
أو بعيدا قال العوفي عن ابن عباس
في تفسير هذه الآية يقول تعالى
اذا ما العبد طاعني في أمره به
من الخلال ونهيه عنه من الحرام فلا
يضر من ضل بعد اذ اعلم بآمره به
به وكذا روى الوالي عنه وهكذا
قال مقاتل بن حيان فقوله تعالى
يا أيها الذين آمنوا عليكم انفسكم
نصب على الاخر لا يضركم من ضل
اذا اعتديتم الى الله مرجعكم جميعا
فينبئكم بما كنتم تعملون أي فيجازي
كل عامل بعمله ان خيرا فخير وان
شرا فشر وليس فيها دليل على ترك
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
اذا كان فعل ذلك ممكنا وقد قال
الامام أحمد رحمه الله حدثنا هشام
ابن القاسم حدثنا زهير بن ابان
معاوية حدثنا اسمعيل بن أبي خالد
حدثنا قيس قال قام أبو بكر الصديق
رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه
ثم قال يا أيها الناس انكم تقررون هذه

الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اعتديتم الى آخر الآية وانكم تضعونهم اعلى
غير موضعها وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا رأوا المشرك لا يعرفونه ويرون ان الله عز وجل أن يعذبهم
يعقابه قال وسمعت أبا بكر يقول يا أيها الناس لا تكلموا بالكذب فإن الكذب يحجاب الايمان وقد روى هذا الحديث أصحاب السنن
الاربعة وابن حبان في صحيحه وغيرهم من طرق كثيرة عن جماعة كثيرة عن اسمعيل بن خالد متصلا بمرقوع ومنهم من رواه عنه به
موقوف على الصديق وقد رجع رفعه الدارقطني وغيره وذكرنا طرقه والكلام عليه مطولا في سبأ الصديق رضي الله عنه وقال

أبو عيسى الترمذي حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقاني حدثنا عبد الله بن المبارك حدثنا

اللتيمي عن أبي أمية السعدي قال أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له ما نفعني في هذا الآية

آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اعتديتم قال أما والله لقد سألت عنها خبيراً سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا أثر لها بالمعروف وتنهاها عن المنكر حتى إذا رأيت شحاططا وهو ميت عاودنيما مؤثرا وأعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع العوام فإن من وراءكم أياما الصابرين مثل القابض (١٧) على الجمل للعامل فيهن مثل أجر خسين

رجلا يعملون كعملكم قال عبد الله بن المبارك وزاد غير عتبة قيل يا رسول الله أجر خسين رجلا منكم أو منهم قال لا بل أجر خسين منكم ثم قال الترمذي هذا

حدث حسن غريب صحيح وكذا رواه أبو داود ومن طريق ابن المبارك ورواه ابن ماجه وابن جرير وابن أبي حاتم عن عتبة بن أبي حكيم وقال عبد الرزاق أنبا نامعه عن الحسن أن ابن مسعود رضي الله عنه

سأله رجل عن قول الله عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اعتديتم فقال إن هذا ليس بزمانها إنما اليوم مقبولة ولكنه قد يوشك أن يأتي زمانها من فوضعت بكم كذا وكذا أو قال فلا يقبل منكم خفيتم عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل

رواه أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية عن ابن مسعود في قوله يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل الآية قال كانوا عند عبد الله بن مسعود وجلسوا فكان

بين رجلين بعض ما يكون بين الناس حتى قام كل واحد منهما إلى صاحبه فقال رجل من جلساء عبد الله ألا أقوم فأمره بالمعروف وأنهىهما عن المنكر فقال آخر إلى جنبه عليك بنفسك فإن الله يقول عليكم أنفسكم الآية قال فسمعها ابن مسعود فقال له لم يبي تأويل هذه بعد أن

القرآن أنزل حيث أنزل ومنه أي قلبه مضى تأويلهن قبل أن يترن ومنه أي قد وقع تأويلهن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنه أي قد وقع تأويلهن بعد النبي صلى الله عليه وسلم يسير ومنه أي يقع تأويلهن يوم الحساب ما ذكر من الحساب والجنة والنار

فناديت قلوبكم واحدة وأهواؤكم واحدة ولم تلبسوا قلبا ولا يذيق بعنقكم بأس بعض فأمروا وانهم وإذا اختلعت السواوب (فتح البيان ح)

والأهواء لم يستمعوا ذاق بعضكم بأفس بعض فأمر ففسد وعدتلك ما تأتوا بل هذه الآية رواه ابن جرير وقال ابن جرير حدثنا الحسن بن عرفة ثنا شاذلية بن سوار حدثنا الربيع بن صبيح عن سفيان بن عقال قال قيل لأبي عمر لو جلست في هذه الأيام فلم تأمر ولم تنه فإن الله قال عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اعتديتم فقال ابن عمر أليس لي ولا لأصحابي لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الألفيلع التخاذل الغائب فكأن من اليهود وأتم القيب ولكن هذه الآية لا أقوم يجيئون من بعدنا إن قالوا لم يقبل منهم وقال أيضا حدثنا محمد بن بشار (١٨) حدثنا محمد بن جعفر وأبو عاصم قالوا حدثنا عوف عن سوار بن منبه قال

كنت عند ابن عمر أذا تأمر رجل جليد في العين شديدا للسان فقل لا تأ عبد الرحمن ففرسته كظم قدراً القرآن فأمر ع فيه وكظم يجهد لا يألو وكظم بغض السبه ان يأتي دناءة الا ذخيرة وعظم في ذلك يشهد بعضهم على بعض بأشرك (١) فقال الرجل اني كنت اياك أسأل انك أسأل الشيخ بما دعا على عبد الله الحديث فقال عبد الله لعلمك ترى لا أياك اني سأمر لك أن تذهب فتقتاهم فظهم وانهم فان عصولك فعلك تنسك فان الله عز وجل يقول يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم الآية وقال أيضا حدثني أحمد بن المقدام حدثنا المقر ابن سليمان سمعت أبا جندبنا قتادة عن أبي مازن قال انطلقت على عهد عثمان الى المدينة فلذا قوم من المسلمين جلوس فقرأ أحدهم هذه الآية عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل فقال أكرمهم لم يجي تأويل هذه اليوم وقال حدثنا القاسم حدثنا الحسن حدثنا ابن فضالة عن معاوية بن صالح عن جابر بن نضر قال كنت في حلقة

عليهم وان أرادوا السماع على محمود بن بصلي الله عليه وآله وسلم فتهكم الله بهم وسعى ما حل بهم من الوبال نصر او معنى بقية الآية على هذا القول (وان تنهوا) عما كنتم عليه من الكثرة والعداوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (فنهوا) أي الانتهاء (خبر لكم وان تعودوا) الى ما كنتم عليه من الكثرة والعداوة (نعم) بتسليط المؤمنين عليكم ونصرهم كسلطانهم ونصرناهم في يوم بدر وقال قتادة تعدل لكم بالقتل والاسر (ولن تقضى عنكم فتكم) أي جاعتكم (شأروا لو كثرت) أي لا تغني عنكم في حال من الأحوال (وفي حال كثرتها) قال (وان) بالكسر استئنفاً ونحوها على تقدير الادم (الله مع المؤمنين) أي مجداً وأصحابه قاله السدي ومن كان الله معه فهو المنصور ومن كان الله عليه فهو المخذول وقيل ان الآية خطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا الله فتقدهم ثم النصر في يوم بدر وان تنهوا عن مثل ما فعلتوه من أخذ الفاتم وقداء الاسرى قبل الاذن لكم بذلك وعن السكاسل في القتال والرغبة عما يجتازوه الرسول فهو خير لكم وان تعودوا الى مثل ذلك تعد الى نوبتكم كما في قوله ولا كتاب من الله سبب الآية ولا يخفى انه بآي هذا القول معنى ولن تغني عنكم فتكم شيئاً بأباه أيضاً ان الله مع المؤمنين وتوجب ذلك لا يمكن الاستكفاف وتعصف وقيل ان الخطاب في ان تستنصروا المؤمنين وفيما بعده للكافرين ولا يخفى ما في هذا من تفكيك النظم وعود الضم ما بخاربه في الكلام على تخط واحد الى عاقتين مختلفتين (أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله) أمر الله سبحانه المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله في أمر الجهاد لان فيه بدل المال والنفس (ولا تؤنوا) نهاهم عن التولي عن رسوله فالضمير في (عنه) عائده الى الرسول لان طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هي من طاعة الله ومن بطع الرسول فقد أطاع الله ويحتمل أن يكون راجعاً الى الله والى رسوله كما في قوله والله ورسوله أحق أن يرضوه وقيل راجع الى الامر الذي دل عليه أطيعوا هذا تنسيب الآية على ظاهر الخطاب للمؤمنين وبه قال الجمهور وقيل انه خطاب للمنافقين والمعنى يا أيها الذين آمنوا ألسنتم فقتل ابن عطية وهذا وان كان محتملاً على بعد فهو ضعيف جداً لان الله وصف من خاطبه في هذه الآية بالايمن وهو التصديق والمنافقون لا يتصفون من التصديق بشيء وأبعد من هذا من قال الخطاب لبني اسرائيل فانه أجنى من الآية (وانتم تسمعون) ما يلقى عليكم

من فيها أعجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وان لا يصغر القوم فتذا كرو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فقلت أنا أليس الله يقول في كتابه يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اعتديتم فأقبلوا على لسان واحد وقالوا تنزع آية من القرآن لا تعرفها ولا تدري ما تأويلها ففتيت اني لم أكن تكلمت وأقبلوا بعددون لما حضر قيامهم بالوالانك غلام حديث السن وان نزع آية ولا تدري ما هي وعسى أن تسرك ذلك الزمان اذا رأيت شمامعاً عروى سباعاً وأعجاب كل ذي رأي برأيه فعلمت بنفيل لا يضركم من ضل إذا اعتديت وقال ابن جرير حدثنا علي

ابن سهل حدثنا حمزة بن ربيعة قال تلا الحسن هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أن تنسكوا لا يضركم من ضل إذا اختلفتم فقال الحسن
الحمد لله ما وجدته عليها ما كان مؤثراً فيما مضى ولا مؤثراً فيما يأتي الأولى جنبه منافق يكره عمله وقال سعيد بن المسيب إذا
أمرت بالعرف ونهيت عن المنكر فلا يضركم من ضل إذا اختلفت رواه ابن جرير وكذا روى من طريق سفيان الثوري عن أبي
العيس عن أبي بصير عن حذيفة مثله وكذا قال غير واحد من السلف وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أشعث بن خالد الدمشقي
حدثنا الوليد حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن كعب في قوله عليكم (١٩) أن تنسكوا لا يضركم من ضل إذا اختلفتم

قال إذا اختلفتم كنيسة مسجد
دمشق فجعلت مسجداً وظهور ليس
العصب فحدثنا أولي هذه الآية
(يا أيها الذين آمنوا شاهدوا بينكم
إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية
أثنان ذوا عدل منكم أو آخران
من غيركم إن أنتم ضربتم في الأرض
فاصابكم مصيبة الموت تحبسونهم
من بعد الصلاة فيقسمان بالله أن
أرنبتم لأنتنم ترضى به متناولو كان ذا
قربى ولا ينكحتم شهادة الله أنا
اذلن إلا عني فان عدت على
أحدهما استحقا عا فخران
يقومان مقامهما من الذين استحق
عليهم الأوليان فيقسمان بالله
لشهادتنا أحق من شهادتهما
وما اعتدنا بالآذان الظالمين
ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على
وجوهها أو يخافوا أن ترد أيمان
بعد أيمانهم واتفقوا الله واسمعوا
والله لا يهدي القوم الناسقين
اشتملت هذه الآية الذكر مرة على
حكم عزيز قبل أنه منسوخ رواه
العوفي عن ابن عباس وقال حماد
ابن أبي سليمان عن إبراهيم أنها
منسوخة وقال آخرون وهم
الاكثر فيما قاله ابن جرير بل هو

من الخبيث والبراهين والقرآن والمواظ والتصدقون بها ولستم كالصم البكم (ولا تكونوا
كالذين قالوا سمعنا) وهم المشركون أو المنافقون أو اليهود والجميع من هؤلاء فأنهم
يسمعون بأذانهم من غير فهم ولا عمل (وهم لا يسمعون) سماع تدبر وانعاط أي فهم
كالذي لم يسمع أصداً لأنه لم ينتفع بسماعه وهـ ذصفة المنافقين أو المشركين (ان شر
الدواب) أي ماذب على وجه الأرض واطلاق الدابة على الإنسان حقيقي لما ذكره في
كتب اللغة من أنها أطلق على كل حيوان ولو آدمياً في المصباح الدابة كل حيوان في
الأرض عيماً أو غير عيماً (عند الله) أي في حكمه (الصم البكم) أي الذين لا يسمعون
ولا يطقون وصفوا بذلك لضعف كونهم عن سماع ونطق لعدم انتفاعهم بالسمع والنطق
(الذين لا يعقلون) ما فيه النفع لهم فيأثرون وما فيه الضرر عليهم فيجتنبونه فهم شر
الدواب عند الله لأنها تميز بغير وتفرق بين ما ينفعها ويضرها قال ابن عباس هم
فقر من قريش من بني عبد الدار وعن ابن جرير قال نزلت هذه الآية في النظر بن الحرث
وقومه (ولو علم الله فيهم) أي في هؤلاء الصم البكم (خيراً) أي خير (لأسمعهم) سماعاً
ينتفعون به ويتعقلون عنده الخبيث والبراهين قال الزجاج لا يسمعهم جواب كل ما سألوا عنه
وقيل لا يسمعهم كلام المولى الذين طلبوا الحياه هم لأنهم طلبوا الحياه قصى بن كلاب وغيره
لشبهوا بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقال عروة بن الزبير لا يسمعهم أي لا ينفذ لهم
قولهم الذي قالوا بألسنتهم ولكن القلوب خالفت ذلك منهم (ولو أسمعهم) فرضا وقد علم
أن لا خير لهم (لتولوا) عنه ولم ينتفعوا بما يسمعون من المواظ والدلائل ولم يستقيموا
(وهم معرضون) عن قبوله عناداً وبجود الآية قد سبق في علمه أنهم لا يؤمنون (يا أيها
الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول) الأمر هنا بالاستجابة مؤكداً لما سبق من الأمر
بالطاعة والاستجابة الطاعة قال أبو عبيدة معنى استجبوا أجبوا والسبب والتأنيد أن
وان كان استجاب الله تعالى بالأم وأجاب بنفسه كما في قوله يا قومنا أجبوا داعي الله وقد
يتعدى استجاب بنفسه (أذا دعاكم) وحده الضمير هنا كما وحده في قوله ولا تقولوا عنه لان
استجابة الرسول استجابة لله تعالى وانما يذكر أحدهما مع الآخر للتوكيد وقد تقدم وجه
ذلك (لما يحيبكم) أي استجبوا لما يحيبكم إذا دعاكم ولا مانع من أن تكون اللام متعلقة
بدعائى إذا دعاكم إلى ما فيه حيايتكم من علم الشريعة لان العلم حياة كان

محكم ومن ادعى نكحة فعليه البيان فقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا شاهدوا بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان هذا هو
الخبر (١) لقوله شهادة بينكم فقيل تقدر شهادة اثنين حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مرة وقيل دل الكلام على تقدير ان
يشهد اثنان وقوله تعالى ذوا عدل الاثنين بأن يكونا عدلين وقوله منكم أي من المسلمين قاله الجمهور وقال علي بن أبي طلحة عن ابن
عباس رضي الله عنه في قوله ذوا عدل منكم قال من المسلمين رواه ابن أبي حاتم عن حماد بن عيسى عن عبيدة بن مسعود عن سعيد بن المسيب
والحسن وبجاءه وروى عن يعمر والسدي وقتادة وغيرهم نحوه ذلك قال ابن جرير وقال آخرون عن ذلك ذوا عدل منكم أي من
الذين (١) قوله هذا هو الخبر كذا بالنسخ التي بأيدينا وحرر اه

الله عنه في هذه الآية هذا رجل سافر ومعه مال فأدركه قدر فان وجد رجلين من المسلمين دفع اليهما تركه
المسلمين ورواه ابن أبي حاتم وفيه انقطاع والقول الثاني يكونان شاهدين وهو ظاهر سابق الآية انهما فان لم يكن
معها اجتمع فيهما الوصفان الوصاة والشهادة كما في قصة عزم الداري وعدي بن داء كما سأل في ذكرها آتينا ان شاء
وقد استشكل ابن جرير كونهما شاهدين قال لا لاننا نعلم حكمي يحلف فيه الشاهد وهذا لا يقع الحكم الذي تضمنته هذه
الكرعة وهو حكم بحكم مستقل بنفسه لا يلزم أن يكون جاريا على قياس جميع (٢١) الاحكام على أن هذا حكم خاص بشهادة

خاصة في محل خاص وقد اغترقته
من الامور ما لم يغترق في غيره فاذا
قامت قرينة اليه حلف هذا
الشاهد بمقتضى مادته علمه هذه
الآية الكريمة وقوله تعالى
تحبسونهم من بعد الصلاة قال
العوفي عن ابن عباس يعني صلاة
العصر وكذا قال سعيد بن جبير
وابراهيم النخعي وقتادة وعكرمة
ومحمد بن سيرين وقال الزهري
يعني صلاة المسلمين وقال السدي
عن ابن عباس يعني صلاة أهل
دينهما وروي عن عبد الرزاق عن
أيوب عن ابن سيرين عن عبيدة
وكذا قال ابراهيم وقتادة وغير واحد
والمقصود أن يقام هذان الشاهدان
بعد صلاة اجتمع الناس فيها
بمحضرهم فيقسمان بالله أي يحلفان
بأنه ان رتبتم أي ان ظهرت لكم منهما
رئيسة انهما خائفا وغلا فيحلفان
حينئذ بالله لاشتري به أي بأيماننا
فالمعنى أن بن حيان غدا أي لا نقصاض
عنه بعبء قليل من الدنيا الفانية
الزائلة ولو كان ذا قرين أي ولو كان
المشهد عليه قريبا لالتمسنا به
ولا نكسرتم شهدا لله أضاعها

من الله عز وجل بأنه أملك القلوب عباده منهم وأنه يحول بينهم وبينها اذا شأ حتى لا يدرك
الإنسان شيئا الا بعشيته عز وجل ولا يخفك انه لا مانع من حل الآية على جميع هذه المعاني
وقال ابن عباس يحول بين المؤمن وبين الكفر ومعاصي الله ويحول بين الكافر وبين
الايمان وطاعة الله وبه قال سعيد بن جبير والضحاك ومجاهد وقال السدي يحول بين
الإنسان وقلبه فلا يستطيع أن يؤمن أو يكفر الا بآدانه وادارته قيل وهذا القول هو
الذي دلل عليه البراهين العقلية لان أحوال القلوب اعتقادات ودواعي ارادات وتلك
الارادات لا بد لها من فاعل مختار وهو الله تعالى فثبت بذلك أن المتصرف في القلب كيف
شاء هو الله فالعنى أنه يحول بين المرء وخواطر قلبه أو وادراك قلبه بمعنى أنه يمنع من
حصول مراده أو يمنع من الإدراك والفهم وفي الشهاب أصل الحول كما قال الراغب تغير
الشيء وانفصاله عن غيره وباعتبار التعديل قيل حال الشيء يحول وباعتبار الانفصال قيل
حال بينهما كذا حقيقتة كون الله يحول بين المرء وقلبه أنه يفصل بينهما ومعناه الحقيقي
غير متصور في حقه في مجاز عن غاية القرب من العبد لان من فصل بين شيئين كان أقرب
الى كل منهما من الآخر لاتصاله بهما وانفصال أحدهما عن الآخر وهو اما استعارة
تبعية فعنى يحول يقرب أو تمثيلية وقيل ان الانساب أن يكون مجازا من بكاهم سلا
لاستعماله في لازم معناه وهو القرب وليس بعيد وقال أبو السعود هذا تمثيل لغاية قربه
من العبد كقوله نحن أقرب اليه من جبل الوريد وتنبه على أنه مطلع على مكشورات القلوب
ما عسى يغفل عنه صاحبها وحث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل
ادراك المنية فانها حالة بين المرء وقلبه أو تصور وروحيته لتلك على العبد قلبه بحيث
يفسخ عزائمه ويغير نيته ومقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان أراد سعادته ويبدله
بالامن خوفا وبالدكر نسيانا وما أشبه ذلك من الامور العارضة المقومة للفرصة اه وقال
الربيع بن أنس علمه يحول وقال مجاهد يحول حتى يتركه لا يعقل وعن الحسن قال في
القرب منه وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم يقول ان قلوب بني آدم بين اصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث
شاء ثم قال اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك أخرجه مسلم وفي الباب
أحاديث وهذا الحديث من أحاديث الصفات يجب امره على ما جاء من غير تأويل

الى الله نثر يفالها وتغنيها الامرها وقرأ بعضهم ولا نكسرتم شهادة الله بجزر راعلي القسم ورواه ابن جرير عن عامر الشعبي
والقراءة الاولى هي المشهورة انا ذا لمن الا تعين أي ان فعلنا شيئا من ذلك من تحريف الشهادة أو تبدلها أو تغيرها أو كتمانها
بالكتمان ثم قال تعالى فان عثر على أنهم استحقوا انما أي فان اشتهر وظهور وتحقق من الشاهدين الوصيين انهما خائفا وغلا شهدا من
أمال الموصي به اليهما وظهر عليهما بذلك فأخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان هذه القراءة المشهورة
استحق عليهم الاوليان وروي عن الحسن وغيره أنهم قرؤها (١) وروي الحارث في المستدرک من طريق اسحق بن محمد
(١) يبايضا بالاصل ولعله من الذين استحق عليهم الاولان كما سأل في قريبا اه معجبه

الشرقي عن سليمان بن بلال عن جعفر بن محمد عن أبيه عن عبيد الله بن أبي رافع عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ من الذين استحق عليهم الأوليان وقرأ الحسن من الذين استحق عليهم الأولان حكاه ابن جرير في قراءة الجوهري يكون المعنى بذلك أي متى تحقق ذلك بالخبر الصحيح على خاتمتها فليقيم اثنتان من الورثة المستحقين للتركة وليكونا من أولياء ميراث ذلك المال فيقسمان بالله لشهادتهما أحق من شهادتهم ما أي أقولنا ما غانا أحق وأبعد وأثبت من شهادتهم ما للمقدمة وما اعتدينا أي فما قلناه فمن الخيانة انما إذا لم ينظر إلى (٢٣) ان كاذب كذبنا عليهم وهذا الحليف للورثة والرجوع الى قولهما والحالة هذه كما قلناه من الخيانة انما إذا لم ينظر إلى

تصانف أولياء المقتول إذا ظهر الوث
 جانب القاتل في قسم المسحقون
 على القاتل فدفع برئته اليهم كما هو
 مقر في باب القسامة من الاحكام
 وقد وردت السنة بمنزل مبادات
 عليه هذه الآية الكريمة فقال ابن أبي
 حاتم حدثنا أبي حدثنا الحسين بن
 زياد حدثنا محمد بن سلمة عن محمد بن
 اسحق عن أبي النضر عن زاذان يعني
 ابنا الخ مدني أم هانئ بنت أبي طالب
 عن ابن عباس عن قيس الداري في هذه
 الآية يا أيها الذين آمنوا شهداءة
 بئسكم إذا حضر أحدكم الموت قال
 برئ الناس منهم أغبري وغير عدى
 ابن بداه وكانا فرائين يختلفان الى
 الشام قبل الاسلام فأتيا الشام
 لتجارتهما وقد علم ماموني بئني
 سهم يقال له بديل بن أبي مرثمة تجارة
 معه جام من فضة يديه الملك وهو
 أعظم تجارته فرض فأوصى اليهما
 وأمرهما أن يباغيا مارك أهله قال
 قيس فلما مات أخذنا ذلك الجام فعناه
 بأنف درهم واقتسمناه أنا وعدي فلما
 قدمنا الى أهله دفعنا اليهم ما كان
 معنا وفقدوا الجام فسألونا عنه
 فقلنا مارك غير هذا وما دفع الينا

(٢٣) أي (٢٣) ان كاذب كذا عليه ما وهذا
 ولا تعطل ولا تشبه وكذا هذه الآية وكونه من الصفات يردنا ويلها بالتعطل (وأما الية
 تحشرون) أي وأنكم محشورون الله وهو مجاز بكم بالخير خيرا وبالشر شرا قال القراء
 ولو استأنفت فكرت همزة أنه لكان صوابا ولعل مراده أن مثل هذا جاز في العربية
 (واتقوا) خطاب للمؤمنين مطلقا صلحهم وغيرهم (فتنة) المراد بها العذاب الذي يورث
 كالقط والغلاء وتدخل الظلمة وغير ذلك أي اتقوا سبب فتنة (لاتصين الذين ظلموا منكم
 خاصة) أي اتقوا فتنة تعدى الظالم فتصيب الصالح والطالح ولا يختص أصابها عن مباشر
 الظلم منكم وفي لأوجهان أحدهما أنها ناهية والنهي في الصورة للصبي وفي المعنى
 للخطابين والثاني أنها نافية والجملة صفة لفتنة وهذا واضح من هذه الجملة إلا أنه يشكك
 عليه نو كيد المضارع في غير قسم ولا طلب ولا شرط وفيه خلاف وقد اختلف الخاصة في
 هذا النوع المؤكدة في تعيين فقال القراء هو جواب الأمر بلفظ النهي ومثله قوله تعالى
 ادخلوا مساكنكم لا يحطركم منكم أي ان تدخلوا وقال المبرد أنه نهى بعد أمر والمعنى
 النهي للظالمين أي لا يقربن الظلم ومثله ما روى عن سيبويه لا أريدك ههنا أي لا تكن ههنا
 فان كان ههنا رأيتهم وقال الجرجاني نهى في موضع وصف لفتنة وقيل لاتصين جواب
 قسم محذوف والجملة القسمية صفة لفتنة أي فتنة والله لاتصين ودخول الدون أيضا
 قابل لأنه منفي قال الزبير الفتنة البلاء والأمر الذي هو كائن وعن الحسن قال نزلت في
 علي وعثمان وطه والزهير وعن الخليل قال نزلت في أصحاب النبي صلى الله عليه وآله
 وسلم خاصة وعن السدي قال نزلت في أهل بدر خاصة فأصابهم يوم الجمل فاستلوا وكان من
 المقتولين طلحة والزبير وهما من أهل بدر فتصيب الظالم والصالح عامة وعن مجاهد والخليل
 وقادة مظهر روى البغوي بسنده عن عدي بن عدي قال حدثني مولى لنا أنه سمع جدي
 يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان الله لا يعذب العامة بجهل الخاصة
 حتى يروا المشكر بين ظهرانيهم وهم قادرين على أن يشكروا فلا يشكروه فإذا فعلوا ذلك
 عذب الله العامة والخاصة والذي ذكره ابن الأثير في جامع الأصول عن عدي بن عدي
 الكندي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال اذا علمت الخطيئة في الأرض كان من شهدها
 فأنكرها كان غاب عنها ومن غاب عنها فرضها كان كمن شهدها وأخرج أبو داود عن جرير
 ابن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ما من رجل يكون في قوم

فقلنا ما ترك غير هذا وما دفع اليها
غيره قال نعم فلما أسلمت بعد قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة تأملت من ذلك فأتيت أهله فأخبرتهم الخبر يعمل
وذهبت اليهم خسمائة درهم وأخبرتهم أن عند صاحبي مثلها فوفوا عليه فأمرهم النبي أن يستخلفوه على يحكم به على أهل دينه
خلف فترأت بأيم الذين آمنوا شهادة فيكم الى قوله فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهم اقام عمرو بن العاص ورجل آخر
منهم خلفا فترعت الخسمائة من عدي بن بداهه فكذرواها أبو عيسى الترمذي وابن خريز كلاهما عن الحسن بن أحمد بن أبي شبيب
الحارثي عن محمد بن سلة عن محمد بن اسحق بهذا ذكره وعنده فأتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم البيعة فلم يجذبوا فأمرهم

أن يستخلفوه بما يعظم به على أهل دينه خفف فأمر الله هذه الآية أو يخافون أن تراد أيمان بعد أيمانهم فقام عمرو بن
العاص ورجل آخر خلفا فنزعت الخمسة من عدي بن بداء ثم قال هذا حديث غريب وليس أسنده بصحيح وأبو النضر الذي روى
عنه محمد بن إسحق هذا الحديث هو عدي بن محمد بن السائب الكلبي يكنى أبا النضر وقد ترك أهل العلم بالحديث وهو صاحب التفسير
سمعت محمد بن اسمعيل يقول محمد بن السائب الكلبي يكنى أبا النضر ثم قال ولا تعرف لأبي النضر رواية عن أبي صالح مولى
أم هانئ وقد روى عن ابن عباس شي من هذا على الاختصار من غير (٢٣) هذا الوجه حدثنا شافعيان بن وكيع حدثنا يحيى

ابن آدم عن ابن أبي زائدة عن محمد
ابن أبي القاسم عن عبد الملك بن
سعد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس
قال خرج رجل من بني سهم مع قميم
الداري وعدي بن بداء فأتا السهمي
بأرض ليس بهم أسلم فلما قدم بتركته
فقدوا جاما من فضة خصوصا
بذهب فأحلفهما رسول الله صلى
الله عليه وسلم ووجدوا الجاهم بمكة
فقيل اشترى ساد من قميم وعدي فقام
رجلان من أولياء السهمي خلفا
بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما
وإن الجاهم أصاحهم وفيهم نزلت
آية الذين آمنوا وشاهدوا بينكم الآية
وكذا رواه أبو داود وعن الحسن بن
علي بن يحيى بن آدم ثم قال
الترمذي هذا حديث حسن
غريب وهو حديث ابن أبي زائدة
ومحمد بن أبي القاسم الكوفي قيل إنه
صالح الحديث وقد ذكر هذه القصة
مرسلة وغير واحد من التابعين منهم
عكرمة ومحمد بن سيرين وقتادة
وذروا أن التعليل كان بعد صلاة
العصر رواه ابن جرير وكذا ذكرها
مرسلة بجهاذ والحسن والبخاري

يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون أن يغيروا عليه ولم يغيروا الأصابعهم الله يعاقب قسلا أن
يجزوا وقال ابن زيد أرباب الفتنة افتراق الكلمة ومخالفة بعضهم بعضا وروى الشيخان
عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تكون فتن القاعد فيها خير من
القائم والقائم فيها خير من المائت والمائت خير من الساتت من تشرف لها تستشرفه ومن
وجد ملجأ ومعدا فليس عليه قال الكرخي واستشكل هذا بقوله تعالى ولا تزوروا
وزرا أخرى وأجيب بأن الناس إذا تظاهروا بالانكسار قالوا يجب على كل من رآه أن يغيره
إذا كان قادرا على ذلك فإذا استكت فكلمهم عصاة هذا بقوله وهذا خبر ضا وقد جعل الله
بحكمته الراضى بمنزلة العادل فأنطهم في العقوبة اه وعلامة الرضا بالانكسار عدم
التألم من الخلل الذي يقع في الدين بفعل المعاصي فلا يتحقق كون الإنسان كارهه إلا
إذا تألم للخلل الذي يقع في الدين كما تألم وتوجع لفقد ماله أو ولده فكل من لم يكن بهذه
الحالة فهو راض بالانكسار فعمه العقوبة والمصيبة بهذا الاعتبار هكذا أقره القسطلاني
على البخاري (واعلموا أن الله شديد العقاب) ومن شدة عقابه أنه يصيب العباد من لم
يباشر أسبابه وقد وردت الآيات القرآنية بأنه لا يصاب أحد إلا بذنبه ولا يعذب إلا بجنايته
فيمكن جعل ما في هذه الآية على العقوبات التي تكون تسليط العباد بعضهم على بعض
ويمكن أن تكون هذه الآية خاصة بالعقوبات العامة والله أعلم ويمكن أن يقال إن الذين
لم يظنوا قد تسبوا للعقوبة بأسباب كثيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فتكون
الاصابة المتعدية للظالم إلى غيره مختصة بمن ترك ما يجب عليه عند ظهور الظلم وعن ابن
عباس قال أمر الله المؤمنين أن لا يقولوا المنكرين أظهرهم فيعصمهم الله بعذاب
(واذا كروا إذا كنتم قليل مستضعفون في الأرض) الخطاب للنبي والمهاجرين بتذكير
نعمة الله عليهم بالحماية من أعدائهم حيث آواهم في المدينة ونصرهم بيدرو هذه الآية
نزلت بعد بدر أي ذكر الوقت قلتمكم والأرض هي أرض مكة وأطلقته في الآية لأنها
لعظمها كأنها هي الأرض كلها وأول حالهم كان في بقية البلاد كحالهم فيها وقريش
ذلك ولهذا عبر عنهم بالناس في قوله (تخافون أن يخطفكم الناس) وانخطفوا الأخذ
بسرعة والمراد بالناس مشركو قريش وكفار مكة وقال عكرمة كنفار العرب وقيل
فارس والروم قاله وهب (فأوامكم) يقال أوى إليه بالمد والقصر بمعنى الضم إليه

وهذا يدل على اشتراك السلف وصحبتهم في الشواهد لهذه القصة أيضا ما رواه أبو جعفر بن جرير حدثني يعقوب حدثنا
هشيم قال أخبرنا ربيعة بن الشعي أن رجلا من المسلمين حضرته الصلاة بدقا قال فحضرته الوفاة لم يجد أحد من المسلمين يشهد
على وصيته فأنه درج من أهل الكتاب قال فقدما الكوفة فاسألا الأشعري يعني أبا موسى الأشعري رضي الله عنه فأخبره وقدما
الكوفة بتركته ووصيته فقال الأشعري هذا أمر لم يكن بعد الذي كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأحلفهما بعد
العصر بالله ما نأولا كذبا ولا بد لا ولا كتمان ولا غير أوامهم الوصية الرجل وتركته قال فامضى شهادتهما ثم رواه عن عمرو بن علقمة

عن أبي داود الطيالسي عن شعبة عن مغيرة الأزرق عن الشعبي أن أبا موسى قضى به وهذا اسنادان صحيحان إلى الشعبي عن
أبي موسى الأشعري فقله هذا أمرهم يكن بعد الذي كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الظاهر والله أعلم أنه إنما أراد بذلك
قصة تميم وعدي بن بداء وقد ذكره وان اسلام تميم بن أوس الداري رضي الله عنه كان سنة تسع من الهجرة فعلى هذا يكون هذا
الحكم متأخر يحتاج مدعى نسخه إلى دليل فاصل في هذا المقام والله أعلم وقال أسباط عن السدي في الآية يأبىها الذين آمنوا
شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية (٢٤) اشنان ذوا عدل منكم قال هذا في الوصية عند الموت يوصى ويشهد

رجلين من المسلمين على ماله وما عليه
قال هذا في الحضر أو آخران من
غيركم في السفر إن أتم ضررتم في
الأرض فاصابكم مصيبة الموت
هذا الرجل يدركه الموت في سفره
وليس بحضوره أحد من المسلمين
فيدعور رجلين من اليهود والنصارى
والجوس فوصى اليهما ويدفع
اليهما ميراثه فيقبلان به فان واصل
أهل الميت الوصية وعرفوا ما
لصاحبهم تركوهما وان ارتابوا
رفعوهما إلى السلطان فذلك قوله تعالى
فحسبوهما من بعد الصلاة فيقسمان
بأنه ان ارتبست قال عبد الله بن
عباس رضي الله عنه كأنني انظر إلى
العجلين حين انتهى بهما إلى أبي موسى
الأشعري في داره ففتح الصحيفة فأنكر
أهل الميت وخوفوهما فأراد أبو موسى
أن يستحلفهما بعد العصر فقلت
إنهما لا يباليان صلاة العصر ولكن
استحلفهما بعد صلاتهما في دينهما
فيوقف الرجلان بعد صلاتهما في
دينهما فاحلفا بالله لا شترى بهما
قليل ولا كلن ذاقري ولا نكتم شهادة
الله أنا ذان الاتمين ان صاحبهم
لهذا أوصى وان هذه تركته فقول
لهمما لا مام قبل أن يحلفا اشكان

والعنى ضحك الله إلى المدة أو إلى الانصار (وأيديكم ينصره) أي وقواكم بالنصر في مواطن
الحرب التي منها يؤيدروا وقواكم بالملائكة يوم بدر (ورزقكم من الطيبات) التي من جملتها
الغنائم أطعمها لكم ولم يحلها لاحد قبلكم (لعلكم تشكرون) أي إرادة أن تشكروا هذه
النعم التي أنعم الله بها عليكم قال قتادة كان هذا الحى من العرب أذل الناس ذلاً واشقاء
عيشاً وأجوعه بطناً وأغرامه جلواً وأبينه ضلالة من عاش عاش شقياً ومن مات منهم ردى
في النار يؤكلون ولا يأكلون لا والله ما نعلم قبيلان من حاضري الأرض يومئذ كان
أشمر من لا منهم حتى جاء الله بالاسلام فكان به في البلاد وسع به في الرزق وجعلهم به
مألوكة على رقاب الناس وبالإسلام أعطى الله ما رأيتهم فاشكروا لله نعمه فإن ربكم
منهم يحب الشكر وأهل الشكر في ميزان الله عز وجل (يأبىها الذين آمنوا لا تحثوا
الله والرسول أن يأمركم أن تحثوا أصلاً كما في الكشف النقص كما ان الوفاء التمام
ثم استعمل في ضد الأمانة والوفاء لأنك إذا خنت الرجل في شيء فقد أدخلت عليه نقصان
وقبل معناه الغدر وإخفاء الشيء ومنه قوله تعالى يعلم خائنة الأعين وما كن
يتخوفونه بترك شيء مما أقرضه عليهم أو يخوفونه بأمر رسول الله بترك شيء مما أمروهم الله عليه أو بترك شيء
مما سئله لهم أو يخوفونه بأمرهم من الآمانات التي أئتمروا عليها وسببت آمانات لأنه يؤمن معها
من منع الحق مأخوذة من الاس قال ابن عباس لا تحثوا الله بترك فراضه والرسول بترك
سننه وارتكاب معصيته وقال المغيرة بن شعبه نزلت هذه الآية في قتل عثمان وقال يزيد
ابن أبي حبيب هو الإخلال بالسلاح في المغازي ولعل من أدهمها أن هذا ما يندرج تحت
عمومها وقال جابر بن عبد الله أن أباسفيان خرج من مكة فأتى جبريل النبي صلى الله عليه
وآله وسلم فقال ان أباسفيان بكمكان كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه
بكمكان كذا فخرجوا إليه واكتفوا كتب رجل من المنافقين إلى أبي سفيان ان محمداً
يريدكم فخذوا حذرهم فأنزل الله هذه الآية وعن عبد الله بن أبي قتادة قال نزلت هذه الآية
في أبي لبابة بن عبد المنذر سأله يوم قرئته ما هذا الأمر فأشار إلى حلقه أنه الذي فرقت
وعن الزهري نحوه بأطول منه وعن الكلبى والسدي نحوه ولما اشتد الحصار بيني وبين قريظة
أطاعوا وأقعدوا وأنزلوا علي ما يحكم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحكم فيهم

كتمت أروخته فضحك في قومكم ولم يحزل كج شهادة وعاقبكم فإذا قال لهم ذلك قال ذلك أدنى أن يأبوا بالشهادة سعد

على وجهه رواد ابن جبري وقال ابن جبري حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا هشيم أخبرنا مغيرة عن إبراهيم وسعيد بن جبري أنهما
قالا في هذه الآية يأبىها الذين آمنوا شهادة بينكم الآية قالوا إذا حضر الرجل الوفاة في سفر فليشهد رجلين من المسلمين فإن لم يجد
رجلين من المسلمين فرجلين من أهل الكتاب فإذا أقدمت بتركته فإن صدقهما أوردته قبل قولهما وان أتموهما حلفا بعد صلاة العصر
بأنهما ما كتما ولا كذبا ولا اختالا وغيرنا وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية فإن ارتب في شهادتهما استحلنا بعد

الرسول فيقول ماذا أجبت قالوا لا علم لنا انك أنت علام الغيوب يقولون الرب عز وجل لا علم لنا لا علم أنت أعلم به منا واه ابن جبرئيل
اختار على هذه الاقوال الثلاثة ولا شك انه قول حسن وهو من باب التأنيب مع الرب جل جلاله أي لا علم لنا بالنسبة الى علمك المحيط
بكل شيء ونحن وان كنا قد اجابنا وعرفنا من اجابنا ولو لكن منهم من كان غافلا على ظاهره لا علم لنا بطبقة وأنت العليم بكل شيء
المطلع على كل شيء فعلمنا بالنسبة الى علمك كلال علم فانك أنت علام الغيوب (اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى
والذين اذابتك بروح القدس تكلم الناس (٢٦) في المهد وكهلا واذ علمت الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ خلق

من الطين كهشة الطير باذني فتفزع
فما فتى يكون طيرا باذني وتبرئ
الاكس والارض باذني واذا خرج
الموتى باذني واذا كففت بني اسرائيل
عنك اذ جثتهم بالبينات فقال الذين
كفروا منهم ان هذا الاسحريين
واذا وحيب الى الخوار يستن ان
امواي وبرسولي قالوا امنا واشهدنا يا
مسلون) يذكر تعالى ما من به على عبده
ورسوله عيسى بن مريم عليه السلام
اجرا على يده من المعجزات الباهرات
وخوارق العادات فقال اذ كرعتني
عليك أي في خلقي اياك من أم بلا
ذكر وجعلني اياك آية ودلالة قاطعة
على كمال قدرتي على الاشياء وعلى
الذات حيث جعلت لها ربانا على
براعتها ما نسبها الظالمون الجاهلون
اليها من الفاحشة اذ ايدتك بروح
القدس وهو جبريل عليه السلام
وجعلتك نبيا داعيا الى الله في صغر
وكبرك فانطقك في المهد صغيرا
فشم بدت بيرامة ملك من كل عيب
واعترفت بالعبودية وأخبرت عن
رسالي اياك ودعوتك الى عبادتي
ولهذا قال تكلم الناس في المهد
وكهلا أي تدعوا الى الله الناس في

مكر الكافرين وكيدهم له بمكة لان هذه الواقعة كانت بمكة قبل أن يهاجروا الى المدينة
والسورة مدينة وقال عكرمة هذه الآية مكية والمكر الاحتيال في ابطال الضرر للغير
(اليتوكل) أي يتخولك بالجرأت كما قال ثعلب وأبو حاتم وغيرهما وقيل المعنى يتوكل
يقال أنته اذا حسه وقيل ليوتقول لان كل من شد شأوا وثقه فقد أثبتته لانه لا يقدر
على الحركة وهذا اشارة الى أي المعترى ومنه فسد الوفاق وقرأ الشعي استيولك من
البيت (أو يفتولك) أي كاهم قتله رجل واحد كما اشار عليهم أبو جهل (أو يخرجوك)
من مقام مكة التي هي بلدك وبلد أهلك وهذا اشارة الى هشام بن عمرو كذا في شرح
المواهب عن ابن عباس قال تشاررت قريش بمكة لمكة فقال بعضهم اذا أصبح فاقبوه
بالوثاق يريدون النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال بعضهم اقتلوه وقال بعضهم بل
أخرجوه فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم على ذلك فمات على فراش النبي
صلى الله عليه وآله وسلم حتى لحق بالغار فلما أصبحوا اناروا اليه فلما رآه عايناه الله مكرهم
فقلوا أين صاحبك هذا فقال لا أدري فاقتصوا أثره فلما بلغوا الجبل اخطط عليهم فصعدوا
في الجبل غروا بالغار فرأوا على بابهم نسج العنكبوت فقالوا ودخل هنالم يكن نسج
العنكبوت على بابهم فكشفه ثلاث لبال وروى البيهقي وغيره عنه باطل عما هنا وفيها
ذكر الشيخ النجدي أي ارباس ومشورية عليهم عند اجتماعهم في دار الندوة المشاورة في
أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وان أبا جهل أشار بان يأخذوا من كل قبيلة من قبائل
قريش غلاما ويعطوا كل واحد منهم سيفا ثم يضربونه ضربة رجل واحد فاذا اقتتلوه تفرق
دمه في السبائل فقال الشيخ النجدي هذا والله هو الرأى ففرقوا على ذلك (ويكفرون) بك
(ويكره الله) بهم والمكر التدبير في الامر في خفية والمعنى انهم يخفون ما يعبدون وقيل رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم من المكائد فيجاز بهم الله على ذلك ويرد كدهم في شئورهم بأن
يخرجهم الى بدر ويقتل المسلمين في أعينهم حتى يجمهوا عليهم فيقتلوا وسما ما يقع منه
تعالى مكر امساكته كافي نظاره والمساكة تزيد حسنا على حسن وقيل استعارة تعبئة
وقيل مجاز مرسل بعلاقة السببية وقيل استعارة تشبيهة (والله خير) المجاز من المكر
(المالكين) يمتل فعلهم فهو يعذبهم على مكرهم من حيث لا يشعرون فيكون ذلك أشد
ضررا عليهم وأعظم بلا من مكرهم ووضع خير موضع أقوى وفيه تنبيه على ان كل مكر

صغرك وكبرك وضمن تكلم تدعوا لان كلامه الناس في كهولته ليس باهر عجيب وقوله واذ علمت الكتاب والحكمة أي سيطر
الخطو والفهم والتوراة وهي الميزة على موسى بن عمران الكليم وقدير لفظ التوراة في الحديث ويراد به ما هو أعم من ذلك وقوله واذ
تخلق من الطين كهشة الطير باذني أي تصوره وتشكله على هيئة الطائر باذني لك في ذلك فيكون طيرا باذني أي تفتتح في تلك الصورة
التي شكلته باذني لك في ذلك فتكون طيرا اذ روح طير باذن الله وقوله تعالى وتبرئ الاكس والارض باذني باذني قد تقدم الكلام عليه
في سورة آل عمران بما أغنى عن اعادته وقوله واذا خرج الموتى باذني أي تدعوهم فيقومون من قبورهم باذن الله وقد ربه وازادته

ومسبته وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا مالك بن اسعيل حدثنا محمد بن طلحة يعني ابن مصرف عن أبي بشر عن أبي الهذيل قال كان عيسى بن مريم عليه السلام إذا أراد أن يحيي الموتى صلى ركعتين يقرأ في الأولى ببارك الذي يسده الملك وفي الثانية الم تنزيل السجدة فإذا فرغ منها مدح الله وأثنى عليه ثم دعا بسبعة أسماء يقدم ياخفي يادائي فرياقور يا أحديا صمدو كان إذا أصابته شديدة دعا بسبعة آخر يا حي يا قيوم الله بارح يا ذا الجلال والإكرام يا نور السعوات والارض وما بينهما وارب العرش العظيم يا رب وهذا عظم جدوا قوله تعالى واذ كففت بني اسرائيل عنك اذ جهنم (٢٧) بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا

الاحرمين أي واذ كرعتي عليك في كتي ايهم عنك حين جهنم بالبراهين والنجح القاطعة على بترك ورسالتك من الله اليهم فكذبوك واتهموك بانك ساحر وسعوا في قتالك وصلبك ففيسبك منهم وورفعتك الى وطهرتك من دنسهم وكفبتك شرهم وهذا يدل على ان هذا الامتنان كان من الله اليه بدفعه الى السماء أو يكون هذا الامتنان واقعا يوم القيامة وعبر عنه بصيغة الماضي دلالة على وقوعه لاحالة وهذا من أسرار الغيوب التي أطلع الله عليها نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وقوله واذ وحيت الى الخواري ان آمنوا بي ورسولي وهذا أيضا من الامتنان عليه عليه السلام بان جعل له أعباء وأنصارا ثم قيل ان المراد بهذا الوحي وحى الهام كما قال تعالى وأوحينا الى أم موسى ان أرضعيه الآية وهو وحى الهام بخلاف وكما قال تعالى وأوحى ربك الى النحل ان اتخذ من الجبال بيوتا ومن الشجر وما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا الآية وهكذا قال بعض

يطلق بفعل الله (واذا أتى عليهم آياتنا) التي تأتيهم بها وتواضع عليهم (قالوا) تعسنا وعردوا بعد اعن الحق (قد سمعنا) ما تلو علينا (لوفنا قلنا مثل هذا) الذي تلوته علينا أي مثل هذا القرآن وهو التوراة والانجيل وقد تنازع هذا العامل مع قوله قلنا في قوله مثل هذا كما يستفاد من الخازن قيل انهم قالوا هذا هو همامهم انهم يقدرون على ذلك لانهم أهل الفصاحة وقرسان البلاغة فلما راموا ان يقولوا مثله عجزوا عنه ثم قالوا عناد وقردا (ان هذا الاأساطير الاولين) أي ما يسطره الوراقون من اخبار الاولين وقد تقدم بيانه مستوفى وعن السدي أنها نزلت في النضر بن الحرث وكان يختلف الى ارض فارس والحيرة ويسمع اخبارهم عن رستم واسفنديار وأحاديث العجم فلما جاء مكة ووجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أوحى اليه قال قد سمعنا الآية (و) اذكر (اذ قالوا اللهم ان كان هذا) أي القرآن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم (هو الحق) قرئ بالنصب وهو خبر الكون وبالرفع على الخبر وبه قرأ الأعمش وزيد بن علي قال ابن عطية ويجوز في العربية رفع الحق على خبره وبالجملة خبر لكان قال الاخفش ولا أعلم أحدا قرأ بهذا الا انزلت قد ظهر من قرأه وهما رجلان جليلان قاله السمين (من عندك فأمطر) قال أبو عبيدة يقال أمطر في العذاب ومطر في الرحمة وقال في الكشف قد كثرت الامطار في معنى العذاب والامطار استعارة وبجاز من الانزال أي أنزل (علينا حجارة) فائدة توصيف الحجارة بقوله (من السماء) الدلالة على ان المراد بالحجارة السجدة السجدة وهو حجارة مسومة أي معلمة معدة لتعذيب قوم من العصاة (أو اثنتا بعد اربع) قالوا هذه المقالة مبالغ في الجحود والانكار سألو ان يعذبوا بالحجارة من السماء أو بغيرها من انواع العذاب الشديدة فأجاب الله عليهم بقوله (وما كان الله ليعذبهم وأنت) يا محمد (قيم) موجود فانك ما دمتم فيهم بارض مكة فهم في مهلة من العذاب الذي هو الاستئصال قال السيوطي لان العذاب اذا نزل علم وتعذب أمة الابد بخروج نبيها والمؤمنين منها أخرج البخاري وابن أبي حاتم والبيهقي عن انس بن مالك قال قال أبو جهل بن هشام اللهم ان كان هذا هو الحق الآية فنزلت وما كان الله ليعذبهم وعن قتادة أنها نزلت في أبي جهل وعن سعيد بن جبير أنها نزلت في النضر بن الحرث وعن مجاهد وعطاء مشحوه قال عطاء

السلف في هذه الآية واذ وحيت الى الخواري ان آمنوا بي ورسولي قالوا آمنوا وشهدوا باننا مسلمون أي أنهم ما اذ ذلك فامتنوا ما لهم قال الحسن البصري اللهم الله عز وجل ذلك وقال السدي قد في قلوبهم ذلك ويحتمل أن يكون المراد ما وحيت اليهم بواسطة فدعوتهم الى الايمان بالله ورسوله واستجابوا له وانقادوا وتبعوه فقالوا آمنا بالله واشهد باننا مسلمون (اذ قال الخواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا ما نؤمن من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين قالوا نريد ان نأكل منها ونظف قلوبنا ونعلم ان قد صدقتمنا ونكون عليهما من الشاهدين قال عيسى بن مريم اللهم ربنا انزل علينا ما نؤمن من السماء تكون

لناعتد الا ولنا و آخرنا و آية منك و ارضنا و انت خير الرزق قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعد له عذابا بالاعذبه
احد ادمان العالمين هذه قصة المائدة و اليها تنسب السورة فيقال سورة المائدة وهي مما اتي الله به على عبده و رسوله عيسى لما اجاب
دعاه بنزولها فانزلها الله آية بآخرة و حجة قاطعة و قد ذكر بعض الأئمة ان قصته البست مذكورة في الانجيل و لا يعرفها النصراني الا من
المسلمين فانه اعلم بقوله تعالى اذ قال الحواريون وهم اتباع عيسى عليه السلام يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك و هذه قراءة كثيرين
و قرأ آخر و هل يستطيع ربك أي هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء المائدة هي الخوان عليه طعام

و ذكر بعضهم انهم انما سألوا ذلك
لما حجتهم و فقرهم فسألوه أن ينزل
عليهم مائدة كل يوم يقتاتون منها
و يتقربون بها على العبادات قال
اتقوا الله ان كنتم مؤمنين
أي فاجابهم المسيح عليه السلام
قائلا لهم اتقوا الله ولا تسألوا هذا
ففساهم أن يكون فتنة لهم و كانوا على
الله في طلب الرزق ان كنتم مؤمنين
قالوا نريد ان ناكل منها أي نحن
محتاجون الى الاكل منها و تطمئن
قلوبنا اذا شاهدنا نازلها رزقا لنا من
السماء و نعلم ان قد صدقتنا أي
وزداد ايماننا بك و علمنا بذلك و نكون
عليها من الشاهدين أي و نشهد
أنها آية من عند الله و دلالة حجة
على نبوتك و صدق ما حدث به قال
عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا
مائدة من السماء تكون لنا عيدا
لا ولنا و آخرنا قال السدي أي تتخذ
ذلك اليوم الذي نزلت فيه عيدا
نعظمه نحن و من بعدنا و قال
سفيان الثوري يعني يوما نصل فيه
و قال قتادة أرادوا أن يكون لعقبهم
من بعدهم و عن سلمان الفارسي
عظة لنا و لمن بعدنا و قيل كائفة

لا ولنا و آخرنا و آية منك أي دليلا تصبه على قدرتك على الاشياء و على اجابتك ادعوتي فيصدقوني فيما
أبلغه عندك و ارضنا أي من عندك رزقا حيثما بلا كلفة و لا تعب و انت خير الرزق قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم
أي من كذب بهما من أمته يا عيسى و عاندا فاني اعد له عذابا بالاعذبه احد ادمان العالمين أي من عالمي زمانكم كقوله تعالى يوم
القيامة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب و كقوله ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار و قد روى ابن جرير عن طريق عوف
الاعرابي عن أبي المغيرة القواس عن عبد الله بن عمرو قال ان أشد الناس عذابا يوم القيامة ثلاثة المنافقون و من كفر من أصحاب

المائدة قال فرعون (ذكر أخبار رويت عن السلف في نزول المائدة على الخواريين) قال أبو جعفر بن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثني خنيج عن ليث عن عقيل عن ابن عباس أنه كان يحدث عن عيسى أنه قال لبي أسرايل هل لكم أن تصوموا الله ثلاثين يوماً ثم نسا الوضيع عليكم ما سألتم فإن أجر العامل على من عمل له ففعلوا ثم قالوا يا نعل الخير قلت لئان أجر العامل على من عمل له وأمرت أن تصوم ثلاثين يوماً ففعلنا ولم نكن نعمل لأحد ثلاثين يوماً إلا أطمعنا حين نقر غصنا ما فهل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال عيسى اتقوا الله ان كنتم مؤمنين قالوا نريد أن تأكل منها (٢٩) وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقنا

ونكون عليها من الشاهدين قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عسداً ولنا و آخرنا و آتة نك وارزقنا و أنت خير الرازقين قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه عذاباً لا أأعذبه أحدًا من العالمين قال فأقبلت الملائكة تطير بمائدة من السماء عليها سبع أخوات وسبعة أرغفة حتى وضعتن ما بين أيديهم فاكل منها آخر الناس كالأكل منها أولهم كذا رواه ابن جرير ورواه ابن أبي حاتم عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال كان ابن عباس يحدث فذكره نحوه وقال ابن أبي حاتم أيضاً حدثنا سعد بن عبد الله بن عبد الحميد حدثنا أبو زرعة وهب بن راشد حدثنا عقيل بن خالد أن ابن شهاب أخبره عن ابن عباس ان عيسى بن مريم قالوا له ادع الله أن ينزل علينا مائدة من السماء قال فاستأذنت الملائكة بالمائدة فحسبوا فتحا عليها سبعاً أخوات وسبعة أرغفة فأكل منها آخر الناس كالأكل منها أولهم وقال ابن أبي حاتم حدثنا

أكثر الناس (لا يماون) ذلك والحكم على الأكثرين بالجمل يشيدان الاقلين يعلمون وليكنهم يعاندون أو أراد به الكل كما ردا بقوله العدم (وما كان صلاتهم عند البيت) أي ما كان شيء مما عبادوه من صلاة وعبادة (الأمكاه وتصدية) أي الأهل من الفقلين والمكاه الصغير من مكاه كمكوكم ومكوكاه ومنه مكات است الدابة اذا انفتحت بالريح وقيل المكاه هو الصغير على لحن طائر أبيض بالجزاير يقال له المكاه والتصدية التصفيق يقال صدى يصدى تصديه اذا صفق وقيل المكاه الضرب باليدى والتصدية الصياح وقيل المكاه ادخالهم أصابعهم في أفواههم والتصدية الصغير وقيل التصديه صدعهم عن البيت ومعنى الآية أن المشركين كانوا يصرون ويصفقون عند البيت الذي هو موضع للصلاة والعبادة فوضعوا ذلك موضع الصلاة فأصدى به أن يشغلوا المصلين من المسلمين عن الصلاة وعن عكرمة قال كان المشركون يطوفون بالبيت على الشمال فالمكاه مثل نفع البوق والتصدية طوافهم على الشمال وقال السهني التصديه طهارة قولان أحدهما انها من الصدى وهو ما يسمع من رجح الصوت في الامكنة الخفيفة الصلبة يقال منه صدى يصدى تصديه والمراد بها هنا ما يسمع من صوت التصفيق بأحدى اليدين على الأخرى وقيل مأخوذ من التصدد وهو الضجيج والصياح والتصفيق ويدل عليه قراءة اذا قومك منه يصدون بالكسر أي يضجون ويلغظون والثاني انها من الصد وهو المنع ويؤيده قراءة يصدون بالضم أي يمتنعون انتهى والمكاه الصغير وهو الصوت الخالي عن الحروف والمعنى أنهم قفوا ما حقههم أن يشتغلوا به في هذا المكان من الصلاة وشغلوه بهذا اللعب وانطراف والهوس واستثنى المكاه والتصدية مع انهما ليسا من جنس الصلاة فقرر بعالم المشركين بتركهم ما أمروا به في المسجد الحرام فان ما لا يدخل تحت الشيء قد يستثنى منه لمصلحة وغرض كقصده المدح والذم فعلى هذا يكون التقدير وما كان موضع صلاتهم أي عوضها الامكاه وتصدية (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) هذا التفات الى مخاطبة الكفار تهديد لهم وبمبالغة في ادخال الروعة في قلوبهم والمراد به عذاب الدنيا كيوم بدر وعذاب الآخرة قال الضحاك يعني أهل بدر عذبهم الله بالقتل والاس (أن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله) لما فرغ سبحانه من شرح حال هؤلاء الكفرة في الطاعات البدنية أجمعها شرع أحوالهم في الطاعات المالية والمعنى أن غرض هؤلاء

الظلم بن قرة الباهلي حدثنا سفيان بن حبيب حدثنا سعد بن أبي عروبة عن قتادة عن جلاس عن عمار بن ياسر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزلت المائدة من السماء على أخير ولحم وأمر وأن لا يتخوفوا ولا يرفعوا القيد فخافوا وادخروا ورفعوا أنفسهم فرددوا وخنابروا وكذا رواه ابن جرير عن الحسين بن قرة بن عرواه ابن جرير عن ابن شهاب عن ابن أبي عدي عن سعد بن قتادة عن جلاس عن عمار قال نزلت المائدة وعظم الغر من عمار الخنعة فأمر وأن لا يتخوفوا ولا يخشوا ولا يذبحوا قال فخان القوم وخبأوا وادخروا فخشعهم الله فرددوا وخنابروا وقال ابن جرير حدثنا ابن أبي حاتم حدثنا الأعمى حدثنا عبد الله بن جابر عن رجل من

بني عجل قال صلت الى جانب عمار بن ياسر فلما فرغ قال هل تدري كيف كان شأن مائدة بني اسرائيل قال قلت لآل انهم سألوا
عيسى بن مريم مائدة يكون عليها طعام يا يكون منه لا يتعد قال فقبل لهم فاقم انقيصة لكم مالم يتجاوزوا وتجوزوا وأترفعوا فان
فعلتم فاني معذ بكم عذابا لا أعذبه أحد من العالمين قال فبعضي يومهم حتى خباوا وزفوا واخافوا فعدوا عذابا لم يعذبه أحد من
العالمين وانكم يا معشر العرب كنتم تتبعون آذناي والابن والسامع في الله فكتم رسولنا من أنفسكم تعرفون حسبه ونسبه
وأخبركم انكم ستظهرن على العجم ونهاكم (٣٠) أن تمكثوا الذهب والفضة وإيم الله لا يذهب الليل والنهار حتى

تمكثوا وهو ما وعد بكم الله
عذابا أليما وقال حدثني القاسم
حدثنا حسين حدثنا جاج عن أبي
معشر عن أبي جعفر بن عبد الله أن
المائدة نزلت على عيسى بن مريم
عليه سبعة أرغفة وسبعة أحوات
يا كلون منها ماشاؤا قال فسرق
بعضهم منها وقال لعلها لا تنزل غدا
فرفعت وقال العوفي عن ابن عباس
نزل على عيسى بن مريم والخواريين
خوان عليه خبز وسمك يا كلون
منه أيتها نزلوا اذا ماشاؤا وقال
خصيف عن عكرمة ومقسم عن ابن
عباس كانت المائدة سمكة
وأريغفة وقال مجاهد وطعام
كان ينزل عليهم حيث نزلوا وقال
أبو عبد الرحمن السلمي نزلت المائدة
خبزا وسمكا وقال عطية العوفي
المائدة سمكة فطعم كل شيء وقال
وهب بن منبه أنزلها من السماء على
بني اسرائيل فكان ينزل عليهم في
كل يوم في تها المائدة من غمار الجنة
فأكلوا ماشاؤا من ضرب
شئ فكان يقعد عليهم أربعة
آلاف واذا كوا أو أبدل الله مكان
ذلك انزلهم فلبسوا بذلك ماشاؤا الله

الكفار في انفاق أموالهم هو الصدع سبل الحق بحجارة رسول الله صلى الله عليه وآله
وبارك وسلم وجع الجيوش لذلك وكما وقع من كفار قريش يوم بدر ويوم أحد ويوم
الأحزاب فان الرؤساء كانوا يتفقون أموالهم على الجيش وعن ابن عباس قال نزلت في
أبي سفيان بن حرب وعن مجاهد وسعد بن جبيرة نحوه وعن الحكم بن عتيبة قال نزلت في
أبي سفيان أنفق على مشركي قريش يوم أحد أربعين أوقية من ذهب وكانت الأوقية
يومئذ أربعين واثنتين مثقالا من ذهب ثم أخبر الله سبحانه عن الغيب على وجه الإعجاز
فقال (فستفقهونها) أي سمع منهم هذا الاتفاق وسيعلمون عاقبة انفاقها من الخيبة
وعدم الظفر بالمقصود فخلصت المغيرة (ثم تكون) أي عاقبة ذلك أن يكون انفاقهم
(عليهم حسرة) كأن ذات الأموال تنقلب حسرة وتصير ندما لقوات ما قصدوها (ثم) آخر
الامر (بغلبون) في الدنيا كما وعد الله في مثل قوله كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ومعنى ثم في
الموضعين اما التراخي في الزمان لما بين الاتفاق المذكور وبين ظهور دولة الاسلام من
الامتداد واما التراخي في الزمان لما بين بذل الأموال وعدم حصول المقصود من المباشرة ثم
قال (والذين كفروا) أي استمروا على الكفر لان من هؤلاء الكفار المذكورين
سابقا من أسلم وحسن اسلامه (الى جهنم يحشرون) أي يساقون اليها لا الى غيرها ثم
بين العلة التي لأجلها فعل بهم ما فعل فقال (ليميز الله الخبيث) وهم الكافرون (من
الطيب) وهم المؤمنون قال ابن عباس يميز الله أهل السعادة من أهل الشقاوة وقيل العمل
الخبيث من العمل الطيب وقيل الاتفاق في طريق الشيطان وسبل الرحمن وقيل
الخبيث والطيب صفة للمال والتقدير ليزيل المال الخبيث الذي أنفقته المشركون في
عداوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من المال الطيب الذي أنفقته المسلمون في نصرته صلى
الله عليه وآله وسلم فضم تلك الأموال الخبيثة بعضها الى بعض فلبسها في جهنم وبعضهم
بها كما في قوله تعالى فتكوى بها جهنم وجنوبهم وظهورهم قال في الكشف واللام
على هذا متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وعلى الأول يحشرون انتهى وعن شرب
عطية قال يميز يوم القيامة كما كان من عمل صالح في الدنيا ثم تؤخذ الدنيا بأسرها فتلقى في
جهنم (ويجعل الخبيث) أي يجعل فريق الكفار الخبيث (بعضه على بعض) أي فوق بعض
(فريقه) الر كرم عبارة عن الجمع والضم أي يجمع بعضهم الى بعض ويضم بعضهم الى بعض

عز وجل وقال وهب بن منبه نزل عليهم قرصة من شعير وأحوات وحشا الله بين أضعافهن البركة
وكان قوما يا كلون ثم يخرجون حتى يأكل جميعهم وأفضلا وقال الأعمش عن مسلم عن سعيدين جبرائيل أنزل عليهما كل شيء الا اللحم
وقال سفيان الثوري عن عطاء بن السائب عن زاذان وميسرة وغيرهم عن عطاء عن ميسرة قال كانت المائدة ادا والبي
اسرائيل اختلف عليها الايدي بكل طعام الا اللحم وعن عكرمة كان خبز المائدة من الارز وواه ابن أبي حاتم
حدثنا جعفر بن علي فها كتب الى حدثنا السجستاني عن أبي أوس حماد بن أبي عبد الله عبد القدوس بن ابراهيم بن أبي عبيد الله بن

مر داس العبدى موسى بن عبد الدار عن ابراهيم بن عمر عن وهيب بن

عيسى بن عيسى عن سلمان الخياط قال قال لاسأل

الحواريون عيسى بن مريم المائدة كره ذلك جدا فقال اقعوا عمار زقكم الله في الارض ولا تسألوا المائدة من السماء فانهم ان نزلت عليكم كانت آية من ربكم وانما هلكتمود حين سألوا انهم آية فابنوا بها حتى كان بوارهم فيها قالوا الا ان ياتيهم بها فلذلك قالوا ان يذنا ناكل منها وتطمئن قلوبنا الآية فلما رأى عيسى أن قد أبوا الا أن يدعولهم بها قام فألقى عنفه الصوف ولبس الشعر الاسود وجبة من شعر وعباة من شعر ثم توضأ واعتسل ودخل (٣١) مصلا ففصل ماشاء الله فاقضى صلاته قام

فأمام مستقبل القبلة وصف قدميه حتى استخويا فالصق الكعب بالكعب وجاذى الاصابع ووضع يده اليمنى على اليسرى فوق صدره وغض بصره وطأ طأ رأسه خشوعا ثم أرسل عينيه بالبكاء فما زالت دموعه تسيل على خديه وتقطر من أطراف خيشته حتى ابتلت الارض حمال وجهه من خشوعه فلما رأى ذلك دعا الله فقال اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء فأنزل الله عليهم سفرة جراء بين ثمانين غمامة توفقها وغمامة تحتها وهم ينظرون اليها في الهوا مستقصه من فلك السماء تهوى اليهم وعيسى يبكي خوفا من أجل الشروط التي أخذها الله عليهم فيها أنه يعذب من يكفر بها منهم بعد نزولها بعد ان يلم يعذب أحد من العالمين وهو يدعو الله في مكانه ويقول اللهم اجعلها راحة لهم ولا تجعلها عذابا للهى كم من عجيبة سأتك فأعطينى الهى اجعلنا لك شاكرين اللهم انى أعوذ بك أن تكون أول نزلتها غضبا وجرأا الهى اجعلها سلامة وعافية ولا تجعلها قسوة ومهلكة لنا

حتى يتراكموا القراط اذ حاطهم يقال ركن الشي تركه اذا جعسه وألقى بعضه على بعضه وبابه نصر وار تركهم الشي وترأكم اجتمع والركام الرمل المتراكم والسحاب ونحوه (جميعا) حال من الهاء في ركنه أو توكيد كبدلها (فجعلها) أى الخبيث فيه مرعاة اللفظ (في جهنم أولئك) أى الفريق الخبيث (هم الخاسرون) أى الكاملون في الخسران فيه مرعاة المعنى لان الضمير راجع على الخبيث (قل للذين كفروا) كأي سفيان وأصحابه واللام للتبليغ (ان ينهوا) الخ أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول لهم هذا المعنى سواء قاله بهذه العبارة وأ غيرها قال ابن عطية ولو كان قال الكسافي انه في مصحف ابن مسعود تنهوا بالهاء لما تادت الرسالة الا لتلك الالفاظ بعينها وقال في الكشف هي لام العلة أى قل لأجابه هذا القول وهو ان ينهوا واولو كان بمعنى خاطبهم به ليقبل ان تنهوا يعفركم والمعنى ان ينهوا عما هم عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقتاله بالدخول في الاسلام (يعفركم ما قد سلف) لهم من العداوة اه وقيل معناه ان ينهوا عن الكفر قال ابن عطية والخامل على ذلك جواب الشرط يعفركم ما قد سلف لمعنى ما قد سلف لا يكون الا منته عن الكفر وفي هذه الآية دليل على أن الاسلام يجب ما قبله وأخرج أحمد وسلم عن عمرو بن العاص قال لما جعل الله الاسلام في قلبي أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقلت ابسط يدك فلا بد أنك فبسط يمينه فقبضت يدي قال مالك فقلت أردت ان أشترط ماذا قلت أن تستغفرنى قال لما علمت أن الاسلام يهدم ما كان قبله وان الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله وقد ثبت في الصحيح من حديث ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الاسلام يجب ما قبله والتوبة تجب ما قبلها قال يحيى بن معاذ الرازي التوحيد لم يجز عن هدم ما قبله من كفر فكيف يجز عن هدم ما بعده من ذنب (وان يعودوا) الى القتال والعداوة وألى الكفر الذى هم عليه ويكون العود بمعنى الاستمرار وفي الجمل العود يشعر بسبق الناس بالنبي الذى حصل العود اليه فالمعنى وان يرتدوا عن الاسلام بعد دخولهم فيه ويرجعوا الى الكفر وقتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجواب الشرط محذوف تقديره ينتقم منهم بالعقاب والعذاب وقوله (فقد مضت سنت الاولين) تعليل للمحذوف ولا يصلح للجوابية كما لا يخفى أى سبقت واستقرت سنة الله في اهلاك أعدائه ونصر أوليائه وهذه

رأى يدعوى استقرت السيرة بين يدي عيسى والحواريين وأصحابه حوله يجدون راحة طيبة لم يجدوا فيها مضى راحة مثلها قط وخبر عيسى والحواريون لله سبحانه شكراله لما رزقهم من حيث لم يحتسبوا وأراهم فيه آية عظيمة ذات عجب وعبرة وأقبلت اليهود ينظرون فرأوا أمرا عجيبا أوزرهم كدوا عواما ثم انصرفوا بغضب شديد وأقبل عيسى والحواريون أصحابه حتى جلسوا حول السفرة فاذا عليها منديل مغشى فقال عيسى من أجرأ أن يعلى كشف المنديل عن هذه السفرة وأوقفا بنفسه وأحسننا بلا عند به فليكشف عن هذه الآية حتى نراها ونحمد مدبرها ونذكر ربنا معه ونأكل من رزقه الذى رزقنا فقال الحواريون يا روح الله وكلمته أنت اولنا بذلك وأحقنا

بالكشف عنهم اقام عيسى عليه السلام واستأنف وضوءاً جديداً ثم دخل مصلاه فصل في كذلك ركعات ثم بكى بكاء طويلاً ودعا الله أن
يأذن له في الكشف عنها ويجعل له ولقومه فيها بركة ورتقا ثم انصرف وجلس الى السفيرة وتناول المنيديل وقال بسم الله خير
الرازي وكشف عن السفرة فاذا هو عليها بسجدة ضخمة مشوية ليس عليها واسير وليس في جوفها شوك يسيل السمن منها سيلاً قد
تحدق بها بقول من كل صنف غير الكراث وعند رأسها خيل وعند ذنبها الخيول وحول البقول خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى
الآخر غرات وعلى الآخر خمس ومائات فقال (٢٢) شمعون رأس الحواريون لعيسى ياروح الله وكنت آمن بطعام الدنيا هذا

العبارة مشقة على الوعيد والتهديد والتخيل بين أهلنا من الامم في سائر الدهر بعد ذاب
الله أي قد مضت سنة الله فمن فعل مثل فعل هؤلاء من الاولين من الامم أن يصيبه عذاب
فليتوقعوا مثل ذلك عن مجاهد قال فقد مضت سنة الاولين في قريش وغيرهم يوم بدر
والامم قبل ذلك وقد فسر كثير من السلف هذه الآية بما مضى في الامم المتقدمة من
عذاب من قاتل الانبياء وصمم على الكفر وقال السدي ومحمد بن اسحق المازداني
يوم بدر وترسم سفت هذه بالثناء المحرورة وكذا الثلاثة التي في فاطر وكذا التي في آخر غافر
والاضافة على معنى في (وقالت لهم حتى لا تكون قسمة) أي شرك قاله ابن عباس وقل
بلاء قاله الحسن وقد فسر هاجور السلف بالكفر وقال محمد بن اسحق بغني عن
الزهري عن عروة بن الزبير وغيره من علماء الغني حتى لا يقتل مسلم عن دينه وقد تقدم
تفسير هذا في البقرة مستوفى والجملة معطوفة على قل الذين لما كان الغرض من الاول
اللطيف بهم وهو وظيفة النبي وحده جابها بالآثار ولما كان الغرض من الثاني تحريض
المؤمنين على القتال جابها بالجمع فخطبوا جميعاً (ويكون الدين كله) أي الطاعة والعبادة
كلها (لله) خالصة دون غيره وقال قتادة حتى يقال لا اله الا الله عليه قاتل رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم واليه دعا وقبل بضلع عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين الاسلام
وحده والمعاني متقاربة (فان انتموا) عما ذكر من الشرك واقتان المؤمنين وايداهم
(فان الله عابهم) بالخصية بانفاق السبعة وقرأ بالفعوية يعقوب بن العشرة (بصير)
لا يخفى عليه ما وقع منهم من الانتهاء فيجازهم به (وان تولوا) عما أمروا به من الانتهاء أو
عن الامعان وجوابه محذوف أي فلا تخشوا بأسمهم (فاعلموا) أيها المؤمنون (ان الله
مولاكم) أي ناصركم عليهم ويتولى أموركم (فزع المولى) هو (ونعم النصير) فمن والا فافاز
ومن نصره وغلب (واعلموا أنما) ما موصولة وكان القياس فصلها في الرسم من أن لكن
ثبت وصلها في خط المصحف الامام وثبت فصلها أيضاً في بعضها على القياس كما ذكره ابن
الجزري في قوله * وخاف الانتقال وتحول وقعا (غتم) لما أمر الله سبحانه بالقتال بقوله
وقاتلوهم حتى لا تكون قسمة وكانت المقاتلة مظنة حصول الغنمة فذكر حكم الغنمة
والغنية قد قدمنا ان اصلها اصابة الغنم من العدو ثم استعملت في كل ما يصاب منهم
وقد يستعمل في كل ما ينال بسعي وامام معنى الغنمة في الشرع فحكى القرطبي الاتفاق

أم من طعام الجنة فقال عيسى أما
آن لكم أن تعجبوا وبما روت من
الآيات انتهوا عن تنفير المسائل
ما أخوفني عليكم أن تعاقبوا في
سبب نزول هذه الآية فقال له
شمعون والله اسرايل ما أردت بها
سؤال الا يا ابن الصديقة فقال عيسى
عليه السلام ليس شيء مما روت من
طعام الدنيا ولا من طعام الجنة إنما
هو شيء استدعاه الله في الهواء
بالقدرة الغالبة القاهرة فقال له كن
فكان أسرع من طرفه عين فكلوا
عسا الله بسم الله واحد واعليه ربكم
يذكركم منه وزدكم فانه بديع قادر
شاكراً فقالوا ياروح الله وكلمه أنا
نحب أن يرينا الله آية في هذه
الآية فقال عيسى سبحان الله أما
اكتفيتم بما رأيتم من هذه الآية
حتى تسألون آية أخرى فيها ثم أقبل
عيسى عليه السلام على السمكة
فقال يا سمكة عودي بأذن الله حية
كما كنت فأجابه الله بقدرته
فاضطربت وعادت بأذن الله حية
طرية تلظ كما تلظ الاسد تدور
عينها لها بصيص وعادت عليها
بواسيرها ففرع القوم منها واخجروا

فلما رأى عيسى منهم ذلك قال ما لكم تسألون الآية فاذا أراكم هاربين كما كنتم فاعلموا أن الله عابهم كما كانت في خلقها الاول فقالوا يا عيسى كن أنت ياروح الله الذي
تصنعون باسمك عودي بأذن الله كما كنت فعادت بأذن الله مشوية كما كانت في خلقها الاول فقالوا يا عيسى كن أنت ياروح الله الذي
تبدأ بالاكل منها ثم نحن بعد فقال عيسى معاذ الله من ذلك يبدأ بالاكل من طلبها فلما رأى الحواريون وأصحابه امتناع عيسى منها
خافوا أن يكون نزولها منخللة وفي آكلها مثله فيجاءوا فلما رأى ذلك عيسى منهم دعاها الفقراء والزمنى وقال كلوا من رزق ربكم
ودعوا تبيكم واحدوا الله الذي أنزلها لكم فيكون منهو هالككم وعقبوا بها على غيركم واقتحموا أكلكم بسم الله واختموه بحمد الله

ففعلا وفاقا كل منها ألف وثلاثمائة انسان بين رجل واحد وصنذرون عنهما كل واحد منهما سبعان يقبضا ونظر عيسى والحواريون
فاذا ما علموا كهيئته انزلت من السماء لهم ينقص منها شيء ثم انهم رفعت الى السماء وهم يثرون فاستغنى كل فقيرا كل منها وبرئ
كل زمن أكل منها فليس الاغنياء اصحاء حتى يخرجوا من الدنيا وندم الحواريون واصحابهم الذين أبوا أن يأكلوا منها اذ ما سالت منها
أشفارهم و بقيت حسرتهم في قلوبهم الى يوم الممات قال وكانت المائدة اذا نزلت بعد ذلك أقبل شواسرا تليل اليها يسعون من كل
مكان يراهم بعضهم بعضا الاغنياء والفقراء والصغار والكبار والاحياء (٢٣) والمرضى يركب بعضهم بعضا فلما رأى ذلك جعلها

نوابضا تنزل يوما ولا تنزل يوما فدلوا
على ذلك اربعين يوما تنزل عليهم غبا
عند ارتفاع النهار فلا تزال موضوعة

يوكل منها حتى اذا قالوا ارتفعت عنهم
الى سماء ما بان الله وهم يثرون

الى ظليها في الارض حتى توارى
عنهم قال فأوحى الله الى نبيه عيسى

عليه السلام أن اجعل رزقي
المائدة للفقراء والسائى والزمنى

دون الاغنياء من الناس فلما فعل
ذلك ارتاب بها الاغنياء من الناس

ونغمصوا ذلك حتى شكروا فيها
في أنفسهم وشكروا فيها الناس

وأذاعوا في امرها الشيع والمسكر
وادرل الشيطان منهم حاجته

وقذف وسواسه في قلوب المرتابين
حتى تالوا عيسى أخرنا عن المائدة

وزولوا من السماء أحق فانه قد
ارتاب من الله ما بشر كثير فقال عيسى

عليه السلام هلكتم والله المسبح
طلبتم المائدة الى نبيكم أن يطلبها

لكم الى ربكم فلما ان فعل وأرسلها
عليكم رجعة لكم ورزقا وأراكم

فيها الايات والعبر كذبتم بها
وشككتم فيها فابشر بالاعذاب فانه

نازل بكم الآن يستحكم الله فأوحى
الله الى عيسى اني آخذ المالكين

على أن المراد بقوله أنما غفتم مال الكفار اذا ظفر بهم المسلمون على وجه الغلبة والقهر
قال ولا تقتضى اللغة هذا التخصيص ولكن عرف الشرع قيده بهذا اللفظ بهذا النوع
وقد ادعى ابن عبد البر الاجماع على أن هذه الآية نزلت بعد قوله يستألفونك عن الانفال
وان أربعة أخماس الغنمة مقسومة على الغانمين وان قوله يستألفونك عن الانفال نزلت
حين تشاجر أهل بدر في غنائهم بدر وقيل انها يعنى قوله يستألفونك عن الانفال محكمة غير
منسوخة وان الغنمة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وليست مقسومة بين الغانمين
وكذلك لما نزل بعده من الآية حكاهما الماوردي عن كثير من المالكية قالوا ولا امام أن
يخرجها عنهم واحتجوا بفتح مكة وقصة حنين وكان أبو عبيدة يقول افتخر رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم بمكة عنوة وثمن على أهلها فردها عليهم ولم يقسه بما ولم يجعلها فيا وقد
حكى الاجماع جماعة من أهل العلم على أن أربعة أخماس الغنمة للغانمين وعن حكى
ذلك ابن المنذر وابن عبد البر والداودي والمازري والقاضي عياض وابن العربي
والاحاديث الواردة في قصة الغنمة بين الغانمين وكيفيتها كثيرة جدا قال القرطبي ولم يقل
أحد فيا علم ان قوله تعالى يستألفونك عن الانفال الآية ناسخ لقوله واعلموا أنما غفتم الآية
بل قال الجوهري ان قوله واعلموا أنما غفتم تم ناسخ وهم الذين لا يجوز عليهم التصرف ولا
التبديل للكتاب الله واماقصة فتح مكة فلا تجبه فيها الاختلاف العلماء في قهها قال
واماقصة حين فقد عرض الانصار لما قالوا يعطى الغنائم قريشا ويتركوا سيوفنا فقطر
من دمائهم نفسه فقال لهم اماترضون أن يرجع الناس بالديار وترجعون برسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم الى يوتكم كما في مسلم وغيره وليس لغيره ان يقول هذا القول بل ذلك
خاص به وقوله أنما غفتم يشمل كل شيء يستحق عليه اسم الغنمة قليلا كان وكثيرا (ومن
شيء) بان ما الموصولة وقد خصص الاجماع من عموم الآية الاسارى فان اندبر فيها
الى الامام بخلاف وكذلك سلب المقتول اذا نادى به الامام قبيل وكذلك الارض
المغنومة ورد بانها لا اجماع على الارض (فان) أى حق أو فواجب أن (الله) خمسة
وللرسول وقد اختلف العلماء في كيفية قيمة الخمس على أقوال ستة الاول قالت طائفة
يقسم الخمس على ستة فجعل السدس للكمبة وهو الذى لله والثانى لرسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم والثالث لذوى القربى والرابع للسائى والخامس للمساكين والسادس

(٥ - فتح البيان ح) بشرطى فالى معذب منهم من كثر بالمائدة بعد نزولها عذابا لا أعذب أحد من العالمين قال فلما
أمسى المرتابون بها وأخذوا منها جعهم في أحسن صورهم نسائم آمنين فلما كان في آخر الليل استخفهم الله خنازير فاصبحوا يتبعون
الاقدار في الكاسات هذا اثر غريب جدا فقلعوا من أبي حاتم في مواضع من هذا القصة وقد جعلته بالكون سياقه أم وأكل والله
سبحانه وتعالى أعلم وكل هذه الآيات نازلة على ان المائدة نزلت على نبي اسرائيل أمام عيسى بن مريم بآية من الله يدعو به وكذلك على
ذلك ظاهر هذا السياق من القرآن العظيم قال الله اني نزلها عليكم الايتروا قال فائتروا منهم انهم لن ينزلوا قروى ليست بن أبي سليم عن مجاهد
في قوله أنزل علينا مائدة من السماء قال هو مثل ضرب به الله ولم ينزل شيء نزولها ابن أبي حاتم وابن جرير ثم قال ابن جرير حسدتنا الحزن

حدثنا القاسم هو ابن سلام حدثنا إجماع عن ابن جريج عن مجاهد قال مائدة علمها طعام وعنه قال أبو هاجين عن عرض عليهم العذاب ان كفروا قالوا أن تنزل عليهم وقال أيضا حدثنا ابن المنذر حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن منصور بن زاذان عن الحسن أنه قال في المائدة أنهم أنزلوا وحده بن شابر حدثنا يزيد وحدثنا سعيد بن قتادة قال كان الحسن يقول لما قيل لمهمن بكفر بعدتمكم فأتى أعذبه عبد الله بالآعذبه أحد من العالمين قالوا إلا حاجة لنا فيهم أقبل تنزل وهذه آسانيد صحيحة إلى مجاهد والحسن وقد يتوهم ذلك بأن خبر المائدة لا تعرفه التصاري (٣٤) وليس هو في كتابهم ولو كانت قد نزلت لكان ذلك مما يقرر الرواية على نقله

وكان يكون موجودا في كتابهم متواترا ولا أقل من الآحاد وأعلم ولكن الجهر وإنه نزل وهو الذي اختاره ابن جرير قال لأن الله تعالى أخبر بنزله في قوله تعالى أني منزلها عليكم فمن يكفر بعدتمكم فأتى أعذبه عبد الله بالآعذبه أحد من العالمين قال ووعد الله ووعده حق وصدق وهذا القول هو والله أعلم الصواب كادلت عليه الأخبار والآثار عن السلف وغيرهم وقد ذكر أهل التاريخ ابن موسى بن نصير نائب بني أمية في فوج بلاد المغرب وجد المائدة هناك مرصعة بالآل كتي وأواع الجواهر فعمت إلى أشعر المؤمنين الوليد بن عبد الملك نائب جامع دمشق فأتى وهي في الطريق فعمت إلى أخيه سليمان بن عبد الملك الخليفة بعده فقرأها الناس فحببوا منها كثيرا لما فيها من المواقف النفيسة بالجواهر القيمة ويقال ان هذه المائدة كانت لسليمان بن داود عليها السلام قال الله أعلم وقد قال الامام أحمد حدثنا سعد الرحمن حدثنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن عمران بن الحكم عن ابن عباس قال قالت قرش النبي صلى الله عليه

وابن السبيل * القول الثاني قاله أبو العباس والربيع أنهم اتقسم النخلة على خمسة ففعل منهم واحد ويقسم أربعة على الغادين ثم يرضي بذهب السهم الذي عزله تخافضه من شيء يجعله للكعبة ثم يقسم بقية السهم الذي عزله على خمسة الرسول ومن بعده في الآية * القول الثالث روى عن زين العابدين على بن الحسين أنه قال ان الحسن لما قيل له ان الله يقول والي السبيل فقال يسألمانا وصا كفننا وان شاء يسألمانا * القول الرابع قول الشافعي ان الحسن يقسم على خمسة وان سهم الله وسهم رسوله واحد يصرف في مصالح المؤمنين والاربعة الاخماس على الاربعة الاصناف المذكورة في الآية * القول الخامس قول أبي حنيفة انه يقسم الحسن على ثلاثة السبيل والسبيل والسبيل والسبيل وقد ارتفع حكمه قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعنه كارتفع حكمهم قال ويبدأ من الحسن باصلاح القناطر وبناء المساجد وازايق القضاة والخند وروى نحوه هذا عن الشافعي * القول السادس قول مالك انهم كقول انظر الامام واجتماعه فيأخذ منه بغير تقدير ويعطى منه الغزاة باجتماعه ويصرف الباقي في مصالح المسلمين قال القرطبي وبه قال الخلفاء الاربعون به علوا وعليه يدل قوله صلى الله عليه وآله وسلم مالي مما أفاء الله عليكم الا الحسن والحسين من دود عذكم فانه لم يقسمه ارجاس ولا اثلاثا وانما ذكر ما في الآية من ذكره على وجه التسمية عليهم لانهم من أهم من يدفع اليه قال الزجاج محتاجا لهذا القول قال الله تعالى يسألونك ماذا ينطقون قل ما أنطقهم من خبر فلو الذين والاقربين والي السبيل والسبيل والسبيل والسبيل وجازي باجتماع أن ينطق في غير هذه الاصناف اذا رأى ذلك أخرجه ابن المنذر عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجعل سهم الله في السلاح والكرراع وفي سبيل الله وفي كسوة الكعبة وطيبها وما يحتاج اليه الكعبة ويجعل سهم الرسول في الكراع والسلاح ونفقة أهله وسهم ذي القربى اقربا يرضه رسول الله فيهم سهم مع سهمهم مع الناس والي السبيل والسبيل والسبيل ثلاثة أشهر يرضه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمن شاء وحديث شاة ليس لبني عبد المطلب في هذه الثلاثة الاسهم ولرسول الله سهم مع سهمهم الناس وعن ابن بريدة قال الذي لله التسمية والذي الرسول لارواجه وعن محمد بن الحنفية في قوله فان الله خسة قال هذا مقتضى كلام الله الدنيا والآخرة والرسول ولذي القربى فاختلفوا بعدوا فافاد رسول الله صلى

وسلم ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصداق هاتون من بك قال وتفعول قالوا نعم قال فدعا فانه جبريل فقال ان ربك يقرأ الله عليك السلام وقد قول لك ان شئت أصبح لهم الصداق عباقرن كفرهم بعد ذلك عذبه عبد الله بالآعذبه أحد من العالمين وان شئت ففقت لهم باب التوبة والرجة قال باب التوبة والرجة ثم رواه أحدوا من مردويه والحاكم في مستدركه من حديث سفيان الثوري به (واذا قال الله عيسى بن مريم أت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال سبحانه ما يكون أن أقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك انك أنت علام الغيوب ما قلت لهم الا ما أمرتني به ان اعبدا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما فوفيتني كتب أنب الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد ان لعنهم فأنهم عبادك

وان تغفر لهم قال انت العزيز الحكيم هذا ايضا لما يخاطب الله به عبده ورسوله عيسى بن مريم عليه السلام قائلا يوم القيامة
بحضرة من اتخذه واما الهين من دون الله عيسى بن مريم انت قلت للناس اتخذوني وأعي الهين من دون الله وهذا تمديد
للنصارى وتوبيخ وتقرير على رؤس الاشهاد هكذا قاله قتادة وغيره واستدل قتادة على ذلك بقوله تعالى هذا يوم نرفع الصادقين
صدقهم وقال السدى هذا الخطاب والجواب في الدنيا وصوبه ابن جرير قال وكان ذلك حين رفعه الى السماء الدنيا واحتج ابن جرير
على ذلك بعين أحد ههنا الكلام بلفظ المضى والثاني قوله ان تعذبهم (٣٥) وان تغفر لهم وهذا الدليلان فيهما نظر لان كثيرا
من أمور يوم القيامة ذكر بلفظ المضى

للدل على الوقوع والنسب ومعنى
قوله ان تعذبهم فاقم عبادك الآية
التعري منهم ورد المشقة فيهم الى الله
وتعليق ذلك على الشرط لا يقتضي
وقوعه كما في نظائر ذلك من الآيات
والذي قاله قتادة وغيره هو الاظهر
والله أعلم ان ذلك كان يوم القيامة
ليدل على تهديد النصارى وتقرير بهم
وتوبيخهم على رؤس الاشهاد يوم
القيامة وقد روي بذلك حديث
مرفوع رواه الحافظ ابن عساكر
في ترجمة أبي عبد الله مولى عمر بن
عبد العزيز وكان ثقة قال سمعت
أبا بردة يحدث عمر بن عبد العزيز عن
أبيه أي موسى الأشجري قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
كان يوم القيامة دعى بالانبياء وأمهاتهم
ثم يدعى عيسى فيذكره الله نعمته
عليه فقير بها فيقول يا عيسى بن
مريم اذكر نعمتي عليك وعلى
والدتك الآية ثم يقول انت قلت
لناس اتخذوني وأعي الهين من
دون الله فيسكتون أو يكون قال ذلك
فيؤتى بالنصارى فيسكتون فيقولون
نعم هو أمرنا بذلك قال فيطول شعر
عيسى عليه السلام فما أخذ كل مالك

الله عليه وآله وسلم في هذين السهمين قال قائل منهم سهم ذى القربى لقراءة رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم وقال قائل منهم سهم ذى القربى لقراءة الخليفة وقال قائل منهم سهم
النبي صلى الله عليه وآله وسلم الخليفة بعده واجتمع رأي أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم على أن يجعلوا هذين السهمين في الخيل والعدة في سبيل الله فكان ذلك في
خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أخرجه عبد الرزاق وابن أبي شيبة وابن جرير وابن
المذخر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وأبو الحارث عن قيس بن مسلم الجذلي عن محمد بن الحنفية
وأخرج ابن جرير والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس قال فان لله خمسة
مفتاح كلام أى على سبيل التبرك وإنما أضافه لنفسه لانه هو الحاكم فيه فقسمه كيف
شاء وليس المراد منه أن سهمه لله مفرد لان لله ما في السموات وما في الأرض وبه قال
الحسن وقتادة وعطاء وبراهم التميمي قالوا سهم الله وسهم رسوله واحد وذكر الله للتعظيم
فجعل هذين السهمين في الخيل والسلاح وجعل سهم النبى والمساكين وابن السبيل
لا يعطيه غيرهم وجعل الاربعة الاسهم الباقية للفرس سهمين ولراكب سهم واحد وللراجل
سهما وعنه رضى الله عنه قال كانت الغنمة تقسم على خمسة أخماس فأربعة منها بين
من قاتل عليها وخمس واحد يقسم على أربعة أخماس فربيع لله وللرسول ولذى القربى
يعنى قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فما كان لله وللرسول فهو لقرابة النبى صلى
الله عليه وآله وسلم ولم يأخذ النبى صلى الله عليه وآله وسلم من الخمس شيئا والرابع الثانى
للبناى والرابع الثالث للمساكين والرابع الرابع لابن السبيل وهو الضعيف الفقير
الذى ينزل بالمساكين أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم (ولذى القربى) قيل
اعادة اللام في ذى القربى دون من بعدهم لدفع توهم اشتراكهم في سهم النبى صلى الله عليه
وآله وسلم والمعنى أن سهم من خمس الخمس لذى القربى وقد اختلف العلماء في سهم على
أقوال الاول انهم قرئش كلها روى ذلك عن بعض السلف واستدل بماروى عن
النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه لما صدع الصفا جعل يهتف بيظون قرئش كلها قائلا
يا بني فلان يا بني فلان وقال الشافعى وأجدو أبو ثور ومجاهد وقتادة وابن جرير ومسلم بن
خالد هم بنو هاشم وبنو المطلب وليس لبني عبد شمس ونى قول منسوبة وان كانوا اخوة
اقوله صلى الله عليه وآله وسلم انما بنو هاشم وبنو المطلب شئ واحد وشبك بين أصابعه

من الملائكة بشعر رأسه وشعر رأسه وجسده فيجاءتهم بين يدي الله عز وجل مقدار ألف عام حتى ترفع عليهم الخجة ويرفع لهم
الصليب وينطلق بهم الى النار وهذا حديث غريب عز و قوله سبحانه ما يكون لى ان أقول ما ليس لى بحق هذا اوفق للتأدب في
الجواب الكامل كما قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو حاتم حدثنا ابن أبي عمير حدثنا ثقات عن عمرو عن طاوس عن ابي هريرة قال يلقى عيسى
جسده ولفقه الله تعالى في قوله واذا قال الله يا عيسى بن مريم انت قلت للناس اتخذوني وأعي الهين من دون الله قال أبو هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم فلما قال الله سبحانه ما يكون لى ان أقول ما ليس لى بحق الى آخر الآية وقد رواه الثوري عن معمر عن ابن
طاوس عن طاوس بنحوه وقوله ان كنت قلته فقد علمته أى ان كان صدر منى هذا فقد علمته يارب فإنه لا يخفى عليك شئ مما قلته

ولا اردت تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك انك أنت علام الغيوب ما قلت لهم الا ما هم تقي به بلاغته أتاعدوا الله ورسوله
أي هذا هو الذي قلت لهم وقوله وكنتم عليهم شهداء ما دمت فيهم أي كنتم أشهد على أعمالهم حين كنتم بين أظهرهم فلما توفيتني
كنتم أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد قال أبو داود والطائفة حديثنا شعبة قال أنس بن مالك قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم
ابن النعمان فأخبرني عن علي بن سفيان وأما ما قام التمسخت من سفيان فحدثنا قال سمعت سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس قال
قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣٦) بموعظة فقال يا أيها الناس انكم محشورون الى الله عز وجل حفاة عراة غلابة كاذبا

وهو في الصحيح وخرج ابن اسحق وابن أبي حاتم عن الزهري وعبد الله بن أبي بكر عن
جابر بن مطعم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قسم سهم ذوى القربى من خير على بنى
هاشم وبني المطلب قال بن شهاب أنا وعثمان بن عفان حتى دخلنا عليه فقلنا يا رسول الله
هؤلاء اخوانك من بنى هاشم لا تترك فضلهم لكناك منهم أرأيت اخوانا آمن بنى المطلب
أعطيتهم دوننا فأنما نحن وهم بمنزلة واحدة في النسب فقال انهم لم يارقوا بنى الهاشمية
والاسلام وقد أخرجهم مسلم في صحيحه وقيل هم بنو هاشم خاصة وبه قال مالك
والثوري والاوزاعي وغيرهم وهو مروى عن علي بن الحسين ومجاهد وأخرج ابن
مردويه عن زيد بن أرقم قال آل محمد الذين أعطوا الخس آل علي وآل عباس وآل جعفر
وآل عقيل وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال كان للنبي صلى الله عليه وآله وسلم
شيء واحد من المغنم يعطيه لنفسه اما خادما مافرس ثم يصيب بعد ذلك من الخس
وعن علي وصحبه الحاكم قال ولا في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمس الخس
فوضعه مواضع حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما
واختلفوا في سهمهم هل هو ثابث اليوم أم لا فذهب أكثرهم الى أنه ثابت فعطى
قصراؤهم وأغنياؤهم من خمس الخس للذين هم في حاله وبه قال مالك والشافعي
وقيل انه غير ثابت وسقط سهمه وسهمهم بوفاته وصار الكل مصر وفا الى الثلاثة الباقية
وبه قال أبو حنيفة وأصحاب الرأي ومحمد بن الجهمور أن الكتاب والسنة يدلان على ثبوت
سهم ذوى القربى وكذا الخلفاء بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يعطونهم
ولا يفضلون فقيرا على غني لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أعطى العباس مع كثرة غناه
وكذا الخلفاء بعده وأحقه الشافعي بالميراث الذي يستحق باسم القرابة غير انهم يعطون
القريب والبعيد (والسماوي والمساكين وابن السبيل) قد تقدم بيان سهمهم قريبا والمراد
باليتم هنا هو الصغير المسلم الذي لا أب له فيعطى مع الحاجة اليه والمساكين هم أهل
الفاقة من المسلمين وابن السبيل هو المسافر البعيد عن ماله المنقطع في سفره فهذا مصرف
خمس الغنمة ويقسم أربعة أخماسها الباقية بين الغنائم الحاضر بن في الوقعة الحاضرة
للغنمة فيعطى للفارس ثلاثة أسهم سهمهم له وسهمان لفرسه وللرجل سهم واحد لحديث
ابن عمر في الصحيح وبه قال أكثر أهل العلم واليه ذهب الثوري والاوزاعي ومالك وابن

أول خلق بعده وان أول الخلائق
يكسب ابراهيم الا انه يجاب رجال
من أمي يوم القيامة فيؤخذ منهم
ذات الشمال فأقول أصحابي فقال
انك لا تدري ما أحسنوا بعدك
فأقول كما قال العبد الصالح وكنتم
عليهم شهداء ما دمت فيهم فلما توفيتني
كنتم أنت الرقيب عليهم وأنت على
كل شيء شهيد ان تعذبهم فأنهم عبادك
وان تغفر لهم فأنك أنت العزيز
الحكيم فقال ان هؤلاء لم يزلوا
مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم
ورواه البخاري عنده الآية عن
أبي الوليد عن شعبة وعن محمد بن
كثير عن سفيان الثوري كلاهما
عن المغيرة بن النعمان به وقوله ان
تعذبهم فأنهم عبادك وان تغفر لهم
فأنك أنت العزيز الحكيم هذا الكلام
يتضمن رد المشبهة الى الله عز وجل
فانه الفعل لما يشاء لا بسؤال عما
يقول وهم يسألون ويتضمن التبري
من النصارى الذين كذبوا على الله
وعلى رسوله وجعلوا لله ندا وصاحبة
وولدا تعالى الله عما يقولون علوا
كبرا وهذه الآية لها شأن عظيم وبها
يجيب وقد ورد في الحديث ان النبي
صلى الله عليه وسلم قام به ليلة الى

الصباح بردها قال الامام أحمد حدثنا محمد بن فضيل حدثني قتيب العاصم عن جسر العاصم عن أبي ذر رضي
الله عنه قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقرا بأية حتى أصبح يركع بها أو يسجد بها ان تعذبهم فأنهم عبادك وان تغفر لهم
فأنك أنت العزيز الحكيم فلما أصبح قلت يا رسول الله لم تقرأ هذه الآية حتى أصبحت تركع بها وتسجد بها قال اني سألت ربي عز
وجل الشفاعة لأمي فأعطانها وهي نائلة ان شاء الله لئن لا يشرك بالله شيئا وقال أخرى قال أحمد حدثنا يحيى حدثنا قدامة بن
عبد الله حدثني جسر بنت دجاجة انها انطلقت بمعمره فأنتمت الى الرينة فسمعت بأذريقول قام رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليلة من الليالي في صلاة العشاء فصلى بالقوم ثم تخلف أصحاب له يصلون فلما رأى قيامهم وتخلعهم انصرف الى رحله فلما رأى القوم قد

معنًا فقرأ ما من ذقة فبحجر فقال عمر
يا رسول الله إنك أتبعث إلى الناس
بهذا أنكوا عن العبادة فناداه أن
أرجع فرجع وتلك الآية إن تعذبهم
فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك
أنت العزيز الحكيم وقال ابن أبي
حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى
حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن
الحارث أن بكر بن سوادة حدثه
عن عبد الرحمن بن جبير عن
عبد الله بن عمرو بن العاص أن
النبي صلى الله عليه وسلم تلاقى
عيسى إن تعذبهم فإنهم عبادك
وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز
الحكيم فرجع بيده فقال اللهم أمتي
وبني فقال الله يا جبريل اذهب إلى
مجددك أعلم فسأله ما يسميه فاتاه
جبريل فسأله فأخبره رسول الله
صلى الله عليه وسلم عما قال فقال الله
يا جبريل اذهب إلى محمد فقل أنا
سأرضك في أمتك ولا تسئلك وقال
الإمام أحمد حدثنا حسين قال
حدثنا ابن لهيعة حدثنا ابن هيرة
أنه سمع أناتهم الجيئاني يقول حدثني
سعيد بن المسيب سمعت حذيفة بن
اليمان يقول غاب عنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يومًا فلم نجد حتى

ظننا ان ان يخرج فلما خرج سجد سجداً عظمتنا ان نفسه قد قبضت فيها فلما رفع رأسه قال ان ربي
 بهم قفلت ما شئت اى ربهم خلقك وعبادك فاستشارنى الثالثة فقلت له كذلك فقال لى لا
 من يدخل الجنة من امة معي سبعون الف قامع كل الف سبعون الف ليس عليهم حساب ثم ارسل
 لرسوله اوعظى ربي سؤل فقال ما ارسلنى اليك الا ليعطيك ولقد اعطاني ربي ولا خسر وعظمت
 حياصيحبا واعطاني ان لا يتويع امة ولا تغلب واعطاني الكثرة وهو نهر فى الجنة يسيل فى حيا
 يسبح بين يدي امة شهر او اعطاني انى اول الانبياء يدخل الجنة وطيب لى ولا مة الغنمة وأ

فلما ان ابن يخرج قلبا خرج سجد سجدتنا ان نفسه قد قبضت فيها فلما رفع رأسه قال ان ربى عز وجل استشارنى فى أمى ماذا افعل بهم فقلت ما شئت اى ربهم خلقك وعبادك فاستشارنى الثانية فقلت له كذلك فقال لى الاخرى انك فى امتك يا محمد وبشرنى ان اول من يدخل الجنة من امتى معى سبعون الف فراجع كل الف سبعون الف ليس عليهم حساب ثم ارسلى الى فقال ادع فاجب ولسن تقط فقلت لرسوله اومعطى ربى سوفى فقال ما ارسلى اليك الا ليعطيك ولقد اعطانى رضى ولا غرور وغفرلى ما تقدم من ذنبى وما تأخر وانا اشدشى حيا يصحبا واعطانى ان لا تجوع امتى ولا تغلب واعطانى الكثرة وهو نهر فى الجنة يسيل فى حوضى واعطانى العز والنصر والعب يسبحى بين يدى امتى شهر واعطانى انى اول الانبياء يدخل الجنة وطيب لى ولا متى الغنية واحسن لنا كثيرا ما سجدت على من قبلنا

والحسن وقتادة والضجالة وزيد بن أسلم وعطية والسدي ومقاتل بن حيان وغيرهم وقول الحسن في رواية عنه ثم قضى أجله وهو ما بين أن يخلق إلى أن يموت وأجل مسمى عنده وهو ما بين أن يموت إلى أن يبعث فهو يرجع إلى ما تقدم وهو تقدير الأجل الخاص وهو عمر كل إنسان وتقدير الأجل العام هو عمر الدنيا بما فيها من أحوالها وقضاها وزوالها والمصير إلى الله عز وجل لا شئرة وعن ابن عباس ومجاهد ثم قضى أجله يعني مدة الدنيا وأجل مسمى عنده يعني عمر الإنسان إلى حين موته وكانها خذ من قوله تعالى بعد هذا وهو الذي سوف أكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار (٤٠) الآية وقال عطية عن ابن عباس ثم قضى أجله يعني النوم يقضى فيه الروح

ثم يرجع إلى صاحبه عند القيطة وأجل مسمى عنده يعني أجل موت الإنسان وهذا قول غريب ومعنى قوله عنده أي لا يعلم إلا هو كقوله تعالى أعلمه عند ربي لا يعلمها إلا هو وكقوله يسألونك عن الساعة أيان مر ساعها فيما أتت من ذكراها إلى ربك منتهاها وقوله تعالى ثم أنتم تتسرون قال السدي وغيره يعني تكون في أمر الساعة وقوله تعالى (وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم ويخبركم ويعلم ما تكسبون) اختلف مفسرون وهذه الآية على أقوال بعد اتفاقهم على أنها كقول الجهمية الآية أول القائلين تعالى عن قولهم علوا كبيرا بأنه في كل مكان حيث حملوا الآية على ذلك فالأصح من الأقوال أنه المدعوى في السموات وفي الأرض أي بعدهم ويوحده ويقره بالآلية من في السموات ومن في الأرض وبسوءه الله ويدعونه بغيا ورجبا الأمن كفر من الجن والإنس وهذه الآية على هذا القول كقوله تعالى وهو الذي في السماوات وفي الأرض اله أي هو الهن في السماوات الهن في الأرض

على قتات وقد تجمع بالواو والنون جبرا لما نقص منها أي إذا حاربتم جماعة من المشركين (فانبتوا) لهم ولا تجنسوا عنهم وهذا إذا نفي الرخصة المتقدمة في قوله لا تمترقا لقتال أو تمترقا إلى فتنة فإن الأمر بالنبات هو في حال السعة والرخصة هي في حال الضرورة وقد لا يحصل النبات إلا بالتعرف أو التحين (واذكروا الله كثيرا) عند حزم قلوبكم فإن ذكره يعني على النبات في الشدائد وقيل المعنى انبتوا بقلوبكم واذكروا بالسننكم فإن القلب قد يسكن عند اللقاء ويضطرب اللسان فأمرهم بالذكر حتى يجمع ثبات القلب واللسان قيل وينبغي أن يكون ذلك في هذه الحالة بما قاله أصحاب طائفة ربنا أفرغ علينا صبرا ونبت أقدمنا وانصرنا على القوم الكافرين وفي الآية دليل على مشروعية الذكر في جميع الأحوال حتى في هذه الحالة التي ترجف فيها القلوب وترى عندها البصائر قال قتادة افترض الله ذكره عند أشغل ما يكونون عند الضراب بالسيف وأخرج الحاكم وصححه عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمان لا يردان الدعاء عند النداء وعند البأس حين يلجم بعضهم بعضا وأخرج الحاكم وصححه عن أبي موسى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يكره الصوت عند القتال (لعلكم تفعلون) أي كوفوا على رجا الفلاح والنصر والظفر (وأطعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا) أمرهم بطاعة الله فيما يأمرهم به وطاعة رسوله فيما يرشدهم إليه ومنهاهم عن التنازع وهو الاختلاف في الرأي فإن ذلك ينسب عنه الفشل وهو الجبن في الحرب وأما المنازعة بالجملة لظاهر الحق فآخرة كما قال جاهد لهم بالتي هي أحسن بل هي أمورهم بانسروا منها فمقدارها لظهور الحق على إسان أي الخصم وعلامته أن يفرح لظهوره على إسان خصمه (وتذهب ريحكم) الريح القوة والنصر كما يقال الريح لفلان إذا كان غالب في الأمر وقيل الريح الدولة شئت في نودا أمر هائل الريح هبوبها واختار أن الريح يطلق ويراد به القوة والغلبة والرجة والنصرة والدولة قال في الخازن الريح هنا كناية عن نفاذ الأمر وجرأته عن المراد بقول العرب هبت ريح فلان إذا أقبل أمره على ما يريد وقيل قتادة وابن زيد يعني ريح النصر ولم يكن نصرة قط الأبرع يعني الله نصرت وجوه العدو وموته قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم نصرت بالصبا وأهلك عاد بالبور (واصبروا إن الله مع الصابرين) أمرهم بالصبر على شدة الحرب وأخبرهم

وعلى هذا فيكون قوله يعلم سركم ويخبركم خيرا وأحالا والقول الثاني أن المراد الله الذي يعلم ما في السموات وما في الأرض من سر وجهر فيكون قوله يعلم متعلقا بقوله في السموات وفي الأرض تقدير وهو الله يعلم سركم ويخبركم في السموات وفي الأرض ويعلم ما تكسبون والقول الثالث أن قوله وهو الله في السموات وقف تام ثم استأنف الخبر فقال وفي الأرض يعلم سركم ويخبركم وهذا اختيار ابن جرير وقوله ويعلم ما تكسبون أي جميع أعمالكم خيرها وشرها (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتهم بأنهم كانوا به يستهزئون ولم يروا أنهم آلهة من قبلهم من قرون مضى

في الارض ما لم تكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فأهل كلهم بنوهم وأنشأنا من بعدهم قروا آخرين) يخبر تعالى عن المشركين المكذبين المعاندين أنهم كلما أتتهم من آية أي دالة ومعجزة وجهته من الدلائل حجة على وحدانية الله وصدق رساله الكرام فانهم يعرضون عنها فلا ينظرون اليها ولا يالون بها قال الله تعالى فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتهم بأنباء ما كانوا به يستترون وهذا تهديد لهم وعيد شديد على تكذيبهم بالحق بأنه لا بد أن يأتهم خبر ما هم فيه من التكذيب وليجدن غبه وليذوقن وبالته قال تعالى واعظا ومخذرا لهم (٤١) أن يصيبهم من العذاب والنكال الذي هو ماحل

بأسبابهم ونظراتهم من القرون السالفة الذين كانوا أشد منهم قوة وأكثر جمعاً وأكثر أموالاً وأولاداً وأواسع نفلاً للارض وعمارة لها فقال لهم بواكم أهل كل من قبلهم من قرن مكث في الارض ما لم تكن لكم أي من الاموال والاولاد والاعمار والجاه العريض والسعة والجنود ولهذا قال وأرسلنا السماء عليهم مدرارا أي شيأ بعد شيء وجعلنا الانهار تجري من تحتهم أي أكثرنا عليهم أمطار السماء ويشايح الارض استدرجا واملاهم فأهل كلهم بنوهم أي بخطاياهم وسيئاتهم التي اجتروها وأنشأنا من بعدهم قروا آخرين أي فذهب الاولون كأمس الازاهب وجعلناهم أحداث وأنشأنا من بعدهم قروا آخرين أي جلا آخر لتخبرهم فعملوا مثل أعمالهم فأهلكوا كاهلاكهم فأخذوا أي الخاطبون أن يصيبكم ما أصابهم ما أنتم بأعز على الله منهم والرسول الذي كذبوه أكرم على الله من رسولهم فأنتم أولى بالعذاب ومعالجة العقوبة منهم لولا لطفه

بأنه مع الصابرين بالنصر والعون في كل أمر ينبغي الصبر فيه وياحبذا هذه المعية التي لا يغلب من رزقها غالب ولا يوتى صاحبها من جهة من الجهات وان كانت كثيرة (ولا تكونوا) في البطور والاستبكار (كالذين خرجوا من ديارهم) أي مكة (بطرا) أي غرا وأشرأ (ورثاء الناس) فيصيبكم مثل ما أصابهم فهاهم عن أن تكون حالتهم حالة هؤلاء وهم قريب من خروجهم يوم بدر ليحفظوا العير التي مع أبي سفيان ومعهم القيان والمعازف فلما بلغوا الحفة بلغهم أن العير قد هجرت وسبقت فخرجوا بيل قالوا ابدلهم من الوصول الى بدر بشر أو الخمر ونغني لهم القيان وتجمع العرب بمخرجهم فكان ذلك منهم بطرا وأشرأ وطلب للناس والناس والتدحج اليهم والتفخر عندهم وهو الرأه قيل والبطر في اللغة التقوى بنى الله على معاصيه أي خرجوا بطر من رأتين أو خرجوا للبطر والرأه قال الزجاج البطر الطغیان في النعمة وترك شكرها وجعلها وسيلة الى ما لا يرضاه الله والرأه اظهار الجليل مع ابطان الصبيح وقيل معناهما التفخر بالنعمة ومقابلتها بالتكبر والخيلاء والتفخر بها والرائه صدر رأى كقاتل قتالا وظاهر النظم الكبر في ان قوله بطر متعلق بخروجهم وهو لا يوافق الواقع لان خروجهم كان لغرض مهم وهو المنع عن عيرهم ولهذا جعله السوطي متعلقا بعد ذوق وقد نزعوا عنه أي أخرى حيث قال خرجوا من ديارهم لينعوا عيرهم ولم يرجعوا بعد فتحها بطرا فجعله الله لهذا المقدرو هو قوله ولم يرجعوا والمعنى عليه واضح ولم يسل هذا المسالك غيره عن رأينا من المفسرين عن قتادة قال ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ اللهم انقرب شأقا فقبلت بنخرها وخيلا ثم تجادل رسولك وقال جاءت من مكة افلاذها وقد احجج بهذه الآية الشيخ عبد العزيز الدهلوي على انه لا يجوز طوف البلد للعروس بركوب الخيل وغيرها كما اعتاده أهل الهند في عقود مناجاتهم (ويصدون عن سبيل الله) عطف على بطرا ان جعل مصدر في موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا لكن على تأويل المصدر يعني صابرين عن دين الله وألصقته والصد اضلال الناس والخيولة بينهم وبين طرق الهداية ويجوز أن يكون ويصدون معطوف على يخرجون والمعنى يجمعون بين الخروج على تلك الصفة والصد وفكته التعبير بالاسم وألصق الفعل ان البطور الرأه كأباد أي بخلاف الصد فانه يتجدد لهم في زمن السبوة قاله الشهاب (والله بما يعملون محيط) لا يخفى عليه من أعمالهم خافية فهو مجازيهم

(٦ - فتح السان ح) واحسانه ولو زلنا عليك كنانا قرطاس فليسو بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الاصحمين وقالوا لو انزل عليه كتاب ولو انزلنا ما لكافى الا امرئ لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ولربنا عليهم ما يلبسون ولقد استمرئى برسل من قبلنا فاق بالذين يخفونهم ما كانوا يستترون في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) يقول تعالى مخبرا عن عناد المشركين للعق ومنازعتهم فيه ولو زلنا عليك كنانا قرطاس فليسو بأيديهم أي عيانوه ورأوا نزوله وباشروا بذلك افعال الذين كفروا ان هذا الاصحمين وهذا كما قال تعالى مخبرا عن مكابرتهم المحسوسات ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا

ففيه يعرجون فقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون وكقوله تعالى وان رآك فساقطوا السباع فاسقاطوا السباع
من كومهم وقالوا لا نزل عليه ملك أى يكون معه قال الله تعالى ولو انزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون أى لو نزلت الملائكة على
ما هم عليه لجاهدهم من الله العذاب كما قال تعالى ما نزلنا الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين وكقوله يوم يرون الملائكة لا بشرى
بمنذ للمعمرين الآية وقوله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ولنبسنا عليهم ما يلبسون أى لو انزلنا مع الرسول البشرى ملكا
أو ولو بعنا الى البشر رسول ملكا لكان (٤٢) على هيئة الرجل ايكنهم مخاطبته والاتقاء بالخذع عنه ولو كان كذلك لاتنس عليهم

الامر كما هم يلبسون على انفسهم
في قبول رسالة البشرى كقوله
تعالى قل لو كان في الارض ملائكة
يشكون مطمئنين انزلنا عليهم من
السماه امكارا وسلافا في رحمة تعالى
بخلقه ان يرسل الى كل صف من
الخلق رسلا منهم ليدعوا بعضهم
بعضا وليكن بعضهم أن يتنفع بعض
في المخاطبة والسؤال كما قال تعالى لقد
من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم
رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته
ويركهم الآية قال الضحاك عن ابن
عباس في الآية يقولوا انهم ملك
ما انهم الا في صورة رجل لانهم
لا يستطيعون النظر الى الملائكة
من النور ولنبسنا عليهم ما يلبسون
أى ونخلطنا عليهم ما يخلطون وقال
الوالى عنه ولشبهنا عليهم وقوله ولقد
استزرى برسل من قبل الخلق بالذين
سبوا منهم ما كانوا يمسحون
هذه نسبية للنبي صلى الله عليه وسلم
في تكذيب من كذبه من قومه
ووعده وللمؤمنين به بالنصرة
والعاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة
ثم قال تعالى قل سيرا في الارض ثم
انظروا كيف كان عاقبة المكذبين

أي فكروا في انفسكم وانظروا ما أحل الله بالقرون الماضية الذين كذبوا رسوله وعادوه من العذاب
والسكال والعقوبة في الدنيا مع ما دخلهم من العذاب الاليم في الآخرة وكيف نجى رسوله وعبياده المؤمنين (قل لمن مافي السموات
والارض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليعصمكم الى يوم القيامة لا ريب فيه الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون وله ما سكن في
الليل والنهار وهو السميع العليم قل أعظم الله أخذوا ليا فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يقطع قل انى أمرت أن أكون أول من
أسلم ولا تكون من المشركين قل انى أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم من يصرف عنه مثد قدره وذل انقور المدين) يخبر

فَعَالَى إِيَّاهُ مَلَائِكَةُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهَا وَأَنَّهُ قَدْ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الْمَقْدَسَةِ الرَّحْمَةُ كَمَا فِي الصَّحِيفَةِ مِنْ طَرِيقِ الْأَعْمَاشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ مَخْلَقُ الْخَلْقِ كَتَبَ كِتَابًا عِنْدَ فَوْقِ الْعَرْشِ إِنْ رَجَعْتَ تَغْلِبُ غَضَبِي وَقَوْلُهُ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ هَذِهِ الْأَلَامُ مَوْطِئَةٌ لِقَسَمٍ فَإِنَّهُ يَنْفُسُ الْكَرِيمَةَ لِيَجْمَعَ عِبَادَهُ لِمَقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ الَّذِي لَا رَيْبَ فِيهِ أَيْ لَا شَكَّ عِنْدَ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ فَأَمَّا الْجَاذِبُونَ الْمَكْدُوبُونَ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ وَقَالَ ابْنُ مَرْدُودٍ عِنْدَ تَفْسِيرِهِ هَذِهِ الْآيَةُ حُشَاةٌ مَجْنُونٌ أَجْدُنُ إِبْرَاهِيمَ حُشَاةٌ عَبِيدُ اللَّهِ بْنِ أَجْدٍ (٤٣) بِنِ عَقِيْبَةِ حُشَاةٍ عَبَّاسٍ مِنْ مَجْدِ حُشَاةٍ حَسْبِ

قالوا هذه المقالة عند خروج المسلمين الى بدر لما رأوا هم في قلة من العدد وضعف من العدد
فاجاب الله عليهم بقوله (ومن يتوكل على الله) يتق به (فان الله عزيز) لا يغلبه غالب
ولا يذل من توكل عليه (حكيم) له الحكمة البالغة التي تقصر عندها العقول (ولوترى)
الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل من يصلح له كما تقدم تحقيقه في غير موضع
والرؤية نصيرية والمعنى لورأت (أذيتوفى الذين كفروا الملائكة) لان الويقيب
المضارع ماضيا أى ولوترى الكافرين وقت توفى الملائكة لهم قيل أرا دالين كفروا ومن
لم يقتل يوم بدر وقيل هي فين قتل بيدرو وجواب لو محذوف تقديره لم آت أمر اعظيما
(يضر بون وجوههم) أى جهة الامام (وأديارهم) أى جهة الخلف بعنى استاهم
كنى عن ابدالابار وقيل ظهورهم مقام من حديد وهذا نص في ان ملائكة الموت عند
قبضها لروح الكافر تضر بهما ~~عذ~~ كرو تقول له ما ذكر ان كان كالمحجوبين عن رؤية ذلك
وسماعه واختلقوا في وقت هذا الضرب فقبل يكون عند الموت تضرب الملائكة وجوه
الكفار وأديارهم بسياط من نار كما يفيد ذكر التوفى وقيل هو يوم القيامة حين يسرون
بهم الى النار قال ابن جرير يدمأ قبل من اجسادهم وأدبر يعنى يضر بون جميع
اجسادهم قيل كان المشركون اذا اقبلوا بوجوههم على المسلمين ضربت الملائكة
وجوههم بالسيف واذا ولوا أديارهم ضربت الملائكة اديارهم قيل كان معهم مقام
من حديد محجمة بالنار يضر بون بها الكفار فتلثم النار في جراحاتهم (و) يقول لهم خذ
جهنم عند القتل (ذروا عذاب الخريق) أى المحرق وقال ابن عباس تقول لهم
الملائكة ذلك بعد الموت وقال الحسن هذا يوم القيامة والنوق قديكون محسوسا وقد
يوضع موضع الاطلاع والاختبار واصله من النوق بالهم (ذلك) اشارة الى ما تقدم من
الضرب والحرق والعذاب والقتل (عما قدمت أيديكم) اى واقع بسبب ما كنتم
من المعاصي واقرتم من الذنوب هذا من جملة قول الملائكة عبر بها دون غيرها لان اكثر
الافعال تراول بها (وان الله ليس بظلام للعبيد) اى والامر الله لا يظلمهم او ذلك العذاب
بسبب المعاصي وبسبب ان الله ليس بنى ظلم لهم فيعذبهم بغير ذنب لانه سبحانه قادر على
اليهم رسله وانزل عليهم كتبه وأوضح لهم السبل وهذا هم التجدين كما قال سبحانه وما
ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون والجملة اعتراض تذييل مقرر باضخون ما قبلها

ولا مكفور ولا مستغنى عنه الحمد لله الذى أطعمنا من النعم وسقانا من الشراب وكسانا من العرى وهذا من الفضل وبصرنا من
النعم وفصلنا على كثير من خلقه تفضيلا الحمد لله رب العالمين قل انى أمرت أن أكون أول من أسلم أى من عباده الامه ولا تكون من
المشركين قل انى أخاف ان عصمت ربى عذاب يرم عظيم يعنى يوم القسامه من يصرف عنه أى العذاب يومئذ فقد رجه يعنى فقد رجه
الله وذلك هو التوراة الذين كقولهم نحن نرجع عن النار وأدخل الجنة فقد فاز والتوراة حصول الرجم وثقي الحسارة (وان عسى الله
يفضل فلا تكتب له الاخوان يسلك بغيره هو (٤٤) على كل شئ قدير وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير قل أى شئ اكبر

(كذاب) لما ذكر سبحانه ما انزل به لاهل بيده بما يدل على ان هذه سنته في فرق الكافرين
وأصل الدأب في اللغة ادامة العمل يقال فلان يدأب في كذا اذا دام عليه وانعب
نفسه فيه ثم سميت العادة دأبا لان الانسان يدام على عادته وواظب عليها اى دأب هؤلاء
في كفرهم مثل دأب (آل فرعون والذين من قبلهم) والمعنى انه جوزى هؤلاء كما
جوزى أولئك فكانت العادة في عذاب هؤلاء كالعادة الماضية لله في تعذيب طوائف
الكفر من الامم الماضية المكذبة فيما فعلوا وفعولهم (كفروا بايات الله) مفسرة
لدأب آل فرعون وبيان ان عليهم هذا هو انهم كفروا بها (فأخذهم الله بذنوبهم)
هذا بيان لما فعل بهم اى قسب عن كفرهم اخذ الله سبحانه لهم والمراد بذنوبهم معاصيهم
المتروكة على كفرهم قالوا لم لا يسهى اى أخذهم متسللين بذنوبهم غير نائمين عنها (ان الله
قوى) على ما يريد (شديد العقاب) جملة معترضة مقرطة لضمون ما قبلها (ذلك) أى
العقاب الذى أنزل الله بهم (بان الله لم يكن) يجوزوم يكون التوراة المحذوفة تحقيقا أى
ما كان (مغفرة انعمه على قوم) المراد بالنعمة هو محمد صلى الله عليه وسلم أنهم بها
على قريب فكفروا به وكذبوه فقتله الله الى الانصار قاله السدى والجملة جارية مجرى
التعليل لما حل بهم من عذاب الله أى ان ذلك العقاب بسبب ان عادة الله في عباده عدم
تغير النعمة التى ينعم بها عليهم بمدا لها بالنعمة (حتى يغيروا ما بانفسهم) من الاحوال
والاخلاق بكفران نعم الله ونعمه (١) احسانه واهماله واهله ونواهيهم وهذا من الحال
المرضية والحقبة فكما تغير الحال المرضية الى المسخوطة كذلك تغير الحال المسخوطة الى
ما هو أسوأ منها هذا حاصل ما فى الكشف وذلك كما كان من آل فرعون ومن قبلهم ومن
قريش ومن يمانهم من المشركين فان الله فتح لهم أبواب الخيرات فى الدنيا ومن عليهم
بارسال الرسل وانزال الكتب فقبالوا عذبه التهم بالكفر فاستحقوا تغيير النعم كما غيروا
ما كان يجب عليهم سلوكه والعمل به من شكرها وقبولها ووجله (وان الله سميع علم)
معطوفة على ما قبلها اذا خلت معها فى التعليل اى ذلك بسبب ان الله لم يك مغفرا بسبب ان
الله سميع سمع ما يقولونه وعلم يعلم ما يفعلونه ثم كرما تقدم فقال (كذاب آل فرعون
والذين من قبلهم) لقصد التاكيد مع زيادة انه كالبان لا اخذ بالذنوب بانه كان بالاغراق
وقيل ان الاول باعتبار ما فعله آل فرعون ومن شبههم والثانى باعتبار ما فعل بهم وقيل

شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم
وأوحى الى هذا القرآن لانه ربه
ومن بلغ أشكم ليشهدون ان مع الله
الهة أخرى قل لا أشهد بقل انما هو الله
واحد وانى يرى مما يشركون الذين
أنتاهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون
أبائهم الذين خسروا أنفسهم فهم
لا يؤمنون ومن أظلم ممن افترى على
الله كذبا أو كذب بايانا انه لا يبلغ
الظالمون يقول تعالى يخبر الله ما لك
الضر والنفع وانه المتصرف فى خلقه
بما يشاء لا معقب لحكمه ولا راد
لقضائه وان يسلك الله بضر فلا
كاشف له الا هو وان يسلك بخير
فهو على كل شئ قدير كقوله تعالى
ما ينفع الله الناس من رحمة فلا يسلك
لها وما يسلك فلا مرسل لمن بعده
الآية وفى الصحيح أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم
لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما
منعت ولا ينفع ذا الجحيم مثيب الجحيم
ولهذا قال تعالى وهو القاهر فوق
عباده أى هو الذى خضعت له
الرقاب وذلك له الجبارة وعنت له
الجيوش وقهر كل شئ ودانت له
الخلايق ونواضعت له طمعة جلالة

وكبريائه وعظمته وعلو قدرته الاشياء واستكانت وقضاه بين يديه ونحت قهره وحكمه وهو الحكيم أى فى
جميع أفعاله الخبير بوضوح الاشياء ومحالها فلا يعطى الامن يستحق ولا ينزع الامن يستحق ثم قال قل أى شئ أكبر شهادة أى من
أعظم الاشياء قل الله شهيد بينى وبينكم أى هو العالم بما جئتمكم به وما أنتم قائلون ولأوحى الى هذا القرآن لانه ربه ومن بلغ أى
وهو يشهد لكل من بلغه كقوله تعالى ومن يكفر به من الاحزاب فالارومعة قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سبيد عن عبد الله بن مسعود
وأبو أسامة وأبو خازن عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب بن جعفر عن كعب بن جعفر عن كعب بن جعفر عن كعب بن جعفر عن كعب بن جعفر
(١) الغصص كفران النعمة اه منه

زاد أبو خالد وكلور وأبو ابن بر من طريق أبي معشر عن محمد بن كعب قال من بلغه القرآن فقد بلغه محمد صلى الله عليه وسلم
وقال عبد الرزاق عن معمر بن قتادة في قوله تعالى لا تدركهم فهو من بلغ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بلغوا عن الله فمن
بلغته آية من كتاب الله فقد بلغه أمر الله وقال الربيع بن أنس حق على من أتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو كالذي
دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يندثر بالذي أندثر وقوله أتستكفون أن تقولوا لا تدركهم أن مع الله آلهة أخرى قل لا تدركهم
كقوله فان شهدوا فلا تشهد معهم قل انما هو الله واحد وانني بريء (٤٥) مما تشركون ثم قال تعالى فخير ان من أهل الكتاب

انهم يعرفون هذا الذي جئتهم به كما يعرفون ابناءهم بما عندهم من الاخبار والاتباع وان الرسل
كلهم يشربون وجود محمد صلى الله عليه وسلم ومبعثه وصفته وبلده ومهاجرة وصفة أمته ولهذا قال
بعده الذين خسروا أنفسهم أي خسروا كل الخسارة فهم لا يؤمنون بهذا الامر الجلي الظاهر الذي بشر به الانبياء ونوهت به في قديم الزمان
وحديثه ثم قال ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته وحججه وبراهينه ودلائله انه لا يفلح الظالمون اي لا يفلح لاهذا ولا هذا الا المستري ولا المكذب (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم وظل عنهم ما كانوا يفترون ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جأؤك من بعد ان كذبوك يقولون ان الذين كفروا ان هذا الاساطير الاولين وهم يبنون

المراد بالاول كفرهم بالله والثاني تكذيبهم الانبياء وقيل الاول اخبار عن عذاب لم يمكن الله أحدا من فعله وهو ضرب الملائكة وجوهم وأدبارهم عند نزاع أرواحهم والثاني اخبار عن عذاب ممكن الله للناس من فعل مثله وهو الاهلاك والاعراق وقيل غير ذلك مما لا يخفى عن نفسك وفي قوله (كذبوا بايات ربهم) زيادة دلالة على كفران النعم وجود الحق والكلام في (فأهلكناهم بنفوسهم) كالكلام المتقدم في فأخذهم الله بنفوسهم قيل المعنى أهلكتناهم بالحققة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالخجارة وبعضهم بالبرص وبعضهم بالمسخ فكذلك أهلكتنا كفار قريش بالسيف (وأغرقنا آل فرعون) أي قومه معهم معطوف على أهلكتناهم عطف الخاص على العام لفظا عتته وكونه من أشد أنواع الاهلاك (وكل كانوا ظالمين) حكم على كلا الطائفتين من آل فرعون والذين من قبلهم ومن كفار قريش بالظلم لانفسهم بما نسبوا به لعذاب الله من الكفر بالله وآياته ورسوله وبالظلم لغيرهم كما كان يجري منهم في معاملاتهم للناس بأنواع الظلم والتكذيب لانبيائهم وجمع الضمير في كانوا في ظالمين مرعاة للمعنى كل لان كل ممتنع عن الاضافة جازم راعاة لفظها تارة ومعناها أخرى وانما اختير هنا مرعاة للمعنى لاجل القواصل ولوروى اللفظ فقط فقيل وكل كان ظالمين تتفق القواصل قاله السمين (انشر الدواب عند الله الذين كفروا) أي شر ما يدب على وجه الارض في حكم الله وقضائه المصرون على الكفر المتنادون في الضلال وجعلهم شر الدواب لاشتر الناس اعيانهم الى انسلخهم عن الانسانية ودخولهم في جنس غير الناس من أنواع الحيوان لعدم تعقلهم لمافيه رشادهم ومع ذلك هم شر من جميع افرادها حسبما نطق به قوله تعالى انهم الا كالانعام بل هم أضل عن سعيدين جبر قال زيات في ستة هط من اليهود فيهم ابن تاوت ولهذا قال (فهم لا يؤمنون) أي هذا شأنهم لا يؤمنون أبدا ولا يرجعون عن الغواية أصلا وهذا حكم مترتب على تعاديهم في الكفر ورسوخهم فيه ونسجيل عليهم بكونهم من أهل الطمع لا يلوئهم صارف ولا ينهم عاطف أصلا جى مبه على وجه الاعتراض لانه عطف على كفروا داخل معه في حيز الصلة التي لاحكم فيها بالتسليم قاله أبو السعود (الذين عاهدت منهم) أي أخذت منهم عهدهم ان لا يعينوا المشركين أي كفار مكة قبيل من في

عنه يؤمن عنه وان لم يكون الا أنفسهم وما يشعرون يقول تعالى فخير ان من أهل الكتاب عن الاصنام والاداد التي كانوا يعبدونها من دونه قائلين أشركوا الذين كنتم تزعمون كقوله تعالى في سورة القصص ويوم يناديهم فيقول أي شركائي الذين كنتم تزعمون وقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم أي حجتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين قال الضمك عن ابن عباس ثم لم تكن فتنتهم أي حجتهم وقال عطاء الخراساني عنه أي معذرتهم وكذا قال قتادة وابن جبر عن ابن عباس أي قيلهم وكذا قال الضمك وقال عطاء الخراساني ثم لم تكن بليتهم حين أسألو الا أن قالوا والله ربنا ما كنا

وبنوهن عنه وكذا قال قتادة ومجاهد والفخاء وغير واحد وهذا القول أظهر والله أعلم وهو اختيار ابن جرير والقول الثاني زوا سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن سمع ابن عباس يقول في قوله وهم ينهون عنه قال نزلت في أي طالب كان ينهى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن يؤذى وكذا قال القاسم بن مخيمرة وحبيب بن أبي ثابت وعطاء بن ديار وغيرهم أنهم أنزلت في أي طالب وقال سعيد بن جبير بن هلال نزلت في عومة النبي صلى الله عليه وسلم وكاوا عشرة فكلوا أشد الناس معه في المعالينة وأشد الناس عليه في السرور واه ابن أبي حاتم وقال محمد بن كعب القرظي وهم ينهون عنه (٤٧) أي ينهون الناس عن قتله وقوله وينهون عنه أي

يتقاعدون منه وأنهم لا يتقاعدون أنفسهم وما يشعرون أي وما يتقاعدون بهذا الصنيع ولا يعودون إليه وما يشعرون (ولو ترى) أدفعوا على السارق فقلوا بالنسبة نردوا لا تكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدلهم ما كانوا يحقون من قبل ولوردوا العادوا لما نهوا عنه وأسلم لكاذبون وقالوا جميعون ولو ترى أدفعوا على ربهم قال ليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فدفعوا العذاب بما كنتم تكفرون) يذكرون حال الكفار يوم القيامة إذ دفعوا على النار وشاهدوا ما فيهم من السلاسل والغلال ورأوا بأعينهم تلك الأمور العظام والأحوال فعد ذلك قالوا بالتنازل ولا تكذب بآيات ربنا نتمنون أن يردوا إلى الدار الدنيا ليعملوا عملا صالحا ولا يكذبوا بآيات ربهم ويكونوا من المؤمنين قال الله تعالى بل بدلهم ما كانوا يحقون من قبل في أنفسهم من الكفر والتكذيب والمعاناة وأنكروها في الدنيا وفي الآخرة كما قال قبله يسير ثم تكن قنتهم الآن قالوا

على وجه يستوي في العلم بالنقض أقصاهم وأدناهم أو تستوي أنت وهم فيه لئلا يتموله بالغدر قال الكسائي السواء العدل وقد يكون معنى الوسط ومنه قوله في سواء الخبيث وقيل معنى على سواء على جهرا على سرا والظاهر أن هذه الآية عامة في كل معاهد يخاف من وقوع النقض منه قال ابن عطية والذي يظهر من ألفاظ القرآن أن أمر في قرينة انقضت عند قوله فسردهم من خلفهم ثم ابتدأ بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدلهم ما كانوا يحقون من قبل لأن المناجزة قبل أن يبذلهم على سواء ويحتل أن تكون عائدة إلى القوم الذين يخاف منهم الخيانة (ولا يحسن الذين كفروا سقوا) أي قالوا أعذابه وخلصوا ونجوا منه وما يؤمنهم بدروا فقلوا من أن ينظر بهم وعلى القراءة الفوقية يكون الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي قراءة واضحة قاله أبو السعود وقال الخفاجي وهي غائرة وقد زعم جماعة من النحويين منهم أبو حاتم أن قراءة من قرأ يحسن بالتحسية لئلا يحل القراءة بها لأنه لم يأت ليحسن بفعول وهو يحتاج لفعولين قال النحاس وهذا محتمل شديد ومعنى هذه القراءة ولا يحسن من خلفهم الذين كفروا سقوا فيكون الضمير يعود على ما تقدم الآن قراءة التاء أي قال الخفاجي وأما القراءة بالياء للغلبة ففسدها الزمخشري وقال أنها غير نيرة وقد ردوا عليه ذلك بوجهين * الأول أن جزءه وفصاوا بن عامر وغيرهم قرأوها * والثاني أن قوله أنها غير نيرة ليس كما زعم فاعلم أن من الشمس في وسط النهار لأن فاعل يحسن ضمير أي لا يحسن هو أي قبيل المؤمنين أو الرسول أو الخاسب أو من خلفهم أو أحدها لأنه معاوم من الكلام فلا يريد عليه أنه لم يسبق له ذكر أو ما حذف الفاعل فلا يخطر بالبال كما توهم وعليه ففعول الذين كفروا سقوا وقيل الفعل مسند إلى الذين كفروا أو المفعول الأول محذوف وسبقوا هو الثاني أي لا يحسن الذين كفروا أنفسهم سابقين انتهى (أنهم لا يجزون) تعليل لما قبلها أي أنهم بهذا السبق لا يفوتون ولا يجزون طلبهم عاجزا عن إدراكهم والانتقام منهم وقيل المراد بهذه الآية من أفلت من وقعة بدر من المشركين والمعنى أنهم وإن أفلتوا من هذه الواقعة ونجوا فأنهم لا يجزون بل هم واقعون في عذاب الله في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بعذاب النار وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم

والله ربنا ما كنا مشركين أنظر كيف كذبوا على أنفسهم ويحتل أنهم أظهر وأما كانوا يعملونه من أنفسهم من صدق ما جاءت به الرسل في الدنيا وإن كانوا يظهر ولا تباعهم خلافة كقوله مخبرا عن موسى أنه قال لفرعون لقد علمت ما أتزل هؤلاء الأرب السموات والأرض بصائر الآية وقوله تعالى مخبرا عن فرعون وقومه وحدها واستبقتهما أنفسهم ظالما وعالما ويحتمل أن يكون المراد بهؤلاء المنافقين الذين كانوا يظهر الإيمان للناس وسيطنون الكفر ويكون هذا أخبارا عما يكون يوم القيامة من كلام طائفة من الكفار ولا ينافي هذا كون هذه مكية والتفاق إنما كان من بعض أهل المدينة ومن حولها من الأعراب فقد ذكر الله وقوع التفاق في

سورة بكتة وهي العنكبوت فقال ولعل الله الذين آمنوا وليعلن المنافقين وعلى هذا فيكون اخبارا عن حال قول المنافقين في الدار الآخرة حين يما بنون العذاب يظهر لهم حينئذ ما كانوا يطنون من الكفر والشقاق والنفاق والله أعلم وأما معنى الاعتراض في قوله بل بئس لهم ما كانوا يحتفون من قبل فاتهم ما طلبوا العود الى الدنيا رغبة في الايمان بل خوفا من العذاب الذي عاينوه جزاء على ما كانوا علمه من الكفر فالرجعة الى الدنيا ليخلصوا عما شاهدوا من النار ولهذا قال ولورد العاد والماتم واعنه وانهم لكانون أى في طلبهم الرجعة رغبة ومحبة (٤٨) في الايمان ثم قال مخبر عنهم انهم لوردوا الى الدار الدنيا ليعادوا والمنمو واعنه وانهم

لكانون أى في قولهم بالتنازد
ولا تكذب بآيات ربنا وتكون
من المؤمنين وقالوا ان هي الاحياتا
الدنيا ومانحن نبعون أى لعادوا
لما نموا عنه وانهم لكانون ولقالوا
ان هي الاحياتا الدنيا اى ما حي
الاشه الحياة الدنيا ثم لا معاد بعد ها
ولهذا قال وما نحن نبعون ثم قال
ولو ترى اذ وقفوا على ربهم أى
وقفوا بين يديه قال أليس هذا
بالحق أى أليس هذا المعاد بحق
وليس بساطل كما كنتم تظنون قالوا
بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما
كنتم تكفرون أى بما كنتم
تكذبون به فذوقوا اليوم مسه
أفسح هذا أم أتم لا تبصرون
قد خسر الذين كذبوا بلفظ الله حتى
اذابهم الساعة بغصة قالوا
يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم
يحملون أوزارهم على ظهورهم
ألا سامزون وما الحساة الدنيا
اللاعب وهو والدار الآخرة
خير للذين يتقون أفلا تعقلون
يقول تعالى مخبرا عن خسارته
كذب بلفظه وعن ندامته على ما فرط

من العمل وما أسلف من قبيح الفعل ولهذا قال حتى اذابهم الساعة بغصة قالوا يا حسرتنا
على ما فرطنا فيها وهذا الضمير يحتمل عوده على الحياة وعلى الأعمال وعلى الدار الآخرة أى في أمرها وقوله وهم يحملون أوزارهم
على ظهورهم الاسماء مازون أى يحملون وقال قتادة يحملون أوزارهم أى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد عن عمرو
ابن قيس عن أبي مرزوق يستقبل الكافر والقاهر عند خروجه من قبره كما قيل صورة رأته أو أتت رجلا فيقول من أنت فيقول
أوما نعرف فيقول لا الا ان الله قبح وجهك وأتت رجلا فيقول اناعلك الخبيث هكذا كنت في الدنيا حيث العمل منتبه
فقال ما ركبتني في الدنيا لم أركب فهو قوله وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم الآية وقال أسباط عن السدي انه قال ليس من

رسول ظالم يدخل قبره الاحمر جيل فيجئ الوجه اسود اللون من بين الرشح وعليه ثياب دسيسة حتى يدخل معه قبره فاذا رآه قال ما اقبح وجهك قال كذلك كان غلامك قبيحا قال ما اثنى عليك قال كذلك كان غلامك مستنثا قال ما ادنس ثيابك قال لان غلامك كان دنسا قال لمن اذنت قال انا غلامك قال فيكون معنقه قبره فاذا دعت يوم القيامة قال له اني كنت احلك في الدنيا بالذات والشهوات واانت اليوم تحملي قال فيركب على ظهره فيسوقه حتى يدخله النار فذلك قوله وهم يحسبون انهم يحسون انهم يحسون (٤٩) قد نعلم انه ليجزئك الذي وقوله وما الحياة الدنيا الا لعب ولهواى اغتافها والدار الآخرة خير للذين يتقون (٤٩)

يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولقد كذبت رسلا من قبلك فصر واعي ما كذبوا واودوا حتى آناهم نصربا ولا تبدل لك آيات الله ولقد جاءك

من نبأ المرسلين وان كان كبير عليك اعراضهم فان استطعت ان تبغى نفسك في الارض اوسما في السماء

فأتيتهم بآية ولوا الله لجمعهم على الهدى فلا تكون من الجاهلين اغما يصيب الدين يسمعون

والموق يعظم الله ثم اليه يرجعون يقول تعالى مسلما لنبيه صلى الله عليه وسلم في تكذيب قومه له

ونحن اتينهم اياه وقد نعلم انه ليجزئك الذي يقولون أى قد اخطأنا عما تكذبهم لك وحزنك وتأسفك عليهم كقوله فلا تخزي نفسك عليهم حسرات كما قال تعالى في الآية الاخرى لعالمنا باخع نفسك

أن لا يكونوا مؤمنين فلهذا باخع نفسك على آثامهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا وقوله فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله

يجحدون أى لا يتهمونك بالكذب في نفس الامر ولكن الظالمين

ففتح البيان ح) بآيات الله يجحدون أى ولكنهم يعادون الحق ويدفعونه بصدورهم كما قال سليمان النورى عن أبى

اسحق عن ناجية بن كعب عن علي قال قال أبو جهل للذي صلى الله عليه وسلم ان لا تكذب ولكن تكذب بما جئت به فانزل الله فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ورواه الحاكم عن طريق اسرائيل عن أبى اسحق ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم

يجزاه وقال ابن أبى حاتم حدثنا شاذان بن الوزير الواسطي عكة حدثنا بشر بن الميسر الواسطي عن سلام بن مسكين عن أبى يزيد المذني ان النبي صلى الله عليه وسلم لقي أبا جهل فذاخه فقال له رجل الأراك تصافى هذا الصابي فقال الله اني لاعلم انبيى ولكن متى

كالنبي عند مناف تبعا وتلا أبو يزيد فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون وقال أبو صالح وقتادة يعلمون انك

سبيل الله ومن فسر القوة بكل ما تقوى به في الحرب جعل عطف الحبل من عطف الخاص على العام وقد ورد في استحباب الرى وما فيه من الاجر واستحباب اتخاذ الخيل واعدادها وكثرة ثواب صاحبها احدثت كثيرا لا يسع المقام بسطها وقد افرد ذلك جماعة من العلماء بمصنفات (ترهبون به عدو الله وعدوكم) الترهيب التخويف والضمير في به راجع الى ما في ما استطعتم الى المصدرا لله يوم من وأعدوا وهو الاعداء فقله ترهبون اما حال من فاعل أعدوا أو من مفعوله أى حصلوا عليهم هذا حال كونكم حريين أو أعدوه مراهبه وجازت به لكل منهم لان في الجلالة خبرهم وما المراد بعدد الله وعدوهم هم المشركون من أهل مكة وغيرهم من مشرك العرب (وأخرين من دوزهم) معطوف على عدو الله وعدوكم بمعنى من دوزهم من غيرهم قيل هم اليهود وقيل فارس والروم وقيل المنافقون وفيه بعد وقيل كفار الجبل قاله الحسن ورجحه ابن جرير الطبري وهو أبعد وقيل المراد كل من لا تعرف عداوته قاله السهمي وقيل هم شوقيطة خاصة وقيل غير ذلك والاولى الوقت في تعيينهم لقوله (لأن تعلمونهم) أى لا تعرفونهم بأعيانهم ومن عنيهم قال أى لا تعلمون بواطنهم وما انظروا عليه من المنافق والعلم فيه قولان أحدهما أنه سئلوا احدا لا يدعي المعرفة ولذلك تعدي واحد والثاني أنه على بابه فيتعدي لاشين والثاني محذوف أى لا تعلمونهم فارعين ومحاربين وهذا القولان لا يجوز أن يجزيا في قوله (الله يعلمهم) بل يجب أن يقال انه المتعدي الى اثنين وأن ثابتهما محذوف للفرق بين العلم والمعرفة بوجوه منها أن المعرفة تستدعي سبق جهل ومنها أن متعلقها الذوات دون النسب وقد اتفق العلماء على أنه لا يجوز أن يطلق الوصف بالمعرفة على الله تعالى وهذا لا يراد لانه ليس في الآية اطلاق اسم العارف عليه وانما فيها اطلاق اسم العلم وان كان بمعنى العرفان (وما تنفقوا من شئ في سبيل الله) أى في الجهاد وإن كان بسرا حقيقا وقيل هو امر عام في كل وجود الخيرات والطاعات ويدخل فيه نفقة الغزو ودخولها (يوفى البكم) أجروا جزاؤهم في الآخرة فالحسنة بعشر أمثالها الى سبع مائة ضعف الى اضعاف كثيرة كقافرها ما بقا ويجعل لكم عوضه في الدنيا (وأنتم لا تعلمون) في شئ من هذه النفقة التي تنفقونها في سبيل الله أى من ثوابها بل يصير ذلك البكم واخفا وافرا كاملا وان تلك حسنة بصاعدها ويوفى من لدنه أجر عظيما أى لا أضيع

(٧ - فتح البيان ح) بآيات الله يجحدون أى ولكنهم يعادون الحق ويدفعونه بصدورهم كما قال سليمان النورى عن أبى اسحق عن ناجية بن كعب عن علي قال قال أبو جهل للذي صلى الله عليه وسلم ان لا تكذب ولكن تكذب بما جئت به فانزل الله فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ورواه الحاكم عن طريق اسرائيل عن أبى اسحق ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم

يجزاه وقال ابن أبى حاتم حدثنا شاذان بن الوزير الواسطي عكة حدثنا بشر بن الميسر الواسطي عن سلام بن مسكين عن أبى يزيد المذني ان النبي صلى الله عليه وسلم لقي أبا جهل فذاخه فقال له رجل الأراك تصافى هذا الصابي فقال الله اني لاعلم انبيى ولكن متى

كالنبي عند مناف تبعا وتلا أبو يزيد فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون وقال أبو صالح وقتادة يعلمون انك

رسول الله و يجحدون و ذكر محمد بن اسحق عن الزهري في قصة أبي جهل حين جاء به مع قراء النبي صلى الله عليه وسلم من الليل هو وأبو سفيان بن حرب والخنس بن شريق ولا يشعرا أحد منهم بالآخر فاستقواها إلى الصباح فلما أجمع السبع تفرقوا فجمعهم الطريق فقال كل منهم لا أتر ما به يك قد كره ما به ثم تعاهدوا أن لا يعودوا إلى الميخاض فمن علم شبان قريش بهم ثلاثا شئتوا بجمعهم فلما كانت الليلة الثانية جاء كل منهم ثلثا أن صاحبه لا يبيت إلا مع السبع من اليهود فلما أصبحوا اجتمعهم الطريق فقتلوا ورواها تعاهدوا أن لا يعودوا فلما كانت الليلة الثالثة (٥٠) جاءوا أيضا فلما أصبحوا تعاهدوا أن لا يعودوا والمثله انهم تفرقوا فلما أصبح الـ

عمل عامل منكم والتمس عرسه بالتمس مع أن الأعمال غير موصية الثواب حتى يكون تركه
ترتبه عليه الظالم البيان كمال زواجه سبحانه عن ذلك بتصوره بصورة ما يستحيل صدره
عنه تعالى من التصريح وإبراز الآية في معرض الامور الواجبة عليه تعالى (وان جنحوا
للسلم فاجنح لها) أي ان مالوا إلى المصلحة فاقبل منهم الصلح ومن لم إلى المصالحة والجنوح
الميل يقال جنح الرجل إلى الرجل مال اليه ومنه قيل للاضلاع الجنوح لانها مالت إلى
الحشوة وخفت الابل اذا مالت أعناقها في السير ويقال جنح الليل أقبل قال النضر بن
شميل جنح الرجل إلى فلان ولفلان اذا خضع له والجنوح الاتباع أيضا تتضمنه الميل
والجناح من ذلك ليسلانه إلى الطائر والسلم الصلح قرئ بالكسر والفتح وهما قراءتان
سبعيتان وقرئ فاجنح ضم النون والفتح والاولى لغة قيس والثانية لغة قهم قال ابن
جني ولغة قيس هي القياس والسلم بكسر الهمزة وفتح اللام كايؤث الحرب ادعى مؤولة بالخصلة
أو الفعلة وعن مجاهد قال وان جنحوا يعني قرينة وعن ابن عباس قال السلم الطاعة
وقد اختلف أهل العلم هل هذه الآية منسوخة أم محكمة فقيل هي منسوخة بقوله
فأقبلوا المشركين قاله ابن عباس وقيل ليست منسوخة لان المراد بها قبول الجزية وقد
قبلها منهم الصحابة فمن بعدهم فتكون خاصة بأهل الكتاب قاله مجاهد وقيل ان
المشركين ان دعوا إلى الصلح جاز ان يجابوا اليه وتسكن المانعون من مصلحة المشركين
بقوله تعالى ولا تمنوا وتدعو إلى السلم وأتم الاعلون والله معكم وقيدوا اعداء الجوارح
اذا كان المسلمون في عز ووقرة لا اذ لم يكونوا كذلك فانه جائز كما وقع منه صلى الله عليه
وآله وسلم من مهاذنة قريش وما زالت الخلفاء والصحابة على ذلك وهذا كله مبنى على أن
المراد بالصلح هو عقد الجزية أو المال أو يد غيره من العقود التي تفيد لهم الامن وهي الهدنة
والامان فلا نسخ مطلقا اذ يصح عقدهما لكل كافر وكلام أهل العلم في هذه المسئلة
معروف مقر في مواضعه (ولو كل على الله) في جنوحك للسلم ولا تخف من معسكرهم
وفوض أمرك اليه فيما عداه معهم ليكون ذلك عونك في جميع أحوالك (الله) سبحانه
(هو السميع) لما يقولون (العليم) بما يشعرون (وان يريدوا أن يخدعوك) بالصلح وهم
مضمرون الغدر والخدع وجواب الشرط محذوف أي فصالحهم ولا تخش منهم (فان)
أي لأن (حسبك الله) أي كافيك بنصره ومعونه متخافة من شرهم بالنكث والغدر

ابن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى
أتى أباسفيان بن حرب في بيته فقال
أخبرني يا أبا حفصه عن رأيك فيما
سمعت من محمد قال يا أبا حفصه والله لقد
سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما وراء
ها لو سمعت أشياء ما عرفت معناها
ولا ما وراءها قال الـخنس وأنا
والذي حلفت به ثم خرج من عنده
حتى أتى أبا جهل فدخل عليه فبته
فقال يا أبا حفصه ما رأيك فيما
سمعت من محمد قال ماذا سمعت قال
تنازعنا نحن وبنو عبد مناف
الشرف أطعوا وأطاعنا وجأوا
فخملنا وأعطوا فأعطينا حتى اذا
تجأنا على الركب وكنا كقريش
رهان قالوا من أي ياتيه الوحى من
السماء فنى ندرلك هذه والله لا نؤن
به أبد ولا نصده قال فقام عنده
الـخنس وتركه وروى ابن جرير
من طريق أسباط عن السدى
في قوله قد نعلم انه خير من الذي
يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن
الظالمين بآيات الله يجحدون لما
كان يوم بدر قال الـخنس
ابن شريق لسنى زهرة يا بني زهرة
ان محمد ابن أختكم فأنتم أحق من

ذبح عن ابن أخته فانه ان كان نياما تقاضاه اليوم وان كان كاذبا فأنتم أحق من كف عن ابن أخته فتوا حتى أتى
أبا الحكم فان غلب محمد رجعت سالمين وان غلب محمد فان قومكم لم يصنعوا بكم شافيو ثم دعى الـخنس وكان اسمه أي قالت
الـخنس وأبو جهل خلا الـخنس بابي جهل فقال يا أبا الحكم اخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فانه ليس ههنا من قريش غيري
وغيرك يستجع كلاما فقال أبو جهل ويحك والله ان محمد الصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهبت بنو قصى بالوالاء والسقابة
والحجبة والبهوة فذا يكون لسان قريش فذلك قوله فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون فآيات الله محمد صلى الله
عليه وسلم وقوله ولقد كذب رسول من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا هذه تسليية للنبي صلى الله عليه وسلم

وتعزية لصلى الله عليه وسلم فيمن كذبهم من قومه وأمر له بالصبر كصبر أولي العزم من الرسل ووعده بالنصر كما نصر وأما الظفر كما كانت لهم العقابة بعد ما نالهم من التكذيب من قومه من الذي البسغ ثم جاءهم النصر في الدنيا كالهم النصر في الآخرة ولهذا قال ولا تبدل لكلمات الله التي كتبها بالنصرة في الدنيا والآخرة لعباده المؤمنين كما قال ولقد سبقت لكلماتنا المرسلين منهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون وقال تعالى كتب الله لنا في القرآن وأورسنا أن الله قوي عزيز وقوله ولقد جاءك من ربنا المرسلين أي من خبرهم كيف نصر وأبدوا على من كذبهم من قومه فلك فيهم أسوة (٥١) وجه قدوة ثم قال تعالى وإن كان كبر عيلك اعراضهم أي أن كان شق عيلك اعراضهم عنك فان استطعت أن تنتفي نفقا في الأرض أو سلما في السماء قال

علي بن أبي طلحة عن ابن عباس النفق السرب قد ذهب فيه فتاتهم بآية أو تجعل لهم سلما في السماء فتصعد فيه فتاتهم بآية أفضل مما أتيتهم به فافعل وكذا قال قتادة والسدي وغيرهما وقوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونون من الجاهلين كقوله تعالى ولو شاء ربك لأم من في الأرض كلهم جميعا الآية قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحصر أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى فأخبر الله أنه لا يؤمن إلا من سبق له من الله السعادة في الذكر الأول وقوله تعالى أنما يسب تبسبب الذين يسعون أي أنما يسب تبسبب الدعاء أنما يسب تبسبب الكلام ويعبسه ويفهمه كقوله لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين وقوله والموتى يعنهم الله ثم ألهيرجعون يعنى بذلك الكفار لأنهم موتى القلوب فنعهم الله بأموال الأجساد

ودفع خديعتهم (هو الذي أيدك بنصره بالمؤمنين) تعليلا لأي لا تخف من خديعتهم ومكرهم فان الله الذي قال عليهم بالنصر فيما مضى وهو يوم بدر هو الذي سينصرهم ويقول عليهم عند حدوث الخلدع والتكث والمرد بالمؤمنين المهاجرين والأنصار فان قلت اذا كان الله قد أيد نصره فأى حاجة إلى نصر المؤمنين حتى يقول بالمؤمنين قلت التأييد والنصر من الله عز وجل وحده لكنه يكون بأسباب باطنة غير معلومة وبأسباب ظاهرة معلومة فأما الذي يكون بالأسباب الباطنة فهو المراد بقوله هو الذي أيدك بنصره لأن أسبابه باطنة وبغير وسائل معلومة وأما الذي يكون بالأسباب الظاهرة فهو المراد بقوله والمؤمنين لأن أسبابه ظاهرة وبوسائل معلومة وهم المؤمنون والله تعالى هو مسبب الأسباب وهو الذي أقامهم لنصره ثم بين كيف كان تأييده بالمؤمنين فقال (وألف بين قلوبهم) وظاهره العموم وإن اتلاف قلوب المؤمنين هو من أسباب النصر التي أيد الله بها رسوله وقال جهو والمفسرين المراد الأوس والخزرج فقد كان بينهم عصبية شديدة وأنفة عظيمة وأنطوا على الضغينة من أدنى شئ وحب عظيمة وفتن من منة ثمانية وعشرين سنة لا تكاد يأتلف منهم قلوبا فان الله بين قلوبهم بالإيمان برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانقلب تلك الحالة واستجمعت كلهم وزالت حجة الجاهلية وأبدلت تلك الضغائن بالهبة لله وفي الله واتفقوا على الطاعة وصاروا أنصارا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأعانوا يقاتلون عنه ويحرمونه وهذا مما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل وصار ذلك معجزة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ظاهرة بأمره تدل على صدقه وقيل أراد التآليف بين المهاجرين والأنصار والجل على العموم أولى فقد كانت العرب قبيل العنة المحمدية يأكل بعضهم بعضا ولا يحترم ماله ولده حتى جاء الإسلام فصاروا أيدا واحدة وذهب ما كان بينهم من العصبية والتفتوا إلى الجاهلية (ولو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألقت بين قلوبهم) مقرر للضخون ما قبلها والمعنى أن ما كان بينهم من العصبية والعداوة قد بلغ إلى حد لا يمكن دفعه بحال من الأحوال ولو أنفق الطالب لجمع ما في الأرض لم يتم له طلبه من التآليف لأن أمرهم في ذلك قد تقادم جدا (ولكن الله ألّف بينهم) بعظم قدرته وبديع صنعته وفيه دليل على أن القلوب بيد الله يصرفها كيف يشاء (أنه عزير) لا يغالبه مغالب ولا يستعصى عليه أمر من الأمور (حكيم) في تدبيره ونفوذه أمره

فقال والموتى يعنهم الله ثم ألهيرجعون وهذا من باب التكميمهم والازراء عليهم (وقالوا ولاتزل عليه آية من ربه قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكرههم لا يعلمون وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا آثم أمثالكم فاقطعوا في الكتاب من شئ ثم ألهيرجعون والموتى الذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشاء الله يضلله ومن يشاء الله يرده إلى صراط مستقيم) يقول تعالى محسرا عن المشركين أنهم كانوا يقولون لو لا نزول عليه آية من ربه أى خارق على مقتضى ما كانوا يريدون ومما يعتنون كقولهم إن يؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا الآيات قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكرههم لا يعلمون أى هو تعالى قادر على ذلك

ولكن حكمته تعالى تقتضي تأخير ذلك لانه لو انزلها اوفق ما طلبوا ثم ليؤمنوا العويل والاباء العقوبة كما فعل بالامم السالفة كما قال تعالى
وما منة ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون وابتاعوا النافعة مبصرة فظلموا او ما نرسل بالآيات الا تخوفوا وقال تعالى ان
نشا نزل عليهم من السماء آية فظنلت اعناقهم لها خاضعين وقوله وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم قال
مجاهد أي اصناف مصنفة تعرف باسمائها وقال قتادة الطيرامة والانس آمة والجن آمة وقال السدي الامم امثالكم أي خلق
امثالكم وقوله ما فرطاني الكتاب من شيء (٥٢) أي الجميع عليهم عند الله ولا ينسى واحدا من جنه ما من رزقه وتدبيره سواء كان ربيا

أو يحريرا كندره وما من دابة في الارض
الا على الله رزقه او يعلم مستقرها
ومستودعها كل في كتاب مبين أي
مفصص باسمائها وأعدادها وظلها
وحاصر حركاتها وسكناتها وقال تعالى
وكأن من دابة لا تحسب رزقها
الله رزقها واياكم وهو السميع
العليم وقد قال الحافظ أبو يعلى
حدثنا محمد المنفي حدثنا عبيد بن
واقد القيسي أبو عباد حدثني محمد
ابن عيسى بن كيسان حدثنا محمد
ابن المسكدر عن جابر بن عبد الله
قال قل الجراد في سنة من سني عمر
رضي الله عنه التي وفيها فأسأل
عنه فلم يجز بشي فاعظم اذ لك فارسل
راكبا إلى كذا وآخر إلى الشام وآخر
إلى العراق يسأل هل رؤى من الجراد
شي أم لا فاناه راكب الذي من
قبل اليه بقبضة جراد فالتها بين
يده فبارأها كبر ثلاثا ثم قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
خلق الله عز وجل ألف أمة منها
ستمائة في البحر وأربع مائة في البر
وأول شيء يموت من هذه الامم الجراد
فاذا هلك تسابعت مثل النظام
اذا قطع سلكه وقوله ثم إلى ربهم

ونهم وعن ابن مسعود قال ان هذه الآية نزلت في المتخابين في الله وهذا يدل على أن
التألف المذكور هو بين المؤمنين الذين أيد الله بهم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وفيه
رد على الرافضة حيث اعتقدوا في الصحابة ما يخالف تألف الله تعالى بينهم وأخرج ابن
عساكر عن أبي هريرة قال مكتوب على العرش لا اله الا الله أنا الله وحدي لا شريك لي محمد
عمدي ورسولي أيدته بعلي وذلك قوله هو الذي أيدك نصره بالمؤمنين والله أعلم (بأنها
التي حسبك الله) في كل شيء وعند كل منهم ليس هذا تكبرير بالمأقولة فان الاول مقيد
بارادة الخلد وان يريدوا أن يمدحوك فان حسبك الله فذلك كفاية خاصة وفي هذه كفاية
عامة غير مقيدة أي حسبك الله في كل حال فيما بينك وبين الكفرة من الخراب والواري
قوله (ومن اتبعك من المؤمنين) يحتمل أن تكون العطف على الاسم الجليل والاعلم
الشر يف على الله في محل الرفع والمعنى حسبك الله وحسبك ان المؤمنين أي كافيك الله
وكافيك المؤمنين قال علي المهايمي في تفسيره تصير الرحمن حسبك الله وان لم يكن معك
أحد وان نظرت إلى السبيعية حسبك من اتبعك من المؤمنين وان لم يأتهم من لم يتم
اتباعهم لك فان لم يتابعك أترأعظم في سبيعية النصر اه وقال أبو العود والقاضي
الجله في محل النصب على أنه مفعول معه أي كفالك وكفي اتباعك الله ناصر اك قوله
اذا كانت الهيجاء وانشقت العصا * فحسبك والفضائل عصب مهند
انتهى واختاره الخاس وقال القراء انه يقدر نوصه على موضع الكاف واختاره ابن عطية
ورده السفاقي بأن اضافته حقيقية لالفظية فلا محتمل له اللهم الا أن يكون من عطف
الوهم وكونه مفعولا معه ذكره الزجاج وقال أبو حيان انه مخالف لآلام سيدويه فانه
جعل زيدا في قولهم حسبك وزيد درهم منصوبا بفعل مقدر أي وكفي زيدا درهم وهو
من عطف الجمل عنده لا يضرنا وذكره القراء في تفسيره وقيل في محل الجزع عطف على
الضمير أي اسم الله تعالى أي كافيك وكافي المؤمنين الله لان عطف الظاهر على المضمرة في
مثل هذه الصورة يمنع عند البصريين كما تقر في علم النحو وأجازة النكودون وبوجه
المانعين انه كبره الكلمة فلا يعطف عليه قال القراء ليس بكثير في كلامهم أن تقول
حسبك وأخيك بل المستعمل أن تقول حسبك وحسب أخيك بإعادة الجار فهو كان قوله
ومن اتبعك تجرورا لقل حسبك الله وحسب من اتبعك وبه قال الشعبي وقال شيخ

الاسلام
يخبرون قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن أبيه عن عكرمة
عن ابن عباس في قوله ثم إلى ربهم يخبرون قال حشرها الموت وكذا رواه ابن جرير عن طريق إسرائيل عن سعيد ومسيرون عن
عكرمة عن ابن عباس قال موت الهام حشرها وكذا رواه العوفي عنه قال ابن أبي حاتم وروى عن مجاهد والفضال مثله
والقول الثاني ان حشرها هو بعثها يوم القيامة لقوله واذا الوحوش حشرت وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا
شعبة عن سليمان عن منذر الثوري عن أشياخ لهم عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى شاتين يتقطعان فقال يا أبا

ذو هل تدري فيم ينقطعان قال لا قال لكن الله يدري وسقضى بينهما ورواه عبد الرزاق عن معمر عن الأعمش عن ذكر عن أبي ذر قال سئنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تطعت عزتان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تدرون فيم اتطعتا قالوا لا ندري قال لكن الله يدري وسقضى بينهما ورواه ابن جرير عن طريق مسند الزهري عن أبي ذر قد ذكره وزاد قال أبو ذر وقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يقبل طائر جريحه في السماء إلا ذكرنا منه علما وقال عبد الله ابن الامام أحمد في مسنده أنه حدثني عباس بن محمد وأبو يحيى البرزقي قال أحدهما شجاع بن نصر حدثنا (٥٣) شعبة عن العوام بن مزاحم عن أبي قيس بن

ثعلبة عن أبي عثمان النهدي عن عثمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الجاهل ليقص من القرآن يوم القيامة وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن جعفر بن برقان عن يزيد بن الأصم عن أبي هريرة في قوله الأُمُّ أُمُّ أُمِّ الْكَلِمِ ما قرطاني الكتاب من شيء ثم إلى ربه يحشرون قال يحشر الخلق كلهم يوم القيامة الدواب والبهائم والطير وكل شيء فيبلغ من عدل الله يومئذ أن يأخذ العجا من القرآن ثم يقول كوني ترابا فلا ذلك يقول الكافري باليتي كنت ترابا وقد روي هذا مذهب قوم في حديث الصور

وقوله والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات أي مثلهم في جهلهم وقلة علمهم وعدم فهمهم كمثل أصم وهو الذي لا يسمع أبكم وهو الذي لا يتكلم وهو مع هذا في ظلام لا يبصر فكيف يهتدي مثل هذا إلى الطريق أو يخرج مما هو فيه كقوله مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم وبكم عني فهم لا يرجعون وكما قال أبو كظلمات في

الاسلام أحجب نية رضى الله عنه أي وحده حسبك وحسب المؤمنين الذين أتبعوك ومن قال إن المعنى أن الله والمؤمنين حسبك فقد ضل بل قوله من جنس الكفر فإن الله وحده هو حسب كل عبد مؤمن والحسب الكافي كما قال تعالى أليس الله بكاف عبده وقال تعالى وقالوا أحسننا الله أو يقل ورسوله وقالوا أن إلى الله راغبون ولم يقل هنا وإلى رسوله اه وضعف في النهدي السوي رفعه عطا على اسم الله وقال انما هو عطف على الكافي فإن المعنى عليه قال الخفاجي ولا وجه له فإن القراء والكسائي رجحاه وما قبله وما بعده يؤيده اه قلت وليس كما ينبغي فتأمل وقيل يجوز أن يكون التقدير ومن أتبعك من المؤمنين حسبهم الله فحذف الخبر وعبرة بغوى في المعالم اختلافوا في محل من فقال أكثر المفسرين محله خفض عطا على الكافي في قوله حسبك معناه حسبك الله وحسب من أتبعك اه قال الزهري نزات في الانصار وقيل في جميع المهاجرين والانصار وقال سعيد بن جبيل ما أسلم مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر نزات هذه الآية وعن ابن عباس نحوه قال الشيخ معين الدين في جامع البيان اعترض عليه بأن الانفال كلها مدنية واسلام عرق قبل الهجرة فلا يصح هذا اه لكن قال الخازن وسليمان الجلي أن هذه الآية مكية كتبت في سورة مدنية بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل نزات بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال (يا أيها النبي حرص المؤمنين على القتال) أي حزمهم وحضهم والتحريض في اللغة المبالغة في الحث على الشيء بكثرة الترغيب وتسهيل الخطب فيه كأنه في الاصل إزالة الحرض وهو الهلاك وهو كالتضيض مأخوذ من الحرض وهو أن ينهك المرض ويقالغ فيه حتى يشق على الموت كأنه ينسبه إلى الهلاك لو تخلف عن المأمورية ثم بشرهم بثبات قلوبهم وتسكين انوارهم بأن الصابرين منهم في القتال يعلون عشرة أمثالهم من الكفار فقال (إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائة) أي فيهم قوة وشجاعة لمقاومة مدارها على العدد مع مراعاة المعنى لا على العدد وحده كما هو مقرر في الشروع وفي الجرح انظر إلى فصاحة هذا الكلام حيث أثبت في الشرطة الأولى قيد الصبر وحذف نظيره من الثانية وأثبت في الثانية قيد كونهم من الكفرة وحذف من الأولى وهو غاية الفصاحة وقال الخفاجي ولما كان الصبر بشديد المطلوبة أثبت في جملتي التحقير وحذف من

يجر إلى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سبحانه ظلمات بعضهم فوق بعض إذا أخرج يدهم بكذبهم اها ومن لم يجعل الله له نورا فجعله من نور ولهذا قال من يشأ يجعله على صراط مستقيم أي هو المتصرف في خلقه بما يشاء (قل أرأيتم أن أتاكم عذاب الله أو أتosكم الساعة أعير الله تدعون أن كنتم صادقين بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتسعون ما تنسرون ما تنسرون ولقد أرسلنا إلى أمم من ذلك فأخذناهم بالساسات المضطر عليهم يضربونهم فلولا أن جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم ويزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون فأتاهم العذاب ففتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا

فروحوا بما أولوا أخذناهم بعه فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) يحذر تعالى أنه الفعل لما يريد المصروف في خلقه بما يشاء وأنه لا معقب لحكمه ولا يقدر أحد على صرف حكمه من خلقه بل هو وحده لا شريك له الذي إذا سئل بحسب ابن بشاشة قال قل أرأيتم أن آتاكم عذاب الله أو أنستم الساعة أي أما كم هذا أو هذا أغضب الله تدعون أن كنتم صادقين أي لا تدعون غيره لعلمكم أنه لا يقدر أحد على دفع ذلك سواء ولهذا قال ان كنتم صادقين أي في اتخاذكم آلهة معه بل آياه تدعون فيكشف ما تدعون (٥٤) إليه ان شاء وتسون ما تشركون أي في وقت الضرورة لا تدعون أحدا

سوا وادعوا بآلهتكم وأندادكم كقولهم واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا آلهة الآتية وقوله ولقد أرسلنا إلى قوم من قبلنا فآخذناهم بالأساء يعني الفقر والضيقة في العيشة والضرر وهي الأمور والأقسام والالام عليهم يتضرعون أي يدعون الله ويتضرعون إليه ويخشعون قال الله تعالى فاولاذا جاءهم بأسنا تضرعوا أي فهل إذا ابتليناهم بذلك تضرعوا بنا وتستجيبوا لنا ولكن قست قلوبهم أي ما قربت ولا خشعت وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون أي من الشرك والمعصية والمعاصي فلما نسوا ما ذكروا به أي أعرضوا عنه وناسوه وجعلوا دورهم وعظمورهم فتحنا عليهم أبواب كل شيء أي فتحنا عليهم أبواب الرزق من كل ما يختارون وهذا استدراج منه تعالى وإملاء لهم عياد الله من مكره ولهذا قال حتى إذا فرحوا بما أولوا أي من الامسوال والاولاد والارزاق أخذناهم بغتة أي على غفلة فاذا هم مبلسون أي آيسون من كل خير

الثانية دلالة السابقة عليه ثم ختم بقوله والله مع الصابرين مبالغة في شدة المطالبة ولم يأت في جملة التخفيف بقصد الكفر اكتفاء بما قبله قلت هذا نوع من البديع يسمى الاحتمال وبقى عليه أنه ذكر في التخفيف باذن الله وهو قيد لما وقوله والله مع الصابرين إشارة إلى تأييدهم وأنهم منصورون حتملان من كان الله معه لا يقرب وبقي فيها لطائف فلهذا التزيل ما أحلى ما فصاحته وانضروني بلاغته ثم زاد هذا ايضا حاقفا لعدم اختصاص هذه البشارة بهذا العبد بل هي جارية في كل عدد فقال (وان يكن منكم مائة بغلوا ألقا من الذين كفروا) وفي هذا دلالة على أن الجماعة من المؤمنين قليلة لا كانوا أو كثيرا لا يغلبهم عشرة أمثالهم من الكفار بحال من الأحوال وقد وجد في الخارج ما يخالف ذلك فكيف من طائفة من طوائف الكفار يغلبون من هو مشمل عشرهم من المسلمين بل مثل نصفهم بل مثلهم وأجيب عن ذلك بأن وجود هذا في الخارج لا يخالف ما في الآية لاحتمال أن لا تكون الطائفة من المؤمنين متصفة بصفة الصبر عند اللقاء وقيل ان هذا الخبر الواقع في الآية خوفي معني الأمر كقوله تعالى والوالدات يرضعن أولادهن والمطلقات يتربصن فالؤمنون كانوا أمورين من جهة الله سبحانه بأن ثبت الجماعة منهم عشرة أمثالهم وفي الخطيب حاصل هذه العبارة المطولة أن الواحد ثبتت العشرة فما الفائدة في العدول إلى ثلاث أجيب بأن هذا إيماء ودعوى وفق الواقعة فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبعث السرايا والغالب أن تلك السرايا ما كان ينقص عدد ما عن العشرين وما كانت تريد على المائة فلهذا المعنى ذكر الله هذين العديدين (بأنهم قوم لا يفقهون) أي ان هذا الغلب بسبب جهلهم بالله وباليوم الآخر وعدم فقههم وأنهم يقاتلون على غير بصيرة ولا يقاتلون احتسابا وامتنالا لأمر الله تعالى وأعداء لكلمته وابتغاء لرضوانه كما يفعله المؤمنون وانما يقاتلون للحمية الجاهلية واتساع خطوات الشيطان واثارة نائرة البغي والعدوان ومن كان هكذا فهو مغلوب في الغالب ثم لما شئ ذلك عليهم واستعظم وهخفف عنهم ورخص لهم لماعله سبحانه من وجود الضعف فيهم فقال (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا) عن قتال عشرة أمثالكم قرئ بضم الصاد وفتحها (فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين) منهم (وان يكن منكم

قال الواجب عن ابن عباس الملبس الأيس قال الحسن البصري من وسع الله عليه فلم ير أنه يكرهه فلا رأي له ومن قرع عليه فلم ير أنه ينظره فلا رأي له ثم قرأ لئلا نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أولوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون الآية قال الحسن مكر بالقوم ورب الكعبة اعطوا حاجتهم ثم أخذوا رواه ابن أبي حاتم وقال قتادة بغت القوم أمر الله وما أخذ الله قوما قط الا عند سكرتهم وعرثتهم ونعمتهم فلا تغتروا بالله فإنه لا يغتر بالله الا القوم الفاسقون رواه ابن أبي حاتم أيضا وقال مالك عن الزهري فتحنا عليهم أبواب كل شيء قال رخاء الدنيا وسرورها وقد قال الامام أحمد حدثنا يحيى

ابن عيلان حدثنا رشدين يعني بن سعد أبو الجراح المهدي عن سرحلة بن عمران الجعفي بن عقبة عن مسلم عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فأنما هو استدراج ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قل أنسووا ما ذكرناه قبضنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرجوا عما كانوا أخذناهم بغتة فآذاهم ملبسون ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث سرحلة وابن الهيثم عن عقبة بن مسلم عن عقبة بن عامر به وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا عمار بن خالد بن يزيد حدثني أبي عن إبراهيم بن (٥٥)

رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا أراد الله بقوم اقتطاع فتح لهم أو فزع عليهم باب خيانة حتى إذا فرجوا عما كانوا أخذناهم بغتة فآذاهم ملبسون كما قال فطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ورواه أحمد وغيره

(قل رأيتم أن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم

من الله غير الله يأتمكمن به فانظر كيف

نصرف الآيات ثم هم يصدفون قل

أرأيتم أن أتكم عذاب الله بغتة

أو همرة هل يهلك إلا القوم

الظالمون وما ترسل المرسلين

إلا مبشرين ومنذرين فم آمن

وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم

يحزنون والذين كذبوا بآياتهم

العذاب بما كانوا يفسهون) يقول

تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم قل

لهؤلاء المكذبين الماعدين أرايتم أن

أخذ الله معكم وأبصاركم أي سلبكم

إياهم أي كما أعطاكموها كما قال

تعالى قل هو الذي أنشأ ثم جعل

لكم السمع والبصار الآية ويحتمل

أن يكون هذا عبارة عن منع الاتقاع بهما النفع الشرعي ولهذا قال وختم على قلوبكم كما قال آمن عاك السمع والبصار لقوله

واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وقوله من الله غير الله يأتمكمن به أي هل أحد غير الله يقدر على رد ذلك إليكم إذا سلب الله منكم

لا يستدري ذلك أحد سواه ولهذا قال انظر كيف نصرف الآيات أي نبينها ونوضحها ونفسر هاد إلى الله على أنه لا اله إلا الله وأن ما

يعبدون من دونه باطل وضلال ثم هم يصدفون أي ثم هم مع هذا البيان يصدفون أي يعرضون عن الحق ويصدون الناس عن اتباعه قال العوفي عن ابن عباس يصدفون أي يعدلون وقال مجاهد وقتادة يعرضون وقال السدي يصدون وقوله تعالى قل أرايتم أن

منكم ألق بغيركم أولئك الذين على الواحد أن يثبت لأشمن من الكفار قال سفيان وابن شريم وأرى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل هذا أن كانا رجلين أمرهما أن يكونا ثلاثين ففهم من تركهم وقد قيل في تركه التخصيص على غلب المائتين اثنتين والائتلاف للاثنتين إشارة للمسلمين بأن عساكر الإسلام سيحارزون عدها العشرات والمات إلى الألف ثم أخبرهم بأن هذا الغلب هو (بإذن الله) وتسهم له وتيسره ورواه لا يقاتلهم ويقاتلهم ثم بشرهم بأنه مع الصابرين فقال (والله مع الصابرين) بعونه وفيه الترغيب إلى الصبر والتأكيدهم بزمومه والتوصية به وأنه من أعظم أسباب النجاح والنجاح والنصر والظفر لأن من كان الله معه لم يستقم لأحد أن يغلبه وعن النصر أبان أن هذا الخفيف كان للامة دون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو الذي يقول بك أصول وبك أجول ومن كان كذا لا يثقل عليه شيء حتى يخفف وقد اختلف أهل العلم هل هذا الخفيف نسخ أم لا ولا يتعلق بذلك كثير فائدة (ما كان) أي ماصح وما استقام (لشيء أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض) هذا حكم آخر من أحكام الجهاد والأسرى جمع أسير مثل قتل وقيل ويرجى ويرجى ويقال في جمع أسير أسارى وهو مأخوذ من الأسر وهو القتل لأنهم كانوا يشدون به الأسير في كل أخذ وان لم يشد بالقتل أسيرا وقال أبو عمرو بن العلاء الأسرى هم غير الموثقين عند ما يؤخذون والأسارى هم الموثقون ربطا والاثخان كثرة القتل والمبالغة فيه تقول العرب أثنخ فلان في هذا الأمر أي بالغ فيه فالمعنى ما كان لشيء أن يكون له أسرى حتى يبالغ في قتل الكافرين ويستكثر من ذلك وقيل معنى الاثنان التمكن وقيل هو القوة وقيل الخفاة هي الغلظة والصلابة فاستعمل هنا في لازم المعنى الأصلي وهو القوة اللازمة وأثنخ في الأرض اثخانا سار إلى العدو وأوسعهم قتلا وأثنخته أو هنته بالجراحة وأضعفته وعن ابن عباس حتى يثخن حتى يظهر على الأرض وعن مجاهد قال الاثنان هو القتل أخبر الله سبحانه أن قتل المشركين يوم بدر كان أولى من أسرهم وفدائهم ثم لما كثر المسلمون رخص الله في ذلك فقال فاما ما بعدوا ما فداءه كما يأتي في سورة القتال قال الرازي أن هذا الكلام يؤهم أن قوله فاما ما بعدوا ما فداءه يزيل حكم الآية التي ثخن في نفسه ها وليس الأمر كذلك لأن كلتا الآيتين متوافقتان وكلتا هاتين الآيتين على الابد من تقديم الاثنان ثم بعده أخذ

أن يكون هذا عبارة عن منع الاتقاع بهما النفع الشرعي ولهذا قال وختم على قلوبكم كما قال آمن عاك السمع والبصار لقوله واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وقوله من الله غير الله يأتمكمن به أي هل أحد غير الله يقدر على رد ذلك إليكم إذا سلب الله منكم لا يستدري ذلك أحد سواه ولهذا قال انظر كيف نصرف الآيات أي نبينها ونوضحها ونفسر هاد إلى الله على أنه لا اله إلا الله وأن ما يعبدون من دونه باطل وضلال ثم هم يصدفون أي ثم هم مع هذا البيان يصدفون أي يعرضون عن الحق ويصدون الناس عن اتباعه قال العوفي عن ابن عباس يصدفون أي يعدلون وقال مجاهد وقتادة يعرضون وقال السدي يصدون وقوله تعالى قل أرايتم أن

أما كم عذاب الله بعبدة أوجهره أي وأنتم لا تشعرون به حتى يغتكم ويحرقكم أوجهره أي ظاهر أعيانها هل يكذبكم إلا القوم الظالمون أي
 إنما كان يحيط بالظالمين أنفسهم بالشرك بالله ويخون الذين كانوا يعبدون الله وحده لا شريك له فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
 كقوله الذين آمنوا ولم يلبسوا أيمانهم بظلم الآية وقوله وما ترسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين أي مبشرين بعباد الله
 المؤمنين بالخيرات ومنذرين من كفر بالله النعمات والعقوبات ولهذا قال فمن آمن وأطاع أي من آمن قلبه بما جاءه وأصلح عمله
 بأسعاه ما هم فلا خوف عليهم أي بالنسبة (٥٦) لما يستقبلونه ولا هم يحزنون أي بالنسبة إلى ما فاتهم وتركوه وراء ظهورهم من

الفداء انتهى وقال غيره لا تظهر دعوى النسخ من أصلها إذ انتهى الضمى كما خافنا قيد
 ومغيا بالاختراع أي كثرة القتال اللازمة لهفوة الاسلام وعززه وما في سورة القتال من
 التحريض على القتال بعد ظهوره وشوكة الاسلام بكثرة القتال فلا تعارض بين الآيتين إذا ما هنا
 بيان للغاية التي هنا (تريدون عرض الدنيا) الخطاب لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
 والمراد بعرض الدنيا نفعها ومنافعها بما يقضون من الفداء وسعى عرضا لأنه مريع الزوال
 كما زول الأعراس التي هي مقابلة الجواهر قال قتادة أراد أصحاب محمد صلى الله عليه
 وسلم يوم بدر الفداء ففادوهم بأربعة آلاف درهم وقبل كان الفداء لكل أسير أربعين أوقية
 والأوقية أربعون درهما فيكون مجموع ذلك ألفا وستة مائة درهم وعن عكرمة قال عرض
 الدنيا الخراج (والله يريد) لكم الدار (الآخرة) بما يحصل لكم من الثواب في
 الاختصاص بالقتل والمراد بالارادة هنا الرضا وعبرهم المشاكفة فلا يراد أن الآية تدل على
 عدم وقوع عمراد الله وهو خلاف مذهب أهل السنة فإله الشهاب (واقعه عزير)
 لا يغالب (حكيم) في أفعاله وقد استدل بهذه الآية من بقدح في عصمة الأنبياء
 واشتغل المفسرون برده وجوابه وما أقبل فائدة ذلك (لولا كذب) أي حكمه مكتوب
 ومثبت في اللوح المحفوظ (من الله سبق) اختلف المفسرون في هذا الكتاب الذي سبق
 ما هو على أقوال الأول أنه ماسبق في علم الله من أنه سيحصل لهذه الأمة الفناء والاسري
 بعد أن كانت محرومة على سائر الأمم والثاني أنه مغفورة الله لأهل بدر ما تقدم من ذنوبهم
 وما تأخر كافي الحديث الصحيح أن الله اطاع على أهل بدر فقال أعلموا ما شئتم فقد غفرت
 لكم القول الثالث هو أنه لا يعذبهم ورسول الله فيهم كما قال تعالى وما كان الله ليعذبهم
 وأنت فيهم القول الرابع أنه لا يعذب أحد أذنب فعلا جاهلا لكونه ذنبا القول الخامس
 أنه ما قاضاه الله من محو الصغار باحتساب الكبار القول السادس أنه لا يعذب أحد إلا
 بعد ثبوت كذا الحجة وتقديم النبي ولم يقدمه عن ذلك وذهب ابن جرير الطبري إلى أن
 هذه المعاني كلها داخل تحت اللفظ وأنه يعذبها (بلسكم) أي بلسكم (فما) أي لاسل
 ما (أخذتم) من الفداء (عذاب عظيم) وهذا اعتبار به صلى الله عليه وسلم على تركه
 الأولى إذ كان الأولى له تدارك كثرة القتل فيهم لا القتل أو ليس عتابا على فعل محرم تنزيها

أمر الدنيا وضيقها الله وليهم فيها
 خليفوه وحافظهم فيما تركوه ثم قال
 والذين كذبوا بآياتنا عسى لهم العذاب
 بما كانوا يكسبون أي ينالهم
 العذاب بما كفر وأما جازاته به
 الرسل وخرجوا عن أوامر الله
 وطاعته وارتكبوا محارمه
 ومناهيه واتباعوا حرماته (قل)
 لا أقول لكم عندى خزائن الله
 ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني
 ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلى قل هل
 يستوى الأعمى والبصير أفلا
 تتفكرون وأنذر به الذين يخافون
 أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من
 دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون
 ولا تنظر الذين يدعون ربهم بالغداة
 والعشي يريدون وجهه ما عدا
 من حسابهم من شيء وما من حسابك
 عليهم من شيء فتنظروهم فكفون
 من الظالمين وكذلك فتنابعضهم
 ببعض ليعولوا أهولا من الله عليهم
 من بينا أليس الله بأعلم بالشاكرين
 وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا
 فقل سلام عليكم كتب ربكم على
 نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا
 يجهلها ثم تاب من بعده وأصلح فانه

عقور رخي) يقول تعالى (رسوله صلى الله عليه وسلم قل لا أقول لكم عندى خزائن الله إني لست أملكها ولا التصرف فيها لمنصب
 ولا أعلم الغيب أي ولا أقول إني أعلم الغيب أي ما تاب من عمله عز وجل ابتداء من علم الله عز وجل لا أطلع منه الأعلى ما أطلعني
 عليه ولا أقول لكم إني ملك أي ولا أدعي أني ملك إنما أنا بشر من البشر إن أتبع إلا ما يوحى إلى من الله عز وجل شرفني بذلك وأنعم علي به
 ولقد قال إن أتبع إلا ما يوحى إلى إني لست أخرج عنه قيد شي ولا أدعي منه قل هل يستوى الأعمى والبصير أي هل يستوى من أتبع
 الحق وهدى إليه ومن ضل عنه فلم يقدره أفلا تتفكرون وحده كقوله تعالى أفمن يعلم إنما أنزل السك من ربك الحق كين هو أعني إنما يذكر

أولوالباب وقوله وانذبه الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع أي وانذر بالقرآن يا محمد الذين هم من خشيته ربهم مشفقون الذين يحشرون ربهم ويخافون سوء الحساب الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم أي يوم القيامة ليس لهم أي يومئذ من دونه ولي ولا شفيع أي لا قريب لهم ولا شفيع فيهم من عذابه ان اراده بهم لعلمهم يتقون أي انذر هذا اليوم الذي لا حاكم فيه الا الله عز وجل لعلمهم يتقون فيعملون في هذه الدار عملا يجنبهم الله يوم القيامة من عذابه وينصاف لهم به الجزل من ثوابه وقوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي (٥٧) يريدون وجهه أي لا تبعذ هؤلاء المتصفين

بهذه الصفات عنك بل اجعلهم جلساء واخصاء كقوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من اغفل قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطاً وقوله يدعون ربهم أي يعبدونه ويسألونه بالغداة والعشي قال السبعدين المسبب ومجاهدوا الحسن وقصادة المراد به الصلاة المكتوبة وهذا كقوله وقال ربكم ادعوني استجب لكم أي أقببل منكم وقوله يريدون وجهه أي يريدون بذلك العمل وجه الله الكريم وهم مخلصون فياهم فيهن العبادات والطاعات وقوله ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء كقول نوح عليه السلام في الذين قالوا أئنتنم لك واتبعك الارذلون وما على بما كانوا يعاملون ان حسابهم الاعلى ربى لو تشعرون أي انما حسابهم على الله عز وجل وليس على من حسابهم من شيء كما انه ليس عليهم من حسابي من شيء وقوله فطردهم فتكون من الظالمين أي

لخصب النبوة عن ذلك وقد أخرج أحمد عن أنس قال استشار النبي صلى الله عليه وسلم الناس في الأسارى يوم بدر فقال ان الله قد أمكنكم منهم فقام عربن الخطاب فقال يا رسول الله اضرب أعناقهم فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم عاد فقال مثل ذلك فقام أبو بكر الصديق فقال نرى ان تغفر عنهم وان تقبل منهم الفداء فقام عنهم وقبل منهم الفداء فنزل الله لا كلا من الله سبقت في الآية وفي الباب روايات كثيرة بطرق عديدة الفاظ مختلفة وفي بعضها عند أحمد والترمذي وحسنه عن ابن مسعود نخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله للذين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللبن وان الله ليسد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة مثل أبي بكر مثل ابراهيم عليه السلام قال من تعني فانه مني ومن عصاني فانك تغفرو رحيم ومثلاً أبي بكر مثل عيسى عليه السلام اذ قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ومثلاً يا عمر مثل نوح عليه السلام اذ قال رب لا تدعني الارض من الكافرين دياراً ومثلاً يا عمر مثل موسى عليه السلام اذ قال ربنا اطمن على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم الحديث روى انهم أمسكوا عن الغنائم فنزل (فكلا) فالغنائم التي رتب ما بعد ما على سبب محذوف أي قد أبحت لكم الغنائم فكلا (مما غنمتم) أو المعنى اتركوا الفداء فكلا مما غنمتم من غيره وقيل ان ما عاين من الغنائم أي كلاً من الفداء الذي غنمتم فانه من جله الغنائم التي أحلها الله لكم أكلوا يا أيها ساق النظم الكريم وسباقه (حلالاً طيباً) أي أكلها حلالاً والنصب على الحال عن أي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ولم يحمل الغنائم لاحد قبلنا ثم أحل الله لنا وذلك بأن رأى ضبعنا وحجزنا فأحلها لنا أخرجه البخاري ومسلم (واتقوا الله) فيما يستقبل فلا تقدموا على شيء لم يأذن الله لكم به (ان الله غفور) لما فرط منكم (رحيم) بكم فلذلك رخص لكم في اخذ الفداء في مستقبل الزمان (يا أيها النبي) خاطب الله النبي صلى الله عليه وسلم بهذا (قل لمن) أي لهؤلاء الذين (في أيديكم من الأسرى) أسرتموهم يوم بدر وأخذتم منهم الفداء (ان يعلم الله في قلوبكم خيراً) من حسن ايمان وصلاحيته وخلوص طوبه (يؤتكم خيراً مما أخذ منكم) من الفداء أي يعوضكم

(٨ - فتح البيان ح) ان فعلت هذا والحالة هذه قال الامام أحمد حدثنا اسباط هو ابن محمد حدثني أشعث عن كردوس عن ابن مسعود قال مر الملاء من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده خباب وصهيب وبلال وعمار فقالوا يا محمد أرضيت هؤلاء فنزل عليه القرآن وانذبه الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم الى قوله أليس الله باعلم بالشاكرين ورواه ابن جرير من طريق أشعث عن كردوس عن ابن مسعود قال مر الملاء من قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وبلال وعمار وخباب وغيرهم من ضعفاء المسلمين وفيه فقالوا يا محمد أرضيت هؤلاء من قومك هؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا ونحن نصبر بعباد

لهؤلاء اطردهم فلهذا ان طردتهم تبعك قوتك هذه الامة ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه وكذلك
قتلنا بعضهم ببعض الى آخر الآية وقال ابن ابي عمير حدثنا ابو سعيد بن يحيى حدثنا سعيد القطان حدثنا عمرو بن محمد الغنصري
حدثنا اسباط بن نصر عن السدي عن ابي سعيد الازدي وكان قارئ الاذعن ابي الكنود عن خباب في قول الله عز وجل
ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي قال بناء الاقرع بن حابس التيمي وعينته بن منى الا زاري فوجدوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم مع صيب وبلال (٥٨) وعبار وخباب فاعاد في بان من الضعفاء من المؤمنين فلما

راؤهم حول النبي صلى الله عليه وسلم خروهم في نفر من أصحابه فأنه
وسلم خروهم في نفر من أصحابه فأنه
خاوا به وقالوا اننا نريد ان نجعل لنا
ملك نجلبا تعرف لنا به العرب
فضلنا فان وفود العرب تأتيك
فنتعجب ان ترانا العرب مع هذه
الاعداء اذا نحن جئناك فأنهم عنا
فاذا نحن فرغنا فاقدمهم هم ان
شئت قال نعم قالوا اكتب لنا عليك
كلاما قال فليكن بحسبكم ودعا عليا
ليكتب ونحن نقوم في ناحية قنبر
جبريل فقال ولا تطرد الذين يدعون
ربهم الامة فري رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالحقيقة ثم دعا فأتياه
ورواهم ابرير من حديث اسباط
به وهذا حديث غريب فان هذه
الآية تكسبه والاقرع بن حابس
وعينته انما أسلموا بعد الهجرة بدهر
وقال سفيان الثوري عن المقدام
ابن شريح عن أبيه قال قال سعد
نزلت هذه الآية في ستة من أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم منهم ابن
مسعود قال كان استقب الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يندفونه ونسمع
منه فقالت قريش ندني هو لا ندونا
فزلت ولا تطرد الذين يدعون ربهم

في هذه الدنيا رقا خيرا منه وأنتفع لكم أوفي الاخرة بما يكتبه لكم من المثوبة بالاعمال
الصالحة (ويغفر لكم) ذنوبكم (والله عفو ورحيم) شأنه المغفرة لعباده والرحمة
بهم وقد أخرج الحاكم وصححه والبيهقي في سننه عن عائشة قالت لما بعث أهل مكة في فداء
أسراهم بعثت زب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداءه في العاصم وبعث فيه
بقلادة فلما أجاز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رقة شديدة وقال ان رأيتهم ان يطلقوا
لها أسيرها وقال العباس اني كنت نسيما لرسول الله قال الله أعلم باسلامك فان يكن
كما تقول فالله يجزيك فاقد نفسك واجي أخويك تقول بن الحارث وعقيل بن أبي طالب
وحلفك عتبة بن عروة فقدى نفسه واني أخويه رطله وفزئت قل لي في أيديكم من
الاسرى الآية الحديث مختصر الروايات في هذا الباب كثيرة قال العباس فأنبأني الله
خبرهما أخذ مني عشرين عبدا كلهم تاجر يضرب بحال كثير أذناهم يضرب بعشرين
أنت درهم مكان عشرين أوقية وأعطاني زمن مؤانا أسطر المغفرة ولما ذكره من
العوذ لمن علي قلبه خيرا ذكر من هو على ضد ذلك منهم فقال (وان يريدوا خيائنا)
بما قالوا لك بالذمة منهم من أنهم قد آمنوا بك وصدقوك ولم يكن ذلك منهم عن عزيمة صحيحة
ونية خالصة بل هو مما كرهه بخدا عذبت قلبك ذلك يستبعد منهم فانهم قد فعلوا ما هو أعظم
منه فقد خافوا الله من قبل أي من قبل أن يظفرهم فكفروا به وفانوا لرسوله (فأمكن
منهم) بأن نصرنا عليهم في يوم بدر فقتلت منهم من قتل وأسرت من أسرت (والله عليم)
بما في ضمائرهم (حكيم) في أفعاله بهم (ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم
وأ أنفسهم في سبيل الله) ختم الله سبحانه هذه السورة بذكر المؤمن الذي يعلم كل قريبي ولبيه
الذي يستعين به وسمى سبحانه المهاجرين الى المدينة بهذا الاسم لانهم هجروا وأوطأهم
وفارقوا طلبا للمعاد الله واجابة داعيه وسبقوا للهجرة بأن هاجروا وقبل العام السادس
عام الحديبية بديل قوله فيماني والذين آمنوا من بعد بان هاجروا بعد عام الحديبية
وقبل الفتح (والذين آووا) هم الانصار وآووا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه
من المهاجرين وأسكنوهم منازلهم وبنوا لهم أموالهم وأثروهم على أنفسهم ولو كان
بهم خصاصة (ونصروا) رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والاشارة بقوله (أو أولئك) الى
الموصول الاول والآخر وخبره الجملة المذكورة بعده (بعضهم أو ليا بعض) في الضررة

والعونة

بالغداة والعشي رواء الحاكم في مستدركه من طريق سفيان وقال علي شرط
الشيخين وأخرجه ابن حبان في صحيحه من طريق المقدام بن شريح وقوله كذلك فتابعهم بعض أي ابتلينا واختبرنا وأما
بعضهم بعض لم يقولوا هؤلاء من الله عليهم من بيننا وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غالب من اتبعته في أول
بعثته ضعفاء الناس من الرجال والنساء والعبيد والامام لم يتبعه من الاشراف الا قليل كما قال قوم نوح لئن لم تأتناك
الا الذين هم أرادوا لتبأذي الآية وكما قال هرقل ملك الروم أباس فينا حين سأله عن تلك المسائل فقال له فأشرف الناس

يتبعونه أم ضعفناؤهم فقال بل ضعفناؤهم فقال هم اتباع الرسل والفرس أن مشركي قريش كانوا يسيرون عن آمن من ضعفائهم
ويعبدون من يقدرون عليهم منهم وكانوا يقولون أهول أم نحن الله عليهم من يستأى ما كان الله يهدى هؤلاء إلى الخيل لو كان ماصاروا
الخنزير أو دعبنا كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا إليه وكقوله تعالى وإذا تلقى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي
الفرس نحن خيرا مما لو آمنوا حسنا قال الله تعالى في جواب ذلك وكما هلك قبلكهم من قرونهم أحسن أمنا أو زينا وقال في جوابهم حين
قالوا أهول أم نحن الله عليهم من يستأى ليس الله بأعلم بالشاكرين أي ليس هو أعلم (٥٩) بالشاكرين له بأقوالهم وأفعالهم وضعناهم

خوفهم وبهدبهم سبيل السلام
ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه
ويهدبهم إلى صراط مستقيم كما قال
تعالى والذين جاءهم أوفينا لنهدبهم
سبلنا وإن الله لمع الحسنيين وفي
الحديث الصحيح إن الله لا ينظر إلى
صوركم ولا إلى أوانسكم ولكن ينظر
إلى قلوبكم وأعمالكم وقال ابن جرير
حدثنا القاسم حدثنا الحسين عن
حجاج عن ابن جريج عن عكرمة في
قوله وأندبه الذين يخافون أن
يخسروا إلى ربهم الآية قال جاء
عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة
ومطعم بن عدى وأخثر بن نوفل
وقزعة بن عمرو بن نوفل في أشراف
من بني عبد مناف من أهل الكفر
إلى أبي طالب فقالوا له لو أن ابن
أخلك محمدا يرد عنا أموالنا وحلفنا
فأعناهم عبيدا أو عتقاؤنا كان
أعظم في صدورنا وأطوع له عندنا
وأدنى لساغنا إياه وتصديقه له
قال فأتى أبو طالب النبي صلى الله
عليه وسلم فخذته بذلك فقال عمر بن
الخطاب رضي الله عنه لو فعلت
ذلك حتى تظهر ما الذي يريدون إلى
ما يصرون من قولهم فأمر الله عز

والعزة وقيل في الميراث وقد كانوا يتوارثون بالمهجرة والنصرة ثم نسخ ذلك بقوله سبحانه
وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض (والذين آمنوا ولم يهاجروا) من مكة بل أقاموا بها
(ماليكم من ولايتهم) بفتح الواو وكسر هاء أي من نصرتهم وإعانتهم وأمن منيتهم (من
شيء) ولو كانوا من قربانكم لعدم وقوع الهجرة منهم فلا رث بينكم وبينهم (حتى
يهاجروا) إلى المدينة فيكون لهم بها كان للطائفة الأولى الجامعين بين الأيمان والهجرة
(وإن استنصروكم في الدين) أي هؤلاء الذين آمنوا ولم يهاجروا إذا طلبوا منكم النصرة
أهلهم على المشركين (فعليناكم) أي فواجب عليكم (النصر) قال الزجاج ويجوز النصير
بالنصب على الإغراء ثبت للقسامين الأولين النصرة والارث ونفي عن هذا القسم الارث
وأثبت له النصرة (إلا) أن يستنصروكم (على قوم بينكم وبينهم ميثاق) عهد فلا
تنصروهم عليهم ولا تنقضوا العهد الذي بينكم وبين أولئك القوم حتى تنقضي مدته
وهي عشر سنين (والله بما تعملون بصير) تحذير عن تعدي حد الشرع الشريف
(والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) أي بعضهم ينصر بعضا يتولاه في أمور دنيوية إذا
مات وفيه تغريض للمسلمين بأنهم لا ينصرون الكفار ولا يتولونهم وهذا يحقهم ومه مفيد
لنفي الموارنة والموازرة بينهم وبين المسلمين وإيجاب المبادعة المصارعة وأن كانوا أقارب
(إلا تعاقبوا) الضمير يرجع إلى ما أمر وأباه قبل هذا من موالاته المؤمنين ومناصرهم على
التفصيل المذكور وتولي موالاته الكافرين (تكن) أي تقع (قصة في الأرض) إن لم
تفعلا ذلك وهي قوة الكفار (وقساد كبير) أي مفسدة كبيرة في الدين والدنيا وهو ضعف
المسلمين ثم بين سبحانه حكما آخر يتعلق بالمؤمنين المهاجرين المجاهدين في سبيل الله
والمؤمنين الذين أوامهم هاجر إليهم ونصروهم وهم الانصار فقال (والذين آمنوا وهاجروا
وجاهدوا في سبيل الله والذين أووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا) أي صدق ما من غير
ريب دون من آمن وسكن دار الإسلام وفي الحديث المتفق على بحسبه بل المتواتر المرمع
من أحب ونصب حقا على المصير المؤكد أو تقديره بما أحقا قاله في جامع البيان
وقال أبو السعود كلام يسوق للشناء عليهم والشهادة لهم بفوزهم بالفتح المعلى من الأيمان
مع الوعد الكريم اهـ والاصل أنهم هم الكلام في الأيمان لأنهم حققوه بتحصيل
مقتضياتها من هجرة الوطن ومفارقة الأهل والسكن والانسلاخ من المال والدنيا لأجل

وحل هذه الآية وأندبه الذين يخافون أن يخسروا إلى ربهم إلى قوله ليس الله بأعلم بالشاكرين قال وكما قاله بالإلا وبما ربن
يا مرسو سالما في أي حذيفة وصبيحا مولى أسيد ومن الخلفاء ابن مسعود والقدا بن عمرو والمسعود بن العجاري وواقدر بن عبد الله
الخطلي وعمرو بن عبيد عمرو وذو الشبابة وزيد بن أبي زيد بن غني حليف حمزة بن عبد المطلب وأشباههم من الخلفاء وزلت
في أمة الكفر من قريش والموالي والخلفاء وكذلك فتنا بعضهم بعضا يقولوا أهول أم نحن الله عليهم من بيننا الآية فلان زلت أقبل
عمر رضي الله عنه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فاعتذر من مقالته فأقبل الله عز وجل وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا الآية

وقوله وإداجا لك الذين يؤمنون يا أيها النافل سلام عليكم أي فاركعهم رد السلام عليهم وأخبرهم بركة الله الواسعة الشاملة لهم ولهذا قال كتب ربكم على نفسه الرحمة أي أفرجهما على نفسه فضلا منه واحسانا وامتنانا لأنه من حمل منكم سوء أجهالة قال بعض الساف كل من عصي الله فهو جاهل وقال معتمر بن سليمان عن الحكم بن أبيان عن عكرمة في قوله عمل منكم سوء أجهالة قال الدنيا كلها جهالة ورواه أبي حاتم ثم تاب من بعده وأصل أي رجع عما كان عليه من المعاصي وأقطع وعزم على أن لا يعود وأصل العمل في المستقبل فإنه غفور رحيم قال الامام أحمد (٦٠) حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قضى الله على الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش إن رضى غلبت غضبي أخرجاه في الصحيحين وهكذا رواه الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة ورواه موسى بن عبيدة عن الأعرابي عن أبي هريرة وكذا رواه الليث وغيره عن محمد بن بجلان عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي بذلك وقدرى ابن مردويه من طريق الحكم بن دبان عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فرغ الله من القضاء بين الخلق أخرج كتابا من تحت العرش إن رضى سبقت غضبي وإن أرحم الراحمين فيقبض قبضة أو قبضتين فيخرج من النار خلقا لم يعملوا خيرا مكتوب بين أيمنهم عقابا لله وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن عاصم ابن سليمان عن أبي عثمان النهدي عن سلمان في قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة قال أنا نحفي التوراة عطفين إن الله خلق السموات والأرض وخلق مائة درجة أو جعل مائة درجة قبل أن يخلق الخلق ثم

الدين والعقبي وليس في هذا ذكر بل ما قبله فإنه وارد في التناهي على هؤلاء والاول ووارد في إيجاب الموالاة والنصرة ثم أخبر سبحانه أن (لهم) منه (مغفرة) الذنوبهم في الآخرة (و) لهم في الدنيا (رزق كريم) خالص عن الكدر طيب مستلذ لا تبعلة ولا منة فيه ثم ألحق بهم في الامر من من سيجلج بهم ويتسم بهم فقال (والذين آمنوا من بعد وهاجر وأوجادوا معكم) اختلف في قوله من بعد فقيل من بعد الحديبية وبعدة الرضوان قال القرطبي وذلك أن الهجرة من بعد ذلك كانت أقل رتبة من الهجرة الاولى والهجرة الثانية هي التي وقع فيها الصلح ووضع الحرب وأزارها نحو عامين ثم كان فتح مكة اه وقيل بعد نزول هذه الآية وقيل من بعد غزوة بدر وقال الخازن الأصم أن المراد بهم أهل الهجرة الثانية لأنها بعد الهجرة الاولى لأن الهجرة قد انقطعت بعد فتح مكة لأنها صارت دارا لسلام بعد الفتح (فأولئك منكم) أي مثلكم في استحقاق ما استحققوه من الموالاة والمناصرة وكال الأيمان والمغفرة والرزق الكريم لكن فيه دليل على أن مرتبة المهاجرين الاولين أشرف وأعظم من مرتبة المهاجرين المتأخرين بالمهجرة لأن الله تعالى ألحق المهاجرين المتأخرين بالمهاجرين السابقين وجعلهم معهم وذلك معرض المدح والشرف ولولا أن الاولين أفضل وأشرف لما صح هذا الإلحاق قال في الجمل ولم ينموا هنا على حكم التوارث بالمهجرة الثانية هل هو ثابت كما في الهجرة الاولى أو غير ثابت لا تحطاط رتبة أهل الهجرة الثانية عن رتبة أهل الهجرة الاولى الاما رأيت في الخطيب ونصه فأولئك منكم أي من جملتكم أيها المهاجرون والانصار فلهم ما لكم وعليهم ما عليكم من الموارث والغنائم وغيرهما (وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض) بين سبحانه بأن ذوى القربات بعضهم أولى ببعض من غيرهم من لم يكن فيه وبينهم رحم في الميراث فيتناول كل قرابة وقيل المراد بهم خسا العصابات قالوا ومنه قول العرب وصلتك رحم فانهم لا يريدون قرابة الام ولا يتحقق أنه ليس في عدا ما يمنع من اطلاقه على غير العصابات وقد استدلل بهذه الآية من أثبت ميراث ذوى الارحام وهم من ليس بعصبة ولا ذوى سهم على حسب اصطلاح أهل علم الموارث واليه ذهب أصحاب أبي حنيفة والخلاف في ذلك معروف مقر في مواطنه وقد قيل ان هذه الآية ناسخة الميراث بالموالاة والنصرة عند من فسر ما تقدم من قوله بعضهم وأوليا بعض وما بعده بالتوارث وأما من فسرها بالنصرة والمعونة فيجعل هذه

الآية خلق الخلق فوضع بينهم درجة واحدة وأسلك عنده تسع وتسعين درجة قال فيها يتراحمون وبها يتعاطفون وبها يتبادلون وبها يتزاورون وبها تحن الناقة وبها تنج البقرة وبها تتبع الطير وبها تتابع الحيتان في البحر فإذا كان يوم القيامة جمع الله تلك الدرجة الى ما عنده ورجعه أفضل وأوسع وقدرى هذا من فواعن وجه آخر وسيأتي كثير من الاحاديث الموافقة لهذه عند قوله ورحمتي وسعت كل شيء وبما يناسب هذه الآية من الاحاديث أيضا قوله صلى الله عليه وسلم لعاد ابن جبريل أن تدري ما حق الله على العباد أن يعبدوه لا يشركوا به شيئا ثم قال أن تدري ما حق العباد على الله إذا هم فعلا ذلك أن

لا بعدنهم وقدر واه الامام أجده من طريق كميل بن زياد عن أبي هريرة (وكذلك تفصل الآيات ولتستبين سبيل المحرمين
 قل اني نهيتم أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل لا تسبحواهم كما قد ضللت اذا وما آمنتم بالهتدين قل اني على بينة من ربي
 وكذبت به ما عندي ما تستعجلون به ان الحكم الا الله يقص الحق وهو خير الفاضلين قل لو ان عندي ما يستعجلون به لقضيت الامر بيني
 وبينكم والله اعلم بالظالمين وعندكم ميثاق العيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تستعجلون من ورقة الا يعلمها ولا حكمة في ظلمات
 الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين) يقول تعالى وكاينما تقدم بيانه (٦١) من الحجج والدلائل على طريق الهداية
 والرشاد وزم الجسالة والعناد

كذلك تفصل الآيات التي يحتاج
 المخاطبون اليها وتستبين
 سبيل المحرمين أي وتظهر طريق
 الجرمين المخالفين للرسل وقرئ
 ولتستبين سبيل المحرمين أي
 ولتستبين في سبيل أو مخاطب سبيل
 الجرمين وقوله قل اني على بينة من
 ربي أي على بصيرة من شريعة الله

التي أوحاها الله الي وكذبتم به أي
 بالحق الذي جاءني من الله ما عندي
 ما تستعجلون به أي من العذاب أن
 الحكم الله أي انما يرجع امر
 ذلك الى الله ان شاء عجل لكم
 ما سألتموه وان شاء أظفركم
 وأجلكم لما له في ذلك من الحكمة
 العظيمة ولهذا قال يقص الحق
 وهو خير الفاضلين أي وهو خير من
 فصل القضايا وخير الفاتحين في
 الحكم بين عباد الله وقوله قل لو ان
 عندي ما تستعجلون به لقضيت الامر
 بيني وبينكم أي لو كان مرجع ذلك
 الى لا وقعت لكم ما تستعجلونه من
 ذلك والله اعلم بالظالمين فان قيل
 فما الجمع بين هذه الآية وبين ما نثرت

الآية اخبارا منه سبحانه وتعالى بان القرابات بعضهم أولى ببعض (في كتاب الله) أي في
 حكم الله وفي اللوح المحفوظ وفي القرآن وهو أن قسمه الموارث مذكورة في سورة
 النساء من كتاب الله وهو القرآن وكذا اعطاء أهل القروض فروضهم وما ياتي للعصبات
 وبهذا أجاب الشافعي أصحاب أبي حنيفة رحمه الله ويدخل في هذه الاولوية الميراث
 دخولا وليا لوجود سببه أعني القرابة (ان الله بكل شيء عليم) لا يخفى عليه شيء من الاشياء
 كما انما كان ومن جملة ذلك ما تضمنته هذه الآيات من التوارث بمقتضى الإيمان
 والهجرة ولو بدون قرابة الذي قد نسخ والتوارث بمقتضى القرابة ولو بدون مشاركة في
 الهجرة والنصرة والله سبحانه وتعالى أعلم

(سورة براءة)

هي مائة وثلاثون آية وقيل مائة وسبع وعشرون آية ولها أسماء منها سورة التوبة لان فيها
 ذكر التوبة على المؤمنين وعن حذيفة انكم تسهون سورة التوبة وهي سورة العذاب
 اه وتسمى الفاضحة لانه ما زال ينزل فيها ومنهم من يسميها كادت أن لاتدع أحدا وتسمى
 البحوث لانها تبحث عن أسرار المنافقين وتسمى المعثرة والبثرة الجث وتسمى أيضا
 بأسماء أخر كالمفحشة لانها تنقش من النفاق أي تبرى منه والخزفة لكونها أخزت
 المنافقين والمشيئة لانها تثير أسرارهم والحقارة لكونها تحقر عنوا والمنكسرة لما فيها من
 التمهكيل لهم والمدممة لانها تدمم عليهم أي تهلكهم قال الخفاجي وأسمائها
 كلها بصيغة الفاعل الالحوث بفتح الباء فانه صيغة ما بالغة بمعنى اسم الفاعل اه قلت
 والالبراء والتوبة وسورة العذاب وهي مدينة قال القرطبي باتفاق وعن ابن عباس قال
 نزلت بعد فتح مكة وعنه قال نزلت بالمدينة وعن ابن الزبير وقتادة نحوه وعن البراء قال
 آخر سورة نزلت تامة براءة رواد البخاري وقد اختلف العلماء في سبب سقوط البسلة
 من أولها على أقوال منها ما روى عن المبرد وغيره انه كان من شأن العرب اذا كان بينهم
 وبين قوم عهد فاذا أرادوا نقضه كتبوا اليهم كتابا لولم يكتبوا فيه بسلة فلما نزلت براءة
 بنقض العهد الذي كان بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمشركين بعث بها النبي صلى
 الله عليه وآله وسلم على بن أبي طالب فقراها عليهم ولم يسمل في ذلك على ما جرت به عادة

في الصحيحين من طريق ابن زهبع بن نونس عن الزهري عن عروة عن عائشة أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله
 هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد فقال لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منه يوم القعدة إذ غرقت نفسى على ابن
 عبد المطلب بن عبد كلال فلم يجبني الى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق الا بقرن العناب فرفعت رأسى فاذا
 أنا بسحابة قد ظلمتني فنظرت فاذا فيها جبريل عليه السلام فتنادى فقال ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث
 اليك ملك الجبال لتأمرهم بما شئت فيهم قال فتنادى ملك الجبال وسلم على ثم قال يا محمد ان الله قد سمع قول قومك لك وقد بعثنى

ربك البك لتأمرني بأمر لا يثبت ان ثبتت طبقت عليهم الاخسسين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا وهذا لفظ مسلم فقد عرض عليه عذابيهم واستصالحهم فاستأناهم وسأل لهم التأخير لعل الله أن يخرج من أصلابهم من لا يشرك به شيئا فالجواب والله أعلم أن هذه الآية دلت على أنه لو كان الله وقوع العذاب الذي يطلبونه حال طيلهم (٦٢) لا وقعهم وما الحديث فليس فيه أنهم سألوه وقوع العذاب بهم بل عرض

عليه ملك الخيال انه ان شاء أطبق عليهم الاخسسين وهاجملا مكة يستقناها جنوبا وشمالا فلهم استأني بهم وسأل الرقي لهم وقوله تعالى وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو قال البخاري حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا ابراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها الا الله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عالم خبير وفي حديث عمر أن جبريل حين سدى له في صورة اعرابي فسأل عن الايمان والاسلام والاحسان فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فيما قال له خمس لا يعلمها الا الله ثم قرأ ان الله عنده علم الساعة الآية وقوله ويعلم ما في البر والبحر أي يحيط عليه الكرم بجميع الموجودات ربها ويحريم الايتحي

العرب في نقض العهد من ترك التسمية وعن علي قال البسملة أمان وبراءة عزت بالسيف أشار الى وجهه ترك كلمة البسملة في هذه السورة والتلفظ بها دون غيرها قال الخفاف والسلف فيه أقوال ثلاثة أحدها اه قلت وروى نحوه عن سفيان بن عيينة وروى عن مالك بن أنس وابن عجلان وابن جبير أنها كانت تعدل سورة البقرة أو قرى بامتها وأنه لما سقط أولها سقطت البسملة ومن جهة الاقوال في سقوطها أنهم لما كتبوا المعقف في خلافة عثمان اختلفت العجاجة فقال بعضهم براءة والانفال سورة واحدة وقال بعضهم هما سورة فان فتركت بينهما فترقة لقول من قال هما سورة فان تركت البسملة لقول من قال هما سورة واحدة فرضي القرينان معا قاله خارجة وأبو عصة وغيرهما وقول من جعلهما سورة واحدة أظهر لأنهما جميعا زلن في القتال ومجموعهما مائة وستين وخمس آيات وبعدها سبع السبع الطوال ومنها ما قال السوطي انه لم تكتب فيها البسملة لانه صلى الله عليه وآله وسلم لم يأمر بذلك كايخذ من حديث رواه الحاكم اه وعن عثمان قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يبين لنا أنها مفاتيح فثبتت أنها مفاتيح ثم قرئت بينهما ولم يكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم أخرجه الترمذي وحسنه والعجمي أنه لم تكتب لأن جبريل لما نزل بها في هذه السورة قاله التشبيري قال أبو السعود واشتهر هذا الاسم يقضى بأنهما سورة مستقلة وليست بعضا من سورة الانفال وادعاء اختصاص الاشهاد بالقائلين باستقلالها خلاف الظاهر فيكون حكمه ترك التسمية عند النزول نزولها في رفع الامان الذي يأتي مقامه التصديق بما يشعر بقاءه من ذكر اسمه تعالى مشقوعا بوصف الرحمة كما روى عن ابن عيينة رضي الله تعالى عنه لا الاشتباه في استقلالها وعدمه كما يحكى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ولا رعاية ما وقع بين العجاجة رضي الله تعالى عنهم من الاختلاف في ذلك على أن ذلك ينزع الى القول بأن التسمية ليست من القرآن وانما كتبت الفصل بين السورتين فقل عن قدام الحنفية وانما مناط اثباتها في المصاحف وتركها انما هو رأى من تصدى لجمع القرآن دون التوقيف ولا ريب في أن الصحيح من المذهب أنها آية مفردة من القرآن أنزلت للفصل والتبرك بها وأن لا مدخل لراى أحد في الانبياء والتبرك وانما المتبع في ذلك هو الوحي والتوقيف ولا مزية في عدم نزولها ههنا والالامع أن يقع في

الاستقلال

عليه من ذلك شيء ولا مشغال ذرة في الارض ولا في السماء وما أحسن ما قال الصرصري

فلا يخفى عليه الزما * ترامي للنواظر أبو وارى
أى ويعلم الحركات حتى من الجادات فاطنة بالحيوان ولا سيما المكلفون منهم من جنسهم وانهم كما قال تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا الحسين بن الربيع حدثنا أبو الاخوص عن سعد بن مسروق حدثنا الثوري عن ابن عباس في قوله وما تنسقط من ورقة الا يعلمها قال ما من شجرة في رول البحر الا مال موضوع كل بها

يكتب ما يبدع من قلوبهم ولا ياتهم به من قلوبهم ولا ياتهم به من قلوبهم ولا ياتهم به من قلوبهم
الارض قال محمد بن اسحق عن يحيى بن النضر عن أبيه سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول ان تحت الارض الثلاثة فوق
الرابعة من الجن ما لا انهم ظهروا يعني لكم لم تراهم فورا على كل زاوية من زوايا الارض خاتم من خواتم الله عز وجل على كل
خاتم ملائكة من الملائكة يعث الله عز وجل اليه في كل يوم ملكا من عنده ان احتفظ بجامعنا ذلك قال ابن ابي حاتم حدثنا عبد الله
ابن محمد بن عبد الرحمن بن السور الزهري حدثنا مالك بن شعير حدثنا (٦٣) الاعشى عن ابن زيد بن ابي زياد عن عبد الله

ابن الحارث قال ما في الارض من
شجرة ولا مغر زابرة الا عليها ملك
موكل يأتي الله بعلمها رطوبتها
اذا رطبت ويؤسستها اذا يبست
وكذا رواه ابن جرير عن أبي الخطاب
زيد بن عبد الله الحساني عن مالك
ابن شعير بن عمير قال قال ابن ابي حاتم
ذكر عن أبي حذيفة حدثنا
سفيان عن عمر بن قيس عن رجل
عن سعيد بن جبيرة عن ابن
عباس قال خلق الله النون وهي
الدواة وخلق الالواح فكتب فيها
أمر الدنيا حتى تنقضي ما كان من
خلق مخلوق أو رزق حلال أو
حرام أو عمل بر أو جور وقرأ هذه
الآية وما نسقط من ورقة الا يعلمها الى

آخر الآية وهو الذي يتوفاكم بالليل
ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم
فيه ليقضي أجل مسمى ثم إليه
مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم
تعملون وهو القاهر فوق عباده
ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء
أحدكم الموت توفقه رسلنا
وهو لم يفرطون ثم ردوا الى الله
مولاهم الحق آله الملك وهو أسرع

الاستقلال اشتباه أو اختلاف فهو اما الاتحاد السورتين أو لما ذكرنا لاسباب الى الاول
والا لينة عليه الصلاة والسلام لتحقيق مزيد الحاجة الى البيان لتعاضد أدلة الاستقلال
من كثرة الآيات وطول المدة فيما بين نزولهما حيث لم يبين عليه الصلاة والسلام تعيين
الثاني لان عدم البيان من الشارع في موضع البيان بيان للعدم (برائة) أي هذه براءة
وتوضيحه للتفخيم وقرى بالنص أي اسمعوا براءة قاله عيسى بن عمر يقال برئت من
الشيء أي أبرأه أو أنا منه برئ اذ أزلت عن نفسك وقطعت سبب ما بينك وبينه وقيل
معناها هاتنا للتباعد عما تكره مجاورته (من الله ورسوله) من استبدائية أي هذه براءة
مبتدأة من جهة الله تعالى ورسوله واصله (الى الذين عاهدتم من المشركين)
عهدهم اطلاقا أو دون أربعة أشهر أو فوقها والعهد العقد الموثق باليمين والخطاب
للمسلمين ومن بيان للموصول وقدها عهدا ومشرى مكة وغيرهم بأذن من الله واتفاق
من الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى الاخبار للمسلمين بأن الله ورسوله قدبر ثامن
قلت المعاهدة سبب ما وقع من الكفار من النقض فصار التبدل اليهم بعهدهم واجبا على
المعاهدين من المسلمين ومعنى براءة الله سبحانه وقوع الاذن منه سبحانه بالنبيذ من المسلمين
لعهد المشركين بعد وقوع النقض منهم وفي ذلك من التفخيم لشأن البراءة والتحويل لها
والتمسح على المشركين بالنقل والهوان ما لا يخفى (فسيحوا) أي المشركون (في الارض
أربعة أشهر) أمر اباحه منه سبحانه بالسياحة بعد الاخبار بملك البراءة والسياحة
السير يقال سباح فلان في الارض يسبح سباحا وسياحة وسياحا وسياحا وناو منه سبح الخيل
قال أبو السعود السباح هو السبح الذهب في الارض والسير فيها يسير وهو على مقتضى
المشيمة كسبح الماء على موجب الطسعة فنيه من الدلالة على كمال التوسعة والترفيه
ماليس في سيرا وتطائره وزيادة قوله في الارض لقصد التعميم لا قطارها من دار الاسلام
وغیرها انتهى ومعنى الآية ان الله سبحانه بعد أن أذن بالتبدل الى المشركين بعهدهم أباح
للمشركين الضرب في الارض والذهاب الى حيث يريدون والاستعداد للحرب هذه
الاربعة الاشهر وليس المراد من الامر بالسياحة تكليفهم بها وهذا القول كاذب عن عتد
الامان لهم اربعة أشهر بعد نقضهم العهد بصوره الثلاث وانما اقتصر على الاربعة لقوة
المسلمين اذ ذلك بخلاف صلح الحديبية فإنه كان على عشرين سنين اضعف المسلمين اذ ذلك قال
محمد بن اسحق ومجاهد وغيره ما ان المشركين صنفان صنف كانت مدة عهدهم أقل من

الحاسين يقول تعالى انه يتوفى عباده في مناهم بالليل وهو التوفى الاصغر كما قال تعالى اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعتك
الى وقال تعالى يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في مناهم افيتم الى توفى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى
فذكر في هذه الآية الوفاين الكبير والصغرى وهكذا ذكر في هذا المقام حكم الوفاين الصغرى ثم التكرير فقال وهو الذي
يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار وهذه جملة معترضة دلت على احاطة علمه تعالى بخفيته في ليالهم ونهارهم في حال سكوتهم
و حال حركتهم كما قال سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسار بالنهار وكما قال تعالى ومن رحمته

جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه أي في الليل ولتبتغوا من فضله أي في النهار كما قال وجعلنا الليل ابسا وجعلنا النهار معاشا ولهذا قال تعالى ههنا هو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار أي ما كسبتم من الاعمال فيه ثم يبعثكم فيه أي في النهار قاله مجاهد وقتادة والسدي وقال ابن جرير جمع عن عبد الله بن كثير أي في المنام والاول أظهر وقدرى في النهار قاله بسنده عن الضحاك عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مع كل انسان ملك اذا نام يأخذ نفسه ابن مردويه بسنده عن الضحاك عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مع كل انسان ملك اذا نام يأخذ نفسه ويرد اليه فان اذن الله في قبض روحه قبضه (٦٤) والارداليسه فذلك قوله وهو الذي يتوفاكم بالليل وقوله ليقضى أجل

مسمى يعنى به أجل كل واحد من الناس ثم اليه مرجعكم أي يوم القيامة ثم ينشئكم أي فيخبركم بما كنتم تعملون أي ويخبركم على ذلك ان خيرا خيرا وان شرا شرا وقوله وهو القاهر فوق عباده أي هو الذي يهزم كل شيء ويخضع لجلاله وعظمته وكبريائه كل شيء ويرسل عليكم حفظة أي من الملائكة يحفظون بدن الانسان كقوله لمعقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله وحفظة يحفظون عمله ويحصونه كقوله وان عليكم لحافظين الآية وقوله اذيتني المتلقيان الآية وقوله حتى اذا جاء أحدكم الموت أي احتضر وحيات أجله توفته رسلنا أي ملائكة موكلون بذلك قال ابن عباس وغير واحد لما مات الموت أعوان من الملائكة يخرجون الروح من الجسد فيقبضها ملائكة الموت اذا انتهت الى الخلقوم وسبأني عند قوله تعالى ثبت الله الذين آمنوا

أربعة أشهر فأهل تمام أربعة أشهر والاخر كانت مدته أكثر من ذلك فقصر على أربعة أشهر ليرتاد لنفسه وهو حرب بعد ذلك لله ولرسوله وللمؤمنين به قتل حيث يوجد الآن يتوب ويرجع الى الايمان وابتداء هذا الاجل يوم الحج الاكبر وانقضاءه الى عشر من ربيع الاخر فاما من لم يكن له عهد فاعلم أنه انسلخ الاشهر الحرم وذلك خسون يوماء عشرون من ذي الحجة وشهر محرم وقال الكلبي انما كانت الاربعة الاشهر لمن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد دون أربعة أشهر فتم له الاربعة ومن كان عهده أكثر من ذلك فهو الذي أمر الله ان يتم له عهده بقوله فاقم اليهم عهدهم الى مدتهم كما سأتى ورجع هذا ابن جرير وغيره وعن الزهري قال نزلت في سؤال فهدى أربعة أشهر كسؤال وذو القعدة وذو الحجة ومحرم والقول الاول اصوب وعليه الاكثر وفي الباب سؤال وذو القعدة وذو الحجة ومحرم والقول الاول اصوب وعليه الاكثر وفي الباب أقوال وقيل المقصود من هذا التأجيل ان يفكروا ويحتاطوا لانفسهم ويعلموا أنه ليس لهم بعد هذه المدة الا الاسلام أو القتل فيصير هذا داعيا اليهم الى الدخول في الاسلام ولثلاثين من المسلمون الى الغدر ونكث العهد وقال ابن التبري التقدير قل لهم فيجوا وليس هذا من باب الامر بل المقصود منه الاباحة والاطلاق والاعلام بحصول الامان وزوال الخوف يعني سيحيا في الارض وانتم آمنون من القتل والقتال وقد توفهم بعضهم ان بعث علي بن ابي طالب بقرأة اول برائة عزل أبي بكر عن الامارة وذلك جهل من هذا المتوهم والبحث مستوفى في موطنه (واعلموا انكم غير محزى الله) أي اعلموا ان هذا الامهال ليس للجز ولكن لمصلحة لتسبون من تاب وفي ذلك ضرب من التهديد كقوله قل افعلا في هذه المدة كلما مكسبكم من اعداد الآلات والادوات فانكم لا تفوتون الله ولا تغتروا وبعقد الامان لكم (وان الله محزى الكافرين) أي وهو محزى بكم ومذلكم ومهينكم في الدنيا بالقتل والاسر وفي الآخرة بالعذاب والنار وفي وضع الظاهر موضع المضمر إشارة الى أن سبب هذا الاخر هو الكفر ويجوز ان يكون المراد جنس الكافرين فيدخل فيه المخاطبون دخولا واسيا وأخرج الترمذي وحسنه وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر وأمره ان ينادي بهؤلاء الكلمات ثم أتبعه عليا وأمره ان ينادي بهؤلاء الكلمات فانطلقا وحقا فقام علي في أيام التشريق فنادى ان الله بري من المشركين

ورسوله بالقول الثابت الاحاديث المتعلقة بذلك الشاهدة لهذا الروي عن ابن عباس وغيره بالصححة وقوله وهم لا يفرطون أي في حفظ روح المتوفى بل يحفظونها يتركونها حيث شاء الله عز وجل ان كان من البراءة في عليين وان كان من التقياء في سجين عباد الله من ذلك وقوله ثم ردوا الى الله مولاهم الحق وقد كرهنا الحديث الذي رواه الامام أحمد حيث قال حدثنا حسين بن محمد حدثنا ابن أبي ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الميت يحضره الملائكة فاذا كان الرجل الصالح قالوا اخرجي أيتها النفس المطمئنة كانت في الجسد الطيب اخرجي خيطة

وأبشري بروح وربحان وزين غير غضبان فلا يزال يقال لهذا الذي يخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح فيفتح لها فيقال فلان من حجاب النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ادخلت حيدة وأبشري بروح وربحان وزين غير غضبان فلا يزال يقال لهذا الذي حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل وإذا كان الرجل السوء قالوا اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث اخرجي ذميمة وأبشري بجميم وغساق وآخ من شكله أذواج فلا يزال يقال لهذا الذي يخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال فلان من هذا فيقال فلان لا حجاب النفس الخبيثة كانت (10) في الجسد الخبيث اخرجي ذميمة فإنه لا يفتح

للك أبواب السماء فتُرسل من السماء ثم تصير إلى القبر فيجلس الرجل الصالح فيقال له مثل ما قيل في الحديث الأول ويجلس الرجل السوء فيقال له مثل ما قيل في الحديث الأول وهذا حديث غريب وقوله ثم ردوا إلى الله بمعنى الملائكة ويحتمل أن يكون المراد بقوله ثم ردوا يعني الخلائق كهم إلى الله يوم القيامة فيحكم فيهم بعدله كما قال قل إن الأولين والآخرين ليجوعون إلى ميقات يوم معلوم وقال وحشرناهم فلم تغادر منهم أحدا إلى قوله ولا يظلم ربك أحدا ولهذا قال مولا هم الحق ألاله الحكم وهو أسرع الحاسبين (قل من ينحيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجيتمن هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينحيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تسركون قل هو القادر على أن يبعث عليكم عدونا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويزق بعضكم بأس بعض انظروا

ورسوله فيخوفا الأرض أربعة أشهر ولا يحجب بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا المؤمن فكان على ينادي فاذا أعيا قام أبو بكر ينادي بها وفي الباب أحاديث في الصبيح وغيرهما بالفاظ (وأذن من الله ورسوله) الاذان بمعنى الاذان وهو الاعلام كما أن الامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء ومعنى (إلى الناس) التعميم في هذا أي انه إيدان من الله إلى كافة الناس غير محص بقوم دون قوم فهذه الجملة متضمنة للاخبار بوجوب الاعلام لجميع الناس والجملة الأولى متضمنة للاخبار بالبراءة إلى المعاهد من خاصة (يوم الحج الأكبر) ظرف لقوله واذن ووصفه بالا كبر لانه يجمع فيه الناس أولكون معظم أفعال الحج فيه أو احتراز عن العمرة ففي الحج الأصغر لان أعمالها أقل من أعمال الحج اذ ينيد عليها بأمر كالرمي والمبيت فكان أكبر هذا الاعتبار وسمي يوم الحج لان أعمال الحج يتم فيه معظمها وقد اختلف العلماء في تعيين هذا اليوم المذكور في الآية فذهب جمع منهم على أن أي طالب وابن مسعود وابن أبي أوفى والمغيرة بن شعبة ومجاهد إلى أنه يوم النحر ويحجه ابن جرير وذهب آخرون منهم عمر وابن عباس وطاوس إلى أنه يوم عرفة والاول أرجح لان النبي صلى الله عليه وسلم أمر من بعثه لبلاغ هذا إلى المشركين أن يبلغهم يوم النحر وأخرج الترمذي وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن علي قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم الحج الأكبر فقال يوم النحر وأخرج أبو داود والنسائي والحاكم وصححه عن عبد الله بن قريط قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الايام عند الله يوم النحر ثم يوم الفطر وعن أي أوفى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الاضحى هذا يوم الحج الأكبر أخرجه ابن مردويه وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر بين الجمرات في الخبة التي حج فقال أي يوم هذا قالوا يوم النحر قال هذا يوم الحج الأكبر أخرجه البخاري وأبو داود وابن ماجه وغيرهم ولا يخفى ان الأحاديث الواردة في كون يوم النحر هو يوم الحج الأكبر هي ثابتة في الصحيحين وغيرهما من طرق فلا تقوى لمعارضتها هذه الروايات المصرحة بأنه يوم عرفة وقيل أيام منى كلها وبه قال مجاهد وسفيان الثوري وهو (1) يوم النحر وقيل اليوم الذي حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبه قال ابن سيرين والاولى وأولى وقيل القرآن قاله مجاهد (ان الله يرى من المشركين ورسوله) أي بأن الله يرى ورسوله يرى منهم وقرئ

(9 - فتح البیان ع) كيف تصرف الآيات عليهم بفتحون يقول تعالى يستعاض على عبادته في انحاء المضطرب من منهم من ظلمات البر والبحر أي الحائرين الواقفين في المهامه البرية وفي اللجج البحرية اذا هاجت الرياح العاصفة فينشدون الدعاء له وحده لا شريك له كقوله واذما سكم الضرب في البحر من تدعون الاياه الاية وقوله هو الذي يسر لكم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرى منهم ريح طيبة وفرحوا بها اجتاهتم ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتمننا من هذه لنكونن من الشاكرين الاية وقوله آمن بهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح ننشرا (1) قوله وهو يوم النحر كذا في الاصل وانظر وحرره

بين يدي رحمة الله مع الله عما يشركون وقال في هذه الآية الكريمة قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر يدعونه لضرر ما
وخفته أي جهرا و سرا للأنبياء من هذه أي من هذه الضيقة لتكون من السالكين أي بعدها قال الله قل الله ينجيكم منها ومن
كل كرب ثم أنتم أي بغد ذلك تشركون أي تدعون معه في حال الرافهة آلهة أخرى وقوله قل هو القادر على أن يعث عليكم عذابا
من فوقكم أي من تحت أرجلكم لما قال ثم أنتم تشركون عقبه بقوله قل هو القادر على أن يعث عليكم عذابا أي بعد أنجاه
الأكبر كقوله في سورة سبحان ربكم الذي يرحي (٦٦) لكم الفل في البحر لتبعوا من فضله أنه كان بكم رحيمًا وإذا مسكم الضر

في البحر ضل من تدعون الاياه فلما
 نجيا كم الى البر اعرضتم و كان
 الانسان كفورا اقامتم ان
 تخفف بكم جانب البر او ترسل
 عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم
 وكيلا ثم امنتهم ان نعيدكم فيه تارة
 اخرى فترسل عليكم قاصفا من
 الاربع فنفركم عما كفرت ثم
 لا تجدوا لكم علينا به تبيعا قال
 ابن ابي حاتم ذكر عن مسلم بن ابراهيم
 حدثنا هرون الاعور عن جعفر بن
 سليمان عن الحسن بن فوفه قل هو
 القادر علي ان يعذب عليكم عذابا
 من فوقكم او من تحت أرجلكم
 قال هذه للمشركين وقال ابن ابي
 نجيم عن مجاهد قل هو القادر علي
 ان يعذب عليكم عذابا من فوقكم
 او من تحت أرجلكم لامة محمد صلى
 الله عليه وسلم وعفي عنه وندكره
 الاحاديث الواردة في ذلك والائمة
 وبالله المستعان وعليه التكلان
 وبه الثقة قال البخاري رحمه الله
 تعالى في قوله تعالى قل هو القادر علي
 ان يعذب عليكم عذابا من فوقكم
 او من تحت أرجلكم او يلبسكم

أَوْ مِنْ تَحْتَ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ
شِيْعًا وَيَذِيقُ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ
يَلْبِسَكُمْ مَخَاطِبَ مِنْكَ مِنَ الْإِلْتِمَاسِ يَلْبِسُ
عَبْدُ اللَّهِ قَالَ لِمَا زِلْتَ هَذِهِ الْأَيَّةَ
بِوَجْهِكَ أَوْ مِنْ تَحْتَ أَرْجُلِكَ قَالَ أَوْ
بِوَسِيلَةِ هَذِهِ أَهْوَى أَوْ أَيْسَرُ وَهَكَذَا

ورسوله بالجر على ان الواو والقسم وهي ضعيفتجددا وقرئ شاذا أيضا بالتصب على انه
مفعول به قاله الرخنري والرفع قراءة الجمهور بانفاق السبعة (فان تبتم) من الكفر
وفيه الثبات من الغيبة الى الخطاب وقيل فائدة هذا الالتفات زيادة التمهيد (فهو) أي
الكتاب أو التوبة أو التوبة (خير لكم) أي أخير وأحسن من بقائكم على الكفر الذي
هو خير في زعمكم أو التفضل ليس على بابہ والعنى هو خيرا لاشر وفيه ترغيب في التوبة
والإقلاع عن الشرك الموجب لدخول النار (وان توليتم) أي أصرضتم عن التوبة وبقيتم
على الكفر (فاعلموا أنكم غير معجزى الله) أي غير فائتين عليه بل هو مدرككم
فجازيكم بأعمالكم وفيه وعيد عظيم وتمهيد شديد (وبشر الذين كفروا بعذاب أليم)
عبر عن الاخبار بالثارة تمهيد لهم وفيه من التمهيد ما لا يخفى (الذين عاهدتم من
المشركين) قال ابن عباس هم قريش وقال قتادة هم مشركو قريش الذين عاهدتهم نبي
الله زمن الحديبية وقيل هم بنو ضمرة من كنانة وعن محمد بن عبادهم هم بنو جديعة بن
عامر من بني بكر بن كنانة قال أبو السعود الا الذين الخ استدرأه من التذلل السابق الذي
أخبره القتال أربعة أشهر كأنه قيل لا تمهلوا التاكسين فوق أربعة أشهر لكن الذين
عاهدتوهم ثم لم ينكروا عهدهم فلا يجزى الناكسين في المصارعة الى قتالهم بل
أتوا اليهم عهدهم ولا يضر في ذلك تخلل الفاصل بقوله تعالى واذا من الله ورسوله الخ
لانه ليس باجزي بالكلية بل هو أمر باعلام تلك البرائة كأنه قيل وأعلموا وقيل هو استئذان
متصل من المشركين الاول ويرده بقاء الثاني على العموم مع كونه معايرة عن فريق
واحد وجعله استئذانا من الثاني بإياه بقاء الاول كذلك وقيل هو استدرأه من
المقدري فيجبوا أي قولوا اللهم سجدوا أربعة أشهر لكن الذين عاهدتم منهم (ثم)
بنقصوكم شيئا من شروط المشاق ولم يقتلوا منكم أحدا ولم يضر قوتكم
أي لم يقع منهم أي نقص وان كان يسيرا وقرأ عكرمة وعطاء بن يسار بالضاد المحجمة
أي لم ينقصوا عهدكم وفيه دليل على انه كان من أهل العهد من خاص بعهدهم ومنهم
من ثبت عليه فاذن الله سبحانه لنيه صلى الله عليه وسلم بنقض عهد من نقض وبالوفاء
لمن لم ينقض الى مدته وقرأ الجمهور بالواو اذالمهملة قال الكرماني قراءة العجوة مناسبا
لذكر العهد فان من نقض العهد فقد نقص من المدة الا أن قراءة العجوة أو

لِقَامَتِهَا

طریق صرف آیات لعالم یقینون

[illegible]

ومحمد بن النضر بن مساو و يحيى بن حبيب بن عدي أراهم عن حماد بن زيد . وقدر واما الحمادي في مسنده عن سفيان
ابن عيينة عن عمرو بن دينار سمع جابرأ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ورأوا ابن حبان في صحيحه عن أبي يعلى الموصلي
عن أبي حنيفة عن سفيان بن عيينة به . ورأوا ابن جرير في تفسيره عن أحمد بن الوليد القرشي وسعيد بن الربيع وسفيان
ابن وكيع . كلهم عن سفيان بن عيينة به . ورأوا أبو بكر بن مردويه عن حديث آدم بن أبي اسحاق . ويحيى بن عمار الحمادي وعاصم
ابن علي عن سفيان بن عيينة به . ورأوا سعيد بن منصور عن حماد بن زيد (٦٧) وسفيان بن عيينة كلاهما عن عمرو بن دينار

به (طريق آخر) قال الحافظ
أبو بكر بن مردويه في نفسه
حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا
مقدام بن داود حدثنا عبد الله بن
يوسف حدثنا ابن لهيعة عن خالد بن
يزيد عن أبي الربيع عن جابر قال لما
نزلت قل هو القادر على أن يعذب
عليكم عذابا من فوقكم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم أعوذ بالله
من ذلك أو من تحت أرجلكم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أعوذ
بهذا من ذلك أو يلبسكم شيئا قال
هذا ليسر ولو استعاده لا أعاده
ويتعلق بهذه الآية أحاديث كثيرة
* أحدها قال الامام أحمد بن
حسبل في مسنده حدثنا أبو
اليمان حدثنا أبو بكر يعني ابن
أبي مريم عن راشد هو ابن سعد
المقري عن سعد بن أبي وقاص
قال سئل رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن هذا الآية قل هو القادر
على أن يعذب عليكم عذابا من
فوقكم أو من تحت أرجلكم قال
اما انها كانت ولم يأت تأويلها

لما بانها التام وكلمة ثم للدلالة على ثباتهم على عهدهم مع حمادي المدة (ولم يظاهروا)
المظاهرة المعاونة أي لم يوافقوا (عليكم أحدا) من أعدائكم كما عذب بنو بكر على
خزاعة في غيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فظاهروهم قريش بالسلاح (فأتوا
اليهم عهدهم) أي أواد اليهم عهدهم تاما غير ناقص (أل مدتهم) التي عاهدوهم
اليها وان كانت أكثر من أربعة أشهر ولو لأعمالهم معاملة الناكثين من القتال بعد
منقض المدة المذكورة سابقا وهي أربعة أشهر أو نحوها وما على الخلاف السابق (أن
الله يحب المتقين) الذين يتقون الله فيأمرهم عليهم فيوفون بالعهد قال السدي فلم يعاهد
النبي صلى الله عليه وسلم بعد هؤلاء الآيات أحدا (فإذا انسلاخ الأشهر الحرم) انسلاخ
الشهر تكاملا جزا فجزأ إلى أن ينقضي كانسلاخ الجلد عما يحويه شبه خروج المترمن عن
زمامه بانفصال المتكمن عن مكانه وأصله الانسلاخ الواقع بين الحيوان وجلده فاستعير
لانتضاء الأشهر يقال سلخت المزة ذرعا من رنحته وفي التنزيل وآية لهم الليل نسلخ منه النهار
قال الخفاف السليخ يستعمل تارة بمعنى الكشط كسلخت الاهداب عن الشاة أي رنعتة
عنها وأخرى بمعنى الانحراج كسلخت الشاة عن الاهداب أي أخرجهت امنه فاطلاق
الانسلاخ على الأشهر استعاره من المعنى الأول فإن الزمان ظرف محيط بالاشياء كالاهداب
والبيضاوى يجعله من الثاني كأنه انقضى أخرجه من الاشياء الموجودة كذا قبل ومثل
انسلاخ النجود وسنجداته تامة انتهى واختلف العلماء في تعيين الأشهر الحرم المذكورة
فهما فقيل هي الأشهر الحرم المعروفة التي هي ذوالقعدة وذو الحجة ومحرم وربيع ثلاثة
سمرود واحد وثلاثة على الآية على هذا وجوب الامساك عن قتال من لا عهد له من
المشركين في هذه الأشهر الحرم وقد وقع النداء والنبداء إلى المشركين بعهدهم يوم النحر
فكان الباقي من الأشهر الحرم التي هي الثلاثة المسروقة خمسين يوما تنقضي بانقضاء شهر
الحرم فامرهم الله بقتل المشركين حيث يوجدون وبه قال جماعة من أهل العلم منهم
الضحالك والباقر وروى عن ابن عباس واختاره ابن جرير وقيل المراد بها شهر والعهد
المشار اليها بشو له فأتوا اليهم عهدهم إلى مدتهم وسميت خرم لان الله سبحانه حرم على
المسلمين فيها ذماء المشركين والتعرض لهم وإلى هذا ذهب جماعة من أهل العلم منهم مجاهد
وابن اسحق وابن زيد وعمرو بن شعيب وقيل هي الأشهر المذكورة في قوله فيجوزوا في

بعد وأمرجه الترمذي عن الحسن بن عرفة عن اسمعيل بن عباس عن أبي بكر بن أبي مريم به ثم قال هذا حديث غير ياب (حديث
آخر) قال الامام أحمد حدثنا يعلى هو ابن عبيد حدثنا عثمان بن حكيم عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال أقبلنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مرنا على مسجد بني معاوية فدخل فقلنا ركعتين فصلينا معه فأنجز ربه عز وجل طويلا قال
سألت ربي ثلاثا أن لا يهلك أمتي بالعزق فأعطانيها وسأله أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها وسأله أن لا يجعل بأسهم بينهم
بغضا فبأنه قد بلغنا من فروعهم كتاب الفتن عن أبي بكر بن أبي شيبة عن محمد بن عبد الله بن عمرو عن محمد بن يحيى بن أبي عمر

عن مروان بن معاوية كلاهما عن عثمان بن حكيم به (حديث آخر) قال الامام أحمد قرأت على عبد الرحمن بن مهيدي عن مالك عن عبد الله بن عبد الله بن جابر بن عبد الله قال جاءنا عبد الله بن عوف بن جرة بن معاوية بن قري الانصار فقال هل تدري أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجدكم هذا فقلنا نعم فأشارت إلى ناحية منه فقال هل تدري ما الثلاث التي دعاهن فيه فقلنا نعم قال أخبرني بهن فقال دعاهن لا يظهر عليهن ودعاهن غيرهن ولا يكلمهن بالسنين فاعطاهن ما ودعاهن لا يجعل بأسهن بينهم فتعها قال صدقت فلان زال الهمرج إلى يوم القيامة (١٨) ليس هو في شيء من الكتب الستة واسناده جيد قوي والله الحمد والمنة (حديث

الارض أربعة أشهر وقدرى ذلك عن ابن عباس وخجاعة ورجحان كثير وحكاه عن
مجاهد وعمر بن شبيب ومحمد بن اسحق وقيادة السدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم
وساكن بنان حكم القتال في الأشهر الحرم الدائرة في كل سنة في هذه السورة ان شاء الله
تعالى (فاقولوا للمشركين حيث) أى في أى مكان وأى وقت (وخذوهم) من كل
أوحرم (وخذوهم) أى أسروهم فان اخذوه الأسير (واحصروهم) أى احبسوهم
في القلاع والحصون حتى يضطروا ويخجوا الى القتل أو الاسلام ومعنى الحصر منعهم
من التصرف في بلاد المسلمين الا باذن منهم وقيل امنعوهم من دخول مكة خاصة والاول
أولى (واقعدوهم كل مرصد) أى طريق يسلكونه ونصب كل على نزع الخافض اى
على كل طريق والمرصد الموضع الذي يرقب فيه العدو ويقعدو يقال رصدت فلانا
أرصدته أى رقبته أى اقتعدوا لهم في المواضع التي ترتقبونهم فيها الثلاث تشتتوا في البلاد
والمعنى كونوا لهم مرصدا حتى تأخذوهم من اى وجه ويهجموا وقيل بكل طريق مكة حتى
لا يدخلوها وهذه الآية المتضمنة للاهر بقتل المشركين عند انسلاخ الأشهر الحرم عامة
لكل مشرك لا يخرج عنها الا من خصه السنة وهو المأقواصى والعاجز الذى لا يقاقل
وكذلك يخص منها أهل الكتاب الذين يعطون الجزية على فرض تناول لفظ المشركين
لهم وهذه الآية نسخت كل آية فيها ذكر الاعراض عن المشركين والصبر على اذاهم وقال
الضحاك وعطاء والسدي هي منسوخة بقوله فاما من بعد وما فاما من الاسير لا يقتل
صرا بل يمن عليه أو يفادى وقال مجاهد وقتادة بل هي ناسخة لقوله فاما من بعد وما فاداء
وانه لا يجوز في الاسارى من المشركين الا القتل وقال ابن زيد الا بيان تحكمتان قال
القرطبي وهو الصحيح لان المن والقتل والقداء المزيل من حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيهم من أول حرب جادهم وهو يوم بدر قال الرازى كتابنا الايتين متوافقتان وكلتا هما
تدلان على انه لا بد من تقديم الأتخان ثم بعدهم أخذ القداء انتهى (فان تابوا أو أقاموا
الصلاة أو آتوا الزكاة) أى تابوا عن الشرك الذى هو سبب القتل وحققوا التوبة بفعل
ما هو من أعظم أركان الاسلام وهوا فامة الصلاة وهذا الركن اكتفى به عن ذكر ما يتعلق
بالإبدان من العبادات لكونه رأسها واكتفى بالركن الآخر المالى وهو آية الزكاة عن
كل ما يتعلق بالاموال من العبادات لانه أعظمها (فخافوا سيلهم) اى اتوا كرههم وشأنهم

آخر) قال محمد بن اسحق عن حكيم
ابن حكيم عن عبيدة بن جبير عن
علي بن عبد الرحمن أخبرني حذيفة
ابن اليمان قال خرجت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى الحرة فخرج
معاوية قال فصلني عثمان وركعت
فأطال فيهن ثم التفت إلى فقال
حبستك قلت الله ورسوله أعلم قال
إني سألت الله ثلاثاً فأعطاني اثنين
ومغنى واحدة سألته أن لا يسلط
علي أمتي عدوا من غيرهم فأعطاني
وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم
ثغرى رواه ابن مردويه من حديث
ابن اسحق (حديث آخر) قال الامام
أحمد حدثنا عبيدة بن جبير حدثني
سليمان بن الاعمش عن رجا الانصاري
عن عبيدة بن شداد عن معاذ بن
جبيل رضى الله عنه قال أتيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقبل لي
تخرج قبل قال فجعلت لأمر بأحد
الأقالمر قبل حتى مررت فوجدته
فأنايا صلى قال فجلست حتى أت
خلفه قال فأطال الصلاة قلت يا رسول
الله قد صليت صلاة طويلاً فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم إني

فلا

صليت صلاة ورغبة ورهبة سألت الله عز وجل ثلاثا فاعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألته ان لا يهلك

أُمِّي غُرَافَاعُطَانِي وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُظَاهِرَ عَلَيْهِمْ عَدَاؤُا لَيْسَ مِنْهُمْ فَاعْطَانِيَا وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُجْعَلَ بَيْنَهُمْ يَنْهَمُ قُرْدٌ عَلَيَّ وَزَوْادُ ابْنِ مَاجَةَ فِي السَّنَنِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَيْرٍ وَعَلَى بْنِ مُحَمَّدٍ كَلَامَهُمَا عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ بِهِ وَرَوَاهُ ابْنُ مَرْزُوقٍ يَمِينٌ حَدَّثَنِي أَبُو عَوَانَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى عَنِ ابْنِ عِزَازٍ عَنْ جُبَلٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَثَلًا وَنُجُوءَ (حَدَّثَنِي آخِرُ) قَالَ الْأَمَامُ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا هَارُونَ بْنُ مَعْرُوفٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَّابٍ أَخْبَرَنِي عَنْ عُمَرَ بْنِ الْحَرْثِ عَنْ يَكْرِ بْنِ الْأَسْحَمِ أَنَّ الصَّخَّالَةَ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْقُرَشِيَّ

حدثه عن أنس بن مالك أنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر صلى سجدة الفصحى ثمان ركعات فلما انصرف قال اني صليت صلاة رغبة ورهبة سألت ربي ثلاثا فاعطاني اثنتين ومعنى واحدة سألت ان لا يبتلى أمتي بالسنين ففعل وسألت ان لا يظهر عليهم عدوهم ففعل وسألت ان لا يلبسهم شيئا فاني على رواه النسائي في الصلاة عن محمد بن سلمة عن ابن وهب به (حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا أبو الهيثم بن أبي حنيفة قال قال الزهري حدثني عبد الله بن عبد الله بن الحرث بن نوفل عن عبد الله بن خباب عن أبيه خباب بن الارت مولى بني زهرة وكان قد شهد بدرا مع رسول الله (٦٩) صلى الله عليه وسلم في ليلة صلاها كلها حتى

كان مع الفجر فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاته قالت يا رسول الله لقد صليت الليلة صلاة مارأيت من صليت مثيلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل انها صلاة رغبة ورهبة سألت ربي عز وجل فيها ثلاث خصال فاعطاني اثنتين ومعنى واحدة سألت ربي عز وجل ان لا يهلككم أعدائكم الا هم قبلنا فاعطانيها وسألت ربي عز وجل ان لا ينظر علينا عدو وان غيرنا فاعطانيها وسألت ربي عز وجل ان لا يلبسنا شيئا فنعجزها ورواه النسائي من حديث شعيب ابن أبي حنيفة ومن وجه آخر وابن حبان في صحيحه باسنادهم ما عن صالح بن كيسان والترمذي في الفتن من حديث النعمان بن راشد كلاهما عن الزهري وقال الحسن صحيح (حديث آخر) قال أبو جعفر ابن جرير في تفسيره حدثني زياد بن عبد الله المزني حدثنا من ابن معاوية الفزاري حدثنا أبو مالك حدثني نافع بن خالد الخزاعي عن أبيه ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة خفيفة تامة الركوع

فلا تأمرهم ولا تحصرهم ولا تقتلواهم ولا تنكروهم من الدخول الى مكة والتصرف في بلادهم ولا تعرضوا لهم (ان الله غفور) لهم (رحيم) بهم (وان أحد) من ترفع بفعل شرط مضمير يفسره الظاهر لا بالابتداء لان ان لا تدخل الاعلى الفعل (من المشركين) الناصقين لله ههنا الذين أمرت بالتعرض لهم في قوله فاذا انسخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين (استجارا) استامنك من القتل (فأجره) يقال استجرت فلانا أي طلبت ان يكون جارا أي محاميا ومحافظا من ان ينالني ظالم أو يتعرض لي متعرض وفي القاموس جاروا استجاروا طلب أن يجاروا أو يقدّموا أو ينادوا في المصباح استجاره طلب منه ان يحفظه فأجار والمعنى أمنه (حتى) يصبح أن تكون للقاية وللعليل (يسمع كلام الله) منك وتندبر حتى تدبره ويقف على حقيقة ما تدعو اليه ويحقق انه ليس من كلام الخلق والاقصا على ذكر السماع لعدم الحاجة الى شيء آخر في الفهم لكونهم من أهل الفصاحة (ثم) ان أراد الانصراف ولم يسم (أبلغه ما آمنه) أي الى الدار التي يأمن فيها وهو دار قومه امنظر في أمره يعرف ما له من الثواب ان آمن وما عليه من العقاب ان أصبر على الشراء ثم بعد ان بلغه ما آمنه قاله من غير غدر ولا خيانة فقد خرج من جوارك ورجع الى ما كان عليه من اناحة دمه وجوب قتله حيث يوجد عن سعيد بن ابي عروة قال كان الرجل يبي اذا سمع كتاب الله وأقر به أو سلم فذالك الذي دعى اليه وان أنكر ولم يقتر به رد ما آمنه ثم نسخ ذلك فقال وقتلوا المشركين كافة كما يقتلونكم كافة وعن ابن زيد قال ان لم يوافقهم ما يقص عليه ويخبر به فابلغهم ما آمنه وهذا ليس بنسخ قال الحسن هذه الآية محكمة الى يوم القيامة (ذلك) أي الامر بالاجارة وابلغ المأمن (بأنهم قوم لا يعلون) ما الايمان وما حقيقة ما تدعوهم اليه بسبب فقدانهم العلم النافع المميز بين الخير والشر في الحال والمآل فلا بد لهم من أمان بقدر زمان يسمعون فيه القرآن ويتدبرون (كيف يكون للمشركين) الاستفهام هنا للتعجب المتضمن للانكار ولهذا حسن بعده الامور للمشركين انما تكون لان البراءة هي في شأنهم (عهده عند الله) يأمنون به من عذابه (وعند رسوله) وقيل معنى الآية بحال ان ثبت لهؤلاء العهد وهم اضداد لكم مضمون للغدر فلا تطعموا في ذلك ولا تحذوا به أنفسكم والمعنى ليس لمن لم ينف بعهد ان يني الله ورسوله له بالعهد ثم استدرك فقال (الا الذين عاهدتم) أي لكن

والسجود فقال قد كانت صلاة رغبة ورهبة سألت الله عز وجل فيها ثلاثا فاعطاني اثنتين ومعنى واحدة سألت الله ان لا يصيبكم بعدذاب أصاب به من قبلكم فاعطاني وسألت الله ان لا يسلط عليكم عدو ويستبيح يضطكم فاعطانيها وسألت الله ان لا يلبسكم شيئا فاني على رواه النسائي في الصلاة عن محمد بن سلمة عن ابن وهب به (حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق قال قال معمر أخبرني أبو بوب عن أبي قلابة عن الأشعث الضبي عن أبي أسماء الرحبي عن شداد بن أوس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان

الله زوى الى الارض حتى رأيت مشارفها ومغارها وان ملك أمتي سباع مازوى الى منها واني أعطيت الكثرين الايمان والاخر
واني سألت ربي عز وجل ان لا يملك أمتي بسنة بعامه وان لا يسلط عليهم عدوا فلهم بعامه ولا يلبسهم شيئا وان لا يذيق بعضهم
بأس بعض فقال يا محمد اني اذا قضيت قضاء فانه لا يرد فاني أعيد أمتك ان لا أهلكهم بسنة بعامه وان لا أسلط عليهم عدوا من سواهم
فمهلكهم بعامه حتى يكون بعضهم لهم بالعضوا وبعضهم يقتل بعضهم بسبي بعضا قال وقال النبي صلى الله عليه وسلم اني
لا أخاف على أمتي الا الاغاة المضلين فاذا وضح (٧٠) السيف في أمتي لم يرفع عنهم الى يوم القيامة ليس في شيء من الكتب

الستة واسناده جيد قوى وقدرناه
ابن مردويه من حديث جابر بن زيد
وعباد بن منصور وقادة ثلاثهم
عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي
أسماء عن ثوبان عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم نحوه فالتة أعلم
(حديث) الحافظ أبو بكر بن مردويه
حدثنا عبد الله بن اسمعيل بن ابراهيم
الهاشمي وميمون بن اسحق بن الحسن
الحنفى قال حدثنا أحمد بن
عبد الجبار حدثنا محمد بن فضيل
عن أبي مالك الاشجعي عن نافع بن
خالد الخزازي عن أبيه قال وكان
أنوه من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكان من أصحاب الشجرة
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا صلى والناس حوله صلى صلاة
خفيفة تامة الر كوع والسجود
قال فجلس يوما فاطال الجلوس حتى
أوما بعضنا الى بعض أن اسكتوا انه
ينزل عليه فلما فرغ قال له بعض
القوم يا رسول الله لقد أغلظت
الجلوس حتى أوما بعضنا الى بعض
انه ينزل عليك قال لا ولكنما كانت
صلاة رغبة ورهبة سألت الله فيها
ثلاثا فاعطاني اثنتين ومنعني

الذين عاهدتم ولم تقضوا ولم شكروا فلا تمقتلوهم وقيل الاستثناء متصل وفيه أحق لان
أحدهما الله منصوب على أصل الاستثناء من المشركين والثاني انه مجرور على البدل منهم
(عند المجد الحرام) أي عند قربه يوم الحديسية فالتة وقادة والمراد به جميع الحرم كما هي
عادته في القرآن الاما استثنى (فما استقاموا لكم) أي فاداموا مستقيمين لكم على
العهد الذي بينكم وبينهم ولم ينقضوه وفي ما وجهان أحدهما انها صدى زمانية
والثاني انها شرطية (فاستقاموا لهم) على الوفاء به قبل هم بتركهم وقيل بنو كنانة بنو ضمرة
وقال ابن عباس هم قريش وعن ابن زيد نحوه وقال السدي هم بنو جذيمة وقال مجاهد
هم أهل العهد من خزاعة (ان الله يحب المتقين) اشارة الى أن الوفاء بالعهد والاستقامة
عليه من أعمال المتقين فكبرون تعليلا للامر بالاستقامة وقدا استقام صلى الله عليه وآله
وسلم على عهدهم حتى تقضوا باعانة بني بكر على خزاعة (كيف) يكون لهم عهد وهو زيادة
تروفي استبعاد بقاء عهدهم ولهذا أعاد الاستفهام التعجبي للتأكيدهم والتقرير (و) الحال
انهم (ان يظهروا عليكم) بالتولية لكم ويظفروا بكم (لا يرقبوا) أي لا يراعوا ولا يحفظوا
أولا ينتظروا فيكم (الاولادمة) قال في الصحاح الال العهد والقربة قال الزجاج الال
عسدى على ما وجه اللغة يدور على معنى الحدة ومنه الالة العربية ومنه اذن مؤلفة أي
محددة وقال القراء المراد به القربة وقيل ان الال الجوار وهو رفع الصوت عند التحالف
وذلك انهم كانوا اذا تحالفوا جارا وبذلك جوارا ويجمع الال في القلة على ال وفي الكثرة
على الال كقدهم وقداخ والال بالفتح قبل شدة القنوط قال الهروي في الحديث نحب
ربكم من ألكم وقنوطكم وفي القاموس الال بالكسر العهد والخلق وموضع والجوار
والقربة والمعدن والحدو والعدو قال أبو عيسى واسم الله تعالى وكل اسم آخره ال أو ايل
فخصاف الى الله تعالى والوحى والامن والخزعة عند المصيبة ومنه ما روي بحمد ربكم من
الكم فمن روماء بالكسر ورواية الفتح أكثر اه وقال ابن زيد والسدي وأبو عبيدة
الال العهد وقيل الذمة والتديم وقال الازهرى هو اسم لله بالعبودية وأصله من الاليل
وهو البريق يقال أل لونه يؤل الأى صلتها لمع والذمة العهد وجعلها دم فمن فسر الاول
بالعهد كان التكرير للتأكيدهم مع اختلاف اللفظين وقيل الذمة الضمان يقال هو في ذمتي
أي في ضمانتي وبه سمي أهل الذمة لادخالهم في ضمان المسلمين ويقال له ذمة وذمام ومنذمة

واحدة سألت الله ان لا بعد بكم بعد ان عذب به من كان قبلكم فاعطانيها وان لا يسلط على أمتي
عدوا يستبيحها فاعطانيها ووسائلته أن لا يلبسكم شيئا ولا يذيق بعضكم بأس بعض فتمنعها قال قلت أولئك سمعها من رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال نعم سمعتها يقول الله تعالها من رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد اصابني هذه عشر أصابع (حديث آخر) قال
الامام أحمد حدثنا يونس هو ابن محمد المؤدب حدثنا يونس هو ابن سعد عن أبي وهب الخولاني عن رجل قد سمعناه عن أبي بصرة الغفاري
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سألت ربي عز وجل أربعة فاعطاني ثلاثا ومنعني واحدة سألت الله ان لا يجمع أمتي

على ضلالة فاعطانيها وسألت الله ان لا يظهر عليهم عدو ومن غيرهم فاعطانيها وسألت الله ان لا يهلكهم بالسيف كما أهلك الأمم قبلهم فاعطانيها وسألت الله عز وجل ان لا يلبسهم شيعا ويذيق بعضهم بأس بعض فنعيتهم اليه فخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة (حديث آخر) قال الطبراني حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا محبوب بن الحرث حدثنا أبو حذيفة النعماني عن زياد بن علاقة عن جابر بن مرة السوائي عن علي بن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سألت ربي ثلاث خصال فاعطاني اثنين ومنعني واحدة فقلت يارب لا تهلك أمتي جو عاف قال هذه لك قلت يارب لا تسلط عليهم (٧١) عدو ومن غيرهم يعني أهل الشرك فنجيتهم

قال ذلك قلت يارب لا تجعل بأسهم بينهم قال فنعيتهم هذه (حديث آخر) قال الحافظ أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم عن أحمد بن محمد بن عاصم حدثنا أبو الدرداء المروزي حدثنا اسحق بن عبد الله بن كيسان حدثني أبي عن عكرمة عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوت ربي عز وجل أن يرفع عن أمتي أن يرفع الله عنهم ثنتين وأني على أن لا يرفع عنهم ثنتين دعوت ربي أن يرفع الرحمة من السماء والغفر من الأرض وأني الله ان يرفع الثنتين القتل والهريج (طريق أخرى) عن ابن عباس أيضا قال ابن مردويه حدثني عبد الله بن محمد بن زيد حدثني الوليد بن أبي بدير شجاع بن الوليد حدثنا عمرو بن قيس عن رجل عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية قل هو القادر على ان يعذبكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض قال فقام النبي صلى الله عليه وسلم

وهي الذم قاله ابن عرفة وقال الراغب الزمام ما يذم الرجل على اضايعته من عهد وكذلك الذمة والذمة بالفتح والكسر وقيل لي مذمة فلا تهتكها وقال غيره سميت ذمة لان كل حرمة يلزمك من تضييعها الذم يقال لها ذمة وقال أبو عبيدة والزهري الذمة الأمان كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم ويسمي بذمتهم أدناهم وروى عنه أيضا ان الذمة ما يذم به أي ما يجتبى فيه الذم وقال قتادة الال الحلف وقال أبو مجاز هو الله تعالى وعن مجاهد وعكرمة مثله وقال ابن عباس الال القرابة والذمة العهد (يرضونكم بأفواههم وتأمي قلوبهم) أي يقولون بالأسنتهم ما فيه مجاملة ومحاسنة لكم طلبا لرضاكم وتطييب قلوبكم وقولهم تأمي ذلك وتحلفه وتود ما فيه مسامحة لكم ومضرتكم كما يفعل أهل النفاق وذو الوجهين والكلام مستأنف لبيان حالهم عند عدم الظفر فهو مقابل في المعنى لقوله وان يظهر عليكم الخ يقال أي يأتي أي استند امتناعه فكل إباء امتناع عن غير عكس ولم يصب من فسر بمطلق الامتناع وحجى المضار عنه على يفعل بفتح العين شاذ ومنه قل يلقى في لغة قالة السهين ثم حكم عليهم بالفسق فقال (وأكثرهم فاسقون) وهو التردد والتجربى والخروج عن الحق لنقضهم العهد ودعهم من اعانتهم لها ثم وصفهم بقوله (اشترؤا بايات الله غنا قليلا) أي استبدلوا بايات القرآن التي من جعلها مافيه الامر بالوفاء بالعهد وتماحقها وهو ما آثروا من حطام الدنيا أي تركوا اتباعها للشهوات والهوى وكانت شهواتهم كأمة أظعمها أو فسقهم على نقض العهد (فسدوا عن سبيله) أي فسدوا وأعرضوا عن سبيل الحق وأصرفوا الناس عنه وذلك ان أهل الطائفة أمتروهم بالاموال ليقوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (أنهم ساء ما كانوا يعملون) من الشرك ونقضهم العهد ومنعهم الناس عن الدخول في دين الاسلام (لا يربعون في مؤمن من الاولاد) قال الحنابلة ليس هذا تكثيرا ولا لكن الاول لجميع المشركين والثاني لله وخاصة والدليل على هذا الاشتروا بايات الله غنا قليلا يعنى اليهود وقيل هذا فيه مراعاة لحقوق المؤمنين على الاطلاق وفي الاول المراعاة لحقوق طائفة من المؤمنين خاصة وقيل الاول وقع جوابا لقوله وان يظهر واو الثاني وقع خبرا عن تقيع حالهم (وأولئك هم المعتدون) أي المجاوزون للعلال الى الحرام بنقض العهد أو المباعدون في الشر والتعد الى الغاية القصوى (فان تابوا) عن الشرك وعن نقض

فرضائهم قال اللهم لا ترسل على أمتي عذابا من فوقهم ولا من تحت أرجلهم ولا تلبسهم شيعا ولا تذق بعضهم بأس بعض قال فأتاه جبريل فقال يا محمد ان الله قد أجار أمتك أن يرسل عليهم عذابا من فوقهم أو من تحت أرجلهم (حديث آخر) قال ابن مردويه حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الله البرزنجي حدثنا عبد الله بن أحمد بن موسى حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد حدثنا عمر بن محمد الغنزي حدثنا اسباط عن السدي عن أبي المنهال عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سألت ربي لآيتي أربع خصال فاعطاني ثلاثا ومنعني واحدة سألت ان لا تمكفروا أمتي واحدة فاعطانيها وسألت ان لا يعذبهم بما عذب قبلي إلا أنهم قبلهم فاعطانيها وسألت ان

لا يظهر عليهم عدوا من غيرهم فاعطائنا وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم بغية ورواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد بن يحيى بن سعيد
الطعان عن عمرو بن محمد المقرئ بنحوه (طريق أخرى) وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا محمد بن يحيى
حدثنا أبو كرب حدثنا زيد بن الحباب حدثنا كثير بن زيد البجلي المديني حدثني الوليد بن رباح مولى آل أبي ذئاب سمع أبا هريرة يقول
قال النبي صلى الله عليه وسلم سألت ربي ثلاثا فاعطاني اللهين ومعنى واحدة سأله أن لا يسلط على أمي عدوا من غيرهم فاعطاني
وسألته أن لا يهلكهم بالسنين فاعطاني (٧٦) وسألته أن لا يلبسهم شيئا ويذيق بعضهم بأس بعض فغضبني ثم رواه ابن مردويه

بإسناده عن سعد بن سعيد بن أبي
سعيد المقرئ عن أبيه عن أبي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه
ورواه الزبيري عن طريق عمر بن أبي
سلمة عن أبيه عن أبي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه (أثر
آخر) قال سفيان الثوري عن
الربيع بن أنس عن أبي العالية عن
أبي بن كعب قال أربع في هذه
الامة قد مضت اثنتان وبقيت اثنتان
قل هو القادر على أن يعذبكم
عذابا من فوقكم قال الرجاء أو من
تحت أرجلكم قال الخسف
أو يلبسكم شيئا ويذيق بعضهم
بأس بعض قال سفيان يعني الرجاء
والخسف وقال أبو جعفر الرازي عن
الربيع بن أنس عن أبي العالية عن
أبي بن كعب قل هو القادر على أن
يعذبكم عذابا من فوقكم
أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم
شيئا ويذيق بعضهم بأس بعض
قال ففي أربع خلال منها اثنتان
بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه
وسلم بخمس وعشرين ألفا وشيئا
وذاق بعضهم بأس بعض وبقيت
اثنتان لا بد منهما واقعتان الرجاء
والخسف ورواه أحمد بن وكيع عن

أبي جعفر ورواه ابن أبي حاتم وقال ابن أبي حاتم حدثنا المنذر بن شاذان حدثنا أحمد بن الحسن
حدثنا أبو الأشهب عن الحسن في قوله قل هو القادر على أن يعذبكم الآية قال حبست عقوبتها حتى عمل ذنبها فلما عمل ذنبها أرسلت
عقوبتها وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وأبو مالك والسدي وابن زيد وغير واحد في قوله عذابا من فوقكم يعني الرجاء أو من
تحت أرجلكم يعني الخسف وهذا هو اختيار ابن جرير ورواه ابن جرير عن وئس عن ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في
قوله قل هو القادر على أن يعذبكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم قال كان عبد الله بن مسعود أصبح وهو في المجلس

الحسن

أو على المنبر يقول ألا أنتم الناس أنه قد نزل بكم أن الله يقول قل هو القادر على أن يعث عليكم عذابا من فوقكم لو جاءكم عذاب من السماء لم يبق منكم أحدا أو من تحت أرجلكم لو خسف بكم الأرض أهلككم ولم يبق منكم أحدا أو يلبسكم شيئا ويذيق بعضكم بأس بعض ألا أنه نزل بكم أسوأ الثلاث (قول ثان) قال ابن جرير وابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب سمعت قتادة بن سليمان يقول سمعت عاصم بن عبد الرحمن يقول أن ابن عباس كان يقول في هذه الآية قل هو القادر على أن يعث عليكم عذابا من فوقكم فأثمة السوء ومن تحت (٧٣) أرجلكم خضم السوء وقال علي بن أبي طلحة

عن ابن عباس عذابا من فوقكم يعني أمراءكم أو من تحت أرجلكم يعني عبيدكم وسفلةكم وحكى ابن أبي حاتم عن أبي سنان وعمر بن حفص أنهما قال ابن جرير وهذا القول وإن كان له وجه صحيح لكن الأول أظهر وأقوى وهو كما قال ابن جرير رحمه الله ويشهد له بالصحة قوله تعالى آمنت من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور آمنت من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير وفي الحديث ليكون في هذه الأمة قذف وخسف ومسح وذللهم كذورهم نظائره في أمارات الساعة وأشراتها وظهور الآيات قبل يوم القيامة وسألت في موضعها أن شاء الله تعالى وقوله أو يلبسكم شيئا يعني يجعلكم ملتبسين شيئا فامتحا الفتن قال الوالي عن ابن عباس يعني الأهواء وكذا قال مجاهد وغير واحد وقد ورد في الحديث المروى عنه من طرق عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار

الحسن أنهم الدليم وعن حذيفة قال ما قاتل أهل هذه الآية ولم يأت أهلها وعن علي بن حمزة وقال مجاهد هم فارس والروم والاولى ان الآية عامة في كل رؤساء الكفر من غير تقييد بمن معين أو بظانفة معينة باعتبار ابعصوم اللفظ لا بخصوص السبب وما يفيد ذلك ما أخرجه ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن جبير بن نفيرة أنه كان في عهد أبي بكر الصديق إلى الناس حين وجههم إلى الشام أنه قال انكم ستجدون قوما مجوقرة وسهم فاضربوا مقاعد الشيطان منهم بالسيوف فوالله لا أن أقتل رجلا منهم أحب إلى من أن أقتل سبعين من غيرهم وذلك بأن الله يقول فقاتلوا أئمة الكفر (أنهم لا إيمان لهم) قال الزمخشري هذه الجملة لتعليل لما قبلها والايان جمع بين أي لأعهد لهم وسمى العهد عينا لا شأله عليه غالبا والمعنى لا إيمان بآية الله وان وجدت صورة وعين الكافر شرعية عندنا والاستدلال به على ان عين الكافر ليست عينا ضعه ظاهر لان المراد في التوقيف بقرينة وان نكونوا أيانهم لا يقال الكلام باعتبار اعتقادهم لان المخاطب هم المؤمنون قال حذيفة لأعهد لهم وعن عمارشله وقرئ بكسر الهمزة والمعنى ان هؤلاء لنا كثرين للإيمان الطاعنين في الدين ليسوا من أهل الإيمان بالله حتى يستحقوا العصمة لدمائهم وأموالهم فقاتلهم واجب على المسلمين وقيل لوفاءهم بالعهد وقيل هو من الأمان أي لا يعطون أمانا بعد نكبتهم وطعنهم يعني لا تؤمنوهم بل اقتلوهم حيث وجدتموهم (اعلمهم ينهون) عن كفرهم ونكبتهم وطعنهم في دين الاسلام والمعنى ان قتالهم يكون إلى غاية هي انهم آمن ذلك وقد استدلل بهذه الآية على ان الذي اذا طعن في الدين لا يقتل حتى ينكبت العهد كما قال أبو حنيفة لان الله اغما أمر بقتلهم بشرطين أحدهما نقض العهد والثاني الطعن في الدين وذهب مالك والشافعي وغيرهما إلى انه اذا طعن في الدين قتل لانه ينتقض عهده بذلك فالواو كذلك اذا حصل من الذي مجرد النكبت فقط من دون طعن في الدين فانه يقتل (الاتقانلون قوما نكبتوا أيانهم) الهمزة الداخلة على حرف النفي للاستعظام التوبيخ مع ما يستفاد منها من التخصيص على القتال والمباغلة في تحقيقه والمعنى ان من كان حاله كحال هؤلاء من نقض العهد فهو حقيق بأن لا يترك قتاله وان يوجب من قرط في ذلك (وهو ما أخرج الرسول) من مكة حين اجتمعوا في دار الندوة لكن لم يخرجوه بل خرج باختياره بأذن الله في الهجرة وتقدم انهم هموا بأحد أمور ثلاثة

(١٠ - فتح البيان ح)

الواحدة وقوله تعالى ويذيق بعضكم بأس بعض قال ابن عباس وغير واحد يعني يسلط بعضهم على بعض بالعذاب والقتل وقوله تعالى انظر كيف نصرف الآيات أي نبينها ونوضحها ونقرها لعلمهم بفقهون أي يفهمون ويتدبرون عن الله آياته وتوجيه وبراهينه قال زيد بن أسلم لما نزلت قل هو القادر على ان يعث عليكم عذابا من فوقكم الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيوف قالوا ونحن نعلم بأن لا اله الا الله وانك رسول الله قال نعم فقال بعضهم لا يكون هذا أبدا أن يقتل بعضنا بعضا ونحن مسلمون فنزلت انظر كيف نصرف

الآيات لعاديتهم يفتقون وكذب قومك وهو الحق قل استعليكم بوكيل لكل نيامة ستقر وسوف تعلمون رواه ابن أبي حاتم
وابن جرير (وكذب قومك وهو الحق قل استعليكم بوكيل لكل نيامة ستقر وسوف تعلمون وادار آيات الذين يخوضون في آياتنا
فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وأما ينسبك الشيطان فلا تفتق بعد الذي كرم مع القوم الظالمين وما على الذين يتقون
من حسابهم من شيء ولكن ذكري لهم يقين) يقول تعالى وكذب به أي القرآن الذي جنتهم به والهدى والبيان قومك يعني
قريشا وهو الحق أي الذي ليس وراءه حق (٧٤) قل استعليكم بوكيل أي استعليكم بحفيظ وليست بموكل بكم كقوله وقل

قل وجبته وأخراجه وأما اقتصر هنا على الهمم بالخارج لانه هو الذي وقع أثره في
الخارج بحسب الظاهر وكانت دار الندوة مكان اجتماع القوم للتحدث وكان قديناها
قصي وقد أدخلت الآن في المسجد فحى مقام الحنفى الآن (وهم يدركهم) بالقتال (أول
مرة) أي يوم بدر قال مجاهد قال قريش حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم وهمهم بالخارج
الرسول زعوا أن ذلك عام عمرة النبي صلى الله عليه وسلم في العام التاسع للهدية تكنت
قريش العهد عهد الحديبية وجعلوا في أنفسهم إذا دخلوا مكة أن يخرجوا منها فذلك
همهم بالخارج فلم يتابعهم خراعة على ذلك فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم لم من مكة
فالت قريش لخراعة عتيقوا عن آخره فقاتلوا ودم قتلوا منهم رجلا (أتخشونهم)
الاستفهام للتوبيخ والتفريع أي أتخشون أن يسلكهم منهم مكره فتركون قتالهم
لهذه الخشية ثم بين ما يجب أن يكون الأمر عليه فقال (فأله أحق أن تخشوه أن كنتم
مؤمنين) أي هو أحق بالثبته منكم فانه هو الضار النافع في الحقيقة ومن خشيتكم له
أن تقا تلوا من أمركم بقتاله فان قضية الايمان توجب ذلك عليكم ثم زاد في تأكيد الأمر
بالقتال فقال (فاتواهم بعدئذهم الله بأيدكم وبخزهم وصبركم عليهم ويشد صدور
قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم) ورب على هذا الأمر فوائد الأولى تعذيب الله
للكفار بأيدى المؤمنين بالقتل والأسر والثانية أخراؤهم قبل بالأسر وقبل بما زل بهم
من الذل والهوان والثالثة نصر المسلمين عليهم وعليهم لهم والرابعة أن الله يشق بالقتال
صدور قوم وثنيين ممن لم يشهد القتال ولا حضره والخامسة انه سبحانه يذهب بالقتال
غيظ قلوب المؤمنين الذي نالهم بسبب ما وقع من الكفار من الأمور الخالصة للغيظ وخرج
الصدر فان قيل شفاء الصدور واذهاب غيظ القلوب كلاهما بمعنى فيكون تكراراً قبل
في الجواب أن القلب أخص من الصدر وقيل ان شفاء الصدور إشارة إلى الوجد بالفتح
ولاريد أن الانتظار لنجاة الوجد مع الثقة به فيه شفاء للصدور وان اذهاب غيظ القلوب
إشارة إلى وقوع الفتح وقد وقعت المؤمنين ولله الحمد عنه الامور كلها عن عكرمة قال
زلت هذه الآية في خراعة وعن مجاهد السدى وقادة مشركوه وقد ساق القصة ابن اسحق
في سيرته وأورد فيها النظم الذي أرسلته خراعة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أوله
يا رب انى نأشد محمدًا حلف أينا وأيمه الا نلدا

الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن
ومن شاء فليكفر أي انما على
البلاغ وعليكم السمع والطاعة فمن
أتبعني سعدني الدنيا والآخرة ومن
خالفني فقد شقي في الدنيا والآخرة
ولهذا قال انك نيامة تقرر قال
ابن عباس وغير واحد أي لكل نيا
حقيقة أي لكل خبر وقوع ولو بعد
حين كما قال ولتعلن بناء بعد
حين وقال لكل أجل كتاب
وهذا تهديد ووعد أكيد
ولهذا قال بعده وسوف تعلمون
وقوله وإذا رأيت الذين يخوضون
في آياتنا أي بالكذب والاستزراء
فأعرض عنهم حتى يخوضوا في
حديث غيره أي حتى يأخذوا في
كلام آخر غير ما كانوا فيه من
الكذب وأما ينسبك الشيطان
ولما بذلك كل فرد فرد من أحد
الامنة لا يجلس مع المكذبين
الذين يحرفون آيات الله ويضعونها
على غير مواضعها فان جلس أحد
معهم ناسيا فلا يقعد بعد الذي كرى
مع القوم الظالمين ولهذا ورد في
الحديث رفع عن أمي لظلم
والنسيان وما استكرهوا عليه

وقال السدى عن أبي مالك وسعيد بن جبير في قوله وأما ينسبك الشيطان قال ان نسب قد كرت
فلا تفتق معهم وكذا قال مقاتل بن حيان وهذه الآية هي المشار إليها في قوله وقد نزل عليكم في الكتاب أن اذا جمعتم آيات الله
يكفر بها وبستم زانها فلا تفتقوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذما نزلتم الآية أي انكم اذا جلستم معهم وأقررتهم
على ذلك فقد ساءوا بتوهم فيما هم فيه وقوله وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء أي اذا تجنبوهم فلم يجلسوا معهم في ذلك فقد
برأوا من عهدتهم وتخلصوا من انهم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسرايل عن السدى

عن أبي مالك عن سعيد بن جبيرة قوله وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء قال ما عليك أن يخوضوا في آيات الله إذا فعلت ذلك أتى
أذنبهم وأعرض عنهم وقال آخرون بل معناه ان جلسوا معهم فليس عليهم من حسابهم من شيء وزعموا أن هذا منسوخ بآية
النساء المدينة وهي قوله أنكم إذا ملستم قاله مجاهد والسدي وابن جرير وغيرهم وعلى قولهم يكون قوله ولكن ذكرى لعلمهم
يتقون أي ولكن أمرنا كما لا اعراض عنهم حيث نذرتهم عاهاهم فيه لعلمهم يتقون ذلك ولا يعودون اليه (وذكر الذين اتخذوا
دينهم لعباءة ولهووا وعزتهم الحماة والنبأ ذكربهم أن تبسل نفس بما كسبت (٧٥) ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وإن تعدل كل

عدل لا يؤخذ منها أولئك الذين

أبساوا بما كسبوا لهم شراب من

جهم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون

يقول تعالى وذكر الذين اتخذوا دينهم

لعباءة ولو عزتهم الحماة الدنيا أي

دعهم وأعرض عنهم وأملهم قليلا

فإنهم صأرون إلى عذاب عظيم

ولهذا قال ذكرب أي ذكر الناس

بهذا القرآن وحذرهم نقمة الله

وعذابه الأليم يوم القيامة وقوله

تعالى أن تبسل نفس بما كسبت

أي لا تبسل قال الضحاک عن

ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن

والسدي تبسل تسل وقال الواحلي

عن ابن عباس تقضض وقال قتادة

تحبس وقال مرة وابن زيد تواخذ

وقال الكلبي تجزى وكل هذه

العبارات متقاربة في المعنى وطاعها

الاسلام لله أسك والحبس عن الخير

والإيمان عن ذلك المطالب كقوله

ككل نفس بما كسبت رهينة

الأصحاب المين وقوله ليس لها

من دون الله ولي ولا شفيع أي

لا قريب ولا أحد يشفع فيها كقوله

من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه

ولا خلة ولا شناعة والكافر وزهم

وأخرج القصصة البيهقي في الدلائل ثم قال (ويشوب الله على من يشاء) وهو ابتداء كلام
مستأنف يتضمن الاخبار بما سيكون وهو ان بعض الكافرين يتوب عن كفره كما وقع من
بعض أهل مكة يوم الفتح فأنهم أسلموا وحسن إسلامهم كأي سفیان وعكرمة وسهيل
ابن عمرو فهو لا كانوا أئمة الكفر ثم من الله عليهم بالاسلام يوم فتح مكة (١) فان قيل كيف
وقع التوبة جزاء للمقاتلة أجيب بان القتال قد يكون سبيلها إذا كانت من جهة الكفار
وما إذا كانت من جهة المسلمين فوجهه ان النصر والظفر من جهة الله يكون سببا
لخلاص النية والتوبة عن الذنوب (وقه عليهم حكيم أم حسبتم أن تتركوا) أم هذه هي
المنقطعة التي تعنى بل والهزمة والاستفهام للتوبيخ ومرفى الاضراب للدلالة على
الاتقال من كلام الى آخر والمعنى كيف يقع الحسان منكم بأن تتركوا على ما أنتم عليه
وقوله ان تتركوا في موضع مفعول في الحسان عند سيبويه وقال المبرد انه حذف الثاني
والقدير أم حسبتم أن تتركوا من غير أن يتلوها بما يظهر به المؤمن والمنافق الظهور الذي
يستحق به الثواب والعقاب يعني بدون تكليفكم بالقتال الذي ستموه (ولما بعلم الله
الذين جاهدوا منكم) الواو حالية ولما التني مع التوقع والمراد من في العلم نفي العلوم
بالطريق البرهاني اذ لو شمر راحة الوجود لعلم قطع العلم لم يعلم عدمه قطعاً والمعنى كيف
تجسبون أنكم تتركون ولما يتبين المخلص منكم في جهادهم من غير المخلص وما في الممان
التوقع منه على ان ذلك سيكون وقائدة التعبير عما ذكر من عدم التبين بعدم علم الله تعالى
أن المقصود هو التبين من حيث كونه مستمرا للعلم وسد الزوايا وعلم التعرض لحال
المقصرين لما أتى بذلك ليعلم من الاندراج تحت ارادة كرم الاكرين وجمله (ولم يتخذوا
من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) معطوفة على جاهدوا داخله مع في حكم
التي واقعة في حيز الصلة والوليجة من الولوح وهو الدخول ولج يلج ولجوا اذا دخل
فالوليجة الدخيلة قال أبو عبيدة كل شيء أدخلته في شيء ليس منه فهو وليجة ويكون
للمفر وغيره الغف واحد وقد جمع على ولائج وولج كحطاف وصحف قال القرطبي والوليجة
الباطنة من المشركين وقيل وليجة الرجل من يدخله في باطن أموره والمعنى واحد أي
كيف تقضون دخيله أو بطنه من المشركين تقضون اليهم اسراركم وتعلمونهم أسراركم
من دون الله وقال قتادة وليجة يعني خيانة وقال الضحاک خديعة وقال الراغب الوليجة

الضالمون وقوله وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أي ولو بدلت كل مبدول ما قبل منها كقوله ان الذين كفروا وما لقواهم كفار فلن

يقبل من أحد هم بل الأرض ذهاب الآلة وهكذا قال ههنا أولئك الذين أبساوا بما كسبوا لهم شراب من جهم وعذاب أليم بما

كانوا يكفرون (قل ادعوا من دون الله ما لا يستعصم ولا يضرب أحدكم عليه) قاله السدي استهويه الشياطين في الأرض

حيران لا يحجاب يدعونه الى الهدى أفتاتل ان هدى الله هو الهدى وأمرنا بالنسب الى رب العالمين وان أقيموا الصلاة واتقوا

اليه تحشرون وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق يوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب

اليه تحشرون وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق يوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب

(١) قوله فان قيل الخ كذا في أصله ولعله مرئى على قراءة نصب يتوب كما يؤخذ من عبارة الكشف اه معجزة

والشهادته وهو الحكيم الخبير قال السدي قال المشركون للمسلمين اتبعوا ديننا واتركوا دين محمد فانزل الله عز وجل قل
 أندعومن دون الله مالا يتبعنا ولا يضربنا وقرى على أعقابنا أي في الكفر بعد إلهنا الله فيكون مثلهما مثل الذي استهوته
 الشياطين في الأرض يذره مثلكم ان كفرتم بعد ما ينكم كمثل رجل خرج مع قوم على الطريق فضل الطريق فخرته الشياطين
 واستهوته في الأرض وأصحابه على الطريق فجعلوا يدعونه اليهم يقولون اتقنا فاننا على الطريق فإني أن يأثمهم فذلك مثل من
 تبعهم بعد المعرفة بمحمد صلى الله عليه وسلم (٧٦) ومحمد هو الذي يدعو الى الطريق والطريق هو الاسلام رواه ابن جرير

وقال قتادة استهوته الشياطين في
 الأرض أضلته في الأرض يعني
 استهوته سيرته كقوله تهوى اليهم
 وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس
 في قل أندعومن دون الله مالا يتبعنا
 ولا يضربنا الآية هذا مثل ضرب به الله
 للألوهة ومن يدعو اليها والدةعاة
 الذين يدعون الى هدى الله عز
 وجل كمثل رجل ضل عن الطريق
 تأمها اذا ناداه مناديا فادن بن
 فلان هلم الى الطريق وله أصحاب
 يدعونه يا فلان هلم الى الطريق فان
 اتبع الداعي الاول انطلق به حتى
 يلقيه الى الهلكة وان أجاب من
 يدعو الى الهدى اهتدى الى
 الطريق وهذه الداعية التي تدعو
 في البرية من الغيلا ن يقول مثل من
 يعبد هذه الألوهة من دون الله فانه
 يرى أنه في شئ حتى يأتيه الموت
 فيستقبل الندامة والهلكة وقوله
 كالذي استهوته الشياطين في الأرض
 هدم الغيلا ن يدعو به باسمه واسم
 أبيه وجده فيتعها ويرى أنه في شئ
 فيصبح وقد رمت في هلكة وربما
 أكلته أو تلته في مضلة من الأرض
 بهلاك فيها عظماء فكذا مثل من

كل ما يتخذ الانسان معتدا عليه وليس من قولهم فلان ولجعة في التوم اذا دخل فيهم
 (والله خير بما تعتدون) أي بجمع أعمالكم (ما كان للمشركين) أي ما ينبغي ولا يصح
 لهم (أن يعمروا) من عمر يعمر وقرى من أعمر يعمر أي يجعلون لها من يعمرها عمارة
 معتديا (مساجدا لله) قرى بالجمع واختاره أبو عبيدة قال النحاس لانهم أعلموا بالخاص
 يدخل تحت العام وقد يحتمل أن يراد بالجمع المساجد الحرام خاصة لقوله وعمارة المسجد
 الحرام وهذا جزئيا كان من أسماء الاجناس كما يقال فلان يركب الخيل وان لم يركب
 الا فرسا وقرى بالافراد ويراد به جنس المسجد وعلى هذا يسدح فيه سائر المساجد
 ويدخل المسجد الحرام دخولا أوليا قال النحاس وقد أجعوا على الجمع في قوله انما يعمر
 مساجد الله قلت وهي أيضا محتملة للامرين وعن الحسن البصري انما قال تعالى مساجد
 والمراد المسجد الحرام لانه قبله المساجد كلها وامامها فاعمره كعما جميع المساجد
 أولان كل بقعة وناحية من بقاعه ونواحيه المختلفة الجهات مسجد على حياله بخلاف
 سائر المساجد اذ ليس في نواحيها اختلاف الجهة ويؤيده القراءة بالتوحيد قال الفراء
 العرب قد تضع الواحد مكان الجمع كقوله فلان كثير الدرهم وبالعكس كقولهم فلان
 يجالس الملوك ولعله لم يجالس الاملكا واحدا والزمزاد بالعمارة اما المعنى الحقيقي أو المعنى
 المجازي وهو ملازمته ودخوله والتعبود والتعويذ وكلاهما ليس للمشركين اما الاول
 فلانه يستلزم المنعة على المسلمين بعمارة مساجدهم واما الثاني فلكون الكفار لا عبادة
 لهم مع منهم عن قربان المسجد الحرام قيل لو أوصى كافر ببناء المسجد لم تقبل وصيته وكذا
 يمنع من دخول المسجد بغير اذن مسلم حتى لو دخل عزروا ان دخل باذن لم يعزروا ولكن
 لا بد من حاجة فيشترط الجواز الاذن والحاجة ويدل على جواز دخول الكافر المسجد
 بالاذن ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم شد ثمامة بن أثال الى سارية من سوارى المسجد
 وهو كافر والاولى تعظيم المساجد ومنعهم من دخولها (شاهدين) باظهار ما هو كفر من
 نصب الاوثان والعبادة لها وجعلها آلهة فان هذا شهادة منهم (على أنفسهم بالكفر)
 وان أبو ذؤلك بالشهادة فكيف يجتمعون بين امرين متنافيين عمارة المساجد التي هي من
 شأن المؤمنين والشهادة على أنفسهم بالكفر التي ليست من شأن من يتقرب الى الله بعمارة
 مساجده وقيل المراد بهذه الشهادة قولهم في طوافهم لبينك لاشريك لك الا شريك هو لك

أجاب الآية التي تعبد من دون الله عز وجل رواه ابن جرير وقال ابن أبي شيحة عن مجاهد كالذي استهوته
 الشياطين في الأرض حيران قال رجل حيران يدعو أصحابه الى الطريق وذلك مثل من يضل بعد اذهى وقال العوفي عن
 ابن عباس قوله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه الى الهدى ويرعون ان الذي يأمره به هدى يقول الله
 وعمل في الأرض بالعصية وجار عن الحق وضل عنه وله أصحاب يدعونه الى الهدى ويرعون ان الذي يأمره به هدى يقول الله
 ذلك لاوليائهم من الانس يقول ان الهدى هدى الله والضلال ما يدعو اليه الجن رواه ابن جرير ثم قال وهذا يقتضي أن أصحابه

يدعونه الى الضلال وينعمون أنه هدى قال وهذا خلاف ظاهر الآية فان الله أخبر أنهم يدعونه الى الهدى فغير جائز أن يكون ضلالا وقد أخبر الله أنه هدى وهو كما قال ابن جرير فان السياق يقتضي أن هذا الذي استمونه الشياطين في الارض حيران وهو منصوب على الحال أى في حال حيرته وضلاله وجه المجعولة لأحباب على المحبة سائرهم فجعلوا يدعونه اليهم وإلى الذهب معهم على الطريقة المثلثة وتقدير الكلام قياي عليهم ولا يلتفت اليهم ولو شاء الله لهداهم ولو شاء الله لهداهم ولو شاء الله لهداهم فان الله لا يهدي من يضل والله هو الهدى كما قال ومن يهد الله فله من مضل وقال ان تحرص (٧٧) على هداهم فان الله لا يهدي من يضل ومنهم

من ناصر من وقوله وأمرنا بالتسليم لرب العالمين أى نخضع له أى نخضع له العباد وحده لا شريك له وإن أقفوا الصلاة واتقوه أى أمرنا بأقامة الصلاة وبقواه في جميع الأحوال وهو الذى اليه تحشرون أى يوم القيامة وهو الذى خلق السموات والارض بالحق أى بالعدل فهو خالقهما ومالكهما والمدير لهما ومن فيهما وقوله ويوم يقول كن فيكون يعنى يوم القيامة الذى يقول الله كن فيكون عن أمره كلج البصر أو هو أقرب ويوم منصوب أمام على العطف على قوله واتقوه وتقديره واتقوا يوم يقول كن فيكون وما على خلق السموات والارض أى وخلق يوم يقول كن فيكون فذكر به الخلق واعادته وهذا مناسب وأما على اضمار فعل تقديره وإن ذكر يوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك جلستان محلهما الجرح على انهما صفتان لرب العالمين وقوله يوم ينفع في الصور ويحتمل أن يكون ظهرا لقوله وله الملك يوم ينفع في

تمامكم وما ذلك مع قولهم نحن نعبد الآلات والعزى وقيل ان اليهودى يقول هو جودى والنصرانى يقول هو نصرانى والصابى يقول هو صابى والمشرى يقول هو مشرك وقال ابن عباس شهدتهم بجودهم للاصنام وقال الحسن كلامهم بالكفر وقيل شاهدني على رسوالم بالكفر لانه من أنفسهم وما بعده عن المقام (أولئك حطت أعمالهم) التى يفخرون بها ويظنون انهم ان أعمال الخير مثل العمارة والتجارية والسقاية وفن العاني لانهم مع الكفر لا تأثر لها أى بطلت ولم يبق لها اثر (وفي النار هم خالدون) في هذه الجحمة الاسمية مع تقديم الطرف المتعلق بالنبى كيد لضمونها ثم بين سبحانه من هو حقيق بعمارة المساجد فقال (انما يعمر مساجد الله) الظاهر ان الجمع هنا حقيقة لان المراد جميع المؤمنين العاصرين للجمع مساجدا قطارا الارض والتعمير بنحو البناء والتزيين بالقرن والسراج وبالعبادة وترك حديث الدنيا يقال عمرت الدار عمر ابن باب قتل بنيتها والاسم العمارة بالكسر وعمرت الخراب عمر ابن باب كتب فهو عمار أى معه وقال أبو السعود والمراد بالعمارة ما يعمر مرة ما استمر منها وقها وتظيفها ودراسة العلوم فيها ونحو ذلك انتهى وقد تقدم الكلام في وجه جمع المساجد وفي بيان ماهية العمارة ومن يجوز الجمع بين الحقيقة والمجاز حل العمارة هنا علم ما قال أبو السعود ادراج المسجد الحرام في ذلك غير محال لقضى الحال فان الايجاب ليس كالسلب وقد قرئ بالافراد أيضا والمراد هنا أيضا قصر تحققي العمارة ووجودها على المؤمنين لا قصر جوارها ولياتها أى انما يصح ويستقيم ان يعمرها عمارة بعثة (هم امن بالله) وحده (اليوم الآخر) افيه من البعث والحساب والجزاء حسب ينطق به الوحي (وأقام الصلاة) أى الزكاة على ما علم من الدين فيندرج فيه الايمان بنبوته صلى الله عليه وآله وسلم حتما وقيل هو مندرج تحت الايمان بالله خاصة فان أحد جزأى كلمتي الشهادة علم للكل وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان قال الله تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر أخرجه أحمد والدارقنى والترمذى وحسنه وابن ماجه وابن المنذر والبيهقى وعبد بن حميد وعن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نى لله مسجدا صغيرا كان أكبر ابنى الله بيتا في الجنة أخرجه الترمذى وعن عثمان بن عفان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

الصور كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وكقوله الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوم على الكافر بن عسيرة أو ما شبهه واختلف المتسرون في قوله يوم ينفع في الصور فقال بعضهم المراد بالصور القرن الذى ينفع فيه اسرافيل عليه السلام قال ابن جرير كما يقال سور لسور البلد وهو جمع سور وقول الصحيح أن المراد بالصور القرن الذى ينفع فيه اسرافيل عليه السلام قال ابن جرير والصاب عندنا ما تظاشر تد الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان اسرافيل قد اتقمت الصور وحشى جهته ينتظر متى يؤمر فينفع وقال الامام أحمد حسدنا ما جعل حسدنا سليمان التيمي عن أسلم المجلى عن بشر بن عفان عن عبد الله بن عمرو قال قال اعرابي

بارسول الله ما الصورة قال قرن ينسخ فيه وقدر ونا حديث الصور بطوله من طريق الحفاظ في القاسم الطبراني في كتابه المطولات قال حدثنا أحمد بن الحسن المقرئ الأبلج حدثنا أبو عاصم النبيل حدثنا اسمعيل بن رافع عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في طائفة من أصحابه فقال ان الله ما فرغ من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل فهو واضع على فيه شاخصا بصره الى العرش ينتظر متى يؤمر قلت يا رسول الله وما الصورة قال الترن قلت كيف هو قال (٧٨) عظيم والذي يعنى بالخلق ان عظم داره فيه لعرض السموات والارض

يقول من بنى مسجدا يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتا في الجنة وقد وردت احاديث كثيرة في استحباب ملازمة المساجد وعمارتها والتردد اليها للطاعات (ولم يتحش) أحدا (الا الله) فعبسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) فيه حسم لا طماع الكفار في الانشغال بأعمالهم فان الموصوفين بتلك الصفات الاربع اذا كان احداهم أوهم مرجوا فقط فكيف بالكفار الذين لم يتصفوا بشئ من تلك الصفات وقيل عسى من الله واجبة وقال ابن عباس كل عسى في القرآن فهي واجبة كقوله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم عسى أن يبعثن ربك مقاما محمودا وهي الشفاعة وقيل هي بمعنى خلق أي خلقني أن يكونوا من المهتدين وقيل ان الرجا مرجع الى العباد قال ابن عباس يقول من وحسد الله وآمن بما أنزل الله وأقام الصلوات الخمس ولم يعبد الا الله فهو من المهتدين فمن كان جامعيا بين هذه الاوصاف فهو الحق بعمارة المساجد لامن كان حاليا منها أو من بعضها واقتصر على ذكر الصلاة والزكاة والخشية تنبها بما هو أعظم أمور الدين على ما عدها مما افترضه الله على عباده لان كل ذلك من لوازم الايمان والاسم تفهام في قوله (أجعلتم سقاية الحاج وعمارته المسجد الحرام) للانكار وهو استئناف خوطب به المشركون التفاتا عن الغيبة في قوله ما كان للمشركين ان يعمره او والبقاية والعمارة مصدران كالسقاية والحجامة لا يصور تشبيها بالاعيان والحج فلا بد من اخبار تقديره بأجل علم أهل سقاية الحاج أو أ جعلتم سقاية الحاج كإيمان من آمن ويؤيد الاول قرآن من قرأ سقاية الحاج وعمره المسجد جمع ساق وعامر وفيها تشبيه ذات بذات كافي الوجه الاول وعلى هذا الاحتياج الى تقدير محذوف (كن) أي كإيمان أو كعمل من (آمن بالله واليوم الآخر وجهاد في سبيل الله) حتى يتفق الموضوع والمنجول (لا يستقون عند الله) المعنى أن الله أنكر عليهم التسوية بين ما كان تعمله الجاهلية من الاعمال التي صورتها صورة الخسران لم ينتفعوا بها وبين ايمان المؤمنين وجهادهم في سبيل الله وقد كان المشركون يتفخرون بالسقاية والعمارة وينضلونهم ما على عمل المؤمنين فأنكر الله عليهم ذلك فصرح سبحانه بالمانضلة بين الفريقين وتفاوتهم وعدم استواءهم اى لا تساوى تلك الطائفة الكافرة السابقة للحجج العاصم للمسجد الحرام هذه الطائفة المؤمنة بالله واليوم الآخر الجاهدة في سبيله ودل سبحانه بنى الاختواء على نفي الفضيلة التي يدعيها المشركون أي اذ لم تبلغ أعمال الكفار

ينفع فيه ثلاث نفحات النفخة الاولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين يأمر الله اسرافيل بالنفخة الاولى فيقول انسخ فينسخ نفخة الفزع فينزع أهل السموات والارض الامن شاء الله ويأمره فيطيلها ويديعها ولا يفتر وهي كقول الله وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق فيسبر الله الجبال فتدثر السحاب فتكون سربابا ثم ترجع الارض بأهلها رجسة فتكون كالسفينه المرمية في البحر تضر بها الامواج تنكفأ بأهلها كانه ذبل المعلق في العرش ترجحه الرياح وهي التي يقول يوم ترجف الارحفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة فيميل الناس على ظهورها وتذهل الراضع وتضع الحوامل وتشيب الوادان وتظير الشياطين هاربة من الفزع حتى تأتي الاقطار فتأبها الملائكة فتضرب وجوهها فتراجع ويولى الناس مدبرين ما لهم من أمر الله من عاصم ينادي بعضهم بعضا هو الذي يقول الله تعالى يوم التصادف هذا هو على ذلك اذ تصدعت

الارض من قطر الى قطر فأوأمر اعظم المبر وامته وأخذهم لذلك من الكريب والهول ما الله به عليهم ثم نظروا الى السماء فاذا هي كالمهل ثم انشقت فاستمرت نجومها وانخسفت شمسيها وقرها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاموات لا يعلمون شئ من ذلك قال أبو هريرة يا رسول الله من استغنى الله عز وجل حين يقول قفزع من في السموات ومن في الارض الامن شاء الله قال اولئك الشهداء وانما يصل الفزع الى الاحياء وهم احياء عند الله يرزقون وقاهم الله فزع ذلك اليوم وآمنهم منه وهو عذاب الله يعينه على شرار خلقه قال وهو الذي يقول الله عز وجل يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ

ظهير يوم ترونها نذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد في ذلك البلا ما شاء الله الا انه يطول ثم يأمر الله اسرافيل بنفخة الصعق فينفخ بنفخة الصعق فيصعق أهل السموات والارض الا من شاء الله فاذا هم قد خدخدوا جاء ملك الموت الى الجبار عز وجل فيقول يا رب قد مات أهل السموات والارض الا من شئت فيقول الله وهو أعلم بمن بقى في بقى فيقول يا رب بقيت أنت الحى الذى لا تموت وبقيت جملة العرش وبقي جبريل وميكائيل فيمنطق الله العرش فيقول يا رب يموت جبريل وميكائيل فيقول اسكت (٧٩) فأتى كُتبت الموت على كل من كان تحت عرشى

فيوتان ثم يأتى ملك الموت الى الجبار فيقول يا رب قد مات جبريل وميكائيل فيقول الله وهو أعلم بمن بقى في بقى فيقول بقيت أنت الحى الذى لا تموت وبقيت جملة عرشك فيقول الله لميت جملة العرش فيموتوا ويأمر الله العرش فيقبض الصور من اسرافيل ثم يأتى ملك الموت فيقول يا رب قد مات جملة عرشك فيقول الله وهو أعلم بمن بقى في بقى فيقول يا رب بقيت أنت الحى الذى لا تموت وبقيت أنا فاقول الله أنت خلق من خلقى خلقتك لما رأيت فت فيموت فاذا الميحق الى الله الواحد القهار الاحد الذى لم يلد ولم يولد كان آخر كما كان اولاً طوى السموات والارض طوى السجبل للكتاب ثم دحاها ثم تلقفها ما ثلاث مرات ثم يقول أنا الجبار أنا الجبار ثلاثاً ثم هب بصوته لمن الملك اليوم ثلاث مرات فلا يجيبه أحد ثم يقول لنفسه الله الواحد القهار يقول الله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فيسطرها ما وبسطها ثم يبعدها ما بعد الاديم العكاظى لا ترى فيها عرجاً ولا أمناً

الى أن تكون مساوية لأعمال المسلمين فكيف تكون فاضلة عليها كما يزعمون وهذا الكلام استئناف مؤكداً لما علم من انطال المساواة بالتوبىج المستفاد من الاستفهام أى لا يستوى الفريقان ثم يحكم عليهم بالظلم فقال (والله لا يهدي القوم الظالمين) أى أنهم مع ظلمهم بما هم فيه من الزمرك لا يستحقون الهداية من الله سبحانه وهو تعذر فى المعنى لنفى المساواة وفى هذا الإشارة الى الفريق المفضل ثم صرح بالفريق الفاضل فقال (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة) أى الجامعون بين الايمان والهجرة والجهاد بالاموال والانفس أحق بما يهديهم من الغيرون تلك الطائفة المشركة المفخرة بأعمالها المحبطة الباطلة وفى قوله (عند الله) تشير ب عظيمة للمؤمنين (وأولئك) أى المتصفون بالصفات الثلاثة المذكورة (هم الفائزون) بسعادة الدارين المحتصون بالفوز المحصلون لأصله بالنسبة لكون الغيبرأهل السقاية والعامة والمحصلون لأكمله بالنسبة لكون الغيبر لم يجمع الاوصاف المذكورة ثم فسر الفوز بقوله (يشهرهم ربهم برحمة منه ورضوان وحنان) التذكير فى الثلاثة للتعظيم والمعنى انها فوق وصف الواصفين وتصور المتصورين قال أبو حيان لما وصف الله المؤمنين بثلاث صفات الايمان والهجرة والجهاد بالنفس والمال فأبطلهم على ذلك بالتبشير بثلاث وبدأ بالرحمة فى مقابلة الايمان لتوقفها عليه وثب بالرضوان الذى هو نهاية الاحسان فى مقابلة الجهاد الذى فيه بذل النفس والاموال ثم ثلث بالحنان فى مقابلة الهجرة وترك الاوطان إشارة الى أنهم لما أثروا تركها بقلوبهم دار عظيمة دأمة وهى الجنات انهم (لهم فيها نعم مقبم) الدائم المسمر الذى لا يفارق صاحبه (خالدين فيها أبداً) ذكر الابد بعد الخلود تأكيداً (ان الله عنده أجر عظيم) مؤكداً لما قبله مع تضمينها للتعليل أى أعطاهم الله سبحانه هذه الاجور العظيمة لكون الاجر الذى عنده عظيم ما يب منه ما يشاء لمن يشاء وهو ذو الفضل العظيم وهذه أعظم البشارات ونهاية المقصودات (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وأخوانكم أولياء) يعنى بطانة وأصدقاء تفشون اليهم أسراركم وتوثرون المقام معهم على الهجرة والخطاب للمؤمنين كفته وهو حكم باق الى يوم القيامة يدل على قطع الولاية بين المؤمنين والكافرين والمراد النهى لكل فرد من أفراد الخطاطين عن سؤالاتهم من أفراد المشركين بقضية مقابلة الجمع بالجمع الموجب

ينجز الله الخلق زجرة فاذا هم فى هذه المبدلة مثل ما كانوا فيها من الاول من كان فى بطنها كان فى بطنها ومن كان على ظهرها كان على ظهرها ثم ينزل الله عليهم ما من تحت العرش ثم يأمر الله السماء أن تمطر فقطر أربعين يوماً حتى يكون الماء فوقهم اثني عشر ذراعاً ثم يأمر الله الاجساد ان تنبت تنبت كنبات الطرايت أو كنبات البقل حتى اذا تكاملت أجسادهم فكانت كما كانت قال الله عز وجل ليحيى جملة عرشى فيموت ويأمر الله اسرافيل فأخذ الصور فوضعه على فمه ثم يقول ليحيى جبريل وميكائيل فيحييان ثم يدعو الله الارواح فيوثق بها تنهوج ارواح المسلمين نوراً ورواح الكافرين ظلمة فيقبضها جميعاً ثم يلقها فى الصور ثم يأمر الله

اسراييل أن ينفع نفخة البعث فتخرج الارواح كأنهم النحل قد ملأت ما بين السما والارض فيقول وعزتي وجلالي بلرجع كل روح الى جسده فدخل الارواح في الارض الى الاجساد فتدخل في الخياشيم ثم تنشق في الاجساد كما عيش السم في الذبائح ثم تنشق الارض عنكم وأنا أول من تنشق الارض عنه فتخرجون سرا الى ربكم تسألون مطعني الى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر حفاة وأخر لا فقهون ومواقوا احدا قد ارسبعون عاما لا ينظر اليكم ولا يقضي بينكم فتبكون حتى تنقطع الدموع ثم تدعون دما وتقرقون حتى يلجمكم (٨٠) أو يبلغ الأتقان ويقولون من يشفع لنا الى ربنا فيقضي بيننا

فَقُولُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ مِنْ أَيْكُمْ
أَدَمَ خَلَقَهُ اللَّهُ سَيِّدَهُ وَفَتَحَ فِيهِ مِنْ
رُوحِهِ وَكَلَّمَ قَلِيلًا فَأَنَادَ أَدَمُ فَيَطْلُبُونَ
ذَلِكَ إِلَيْهِ فَيَأْتِي وَيَقُولُ مَا أَنَا بِصَاحِبِ
ذَلِكَ فَيَسْتَقِرُّونَ الْإِنْيَاءَ بَيْنَهُمَا كُلُّمَا
جَاءُوا نِيَابَا أَبِي عَلَيْهِمْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى يَأْتُوْنِي
فَأَنْطَلِقَ إِلَى النَّحْصِ فَأَخْرَجَ سَاجِدًا
قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا
الْفَحْصُ قَالَ قَدَامُ الْعَرْشِ حَتَّى
يَعْبَثَ اللَّهُ إِلَى مَا كَانَ أَخَذَ بَعْضُهُ
فَيَرْتَعِي فَأَقُولُ لِي مُحَمَّدٌ فَأَقُولُ نِم
يَا رَبِّ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا شَأْنُكَ
وَهُوَ أَعْلَمُ فَأَقُولُ يَا رَبِّ وَعَدْتَنِي
الشَّفَاعَةَ فَشَفَعْنِي فِي خَلْقِكَ فَأَقْضِ
بَيْنَهُمْ قَالَ قَدْ شَفَعْتُكَ أَنَا أَيْكُمْ
أَقْضِي بَيْنَكُمْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَرْجِعْ فَأَقِفْ مَعَ النَّاسِ
فَيُنَادِي مَنْ وَقُوفٌ أَدْعِي عَنْهُمْ أَحَدًا مِنْ
السَّمَاءِ شَدِيدًا فَيُنَادِي الْقَائِلُ أَهْلُ
السَّمَاءِ يَمْثِلُ مِنْ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْخَلْقِ
وَالْإِنْسِ حَتَّى إِذَا دَانُوا مِنَ الْأَرْضِ
أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِرُوحِهِمْ وَأَخَذُوا
مَصَافِهِمْ وَقَالُوا لَهُمْ أَفِيكُمْ رَسُلًا قَالُوا لَا
تَمَيِّزُونَ عَلَيَّ قَدْ رَدَّكَ مِنَ الضَّعِيفِ
حَتَّى يَنْزِلَ الْحَمَارُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ظِلٍّ مِنْ

لاتقسام الاحاد الى الاحاد كافي قوله ولما ظالمين من أنصار لا عن موالاة طائفة منهم فان ذلك مفهوم من اللفظ دلالة لا عبارة وقالت طائفة من أهل العلم انها نزلت في الحضر على الهجرة ورفض بلاد الكفر فيكون الخطاب لمن كان من المؤمنين بمكة وغيرهما من بلاد العرب فهو أن يوالى الآباء والأخوة فيكونون لهم تبعاً في سكنى بلاد الكفر وقال بعضهم حمل هذه الآية على الهجرة بشكل لان هذه السورة نزلت بعد الفتح وهي آخر القرآن نزولاً وللاقرب ان يقال ان الله تعالى لما أمر بالسبرى عن المشركين قالوا كيف يمكن أن يقطع الرجل أباه وأخاه وابنه فذكر الله تعالى ان مقاطعة الرجل اياه وأقاربه في الدين واجبة فالؤمن لا يوالى الكافر وان كان أباه وأخاه وابنه وقال مجاهد هذه الآية متصلة بما قبلها نزلت في قصة العباس وطلحة واستأعجها من الهجرة وقال ابن عباس لما أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الناس بالهجرة الى المدينة فتهم من تعلق به أخذ وأولاده يقولون نشدك بالله أن لا نصنعاً ففرق لهم فيقيم عليهم ويدع الهجرة فأمر الله هذه الآية وقال مقاتل نزلت في السعة الذين ارتدوا عن الاسلام ووطقوا بمكة فنهى الله المؤمنين عن والاتهم وأمر الله هؤلاء الآية والعبرة لعدم اللفظ لان خصوص السبب (ان استحبوا الكفر) أى أحبوا كما يقال استجاب بمعنى أجاب وهو في الاصل طلب المحبة أى ان اختاروا الكفر وأما وعليه (على الايمان) وتر كوه وقد تقدم تحقيق المقام في سورة المائدة ثم حكم على من يتولى من استحب الكفر على الايمان من الآباء والاخوان بالظلم فقال (ومن يتولهم) فيه مراعاة للفظ من (منكم فأولئك) فيه مراعاة معناها (هم الظالمون) فدل ذلك على ان تولي من كان كذلك واختيار المقام معه على الهجرة والجحاد من أعظم الذنوب وأشد هائم أمر الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً له (قل ان كان آبائكم وآباؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقرباؤكم وبغاة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيل الله) العشيبة الجماعة المجتمعة التي ترجع الى نسب وعقد واحد أو ذو كعقد العشرة وعشيرة الرجل أهله وقرباته الآدون وهم الذين يعاشره ويكثر بهم سواء بلغوا العشرة أم فوقها وهي اسم جمع وقرأ السلي وأبوجاه عشيرتكم بالجمع ووجهه ان لكل من المخاطبين عشيرة فحسن الجمع قال الاخفش لا تكاد العرب تجمع عشيرة على عشيرات

وانما

السفلى والارض والسماوات الى حجازهم والعرش على مناكبهم لهم زجل فى تسبيحهم يقولون سبحان ذى العرش والجبروت سبحان ذى الملك والمكوت سبحان الحى الذى لا يموت سبحان الذى يعبث بالخلق ولا يعوت سموه قدوس قدوس قدوس سبحان ربنا الاعلى رب الملائكة والروح سبحان ربنا الاعلى الذى يعبث بالخلق ولا يعوت فيضع الله كرسيه حيث شاء من ارضه ثم ينف بصوته يامعشر الجن والانس انى قد افضت لكم منذ خلقتكم اليوم كرم هذا اسمع قولكم واوبصر اعمالكم وحفظكم تقرأ عليكم

فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه ثم يأمر الله جهنم فيخرج منها عنق ساطع ثم يقول ألم أعهد اليكم بان آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعدوني هذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جملا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التي كنتم توعدون وبها تكذبون واما تاروا اليوم أي المجرمون فيبذل الله الناس وتجشوا الاثم يقول الله تعالى وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها فيقضى الله عز وجل بين خافة الاثنيان الجن والانس فيقضى بين الوحش والبهائم حتى انه ليقتضى للجماع من ذات القرن فاذا فرغ من ذلك فليق (٨١) تسعة عند واحدة لآخرى قال الله كوني ترابا

فعد ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا ثم يقضى الله بين العباد فكان أول من بقى فيه الاماء وبأى كل قيل في سبيل الله عز وجل وبأمر الله كل قيل بحمل رأسه تشعب أوداجه يقول يارب فيم قتلتني هذا فيقول وهو أعلم فيم قتلتني فيقول قتلتهم لتكون العزة لك فيقول الله له صدقت فيجعل الله وجهه مثل نور الشمس ثم يره الملائكة الى الجنة وبأى كل من قتل غير ذلك يحمل رأسه تشعب أوداجه فيقول يارب قتلتني هذا فيقول وهو أعلم لم تقتله فيقول يارب قتلتهم لتكون العزة لك ولنى نعمت ثم لا تبقى نفس قتلها الا مثل بها ولا مظلة لاحد عنده أحد الا أخذها المظلوم من الظالم حتى انه لكلف شائب الابن بالماء ثم يبعه الى أن يخلص الاسن من الماء فاذا فرغ الله من ذلك نادى سنادي سمع اندلائق كلهم ألا الحق كل قوم بالهتهم الى النار وهو الذي يقول لو كان هؤلاء آلهة ماوردوها وكل فيها خادون فاذا لم يبق الا المؤمنون فيهم المنافقون جاءهم الله فبإشياء

وانما يجيهم ونها على عشائرو هذه القراءة حجة عليه وقرأ الحسن عشائركم والباقون عشيرتكم والاقتراف الاكتساب وأصله اقتطاع الشيء من مكانه والتركيب يدور على الدنيا والكتساب بدنى الشيء من نفسه ويدخل تحت ملكه والتجارة الامتعة التي يشترونها ليربحوا فيها والكتساد عدم الدفاق لقوات وقت بيعها بالهجرة ومفارقة الاوطان ومن غرائب التفسير ما روى عن ابن المبارك انه قال ان المراد بالتجارة في هذه الآية البنات والاخوات اذا كسدن في البيت لا يجدون لهن خاطبا واستشهد بذلك بقول الشعائر كسدن من الفقر في قومهن * وقد زاد هن مقامى كسادا

وهذا البيت وان كان فيه اطلاق الكساد على عدم وجود الخاطبات لهن فليس فيه جواز اطلاق اسم التجارة عليهن والمراد بالساكن المنازل التي تنجهم وتقبل اليها أنفسهن ويرون الإقامة اليها أحب اليهن من المهاجرة الى الله ورسوله ومن الجهاد في سبيله فقد عدوا الاجل ما ذكر من الامور الثمانية أولا جعل جهنم والعرض للصفات المذكورة الاذيان بان اللوم على محبة ما ذكر من زينة الحياة الدنيا ليس للناس ما فهم من مبادئ المحبة وموجبات الرغبة فيها وانما هم ما فهم فنون المحاسن بمعزل من ان يؤثر جهنم على حبه تعالى وجب رسوله صلى الله عليه وآله وسلم كافي قوله عز وجل ما غرك بربك الكريم والمراد بالحب الاختيارى دون الطبيعى وهو ان يثارهم وتقديم طاعتهم لأميسل الطبع فانه أمر جبلى لا يمكن تركه ولا يؤخذ عليه ولا يكلف الانسان بالتحفظ عنه (فقر بصوا) أى فانظروا (حتى يأتى الله بأمره) فيكم وما تقتضيه شيتته من عقوبتكم وقبل المراد بأمر الله سبحانه القتال وقيل فتح مكة وفيه بعد فقد روى ان هذه السورة نزلت بعد الفتح وقيل هو عقوبة عاجلة أو آجلة وفى هذا وعيد شديد وتهديد لهم ويؤكد كده ايهام الامر وعلم التصريح به لتدعب أنفسهم كل مذهب وتتردد بين أنواع العقوبات وانما كان تهديدا لكونهم آخر والذات الدنيا على الآخرة وهذا اقل من يتخلص منه ولذا قيل انها أشد آية نعت على الناس كأفضلها في الكشف وهذه الآية تدل على انه اذا وقع التعارض بين مصلحة واحدة من مصالح الدين وبين مهمات الدنيا وجب ترجيح الدين على الدنيا ليق الدين سليما (والله لا يهدي القوم القاسقين) أى الخارجين عن طاعته الباقين عن استئصال أو امره ونواهيهم (لقد نكرتم الله في مواطن كثيرة) تذكري المؤمنين بتسعة عليهم

(١١ - فح البيلين ح) من هيته فقال يا أيها الناس ذهب الناس فالحقوا بالهتكم ما كنتم تعبدون فيقولون والله ماله الا الله وما كان عبد غيره فكشف لهم عن ساقه ويقبل لهم من عظمتهم ما يعرفون انه ربهم فيخرون سجدا على وجوههم ويجز كل منافق على قتاه ويجعل الله أصلاهم كصاى القر ثم يأذن الله لهم فيرفعون ويضرب الله الصراط بين ظهري جهنم كحد الشجرة أو كحد السيف عليه كلاب وخطاطيف وحسك كحس السعدان فونه جسر رحض مذلة فيمرون كطرف العين أو كلعج البرق أو كرايح أو كجدا الخيل أو كجدا الدال كلب أو كجدا الرجال فناج سالم وناج مخدوش ومكر دس على وجهه في جهنم فاذا

أنضى أهل الجنة إلى الجنة قالوا من يشفع لنا إلى ربنا فندخل الجنة فيقولون من أحق بذلك من أن يكتم آدم عليه السلام خلقه الله
سده وتفتح فيه من روحه كله فلا تأتون آدم فيطلبون ذلك اليه فيذركم ذنباً ويقول ما أنا بصاحب ذلك ولكن عليكم من روح فانه
أقول رسل الله فيؤتى نوح فيطلب ذلك اليه فيذركم ذنباً ويقول ما أنا بصاحب ذلك ويقول عليكم يا إبراهيم فان الله اتخذ خليله
فيؤتى إبراهيم فيطلب ذلك اليه فيذركم ذنباً ويقول ما أنا بصاحب ذلك ويقول عليكم موسى فان الله قرب به نبيا وكلمه وأنزل عليه
التوراة فيؤتى موسى فيطلب ذلك اليه فيذركم (٨٢) ذنباً ويقول لست بصاحب ذلك ولكن عليكم بروح الله وكلته عيسى

والمواطن جمع موطن وفي الصباح الوطن مكان الانسان ومقره والجمع أو طان مثل سبب
وأسباب والموطن مثل الوطن والجمع مواطن كسجد ومساجد والموطن أيضا المشهد من
مشاهد الحرب والمواطن التي نصر الله المسلمين فيها هي يوم بدر وقرظة والنضير وكانت
غزوات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ما ذكر في الصحيحين من حديث زيد بن أرقم
تسع عشرة غزوة زاد بريرة في حديثه قائل في ثمان منهن ويقال ان جميع غزواته وسراياه
وبعوه سبعون وقيل ثمانون (و) نصركم أيضا (يوم خيبر) وهو وادي بين مكة والطائف بينه
وبين مكة ثمانية عشر ميلا كما في الخازن وانصرف على أنه اسم مكان ومن العرب من يسميه
على أنه اسم للبقعة قال قتادة قاتل به نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم هو اذن وثقيف وعلى
هو اذن مالك بن عوف وعلى ثقيف عبد البليل بن عمرو وذلك في شوال سنة ثمان عقيب رمضان
الذي وقع فيه الفتح والقصة مبسومة في كتب الحديث والسير (اذ) عجبتمكم كثرتمكم
وانما أعجب من أعجب من المسلمين بكثرة ما كنتم لانهم كانوا احدى عشر ألفا وقيل اثني عشر ألفا
وقيل ستة عشر ألفا والكفار اربعة آلاف قاله السيوطي والذي في شرح المواهب انهم
كانوا اكثر من عشرين ألفا وقتل من المسلمين اربعة ومن المشركين اكثر من سبعين
انتهى وبالجملة قال بعضهم لن تغلب اليوم من قلة فوكلوا الى هذه الكلمة (فلم تغن) أي
لم تدفع الكثرة (عنكم شيئا) بل انهزمتم وثبت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وثبت
معه طائفة يسيرة منهم عه العباس وكان أخذ بالجام الغلبة وأبوسفان أخذ بركابه وهو ابن
عمه اذ هو ابن الحر بن عبد المطلب وقد أسلم هو والعباس يوم الفتح ثم ترجع المسلمون
فكان النصر والظفر وفي سيرة الشامي ان الذين شتوا معه في خيبر مائة ثلاثون ثلاثون
من المهاجرين وسبعة وستون من الانصار والاعضاء اعطاه ما يدفع الحاجة إلى لم يعطكم
الكثرة شيئا يدفع حاجتكم ولم تفقدكم (وضاقت عليكم الارض بما رحبت) الرحب
بضم الراء السعة والرحب بفتحها المكان الواسع والباء بمعنى مع وما صدرة والمعنى ان
الارض مع كونها واسعة الاطراف ضاقت عليهم بسبب ما حل بهم من الخوف والوجل
وقيل ان الباء بمعنى على أي على رجبها (ثم ولستم) أي انهزمتم حال كونكم (مدبرين) أي
مولين أدباركم كما علم لها الى جهة عدوكم أخرجه ابن المنذر عن الحسن قال لما اجتمع أهل
مكة وأهل المدينة قالوا الآن نقاتل حين اجتمعنا فكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

ابن مريم فيؤتى عيسى بن مريم
فيطلب ذلك اليه فيقول ما أنا
بصاحبكم ولكن عليكم محمد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيما نوتى ولي عند رب ثلاث شفاعات
فاطلق قاتني الجنة فاخذ بخلقة الباب
فاسمته في قاضي وريحتي فاذا
دخلت الجنة فنظرت الى ربى خررت
ساجدا فأتى الله من جده
وتعجبه بشيئا ما أذن به لأحد من
خلقه ثم يقول ارفع يدي محمد واشفع
تشفع وسل تعطه فاذا رفعت رأسي
فيقول الله وهو أعلم ما سألتك فأقول
يا رب وعدتني الشفاعة فيشفعني
في أهل الجنة فيدخلون الجنة
فيقول الله قد شفعتك وقد أذنت
لهم في دخول الجنة وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول والذي
نفسى بيده ما أتم في الدنيا ما عرف
من أزواجكم ومساكنكم من
أهل الجنة تازوا جهنم ومساكنهم
فيدخل كل رجل منهم في ثنتين
وسبعين زوجة عما ينشئ الله
عز وجل وثنتين آدميتين من ولد
آدم لهما ما فضل على من أنشأ الله
لعبادته ما الله في الدنيا فيدخل

على الاولى في غرفة من ياقوته على سرير من ذهب مكل بالؤلؤ عليها سبعون زوجا من سندس واسبرق ثم انه يضع
يده بين كفيهما ينظر الى يده من صدرها من وراء ثيابه او جلدها ووجهها وانه لينظر الى مخ ساقها كما ينظر السالك في قصة الياقوت
كبدها لمرآة وكبدها لمرآة آتيناها هو عندها لعلها لا تعلم ما يتأنيها من مرة الا وحدها عذرا ما يفتد كره وما تستكي قبلها فينا
هو كذلك انزودى اننا عذرنا انك لا تعلم ولا تعلم الا انه لا معنى ولا منية الا انك لا تروى واجعها فيخرج قبا منيهم واحدة واحدة كذا
أنى واحدة قالت والله ما أرى في الجنة شيئا أحسن منك ولا في الجنة شيئا أحب الى منك واذا وقع أهل النار في النار وقع فيها خلق

من خلق ربك أو بقههم أعمالهم فنه من تأخذ النار قدسية لا يجاوز ومنهم من تأخذ إلى أنصاف سابقه ومنهم من تأخذ إلى ركبته ومنهم من تأخذ إلى حقوقه ومنهم من تأخذ جسده كله الأوجه حرم الله صورته عليها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يارب من وقع في النار من أمتي فيقول أخر جواسن عرفتم فيض جوا أولئك حتى لا يني منهم أحد ثم يأذن الله في السفاة فلا يني نبي ولا شهيد الاشفع فيقول الله أخر جواسن وحيدتم في قلبه زينة بنار ايمانها فيخرج أولئك حتى لا يني منهم أحد ثم يشفع الله فيقول أخر جواسن في قلبه ايماناً ثلثي دينار ثم يقول ثلث دينار ثم يقول ربع (٨٢) دينار ثم يقول قراط ثم يقول حبة من خردل

فيخرج أولئك حتى لا يني منهم حتى لا يني في النار من عمل الله خير اقل ولا يني أحد له شفاة الاشفع حتى ان ابليس يتناول مما يرى من رجة الله رجاء ان يشفع له ثم يقول بقيت وأنا أرحم الراحمين فيدخل يده في جوفهم فيخرجهم منها مالا يحصيه غيره كأنهم جم فيلقون على نهر يقال له نهر الحيوان فينبئون كأنيت الحبة في حمل السيل ما يلقي الشمس منها أخضر وما يلي الظل منها أصفر فينبئون كسبات الطرايث حتى يكونوا أمثال الذر مكتوب في رقابهم الجهنميون عتقاء الرحمن يعرفهم اهل الجنة بذلك الكتاب ما عملوا خيرا الله يقطعه فيكون في الجنة ماشاء الله وذلك الكتاب في رقابهم ثم يقولون ربنا ابع عنا هذا الكتاب فيمحوه الله عز وجل عنهم ثم ذكره بطوله ثم قال هذا الحديث وهو غريب جسد اوله مضه شواهد في الاحاديث المتفرقة وفي بعض ألفاظه نكارة تفرد به اسمعيل بن ارفع قاضي أهل المدينة وقد اختلف

ما قالوا وما أعجبهم من كثرتهم فالتقوا فنهزوا حتى ما يقوم أحد منهم على أحد حتى جعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينادي احياء العرب إلى أني قوال الله ما يعرج عليه أحد حتى أعمرى موضعه فالتفت إلى الانصار وهم ناحية فناداهم بالنصار الله وانصار رسول الله عباد الله ان رسول الله يغثوا ويكون وقالوا يا رسول الله ورب الكعبة اليك والله فنكسوا رؤسهم ليكون قد مضى السيف فنهض يرون بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى فتح الله عليهم وقل ناداهم العباس باذنه وكان صيا يسمع صوته من نحو غانية أميال فقاتلوا ووقعة حنين مذكورة في كتب السير والحديث بطولها وتفاصيلها فلا تطول بذلك (ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) أي أنزل ما يسكنهم فيذهب خوفهم حتى وقع منهم الاجترار على قتال المشركين بعد ان ولوا مدبرين ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثابت يفر والمراد بالمؤمنين هم الذين لم ينهزوا وقيل الذين انهزموا والظاهر جميع من حضر منهم لانهم بقوا بعد ذلك وقاتلوا واتصروا (وأُنزل جنوداً لتزوها) هم الملائكة واختلف في عددهم على أقوال قيل كانوا خمسة آلاف وقيل ثمانية آلاف وقيل ستة عشر ألفاً وقيل غير ذلك وهذا لا يعرف الا من طريق النسوة واختلفوا أيضا هل قاتلت الملائكة في هذه اليوم أم لا وقد تقدم ان الملائكة لم تقا تل الا يوم بدر وانهم انما حضر وا في غير يوم بدر لتقوية قلوب المؤمنين وادخال الرعب في قلوب المشركين وان كانوا لا يرونهم وقيل ان الكفار كانت تراهم عن جبين من مطعم قال رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتلون مثل الجباد (١) الاسود اقل من السماء حتى سقط بين القوم فظنرت فاذا عمل اسود مبعوث قداماً الوادي لم أشك انها الملائكة ولم تكن الا هزيمة للقوم وأخرج الطبراني والحاكم وصححه وأبو نعيم والبيهقي في الدلائل عن ابن مسعود قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم حنين فولى عنه الناس وبقيت معي في ثمانين رجلاً من المهاجرين والانصار فكان على أقدامنا نحو من ثمانين قداماً ولم نولهم المدبر وهم الذين أنزل عليهم السكينة ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على بغلته البيضاء يمضي قدما فقال ناولني كفا من تراب فناولته فضرب به وجوههم فاعتسلا تأعينهم تراباً وولى المشركون أدبارهم (وعذب الذين كفروا) بما وقع عليهم من القتل والاسر وأخذ الاموال وسي الذرية وقال السدي قتلهم بالسيف قبل أسر ستة آلاف من نساءهم وصبيانهم ولم تقع

فيه فنه من وثقه ومنهم من ضعفه ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة كأحد حنبل وأبي حاتم الرازي وعمر بن علي القلاس ومنهم من قال فيه هو متروك وقال ابن عدى أحاديثه كلها في نظر الا أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء قلت وقد اختلف عليه في اسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة قد اقرتها في حرج على حدوة أو ماسياقة فغريب جدا ويقال انه جمعه من أحاديث كثيرة وجعله سيماءا واحداً فانكر عليه بسبب ذلك وسعت شيخنا الحافظ أبو الخياط الرازي يقول انه رأى لاولد من مسلم مصنفاً قد جمع فيه كل الشواهد لبعض مفردات هذا الحديث فانه أعلم (واذا قال ابراهيم لا به أنزله أنصافاً ما ألهة أي أنزل

وقومك في ضلال ميين وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض ولكون من الموقنين فلما جئ عليه الليل رأى كوكبا قال
هداري فلما اقل قال لا احب الا فلين فلما رأى القمر بازغا قال هداري فلما اقل قال لن اثم لم يهدني ربي لا كون من القوم الضالين
فلما رأى الشمس بازغة قال هداري هذا كبر فلما اقلت قال اقوم اني برى مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات
والارض خيفة واما نامن المشركين قال النخلك عن ابن عباس ان ابا ابراهيم لم يكن اسمه آزر واما كان اسمه تارخ وادابن ابي
حاتم وقال ايضا حديثا عن ابن عمر بن ابي (٨٤) عاصم النبيل حديثا في حديثنا عن عاصم شيب حديثا عن عكرمة عن ابن عباس

في قوله واذا قال ابراهيم لبيه آزر
يعني بازر الصم وابو ابراهيم اسمه
تارخ واما اسمه هاشمي وامرأته
اسمه هاسارة واما اسم عيل اسمها
هابر وهي سيرة ابراهيم وهكذا
قال غير واحد من علماء التفسير ان
اسمه تارخ وقال مجاهد والسدي
آزر اسم صنم قلت كانه غلب عليه
آزر لخدمته ذلك الصنم فالتفت اعلم
وقال ابن جرير وقال آخرون هو صوب
وعيب بكلامهم ومعناه معوج ولم
يسنده ولا حكا عن أحد وقد قال
ابن أبي حاتم ذكر عن معمر بن سليمان
سمعت أبي يقرأ واذا قال ابراهيم
لبيه آزر بلغني أنه أعوج وانها
أشد كلمة قالها ابراهيم عليه السلام
ثم قال ابن جرير والصواب ان اسم
أبيه آزر ثم أورد على نفسه قول
النسائي ان اسمه تارخ ثم أجاب بأنه
قد يكون له اسمان كما لكثير من الناس
أو يكون أحدهما لقباً وهذا الذي
قاله جدي قوي والله أعلم واختلف
المفسران في آداه قوله تعالى واذا قال
ابراهيم لبيه آزر فيكي ابن جرير عن
الحسن البصري وابي زيد المديني
انهما ما كانا يقرآن واذا قال ابراهيم

لا يه آزر اتخذ أصناما آلهة معاديا آزر اتخذ أصناما آلهة وقرأ الجمهور بالفتح اما على انه علم أجمعى لا ينصرف جميع
وهو بدل من قوله لبيه آزر وعطف بيان وهو أشبه وعلى قول من جعله فعلا لا ينصرف أيضا كآجر واسود فأما من زعم انه منصوب
لكونه معمولا لقوله اتخذ أصناما تقدير ما أتت اتخذ آزر أصناما آلهة فانه قول بعيد في اللغة فان ما بعد حرف الاستفهام لا يعمل
فيما قبله لان له صدر الكلام كذا قرره ابن جرير وغيره وهو مشهور في قواعد العربية والمقصود ان ابراهيم وعظ امه في عبادة
الأصنام وزجر دعوتهم انه فلم يتبته كآل وقال ابراهيم لبيه آزر اتخذ أصناما آلهة أي أمثاله لصنم تعبد به من دون الله اني أراكم

وقولك أي السالكين بسلكك في ضلال منين أي ناهين لانه يتدون أن يسلكون بل أمر كم في خيرة وضلال وجهل بين واضح
 لكل ذي عقل سليم وقال تعالى وإذا قرأ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون
 عنك شيئاً يا أبا عبد الله ما أتيتك فأتيتك يا أبا عبد الله ما أتيتك فأتيتك يا أبا عبد الله ما أتيتك فأتيتك
 عصباً يا أبا عبد الله ما أتيتك فأتيتك يا أبا عبد الله ما أتيتك فأتيتك يا أبا عبد الله ما أتيتك فأتيتك
 لأرجلك وأهجرني ملياً قال سلام عليك سأستغفر لك ربّي انه كان في خفياً (٨٥) واعتزل لكم ومات دعون من دون الله وأدعو

رى عسى أن لا يكون بدعاري
 شقياً فكان ابراهيم عليه السلام
 يستغفر لاهيه مدة حياته فلما مات
 على الشرك وتبين ابراهيم ذلك رجع
 عن الاستغفار له وتبرأ منه كما قال
 تعالى وما كان استغفار ابراهيم
 لاهيه الا عن موعدة وعدها اياه
 فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ان
 ابراهيم لاواه حليم وثبت في الصحيح
 أن ابراهيم بنى أباة أزرع القيامه
 فيقول له أزياني اليوم لا أعصيك
 فيقول ابراهيم أي رب ألم تعدني
 انك لا تخزني يوم يبعثون وأي خزي
 أخزي من أي الا بعد فيقال
 يا ابراهيم انظر ما وراءك فأذا هو
 بضيض ملطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى
 في النار وقوله وكذلك نرى ابراهيم
 ملكوت السموات والارض أي
 نبين له وجهه الداللة في نظره الى
 خلقها الى وحدانية الله عز وجل في
 ملكه وخلقها وأنه لا اله غيره كقوله
 أولم ينظروا في ملكوت السموات
 والارض وقال أولم يرأى الى ما بين أيديهم

جميع الحرم روى ذلك عن عطاء فيمنعون عنده من جميع الحرم ويؤيد هذا قوله تعالى
 سبحانه الذي أسرى بعبد له من المسجد الحرام أراد به الحرم لأنه أسرى رسول الله صلى
 الله وآله عليه وسلم من بيت أم هانئ وذهب غيره من أهل العلم إلى أن المراد المسجد الحرام
 نفسه فلا يمنع المشرک من دخول سائر الحرم وقد اختلف أهل العلم في دخول المشرک غیر
 المسجد الحرام من المسجد فذهب أهل المدينة إلى منع كل مشرک عن كل مسجد وقال
 الشافعي والآية عامه في سائر المشرکین خاصة في المسجد الحرام فلا يمنعون من دخول
 غيره من المساجد قال ابن العربي وهذا جود منه على الظاهر لان قوله تعالى انما المشرکون
 نجس تنبيه على العلة بالشرك والنجاسة ويجاب عنه بان هذا القياس مر دوبر بطله صلى
 الله عليه وآله وسلم لثامه من أنال في مسجده وانزال وقد تنيف فيه وروى عن أبي خنيفة
 مثل قول الشافعي وزاد انه يجوز دخول الذي سائر المساجد من غير حاجة وقبده الشافعي
 بالحاجة وقال قتادة انه يجوز ذلك للذي دون المشرک والحاصل ان بلاد الاسلام في حق
 الكفار ثلاثة أنواع أحدها الحرم فلا يجوز لكافر أن يدخله بحال ذميا كان أو مستأمن
 لظاهر هذه الآية وبه قال الشافعي وأحمد ومالك وإذا جاز رسول من دار الكفر الى الامام
 والامام في الحرم لا يأتدنه في دخول الحرم بل يخرج اليه الامام أو يبعث اليه من يسمع
 رسالته خارج الحرم والثاني الحجاز وحده ما بين بمكة والمين ويخصه المدة الشريفة
 قبل نصفها ثم اى ونصفها حجازي وقيل كلها حجازي وقال ابن الكلبي حذا الحجاز ما بين
 جبل طي وطريق العراق قال الحربي وتبولك من الحجاز فيجوز للكفار دخول أرض الحجاز
 بالاذن ولكن لا يقعون فيها أكثر من مقام المسافر وهو ثلاثة أيام لا حديث صحيحة في هذا
 الباب منها ما روى عن عمر بن الخطاب انه مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول
 لا يخرج من اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع الا مسلماً وأجلاً لهم عمر في
 خلافته وأجل لمن قدم منهم تاجر أو ثلاثة وجزيرة العرب من أقصى عدن الى ريف
 العراق في الطول وامافي العرض فمن جسد قوماً والاهام ساحل البحر الى أطراف الشام
 والثالث سائر بلاد الاسلام فيجوز للكفار أن يقيم فيها بعهد أو أمان وذمة لكن
 لا يدخلون المساجد الا باذن مسلم لحاجة (بعد عنهم هذا) فيه قولان أحدهما انه سنة
 تسع وهي التي حج فيها أبو بكر على الموسم وهو عام نزول السورة الثاني انه سنة عشر قاله

لا يترك كل عبد منيب وأما ما حكاه ابن جرير وغيره عن مجاهد وعطاء وسعيد بن جبهر والسدي وغيرهم قالوا واللفظ
 لجاهد فرجت له السموات فنظر الى ما فيه حتى انتهى بصره الى العرش وفرجت له الارضون السبع فنظر الى ما فيه
 وزاد غيره فجعل ينظر الى العباد على المعاصي ويدعو عليهم فقال الله له اني أرحم بعبادي منك لعلهم ان يتوبوا ويرجعوا
 وروى ابن مردويه في ذلك حديثين من فروع عن معاذ علي ولكن لا يصح اسنادهما والله أعلم وروى ابن أبي حاتم من
 طريق العوفي عن ابن عباس في قوله وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين فانه تعالى جلالة

الامر بسره وعلايته فلم يخفف علمه شيء من أعمال الخلاق فلما جعل يلحن أصحاب الذنوب قال الله انك لن تستطيع هذا فرد كما كان قبل ذلك فيجتمعت ان يكون هذا كشفه عن بصره حتى رأى ذلك عانا ويحتمل أن يكون عن بصره حتى شاهد به بقواده وتحققه وعرفه وعلم ما في ذلك من الحكم الباهرة والدلالات القاطعة كما روى الامام أحمد والترمذي وصححه عن معاذ بن جبل في حديث المنام أناني ربي في أحسن صورة فقال لي محمد بن يحيى الملاء الأعلى فقلت لأدري أرب فوضع كفه بين كفتي حتى وجدت برداً فانه لبيثي فقص لي كل شيء وعرفت (٨٦) ذلك وكر الحديث وقوله وليكون من المؤمنين قيسل الواو زائدة

قتادة قال ابن العربي وهو الصحيح الذي يعطيه مقتضى اللفظ وان من العجب ان يقال انه سنة تسع وهو العالم الذي وقع فيه الاذان ولودخل غلام رجل داره يوما فقال له مولاه لا تدخل هذه الدار بعد يومك ثم يكن المراد اليوم الذي دخل فيه اه ويحجب عنه بيان الذي يعطيه مقتضى اللفظ هو خلاف ما زعمه فان الاشارة بقوله بعد عامهم هذا الى العام المذكور قبل اسم الاشارة وهو عام النداء وهكذا في المثال الذي ذكره المراد انتهى عن دخوله ابعديوم الدخول الذي وقع فيه الخطاب والامر ظاهرا لا يخفى ولعله أراد تفسيره بعد المضاف الى عامهم ولا شك انه عام عشروا ما تفسر العام المشار اليه بهذا فلا شك ولا ريب انه عام تسع وعلى هذا يحمل قول قتادة وقد استدل من قال بأنه يجوز للمشر كين دخول المسجد الحرام وغيره من المساجد بهذا القيد أعني قوله بعد عامهم هذا قائلا ان انتهى مختص بوقت الحج والعمره فهم ممنوعون عن الحج والعمره فقط لا عن مطلق الدخول ويحجب عنه بأن ظاهرا انتهى عن القربان بعده هذا العام يفيد المنع من القربان في كل وقت من الاوقات الكائنات بعده وتخصيص بعضه بالجواز يحتاج الى مخصص (وان خففتم عليه) بالفتح الفقير يقال عال الرجل يعيل اذا افتقر وقرأ علقمة وغيره عائله وهو مصدر كقائله والعاقبة والعاقبة وقيل معناه خصله شاقة يقال عالني الامر يعولني أي شق علي واشتد وحكي ابن جرير الطبري انه يقال عال يعول اذا افتقر وعيال الرجل من يعولهم وواحد العمال عيل كعبد والجمع عائل كعبد والرجل كثر عياله فهو معيل والمرأة معيلة قال الاخفش أي صار ذاعمال وكان المسلمون لما منعوا المشركين من الموسم وهم كانوا يجلبون اليه الاطعمة والتجارات قذف في قلوبهم الشيطان الخوف من الفقر بانقطاع تجارتهم عنهم وقالوا من أين نعيش فوعدهم الله ان يغنيهم وقال (فسوف يغنيكم الله من فضله) قال الضحاك ففتح الله عليهم باب الحرب من أهل الذمة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الآية وقال عكرمة أغناهم بأدبار المطر والنبات وخصب الارض وأسلمت العرب فغمو الى مكة ما أغناهم الله به وقيل أغناهم بالفي فقال مقاتل أسلم أهل جدة وصنعاء وجرش من اليمن وجلبوا الميرة الكثيرة الى مكة فكفاهم الله ما كانوا يخافون وقال الضحاك وقتادة عوضهم الله منها الحزبة فأغناهم بها (ان شاء) فائدة التقييد بالمشيئة التعليم للعباد بأن يقولوا ذلك في كل ما يكملون به عماله تعلق بال من المستقبل ولشلا

تقديره وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض ليكون من المؤمنين كقوله فصل الآيات واثنين سبيل المجرمين وقيل بل هي على بابها أي نريد ذلك ليكون عالما وموقنا وقوله تعالى فلما جن عليه الليل أي تغشاه وستره رأى كوكبا أي نجما قال هذا ربي فلما أفل أي غاب قال محمد بن اسحق بن يسار الاقول الذهب وقال ابن جرير يقال أفل النجم يأفل وبأفل أفولا وأفلا اذا غاب ومنه قول ذي الرمة مصابيح ليست بالالوان تقودها دباح ولا بالافلات الزوائل ويقال أين أفلت عنا يعني أين غبت عنا قال لا أحب الا فلين قال قتادة علم ان ربه دائم لا يزول فلما رأى القمر بازغا أي طالعا قال هذا ربي فلما أفل قال لن لم يهدني ربي لا تكون من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي أي هذا المنير الطالع ربي هذا أكبر أي جرما من النجم ومن القمر وأكثر اضاءه فلما أفلت أي غابت قال يا قوم اني بري مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر

السموات والارض خضعا وما أنا من المشركين أي أخلصت ديني وأقربت عبادتي للذي فطر

السموات والارض أي خلقهما وابتدعهما على غير مثال سبق خنيفا أي في حال كوني خنيفا أي ما نالني عن الشرك الى التوحيد ولهذا قال وما أنا من المشركين وقد اختلف المفسرون في هذا المقام هل هو مقام نظر او مناظرة فروي ابن جرير عن طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ما يقتضي أنه مقام نظر واختاره ابن جرير مستدلا عليه بقوله لن لم يهدني ربي الآية وقال محمد بن اسحق قال ذلك حين خرج من السرب الذي ولدته فيه أمه حين تخوفت عليه من غروذن كنعان لما كان قد أخبر بوجود مولود يكون ذهاب

يفتروا

عنا كنون الآيات وقال تعالى ان ابراهيم كان امة قاتله خبيثا ولم يك من المشركين شاكر الانعمه اجتهاد وحده الى صراط مستقيم وآياته في الدنيا حسنة وانه في الآخرة لمن الصالحين ثم اوحى اليه ان اتبع مله ابراهيم حنيفا ما كان من المشركين وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كل مولود يولد على الفطرة فطرته على الفطرية فطر ابن جبراد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله اني خلقت عبادي حنفاء وقال الله في العزير فطرت الله التي فطر الناس عليها التبدل لخلق الله وقال تعالى (٨٨) واذا اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على انفسهم ائت

بربكم قالوا بلى ومعناه على أحد القولين كقوله فطرت الله التي فطر الناس عليها كما سيأتي بيانه فاذا كان هذا في حق سائر الخلق فكيف يكون ابراهيم انجيلي الذي جعله الله امة قاتله خبيثا ولم يك من المشركين فاطراف هذا المقام بل هو أولى الناس بالفطرة السليمة والسجية المستقيمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا شك ولا ريب ومما يؤيد انه كان في هذا المقام مناظر القومه فيما كانوا فيه من الشر لا ناظرا قوله تعالى (وحاجبه قومه قال اتحاجوني في الله وقد هذان ولا أخاف ما نشركون به الآن يشاء ربى شيئا وسع ربي كل شئ عيلا فلا تمتدكر ون وكيف أخاف ما أشركتم ولا تتحافون انكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي القرى يقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون وتلك الجنة التي بها ابراهيم على قومه فرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم) يقول تعالى مخبرا عن خليل ابراهيم حين جدله قومه

فكلمة من بيانية كافي قوله تعالى فاحتبقوا الرجس من الاوثان واتماهم اقول لا ينبغي ثانيا زيادة في عكس العلم في قلب السامع فيعلم المأمور به عيلن علما جاليا ثم علما تفصيليا فيكون زيادة في عكس الخبر عنده ولما في ذلك من تشويق النفس الى البيان بعد الايهام فهذا بيان لاسم المذهب الموصول مع ما في حيزه وهم اليهود والنصارى أشغل التوراة والانجيل بالافتقار ويدل بقوله تعالى قل يا أهل الكتاب لستم على شئ حتى تتقوا التوراة والانجيل فاذا أتى لفظ أهل الكتاب فالمراد به القرى بقاءه القرى بقاءه والذين آمنوا بالمراد بهم اليهود واذ قيل النصارى فهم الذين أنزل اليهم الانجيل والمجوس ليسوا من أهل الكتاب لقوله صلى الله عليه وآله وسلم سئوا بهم سنة أهل الكتاب أخرجه البخاري من حديث عبد الرحمن بن عوف ويدل ايضا قوله تعالى ان يقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وحذا صريح في انهم ليسوا منهم قال أبو الوفاء من عقل في الآية ان قوله قاتلوا أمر بالعقوبة ثم قال لا يؤمنون بالله فبين الذنب الذي يوجب العقوبة ثم قال واليوم الآخر كما الذنب الذي في جانب الاعتقاد ثم قال ولا يجرمون وفيه زيادة للذنب في مخالفة الاعمال ثم قال ولا يدينون وفيه إشارة الى تأكد المعصية بالخلاف والمعاداة والانقصة عن الاستسلام ثم قال من الذين أووا الكتاب تأكد الحجج عليهم لانهم كانوا يحدونه مكسوبا عندهم في التوراة والانجيل ثم قال (حتى يعطوا الجزية) فيمن الغاية التي عند الله العقوبة ٨١ والجزية وزنها فعله من جرى مجرى اذا كفى عما أسدى اليه وكأهم أعطوا هاجز عما منحوا من الامن وقيل سميت جزية لانها طائفة مما على أذن الذمة ان يجزوا أي يقضوه وحى في الشرع ما يعطيه المعاهد على عهده وهو الخراج المضروب على رعايهم كل عام اذ لا وصغارا قال أحد بن تيمية رحمه الله والاول أصح وهذا يرجع الى انها عقوبة أو أجرة فخى غاية للقتال والمرابعا عايتها التزامها بالعقد وان لم يجز وقت دفعها (عن يد) في موضع نصب على الحال أي يعطوها اذ لم يقهروا عن يد متوالية غير متعصية هذا ان أريد به المعطى وان أريد به الأخذ فالمراد عن يد قاهره متوالية وقيل معناه يعطونها بأيديهم غير مستعينين فيها أحصدا وقيل المعنى نقد غير مستعينة وقيل عن انعام الله عليهم لان أخذ خدمتهم نوع من أنواع الانعام عليهم قاله في الكشف وقيل معناه مذمومون وفي زاده اليد تجعل كتابة عن الانقياد يقال أعطى

فيما ذهب اليه من التوحيد وناظره انه قال اتحاجوني في الله وقد هذان أي تجادلوني في أمر الله وانه لا اله الا هو وقد بصرني وعداني الى الحق وأعلى ينقسه فكيف التفت الى أقوال الكم الناسدة وشبهكم الباطلة وقوله ولا أخاف ما نشركون به الآن يشاء ربى شيئا ومن الدليل على بطلان قولكم فيما ذهبتم اليه ان هذه الآية التي تعبدونها الاثر تشبها وأنا لا أخافوا ولا بأباليه افان كان لها كيد فكيف دوني بها ولا تنظرون بل عاجلون في ذلك وقوله تعالى الان يشاء ربى شيئا استغنا عن قطع أى لنضر ولا ينفع الله عز وجل وسع ربي كل شئ عيلا أي حاط عليه بجميع الاشياء فلا يخفى عليه خافية فلا تمتدكر ون أي فيما بينه

لكم فتعبرون ان هذه الآلهة باطلة فتتبرأوا عن عبادتهم وهذه الخطة تطير ما احتج بها النبي الله هو عليه السلام على قومه عاد فيهم
قص عنهم في كتابه حيث يقول قالوا يا هو دما جتنا ببينة وما نحن بتاركى آلهمنا عن قولك وما نحن بالتجوسين ان تقول الاعتراف
بعض آلهمنا نسوة قال انى شهد الله واشهدوا انى برى مما تنسرون من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون انى قلت على الله
ربى وربكم ما من دابة الا هو اخذ صانعها الآية وقوله وكيف اخاف ما أشركتم أى كيف اخاف من هذه الاصنام التى تعبدون من
دون الله ولا تخافون انكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فإى (٨٩) القرين قال ابن عباس وغير واحد من السلف

اى حجة وهذا كقوله تعالى أم لهم
شركاء من دونهم من الدين ما لم
يأذن به الله وقوله تعالى ان هى الا
أسماء منمشوها أنتم وآبائكم ما أنزل
الله بهامن سلطان وقوله فإى
القرينين أى حق بالأم ان كنتم
تعلمون اى فإى الطائفتين أصوب
الذى عبدت من يده الضر والنفع
أو الذى عبدت من لا يضر ولا ينفع بل
دليلهم أى حق بالأم من عذاب
الله يوم القيامة لأشرك به قال الله
تعالى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم
بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون
أى هؤلاء الذين أخلصوا العبادة
لله وحده لا أشرك به ولم يشرکوا
به شيئا هم الآمنون يوم القيامة
المهتدون فى الدنيا والآخرة قال
الخصارى حدثنا محمد بن بشر
حدثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن
سلمان عن ابراهيم عن علقمة عن
عبد الله قال لما نزلت ولم يلبسوا
ايمانهم بظلم قال أشكاهوا أنما لم يظلم
نفسه فتركت ان الشرك لظلم عظيم
وقال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية
حدثنا الاعشى عن ابراهيم عن
علقمة عن عبد الله قال لما نزلت
هذه الآية الذين آمنوا ولم يلبسوا

فلان يده اذا أسلموا وتقادلان من أبى واستخ لم يطع يده بخلاف المطيع المتقاد كما قيل
فأتولهم حتى يعطوا الجزية عن طيب نفس وأتقادون أن يكرهوا عليه فاذا احتج في
أخذها منهم الى الأكره لا يبقى عقد الذمة اه وقد ذهب جماعة من أهل العلم منهم
الشافعى وأبو حنيفة وأصحابه والنورى والاوزاعى وأبو ثور الى أنها لا تقبل الجزية
الأمن أهل الكتاب وقال الاوزاعى ومالك ان الجزية تؤخذ من جميع أجناس الكفرة
كأشمان كان ويدخل فى أهل الكتاب على القول الاول الجوس قال ابن المنذر لا أعلم
خلافه فى ان الجزية تؤخذ منهم قال على بن أبى طالب أنا أعلم الناس بالجوس كان لهم علم
يعلمونه وكتاب يدرسه الحديث ولكن ضعفه جماعة من الحفاظ كما قاله ابن القسيم ويدل
له ما فى البخارى ان عروة وقف فى أخذ الجزية من الجوس حتى شهد عنده عبد الرحمن بن
عوف ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذها من مجوس هجر وفى الصحيحين من
حديث عروة بن عوف الانصارى ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث بأعبدة بن
الجراح الى البحرين بأن يجزئها وكان هو صلى الله عليه وآله وسلم صالح أهل البحرين
وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي وذكروا عبدة فى كتاب الاموال عن الزهرى قال قبل
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الجزية من أهل البحرين وكانوا مجوسا فالجزية تؤخذ
من هذه الطوائف الثلاث اتفاقا قاله ودود النصارى تؤخذ منهم بنص القرآن والجوس
تؤخذ منهم بنص السنة لقوله صلى الله عليه وآله وسلم سنواهم سنة أهل الكتاب أخرجه
البخارى ثم اختلف أهل العلم فى مقدار الجزية فقال عطاء المقدار لها وانما تؤخذ على
ما صولها عليه وبه قال يحيى بن آدم وأبو عبدة وابن جرير لانه قال ألقها ديناراً أكثرها
لاحتله وقال الشافعى دينار على لغى والفقير من الاررار الباقين لا ينقص منه شيء
قال أبو ثور قال الشافعى وان صولها على أكثر من دينار جازوا اذا زادوا وطابت بذلك
أنفسهم قبل منهم وقال مالك أنها أربعة دنانير على أهل الذهب وأربعون درهما على أهل
الورق والغنى والفقير سواء ولو كان مجوسا لا ترد ولا تنقص وقال أبو حنيفة وأصحابه
ومحمد بن الحسن وأحمد بن حنبل اثنا عشر وأربعة وعشرون وغالية وأربعون ولا تجب
على صبي ولا مجنون ولا امرأه وهو اتفاق وفى كتابه صلى الله عليه وآله وسلم لمعاد الى أهل

(١٢ - فتح البيان ح) ايمانهم بظلم شق ذلك على الناس فقالوا يا رسول الله فإى لا يظلم نفسه قال ان ليس الذى
تعبون لم تسعوا وما قال العبد الصالح بائى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم انما هو الشرك وقال ابن ابي حاتم حدثنا أبو سعيد
الاشج حدثنا وكيع وابن ادريس عن الاعشى عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله بظلم نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس كما تظنون انما قال لا به بائى
لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وحدثنا عن بن قيس البجلي حدثنا أبو أحمد حدثنا سفيان عن الاعشى عن ابراهيم عن علقمة

عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود قال لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتركوا الشرك لظلم عظيم رواء البخاري وفي لفظ قالوا يا أيها الظالم نفسه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليس بالذي تمنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح إن الشرك لظلم عظيم انما هو الشرك وإن أبي حاتم عن عبد الله بن عمر قال ولم يلبسوا العيانهم بظلم قال بشرى قال وروى عن أبي بكر وعمر وأبي بن كعب وسلمان وحذيفة وابن عباس وابن عمر وعروة بن شرحبيل وأبي عبد الرحمن السلمي ومجاهد وعكرمة والخفي والهاك وقادة (٩٠) والدي وغير واحد قد ورد ذلك وقال ابن مردويه حدثنا الشافعي حدثنا

تجدين شدة الدامعي حدثنا أبو
عاصم حدثنا سفيان الثوري عن
الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن
عبد الله قال ماتت الذين آمنوا
ولم يلبسوا ايمانهم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قيل لي أنت منهم
وقال الامام أحمد حدثنا المصنف
ابن يوسف حدثنا أبو خباب عن
زاذان عن جرير بن عبد الله قال
خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه
عليه وسلم في المدينة اذ راكب
يوضع ثوبوا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كل هذا الراكب اياكم
يريد فاستهينا الرجل فلم يفردها
عليه فقال له الذي صلى الله عليه وسلم
من أين أقبلت قال من أهل وولدي
وعشيري قال ما تريد قال أريد
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
تعال فقد أصبحت قال يا رسول الله
علمي ما الايمان قال تشهد أن لا اله
الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم
الصلاة وتؤتي الزكاة وتوم رمضان
وتحج البيت قال قد أفرت قال ثم
ان بعيره دخلت يده في حجر جرذان
يهوى بعيره فهو فوق الرجل
على هامته فأت فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم على نال رجل

الذين انه يأخذ من كل حالمة ينار انخص الحالم دون المرأت والصبي وقد روى في ذلك حالة قال
الا فتمنم الحديث ان هذه الزيادة غير محفوظة ولان عمر بن الخطاب لما فتح الامصار لم يأخذ
الجزية الا من الرجال دون النساء وأقره الصحابة واستمر واعليه وقال أبو محمد بن حزم
رحمه الله تلامم الجزية الا اني لقوله تعالى حتى يعطوا الجزية فولا شك ان الذين لازم النساء
لنزومه للرجال ولم يأت نص بالفرق بينهما في الجزية ثم ساق حديث معاذ بلطف حاله وحالة
وأسنده الى ابن جرير وساق حديثنا من سلامته ولا يخفى ضعف ما ذهب اليه وأما العبد
فان كان سيده مسلما فالجزية عليه بالاتفاق ومن اليهود السامرة وانهم فرق كثيره وقد
فتح الصحابة الامصار وأقرهم على تسليم الجزية وكذلك الاثمة والخلقاء بعدهم وأما
الصائبة فقال ابن القيم انهم أمة كثيرة وأكثرتهم فلا سفة ولهم مقالات مشهورة ثم ذكر
انهم انؤخذ منهم الجزية فانهم أحسن حال من المجوس فاخذها من المجوس تنبيه على
اخذها من الصائبة بالطريق الاولى فان المجوس من أخصب الأمم ديناً ومذهباً ثم ساق
مذهبهم وأما بنو تغلب وهم فرقة تتقوا في الجاهلية الى النصرانية فهم من النصارى
كانت لها شوكة وقوة وجاء الاسلام وهم كذلك وانما من الجزية فقصو عت عليهم
لصدقة عوضا عن الجزية فبه هذه الطوائف التي تؤخذ منها الجزية أو ما صورها عليه
يهود وخبر وغيرهم داخلون في عموم الآية ولم يأت لهم تخصيص وانما يأخذها رسول
الله صلى الله عليه وسلم من يهود المدينة ولا من يهود خيبر لانهما جلي يهود المدينة وقائز
من قاتل منهم قبل نزولها وأما أهل خيبر فانه صالحهم قبل نزول فريضة الجزية ولم ينزل
رضاهم الا في التاسعة من الهجرة واختلف الناس في أخذ الجزية ممن عدان ذكرناه بعد
الاتفاق على أخذها من أهل الكباين والمجوس فقالت الخنفة تؤخذ بأضامن عسدة
الاوثان من الحميم ولا تأخذ من عبدة الاوثان من العرب واستدلوا بالحديث الذي أخرجه
جدو الترمذي عن ابن عباس مر فوعا قال أريد منهم كلمة تدب لهمسهم بالعرب وتؤذى
الجزية بها اللهم الحميم وذهب مالك وأبو يوسف الى انها تقبل الجزية ممن العري الوثني
استدلين بحديث بريدة الذي أخرجه مسلم وهو حديث طويل شريف فيه وصايا الامراء
لسرايا رفسه اذ القت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصال وفيه فانهم أبوا
سليمهم الجزية فانهم أبوا جارك فاقبل منهم وكف عنهم فدل على ان الجزية تؤخذ من كل

فوثب اليه عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان فأقعداه فقالا ليا رسول الله قبض الرجل قال فأعرض عنهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أما رأيكما عرضي عن الرجل قال رأيت ملكين يبدسان في فيه
من ثمار الجنة فعملتا أنه مات جاعتما ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذان الذين قال الله عز وجل فيهم الذين آمنوا ولم يلبسوا
إيمانهم بظلم الآية ثم قال دونكم أحمأكم فاحتملناه الى المأفة فغسلناه وحفظناه وكفناه وجملناه الى القبر فجاء رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى جلس على شفير القبر فقال الحدوا ولا تشقوا فان الحد لنا واشق لغربنا رواه أحمد عن أسود بن عامر عن عبد الحميد بن

جعفر الشراعن ثابت عن زاذان عن جابر بن عبد الله فذكر نحوه وقال فيه هذا من علي قتيلا وأجر كثيرا وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يوسف بن موسى القطان حدثنا مهران بن أبي عمر حدثنا علي بن عبد الله الأعمى عن أبيه عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال كُتِبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير ساراه أعرابي فقال يا رسول الله والذي بعثك بالحق لقد خرجت من بلادى وتلاذى وإلى لا هدى يد لك وأخذ من قولك وما بلغتك حتى مالى طعام الأمن خضر الأرض فأعرض عني فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل فاذا جئنا حوله فدخل حتى بكره (٩١) في بيت جردان فتردى الأعرابي فأنكسرت

عنته فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم صدق والذي بعثني بالحق لقد

خرج من بلادى وتلاذى وإلى لا هدى يد

بهداى وبأخذ من قولى وما بلغنى

حتى ماله طعام الأمن خضر الأرض

أسعمت بالذى على قتيلا وأجر كثيرا

هذا منهم أسعمت بالذين آمنوا ولم

يلبسوا إيمانهم يظلم أولئك لهم

الأمن وهم مهتدون فان هذا منهم

وفى أفضال هذا عمل قتيلا وأجر

كثيرا وقوله وتلك جنتنا آتناها

إبراهيم على قومه أى وجهنا جنته

عليهم قال مجاهد وغيره يعنى

بتلك قوله وكيف أخاف ما أشركتكم

ولا تخافون أنكم أشركت بالله مالم

ينزل به عليكم سلطانا فإنى القرآن يقين

أحق بالآمن الآية وقد صدقه الله

وحكمه بالآمن والهداية فقال الذين

آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم يظلم أولئك

لهم الأمن وهم مهتدون ثم قال

بعد ذلك كله وتلك جنتنا آتناها

إبراهيم على قومه نرفع درجات من

نشاء فى الأضافق وبالأضافة كما

فى سورة يوسف وكلاهما قريب

فى المعنى وقوله إن ربك حكيم عليم

أى حكيم فى أفعاله وأفعاله عليم أى

كافر هذا ظاهر الحديث ولم يمتنع منهم كافر ادون كافر ولا يقال هذا خاص بأهل الكتاب فان اللفظ بأى اختصاصه بهم وأيضاً رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه أشكر ما كانت تقابل عبدة الاوثان من العرب فلو أخذ من عموم الكفار بالسنة ومن أهل الكتاب بالقرآن وقد أخذنا صلى الله عليه وسلم من الجوس عباد النار ولا فرق بينهم وبين عباد الاوثان فان قيل انه لم يأخذ من أحد من عباد الاوثان مع كثرة قتاله لهم قلنا آية الجزية انما كانت عام تمولك فى التاسعة بعد اسلام من كان فى جزيرة العرب ولم يبق بها أحد من عباد الاوثان فان الحافظ بن القيم والمسئلة مبنيّة على حرف واحد وهوان الجزية به لوضع عاصمة للدم ومظهر له صغار الكفر واذلال أهله والثانى راجع وقد جاز استرقاق العربى الوثنى فانه صرح ذلك بالحرية ويبنى على كفره والمقصود انه لا فرق بين الكفار فى أخذ الجزية ولا الاسترقاق وأطال فى هذا واختاره وأما تقدير الجزية كما تقدم فيرد على الجميع انه صلى الله عليه وسلم أمر معاذاً بقبض دينار من كل عالم وجعله صدقة واحداً لا ثلاثة أصناف وأقول من جعلهم ثلاثة عر من الخطاب وقد اختلف الجواب عن حديث معاذ ثم اعلم انه لا يعين فى الجزية ذهب ولا فضة بل يجوز أخذها ما يسر من أموالهم من ثياب وسلاح يعم لونه وحديد ونحاس ومواس وحجوب وغير ذلك وهذا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه أخرجه أحد بسند جيد عن معاذ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعثه الى اليمن أمره ان يأخذ من كل عالم ديناراً وعدله معافى يا ورواه أهل السنن وقال الترمذى حسن وكذلك أهل خبر ان لم يأخذ فى جزيتهم ذهب ولا فضة انما أخذ الحلل والأسلح وإذا عرفت هذا فقد تبين ان الجزية غريم مقدرة بالشريعة تقدر الا يقبل الزيادة والمقتصان ولا معينة فى جنس من الاجناس وأما وقت قبض الجزية فانها تجب فى آخر الحول ولا يطالبون بها قبل ذلك وبه قال أحمد والشافعى وقال أبو حنيفة تجب بأول الحول ويؤخذ منه كل شهر بسقطه وقال غيرهم وهم الاكثر ان الله صلى الله عليه وسلم لما ضرب الجزية على أهل الكتاب والخوس لم يطالبهم بها حين ضربها ولا أنزمتهم بانها فى الحال وقت نزول الآية بل صالحهم عليها وكان يبعث رسلاً وسعاة فيأتون بالجزية والصدقة عند مجئها واستمرت على ذلك مدة خلفائه ثم بعده قال الحافظ بن القيم رحمه الله وهذا مقتضى قواعد الشريعة وأصولها فان الأموال التى تسكر بسكر الأعوام انما

بمن يهدى ومن يضله وإن قامت عليه الحجّة والبراهين كما قال ان الذين حققت عليهم كلف ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم ولهذا قال ههنا ان ربك حكيم عليم (وههنا المعنى ويعقوب كلاً هدى بنا واحد ينامن قبل ومن ذر به داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك تجزى المحسنين وركبوا يحيى وعيسى والياس كل من الصالحين واسماعيل واليسع ويونس ولوطا ولا فسلنا على العالمين ومن آياتهم ما ذكرناهم واخوانهم واحتجناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ذلك هدى الله بهدى بهن يشاء من عباده ولوا شركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكمة والنبوة فان يكفر

بها أولاً فقد وكناهم أقواماً بالسواهم بأكابر أولئك الذين هدى الله فمداهم اقتصد قل لأأسألكم عليه أجر إن هو إلا ذكرى
 للعلمين يذكركم أن الله وحده لا شريك له وأبراهيم إسماعيل إسحاق يعقوب وآلهم في الدنيا والآخرة والذين آمنوا
 هم خير البرية ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم المفلحون وقال تعالى في سورة البقرة ١٢٩
 أولئك هم الذين آمنوا وهم خير البرية ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم المفلحون وقال تعالى في سورة البقرة ١٢٩
 أولئك هم الذين آمنوا وهم خير البرية ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم المفلحون وقال تعالى في سورة البقرة ١٢٩

وتراءى إسحاق يعقوب أي وولد لهذا
 المولود وولد في حياته كما فقر أعيس كما
 به كما قربت بولده وإن الفرح بولد
 الولد شديد ببقاء النسل والعقب
 ولما كان ولد الشيخ والشيخ قد
 يتوهم أنه لا يعقب أضاعه وقت
 البشارة بولده به يعقوب الذي
 فيه اشتقاق العقب والذرية وكانت
 هذه المجازاة لأبراهيم عليه السلام
 حين اعتزل قومه وتركهم وزح
 عنهم وهاجر من بلادهم ذاهباً إلى
 عبادة الله في الأرض فعوضه الله
 عز وجل عن قومه وعشيرته بأولاد
 صالحين من صلبه على دينه اتقرب بهم
 عينه كما قال تعالى فلما اعتزلهم
 وما يعبدون من دون الله وهبنا له
 إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبياً
 وقال ههنا وههنا إسحاق ويعقوب
 كلاهما نبأ وقوله ونوحاً هدى بنام
 قبل أي من قبله هدى بنام كاهن بنام
 وهبنا له ذرية صالحة وكل منما
 له خصوصية عظيمة أمانوح عليه
 السلام فإن الله تعالى لما أغرق أهل
 الأرض الأمن آمن به وهم الذين
 صبحوهم السفينة جعل الله ذريته
 هم السابق فالناس كلهم من ذريته

تجيب في آخر العام لافي أوله وأما قوله حتى يعطوا الجزية فليس المراد به العطاء الأول بل
 العطاء المستمر المتكرر وهذه كانت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم وقال أصحاب
 الشافعي تجب بأول السنة دفعة واحدة ولكن يستقر بحر بعد جزء وقال بعضهم إنما
 يدخل وقت وجوبهم أعتد انقضاء السنة وتسقط الجزية بالإسلام ولو اجتمعت عليه جزية
 ستين فقد قال صلى الله عليه وسلم ليس على مسلم جزية (وهم صاغرون) أي يعطى الذي
 الجزية به حال كونه صاغراً والصغار الذل واختلف العلماء في المراد من الصغار فقال عكرمة
 إن يدفعها وهو قائم ولا أخذ جالس وقيل إن يأتي بها بنفسه ماشياً لا ركاباً ويطلق وقوفه
 عند أتباعه ويحجز إلى الموضع الذي فيه إلا تخذ تمجيداً وعنه وفي الكشاف أنه يقتل
 ثلثه ويؤخذ بثلاثه ويقال له أأجزية وإن كان يؤذيها وإن جنى فقها انتهى وقال ابن
 عباس مشونهم امتلئين وعنه قال يذكرون وقال الكلي إذا أعطي يصعق فقاه وقيل
 هو أن يؤخذ بخصيته ويضرب في لهزيمته ويقال له أأجزية قال الله يا عذو الله وقال سلمان معي
 صاغرين غير محجودين وقيل غير ذلك مما يدل عليه دليل قال الحافظ بن القيم رحمه
 الله وهذا كله مما لا دليل عليه ولا هو مقتضى الآية ولا نقل عن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ولا عن أصحابه قال والصواب في الآية أن الصغار هو التزامهم بجزية إن أحكام الله
 تعالى عليهم وأعطاه الجزية فإن ذلك هو الصغار وبه قال الشافعي قلت ومن الصغار
 ما أخذ عمر رضي الله عنه في العهد العمرى وهو ما أخرجه عنه عبد الله بن أجدع عن عبد
 الرحمن بن غنم قال كتب لعمر بن الخطاب حين صالح نصارى الشام وشرط عليهم فيه أن
 لا يجذوا في مدينتهم ولا في مآثرهم ولا في كنيسة ولا قنطرة ولا صومعة وأهاب
 ولا يجذوا وأما حرب ولا يمنعوا كأنهم إن نزلها أحد من المسلمين ثلاث ليل لا يطعمونه
 ولا يؤثروا جاسوساً ولا يكتفوا غشاً للمسلمين ولا يعملوا أولادهم القرآن ولا ينظروا شركاً
 ولا يمنعوا ذوي قرباتهم الإسلام أن أرادوا من يوفروا المسلمين وإن يقوموا لهم من
 مجالسهم إذا أرادوا الخلو ولا يشبهوا بالمسلمين في شيء من لباسهم ولا تسكنوا بكنائهم
 ولا يركبوا سرجاً ولا يتقلدوا سيفاً ولا يبيعوا الخمر ويروا ينحروا واقداً رءوسهم وإن يلزموا
 رءوسهم حينما كانوا أو ان يشدوا على أساطهم ولا يظهر وأصلها ولا شيء من كتبهم في شيء
 من طرق المسلمين ولا يجاوروا المسلمين عورتاهم ولا يضر بوابنا قوس الأضر باخفياً

وأما تحليل إبراهيم عليه السلام فليسعت الله عز وجل بعده نبيا الأمن ذريته كما قال تعالى وجعلنا في ذرية نوحاً
 والكتاب الآية وقال تعالى ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذرية نوحاً السورة والكتاب وقال تعالى أولئك الذين أنعم الله عليهم من
 النبيين من ذرية آدم ومن جنتنا نوح ومن ذرية إبراهيم وإسماعيل ومن هدا بنوا حوثية إذا أتى عليهم آيات الرحمن جروا بها
 وبكافروا في هذه الآية الكريمة من ذرية أي وهدي بنام من ذرية داود وسليمان الآية وعود الصغار إلى نوح لأنه أقرب المذكورين
 ظاهراً لا إشكال فيه وهو اختيار ابن جرير وعوده إلى إبراهيم لأنه الذي سبق الكلام من أجله حسن لكن لا يشك عليه لوط فإنه

ليس من ذرية ابراهيم بل هو ابن ماريان بن آزر لانه ابن أخيه اللهم الآن يقال انه دخل في الذرية تغليبا كما في قوله تعالى أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك وآباءك ابراهيم واسماعيل واسحق الهوا واحدا ونحن له مسلمون فاصمعيلى وعمودخل في آباءه تغليبا وفي ذكر عيسى عليه السلام في ذرية ابراهيم أنوح على القول الآخر دلالة على دخول ولد البنات في ذرية الرجل لان عيسى عليه السلام انما ينسب الى ابراهيم عليه السلام لانه مريم عليها السلام فانه لأب له قال ابن أبي حاتم حدثنا سهل بن يحيى العسكري حدثنا عبد الرحمن (٩٢) بن صالح حدثنا علي بن عباس عن عبد الله ابن عطاء المكي عن أبي حرب بن أبي

الاسود قال ارسل الخجاج الى يحيى ابن يعمر فقال بلغني انك تزعم أن الحسن والحسين من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم تجد في كتاب الله وقد قرأته من أوله الى آخره فلم أجده قال أليس تقرأ سورة الانعام ومن ذرية داود وسليمان حتى بلغ ويحيى وعيسى قال بلى قال أليس من ذرية ابراهيم وليس له أب قال صدقت فلماذا اذا وصى الرجل لذريته أو وقف على ذريته أو وهبهم دخل أولاد البنات فيهم فاما اذا أعطى الرجل بنه أو وقف عليهم فانه يخص بذلك بنوه واصله وبنوه وبنيه واحتجوا بقول الشاعر العربي بنوننا بنوا بناتنا بناتنا بنوهن أبناء الرجال الاجانب

وقال آخرون ويدخل بنو البنات فيهم لما ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحسن بن علي ان ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فتيته عظيمتين من المسلمين فسماهما بنافذ علي دخوله في الابناء وقال آخرون

ولا يرفعوا أصواتهم بالقرعة في كائسهم في شئ من حضرة المسلمين ولا يخرجوا شعابهم ولا يرفعوا أصواتهم أصواتهم ولا يظهروا النيران معهم ولا يشترى من الرقيق ما جرت فيه سهام المسلمين فان خالفوا في شئ مما شرطوه فلا ذمة لهم وقد دل للمسلمين ما يحل من ذوى المعاندة والشقاق قال الحافظ بن القيم وشهرة هذه الشروط تغني عن اسنادها فان الآية تلقوها بالقبول وذكروها في كتبهم واحتجوا بما لم يزل ذكر الشروط العمرية على أسننتهم وفي كتبهم وقد أتت بعدة اختلافها وعلاو على غيرها ٨٥ قالت الديرة النصارى خاصة بنو نه لارهبان خارج البلد يجتمعون فيه للرهبانية وينفردون عن الناس واما القلابة بقافي مكسورة وبامو حدة قينها رهبانهم من شعبة كلنارة والفرق بينهما وبين الديرة أن الديرة يجتمعون فيه والقلابة لا تكون الا لواحد ينفردها بنفسه ولا يصحكون لها باب بل فيها طاعة يتناول منها شرابه وطعامه وما يحتاج اليه واما الصومعة فهي كالقلابة تكون للرهاب وحده والبسيع جمع يبعه وهي متعبد النصارى وعن ابن عباس انها مساجد الهدى ودوا الكنائس جمع كنيسة وهي لاهل الكنائس ثم اعلم أنه لا يحل تكليفهم بما لا يتقيدون عليه ولا حبسهم ولا تعذيبهم على اداء الجزية ولا ضربهم لما أخرج أبو عبيد أن هشام بن حكيم مر على قوم يعذبون في الجزية فبلسطن فقال هشام سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان الله يعذب يوم القيامة الذين يعذبون الناس في الدنيا وعن عياض بن غنم مثله رواه الهريزي عن عروة بن الزبير وقد أخرج عن جبير ابن نفير عن أبيه أنه أتى عمر بن الخطاب بمال كثير أحسبه قال الجزية فقال اني لاظنكم قد أهلكم الناس قالوا لا والله ما أخذنا الا عفوا قال بلا سوط ولا نوط قالوا نعم قال الحمد لله الذي لم يجعل ذلك على يدى ولا في سلطانى وعن علي بن أبي طالب انه استعمل رجلا على عكبري فقال له لا تبعين لهم في خراجهم حجارا ولا بقره ولا كسوة شيئا ولا صنفا وارفق بهم وكان يرضى الله عنه بما أخذ من صاحب الاربار ومن صاحب الحبال حبالا ونحوه من الامتعة قال أبو عبيد انما كان يأخذ منهم هذه الامتعة بقيمتها من الدراهم التي كانت عليهم من جزية رؤسهم ولا يحملهم على بيعها ارادة الرقيق منهم والتخفيف عليهم ولهذا أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معاذ بأخذ معارف عدل الاعن الذين ارادوا ما يرادهم لانه الرقيق باهل الذمة لا يساع عليهم من متاعهم شئ ولكن يؤخذ منهم ما يساع عليهم

هذا تجوز وقوله ومن آباءهم وذرياتهم واخوانهم ذكر أصولهم وفروعهم وذوى طبقتهم وان الهداية والاجتباء عليهم كاهم ولهذا قال واحتسبناهم وهداناهم الى صراط مستقيم ثم قال تعالى ذلك هدى الله هدى بهم من يشاء من عباده أى انما حصل لهم ذلك بتوفيق الله وهدايتهم اياهم ولو اشر كوا الحبط عنهم ما كانوا يعملون تشديدا لاهل الشرك وتغليظ لسانه وتعظيم لملاسته كقوله تعالى ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك ان لا تشركت بغيرك لا يحبط عملك الاية وهذا شرط والشرط لاية تبضى جواز الوقوع كقوله قل ان كان للرحمن ولد فانا أول العابدين وكقوله لو اردنا أن نخذلهم لآخذلناهم من اننا ان كافاعلين وكقوله لو اراد الله أن يخذل

ولد الاطفي مما خلق ما شاء سبحانه هو الله الواحد القهار وقوله تعالى أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة أى نعمنا
 عليهم بثلثة رجة للعبادهم ولطفنا ما بالخلق فان يكفر به أى بالنسوة ويحتمل أن يكون الضمير عائداً الى هذه الاشياء الثلاثة
 الكتاب والحكم والنبوة وقوله هؤلاء يعنى أهل مكة قاله ابن عباس وسعيد بن المسيب والضحاك وقطادة والسدى وغير واحد فقد
 وكلناهم اقواما بسواها بكافرين أى يكفر بهم هذه النعم من كفر بها من قريش وغيرهم من سائر أهل الارض من عرب وعجم
 ومليين وكنايين فقد وكلناهم اقواما آخرين (٩٤) أى المهاجرين والانصار وأتباعهم الى يوم القيامة ليسوا بها يكافرون

فى القيمة والكلام فى الجزية مرة فى موطنه والحق ان هذه الاقوال ما قدره الشوكلى
 فى شرحه للمتن وفى غير من مؤلفاته وفى الباب كتاب افادة الامة فى أحكام أهل الامة
 للسيد محمد بن اسمعيل الامير البجلي وهو حافل جدا (وقالت اليهود عزير ابن الله) كلام
 مبتدأ لبيان شرك أهل الكاين وظاهر الآية ان هذه المقالة لجميعهم وقيل هو لفظ خرج
 على العموم ومعناه الخصوص لانه لم يقل ذلك الا البعض منهم أو من سبقه منهم أو من
 كانوا معه بقوله قال النقاش لم يبق يهودى يقولها بل قد انقضوا وقيل انه قال ذلك النبى
 صلى الله عليه وآله وسلم جماعة منهم قتل الآية متضمنة لحكاية ذلك عن اليهود لان قول
 بعضهم لازم لجميعهم وقوله عزير بن قيس الصرف وتركه قرأتان سبعينان فالاولى بناء
 على انه عربى وليس فيه الاعل والى الثانية بناء على انه انجمى فقيه العلمان وعلى كل هو مبتدأ
 وابن الله خبر فلذلك ثبت الاتى فى ابن لانها لا تحذف منه الا ان كان ضمة (وقالت
 النصارى المسيح ابن الله) قالوا هذه الماروا من احبائه للموتى مع كونه من عذرا فكان
 ذلك سببا لهذه المقالة والاولى ان يقال انهم قالوا هذه المقالة لكون وصفه فى الانجيل تارة
 بابن الله وتارة بابن الانسان كما رأينا ذلك فى مواضع متعددة من الانجيل ولم يفهموا ان ذلك
 اقصد التشرىف والتعظيم ولم يظهر لهم ان ذلك من تحريف سلفهم لغرض من
 الاعراض الفاسدة قال الرازى والاقرىب عندي ان يقال لعله ذكرا لفظ الان فى الانجيل
 على سبيل التشرىف كما ورد لفظ الخليل فى حق ابراهيم على سبيل التشرىف فبالقول
 وفسروا لفظ الابن بالنسوة الحقيقية والجهال قبلوا ذلك منهم وفسا هذا المذهب الفاسد
 فى اتباع عيسى عليه السلام (ذلك قولهم) الاشارة الى ما صدر عنهم من هذه المقالة الباطلة
 ووجه قوله (بأقواهم) مع العلم بان القول لا يكون الا بالتم بان هذه القول لما كان
 ساذ جالس فيه بيان ولا عصبه به ان كان مجرد دعوى لا معنى تحتها فارغة صادرة عنهم
 صدورا للمحالات التى ليس فيها الا كونها خارجة من الاقوا غير مفيدة لفائدة يعتد بها
 وقيل لان اثبات الولد مع انه منزوع الحاجة والشهوة والمضاجعة والمباذعة قول باطل
 ليس له تأثير فى العقل وقيل ان ذكر الاقوا لقصد اننا كيد كفى كنت يندى ومثبت
 برجلى ومنه قوله تعالى يكتبون الكتاب بأيديهم وقوله ولا طائر يطير بجناحه وقال
 بعض أهل العلم ان الله سبحانه لم يذكروا لمقر ونايد الاقوا والالسن الا وكون قولاً

أى لا يمجدون منها شيئا ولا يردون
 منها حرفا واحدا بل يؤمنون
 بجمعيها بحكمة ما هو متناهيها جعلنا
 الله منهم عهده وكرمه واحدا ثم قال
 تعالى مخاطبا عبده ورسوله محمد
 صلى الله عليه وسلم أولئك يعنى
 الانبياء المذكورين مع من أضيف
 اليهم من الآباء والذرية والاخوان
 وهم الاشياء الذين هدى الله أى هم
 أهل الهدى لا غيرهم فهداهم اقتده
 أى اقتدوا بتبعه واذا كان هذا أمرا
 للرسول صلى الله عليه وسلم فامته
 تبع له فيما يشرع ويأمرهم به
 قال البخارى عنده هذه الآية
 حديثا ابراهيم بن موسى أخبرنا
 هشام أن ابن جريج أخبرهم
 قال أخبرني سليمان الاحول أن
 مجاهدا أخبره أنه سأل ابن عباس
 أى سجدة ص سجدة فقال نعم ثم
 تلاو وهبنا له اسحق ويعقوب الى
 قوله فهداهم اقتده ثم قال هو منهم
 زاذ بن زيد بن هرون ومحمد بن عبيد
 وسهل بن يوسف عن العوام عن
 مجاهد قلت لابن عباس فقال
 نبيكم صلى الله عليه وسلم ممن
 أمر أن يقتدى بهم وقوله تعالى

قل لا أسألكم عليه أجر أى لا أطلب منكم على ابلاي انما كم هذا القرآن أجر أى أجره ولا يريد منكم
 شأن هو الا ذكرى للعالمين أى يذكرون به فيرشدوا من العبي الى الهدى ومن الغي الى الرشاد ومن الكفر الى الايمان (وما قدرنا
 الله حق قدره اذ قالوا انزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى فزاد هدى للناس فجعلوا به قراطيس
 تبلى ونهاوتهم وكثروا عليه ما لم تعلموا انهم ولا آباءهم كل الله ثم نزلهم فى خوضهم بلعون وهذا كتاب أنزلنا مبارك مصدق الذى
 بين يديه ولنذكر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم محافظون) يقول تعالى وما عظموا الله

حق تعظيماً إذ كذبوا الرسل إليهم قال ابن عباس ومجاهد وعبد بن كثير زلت في قريش واختاره ابن جرير وقيل زلت في طائفة من اليهود وقيل في فتاح رجل منهم وقيل في مالك بن الصنف قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء والاول أصح لان الآية مبكية واليهود لا يشكرون أنزال الكتب من السماء وقريش والعرب قاطبة كانوا يشكرون إرسال محمد صلى الله عليه وسلم لانه من البشر كما قال أكان للناس عصفان أو حجة إلى رجل منهم أن أنذر الناس وكقوله تعالى وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولا قل لو كان في الأرض سلاكة يسعون مطمئنين لنزلنا (٩٥) عليهم من السماء ملكاً رسولاً وقال ههنا وما قدر والله حق قدره إذا قالوا

زورا اكتوله يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم وقوله كبرت كلمة تخرج من أفواههم وقوله يقولون بالسنة ما ليس في قلوبهم (يضاهون قول الذين كفروا من قبل) المضاهاة المشابهة قيل ومنه قول العرب امرأَةٌ ضاهوهُ أي التي لا تتحيز لانها شابهت الرجال قال أبو علي الفارسي هذا خطأ لان الهمزة في ضاهوا أصلية وفي ضاهيا زائدة كحمر أو أصله رضاهون وقيل فيه لغتان ضاهأت وضاهيت والاولى لغة ثقيف قال الحسن يوافقون وقال مجاهد يوافقون معنى مضاهاتهم لقولهم فيه أقوال لاهل العلم الاول انهم شابهوا بهذه المقالة عمدة الأوثان في قولهم اللات والعزى ومنات بنات الله الثاني شابهوا قول من يقول من الكافرين ان الملائكة بنات الله الثالث انهم شابهوا أسلافهم القائلين بأن عزرا ابن الله والمسيح ابن الله (فأنتلهم الله) دعاء عليهم بالهلاك لان من فأنله الله هلك وقيل هو تعجب من شناعة قولهم وقيل معناه لعنهم الله وحكى النقاش ان أصل قائل الله الدعاء كثرة استعمالهم حتى قالوه على التعجب في الخير والشر وهم لا يريدون الدعاء (أني يؤفكون) أي كيف يصرفون عن الحق إلى الباطل بعد وضوح الدليل وإقامة الحجة بأن الله واحد أحد فجعلوا له ولداً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً (اتخذوا أخبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) الاخبار جمع خبر وهو الذي يحسن القول ومنه ثوب مجبر وقيل جمع خبر بكسر الخاء قال يونس لم أسمعها إلا بكسر الخاء وقال الفراء الفتح والكسر لغتان وقال ابن السكيت الخبر بالكسر العالم والخبر بالفتح العالم قال الاصمعي لا أدري أهو الخير أو الخبر وقال أبو الهيثم هو بالفتح وأكسر الكسر وقيل الكسر أفصح لانه يجمع على أفعال دون فعول وقال أبو عبيد هو بالفتح وقال الليث الخبر العالم مذمياً كان أو مسالمًا بعدد أن يكون من أهل الكتاب والخبر الذي يكتب به وموضع المحبرة بالكسر والخبر أيضاً الأثر وفي الحديث يخرج رجل من النار قد ذهب خبره وسيره قال الفراء أي لونه وهيبته وقال الاصمعي الجمال والبهاء أو أثر النعمة وتخيير الخطأ والشر وغيرهما تحسبته والخبر بالفتح المجرور وهو السرور وجره أي سره وبه أنصر وجره أيضاً بالفتح ومنه قوله تعالى فهم في روضة يحبرون أي يسرون وينعمون ويكرمون والرهبان جمع راهب مأخوذ من الرهبة وهم علماء النصارى كان الاخبار علماء اليهود وقيل الرهبان أصحاب الصوامع من النصارى وقيل الرهبان النسالة وقيل القراء ومعنى الآية

ما أنزل الله على بشر من شيء قال الله تعالى قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين لا أنزال شيء من الكتب من عند الله في جواب سليم العام بآيات قضية جزئية موجهة من أنزال الكتاب الذي جاء به موسى وهو التوراة التي قد علمتم وكل أحد ان الله قد أنزلها على موسى ابن عمران نورا وهدى للناس أي ليستضاف بها في كشف المشكلات وهدى بها من ظلم الشبهات وقوله فجعلوا به قرايس تبدونهم وتخفون كثيرا أي يجعلون جملة باقراطيس أي قطعان كتبهم من الكتاب الاصل الذي بأيديكم وتخفون منها متخفون وتبطلون وتقولون هذا من عند الله أي في كتابه المنزل وما هو من عند الله ولهذا قال يجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وقوله تعالى وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباءكم أي ومن أنزال القرآن الذي علمكم الله فيه من خبر ما سبق وبما يأتي ما لم تكونوا تعلموه أنتم ولا آباءكم وقد قال قيادة هؤلاء مشركو العرب وقال مجاهد

هذه للمسلمين وقوله تعالى قل الله قال بن أبي طلحة عن ابن عباس أي قل الله أنزلته وهذا الذي قاله ابن عباس هو المتعين في تفسير هذه الكلمة وهذا الذي قاله هذا القائل يكون أمرا بكلمة مفردة من غير تركيب والاثبات بكلمة مفردة لا يفيد في لغة العرب فائدة يحسن السكوت عليها وقوله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون أي ثم دعهم في جهلهم وضلالهم يلعبون حتى يأتيهم من الله اليقين فسوف يلعبون ألبهم العاقبة أم لعباد الله المتقين وقوله وهذا كتاب يعني القرآن أنزلناه مباركة مصدق الذي بين يديه ولتذراهم القرى يعني مكة ومن حولها من أجداء العرب ومن سائر البطون فبنى آدم من عرب ونجم كما قال في الآية الاخرى قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وقال لا بدركم به ومن بلغ وقال ومن يكفر به من الاشراب فالنار وعده وقال تبارك الذي أنزل الفرقان على

عبد لم يكون للعالمين نذرا وقال وقيل للذين آمنوا الكتاب والاسم أن أسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فاعلموا أنكم على البلاء والله
بصير بالعباد وثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعطيت جسمي ليعطهن أحد من الأنبياء قبلي وذكر منهن وكان
الذي صلى الله عليه وسلم يعث إلى قومه ويبعث إلى الناس عامة ولهذا قال والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به أي كل من آمن بالله
واليوم الآخر آمن بهذا الكتاب المبارك الذي أنزلناه اليك يا محمد وهو القرآن وهم على صلاتهم يحافظون أي يقعون بما فرض
عليهم من أداء الصلوات في أوقاتها (٩٦) ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو حى إلى ولم يوح اليه شيئا ومن قال

سأزل مثل ما أنزل الله ولوترى إذ
الظالمون في غمرات الموت والملائكة
باسطو أيديهم أخرجوا أنفسهم
اليوم تجزون عذاب الهون بما
كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم
عن آياته تستكبرون ولقد جهنونا
فرادى كل خلقنا ثم أولمهم ووترى
ما حولنا كم وراء ظهوركم
وما ترى معهم شئ عاى كم الذين
زعم أنهم فيكم سركا فقد قد قطع
يدكم وصل عنكم ما كنتم
ترجون يقول تعالى ومن أظلم ممن
افترى على الله كذبا أو لا أحد أظلم
من كذب على الله فجعل له شركاء
أولدا أو ادعى أن الله أرسله إلى
الناس ولم يرسله ولهذا قال تعالى أو
قال أو حى إلى ولم يوح اليه شئ
وقال عكرمة وقتادة نزلت في مسيلة
الكذاب ومن قال سأزل مثل
ما أنزل الله أي ومن ادعى أنه يعارض
ما جاء من عند الله من الوحي بما يقتره
من القول كقوله تعالى وإذا أتى عليهم
آياتنا قالوا قد همنا لولا أن فلان مثل
هذا الآية قال الله تعالى ولوترى
إذا الظالمون في غمرات الموت أى في
سكراته وغمراته وكرباته والملائكة
باسطو أيديهم أي بالضرب كقوله لن يسط إلى يدك لتقتلنى الآية وكقوله ويسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء الآية من
وقال الضحاك وأبو صالح باسطو أيديهم أي بالعذاب كقوله ولوترى الذين كفروا الملائكة يقضون وجوههم وأديانهم
ولهذا قال والملائكة باسطو أيديهم أي بالضرب لهم حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم ولهذا يقولون لهم أخرجوا أنفسكم
وذلك أن الكافر إذا احتضر بشرته الملائكة بالعذاب والتكال والاغلال والسلاسل والحجيم والغصم وغضب الرحمن الرحيم
فتمتفرق روحه في جسده ونعصى وتأنى الخروج فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم فائلى لهم أخرجوا

أطاعوهم فيما يأمرهم وينهونهم عنه كانوا بمنزلة المتخذين لهم أربابا لأنهم أطاعوهم
كأنطاع الأرباب قال الربيع قلت لآلى العالمة كيف كانت تلك الروبوية في
اسرائيل قال انهم ربما وجدوا في كتاب الله ما يخاف أقوال الاحبار والرهبان فكانوا
يأخذون بأقوالهم وما كانوا يقبلون حكم كتاب الله تعالى قال الرازى في تفسيره قال
شعنا رضى الله عنه قد شاهدت جماعة من مقلدة الفقهاء قرأت عليهم آيات كثيرة من
كتاب الله تعالى في بعض المسائل وكانت مداهم بخلاف تلك الآيات فلم يقبلوا تلك
الآيات ولم يلقوا التوااليها وبقوا ينظرون إلى كالتجيب يعني كيف يمكن العمل بمثل ظواهر
هذه الآيات مع أن الرواية عن سلفنا وردت على خلافها ولولا ملت حتى التأمل وجدت
هذا الداء ساريا في عروق الأكثرين من أهل الدنيا والقول الثاني في تفسير هذه الرواية
أن الجهال والخشوة إذا بالغوا في تعظيم شخصهم وقدوتهم فقد يميل طبعهم إلى الحلول
والاتحاد وتلك الشيخ إذا كان طالبا للدين يعبد من الدين كان يأمر أتباعه وأصحابه
بأن يسجدوا له وكان يقول لهم أنتم عبيدي فكان يلقي إليهم من حديث الحلول والاتحاد
أشياء ولو خلا بعض الحقا من أتباعه فربما ادعى الألوهية فإذا كان ذلك مشاهدا في هذه
الامة فكيف يعبدونه في الامم السالفة وحاصل الكلام أن تلك الروبوية تحتل أن
يكون المراد منها أنهم أطاعوهم فيما كانوا يخافون فيه لحكم الله وأن يكون المراد منها
أنهم قبلوا أنواع الكفر فكفروا بالله فصار ذلك جارا مجرى انهم اتخذوا أربابا من دون الله
ويحتمل أنهم أبتوا في حقهم الحلول والاتحاد وكل هذه الوجوه الاربعة مشاهد واقعة في
هذه الامة اه (والشيخ ابن مريم) أى اتخذوا النصارى ربامعبودوا وفيه اشارة إلى أن اليهود
لم يتخذوا عذرا ربامعبودوا وانظر لمثبت الاثني في ابن هنام عنه نصه قد بين عليا لأن المسيح
لقب وهو من أقسام العلم وفي هذه الآية ما يجر من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد
عن التقليد في دين الله وتأثير ما يقوله الاسلاف على ما في الكتاب العزيز والسنة المطهرة
فان طاعة المتخذ بل يقضى بقوله ويستثنى بسنته من علماء هذه الامة مع مخالفتهم لما
جاء من النصوص وقامت به حجج الله وبراهينه ونظمت به كتبهم وأنبأه هو كاتخذ اليهود
والنصارى للاخبار والرهبان أربابا من دون الله للقطع بأنهم لم يعبدوهم بل أطاعوهم
وسموا ما حرموا وحلوا ما حلوا وهذا هو صنيع المقلدين من هذه الامة وهو أشبه به

من
ألسنتهم بالسوء الآية من
أخرجوا أنفسهم
أجسادهم
أجسادهم فائلى لهم أخرجوا

أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق الآية أي اليوم تنالون غاية الأمانة كما كنتم تكذبون على الله وتستهترون عن اتباع آياته والالتفات لرسوله وقد وردت أحاديث في كيفية احتضار المؤمن والكافر وهي مقرر عند قوله تعالى شئت الله الذين آمنوا بقوله الثاني في الحياة الدنيا وفي الآخرة وقد ذكر ابن مردويه هنا حديثاً مطولاً لاجتماع طريق غريبة عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعة قال الله أعلم وقوله ولقد جئتمونا فردى كما خلقناكم أول مرة أي كابدناكم كما أعدناكم وقد كنتم تستترون ذلك وتستهبدونه فهذا يوم البعث وقوله وتركنتم ما خولناكم (٩٧) أي من التعم والاموال التي اقتنيتوها في الدار

الدنيا ورا ما ظهر لكم وبنت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأغنت أو لبست فألبت أو تصدقت فأبقيت وما سوى ذلك فذاهب وتركه للناس وقال الحسن البصري يؤتى ابن آدم

يوم القيامة كأنه بلذح (١) فيقول الله عز وجل ابن ماجه فيقول يا رب

جعت وتركته أفر ما كان فيقول له يا ابن آدم ما قدمت لنفسك فلا يراه قدم شيئاً ولا هذه الآية ولقد جئتمونا فردى كما خلقناكم أول

مرة وتركنتم ما خولناكم وراه

ظهر لكم وراه ابن أبي حاتم وقوله وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم

أنه فيكم شركاء تقرير لهم وتوبيخ على ما كانوا اتخذوا في الدنيا

من الانداد والاصنام والاولئ

ظانين أنهم متفهمهم في معاشهم

ومعادهم ان كان ثم معاد فاذا كان

يوم القيامة تقطعت بهم الاسباب

وازاح الضلال وضل عنهم ما كانوا

يقترنون ويناديه الرب جل جلاله

على رؤس الخلائق أين شركائي الذين كنتم تزعمون ويقال لهم أيضاً

كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينصرون ولهاذا قال ههنا وما نرى معكم

شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء في استحقاق العباد لهم ثم قال تعالى لقد تقطع بينكم قرى بالرفع أي شملكم وبالنصب أي

تقطع ما بينكم من الاسباب والوصلات والوسائل وضل عنكم ما كنتم تزعمون أي وذهب عنكم ما زعمتم من رجاء الانداد والاصنام

كقوله تعالى اذ تبار الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب وقال الذين اتبعوا لانا كفرة كبيراً

منهم كافرين واما كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بشاكرين من النار وقال تعالى فاذا نفخ في الصور فلا يأساب

من شبه البضة بالبيضة والقر بالقررة والماء بالماء فعباد الله ويا اتباع محمد بن عبد الله ما بالكم تركتم الكتاب والسنة جاسوا وعدتم الى رجالهم مثلكم في تعبد الله لهم بما واطلبه للعامل منهم بما لا عليه وأفاداه فعملتم بما جاؤوا به من الآراء التي لم تعمد به ما دل الحق ولم تعضد بعض الدين ونصوص الكتاب والسنة تنادي بأبلغ نداه وتوصت بأعلى صوت بما يخالف ذلك وينابه فأعترعها إذا ناصها وقلوبها غلظت وأفهامها مرضت وعقولها مهضت وأذهانها كليلت وخواطرها عليته وأتشدتم بلسان الحال

وما أنا الا من غزية ان غوت * غويت وان ترشد غزية أرشد

فدعوا أرشدكم الله وياي كتبكم الله الكمال الاموات من أسلافكم واستبدلوا بها كتاب الله خالفهم وخالفكم ومعتمدكم ومعتمدكم ومعتمدكم واستبدلوا بأقوال من تدعونهم بآئمتكم وما جاؤكم به من الرأي بأقوال امامكم وامامهم وقدرتهم وقدوتكم وهو الامام الاول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم

دعوا كل قول عند قول محمد * فلما آمن في دينه كخاطر

اللهم هادي الضال مرشد السامع موضح السبيل اهدنا الى الحق وأرشدنا الى الصواب

وأوضح لنا منجى الهداية (وما أمرنا الا بالعبادة والهاواحد) أي والحال انهم ما أمروا

في الكتب القديمة المنزلة عليهم على أسننة أنبياءهم بالعبادة لله وحدهاً وما أمر الذين

اتخذوهم أرباباً من الاحبار والربان الا بذلك فكيف يصحون لما أهلوهم له من

اتخاذهم أرباباً (لا اله الا هو) صفة ثانية لقوله الها واستئناف مقرر للتوحيد (سبحانه

عجايبه سر كون) أي تزيهه عن الاشراك في طاعته وعبادته وقد أخرج ابن سعد وعبد

ان جيد والترمذي وحسنه وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي

في سننه عن عدي بن حاتم قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ في سورة براءة

اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله فقال أما انهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم

كانوا اذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه واذا حرموا عليهم شيئاً حرموه وأخرجهم أيضاً اجندوا بن

جرير (يريدون أن يفتشوا ثروا الله بأقوالهم) هذا كلام يصح ذكره عن أكثر من أنواع

ضلالهم وبعدهم عن الحق وهو ما رموه من ابطال الحق بأقوالهم الباطلة التي هي

تجرد كلمات ساذجة ومخادلات زائفة وهذا تمثيل لحالهم في محاولة ابطال دين الحق ونسوة

(١٣ - فتح البيان ح) كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينصرون ولهاذا قال ههنا وما نرى معكم

شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء في استحقاق العباد لهم ثم قال تعالى لقد تقطع بينكم قرى بالرفع أي شملكم وبالنصب أي

بينهم ويشد ولا ينسلون وقال تعالى انما اتخذتم من دون الله آواجا ومودة بينكم في الحياة الدنيا يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض
 ويلعن بعضهم بعضا وما لكم ان لا تعلموا قالوا وما لكم ان لا تعلموا قالوا وما لكم ان لا تعلموا قالوا وما لكم ان لا تعلموا
 فخرجهم جميعا ثم يقول للذين اشركو الى قوله وصل عنهم ما كانوا يفترون والا تأت في هذا كثيرة جدا ان الله فائق الحب والنوى
 يخرج الخي من الميت ويخرج الميت من الخي ذلكم الله فاني توفىكون فائق الاصباح وجعل الليل سكا والشمس والقمر حسبان
 ذلك تقدير العزيز العليم وهو الذي جعل لكم (٩٨) النجوم لتدعون بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الايات لقوم يعلمون يخرج

تعالى الله فائق الحب والنوى أى
 يشعني ان ترى فينبت الزرع على
 اختلاف اصنافها من الحبوب
 والثمار على اختلاف ألوانها
 وأشكالها وطعومها من النوى
 ولهذا افتقر قوله فائق الحب والنوى
 بقوله يخرج الخي من الميت ويخرج
 الميت من الخي أى يخرج التبات
 الخي من الحب والنوى الذي هو
 كالجداد الميتة كقوله وآبائهم
 الارض الميتة أحييناها وأخرجنا
 منها حبا فمنها يأكلون الى قوله ومن
 أنفسهم وما لا يعلمون وقوله ويخرج
 الميت من الخي معطوف على فائق
 الحب والنوى ثم فسر ثم عطف
 عليه قوله ويخرج الميت من الخي
 وقدر واعن هذا بعبارات كلها
 متقاربة مؤيدة للمعنى فن قال
 يخرج الدجاجة من البيض وعكسه
 ومن فائق يخرج الولد الصالح من
 الفاجر وعكسه وغير ذلك من العبارات
 التي تنظمها الآية وتشبهها ثم قال
 تعالى ذلكم الله أى فاعل هذا هو
 الله وحده فاني توفىكون أى كيف
 تصرفون عن الحق وتعدلون عنه
 الى الباطل فتعبدون معه غيره وقوله

نبي الصديق بحال من يريد ان ينفع في نور عظيم قد نارت به الدنيا انقشعت به الظلمة
 ليطغته ويذهب أضواءه قيل المراد بالبور شر انعموا براهنته وسبحم الدلائل نور الانه
 يمتدي بها الى الصواب كما يمتدي بالنور الى الحسوسات وقيل المراد به الدلائل الدالة على
 صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وهي أمور أحدها المعجزات الباهرات الخارقة للعادات
 وثانها القرآن العظيم وهو معجزة باقية على الابد وثالثها ان دسسه الذي أمر به هودين
 الاسلام ليس فيه شيء سوى تعظيم الله والتناء عليه والابقاد لأمرو به ونهي والتبري من
 كل معبود سواه فهذه أمور نبوية ودلائل واضحة في صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى
 صدقه فن أراد ابطال ذلك بكذب وزور فقد خاب سعيه وبطل عمله (وبأي الله الآن يتم
 نوره) أى دسسه القويم بعلاء كلمته قال في الكشف ان أي قد جرى مجرى لم ير دى ولا
 يريد الآن يتم نوره وقال علي بن سليمان انما جاز هذا في أي لا يمنع أو امتناع فصارعت
 النبي قال التماس وهذا أحسن وقال الزجاج التقدير وبأي الله كل شيء الآن يتم وقال
 الفراء انما دخلت الالان في الكلام طر فاس الجحد وانما اصح الاستثناء المنع من الموجب
 لكونه بمعنى النبي وقسم من المسالغ والدلالة على الامتناع ما ليس في نفي الارادة أى لا يزيد
 شيئا من الاشياء الا انتم نوره فيندرج في المستثنى منه بقاؤه على ما كان عليه فضلا عن
 الاطقاء قاله الكرخي (ولو كره الكافرون) أى أى الله الآن يتم نوره وبأي الله دسسه ونظير
 كلمته ويتم الحق الذي بعث الله به رسوله ولو كره الكافرون وكذلك الكافرون وجواب لمحمد وفي الدلالة
 ما قبله عليه التقدير ولو كره الكافرون تمام نوره لانه ولم يبال بكره اهتم وقيل ولم يكرهوه
 أو كرهوه أى على كل حال مفروضة ثم كدهذا بقوله (هو الذي أرسل رسوله) يعني محمدا
 (بالحديث) أى بما يجد به الناس من البراهين والمعجزات والاحكام التي شرعها الله لعباد
 والتوحيد والاسلام والقرآن (ودين الحق) وهودين الاسلام وفائدة ذكره مع دخوله في
 الهدى قبله بيان شرفه وتعظيمه كقوله والصلوة الوسطى (ليظهره) أى ليظهر رسوله
 أو دين الحق بما يشتمل عليه من الحجج والبراهين (على الذين كله) أى على سائر الاديان
 وهوان لا يعبد الله الا به فلا دين بخلاف الاسلام الا وقد قهرهم المسلمون وظهر واعلمهم
 في بعض المواضع وان لم يكن كذلك في جميع مواضعهم فقهرها اليهود وأخرجوه من بلادهم
 بلاد العرب وغلبوا النصارى على بلاد الشام وما والاها الى ناحية الروم والغرب وغلبوا

فائق الاصباح وجعل الليل سكا الى فائق الضياء والظلام كما قال في أول السورة وجعل الظلمات
 والنور أى فهو سبحانه يخلق الظلام الليل عن غرة الاصباح فيضي الوجود ويستمر الا في وضعت الظلام ويذهب الليل بسواده
 والظلام واقعه ويحيى الممات بضيائه واسرافه كقوله تعني الليل النهار يطلبه حثيثا فين تعالى قدرته على خلق الاشياء المضادة
 المختلفة الدالة على كمال عظمتهم وعظم سلطانه فذكره فائق الاصباح وقابل ذلك بقوله وجعل الليل سكا أى صاحبها مظلم لا يسكن
 فيه الاشياء كما قال والضحي والليل اذا سجي وقال والليل اذا سجي وقال والليل اذا سجي وقال والليل اذا سجي وقال والليل اذا سجي

وقال مهيب الرومي لاهرامه وقد عاتبتني كثرة سهره بان الله جعل الليل سكا للصب ان صهيا اذا ذكر الجنة طلال شوقه
واذا ذكر النار طار نومه رواه ابن ابي حاتم وقوله والشمس والقمر حسبا باي بجزبان بحسبان مقنن مقدر لا يتغير ولا يضطرب
بل لكل منهم مساكن يسلكها في الصيف والشتاء فيستريح على ذلك اختلاف الليل والنهار طولها وقصرها كما قال هو الذي
جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل الآية وكما قال لا الشمس (٩٩) ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل
سابق والنهار وكن في ذلك

يسبحون وقال والشمس والقمر
والنجوم مسخرات بأمره وقوله
ذلك تقدير العزيز العليم أي
الجميع جاز بتقدير العزيز الذي
لا يمانع ولا يخالف العليم بكل شيء
فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في
الارض ولا في السماء وكثيرا اذا
ذكر الله تعالى خلق الليل والنهار
والشمس والقمر بضم الكلام
بالعزة والعلم كما ذكر في هذه الآية وكما
في قوله وآية لهم الليل نسلخ منه النهار
فإذا هم مظنون والشمس تجري
بمستقرها ذلك تقدير العزيز العليم
ولما ذكر خلق السموات والارض
وما فيه في أول سورة حم السجدة
قال وزينا السماء الدنيا بصابغ
وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم
وقوله تعالى وهو الذي جعل لكم
النجوم ليتمددوا بها في ظلمات البر
والبحر قال بعض الساف من
اعتقد في هذه النجوم غير ثلاث فقد
أخطأ وكذب على الله سبحانه أن
الله جعلها زينة للسماء ورجوما

الجنوس على ملكهم وغلبوا عباد الاصنام على كثير من بلادهم عايل الترك والهند
وكذلك سائر الاديان فنبت ان الذي أخبر الله عنه في هذه الآية قد وقع وحصل وكان ذلك
اخبارا عن الغيب فكان معجزا وقد ذكرنا قوت الاسلام في كتابنا حجج الكرامة في آثار
القائمة الذي حرراه بهذا التفسير وقبل ذلك عند نزول عيسى وخروج مهدي
فلا ينبغي لأهل دين الادخال في الاسلام ويدل له بعض الاحاديث فمنها حديث أبي هريرة
قال النبي صلى الله عليه وسلم في زمانه الملل كلها الا الاسلام وقال الشافعي قد أظهر
الله دين رسوله على الاديان كلها بان آيات لكل من معه انه الحق وما خالفه من الاديان
باطل وقبل قهر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاميين حتى دانوا بالاسلام طوعا وكرها
وقتل أهل الاصنام وسبوا حتى دان بعضهم بالاسلام وأعطى بعضهم الجزية وبجرى عليهم
حكمه فهذا ظهروه على الدين كله وقبل المراءى ظهروه على الدين كله في جزيرة العرب
وقد حصل ذلك فانه تعالى ما أتى فيها أحد ادمان الكفار وقبل المراءى ان يوقفه على جميع
شرائع الدين ويطلعها عليها بالكلية حتى لا يخفى عليه منها شيء وقبل المراءى ظهروه على
الدين كله بالحنة والبيان وفيه ضعف لان هذا وعد بانه تعالى سيفعله والتقوية بالحنة
والبرهان كان حاصل من أول الامور (ولو كره المشركون) الكلام فسه كالكلام في
ولو كره الكافرون كما قد مضى ذلك ووصفهم بالشرك بعد وصفهم بالكفر للدلالة على انهم
ضموا الكفر بالرسول الى الكفر بالله تعالى وهذا آخر الآيات التي أمر على بالتأذين بها في
موسم الحج (يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان لما كان أموال الناس
بابا باطل) لما فرغ سبحانه من ذكر حال أتباع الاحبار والرهبان المتخذين لهم أربابا ذكر
حال المتوسعين وبين اغواهم لارادتهم قال الضحاك يعني علماء اليهود والنصارى وفي
قوله ان كثيرا دليل على ان الاقل منهم لم يأكلوا أموال الناس بالباطل ولم يتلبسوا بذلك بل
بقوا على ما وجبه دينهم من غير تحريف ولا تبديل ولا ميل الى حطام الدنيا ولعلهم الذين
كانوا قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم وعبر عن أخذ الاموال بالاكل لان المقصود
الا عظم من جمع المال الاكل فسمى الشيء باسم ما هو أعظم مقاصده والباطل كتب
كتبوه ولم ينزل الله فأكوا بها أموال الناس وذلك قوله تعالى فويل للذين يكتبون
الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله وقيل المعنى انهم يأخذونها بالوجوه الباطلة

للسياطين وهم تمدى بها في ظلمات البر والبحر وقوله قد فصلنا الآيات أي قد هذاها ووضحناها القوم يعاون أي يعقلون ويعرفون
الحق ويحتملون الباطل (وهو الذي أنشأ) من نفس واحدة فسقرو ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون وهو الذي أنزل
من البعائم فانخرجنا نبات كل شيء فانخرجنا منه خضر اخرج منه حيا متراكبا ومن الخلق من طلعها اقتوان دانية وجنات من
أعشاب والزيتون والمان مشتبها وغير مشتبها انظر الى غره اذا أغمر ونعه ان في ذلك لكم آيات لقوم يؤمنون يقول تعالى وهو
الذي أنشأكم من نفس واحدة يعني آدم عليه السلام كما قال يا أيها الناس اقموا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها

زوجها وبث منها رجلا كثيرا ونساء وقوله فسقط رمسه وتدع اختلافه في معنى ذلك فمن ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وغيرهم وأبي عبد الرحمن السلمي وقس بن أبي حازم ومجاهد وإبراهيم النخعي والضحاك وقائدة والسدي وعطاء الخراساني مستقر في الارحام ومستودع أي في الاصلاب. وعن ابن مسعود وطائفة عكسه وعن ابن مسعود أيضا وطائفة فسقط في الدنيا ومستودع حيث يموت وقال سعيد بن جبيرة فسقط في الارحام وعلى ظهر الارض وحيث يموت وقال الحسن البصري المستقر الذي قدمت فاستقر به (١٠٠) وعن ابن مسعود فسقط في الدار الاخرة القول الاول أظهر والله أعلم

وقوله تعالى قد فعلنا الايات لقوم يفقهون أي يفهمون ويعون كلام الله ومعناه وقوله تعالى وهو الذي نزل من السماء أي بقدر مباركا ورزقا للعباد وحياء للخلائق رحمة من الله بخلقه فأخرجناه نبات كل شيء كقولنا وجعلنا من الماء كل شيء حي فأخرجنا منه خضر أي زرعاً وشجراً أخضر ثم بعد ذلك يخلق فيه الحب والنمر ولهذا قال تعالى يخرج منه حجامترا كما أي يركب بعضه بعضا كالسنابل ونحوها ومن الخلق من طلعها قنوان أي جمع قنوه وهي عذوق الرطب دانية أي قريبة من المتناول كما قال علي بن أبي طلحة الوالبي عن ابن عباس قنوان دانية يعني بالقنوان الدانية قصار الخلق لاصقة عذوقها بالخل رواء ابن جرير قال ابن جرير وأهل الحجاز يقولون قنوان وقيسية ولون قنوان وقال امرؤ القيس فانت أعاليه وأدت أصوله

كالرشوة في تخفيف الاحكام والمساخطة في الشرائع وقيل انهم كانوا يذبحون عند العوام والحشرات انه لا سبيل لاحد الى الفوز بمرضاة الله تعالى الا بخدمتهم وطاعتهم وبذل الاموال في طلب مرضاتهم والعوام كانوا يغترون تلك الاكاذيب وقيل التوراة كانت مشقة على آيات الله على مبعث محمد صلى الله عليه وسلم فكانوا يذبحون في ثأويلها وجوها فاسدة ويحملونها على محامل باطلة وكانوا يأخذون الرشوة وقيل كانوا يقررون عند واما هم ان الدين الحق هو الذي هم عليه فاذا قرروا ذلك قالوا وتقرية الدين الحق واجبة ثم قالوا ولا طريق الى تقويته الا اذا كان اولئك الفقهاء أصحاب الاموال الكثيرة والجمع العظيم فهذا الطريق يحملون العوام على ان يذلوا في خدمتهم نفوسهم وأموالهم فهذا هو الباطل الذي كانوا يأكلون أموال الناس قال الرازي وهي بأسرها حاضرة في زماننا وهو الطريق لاكثر الجهال والمزورين الى أخذ أموال العوام والحق في الخلق انتهى ولقد اقتدى بهؤلاء الاجبار والرهبان من علماء الاسلام ومشايخهم لا يأتى عليه الحصر في كل زمان قال الرازي ولعمري من تأمل في أحوال أهل الناموس والتزوير في زماننا وجد هذه الايات كأنها ما نزلت الا في شأنهم وفي شرح أحوالهم فتري الواحد منهم يدعي انه لا يلتفت الى الدنيا ولا يتعاقب خاطر بجميع الخدوشات وأنه في الطهارة والعصمة مثل الملائكة المقربين حتى اذا آل الامر الى الرغيف الواحد تراه يتهاكك عليه ويعمل نهاية الذل والدناءة في تحصيله انتهى ولعمري ما قيل

محب من شيعي ومن زهده * وذكره النار وأخوالها
يكروه ان يشرب في قضة * ويسرق الفضة ان ناله

(و يصدون عن سبيل الله) أي عن الطريق اليه وهو دين الاسلام وعن الايمان بعمده صلى الله عليه وسلم وعما كان حقا في شريعتهم قبل نسخها بسبب أكلهم لأموال الناس بالباطل (والذين يكتزون الذهب والفضة) قيل هم المتقدم ذكرهم من الاحبار والرهبان وأنهم كانوا يصنعون هذا الصنع قالة معاوية بن أبي سفيان وقيل هم من يفعل ذلك من المسلمين قالة ابن عباس وقال السدي نزلت في ما نهي الزكاة من المسلمين وقال أبو ذر نزلت في أهل الكتاب وفي المسلمين جميعا والاولى حل الآية على عموم اللفظ فهو واسع من ذلك وأصل الكتز في اللغة الضم والجمع ولا يختص بالذهب والفضة قال ابن جرير الكتز

(١) بقنوان من البسراجرا

قال وغيره يقولون قنوان بالياء قال

وهي جمع قنوه كما أن صنوان جمع صنو وقوله تعالى وجنات من أعناب أي وبخروج منه جنات قال من أعناب وهذا النوعان هما أشرف الثمار عند أهل الحجاز وربما كانا خارا الثمار في الدنيا كما امن الله به ما على عباده في قوله تعالى ومن تمرات الخيل والأعناب تخذون منه سكر اورز فاحسنوا وكان ذلك قبل تحريم الخمر وقال وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وقوله تعالى والزيتون والارمان مشبهات وغيره متشابهة في اللفظ والشكل قريب بعضها من بعض ومتخالف في التماثل كالأوطعما وطبعها وقوله تعالى انظروا الى ثمرة اذا غرست ثمرة أي تضج قاله البراء بن عازب وابن عباس (١) قوله بقنوه هكذا في الاصول وهذا الشطر ناقص بحره اه معضه

والفصحاء وعطاء الخراساني والسدي وقادة وغيرهم أي فكروا في قدرة خالقهم من العدم إلى الوجود بعد أن كان حطبا صار عسبا ورطباً وغير ذلك مما خلق سبحانه تعالى من الألوان والأشكال والطعوم والروائح كقوله تعالى وفي الأرض قطع متجاورات وحنات من أعناب وزرع وفجل صنوان وغير صنوان يسقي بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل الآية ولهذا قال ههنا في ذلكم لايات أي دلالات على كمال قدرة خالق الأشياء وحكمته ورحمته لقوم يؤمنون أي يصدقون به ويتبعون رساله (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له شين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون) (١٠١) ههنا رد على المشركين الذين عبدوا

مع الله غيره الذين أشركوا بالله في عبادته أن عبدوا الجن فجعلوا شركاء له في العبادة تعالى الله عن شركهم وكفرهم فان قيل فكيف عبدت الجن مع انهم انما كانوا يعبدون الاصنام فالجواب انهم ما عبدوها الا عن طاعة الجن وأمرهم بذلك كقوله ان يدعون من دونه الا انانا وان يدعون الا شيطانا مريد العنة الله وقال لا تتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولا ظننهم ولا نبينهم ولا امرنهم فليكن اذان الانعام ولا امرنهم فليغيبن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يذهبهم ويعنيهم وما يذهبهم الشيطان الا غرورا وكقوله تعالى افتقدونه وذريته اولياء من دونه الآية وقال ابراهيم لا يمايأ بت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرجن عصيا وكقوله ألم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني ههنا صراط مستقيم وتقول الملائكة يوم القيامة

كل شيء مجموع بعضه الى بعض في بطن الارض كان أو على ظهرها انتهى ومنه ناقة كذا أي مكتنزة العجم يقال كنزت المال كنزاً من باب ضرب جمعته وادخرته وكنزت الترفي وعائه كنزاً أيضاً وههنا من الكنز قال ابن السكيت لم يسمع الا بالفتح وحكي الازهرى الفتح والكسر والكنز المال المدفون معروف تسمية بالصدر والجع كنوزوا كنزوا الشيء اكسازوا اجتمع وامتلأ ومال بكنوز أي مجموع واختلف أهل العلم في المال الذي أدبت زكاته هل يسمى كنزاً أم لا فقال قوم هو كنز وقال آخرون ليس بكنز ومن القائلين بالاول أبو ذر وقيد بما فضل عن الحاجة وبالثاني عن ابن الخطاب وابن عمرو وابن عباس وجابر وأبو هريرة وعمر بن عبد العزيز وغيرهم وهو الحق لمسيماً في من الادلة المصرحة بأن ما أدبت زكاته فليس بكنز أخرج أحمد في الزهد البخاري وابن ماجه وابن مردويه والبيهقي في سننه عن ابن عمر قال انما كان هذا قبل ان تنزل الزكاة فلما نزلت الزكاة جعلها الله طهرة للأموال ثم قال ما أبالي لو كان عندي مثل أحد ذهباً أعلم عدده وأزكيه وأعمل فيه بطاعة الله وعن أم سلمة مرفوعاً نحوه ولقد كان كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وطهجة يقتنون الأموال ويتصرفون فيها وما عابهم أحد من عرض عن القسمة لان الاعراض اختيار للأفضل والاختصاص بما حلالهم صاحبهم وعن ابن عباس لما نزلت هذه الآية انطلق عمر وابنه ثوبان فأبى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا بني الله انه قد كبر على أصحابك هذه الآية فقال ان الله لم يفرض الزكاة الا ليطيب بها ما بقي من أموالكم وانما فرض الموارث من أموال تبقى بعدكم الحديث مختصر أخرجه أبو داود والحاكم وصححه والبيهقي وابن أبي شيبة وأبو يعلى وغيرهم وعن علي قال أربعة آلاف ومادونهم اتفاقية وما فوقها كنز وعن أبي أمامة قال حلبة السيف من الكنوز ما أحدثكم الامام عت وعمران بن مالك وعمر ابن عبد العزيز قالوا نعم الآية الاخرى خلدن أموالهم صدقة الآية وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى زكاته الا جعل له يوم القيامة صفايح ثم أحجى عليها نار جهنم ثم تنكوى بها جنباه وجهه وظهوره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله ما إلى الجنة وما إلى النار (ولا ينفعون في سبيل الله) اختلف في وجه افراد النصير مع كون المذكور قبله شيئين هما الذهب والفضة فقال ابن الانباري انه قصد الى

سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ولهذا قال تعالى وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم أي وقد خلقهم فهو الخالق وحده فكيف يعبد معه غيره كقول ابراهيم لا تعبدون ما تكتنون والله خلقكم وما تكلمون ومعنى الآية انه سبحانه وتعالى هو المستقل بالخلق وحده فلماذا يجب أن يرد بالعبادة وحده لا شريك له وقوله تعالى وخرقوا له شين وبنات بغير علم بنبيه تعالى على ضلال من ضل في وصفه بربان له ولدا كما قاله من قاله من اليهود في عزيز ومن قال من النصارى في عيسى ومن قال من مشركي العرب في الملائكة انها شئت الله تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ومعنى وخرقوا أي اختلقوا أو انتفكوا أو عجزوا

وكذبوا كما قاله علماء السلف قال علي بن أبي طحمة عن ابن عباس وخرقوا بيعتي انهم تحرضوا وقال العوفي عنه وخرقوا له بين وبنات
بغير علم قال جعلوا له بنين وبنات وقال مجاهد وخرقوا له بنين وبنات قال كذبوا وكذا قال الحسن وقال الصالح وضعوا وقال
السدي فظنوا قال ابن جرير وتأويله اذ جعلوا الله الجن شركا في عبادتهم اياهم وخرقوا المتفردين خلقهم بغير شرك ولا معين ولا ظهير
وخرقوا له بنين وبنات بغير علم بحقيقة ما يقولون ولكن جهلا بالله وبغضلة فانه لا ينبغي لمن كان الها أن يكون له بنون وبنات
ولا صاحبة ولا أن يشرك له خلقه شرك (١٠٣) ولهذا قال سبحانه وتعالى عما يصفون أي قدس وتزهوا عما يصفه هؤلاء

المتأولون من الاولاد والانداد والنظر
الاعم الاغلب وهو الفضة قال ومثله قوله تعالى استعصوا بالصبر والصلوة انهم الكبرياء
الكثيرة الى الصلاة لانها اعم ومثله قوله تعالى واذا راي تجارة اولوها ونفسوا اليها اعد
الضهير الى التجارة لانها اعم وقيل ان الضهير راجع الى الذهب والفضة معطوفة عليه
والعرب تؤثت الذهب وتذكره وقيل الضهير راجع الى الصكنوز المخلول عليه بقوله
يكثرون لانه اعم من التقديرين وغيرهما وقيل الى الاموال وقيل الى الزكاة وقيل انه
اكثف بضمير أحد شعاع ضمير الاستمرع فهم المعنى وهو كثير في كلام العرب وقيل ان
افراد الضهير باب الذهاب الى المعنى دون اللفظ لان كل واحد من الذهب والفضة جلة
وافية وعدة كثيرة ودنانير ودراهم فهو كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وانما
خص الذهب والفضة بالذكر دون سائر الاموال لكونها اثمان الاشياء وغالب ما يكثر
وان كان غيرهما له حكمهما في تحريم الكثرة (فبشرهم بعباد آيهم) هذان باب التمسك
بهم كما في قوله * تحية بينهم ضرب وجيع * وقيل ان البشارة هي الخبر الذي يتغيره لون
البشرة لتأثيره في القلب سواء كان من الفرح أو من الغم وعسى أي ذر قال انتهيت الى النبي
صلى الله عليه وآله وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رأى قال هم الاخسرون ورب
الكعبة قال فقلت يا رسول الله فداك أي شيء من هم قال هم الاكثرون أموالا الامن قال
هكذا وهكذا وهكذا ان بين يديه من خطه وعن يمينه وعن شماله وقيل لمهم الحديث
مختصر آخر جهه مسلم وفرقه البخاري في موضعه (يوم يحصى عليها نار جهنم فتسكروا بها
جباههم وخشوعهم وظهورهم) أي ان النار قد قد عليها وحى ذات حى وحر شديد ولو قال
يوم تحصى أي الكثرة لم يعط هذا المعنى لجمال الاجزاء للار بالغة ويحصى يجوز أن يكون
من حيث وأجبت ثلاثا ورابعيا يقال جبت الحديد وأجبت أي وأقدت عليها التحصى
والقدير يوم تحصى النار عليها وخص الجباه والجنوب والظهر لان التلم بكم أشد دلما
في داخلها من الاعضاء الشريفة وقيل ليكون الكي في الجهات الاربع من قدام
وخلف وعن يمين ويسار وقيل لان الجبال في الوجه والقوى في الظهر والجنين والانسان
انما يطلب المال للجمال والقوة وقيل غير ذلك مما لا يخفى عن تكاف (هذانما كنتم
لأنفسكم) أي كنتم وتنفقوا به فهذا انفعوه وقال لهم ذلك على طريق التمسك
والتوحي (فذوقوا ما كنتم تكذبون) أي ذوقوا وبال وسوء عاقبته وقبح معيبيه وشؤم فائدته

والشركاء (بديع السموات والارض
ان يكون له ولد ولم تكن له صاحبة
وخلق كل شيء وهو كل شيء عليم) بديع
السموات والارض أي مبدعها
وخالقهما على غير مثال سبق كما قال
مجاهد والسدي ومنه سميت البدعة
بدعة لانه لا نظير لها في اسلاف أي
يكون له ولد أي كيف يكون له ولد
ولم تكن له صاحبة أي والولد فما
يكون متولدا بين شيئين متساويين
والله تعالى لا يناسبه ولا يشابهه
شيء من خلقه لانه خالق كل شيء فلا
صاحبة له ولا ولد كما قال تعالى وقالوا
اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا
الى قوله ولكلهم آية يوم القيامة فردا
وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم
فدين تعالى الله الذي خلق كل شيء وأنه
بكل شيء عليم فكيف يكون له صاحبة
من خلقه تناسبه وهو الذي لا نظير له
ولا ولده تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا
(ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل
شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل
لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار
وهو اللطيف الخبير) يقول تعالى
ذلكم الله ربكم الذي خلق كل شيء

ولا ولده ولا صاحبة لاله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه أي فاعبدوه وحده لا شريك له وأقرؤا له بالوحدانية والله لا اله الا هو لان
وانه لا ولده ولا ولدا لصاحبه له ولا نظير ولا عديل ووحيد وهو على كل شيء وكيل أي حفيظ وراقب يدبر كل ما سواه ويرزقهم
ويكلاهم الليل والنهار وقوله لا تدركه الابصار فيه اقوال لا تنفع من السلب أحدها لا تدركه في الدنيا وان كانت تراه في الآخرة
كما توارثه الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير ما روي ثابت في الصحاح والاسانيد والسنن كما قال مسروق
عن عائشة أنها قالت من زعم أن محمدا أبصر ربه فقد كذب فان الله تعالى قال لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار ورواه ابن أبي حاتم

من حديث أبي بكر بن عياش عن عاصم بن أي الجلود عن أبي الضحى عن مسروق ورواه غير واحد ثبت في الصحيح وغيره عن عائشة من غر وجه وخالفها ابن عباس فعنه في إطلاق الرؤية وعنه أنه رآه بقوادس من بين والمسئلة تذكر في أول سورة النجم إن شاء الله وقال ابن أبي حاتم ذكر محمد بن مسلم حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا يحيى بن معين قال سمعت اسمعيل بن علي يقول في قول الله تعالى لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار قال الهادي الديلمي قال وذكر رأي عن هشام بن عبيد الله قال فخذ ذلك وقال آخرون لا تدركه الأبصار أي جميعها وهذا المخصص عاينته من رؤية المؤمنين في الآخرة (١٠٣) وقال آخرون من المعتزلة بمقتضى

الرؤية ونقي الإدراك فان الادراك اخص من الرؤية ولا يلزم من نقي الاخص استفاء الاعم ثم اختلف هؤلاء في الادراك المتني ما هو
فقبل معرفة الحقيقة فان هذا لا يعلمه الا هو وان رآه المؤمنون كما من رأى القمر فانه لا يدرك حقيقة كنهه وماهية فاعظم
أولى بذلك وله المثل الأعلى قال ابن علي في الآية هذا في الدينار واه ابن أبي حاتم وقال آخرون الادراك أخص من الرؤية وهو
الاحاطة قالوا لا يلزم من عدم الاحاطة عدم الرؤية كما لا يلزم من عدم احاطة العلم عدم العلم قال تعالى ولا يحيطون به علما وفي صحيح
مسلم لا أخصي شاة عليكم أنت كما أنيت علي نفسك ولا يلزم منه عدم التماسك كذلك هذا قال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى

لا تدركه الابصار وهو يدركه الابصار قال لا يحيط بصغر أحدينا لك وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا شعيب بن خالد
 العباد حدثنا ساسا عن مبال عن عكرمة أنه قيل له لا تدركه الابصار قال ألت ترى السماء قال بلى قال فكيف تراه
 قال سمعته من أبي عسر روية عن قتادة في الآية لا تدركه الابصار وهو يدركه الابصار هو أعظم من أن تدركه الابصار وقال ابن
 جرير حدثنا سعيد بن عبد الله بن عبد الحكم حدثنا خالد بن عبد الرحمن حدثنا أبو عرقعة عن عطية العوفي في قوله تعالى وجوه
 يومئذ ناضرة للذين هم لا يطغون (١٠٤) الى الله لا يحيط ابصارهم به من عظمتهم وبصرهم محيط بهم فذلك قوله لا تدركه

الابصار وهو يدركه الابصار وورد
 في تفسير هذه الآية حديث رواه
 ابن أبي حاتم ههنا فقال حدثنا أبو
 زرعة حدثنا مكي بن مكرم
 السهمي حدثنا بشر بن عمار عن
 أبي روق عن عطية العوفي عن أبي
 سعيد الخدري عن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم في قوله لا تدركه الابصار
 وهو يدركه الابصار قال لو أن الانس
 والجن والشياطين والملائكة منذ
 خلقوا الى أن فتوا صفا وصالوا
 ما أحاطوا بالله أبدا غريب لا يعرف
 الا من هذا الوجه ولم يروه أحد من
 أصحاب الكتب الستة والله أعلم
 وقال آخرون في الآية بما رواه
 الترمذي في جامعه وابن أبي عاصم في
 كتاب السنن وابن أبي حاتم في
 تفسيره وابن مردويه أيضا والحاكم
 في مستدركه من حديث الحكم بن
 أبان قال سمعت عكرمة يقول سمعت
 ابن عباس يقول رأى محمد بن عبد الله
 ونحوه في قوله لا تدركه الابصار
 وهو يدركه الابصار الآية
 فقال لا لا لم لا ذلك نوره الذي هو
 نوره اذا تجلى بنوره لا يدركه شيء وفي
 رواية لا يقول له شيء قال الحاكم

فقتل أولها الحرم وآخرها ذو الحجة فبقي شهر رعام وقل أولها رجب فبقي من عامين وقل
 أولها ذو القعدة وهو الصحيح لمواليها قاله النوري وأورد عليه ابن المنبر في تفسيره ما هنا
 يمتد على أن أول السنة الحرم وهو حدث في زمن عمر رضي الله تعالى عنه وكان يورخ
 قبله رعام القيل ثم أرخ في صدر الاسلام ربيع الأول فتأمل وقال الضحاك انما سمع
 حرما ثلاثا يكون فيهن حرب قلت وكانت العرب في الجاهلية تعظمها وتحرم فيها القتال
 حتى ان أحدهم لو قتل أباه وأباه وأخيه في هذه الاربعة الأشهر لم يجر به ولما جاء
 الاسلام لم يزد بها الا حرمة وتعظفها لان الحسنات والطاعات فيها تنصاعف والسيئات فيها
 أشد من غيرها فلا تنهك حرمة هذه الأشهر الحرم (ذلك الدين القيم) أي كون هذه الشهر و
 كذلك ومنها أربعة حرم هو الدين المستقيم دين ابراهيم واسماعيل وكانت العرب قد
 عسكت به ورأته منهنما وقل الحساب الصحيح والعدد المستوفى وقل الدين القيم هو
 الحكم الذي لا يغير ولا يبدل ولا يزول (فلا تظلموا فيه) أي في هذه الأشهر الحرم
 (أنفسكم) بايقاع المعاصي فانها فيها أعظم وزرا وبايقاع القتال فيها والهتك لحرمها
 وبه قال أكثر المفسرين وقل ان الضمير يرجع الى الشهر وكلها الحرم وغيرها وان الله
 نهى عن الظلم فيها والاول أولى وقد ذهب جماعة من أهل العلم الى أن تحريم القتال في
 الأشهر الحرم ثابت بحكم لم ينسخ لهذه الآية وقوله يأبى الذين آمنوا إلا تحلوا شعار الله
 لا الشهر الحرام وقوله فاذا انسح الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين الآية وذهب جماعة
 آخرون الى أن تحريم القتال في الأشهر الحرم منسوخ بآية السيف ويجب عنه بأن
 الامر يقتل المشركين ومقاتلتهم بمقتضى ما نزل في الأشهر الحرم كافي الآية المذكورة
 فتكون سائر الآيات المتضمنة للامر بالقتال مقسدة بما ورد في تحريم القتال في الأشهر
 الحرم كما هي مقسدة بتحريم القتال في الحرم الدالة الواردة في تحريم القتال فيه وأما
 استدلاله من انه صلى الله عليه وآله وسلم حاصر أهل الطائف في شهر رعام وهو ذو القعدة
 كما ثبت في الصحيحين وغيره ما فقد أجيب عنه بأنه لم يبتدئ محاصرتهم في ذي القعدة بل
 في شوال والحرم انما هو ابتداء القتال في الأشهر الحرم لانقضاءه وبهذا يحصل الجمع
 (وقاتلوا المشركين كافة) أي جميعا في كل الشهر ولان عموم الاشخاص يستلزم عموم
 الاحول والازمنة والبقاع وهو مصدق في موضع الحال من ضمير القاتل في قاتلوا ومن

الابصار وهو يدركه الابصار وورد
 في تفسير هذه الآية حديث رواه
 ابن أبي حاتم ههنا فقال حدثنا أبو
 زرعة حدثنا مكي بن مكرم
 السهمي حدثنا بشر بن عمار عن
 أبي روق عن عطية العوفي عن أبي
 سعيد الخدري عن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم في قوله لا تدركه الابصار
 وهو يدركه الابصار قال لو أن الانس
 والجن والشياطين والملائكة منذ
 خلقوا الى أن فتوا صفا وصالوا
 ما أحاطوا بالله أبدا غريب لا يعرف
 الا من هذا الوجه ولم يروه أحد من
 أصحاب الكتب الستة والله أعلم
 وقال آخرون في الآية بما رواه
 الترمذي في جامعه وابن أبي عاصم في
 كتاب السنن وابن أبي حاتم في
 تفسيره وابن مردويه أيضا والحاكم
 في مستدركه من حديث الحكم بن
 أبان قال سمعت عكرمة يقول سمعت
 ابن عباس يقول رأى محمد بن عبد الله
 ونحوه في قوله لا تدركه الابصار
 وهو يدركه الابصار الآية
 فقال لا لا لم لا ذلك نوره الذي هو
 نوره اذا تجلى بنوره لا يدركه شيء وفي
 رواية لا يقول له شيء قال الحاكم

صحيح على شرط الشيخين ولم ينجاه وفي معنى هذا الأمر ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري
 رضي الله عنه من فوجا ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يحق القسط ويرفعه ويرفع الميعاد النهار قبل الليل وعمل الليل قبل
 النهار بخلاف النور والنار لو كشفت لآخرت سمحات وجهه ما انتهى اليه بصر من خلقه وفي الكتب المتقدمة ان الله تعالى قال
 لموسى لماسأل الروية يا موسى انه لا يراني حي الامات ولا يابس الاتدهده أي تدعثر وقال تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا
 وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين يتي هذا الادراك الخاص لا يتي الروية يوم القيامة يعلى

لعباده المؤمنين كما يشاء فاما جلاله وعظمته على ما هو عليه تعالى وقدس وبت

رضي الله عنها ثبت الرأى في الدار الآخرة وتشفيها في الدنيا وتجتمع هذه الآيات لا تدرك

هذا كتاب المومنين عائشة

الابصار فالذي ينقذ الادراك

الذي هو بمعنى رؤية العظمة والجلال على ما هو عليه فان ذلك غير ممكن للشعر ولا للملائكة ولا لشيء وقوله وهو يدرك الابصار أى يحيط بها ويعلمها على ما هي عليه لانه خلقها كما قال تعالى الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير وقد يكون غير بالابصار عن المصرين كما قال في قوله لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار لانه شئ (١٠٥) وهو يرى الخلائق وقال أبو العالوية في قوله

تعالى وهو اللطيف الخبير قال

اللطيف لاستخراجه الخبير مكانها

والله أعلم وهذا كما قال تعالى اخبارا

عن لقمان فيما وعظ به ابنه يا بني انما

انك مثقال حبة من خردل فتكن

في صخرة أو في السموات أو في الارض

يا بني الله ان الله لطيف خبير

قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر

فلنفسه ومن عمى فعليه وما أنا

عليكم بحفيظ وكذلك تنصرف

الآيات وليقولوا درست ولننسيه

لقوم يعلمون البصائر هي البينات

والحجج التي اشعل عليها القرآن وما جاء

به الرسول صلى الله عليه وسلم فمن أبصر

فلنفسه كقوله فمن اهتدى فانما يهتدى

نفسه ومن ضل فانما يضل عليها

ولهذا قال ومن عمى فعليه أى انما

يعودوا عليه كقوله فانما

لاتعمى الابصار ولكن نعمى

القلوب التي في الصدور وما أنا

عليكم بحفيظ أى بحافظ ولا رقيب

بل انما أنا مبسغ والله يهدي من يشاء

ويضل من يشاء وقوله وكذلك

تنصرف الآيات أى وكما فصلنا

الآيات في هذه السورة من بيان

التوحيد والله لا اله الا هو هكذا

المفعول وهو المشركون قال الزجاج مثل هذا من المصادر كعامة وخاصة لا يفتى ولا يجمع ولا يتدخله ولا يتصرف فيه بغير الحال (كما بقائنا لكم كافة) فيه دليل على وجوب قتال المشركون وانه فرض على الاعيان ان لم يقم به البعض (واعلموا ان الله مع المتقين) أى نصرهم وبيتهم ومن كان الله معه فهو الغالب قوله العاقبة (انما النسي) قال الجوهري النسي فاعيل بمعنى مفعول من قولك نسأت الشيء فهو منسوء اذا اخرته ثم تحول منسوء الى نسي فاعيل بمعنى مفعول من قولك نسأت الشيء فهو منسوء اذا اخرته ثم فاعيل من أنسأ أى أخر كالذي من أنذرنا التكبر من أنكر وهذا ظاهر قول الرخشى لانه يحتاج الى تقدير بخلاف ما اذا كان مفعلة فانه لا يخبر عنه بزيادة الا بتأويل أى ذوزيادة أو أنسأ النسي بزيادة قال ابن جرير في النسي بالهمزة بمعنى الزيادة يقال نسأ نسيا اذا زاد ولا يكون بترك الهمزة الا من السيان كما قال تعالى نسوا الله فنسيهم وقرأ الجمهور النسي بضمزة بعد السين وغيرهم بادغام الياء وقرأ النسي بفتح السين والنسوة بضمزة فعل وهو التأخير وفعلون في المصادر قيل والنسبة كالفعلية التأخير وكذا النسب بالفتح والمدا التأخير والنسي في الآية فاعيل بمعنى مفعول كما تقدم وكانت العرب تحرم القتال في الشهر الحرام المذكور فاذا اجتاجوا الى القتال فيها فأتوا فيها وجرموا فيها فاذا أتوا في الحرم حرموا به شهر صفر وهكذا في غيره وكان الذي يحملهم على هذا ان كثير منهم انما كانوا يعيشون باعارة بعضهم على البعض ونهب ما يكتسبونه من أموال من يغيرون عليه ويقع بينهم بسبب ذلك القتال وكانت الاشهر الثلاثة المشروعة يضربهم فيها وتشتد حاجتهم وتعظم فاقهم فحاول بعضهم ويحرمون مكانه بقدره من غير الاشهر الحرم فهذا هو معنى النسي الذي كانوا يفعلونه وقد وقع الخلاف في أول من فعل ذلك فقتل هو رجل من بني كنانة يقال له حذيفة بن عباد ولبق القلمس وقيل هو عمرو بن لحي وقيل هو نعيم بن ثعلبة من بني كنانة (زيادة في الكفر) أى نوع من أنواع كفرهم ومعضمة من معاصيهم المنضمة الى كفرهم بالله ورسوله وكتبه واليوم الآخر وفي الشباب يعني انهم لما توارثوه على انما شريعة ثم استحلوه كان ذلك مما يعبد كفرا (يضل به الذين كفروا) قرئ على النساء للمعلوم والمحلول ومعنى الأولى ان الكفار يضلون بما يفعلون من النسي ومعنى الثانية ان الذين سن لهم ذلك يجعلهم ضالين بهذه السنة

(١٤ - فتح البيان ح) نوضح الآيات ونفسرها ونبينها في كل موطن للجاهلين وليقول المشركون والكافرون المكذبون دارست يا محمد من قبلنا من أهل الكتاب وقارأهم وتعلمت منهم هكذا قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وغيرهم وقال الطبراني حدثنا عبد الله بن أحمد حدثنا أي حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عمر بن كيسان قال سمعت ابن عباس يقول دارست تلويت خاصمت حادث وهذا كقوله تعالى اخبارا عن كثيرهم وعنادهم وقال الذين كفروا ان هذا الاكله افتراه وأعاناه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظل الزور وقالوا أساطير الاولين اكتبها الآية وقال تعالى اخبارا عن زعيمهم وكذبهم

أله فكر وقد فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثران هذا الأقول
البشر وقوله ولئن بيناه لَنؤمنن ولم يؤمنن لهؤلاء كقوله تعالى يضل به كثيرا ويهديه كثيرا الآية وكقوله ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في
أضلال أولئك ويان الحق لهؤلاء كقوله تعالى يضل به كثيرا ويهديه كثيرا الآية وكقوله ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في
قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الله هادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم وقال تعالى وما جعلنا لأصحاب النار إلا ملائكة
وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا (١٠٦) ليستبين الذين أوتوا الكتاب ويرداد الذين آمنوا إيماناً ولا يترتاب الذين أوتوا الكتاب

والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم
مرض والكافرون ماذا أراد الله
بهذا أمثلاً كذلك يضل الله من يشاء
ويمهدي من يشاء وما يعلم خلود
ربك إلا هو وقال وتزلزل من القرآن
ما هو شعاع ورجة للمؤمنين ولا يريد
الظالمين إلا الضلال وقال تعالى قل
هو للذين آمنوا هدى وشفاعة والذين
لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو
عليهم عمي أولئك ينادون من مكان
بعيد إلى غير ذلك من الآيات الدالة
على أنه تعالى أنزل القرآن هدى
للمتقين وأنه يضل به من يشاء ويهدي
به من يشاء ولهذا قال ههنا كذلك
فصرف الآيات وليقولوا دارست
ولئن بيناه لَنؤمنن ولم يؤمنن لهؤلاء
دارست قال التميمي عن ابن
عباس دارست أي قرأت وتعلمت
وكذا قال مجاهد والسدي والضحاك
وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير
واحد وقال عبد الرزاق عن معمر
قال الحسن وليقولوا دارست يقول
تقدمت وانحمت وقال عبد الرزاق
أيضاً أئبنا ابن عيينة عن عمرو بن
ديثار سمعت الزبير يقول إن صبيانا
يقرون ههنا دارست وانحمت
دارست وقال شعبة حدثنا أبو اسحق

الهمداني قال هي قرأت ابن مسعود دارست يعني بغزاة فنبأ الزاهد وقف على التاء قال ابن
جرير ومعناه انحمت وتقادت أي هذا الذي تكلوا علينا قد تم تناقذنا وناقذنا قلت مدته وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة أنه قرأها
دارست أي قرأت وتعلمت وقال معمر عن قتادة دارست قرأت وفي حرف ابن مسعود درس وقال أبو عبيد القاسم بن سلام حدثنا
ججاج عن هرون قال هي في حرف أبي بن كعب وإن مسعوداً يقولوا درس قال يعقوب النخعي قال الله عليه وسلم أنه قرأها وهذاه
وقدرى عن أبي بن كعب خلاف هذا قال أبو بكر بن مزروعيه حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا الحسن بن علي بن فضال حدثنا أبو سلمة

الاستخارة

حدثنا أحمد بن أبي نيرة (١) المكي حدثنا وهب بن زعبة عن أبيه عن حميد بن الأعرج عن عمار بن محمد عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال
أقرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحقوا لودست ورواه الحارث بن مسعود عن حميد بن زعبة عن أبي بن كعب قال
ونصب الناس ثم قال صحيح الأسناد ولم يخرجاه (أصبح ما أوحى إليك من ربك لا اله الا هو وأعرض عن المشركين ولو شاء الله ما أشركوا
وما جعلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم وكيل) يقول تعالى آخر الرسول صلى الله عليه وسلم ولما اتبعه أتبعه ما أوحى إليك من
ربك أي اقتدبه واقتف أثره واعل به فان ما أوحى إليك من ربك هو الحق (١٠٧) الذي لا هزيمة فيه لا اله الا هو وأعرض عن

الآخر (أي محسوباً في جنبه) وفي مقابلته في هذه تسمى قياسية (الاقليل) أي الامتاع
حقه لا يعاينها لان لذات الدنيا خبيثة في نفسها ومشوبة بالآفات والبلبات ومقطعة
عن قرب الاحالة ومنافع الآخرة شريفة عالية خالصة عن الآفات دائمة أبدية سرمدية
وذلك يوجب القطع بأن منافع الدنيا في جنب منافع الآخرة قليل ويجوز أن يراد بالقليل
العدم اذ لا نسبة للمتناهي الزائل الى غير المتناهي الباقي والظاهر أن هذا التناقل لم يصدر
من الكل اذ من البعيد أن يطبقوا جميعا على التباطؤ والتناقل وانما هو من باب نسبة
ما يقع من البعض الى الكل وهو كثير شائع وفي الآية دليل على وجوب الجهاد في كل
حال وفي كل وقت لان الله سبحانه نص على ان تقاتلهم عن الجهاد أمر منكر فلو لم يكن
منكرا لمبايعاتهم على ذلك ويؤيد هذا قوله (ان لا تنفروا بعد بكم عذابا أبليا) أي
بهلككم بعد آيات شديدة مؤلمة قيل في التفسير انما حثوا على الجهاد في كل وقت
ذلك لان العذاب لا يليم لا يكون الا في الآخرة قال الحسن وعصمة كرمه هذه الآية
منسوخة بقوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال الجمهور هذه الآية
محكمة لانها خطاب لقوم استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم ينفروا كما نقل
عن ابن عباس وعلى هذا التقدير فلا نسخ وفي الآية تهديد شديد وعيد مؤكد لمن ترك
النفر مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ويستبدل قومًا غيركم) أي يجعل لرسوله لا
منكم من لا يطيعوا عند حاجتهم اليهم ويكون خيرا منكم وأطوع واختلف في هؤلاء
القوم من هم قليل أهل النعم وقيل أهل فارس قاله سعيد بن جبير ولا وجه للتعين
بدون دليل (ولا تضروه) أي الله يترك أمثال أمره بالنفیر (شيأ) لانه غنى عن العالمين
أو لا تضروا رسول الله بترك نصره والنفير مع شيء فان الله ناصر على أعدائه ولا يتخذ له
أبدا نفيرا وما نألفتم (والله على كل شيء قدير) ومن جملة مقدوراته تعذيبكم والاستبدال
بكم (ان لا تنصروه فقد نصره الله) أي ان تركتم نصره فالله متكفل به أعنوه أو لا فقد
نصره في موطن الله وأظهره على أعدائه بالغلبة والقهر وأفسد نصره من نصره حين لم
يكن معه الا رجل واحد (اذ أخرجه الذين كفروا) أي وقت اخر اخرجهم اياه حال كونه
(ثاني اثنين) وقرئ بسكون الياء على لغة من يجري الناقص مجرى المقصور في الاعراب
أي أحد اثنين وهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبو بكر الصديق رضي الله عنه من

المشركين أي أعف عنهم وأصفح
واحتفل أذا هم حتى يفتح الله لك
وينصرف ويظفرك عليهم وأعلم
ان الله حكيم في أمسلاهم فانه
لو شاء لهدى الناس جميعا ولو شاء الله
ما أشركوا أي بله المشيئة والحكمة
فيما يشاءه ويختاره لا يسأل عما
يفعل وهم يسألون وقوله تعالى
وما جعلناك عليهم حفيظا أي حافظا
تحفظ أقوالهم وأعمالهم وما أنت
عليهم وكيل أي موكل على أركانهم
وأمرهم ان عليك الابلاغ كما قال
تعالى فذكر انما أنت مذكر لست
عليهم مصيطر وقال انما عليك البلاغ
وعلى الحساب (ولا تسبوا الذين
يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا
بغير علم كذلك يسأل كل أمه لعلمهم ثم
الخر بهم مرجعهم فيقيم بها كانوا
يعملون) يقول تعالى ناهي الرسول
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عن
سب آلهة المشركين وان كان
فيه مصلحة الآية لا ترتب عليه
مفسدة أعظم منها وهي مقابلة
المشركين بسب آلهة المؤمنين وهو
الله لا اله الا هو قال علي بن أبي طلحة
عن ابن عباس في الآية قالوا يا محمد

لنتهم عن سب آلهتنا ولننجون ربك فنهأهم الله ان يسبوا آلهتهم فيسبوا الله عدوا بغير علم وقال عبد الرزاق عن معمر عن
قتادة كان المسلمون يسبون أصنام الكفار فيسبوا الكفار الله عدوا بغير علم فأنزل الله ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله
وروي ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي أنه قال في تفسير هذه الآية لما حضر أطالب الموت قالت قريش انظروا قال فدخل
على هذا الرجل فأنامه أن ينسب عنا ابن أخيه فأنسجني أن تقتله بعد موته فنقول العرب كان يمنعهم فلما مات قتالوه فأنطلق
أبوسفيان وأبو جهل والنضر بن الحارث وأمية وأبي بن خلف وعقبه بن أبي معيط وعمرو بن العاص والاسود بن البختري وبعثوا

[illegible]

أَمْسَأَلَهَا قَالَتْ فَسَأَلْنِي قَالَ قَوْلُوا لِلَّهِ
الْإِلَهَ قَالُوا وَاسْتَأْذَنُوا قَالُوا بِطَالِبِ
يَا ابْنَ أَخِي قُلْ غَيْرَهَا فَإِنْ قَوْمَكَ قَدْ
فَزَعُوا عَنْهَا قَالُوا يَاعِمْ مَا أَبَا الْبَنِي
يَقُولُ غَيْرَهَا حَتَّى يَأْتُوا بِالْمُسْ
فَضَعُوها فِي يَدِي وَلَوْ أَبَا الْبَنِي
فَوَضَعُوها فِي يَدِي مَا قَلَّتْ غَيْرَهَا
أَرَادَةُ أَنْ يُولِيَهُمْ فَعَضِبُوا وَقَالُوا
لَتَكْفَنَ عَنْ شَرِّ آلِهَتِنَا وَلَنَشْتَمَكَ
وَنَشْتَمَنَّ مِنْ يَأْمُرِكَ فَذَلِكَ قَوْلُهُ
فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَمِنْ هَذَا
الْقَبِيلِ وَهُوَ تَرْكُ الْمَلِجَةِ الْمَقْصُودَةِ
أَرْجَحُ مِنْهَا مَا جَاءَ فِي الْحَجِيجِ أَنَّ رَسُولَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَلْعَنُونَ
مَنْ سَبَّ وَالِدَيْهِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ
وَكَيْفَ يَسْبُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ قَالَ
يَسْبُ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسْبُ أَبَاهُ وَيَسْبُ
أُمَّهُ فَيَسْبُ أُمَّهُ أَوْ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
وَقَوْلُهُ كَذَلِكَ زَيْنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ
أَيُّ وَكَانَ زَيْنَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ حُبُّ
أَصْنَانِهِمْ وَالْحَمَامَةُ لَهَا وَالْإِتِّصَارُ
كَذَلِكَ زَيْنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ أَيْ مِنَ الْأُمَمِ
الْخَالِيَةِ عَلَى الضَّلَالِ عَمَلُهُمْ الَّذِي
كَانَ زَيْنَا فِيهِ وَلِلَّهِ الْمَلِجَةُ الْمَالِغَةُ
وَالْحِكْمَةُ التَّامَّةُ فَيَمَّا يَنْشَأُ

غير اعتبار كونه صلى الله عليه وآله وسلم ثانياً فإن معنى قولهم ثالث ثلاثة ورابع أربعة
وتحوي ذلك أحده هذه الأعداد مطلقاً الثالث والرابع خاصة ولذلك منع الجمهور أن
ينصب ما بعده بأن يقال ثالث ثلاثة ورابع أربعة (أذهباً في الغار) هو ثقب عظيم في
الجبل المسمى نورا وهو المشهور بغار نور وهو جبل قريب من مكة وبينهما مسيرة سبعة
ويجمع على غيران والغار أيضاً ثقب وطيب والجماعة والغاران البطن والفرج وألف الغار
منقلبة عن واو وقصة خروجه صلى الله عليه وآله وسلم من مكة إلى المدينة هو وأبو بكر
ودخولهما الغار ومكثهما فيه ثلاثاً ثم سمعوا رعد كور في كعب السيرة والحدث وساق
حديث الهجرة من أفراد الجارى وهو طويل جداً (أذيقون لصاحبه) أى وقت قوله لا بى
بكر (لا تحزن) أى دع الحزن (إن الله) بنصره وعونه وتأيدته وعصمته وحفظه ولائته
ومعونه وتأييده (معنا) والمراد بالجمعة العيبة الداعة التى لا يحوم حول صاحبها شاة
شئ من الحزن وما هو المشهور من اختصاص مع بالبتوع فالمراد بما فيه من التسوية
هو التسوية فى الأمر المباشر قاله أبو السعود وقال الخفافى إنها جمعة مخصوصة والا
فهو مع كل أحد اه والمعنى من كان الله معاً فإن يغلب ومن لا يغلب فيحق له أن لا يحزن
وذلك أن أب بكر خاف من الطلب أن يعلموا بمكانهم فزع عن ذلك وكان خزيه على رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم لا على نفسه وقال إذا مات فابارجل واحد واذا مات أنت
هلكت الأمة والدين أخرج الشيخان عنه رضى الله عنه قال نظرت إلى أقدام المشركين
ونحن فى الغار وهم على رؤسنا فقلت يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا
تحت قدميه فقال يا أب بكر ما ظنك باثنى الله اليك ما زلت تبارك والظلال والسمى فى
اللائل عن أنس والمغيرة بن شعبة فأما هم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه
قال الثورى هو داخل فى قوله سبحانه أن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفيه
بيان عظيم فكل النبى صلى الله عليه وآله وسلم حتى فى هذا المقام وفيه فضيلة لا بى بكر
وهي من أجل مناقبه وقال الشعبي عاتب الله عز وجل أهل الأرض جميعاً فى هذه الآية
غير أبى بكر وقال الحسن بن الفضل من قال إن أب بكر لم يكن صاحب رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم فهو كافر لا تكاره نص القرآن وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم قال لا بى بكر أنت صاحبى على الخوض وصاحبى فى الغار أخرجه الترمذى

وَقَالَ

والحكمة التامة فيما يشاءوه
ويختاره من اربهم من جهم اى معادهم ومصيرهم فينبهم بما كانوا يعملون اى يجازيهم

وَيَخْتَارُ مِمَّنْ أَلْحَدَ بِهِمْ مَرَجِعَهُمْ أَيْ مَعَادِهِمْ وَمَصِيرَهُمْ فَيُنْشِئُهُمْ عِنَّا كَأَوَّلِ عَمَلٍ أَيْ يَجْعَلُهُمْ
يُأْعَمِلُهُمْ إِنْ خَبَرَ الْخَبْرَ وَانْشَرَفَ أَيْ شَرَفَ (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِّمُؤْمِنِيهَا قُلْ إِنَّمَا آيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ
بِأَعْمَالِهِمْ إِنْ خَبَرَ الْخَبْرَ وَانْشَرَفَ أَيْ شَرَفَ) يَقُولُ تَعَالَى أَخْبَارًا
أَنَّهُ إِذَا جَاءَتْ لِأَيُّ مُؤْمِنٍ وَنُقَابٌ أَفْكَدَتْهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ كَالْيَوْمِ نَوَاسِئِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَبَدَرُهُمْ طُعْيَانُهُمْ بِعَمَلِهِمْ يَقُولُ تَعَالَى أَخْبَارًا
عَنِ الْمُشْرِكِينَ أَنَّهُمْ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ أَيْ حَلَقُوا أَيْمَانَهُمْ كَذِبًا لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ أَيْ مَعْجِزَةٌ وَخَارِقٌ لِّمُؤْمِنِيهَا أَيْ لِيَصْدُقَتْهَا
قُلْ إِنَّمَا آيَاتُ عِندَ اللَّهِ أَيْ قُلْ بِإِجْمَاعِهِمْ وَلَا عِندَ الَّذِينَ يَسْأَلُونَكَ الْآيَاتِ لِيُعْتَابُوا كَثْرًا وَعِنْدَ الْإِثْلَاقِ سَبِيلُ الْهُدَى اسْتَزَادُوا إِنَّمَا مَرَجِعُ
قُلْ إِنَّمَا آيَاتُ عِندَ اللَّهِ أَيْ قُلْ بِإِجْمَاعِهِمْ وَلَا عِندَ الَّذِينَ يَسْأَلُونَكَ الْآيَاتِ لِيُعْتَابُوا كَثْرًا وَعِنْدَ الْإِثْلَاقِ سَبِيلُ الْهُدَى اسْتَزَادُوا إِنَّمَا مَرَجِعُ

قول

هذه الآيات إلى الله أن شاهجه كمها وان شاعتر ككم قال ابن جرير حدثنا هاشم (١) حدثنا يونس بن بكير حدثنا
عن محمد بن كعب القرظي قال كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قر يش فقالوا يا محمد تخبرنا ان موسى كان معه عصا يضرب بها
فانفجرت منه اثنتي عشرة عينا وتخبرنا ان عيسى كان يحيى الموت وتخبرنا ان عود كانت لهم ناقة فاستامن الآيات حتى تصدقك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي شيء تعجبون ان آتيكم به قالوا يجعل لنا الصفا ذهب فقال لهم ان فعلت تصدقوني قالوا نعم
والله لئن فعلت لتبغضنا فجعين فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو (١٠٩) فجاء جبريل عليه السلام فقال له ما شئت

ان شئت أصبح الصفا ذهباً وإن أرسل
آية فلم تصدقوا عند ذلك ليعذبهم
وان شئت فأتهم حتى يتوب تأتهم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بل يتوب تأتهم فأقر الله تعالى
وأقسم بالله جهداً بما هم إلى قوله
تعالى ولكن أكرههم يجادلون وهذا
مرسل وله شواهد من وجوه أخر
وقال الله تعالى وما منعنا أن نرسل
بالآيات إلا أن كذب بها الأولون
الآية وقوله تعالى وما يشعركم أنها
إذا جاءت لا يؤمنون قيل الخطاب
بما يشعركم المشركون وبالله ذهب
مجاهد كأنه يقول لهم وما يدركم
بصدقكم في هذه الأيمان التي
تقسمون بها وعلى هذا فقرأه أنها
إذا جاءت لا يؤمنون بكسر الهمزة على
استثنا الخبر عنهم في الأيمان
عند مجيئ الآيات التي طلبوها وقرأ
بعضهم أنها إذا جاءت لا يؤمنون
بالتاء المشددة من فوق وقيل الخطاب
بقوله وما يشعركم المؤمنون يقول
وما يدركم أيها المؤمنون وعلى
هذا فيجوز في أنها الكسر كالاول
والفتح على أنه معمول يشعركم وعلى
هذا فتكون لا في قوله أنها إذا جاءت

وقال حديث صحيح حسن غريب وعبارة أبي السعد وفيه من الدلالة على علو طبقة
الصدق رضي الله تعالى عنه وسابقة صحبته ما لا يخفى اه وفي الكشف وقالوا من
أنكر صحبة أبي بكر فقد كفر لا نكاره كلام الله وليس ذلك للناس الصحابة وقيل الله ليس
بمنصوص عليه فيها بل المنصوص عليه أن له تأييداً هو صاحبه فيه فأنكار ذلك يكون كفراً
لأنكار صحبته بخصوصه ولذا قال قالوا جعل العهد فيه على غيره وفيه نظر قاله
الخفافى وقد استتب أهل العلم من هذه الآية وجوها كثيرة على فضل أبي بكر الصديق
رضي الله عنه يطول ذكرها (فأنزل الله سكينته) هي تسكين جاشه وتأمنه حتى ذهب
روعهم وحصل له الأمن على أن الضمير في (عليه) لابي بكر وبه قال ابن عباس وأكث
المفسرين وقيل هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويكون المراد بالسكينة النازلة عليه
عصمته عن حصول سبب من أسباب الخوف له ويؤيد كون الضمير في عليه النبي صلى الله
عليه وآله وسلم الضمير في (وأيدته بخنودهم ترها) فإنه لا ي صلى الله عليه وآله وسلم لأنه
المؤيد لهم هذه الخنود التي هي الملائكة في الغار يحرسونه ويسكنون روعه ويصرفون
أبصار الكفار عنه كما كان في يوم بدر وقيل أنه لا يخدور في رجوع الضمير من عليه إلى
أبي بكر ومن وأيدته إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإن ذلك كثير في القرآن وفي كلام
العرب (وجعل كلمة الذين كفروا) أي كلمة الشرك وهي دعوتهم إليه وندائهم للاصنام أو
كل ما يدل على الشرك أو المارد به سقيمة الشرك أي الكثرة مطلقاً سواء أرواها أو قال
للمفسرين (السفلى) الغلوبة إلى يوم القيامة (وكلمة الله هي العليا) في ضمير الفصل
أعنى هي تأكد لفظها كنه في العلو وأما المختصة به دون غيرها والمراد بها كلمة
التوحيد والدعوة إلى الاسلام فهي ظاهرة غالبية باقية إلى يوم القيامة عالية (والله عزيز
حكيم) أي غالب فله لا يفعل إلا ما به حكمة وصاب ثم لما وعد من لم ينفر مع الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم وضرب لهم الأمثال ما ذكره عقبه بالأمر بالجرم فقال (انفروا)
حال كونكم (خفافاً وثقالاً) أي على الصفة التي يحف عليكم الجهاد فيها وعلى الصفة
التي يشل عليكم الجهاد فيها وهذا الوصفان يدخل تحتها أقسام كثيرة فهذا اختلفت
عبارات المفسرين فيهما فقتيل المراد منفردين أو مجتمعين وقيل نشاطاً وغير نشاط وقيل
فقر أو أغنياء وقيل شباباً وشيوخاً وقيل ركباً ومشاة رجالاً وفرساناً وقيل من سبق إلى

لا يؤمنون صلاته كقوله ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك وقوله وحرام على قرية أهل كذا أنهم لا يرجعون أي ما منعك أن تسجد إذ
أمرتك وحرام أنهم يرجعون وتقديره في هذه وما يدرككم أيها المؤمنون الذين تودون لهم ذلك حرصاً على إيمانهم أنها إذا جاءت
الآيات يؤمنون قال بعضهم أنها جمع على علوها قال ابن جرير وكروا أن ذلك كذلك في قراءة أبي بن كعب قال وقد ذكر عن العرب
سماعاً ذهب إلى السوق أنك تشتري شيئاً معني لعلك تشتري قال وقد قيل ان قول عدي بن زيد العبادي من هذا
أعاذل ما يدريك أن منيتي * إلى ساعة في اليوم أو في ضحى الغد وقد اختار هذا القول ابن جرير وذكره شواهد من
(١) قوله حدثنا هاشم في نسخة هناد (٢) وقوله حدثنا أبو جعفر في نسخة أبو معشر وحرر اه معجمه

أشعار العرب والله أعلم وقوله تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لو لم يؤمنوا به أول مرة قال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية لما حشد المشركون ما أنزل الله في الآية لم تثبت قلوبهم على شيء ووردت عن كل أمر وقال مجاهد في قوله ونقلب أفئدتهم وأبصارهم ونحو ليلتهم وبين الأيمان ولوجأتهم كل آية فلا يؤمنوا كما حلفنا بينهم وبين الأيمان أول مرة وكذا قال عكرمة وعند الله بن زيد بن أسلم وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنه آية قال أخبر الله ما العباد فاقول قبل أن يقولوه وعلمهم قبل أن يؤمنوا وقال ولا ينك مثل خير جبل (١١٠) وعلا أن يقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله إلى قوله لو أن

الحرب كالطلائع ومن تأخر كالحيش وقيل أهل الميرة وأهل العسرة وقيل ملقين من السلاح ومستكثرين سنة وقيل مشاغل وغير مشاغل وقيل أنحاء ومرضى وقيل عزابا ومثاهلين وقيل خفافا من الخاشية والاسباع وثقالا مستكثرين منهم وقيل مسرعين في الخروج إلى الغزوة سماع الشفيو وبعد التروى فيه والاسعد مبادل وقيل غير ذلك ولا مانع من حمل الآية على جميع هذه المعاني لأن معنى الآية أنه روي واخفت عليكم الحركة وأثقلت فالأولى أن هذا عام لكل الأحوال فيه ما والامر محمول على الوجوب قال السدي وهذه الآية منسوخة بقوله تعالى ليس على الضعفاء ولا على المرضى وقيل الناسخ لها قوله فلا تفر من كل فرقة منهم طائفة الآية قاله ابن عباس وقيل الامر محمول على الندب وهي محكمة وليست بمنسوخة ويكون اخراج الاعمي والاخرج بقوله ليس على الاعمي حرج ولا على الاعرج حرج واخراج الضعيف والمرضى بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى من باب التخصيص لأن باب النسخ على فرض دخول هؤلاء تحت قوله خفافا وثقالا والظاهر عدم دخولهم تحت العموم ويدل عليه أن هذه الآية نزلت في غزوة تبوك وإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خلف في المدينة في تلك الغزوة النساء وبعض الرجال فذلك دل على أن الجهاد من فروض الكفايات ليس على الأيمان (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله) فيه الأمر بالجهاد بالنفس والأموال وإيجابه على العباد فالفقراء يجاهدون بأنفسهم والأغنياء بأموالهم وأنفسهم والجهاد من أكبر الفرائض وأعظمها وهو فرض كفاية مسهما كان البعض يقوم بجهاد العدو ويدفعه فإن كان لا يقوم بالعدو والاجميع المسلمين في قطر من الأرض أو أقطار وجب عليهم ذلك وجوب عين (ذلكم) أي ما تقدم من الأمر بالنفير والامر بالجهاد (خير لكم) عظيم في نفسه وخير من السكن والدعة (إن كنتم تعلمون) ذلك وتعرفون الأشياء الفاضلة وتميزونها عن المنفولة فافعلوه ونزل في الذين تختلفون عن غزوة تبوك (لو كان المدعو إليه أمتا مدعوهم إليه (عرضا) هو ما يعرض من منافع الدنيا ومتاعها قال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر (قربنا) والمعنى غنيمته له قريبة التناول غير بعيدة (وسرنا فاصدا) أي متوسطا بين القرب والبعد وكل متوسط بين الأقطار والتفرط فهو

لي كفة فأكون من المؤمنين فأخبر الله سبحانه أنهم لو ردوا لم يكونوا على الهدى وقال لو ردوا لعادوا لما نوا عنه وأنهم لكاذبون وقال تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لو لم يؤمنوا به أول مرة قال لو ردوا إلى الدنيا لحيل بينهم وبين الهدى كما حلفنا بينهم وبينه أول مرة وهم في الدنيا وقوله ونذرهم أي نتركهم في طغيانهم قال ابن عباس والسدي في كفرهم وقال أبو العالية والريبع بن أنس وقادة في ضلالهم يعمهون قال الأعشى يلبسون وقال ابن عباس وغيره يستردون (ولو أنزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحذرنا عليهم كل شيء لبلا ما كانوا يؤمنوا الآن بآية الله ولكن أكرههم يصححون) يقول تعالى ولو أنزلنا جينا سؤالا هؤلاء الذين أقسموا بالله جهداً بما نهم لجنتهم آية ليؤمنن بهم اقتربنا عليهم الملائكة فخببرهم برسالة من الله تصديق الرسل كما سألوا فقالوا وتأتى بالله والملائكة قبيلا وقالوا إن تؤمن حتى تؤمن مثل ما أوتى رسول الله وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا وكلمهم الموتى فأخبرهم بصدق ما جاءتهم به الرسل وحشرنا عليهم كل شيء قبلا قرأ بعضهم قبل أن يكسر القاف وفتح الباء من المقابلة والمعانيضة وقرأ آخرون بضمهما قيل معانيض المقابلة أيضا كما رواه علي بن أبي طلحة عن العوفي عن ابن عباس وبه قال قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال مجاهد قبلا أي أقوا جاقية لا قبلا أي تعرض عليهم كل آية بعد آية فخببرهم بصدق الرسل فيما جاءهم به ما كانوا يؤمنون إلا أن يشاء الله لأن الهداية إليه لا إليهم بل يهدي من يشاء وهو

فأصد حتى تؤمن مثل ما أوتى رسول الله وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا وكلمهم الموتى فأخبرهم بصدق ما جاءتهم به الرسل وحشرنا عليهم كل شيء قبلا قرأ بعضهم قبل أن يكسر القاف وفتح الباء من المقابلة والمعانيضة وقرأ آخرون بضمهما قيل معانيض المقابلة أيضا كما رواه علي بن أبي طلحة عن العوفي عن ابن عباس وبه قال قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال مجاهد قبلا أي أقوا جاقية لا قبلا أي تعرض عليهم كل آية بعد آية فخببرهم بصدق الرسل فيما جاءهم به ما كانوا يؤمنون إلا أن يشاء الله لأن الهداية إليه لا إليهم بل يهدي من يشاء وهو

الذغال الحار يد ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون لعلمه وحكمته وسلطانه وقهره وغلبته وهذه الآية كقوله تعالى

عليهم كلفنا ذلك لا يؤمنون ولو جاتهم كل آية حتى روا العذاب الا ليم (وبذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولما جاءهم ملك ماقولوه فقدرهم وما يقولون وتضعي اليه آفة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليمضه وليتفرقا فامامهم مقتدون) يقول تعالى كما جعلنا لك أعداءنا محمد بن النون وبما نؤتيك جعلنا لكل نبي من قبلنا أيضا أعداء فلا يحزنك ذلك كما قال تعالى ولقد صدقنا رسولك (١١١) من قبل فاصبر واعلم ما كذبوا وذو الآية

وقال تعالى ما قال لك الا ما قد قيل

لرسل من قبل ان ربك لئوم ومغفرة

وذو عقاب آليم وقال تعالى وكذلك

جعلنا لكل نبي عدوا ومن الجرم من

الآية وقال ورقة بن نوفل لرسول

الله صلى الله عليه وسلم يا أبا عبد

الله ما جئت به الا عهودي وقوله

شياطين الانس والجن بدل من عدوا

أي لهم أعداء من شياطين الانس

والجن من هؤلاء وهو لا يقصدهم

الله ولعنهم قال عبد الرزاق

حدثنا سمع من عن قتادة في قوله

شياطين الانس والجن قال من الجن

شياطين ومن الانس شياطين يوحي

بعضهم الى بعض قال قتادة

وبلغني ان أبا ذر كان يوما يصلي

فقال النبي صلى الله عليه وسلم

تعوذت يا أبا ذر من شياطين الانس

والجن فقال أو ان من الانس

لشياطين فقال رسول الله صلى الله

عليه وسلم نعم وهذا منقطع بين

قتادة وأبي ذر وقدرى من وجه

آخر عن أبي ذر رضي الله عنه قال

ابن جرير حدثنا المشي حدثنا

أبو صالح حدثني معاوية بن صالح

فاخذ (لا يقول) أي لو افقوك في الخروج ونحو جوامعك طمعاً في تلك المنافع التي تحصل
لهم (ولكن بعدت عليهم الشقة) قال أبو عبيدة وغيره ان الشقة السقر الى أرض بعيدة
يقال منه شقة وشاقوا الشقة المسافة التي تقطع عشقة قال الجوهري الشقة بالضم من
الشياب والشقة أيضا السقر المبعذور بما قالوه بالكسر في مشتقة من المشقة كافي
السجن والمزاد بها غزوة سوك فأنها كانت سفرة بعيدة شاقية وكانوا يستعظمون غزوة
الروم لاجرم تخلفوا بهذا السبب (وسيقولون) أي المتخلفون عن غزوة سوك وأبي بالنسب
لأنه من قبيل السيل الاخبار بالغيب فان الله أنزل هذه الآية قبل رجوعه من سوك أي
سيقولون (بالله) اعتذارا عنه حال كونهم قائلين (لو استعطينا) أي لو قدرنا على الخروج
ووجدنا ما نحتاج اليه فيه بما لا يدمنه وقيل لو كان لنا استطاعة من جهة العدة أو من
جهة الصحة أو من جهة ما حجبنا عنهم من الكذب والتعلل وعلى كلا التقديرين
فقوله (يخرجنا عنكم) سادس جدوا في القسم والشرط جميعا وقيل وقع حجباً أخبر به
وهو من جهة المعجزات الباهرة وقوله (يملكون أنفسهم) يدل من قوله سيقولون لأن من
خلف كاذباً فقد أهان نفسه وإذا قال صلى الله عليه وآله وسلم المين الفاجرة تدع الديار
بلاقع أو يكون حالاً أي يهلكين أنفسهم موقعين لها موقع الهلاك بسبب هذه الايمان
الكاذبة (والله يعلم انهم لكاذبون) في حلقهم الذي سيقولون بذلك لانهم كانوا
مستطيعين الخروج (عفا الله عنكم لما أنتم لهم) الاستغفار لانكارهم الله تعالى على
رسوله صلى الله عليه وآله وسلم حيث وقع منه الاذن لمن استأنفه في القعود قبل أن يبين
من هو صادق منهم في عذره الذي أبداه ومن هو كاذب فيه وفي ذكر العفو عنه صلى الله عليه
وآله وسلم ما يدل على أن هذا الاذن الصادر منه كان خلاف الاولى وفي هذا اعتبار لطيف
من الله سبحانه وقيل ان هذا اعتبار به صلى الله عليه وآله وسلم في اذنه للمنافقين بالخروج
معهم لافي اذنه لهم بالقعود عن الخروج قاله الطبري والاولى وقدر خص له سبحانه
في سورة النور بقوله فاذا استأنفوك ليعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم ويمكن أن يجمع
بين الاثنين بأن الغيب هنا توجه الى الاذن قبل الاستئذان حتى يبين الصادق من
الكاذب والاذن هناك متوجه الى الاذن بعد الاستئذان والله أعلم وقيل ان قوله عفا
الله عنكم افتتاح كلام كما تقول أصلحك الله وأعزك ورجلك كيف فعلت كذا وكذا

عن أبي عبد الله محمد بن أبوب وغيره عن المشيعة عن ابن عاذ عن أبي ذر قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس قد أظالم
فيه الخليل قال فقال يا أبا ذر هل صليت قال لا يا رسول الله قال قم فاركع وركعتين قال ثم جئت فجلست اليه فقال يا أبا ذر هل تعوذت
بالحق من شياطين الجن والانس قال قلت لا يا رسول الله وهل الانس من شياطين قال نعم هم شر من شياطين الجن وهذا أيضا فيه
انقطاع وروى متصلًا كما قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا المسعودي أن أبا ذر قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس قد أظلمت فيه
أبي ذر قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد فجلست فقال يا أبا ذر هل صليت قلت لا قال قم فصل فقلت فصلت ثم

حاست فقال يا أباذر تعوذ بالله من شياطين الانس والجن قال قلت يا رسول الله وللانس شياطين قال نعم وذكرا نعام الحديث بطوله وكذا رواه حافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره من حديث جعفر بن عون ويعلى بن عبدو وعبد الله بن موسى ثلاثتهم عن المسعودي به طريق أخرى عن أبي ذر قال ابن جرير حدثنا المنني حدثنا جاد عن حميد بن هلال حدثني رجل من أهل دمشق عن عون بن مالك عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أباذر هل تعوذ بالله من شياطين الانس والجن قال قلت يا رسول الله هل للانس من شياطين قال نعم (١١٢) طريق أخرى للحديث قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عون الحنفي

حدثنا أبو المغيرة حدثنا معاذ بن رفاعه عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أباذر تعوذ من شياطين الجن والانس قال يا رسول الله وهل للانس شياطين قال نعم شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرفا غرورا وقوله يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وروى طرق ثم قال ومجموعها فيمدقته ويحسبها والله أعلم (١) قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبو نعيم عن شريك عن سعد بن مسروق عن عكرمة شياطين الانس والجن قال ليس في الانس شياطين ولكن شياطين الجن يوحى الى شياطين الانس وشياطين الانس يوحى الى شياطين الجن قال وحدثنا الحرث حدثنا عبد العزيز حدثنا اسرايل عن السدي عن عكرمة في قوله يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وقال أسباط عن السدي عن عكرمة في قوله يوحى بعضهم الى بعض اما شياطين الانس فالشياطين التي تصل الانس وشياطين الجن التي تصل الجن يلتقيان فيقول كل واحد منهما لصاحبه اني أضلت صاحبي بكذا وكذا فاضل أنت صاحبك بكذا يستأذنون

حكاهمكي والحاس والمهدوي وعلى هذا التأويل يحسن الوقف على عفا الله عنك وعلى التأويل الاول لا يحسن ولا يخالف أن التفسير الاول هو المطابق لما يقتضيه اللفظ على حسب اللغة العربية ولا وجه لآخر اجتمع عن معناه العربي وفي الآية دليل على جواز الاجتهاد منه صلى الله عليه وآله وسلم والمسئلة مدونة في الاصول وفيها ايضا دلالة على مشروعية الاحتراز عن العجلة والاعتراض بظواهر الامور وقال عمرو بن ميمون اثنان فعملهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باجتمعهما لم يؤمر فجمع ما بشيئا فانه للمناقضين في التخلّف وأخذ القدامى من أسارى بدر فعاتبه الله كأنهم موعون قال سفيان بن عيينة انظر هذا التلطّف به بدأ بالعزوف الى أن يعبره بالذنب وحتى في قوله (حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) للغاية كأنه قيل لم تسرعت الى الاذن لهم وهلا تأتيت حتى يتبين لك صدق من هو صادق منهم في العذر اني أبدأه وكذب من هو كاذب منهم في دعواه قال ابن عباس لم يكن يعرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المناقضين يومئذ حتى نزلت سورة براءة ثم ذكر سبحانه انفليس من عادة المؤمنين أن يستأذوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أذن وأله وسلم في القعود عن الجهاد بل كان من عادتهم أنه صلى الله عليه وآله وسلم إذا أذن لواحد منهم بالقعود شق عليه ذلك فقال (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وانفسهم) وهذا على أن معنى الآية أن لا يجاهدوا وقيل المعنى لا يستأذنك في التخلّف كراهة الجهاد وقيل ان معنى الاستئذان في النبي الكراهة واما على ما يقتضيه ظاهر اللفظ فالمعنى لا يستأذنك المؤمنون في الجهاد بل دايمهم ان يادروا اليه من غير توقف ولا ارتقاب منهم لوقوع الاذن منك فضلا أن يستأذنونك في التخلّف حيث استأذنوك لولا في التخلّف كان ذلك مظنة للتأني في أمرهم بل دليل على تفاقمهم (والله اعلم بالمقين) الذين لم يستأذوا (انما يستأذنك) في القعود عن الجهاد والتخلّف عنه من غير عذر وكذا يقال فيما بعده (الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) وهم المنافقون وكانوا تسعة وثلاثين رجلا وذكر الاعمى بالله أولا ثم باليوم الآخر ثانيا في الموضعين لانهم الباعثان على الجهاد في سبيل الله (وارتاب قلوبهم) جاء بالماض للدلالة على تحقق الريب في قلوبهم وهو الشك فاذا دخلها الشك كان ذلك نفاقا (فهم في ريبهم يترددون) أي في شكهم الذي حل بقلوبهم بتغيرون والتردد التغير والمعنى فهو لا الذين

يلتقيان فيقول كل واحد منهما لصاحبه اني أضلت صاحبي بكذا وكذا فاضل أنت صاحبك بكذا يستأذنون وكذا فيعلم بعضهم بعضا ففهم ابن جرير من هذا أن المراد شياطين الانس منهم ولا شك أن هذا اظهر من كلام عكرمة واما كلام السدي فليس مثله في هذا المعنى وهو محتمل وروى عن عكرمة والسدي الشياطين من الجن الذين يصطلون الناس (١) قوله وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبو نعيم الى آخر تفسير الآية هكذا في النسخ وخرار وايات التي في هذا المقام من أول تفسير الآية الى آخره وتعوذ بالله من سقم النسخ اهـ

لان المراد شياطين منهم وقد روى ابن أبي حاتم نحو هذا عن ابن عباس من رواية الفخام عنه قال ان الجن شياطين يضلونهم مثل شياطين الانس يضلونهم قال فيلتقي شياطين الانس وشياطين الجن فيقول هذا الضلالة بكذا فهو قوله يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وعلى كل حال فالصحيح ما تقدم من حديث أبي ذر ان للانس شياطين منهم وشيطان كل شئ مارد ولهذا جاء في صحيح مسلم عن أبي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشيطان الاسود شيطان ومعناه والله أعلم شيطان في الكلاب وقال ابن جرير قال مجاهد في تفسير هذه الآية كفار الجن شياطين يوحون (١١٣) الى شياطين الانس كفارا لانس زخرف

القول غرورا وروى ابن أبي حاتم عن عكرمة قال قدمت على المختار فأكرمني وأمرني حتى كاد يتعاهد ميتي بالليل قال فقال لي اخرج الى الناس فحدثهم قال فخرجت فخرجت رجل فقال ما تقول في الوحي فقلت الوحي وحيان قال الله تعالى بما أوحينا اليك هذا القرآن وقال تعالى شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا قال فهموا بي أن يأخذوني فقلت لهم ما لكم ذاك اني مقببكم وضيقكم فتركوني وانما عرض عكرمة بالاختار وهو ابن أبي عبيد فجهه الله وكان يزعم انه رأته الوحي وقد كانت أخته صفية تحت عبد الله بن عمر وكانت من الصالحات ولما أخبر عبد الله بن عمر المختار بزمه أنه يوحى اليه فقال صدق قال الله تعالى وان الشياطين ليسو حون الى أوليائهم وقوله تعالى يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا أي يلقي بعضهم الى بعض القول المزين المزخرف وهو المزوق الذي يغتر سماعه من الجهلة بأمره

يسأذنونك ليسوا عيون بل كانوا امرأتين حارين لا يمتدون الى طريق الصواب ولا يعرفون الحق والآية محكمة كلها وقال ابن عباس نسخنا الآية التي في سورة التوراة بما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله الى قوله عتقوهم فخرج من عندهم آله وسلم با على النظر من في ذلك من غزاة في فضيلة ومن قعد قعد في غير حرج ان شاء الله (ولو أرادوا الخروج لاعدوا له عدة) أي لو كانوا اصادقين فيما يدعون به ويخبرونك به من انهم يريدون الجهاد معك ولكن لم يكن معهم من العدة للجهاد ما يحتاجون اليه لما تركوا اعداد العدة وتحصيلها قبل وقت الجهاد كما يستعد ذلك المؤمن فعني هذا الكلام انهم لم يريدوا الخروج أصلا ولا استعدوا للغزو والعدة ما يحتاج اليه المجاهد من الزاد والراحلة والسلاح (ولكن كره الله انبعاثهم فنبطهم) الاستعداد لهذا يحتاج الى تأمل فلذلك قال الرخصي ما حاصله ولكن كره الله خروجهم فنبطوا عن الخروج فيكون المعنى ما خرجوا ولكن نبطوا لان كراهة الله انبعاثهم تستلزم تبططهم عن الخروج والانبعاث الخروج أي حبسهم الله عن الخروج معك وخذلهم وكلهم لانهم قالوا ان لم يؤذن لنا في الجلوس أفسدنا وحرضنا على المؤمنين وقيل المعنى لو أرادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن ما أرادوه لكره الله له وعلى هذا فهو استدراك على نفس المتقدم على نهج ما في الآية الاستثناء وكان في خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منسدة عظيمة بدليل انه تعالى أخبر عنها بقوله الآية ما زادوكم الا خبالا وما عتاب الله رسوله بقوله لم آذنت لهم فانه اذن لهم قبل تمام الفحص وكال التأمل والتدبر في حالهم فلهذا السبب عتابه وقيل انما عتابه لاجل انه اذن لهم قبل أن يوحى اليه في أمرهم بالعودة (وقيل اعدوا) والقائل لهم هو الشيطان بما يلقيه اليهم من الوسوسة وقيل فانه بعضهم لبعض وقيل فانه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غضبا عليهم وقيل هو عبارة عن الخذلان أي أوقع الله في قلوبهم القعود خذلناهم وقال السوطي أي قدر الله ذلك أي القعود يعني فلا قول بالفعول لان الله ولامن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (مع القاعدن) أي مع أولى الضر من العميان والمرضى والساوا والصبيان وفيه من الذم لهم والازراء عليهم والتقصيهم ما لا ينبغي (لخرجوا) شروع في بيان المقاسد التي ترتب على خروجهم وفيه تسليمة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وللمؤمنين عن تخلف المنافقين

(١٥ - فتح البیان ح)

ولو شاعرك ما فاعوا أي وذلك كما به قدر الله وقضائه وارادته ومشيئته أن يكون لكل نبي عدو ومن هؤلاء فذرهم أي فذرهم وما يفترون أي يكذبون أي دع أذا هم وتوكل على الله في عدائهم فان الله كافيك وناصر لك عليهم وقوله تعالى ولتصفي اليه أي لتبلي اليه قاله ابن عباس أفندة الذين لا يؤمنون بالآخرة أي قلوبهم وعقولهم وأسماعهم وقال السدي قلوب الكافرين ولا يرضوه أي يحبوه ويريدوه وانما يستحب لذلك من لا يؤمن بالآخرة كما قال تعالى فانكم ومناتبعون ما أنتم عليه بقائتين الامن هو صال الجحيم وقال تعالى انكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك وقوله

وليتروا ما هم مقترون قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس ولا تكسوا ما هم مكسبون وقال السدي وابن زيد وليعلا ما هم
عالمون افعبر الله استحي سكر وغير الذي ازل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناكم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونون
من الممترين وقت كلمتك صدق وعد لا لمبديل لكلماته وهو السميع العليم يقول تعالى لست محمد صلى الله عليه وسلم قل
ليزلا المشركين بالله الذين يعبدون غيره افعبر الله استحي حكاى بنى وشك وهو الذي ازل اليكم الكتاب مفصلا لاى سينا
والذين آتيناكم الكتاب أى من اليهود (١١٤) والنصارى يعلمون انه منزل من ربك بالحق أى بما عندهم من البشارات بك من

والنبياء المتقدمين فلا تكونون من
الممترين كقوله فان كنت في شك
مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن
الكتاب من قبلك لقد جاءك
الحق من ربك فلا تكون من
الممترين وهذا شرط والشرط
لا يقتضى وقوعه ولهذا جاء عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
لا أشك ولا أنسأل وقوله تعالى وقت
كلمتك صدق وعد لا لمبديل
صدقا فيما قال وعد لا فيما حكم
يقول صدقا فى الاخبار وعد لا فى
الطلب فكل ما أخبر به بحق لا مربة
ولا شك وكل ما أمر به فهو العدل
الذى لا عدل سواه وكل ما نهى
عنه فباطل فانه لا ينهى الا عن
مفسدة كما قال تعالى يأمرهم
بالمعروف وينهاهم عن المنكر
الى آخر الآية لا لمبديل لكلماته
أى ليس أحد يعقب حكمه تعالى
لا فى الدنيا ولا فى الآخرة وهو السميع
لاقوال عباده العليم بحركاتهم
وسكناتهم الذى يجازى كل عامل بعمله
(وان نطس أكثر من فى الارض
يضلوا عن سبيل الله ان تبصرون
الآلظن وانهم لا يخبرون ان

ربك هو أعلم من يصل عن سبيله وهو أعلم بالهتدين) يخبر تعالى عن حال أكثر أهل الارض
من بنى آدم انه الضلال كما قال تعالى ولقد ضل قبلهم أكثر الاولين وقال تعالى وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وهم فى ضلالهم
ليسوا على يقين من أمرهم وانما هم فى ظنون كاذبة وحسان باطل ان تبصرون الآلظن وانهم لا يخبرون فان انخرص هو انخرص
ومنه خرص النخل وهو خرص ما علم من القر وذلك كله عن قدر الله ومشيئته وهو أعلم من يضل عن سبيله فييسر ذلك وهو أعلم
بالمهتدين فييسرهم لذلك وكل ميسر لما خلق له (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين) ومالككم ان لا تأكلوا مما ذكر

جواسيس

اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه وان كثير الضالون باهوائهم يغفرون ان ربك أعلم بالمعتدين) هذا
 اباحت من الله لعباده المؤمنين أن يأكلوا من النابت ما ذكر عليه اسمه ومفهومه انه لا يحا ما يذ كراسم الله عليه كما كان يستجبه
 كفار المشركين من كل الميتات وكل ما يبيع على التصب وغيره ثم نيب الى الاكل مما ذكر كراسم الله عليه فقال وما لكم ان لا تأكلوا
 مما ذكر كراسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم أي قدين لكم ما حرم عليكم ووضعه وقرأ بعضهم فصل بالتشديد وقرأ آخرون
 بالتخفيف والكل بمعنى البيان والوضوح الا ما اضطررتم اليه أي الا في حال (١١٥) الاضطرار فانه يحا لكم ما وجدتم فيه من غير تعال

جهالة المشركين في آرائهم الفاسدة
 في استحلالهم الميتات وما ذكر
 عليه غير اسم الله تعالى فقال
 وان كثيرا يضلون باهوائهم بغير
 علم ان ربك هو أعلم بالمعتدين أي
 هو أعلم باعتدائهم وكذبهم وافتراءهم
 (وذروا ظاهر الاثم وباطنه ان
 الذين يكسبون الاثم سيجزون بما
 كانوا يفترون) قال مجاهد وذروا
 ظاهر الاثم وباطنه المعصية في السر
 والعلانية وفي رواية عنه هو ما
 ينوي ما هو عامل وقال قتادة
 وذروا ظاهر الاثم وباطنه أي سره
 وعلانيته قلبه وكثيره وقال
 السدي ظاهر الزنا مع البغايا
 ذوات الرابات وباطنه مع الخليلية
 والصدائق والاخذان وقال
 عكرمة طاهره نكاح ذوات المحارم
 والعجيج ان الآية عامة في ذلك
 كما هو في قوله تعالى قل انما حرم
 ربي القواحش ما ظهر منها وباطن
 الآية ولهذا قال تعالى ان الذين
 يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا
 يفترون أي سواء كان ظاهرا أو
 خفيا فان الله سيجزى بهم عليه قال

جواسيس منهم يسعون لهم الاخبار منكم فاللام على الاول للتقوية وعلى الثاني للتعديل
 أي لا جعلهم (والله عليهم الظالمين) وما يحدث منهم لو خر جوامعكم فذلك اقتضت
 حكمته البالغة ان لا يخبر جوامعكم وكره ان يعا منهم بعكم ولا ينافي حالهم هذا لو خر جوامع
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما تقدم من عتابه على الاذن لهم في الخلف لانه سارع الى
 الاذن لهم ولم يكن قد علم من أحوالهم لو خر جوامعهم يفعلون هذه الافايل فعوب صلى
 الله عليه وسلم على تسرع الى الاذن لهم قبل أن يبين له الصادق منهم في عذره من الكاذب
 ولهذا قال الله سبحانه فيما يأتي في هذه السورة فان رجعت الله الى طائفة منهم فاستأذنوا
 للخروج فقل لن يخرجوا معي أبدا الآية وقال في سورة النفع سيقول المخلفون اذا انطلقتم
 الى معانم لتأخذوها الى قوله قل لن تبغونا وفي الآية وعيدو تهديد للمنافقين الذين يلقون
 الفتن والشبهات بين المؤمنين ووضع المطهر موضع الضمير للتعجيل عليهم بالظلم والتشديد
 في الوعيد والاشعار بتسربه على الظلم قال أبو السعد ودلعه شامل للفرقيقي السماء من
 والقاعدين (لقد استغوا النفس من قبل) أي لقد طلبوا الافساد والخبال وتفرق بكلمة
 المؤمنين ونشئت شملهم من قبل هذه الغزوة التي تخلفوا عنك فيها كما وقع من عبد الله بن
 أبي وغيره يوم أحد حيث انصرف باحبابه عنك ويأبى الله الا أن يتم ثوره وكره الكافرون
 (وقلبوا لك الامور) أي صرفوها من وجه الى وجه ودير والالحيل والمكاييد ودوا
 الاراء في انطال أمره وتقلب الامر تصرفه من أمر الى أمر وترديده لاجل التدبير
 والاجتهاد في المكر والحيلة ومنه قول العرب للرجل حول وقلب اذا كان دائرا حول
 المكاييد والحيل- يدبر الرأي فيها ويتدبره وقرئ بالتخفيف (حتى جاء الحق) أي الى
 غايه هي محي الحق وهو النصر للوالتأييد وقيل الحق القرآن (وظهر أمر الله)
 باعزاز دينه واعلاء شريعته وقهر اعدائه (وههم كارهون) لمحى الحق وظهور
 أمر الله ولكن كان ذلك على رغم منهم (ومنهم) أي من المنافقين (من يقول)
 لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ان لن) في الخلف عن الجهاد (ولا تفتني)
 أي لا تؤثرني في الفتن أي المعصية والاثم اذ لما قاذن لي فتخلفت بغضبانك وقيل
 معناه لا تؤثرني في الهلكة بالخروج عن ابن عباس قال لما أراد النبي صلى الله عليه
 وآله وسلم أن يخرج الى غزوة تبوك قال لبلبن قيس يا جدين قيس ما تقول في مجاهدة بني

ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه
 عن الزوام بن سعيان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاثم فقال الاثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع الناس
 عليه (ولأن) كما هو مما يذ كراسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوك وان أعطوهم انكم
 لمشركون) استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب الى أن الذبيحة لا تحل اذ لم يذ كراسم الله عليه وان كان الذابح مسلما وقد
 اختلف الأئمة رجعهم الله في هذه المسئلة على ثلاثة أقوال فمنهم من قال لا تحل هذه الذبيحة بهذه الصفة وسواء أم ترك التسمية

عنه أو هو وهو عن ابن عمر ونافع مولا عامر الشعبي ومحمد بن سيرين وهو رواية عن الإمام مالك ورواية عن أحمد بن حنبل نصرها ثلثة من أصحابه المتقدمين والتأخرين وهو اختيار أبي نوري وداود الطحايري واختار ذلك أبو التوح محمد بن يزيد بن الطائفي من متأخري التابعين في كتابه الأربعين واحتجوا المذهبهم بهذا الآية وبقوله في آية الصيد فكروا بما يمكن على الطائفي من متأخري التابعين في كتابه الأربعين واحتجوا المذهبهم بهذا الآية وبقوله في آية الصيد فكروا بما يمكن عليكم وإذا كروا اسم الله عليه ثم قدأ كذفي هذه الآية بقوله والله لنسق والضيق قيل عائذ على الكل وقيل عائذ على الذئب بغير الله وبالأحاديث الواردة في الاسم بالتسمية عند (١١٦) الذبيحة والصيد كذا في عدي بن حاتم وأبى ثعلبة إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرك

الاصف فقال يا رسول الله انى امرؤ صاحب نساء وبني أرى نساء على الاصفرا فتن فاذن
 لى ولا تفتنى فأمر الله الله ومنهم من يقول الاذن لى الآية (ألا فى الفتنه سقطوا) أى فى تنس
 الفتنه وهى فتنه الخلف عن الجهاد والاعتذار بالباطل والمعنى انهم ظنوا انهم بالخروج
 أو بترك الاذن لهم يقعون فى الفتنه وهم بهذا الخلف سقطوا فى الفتنه العظيمة وفى
 التعبير بالسقوط ما يشعر بأنهم وقعوا فيها وقوع من يهودى من أعلى الى أسفل وذلك
 أشد من مجرد الدخول فى الفتنه ثم قعودهم على ذلك فقال (وان جهنم لحيطه بالكافرين)
 أى مشقة عليهم من جميع الجوانب لا يجدون عنها ملخصا ولا يتمكنون من الخروج
 منها بحال من الأحوال وهذا يريد لهم على ما فعلوا ما طوف على الجملة السابقة داخل
 تحت التنبيه وقصة تولى مذكورة فى كتب الحديث والسير فلا تظن بذكرها (أن
 تصيبك حسنة تسوهم) أى حسنة كانت بأى سبب اتفق كما يفيد وقوعها فى حيز الشرط
 وكذلك القول فى المصيبة وتدخل الحسنة والمصيبة الكائنة فى القتال كما يفيد السياق
 دخولا وليا فى جملة ما يصدق عليه الحسنة النعمة والظفر ومن جملة ما يصدق عليه
 المصيبة الخيبة والانزمام وهذا ذكر نوع آخر من خبث ضمائر المنافقين وسوء أفعالهم
 والأخبار بعظم عدوتهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وللمؤمنين فان المساء
 بالحسنة والفرح بالمصيبة من أعظم ما يدل على انهم قد بقوا فى العداوة الى الغاية (وأن
 تصيبك مصيبة) أى هزيمة أو شدة كما تقدم وقال الله هذا الحسنة بالمصيبة ولم يتقانا
 بالسيئة كما قال فى سورة آل عمران وان تصيبكم سيئة يفرحوا بما الأن الخطاب هنا للنبى
 صلى الله عليه وآله وسلم وهى فى حق مصيبة يثاب عليها الامة يعاتب عليها والى الله
 خطاب للمؤمنين قاله الشهاب (يقولوا) أى المنافقون حامدين لرايهم (قد أخذنا أمر
 من قبل) أى احطنا لانفسنا وأخذنا بالحزم واعتزلنا عنهم وقعدنا عن الحرب فلم نخز
 للقتال كما خرج المؤمنون حتى نالهم ما نالهم من المصيبة (ويقولوا وهم فرحون)
 رجعوا الى أعلمهم عن مقامات الاجتماع ومواطن التحدث حال كونهم فرحين بالمصيبة
 التى أصابت المؤمنين وبما صنعوا من أخذ الامر وجماع أصابه صلى الله عليه وآله وسلم
 والجملة حال من الضمير يقولوا يقولوا الامن الاخير فقط لمقارنة الفرح لهما مع
 ما قالوا واذا القول أمر الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يجيب عليهم فقال (قد

اسم الله فكل ما أسكن عليه
وهما في الصحدين وحديث رافع
ابن خديج ما أنهرهم وذكر اسم
الله عليه فكلوا في الصحدين أيضا
وحديث ابن سعد وذو أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال للجن لكم
كل عناصم ذكر اسم الله عليه وراه
مسلم وحديث جندب بن سفيان
الجبلي قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من ذبح قبل أن يصلي
فليذبح مكانها أخرى ومن لم يكن
ذبح حتى يصلها فليذبح باسم الله
أخرجاه وعن عائشة رضي الله عنها
ان ناسا قالوا يا رسول الله ان قوما
يأتوننا باللحم لا ندرى أذكرا سم الله
عليه أم لا قال - هو عليه اسم الله
وكلوا قالت وكانوا حديثي عهد
بكفر وراه البخاري ووجه الدلالة
انهم فهم - هو أن التسمية لا بد منها
وخشوا أن لا تكون وجدت من
أولئك لحداثه اسلامهم فأمرهم
بالاحتياط بالتسمية عند الاكل
لتكون كالعرض عن المتروكة عند
الذبح ان لم تكن وجدت وأمرهم
باجراء أحكام المسلمين على السداد
والله أعلم والمذهب الثاني في المسألة

انه لا يشترط التسمية بل هي مستحبة فان تركت عمداً أو نسياناً لا تضر وهذا مذهب

انه لا يثبت التسمية بل هي مسجبه فان تركت عند الاستدلال فليس له ان يثبت
الامام الشافعي رحمه الله وجميع أصحابه ورواية عن الامام أحمد نقلها عنه حنبل وهو روى عن الامام مالك ونص على ذلك
أشهب بن عبد العزيز بن أصحابه وحكى عن ابن عباس وأبي هريرة وعطاء بن أبي رباح والله أعلم وحمل الشافعي الآية الكريمة
ولانا كلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق على ما ذبح لغير الله كقوله تعالى أو فسقا أهل لغير الله به وقال ابن جرير عن عطاء
ولانا كلوا مما لم يذكر اسم الله عليه قال ينهى عن ذبائح كانت تذبحها قريش للاوثان وينهى عن ذبائح الجحوش وهذا المسلك
ولانا كلوا مما لم يذكر اسم الله عليه قال ينهى عن ذبائح كانت تذبحها قريش للاوثان وينهى عن ذبائح الجحوش وهذا المسلك
الذي طرده الامام الشافعي قوي وقد حاول بعض المتأخرين أن يقولوا بان جعل الواو في قوله وانه لفسق جالسة أى لانا كلوا

مالم يذكر اسم الله عليه في حال كونه فسقا ولا يكون فسقا حتى يكون قد أهمل به لغیر الله ثم ادعى أن هذا تعين ولا يجوز أن تكون
الروا عاطفة لانه يلزم منه عطف جملة اسمية خبرية على جملة فعلية طلبية وهذا ينقض عليه بقوله وإن الشياطين ليوحون إلى
أوليائهم فانهم عاطفة لاحتمال فان كانت الروا إلى ادعى أنها حالية صحيحة على ما قال استغ عطف هذه عليه فأقن عطف على
الطلبية ورد عليه ما ورد على غيره ولم تكن الروا حالية بطل ما قال من أصله والله أعلم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يحيى بن
المغيرة أن أبا جري عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في الآية (١١٧) ولأننا كلوا مما لم يذكر اسم الله عليه قال الميمنة

ثم رواه عن أبي زرعة عن يحيى
ابن أبي كثير عن ابن لهيعة عن عطاء
وهو ابن السائب به وقد استدل
لهذا المذهب بما رواه أبو داود
في المراسيل من حديث ثور بن
يزيد عن الصلت السدي عن مولى
سويد بن منبج عن أحد التابعين
الذين ذكرهم أبو حاتم من حبان في
كتاب الثقات قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذبحة المسلم حلال
ذ كراسم الله أولئك ذ كراسم الله
يذ كراسم الله وهذا مرسل يعضد
بما رواه الدارقطني عن ابن عباس أنه
قال اذ ذبح المسلم ولم يذ كراسم الله
فلما كل فإن المسلم فيه اسم من أسماء الله
واسم البهيقي أيضا يجدي بئاشة رضى
الله عنه المتقدم ان ناسا قالوا بار سول
الله ان قومنا حديثي عهد بجاهلية
يا ليتنا بالحسم لاندري أذ كراسم الله
عليه أم لا فقال سموا أنتم وكوا قال
فلا وكان وجود التسمية شرطاً لم
يرخص لهم الامتع تحقيقها والله
أعلم المذهب الثالث في المسئلة
ان ترك التسمية على الذبحة نسيانا
لم يضر وان تركها عمدا لم تجز هذا
هو المشهور من مذهب الامام مالك

لهم يا بالطلان ما بنوا عليه مسرتهم من الاعتقاد (لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) في
الروح المحفوظ أوفى كتابه المنزل علينا وفائدة هذا الجواب ان الانسان اذا علم ان ما قدره
الله كائن وان كل ما ناله من خيرا وشرا ناله بقدر الله وقضائه هانت عليه المصائب ولم
يجد مرارة مما ناله الا دعاه وتشتى الحسدة (هو مولانا) أي ناصرنا وجاعل العاقبة لنا
ومظهر دمه على جميع الاديان (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) القاسمية والاصل
ليتوكل قدم النظر على الفعل لا فائدة القصر ثم ادخلت القاء للدلالة على استحبابه تعالى
للتوكل كما في قوله ويا ايها فارهمون والتوكل على الله فهو بض الامور واله والمعنى ان من
حق المؤمنين ان يجعلوا في جميع أمورهم محتصا بالله سبحانه لا يتوكلون على غيره
(قل هل تربصون بنا) أي هل تنظرون أم المتنافقون أن يقع (بنا الاحدى) انصليتين
(الحسينيين) اما النصره والفتية أو الشهادة والمغفرة وكلاهما مما يحسن لنا والحسن
ثابت الاحسن ومعنى الاستعظام التبريع والتوبيخ وهذا ايضاح وكشف لقوله
الا ما كتب الله لنا (ونحن نترصص بكم) احدى المسائلين لكم من العواقب اما (ان
يصيبكم الله بعذاب من عنده) أي قارعة نازلة من السماء كما اصاب من قبلكم من
الام المهلكة فليسحتكم بعذابه (أو) بعذاب لكم (بأيدينا) أي باظهاره الله لنا عليكم
بالقتل والاسروا والتهب والسبي والفاقي (فترصصوا) في حجة والامر للتهديد كما في قوله ذق
انك أنت العزيز الكريم أي ترصصوا بنا ما ذكرا من عاقبتنا (انا) أي نحن (معكم مترصصون)
ما هو عاقبتكم فتنظرون عند ذلك ما يسرنا ويسوءكم (قل انفقوا طوعا وكرها
يتقبل منكم) هذا الامر بمعناه الشرط والجزاء لان الله سبحانه لا يأمرهم بما لا يتقبله
منهم والتقدير ان أنفقتم طائعين أو مكريين فلن يتقبل منكم وقيل هو أمر في معنى الخبر
أي أنفقتم طوعا أو كرها لن يتقبل منكم فهو كقوله استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وفيه
الاشعار بتساوي الامر في عدم القبول وان تصاب طوعا أو كرها على الحال فهما مصدران
في موقع المشتقين أي أنفقوا طائعين من غير أمر من الله ورسوله أو مكريين بأمر منهما
وليس المراد بالطوع الرغبة لقوله الاتى الاوهم كارهون أي لا رغبة لهم وسمى الامر
منهم ما كراهوا لانهم منافقون لا يأترون بالامر فكأنوا بأمرهم الذي لا يأترون به

وأحمد بن حنبل وبه يقول أبو حنيفة وأصحابه واسحق بن راهويه وهو محكي عن علي وابن عباس وسعيد بن المسيب وعطاء
وطاوس والحسن البصري وأبي مالك وعبد الرحمن بن أبي ليلى وجعفر بن محمد وريعة بن عبد الرحمن وتقبل الامام أبو الحسن
الريشاني في كتابه الهداية الاجماع قبل الشافعي على تحريم متروكة التسمية عمدا فلهذا قال أبو يوسف والمشايخ لو حكم حاكم
يجوز ان يعدل في تنفيذ الخافعة الاجماع وهذا الذي قاله غير بعيدا وقد تقدم نقل الخلاف عن قبل الشافعي والله أعلم وقال
الامام أبو جعفر بن جرير رحمه الله من حرم ذبحة الناس فقد خرج من قول جميع الخلفاء الخلفاء الثابت عن رسول الله صلى

الله عليه وسلم في ذلك يعني ما رواه الحافظ أبو بكر البيهقي إماماً أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس الأصم حدثنا أبو أمية الطرسوسي حدثنا محمد بن يزيد حدثنا معقل بن عبد الله عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المسلم يكفيه اسمه أن يسمى حين يذبح فليذبح كراسم الله وليأكله وهذا الحديث رفعة خطأ أخطأ فيه معقل بن عبد الله الجزري فإنه كان من رجال مسلم الآن سعيد بن منصور وعبد الله بن الزبير الجريزي ورواه عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن أبي الشعثان عن عكرمة عن ابن عباس من قوله (١١٨) فزاد في أسنده أبا الشعثان وقرأوا الله أعلم وهذا أصح نص عليه البيهقي ثم حكى

ابن جرير وغيره عن الشعبي ومحمد بن سيرين أنهما كراهتا وكذا التسمية تسبوا والسلف بطلقوا الكراهة على التحريم كثيراً والله أعلم الآن من قاعدة ابن جرير أنه لا يعتبر قول الواحد ولا اثنين مخالفاً لقول الجمهور فبعده اجاباً فليعلم هذا والله الموفق قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبو أسامة عن جهم بن يزيد قال سئل الحسن سأل رجل أئبت بطير كذا فنه ما فذبح فذ كراسم الله عليه ومنه ما نسي أن يذ كراسم الله عليه واختلط الطير فقال الحسن كله كله قال وسألت محمد بن سيرين فقال قال الله ولا تأكلوا مما لم يذكر كراسم الله عليه واحتج لهذا المذهب بالحديث المروي من طرق عند ابن ماجه عن ابن عباس وأبي هريرة وأبي ذر وعقبة بن عامر وعبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله وضع عن امتي الخطأ والتسيان وما استكرهوا عليه وفيه نظر والله أعلم وقد روى الحافظ أبو أحمد بن عدي من حديث مروان بن سالم الفرقي عن الأوزاعي عن يحيى

كل مكرهين على الاتفاق أو طاعتين من غير إكراه من رؤسائكم أو مكرهين منهم قال الخطيب وهذه الآية وإن كانت خاصة في اتفاق المتأقنين فهي عامة في حق كل من اتفق ماله لغير وجه الله بل أنفق رياءه وبعده فإنه لا يقبل منه (انكم كنتم قومًا فاسقين) تعليل لعدم قبول اتفاقهم والفسق هنا التردد والموتوق قد سبق بيان الفسق لغة وشرعاً ثم بين سبب المنع من قبول نفقاتهم فقال (وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله ورسوله) استثناء من أعم الأشياء أي ما منعهم من قبول نفقاتهم من غير الأشياء إلا كفرهم بها مجعل المنع من القبول ثلاثة أمور الأول الكفر والثاني (ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى) أي أنهم لا يأتون في حال من الأحوال إلا في حال الكسل والتسافل لأنهم لا يرجون ثواباً ولا يخافون عقاباً فصلاهم ليست الأرياء الناس وتظهر أبا الإسلام الذي يطمنون خلافه (و) الثالث أنهم (لا ينفقون) أموالهم (الأولهم كارهون) ولا ينفقونها طوعاً لأنهم يعدون اتفاقها وضعا لها في مضية لعدم إيمانهم بما وعد الله ورسوله لا يقال أن الكفر سبب مستقل لعدم القبول فما وجه التعليل بمجموع الأمور الثلاثة وعند حصول السبب المستقل لا يبقى لغيره أثر لأن هذا التحايل وجه على قول المعتزلة القائلين بأن العمل مؤثر في الحكم وأما أهل السنة فأنهم يقولون هذه الأسباب معرفة غير موجبة للشواب ولا للعقاب واجتماع المعارف الكثيرة على الشيء الواحد جائز والله الشهاب (فلا تحبكم أموالهم ولا أولادهم) الإعجاب بالشيء أن تفر به سرور راض به متعجب من حسنه قيل مع نوع من الافتخار به واعتقاده ليس لغيره ما يساويه وهذا المعنى انما يناسب في إعجاب الشخص بحال نفسه يقال أعجب بماله أو ولده أي فرح به واعتز به وما خاف في إعجاب المرء بحال غيره والمعنى عليه لا تستحسن ما معهم من الأموال والأولاد ولا تحمدوا ولا تحبوا برضاك بها فهي استدراج وقيل يقال في الاستحسان أعجبني بالآل وفي الذم والانتكار عجب وزان تعبت وهذا الخطاب وإن كان مختصاً بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم لكن يعم جميع المؤمنين (انما يريد الله ليذهب بهم باقي الحياة الدنيا) كما يحصل معهم من الغم والحزن عند ان يغتموا المسلمون يأخذوها قسراً من أيديهم مع كونهم أمة خيانتهم وقرأ عنهم وأما يلقون في جمعها من المشقة والمناعب وفيها

ابن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال جاز رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أرأيت الرجل منا يذبح ويذبح في نفسه أن يسمى فقال النبي صلى الله عليه وسلم اسم الله على كل مسلم ولكن هذا أسنده ضعيف فان مروان بن سالم الفرقي أن أبا عبد الله الشافعي ضعيف تكلم فيه غير واحد من الأئمة والله أعلم وقد أوردت هذه المسألة على حدة وذكرنا مذاهب الأئمة وما أخذهم وأدلتهم ووجه الدلائل والنواقض والمعارضات والله أعلم قال ابن جرير وقد اختلف أهل العلم في هذه الآية هل ينسخ من حكمها شيء أم لا فقال بعضهم لم ينسخ منها شيء وهي محكمة فيما عنت به وعلى هذا قول مجاهد وعامة أهل العلم

وروى عن الحسن البصري وعكرمة ما حدثناه ابن جندب حدثنا يحيى بن واضح عن الحسن بن واقد عن عكرمة والحسن البصري قال قال الله فكلوا مما حرام الله عليه ان صكت بآياته مؤمنين وقال ولانا كلوا مما لم يحرّم الله عليه وانه انفسق ففسخ واستثنى من ذلك فقال وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم وقال ابن أبي حاتم قرئ على العباس بن الوليد بن يزيد حدثنا محمد بن شبيب أخبرني النعمان يعني ابن المنذر عن مكحول قال أنزل الله القرآن ولانا كلوا مما لم يحرّم الله عليه ثم نسخها الرب ورحم المسلمين فقال اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين (١١٩) أوتوا الكتاب حل لكم ففسخها بذلك وأحل

طعام أهل الكتاب ثم قال ابن جرير والصواب أنه لا تعارض بين حل طعام أهل الكتاب وبين تحريم ما لم يذكر اسم الله عليه وهذا الذي قاله صحيح ومن أطلق من السلف النسخ ههنا فاعلم أراد التخصيص والله سبحانه وتعالى أعلم وقوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو بكر بن عباس عن أبي اسحق قال قال رجل لابن عمران اختار يزعم أنه يوحى اليه قال صدق وتلاه هذه الآية وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم وحدثنا أبي حدثنا أبو حذيفة حدثنا عكرمة بن عمار عن أبي زميل قال كنت قاعدا عند ابن عباس ووجع الاختار بن أبي عبيد خلفه رجلا فقال يا ابن عباس زعم أبو عباس صدق فنفر وقال يقول ابن عباس صدق فقال ابن عباس هما وحيان وحي الله ووحى الشيطان فوحى الله الى محمد صلى الله عليه وسلم ووحى الشيطان الى أوليائه ثم قرأ وان الشياطين ليوحون الى

من المصائب ومنه قول العرب بلوغ المال في ركوب الاحوال والمؤمن قد علم انه مخلوق للآخرة وانه شاب بالمصائب الخاصة له في الدنيا فلم يكن المال والولد في حقه عذبا في الدنيا واما المناق في الله لا يعتقد كون الآخرة له ولان له فيها ثوابا في ما يحصل له في الدنيا من التعب والحزن على المال والولد عذابا عليه في الدنيا فثبت بهذا الاعتبار ان المال والولد عذاب على المنافق في الدنيا دون المؤمن وكذا في الآخرة بعدهم بعذاب النار بسبب عدم الشكر لربهم الذي أعطاهم ذلك وترك ما يجب عليهم من الزكاة فيها والتصدق بها بحق التصديق به وقيل في الكلام تقديم وتأخير والمعنى فلا تعجبوا أموالهم ولأولادهم في الحياة الدنيا اعجاب الله ليعذبهم بها في الآخرة لانهم المنافقون فهم يتفقون كارهين فيعذبون بما يتفقون (وترفق انفسهم وهم كافرون) الزهوق الخروج بصعوبة والمعنى ان الله يريد ان يرهق انفسهم ويخرج أرواحهم حال كفرهم لعدم قبولهم لما جاء به الانبياء أو أرسلت به الرسل وتقصمهم على الكفر وتماديهم في الضلالة قال الزنجشري والمراد الاستمرار بالتمكك قوله انما غلب لهم ليزدادوا انما كانه قيل ويريد ان يديم عليهم نعمه الى أن يموتوا وهم كافرون مشغولون بالتمتع عن النظر للعاقبة ثم ذكر الله سبحانه نوعا آخر من قبائح المنافقين فقال (ويحلفون بالله انهم لنفكمن) أي من جعلتكم في دين الاسلام والافتقار لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكتاب الله سبحانه (وما هم منكم) في ذلك لا يجترذوا هم دون يواظنهم (ولكنهم قوم يفرقون) أي يخافون ان يفلز بهم ما نزل بالمشركين من القتل والسبي فيظهرون لكم الاسلام تقية منهم لاعتناق حقيقة (لو يجحدون محلا) أي مكانا يتجئون اليه ويحفظون نفوسهم فيه منكم من حصن وأرأس جعل وأقلعة أو جزيرة والمجا بلع المصدر والزمان والمكان والظاهر منها هنا المكان قال ابن عباس المجا الحز في الجبال وقيل حصنا ومعقلا (أو مغارات) جمع مغارة من غار يغير قال الاخفش ويجوز أن يكون من غار يغير والمغارات الغيران والسراديب وهي المواضع التي يستتر فيها ومنه غار المار ومغارة العين والمغارة هي المكان المنخفض في الارض أو في الجبل والغور من كل شيء قعره والغور المظتمن من الارض وغار الرجل غور أي الغور وأغار بالالف مثلهو الغار والمغار والمغارة كالكهف في الجبل والكهف كليب في الجبل وقيل المغارة السرب في الارض كقنف البربوع والغار التقب في الجبل وهذا من أبداع النظم ذكر

أولياهم وقد تقدم عن عكرمة في قوله يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ثم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عمران بن عتبة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال خاضعت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا لا كل مما قتل الله فأنزل الله ولانا كلوا مما لم يحرّم الله عليه وانه انفسق ففسخ واستثنى من ذلك فقال وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم وقال ابن أبي حاتم قرئ على العباس بن الوليد بن يزيد حدثنا محمد بن شبيب أخبرني النعمان يعني ابن المنذر عن مكحول قال أنزل الله القرآن ولانا كلوا مما لم يحرّم الله عليه ثم نسخها الرب ورحم المسلمين فقال اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين (١١٩) أوتوا الكتاب حل لكم ففسخها بذلك وأحل

كذا رواه ابن جرير عن محمد بن عبد الأعلى وسفيان بن وكيع كلاهما عن عمران بن عتبة ورواه الزارع عن محمد بن موسى الحرشي عن عمران بن عتبة وهذا فيه نظر من وجوه ثلاثة أحدها أن اليهود لا يرون بأجحة المسحوق في محادلوها الثاني أن الأمة من الأنعام وهي مكة الثالث أن هذا الحديث رواه الترمذي عن محمد بن موسى الحرشي عن زياد بن عبد الله البكائي عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن سباع بن عمار ورواه الترمذي بإسناد آخر في الذي صلى الله عليه وسلم وقال حسن غريب وقال الطبراني حديثا سعيد بن جبير عن سباع بن عمار ورواه الترمذي بإسناد آخر في الذي صلى الله عليه وسلم وقال حسن غريب وقال الطبراني حديثا علي بن المبارك حديثا زياد بن المبارك حديثا (١٢٠) موسى بن عبد العزيز حديثا الحكم بن أبيان عن عكرمة عن ابن عباس

أولا الامر الاعم وهو المؤمن أى نوع كان ثم ذكر الغيران التى يحتفى فيها فى أعلى الاماكن
وهى الجبال ثم الاماكن التى يحتفى فيها الاكن السافله رضى السروب وهى التى غير
غنىها المدخل والمعنى او وجدوا أمكنة يعسبون فيها أشخاصهم هربا منكم (أو مدخلا) من
الدخول أى مكانا يدخلون فيه من الأمكنة التى ليست مغارات قال ابن عباس المدخل
السرب كنفق البروع وقال الحسن وجهها داخلوه على خلاف رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم (ولو الله) أى لا التجأ اليه وأدخلوا أنفسهم فيه وقيل المعنى لو كانوا يجدون مهربا
لهربوا إليه وأقوما يأمنون عندهم على أنفسهم اصاروا اليهم ولقار قومك (وهم يجمعون)
أى والحال انهم يسرعون اسرا على ذلك المكان لا يردهم شئ من حرج القربى راكبه
يجمع اذا لم يردده اللجام واستغضى عليه حتى غلبه فهو جرح وجام يستوى فيه المذكر
والمؤنث وحاصل المعنى لو وجدوا شأنا من هذه الاشياء المذكورة وهى شر الامكنة
وأضيقها (ولو الله) أى هربا من المسلمين لشدة بغضهم اياهم تسرا عنهم واستكراها
لرؤيتهم (ومنهم من يلزك) هذا ذكر نوع آخر من قبائحهم واللعن معنى العيب كما قال
الخصاس والجوهرى يقال لمرء يلهز اذا عابه وأصله الاشارة بالعين ونحوها ورجل لماز ولزته
أى عيبا فهو أو لا واما اللعز فهو خاص بكونه على وجه العيب وقال الزجاج لزت الرجل
الاستنقص أولا واما اللعز فهو خاص بكونه على وجه العيب وقال ابن جرير
المرء الملهز بكسر الميم وضعها اذا عيبه وكذا همزته وروى عن مجاهد انه قال معنى يلزك
يرزوك ويسالك والقول عند أهل اللغة هو الأول وقال الأزهري أصله الدفع يقال يلزك
أى دفعته وقال اللب هو الغمز فى الوجه ومنه همز لمرء أى كثير هذين الفعلين وقرى يلزك
بكسر العين مع التشديد وضعها وهما لغتان فى المضارع ومعنى الآية ومن المنافقين من
يعيبك (فى الصدقات) أى الزكوات والغنائم وتفرقها وقسمتها (فان أعطوا منها) أى
من الصدقات بقدر ما يريدون (رضوا) بما وقع من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
يعيبوه وذلك لانه لا مقصد لهم الاحطام الدنيا وليسوا من الدين فى شئ (وان لم يعطوا منها
ما يريدوه يطلبونه (أذا هم ينخطون) أى فاجروا السخط وفائدة اذا الفجائية
الشرطية فبأنى الجزاء وما هاجم عليه (ولو انهم رضوا) أى ما تأمروا الله ورسوله أى ما فرغ
الله لهم وقسمه وما أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الصدقات وقيل ذ

عن ابن عباس أن الذي قتلتم ذكر

بسم الله عليه وإن الذي قد مات لم يذكر اسم الله عليه. وقال ابن جرير قال عمرو بن دينار عن عكرمة
أن مشركي قريش كتبوا فارص على الرثم وكان بينهم فارس فكتبت فارس اليهم أن محمدا وأصحابه يزعمون أنهم تبعون أضر الله
ذبح الله يسكن من ذهب فلا يأكلونه وماذا نجوههم يأكلونه فكذب ذلك المشركون إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فوقع في أنفسهم ناس من المسلمين من ذلك شيء فأبزل الله وانه ليقضي وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم وطاعة المشركين لا تجزى
من الدين ليحادلوهما وأن أطعوه وهم لن لنسركون وقرأت موسى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا وقال السدي في تفسيره

هذه الآية ان المشركين قالوا للمسلمين كيف تزعمون انكم تتعون مرضات الله فقتل الله فلانا كما لو انه ما ذبحتم انتم كما لو انه فقال الله تعالى ان اطعموهم في كل الميتة انكم لمشركون وهكذا قاله مجاهد والضحال وغير واحد من علماء السلف وقوله تعالى وان اطعموهم انكم لمشركون أي حيث عدايتهم عن أمر الله لكم وشريعته على غيره فقد تمت عليه غيره فهذا هو الشر كما قوله تعالى اتخذوا أجبازهم ورهبانهم أربابا من دون الله الآية وقد روى الترمذي في تفسيره ما عن عدي بن حاتم انه قال يا رسول الله ما عبدوهم فقال انهم أحباؤهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فاتبعوهم (١٢١) فذلك عبادتهم إياهم (أومن كان سينا

فأحببناه وجعلناه نوراً يمشي به في

الناس كمن مشله في الظلمات ليس

ببخار من جهنم كذلك زين للكافرين

ما كانوا يعملون هذا مثل ضربه

الله تعالى للمؤمن الذي كان

ميتاً فأحييناه وجعلناه في الضلالة

هالكة كما حاروا فأحيانا الله أي

أحيى قلبه بالآيمان وهدايته

ووقفه لا يتابع رسوله وجعلناه نوراً

يمشي به في الناس أي يهتدي كيف

يسلك وكيف يتصرف والنور هو

القرآن كما رواه العوفي وابن أبي

طلحة عن ابن عباس وقال السدي

الاسلام والكل صحيح كمن مشله في

الظلمات أي الجهالات والاهواء

والضلالات المتفرقة ليس بخارج

منها أي لا يهتدي الى منفذ

ولا يخلص مما هو فيه كما قال تعالى

الذين آمنوا ينجيهم من

الظلمات الى النور والذين كفروا

أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من

النور الى الظلمات وأولئك أصحاب

النار هم فيها خالدون وقال تعالى أفمن

يمشي مكبراً على وجهه أهدى أم من

يمشي سوا على صراط مستقيم

وقال تعالى مثل الفريقين كلاً يعصى

الله للتعظيم والتبعية على ان مافعله الرسول كان بأمره تعالى والاصل ما آتاهم الرسول وجواب لو محذوف أي لكان خير الهم فان فيما أعطاهم الخير العاجل والاجل (وقالوا) عند أن أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما هو لهم (حسبنا) أي كفانا (الله سيؤتيهنا) أي سيعطينا (الله من فضله) يعطينا (رسوله) بعده هذا ما ترجموه ونوخله (أنا إلى الله راغبون) فهذا ان الجملتان كالشرح لقوله لهم حسبنا الله فلذلك لم يعاطفا لانهما كالشيء الواحد ففسدة الاتصال منعت العطف قاله الكرخي وقد أخرج البخاري والنسائي وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقسم قسماً أجزأه ابن ذى النور بصرة التيمي فقال أعدل يا رسول الله فقال ويحك ومن يعدل إذ لم أعدل فقال عمر بن الخطاب أئذن لي فأضرب عتقه فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعه فان له أحبا بما يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم عرقون من الدين كما عرق السهم من الرمية الحديث حتى قال وفيهم نزلت هذه الآية وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال ما قسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم غنائم حنين سمعت رجلاً يقول ان هذه القسمة ما أريد بها الله فأتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذكر ذلك له فقال رحمة الله على موسى قد أؤذى بأكثر من هذا فصبر ونزل بعض هذه الآية (أما الصدقات للفقراء والمساكين) لما لمز المنافقون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قسمة الصدقات بين الله لهم مصرفها دفعها عنهم وقطعها عنهم وأما من صيغ القصر وتعرّف الصدقات للجنس أي جنس هذه الصدقات مقصورة على هذه الاصناف الثمانية المذكورة لا يتجاوزها بل هي لهم لا لغيرهم ولا تعلق لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشيء منها ولم يأخذ لنفسه منها شيئاً وقد اختلف العلماء هل يجب تقسيم الصدقات على هذه الاصناف الثمانية أو يجوز صرفها الى البعض دون البعض على حسب ما يراه الامام وصاحب الصدقة فذهب الى الاول حذيفة والشافعي ومجاعة من أهل العلم وذهب الى الثاني مالك وأبو حنيفة وفيه قال عمرو وحذيفة وابن عباس وأبو العالى وسعيد بن جبيرة وميمون بن مهران قال ابن جرير وهو قول عامة أهل العلم احتج الاولون بما في الآية من القصر ويحدث زياد بن الحرث الصدائي عند أبي داود والدارقطني قال أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فباعتته فأني

(١٦ - فتح البيان ح) والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلاً أقلات ذكروا وقال تعالى وما يستوى الا عبي

والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الخرو وروى ما يستوى الاحياء ولا الاموات ان الله يسمع من يشاء ما أنت تسمع من

في القبور وان أنت الانذير والايات في هذا كثيرة ووجه المناسبة في ضرب المثليين ههنا بالنور والظلمات ما تقدم في أول السورة

وجعل الظلمات والنور وزعمهم أن المراد بهذا المثل رجلاً معيناً فقيل عن الخطاب هو الذي كان ميتاً فأحيانا الله

الله وجعل له نوراً يمشي به في الناس وقيل عمار بن ياسر وأما الذي في الظلمات ليس بخارج منها أي يوجهل عمرو بن هشام لعنسه الله

والصحيح ان الآية عامة يدخل فيها كل مؤمن وكافر وقوله تعالى كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون أى حسنا لهم ما كانوا فيه من الجاهل والضلالة قدر اس الله وحكمه بالغة لاله الا هو وفي المسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله خلق خلقه في ظلمة ورش عليهم من نور فمن أصاب ذلك النور اغشى ومن أخطأ ضل بكما قال تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور وكقوله وما يستوى الاعمي والبصير ولا الظلمات ولا النور (وكذلك جعلنا في كل قرية آية كابر يحرمها المبكر وأفياها وما يذكرون الان انفسهم وما يشعرون وإذا جاءهم آية قالوا لنؤمن حتى (١٢٢) نؤتى مثل ما أوتى رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين أجرموا

صغار عند الله وعذاب شديد
كانوا يكفرون) يقول تعالى
كاجعلنا في قرية يكافئهم
الجرمين ورؤساء دعاة الى الكفر
الصدى سيد الله والى مخالفتك
وعداوتك كذلك كانت الرسل
من قبلك يتلون بذلك ثم تكون لهم
العاقبة كما قال تعالى وكذلك جعلنا
لكل نبي عدوانا من الجرمين الآية
وقال تعالى واذا اردنا ان نموت
امرنا ثم فارقنا ففسدوا فيها الآية
قيل معناه امرناهم بالطاعة
فخالفوا فدمرناهم وقيل امرناهم
امر اقدريا كما قال هذالك ليكرها فيها
وقوله تعالى كابر مجرميها ليكروا
فيها قال ابن ابي طلحة عن ابن
عباس كابر مجرميها ليكروا فيها
قال سبطنا شرارهم ففعلوا فيها
فاذا فعلوا ذلك اهلكناهم بالعذاب
وقال مجاهد وقادة كابر مجرميها
عظماؤها وقلت هذا كقوله تعالى
وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال
متروفا انما ارسلنا به كافرين
وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا
وما نحن بمعذبين وقال تعالى وكذلك
ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير

الاقال متروفا وان وجدنا آية ناعلى أمموا ناعلى آثارهم مقتدون والمراد بالمكر ههنا دعاؤهم الى الضلالة
بخراف من المبالا والضعف كقوله تعالى اخبارا عن قوم نوح ومكر وامكرا بكارا وكقوله تعالى ولوترى اذ الظالمون موقوفون
عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا الذين استكبروا ولولا انكم لكاثمومنين قال الذين استكبروا والذين
استضعفوا ان نحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا الذين استكبروا ابل مكر الليل والنهار
اذ نأمر وتأن نكفر بالله ونجعل له اذلالا يقول ان اى حاتم حدثنا اى حدثنا ابن اى عمر حدثنا سفيان قال قال كل مكفر القرآن

فهو عمل وقوله تعالى وما ينكرون الا بانفسهم وما يشعرون أي وما يدعوا وبال مكرهم ذلك واضلا لهم من آية قال تعالى ولعلهم انفسا لهم واثقالا لهم وقال ومن أوزار الذين يضاهونهم بغير علم الا سلاما يرون وقوله آية قالوا لنؤمن حتى تأتي مثل ما أتى رسول الله أي اذا جاءتهم آية وبرهان رجحة قاطعة قالوا لنؤمن حتى تأتي رسول الله أي حتى تأتي الملائكة من الله بالرسالة كما تأتي الى الرسل كقوله جل وعلا وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة أو نرى ربنا الآية وقوله الله أعلم حيث يجعل رسالته أي هو أعلم (١٢٣) حيث يضع رسالته ومن يصلح لهما من خلقه كقوله تعالى وقالوا لولا انزل هذا

القرآن على رجل من القريتين عظيم أنهم يقسمون رجعة ربك الآية يهتفون لولا انزل هذا القرآن على رجل عظيم كبير جليل محل في أعينهم من القريتين أي مكة والطائف وذلك أنهم فقههم الله كانوا يزدرون بالرسول صاوات الله وسلامه عليه بغيا وحسدا وعتادا واستكبارا كقوله تعالى مخبرا عنه وما ذاركم الذين كفروا ان يتخذوا لكم الاهزا وأهذ الذي يذكر آلهتكم وههنا كرا لرجلهم كفرون وقال تعالى واذا رآوا لولا ان يتخذوا الاهزا أهذا الذي بعث الله رسولا وقال تعالى ولقد اسئزى برسلك قبلك خفايا الذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون هذا وهم معترفون بفضله وشرفه ونسبه وطهارة بيته ومهابة ومنشئه صلى الله عليه وسلم لا كنهه والمؤمنون عليه حتى انهم كانوا يسعون به بينهم قبل ان يوحى اليه الامين وقد اعدت بذكره رئيس الكفار ابوسفيان حين سأله هرقل ملك الروم وكيف نسبه فيكم قال هو قبيحاذونب قال هبل كنهتموه بونه بالكتب قبل ان يقول ما قال

أي السعادة والنجاة الذين يبعثهم الامام لتحصيل الزكاة فانهم يستحقون منها قسطا واختلف في القدر الذي يأخذونه منها فقيل الثمن روى ذلك عن جهاهد والشافعي وقيل على قدر أعمالهم من الاجرة روى ذلك عن أبي حنيفة وأصحابه وقيل يعطون من بيت المال قدر أجرتهم روى ذلك عن مالك ولا وجه لهذا فان الله قد أجبر بأن لهم نصيبا من الصدقة فكيف ينعون منها ويعطون من غيرها واختلقوا هل يجوز أن يكون العامل هاشميا لا من نفسه قوم وأجازه آخرون قالوا ويعطى من غير الصدقة ولا ينحصر العامل في النسابة والجنابي اذ منه القاسم والكاتب الذي يكتب ما أعطاه أبواب الاموال والخاص الذي يجمع المستحقين والعريف والخاص (والمؤلفة قلوبهم) هم قوم كانوا في صدر الاسلام فقيل لهم الكفار الذين كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتألفهم ليملأوا كفو الايدى خول في الاسلام بالقهر والسيف بل بالعطاء وقيل هم أسلوا في الظاهر ولم يحسن اسلامهم فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتألفهم بالعطاء وقيل هم من أسلم من اليهود والنصارى وقيل هم قوم من عظماء المشركين لهم أرباع أعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم ليؤلفوا أتباعهم على الاسلام وقد أعطى النبي صلى الله عليه وآله وسلم جماعة ممن أسلم ظاهرا كابي سفيان ابن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وحويط بن عبد العزى أعطى كل واحد منهم مائة من الابل يؤلفهم بذلك وأعطى آخرين دونهم وقد اختلف العلماء هل هم المؤلفة قلوبهم باق بعد ظهور الاسلام أم لا فقال عمر والحسن والشعبي قد انقطع هذا الصنف بعزة الاسلام وظهوره وهذا مشهور ومن مذهب مالك وأصحاب الرأي وقد ادعى بعض الخنفسية ان الصحابة أجعت على ذلك وقد صار اليه الروايات وجماعة وقال جماعة من العلماء منهم الشافعي وهو الموافق لظاهر الآية انهم مذهب باق لان الامام ربما احتاج ان يؤلف على الاسلام وانما قطعهم عمر لما رأى من اعزاز الدين وبه أفتى الماوردي في كتابه الاحكام السلطانية قال يونس سألت الزهري عنهم فقال لا أعلم نسخ ذلك وعلى القول الاول يرجع سماعهم اسائر الاصناف ومن المؤلفة قلوبهم كفار يخاف شرهم بحيث لو أعطوا انكسر شرهم وهذا لا يعطى من زكاة ولا من غيرها باتفاق ومنهم من يذهب عن المسلمين ومنهم من يقاتل من يلهم ويجاوزهم من مافي الزكاة ويقتصرز كلهم فتخلص ان المؤلفة أقسام وفي هذه الاقسام أقوال اذ ذكرها في الجبل (وفي الرقاب) أي مصروفة

قال لا الحديث بطوله الذي استدلل به مالك الروم بظاهرة صفاته عليه السلام على صدقه ونبوته وحقه ما جاء به وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن مصعب حدثنا الاوزاعي عن شداد أبي عمار وعن واثل بن الاسقع رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى من بني اسمعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاي من بني هاشم انقرضاخر اجمعه مسلم من حديث الاوزاعي وهو عبد الرحمن بن عمرو امام أهل الشام به نحوه وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت من خير قرون بني آدم قريش فرائح حتى بعثت من القرن

الذي كنت فيه وقال الامام اجد حدثنا ابو نعيم عن سفيان عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحر بن نوفل عن المطلب بن أبي
وداعة قال قال العباس بلغه صلى الله عليه وسلم بعض ما يقول الناس فصعد المنبر فقال من أنا قالوا أنت رسول الله قال أنا محمد بن
عبد الله بن عبد المطلب ان الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه وجعلهم فريقين فجعلني في خير فرقة وخلق القبائل فجعلني في خير
قبيلة وجعلهم بيتا فجعلني في خيرهم بيتا فانا خيركم بيتا وخيركم نفسا صدق صلوات الله وسلامه عليه وفي الحديث ايضا المروى
عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله (١٢٤) صلى الله عليه وسلم قال لي جبريل قليت الارض شارقها ومغاريها فلم

أجدني أب أفضل من هاشم رواه
الحاكم والبيهقي وقال الامام أحمد
حدثنا ابو بكر حدثنا عاصم عن زر
ابن جبير عن عبد الله بن مسعود
قال ان الله انظر في قلوب العباد
فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم
خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه
فبعثه برسالة ثم نظر في قلوب العباد
بعد قلب محمد صلى الله عليه وسلم
فوجد قلب أبي حنيفة خيرة قلوب العباد
بفعلهم ووزراء نبيه يقاتلون على
دينه فزاره المسلمون حسنا فهو
عند الله حسن وماراه المسلمون ساء
فهو عند الله سيئ وذكر ابن أبي حاتم
في تفسير هذه الآية ذكر عن
محمد بن منصور الجواليقي حدثنا
سفيان عن ابن أبي حاتم قال
أبصر رجل ابن عباس وهو داخل
من باب المسجد فلما نظر إليه رآه
فقال من هذا قالوا ابن عباس ابن عم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
الله أعلم حيث يجعل رسالته وقوله
تعالى سيصيب الذين أجرموا صغار
عند الله وعذاب شديد الآية هذا
وعيد شديد من الله وتهديد
أكيد لمن تكبر عن اتباع رساله

في فكها بان يشتري رقابا ثم يعتقه هاروي ذلك عن ابن عباس وابن عمر وبه قال مالك وأحمد
ابن حنبل واسحق وأبو عبيد وقال الحسن البصري ومقاتل بن حيان وعمر بن عبد العزيز
وسعد بن جبير والنخعي والزهري وابن زيد انهم المكاتبون يعاونون من الصدقة على مال
الكاتب وهو قول الشافعي وأكثر الفقهاء وأصحاب الرأي ورواية عن مالك وبه قال سعيد
ابن جبير والضحك والزهري والليث ويدل عليه أيضا قوله تعالى وأتوهم من مال الله
الذي آتاكم والاولى جل ما في الآية على القوانين جيعا لصدق الرقاب على شراء العبد
واعتاقه وعلى اعانة المكاتب على مال الكاتب (والغرامين) هم الذين زكبتهم الديون ولا وفاة
عندهم بها ولا خلاف في ذلك الا من زمه دين في سفاهة فانه لا يعطى منها ولا من غيرها
الا ان يتوب وقد أعان النبي صلى الله عليه وسلم من الصدقة من تحمل جملة وأرشد إلى
اعانته منها وقال السيوطي ولا صلاح ذات البني ولو أغنيت اذا استدأفوا ذلك وأصل الغرم
في اللغة تلمز ومما شق على النفس ومسمى الدين غرما لكونه شاقا على الانسان ومنه قيل
للعشق غرام ويعبر به عن الهلاك في قوله تعالى ان عذابها كان غراما وغرامة المال فيه
مشقة عظيمة (وفي سبيل الله) هم الغزاة والمرابطون يعطون من الصدقة ما ينفعون في
غزوهم ومهراتهم وان كانوا أغنياء وهذا قول أكثر العلماء وقال ابن عمر هم المحتاج
والعمار وروى عن أحمد واسحق انهم ماجة لا الحج من سبيل الله وقال أبو حنيفة
وصاحبه لا يعطى الغزاة الا اذا كان فقيرا منقطعاه وقيل ان الانظ عام فلا يجوز قصره
على نوع خاص ويدخل فيه جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الجسور والحصون
ومجارة المساجد وغير ذلك والاول أولى لاجماع الجمهور وعليه (وابن السبيل) هو المافر
والسبيل الطريق ونسب اليها المسافر لزامته ايها والمراد الذي انقطعت به الاسباب
في سفره عن بلده ومستره فانه يعطى منها وان كان غنيا في بلده وان وجد من يسلفه
وقال مالك اذا وجد من يسلفه فلا يعطى وقال قتادة هو الضيف وقال فقهاء العراق هو
الحاج المنقطع في سفره والاول أولى أخرج ابن أبي شيبة وأبو داود وابن ماجه وابن المنذر
وابن مريويه عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تحل
الصدقة لغني الانجسة العامل عليها والرجل اشتراها بما له أو غارم أو غان في سبيل الله أو
مسكين تصدق عليه فأهدى منها الغني وأخرج ابن أبي شيبة وأبو داود والنسائي عن

والانقياد لهم فيما جاؤا به فانه سيصيبه يوم القيامة بين يدي الله صغار وهو الذلة الدائمة كما انهم استكبروا واقامهم عبد
ذلك ذلا بالذلة يوم القيامة لما استكبروا في الدنيا كقوله تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين أي
صاغرين ذليلا بن حقييرين وقوله تعالى وعذاب شديد كما كانوا يمجرون لما كان المكركبا غالبا انما يكون خفيا وهو التلطف في التحيل
والخدعة فقولوا بالعذاب الشديد من الله يوم القيامة جزاء عاقلا ولا ينظم ربك أحدا كما قال تعالى يوم تبلى السرائر أي تظهر
المستورات والمكذوبات والظلمات وجاء في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ينصب لكل غادر لواء عند استه يوم

القيامه فيقال هذه غدرة فلان بن فلان والحكمة في هذا انه لما كان الغدر خفيا لا يطلع عليه الناس في يوم القيامه بصير علماء مشورا على صاحبه بما فعل (فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضلّه يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء) كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون يقول تعالى في يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام أي يسره له وينشطه ويسهل لذلك فهذه علامات على الخير كقوله تعالى أفن شرح الله (١٢٥) صدره للاسلام فهو على نور من ربه

الآية وقال تعالى ولكن الله حبيب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وذكركم انكم الكفروا الفسوق والعصيان أولئك هم الراسدون وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله في يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام يقول تعالى يوسع قلبه للتوحيد والايان به وكذا قال أبو مالك وغير واحد وهو ظاهر وقال عبد الرزاق أخبرنا الثوري عن عمرو بن قيس عن عمرو بن مرة عن أبي جعفر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي المؤمنون أكيس قال أكثرهم ذكر الموت وأكثرهم لمبايعته استعددا قال وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية في يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام قالوا كيف يشرح صدره يا رسول الله قال نور يقذف فيه فيشرح له وينفتح قالوا فهل لذلك من أمارات يعرف بها قال الآية الى دار الخسار والنجاة عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقاء الموت وقال ابن جرير حدثنا هناد حدثنا قبيصة عن سفيان يعني الثوري

عبد الله بن عدي بن الخير قال أخبرني رجلان انهما أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وهو يقسم الصدقة فسألاه منها فرفع فينا البصر وخفضه فمرا تأجلدين فقال ان شئتما أعطيتكما ولا حظ في الغنى ولا لقوى مكتسب (فريضة من الله) مصدر مؤ كذلان قوله انما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات لهم والمغني ان كون الصدقات مقصورة على هذه الاصناف هو حكم لازم فرضه الله على عباده ونهاهم عن مجاوزته وقيل انما حال من الفقراء قاله الكرماني وأبو البقاء أي كأنه لهم حال كونها فريضة أي مصروفة وهي بمعنى مفروضة أو صدرت موقوع الحال قال في الكشاف فان قال لم عدل عن اللام الى في الاربعة الاخرى قلت للايدان بانها أرسخ في استحقاق انصدق عليهم من سبق ذكره وقبل التكة في العدول ان الاصناف الاربعة الاول يصرف المال اليهم حتى يتصرفوا به كما شأوا وفي الاربعة الاخيرة لا يصرف المال اليهم بل يصرف الى جهات الحاجات المعتمدة في الصدقات التي لا تجلها استحقاق اسمهم الزكاة والله عليم بمصالح عباده (حكيم) فبما فرض لهم لا يدخل في تدبيره وحكمه نقص ولا خلل قال السيوطي فلا يجوز صرفها لغير هؤلاء ولا يمنع منصف منهم اذا وجد في قسمها الامام عليهم على السواء وله تفضيل بعض أحاد الصنف على بعض وأفادت اللام وجوب استغراق افرادها وهو ظاهر الآية وقال الرازي دلالة في الآية على قول الشافعي في انه لا بد من صرفها الى الاصناف وقد أشار الى ذلك القاضي ورد عليه بعض الشيوخ وقال ظاهر الآية يؤيد قوله وتعام المحب في الجبل (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن) هذا نوع آخر مما حكاه الله من فضائح المنافقين وقبائحهم وذلك انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وآله وسلم على وجه الطعن والذم هو أذن قال الجوهري يقال رجل أذن اذا كان يسمع مقال كل أحد يستوى فيه الواحد والجمع ومرادهم أقامهم الله انهم اذا أدوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بسطوا فيه ألسنتهم وبلغوه ذلك اعتدوا له وقبل ذلك منهم لانه يسمع كل ما يقال له في صدقه وانما أطلقت العرب على من يسمع ما يقال له في صدقه انه أذن مباغاة لانهم معوهة بالخارجة التي هي آلة السماع حتى كأن جملته أذن سامعة وتطير قولهم للريشة أي الطليعة عين وفي اطلاق الاذن عليه مجاز مرسل من اطلاق اسم الجزء على الكل للمباغاة في استماعها واذا وهم له هو قولهم أذن لانهم نسبوه الى أنه يصدق كلما يقال له

عن عمرو بن مرة عن رجل يكنى أبا جعفر كان يسكن المدائن قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى في يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو ادريس عن الحسن بن القرات القزاعي عن عمرو بن مرة عن أبي جعفر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل الايمان القلب انفسح له القالب وانشرح قالوا يا رسول الله هل لذلك من أمارات قال نعم الآية الى دار الخلود والتجاني عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل الموت وقدرناه ابن جرير عن سوار بن عبد الله الغبيري حدثنا المعتمر بن

سليمان سمعت أبي يحدث عن عبد الله بن مرة عن عبد الله بن المسور قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآيات في برد الله
 إن يهديه بشر صدره للإسلام قالوا يا رسول الله ما هذا الشرح قال فور قد قذف به في القلب قالوا يا رسول الله فهل ذلك من إمامة
 قال نعم قالوا وما هي قال الآية التي دار الخلود الجاني عن دار الغرور والاستعداد للموت قال ابن جرير أيضا حدثني
 هلال بن العلاء حدثنا سعيد بن عبد الملك بن واقد حدثنا محمد بن مسلم عن أبي عبد الرحمن عن زيد بن أبي أيسبة عن عمرو بن مرة
 عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل التوراة القلب التسمع وانشرح

قالوا فهل ذلك من علامة يعرف بها
 قال الآية التي دار الخلود والتجنى
 عن دار الغرور والاستعداد للموت
 قبل لفي الموت وقدر واه من وجهه
 آخر عن ابن مسعود متصل ما فوجا
 فقال حدثني ابن سنان القزاز
 حدثنا محبوب بن الحسن الهاشمي
 عن يونس بن عبد الرحمن بن عبيد
 الله بن عتبة عن عبد الله بن مسعود
 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال في برد الله إن يهديه بشر
 صدره للإسلام قالوا يا رسول الله
 وكف بشر صدره قال يدخل
 فيه التور فيمنفص قالوا وهل لذلك
 علامة يا رسول الله قال الجاني عن
 دار الغرور والآية التي دار الخلود
 والاستعداد للموت قبل أن ينزل
 الموت فهذه طرق لهذا الحديث من سنة
 ومثله يشهد بعضها بعضا والله أعلم
 وقوله تعالى ومن برد أن يضل به يجعل
 صدره ضيقا حرقى يفتح الضاد
 وتسكين الباء والاكثر من ضيقا
 يشديد الباء وكسرهما معا الغتان
 كهين وهين وقرأ بعضهم حرقا يفتح
 الحاء وكسر الراء قيل بمعنى أتم وقال
 السدي وقيل بمعنى القراءة الأخرى

ولا يفرق بين الصحيح والباطل اغترارهم بحمله عنهم وصفيحه عن جناباتهم كرموا حليا
 وتغاضيا ثم أجاب الله عن قولهم هذا فقال (قل) هو (أذن خير) بالإضافة وقرئ التووين
 كأنه قبل نعم هو أذن ولكن نعم الأذن هو لكونه أذن خير (لكم) وليس بأذن في غير ذلك
 كقولهم رجل صدق يريدون الجودة والصلاح والمعنى أنه يسمع الخير ولا يسمع الشر
 (يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين) أي يصدق بالله ويصدق المؤمنين لما علم فيهم من خلوص
 الايمان ويقبل قولهم ويسلم ويرضى لهم ولا يقبل قول المنافقين واللام زائدة للفرق بين
 ايمان الأمان من الخلود في النار وهو الايمان المقابل للكفر وحقه ان يعدي بالباء وبين
 ايمان التسليم والتصديق فانه يعدي باللام وان كان حقه ان يعدي بنفسه كالتصديق وهذا
 موافق لكثير من الآيات كقوله وما أنت بمؤمن لنا قوله أن يؤمنوا بكم وقوله أنؤمن لك
 وأما قوله آمنتم له قبل أن أذن لكم وقوله آمنتم به فسترك الدلالة بين الايمان بموسى
 والايمان بالله لان من آمن بموسى حقيقة آمن بالله كعكسه (ورجعة) أي وانه رجعة لهم
 وقرئ رجعة بالخفض واستبعد الخصام عند أهل العربية والمعنى ان النبي صلى الله عليه
 وآله وسلم أذن خير للمنافقين ورجعة لهم حيث لم يكشف أسرارهم ولم يهلك أسرارهم
 ولا يفتحهم فكانت قال هو أذن كما قبلتم لكنه أذن خير لكم لا أذن سوف فسلم لهم قولهم فيه
 الا انه فسر بما هو مدح له وثناء عليه وان كانوا قاصدا وبه المذمة والتقصير بقطعة (لذين
 آمنوا منكم) أي أظهروا الايمان وان لم يكونوا مؤمنين حقيقة (والذين يؤذون رسول الله)
 صلى الله عليه وآله وسلم لما تقدم من قولهم هو أذن ونحو ذلك مما يصدق عليه انه أذبه
 لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (لهم عذاب أليم) أي شديد الألم عن ابن عباس قال
 كان نبل بن الحرث يأتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيجلس اليه ويسمع منه ثم
 ينقل حديثه الى المنافقين وهو الذي قال لهم انما محمد أذن من جدته بشئ صدقه فأرسل
 الله فيه هذه الآية وعن عمر بن سعد قال في أنزلت هذه الآية وذلك ان عنرا كان يسمع
 أحاديث أهل المدينة فيأتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيساره حتى كانوا يأذون
 بعمر بن سعد وكهوا بمجالسته وقالوا هو أذن فأرسلت فيه (يخلفون بالله لكم ليرضوكم)
 انطاب للمؤمنين وذلك ان المنافقين كانوا في خلواتهم يطعنون على المؤمنين وعلى النبي

صلى
 حرقا يفتح الحاء والراء وهو الذي لا يتسع لشيء من الهدى ولا يخلص اليه شيء مما يتقعد من الايمان
 ولا يتغذ فيه وقد سأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا من الاعراب من أهل البادية عن مدخل عن الحريضة فقال هي الشجرة
 تكون بين الاشجار لاتصل الهاراعية ولا وحشية ولا شئ فقال عمر رضى الله عنه كذلك قلب المنافق لا يصل اليه شئ من الخير
 وقال العوفي عن ابن عباس يجعل الله عليه السلام ضيقا واسيع وذلك حين يقول وما جعل عليكم في الدين من حرج يقول
 ما جعل عليكم في الاسلام من ضيق وقال مجاهد والسدي ضيقا حاشا كما قال عطاء الخراساني ضيقا حاشا ليس الخبر فيه

منفذ وقال ابن المبارك عن ابن جريح ضيقا حباله الا الله حتى لا يستطيع أن تدخل قلبه كأنما يصعد في السماء من شدته ذلك عليه وقال سعيد بن جبير يجعل صدره ضيقا حبالا لا يجده فيه مسلكا ولا مصعدا وقال السدي كأنما يصعد في السماء من ضيق صدره وقال عطاء الخراساني كأنما يصعد في السماء يقول مثله كمثل الذي لا يستطيع أن يصعد الى السماء وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس كأنما يصعد في السماء يقول فكما لا يستطيع ابن آدم أن يبلغ السماء فكذلك لا يستطيع أن يدخل التوحيد والايان قلبه حتى يدخله الله (١٢٧) في قلبه وقال الاوزاعي كأنما يصعد في

السماء كيف يستطيع من جعل الله صدره مثبا أن يكون مسلما وقال الامام أبو جعفر بن جريح وهذا مثل ضربه الله لقلب هذا الكافر في شدة ضيقه عن وصول الايمان اليه يقول فخله في امتناعه عن قبول الايمان وضيقه عن وصوله اليه مثل امتناعه عن الصعود الى السماء وعجزه عنه لانه ليس في وسعه وطاقته وقال في قوله كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون يقول كما يجعل الله صدر من أراد ضلاله ضيقا حبالا كذلك يسلط الله الشيطان عليه وعلى أمثاله فمن أبي الايمان بالله ورسوله فغوه ويصده عن سبيل الله وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس الرجس الشيطان وقال مجاهد الرجس كل ما لا خيرة فيه وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم الرجس العذاب (وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون) لما ذكر تعالى طريق الرضائي عن سبيله الصادق عنه عليه السلام

صلى الله عليه وآله وسلم فإذا بلغ ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإلى المؤمنين جاء المنافقون فخلفوا على أنهم لم يقولوا ما بلغ عنهم فاصدين بهذه الايمان الكاذبة أن رضوا رسول الله ومن معه من المؤمنين فنعى الله ذلك عليهم فقال (والله ورسوله أحق أن يرضوه) من ارضاء المؤمنين بالايان الكاذبة فانهم لو اتقوا الله وتركوا التناق لكان ذلك أولى لهم وافراد الضعيف يرضوه ما لم تعظم الجبابرة بالهوى بافراده بالذكور ولو كانت لافرق بين ارضاء الله وارضاء رسوله فأرضاء الله ارضاء لرسوله والمراد الله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك كما قال سيدي به وريحه الخاسر أولان الضعيف موضوع موضع الاشارة فانه يشار به الى الواحد والمتعدد والضعيف راجع الى المذكور وهو يصدق عليهما وقال القراء المعنى ورسوله أحق أن يرضوه والله افتتح كلامه بقوله ما شاء الله وشئت وجواب (ان كانوا مؤمنين) محذوف أي فليرضوا الله ورسوله فانهما أحق بالارضاء ولا يكون ذلك الا بالطاعة والتبعية وايضا الحقوق في باب الاجلال والاعظام مشهدا ومغيبا (لم يعلموا) أي أولئك المنافقون والاستهزاء لهم للتوبيخ على ما أقدموا عليه من الجريمة العظيمة مع علمهم بسوء عاقبتها أي لم يعلموا بما ساءهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من فنون القوارع والاندازات وقرى بالناء على الانتفاذ لزيادة التوبيخ والتوبيخ قال الخازن قال أهل المعاني لم يعلم خطاب لمن علم شيئا ثم نسيه أو أنكره فيقال له لم تعلم انه كان كذا وكذا وما طال مكث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين ظهر المؤمنين والمنافقين وعلمهم من أحكام الدين ما يحتاجون اليه مخاطب المنافقين؛ وله لم تعلموا يعني من شرائع الدين التي علمهم رسولنا (أنهم من يخاد الله) أي يخالفه (و) يخاصم (رسوله) وأصل المخادعة في اللغة وقوع هذا في حدود ذلك في حد كما شاققة يقال حاد فلان فلا نأى صار في حد غير حده وكان كل واحد من المتخاصمين صار في محل غير محل صاحبه (فان له) أي حق ان له وقال الاخفش المعنى فوجوب النار وانكره المبرد وقال هذا خطأ (نار جهنم) جزء (خالدا فيها) على الدوام (ذلك) أي ما ذكر من العذاب (انخرى العظيم) أي البالغ الى الغاية التي لا يبلغ اليها غيره وهو الذل والهوان (يحذروا المنافقون أن تنزل عليهم سورة) قيل هو خبر وليس بأمر وقال الزجاج معناه ليحذروا المعنى على الاول ان المنافقين كانوا يحذرون نزول القرآن فيهم خوفا من الفضيحة وعلى الثاني الامر لهم بأن يحذروا ذلك ومعنى عليهم

أشرف ما أرسل به رسوله من الهدى ودين الحق فقال تعالى وهذا صراط ربك مستقيما منصوب على الحال أي هذا الدين الذي شرعناه لك يا محمد بما أوحينا إليك هذا القرآن هو صراط الله المستقيم كما تقدم في حديث الخبر عن علي في نعمت القرآن هو صراط الله المستقيم وحبل الله المتين وهو الذكور الحكيم رواه أحمد والترمذي بطوله قد فصلنا الآيات أي وضيئناها وبينناها وفسرناها القوم يذكرون أي لمن فهم ووعى يعقل عن الله ورسوله لهم دار السلام وهي الجنة عند ربهم أي يوم القيامة وانما وصف الجنة ههنا بدار السلام لسلامتهم فيها بسلكهم من الصراط المستقيم المقتضى أثر الانبياء وطرائقهم فكساها من

آيات الاعوجاج أفنوا الى دار السلام وعولهم أي والسلام وهو الله ولهم أي حافظهم وناصرهم وموئدهم كما كانوا يعملون
 أي جزاء على أعمالهم الصالحة وتلاهم وأطلبهم الجنة وكرمه (ويوم نحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال
 أولياؤهم من الانس ربنا استمع بعضنا لبعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النارموا ثم خالدين فيها الا ما شاء الله ان يرتك
 سكين عليهم) يقول تعالى واذا كرايمتد فماتقصه (١٢٨) عليهم وتذريهم يوم نحشرهم جميعا يعني الجن وأولياؤهم من الانس الذين

كانوا يعبدونهم في الدنيا ويعودون
 بهم ويطيعونهم ويوحى بعضهم
 الى بعض زخرف القول غرورا
 يا معشر الجن قد استكثرتم من
 الانس أي تقول يا معشر الجن
 وسياق الكلام يدل على المخدوف
 ومعنى قوله قد استكثرتم من الانس
 أي من اغواهم واضلاهم كقوله
 تعالى ألم أهد اليكم باي آدم أن
 لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين
 وأن اعدوني هذا صراط مستقيم
 واقدأضل منكم جملا كثيرا أفلم
 تكونوا تعقلون وقال علي بن أبي طلحة
 عن ابن عباس يا معشر الجن قد
 استكثرتم من الانس يعني أضلتم
 منهم كثيرا وكذلك قال مجاهد
 والحسن وقادة وقال أولياؤهم
 من الانس ربنا استمع بعضنا لبعض
 يعني ان أولياؤهم من الانس قالوا
 مجيبين لله تعالى عن ذلك هذا قال
 ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو
 الاشهب هو ذو بن خليفة حدثنا
 عوف عن الحسن في هذه الآية قال
 استكثرتم ربكم من أهل النار يوم
 القيامة فقال أولياؤهم من الانس

على المؤمنين في شأن المنافقين على ان الضمير للمؤمنين ولا يبالى بتفكيك الضمائر عند
 ظهور الامر لعود المعنى اليه قاله الكرخي والاولى أن يكون الضمير للمنافقين أي في شأنهم
 (تنبئهم) أي المنافقين (بما في قلوبهم) مما يسرونه فلا يعلنونه وهم وان كانوا
 عالمين بما في قلوبهم فالمراد من آباء السورة لهم اطلاعهم على ان المؤمنين قد علموا بما في
 قلوبهم قال قتادة وهذه السورة كانت تسمى الفاضحة والمبعثرة والمثيرة لانها فاضحت
 المنافقين وبعثت عن أخبارهم واثارتها وأسفرت عن مخازيهم ومساوئهم ثم أمر الله
 رسوله بأن يجيب عليهم فقال (قل استهزؤا) هو أمر تهديد أي افعلوا الاستهزاء (ان الله
 يخرج ما تحذرون) من ظهوره حتى يطلع عليه المؤمنون اما بانزال سورة أو باخبار رسوله
 صلى الله عليه وآله وسلم بذلك أو بخود ذلك (ولئن) لام قسم أي والله لئن (سألتهم) عما
 قالوه من الطعن في الدين وثلب المؤمنين وهم سائر من معك الى تولد بعد أن يبلغ اليك
 ذلك ويطلعك الله عليه (ليقولن) انما كان خوض وتلعب في الحديث لنقطع به الطريق
 ولم نقصد ذلك ولم يكن في شيء من أمرنا ولا أمر المؤمنين ثم أمر الله أن يجيب عنهم فقال
 (قل أبا لله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن) الاستهزاء للتقريع والتوبيخ وأثبت وقوع
 ذلك منهم ولم يعابا بتكبرهم لانهم كانوا كاذبين في الانكار بل جعلهم كالمعتزين بوقوع
 ذلك منهم حيث جعل المستهزأ به واليا لحرف النبي فان ذلك انما يكون بعد وقوع الاستهزاء
 وشبهه ثم قال (لا تعتذروا) نهيهم عن الاشتغال بالاعتذارات الباطلة فان ذلك غير
 مقبول منهم وقد نقل الواقدي عن أئمة اللغة ان معنى الاعتذار محو أثر الذنب وقطعه من
 قولهم اعتذر المنزل اذا درس واعتذرت المياه اذا انقطعت (قد كفرتم) أي أظهرتم الكفر
 بما وقع منكم من الاستهزاء المذكور وفيه ان محمدا يزعم انه ترك في أصحابا شارقا وانما
 هو قوله وكلامه فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم على قولهم (بعدا يا نكس) أي
 بعدا ظاهركم الايمان مع كونكم مبطنون الكفر (ان نعف عن طائفة منكم) وهم من
 أخلص الايمان وترك النفاق وتاب عنه كجش بن حدير قال الزجاج طائفة في اللغة
 الجماعة قال ابن الأباري ويطلق لفظ الجمع على الواحد عند العرب (نعذب طائفة بانهم)
 أي بسبب انهم (كانوا مجرمين) مصرين على النفاق لم يتوبوا منه (المنافقون) وكانوا

ربنا استمع بعضنا لبعض قال الحسن وما كان استماع بعضهم بعض إلا أن الجن أمرت وعلمت
 الانس وقال مجاهد كعب في قوله ربنا استمع بعضنا بعض قال العصاية في الدنيا وقال ابن جرير كان الرجل من الجاهلية ينزل
 الارض فيقول أعوذ بكبير هذا الوادي فذلك استماعهم فاعتذر اليوم القيامة وأما استماع الجن بالانس فانه كان فيما ذكر ما ينال
 الجن من الانس من تعذيبهم اياهم في استعانتهم بهم فيقولون قد سدنا الانس والجن وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال السدي
 يعني الموت قال النارموا كم أي سأوا كم ومنزلكم أنتم وياهم خالدين فيها أي ما كثر فيها سكاكهم الا ما شاء الله قال بعضهم

يرجع معنى الاستثناء الى البرزخ وقال بعضهم هذا رد الى مدة البقاء قبل غير ذلك من الاقوال التي سيأتي تقريرها عند قوله تعالى في سورة هود خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء الله ان يريك فعال لما يريد وقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسير هذه الآية من طريق عبد الله بن صالح كاتب الليث حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي حاتم عن أبي طلحة عن ابن عباس قال النار مشواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان يريك حكيم قال ابن هذيل هذه الآية لا ينبغي لاحد ان يحكم على الله في خلقه ولا ينزلهم جنة ولا ناراً (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا كما في كسبون) (١٢٩) قال سعيد بن قتادة في تفسيرها انما يولي

الله الناس بأعمالهم فال مؤمنون ولى المؤمنين من أين كان وحيث كان والكافرون الكافرون أينما كان وحيثما كان ليس الايمان بالتقى ولا التحلى واختارهما ابن جرير وقال معمر بن قتادة في تفسير الآية يولي الله بعض الظالمين بعضا في النار تبع بعضهم بعضا وقال مالك بن دينار قرأت في الزبور اني أستمع من المنافقين بالمنافقين ثم أستمع من المنافقين جميعا وذلك في كتاب الله قول الله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا قال ظالمى الانس وظالمى الجن وقرأ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقبض له شطا نأفوه قوله قرين وقال ابن زيد في الآية ظالمى الجن وظالمى الانس وقرأ ومن يعش عن ذكر الرحمن الآية قال ونسلط ظلمة الجن على ظلمة الانس وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الباقي بن أحمد من طريق سعيد بن عبد الجبار الكريسي عن عمار بن مسلم عن عاصم عن ذر عن ابن مسعود مر فوجا ومن أعان ظالمنا سلطه الله عليه وهذا حديث غريب وقال

ثلثةائة (والمنافات) وكن مائة وسبعين (بعضهم من بعض) أى متشابهون في الدين كأبعض الشيء الواحد ذكرهم هنا جملته أحوال المنافقين وان ذكرهم في ذلك كانوا منهم وانهم متشابهون في النفاق والبعد عن الايمان وفيه اشارة الى أن يكونوا من المؤمنين ورد لقولهم ويحلفون بالله انهم لم نكتم ثم فصل ذلك الجمل ببيان مضادة حالهم لمخالص المنافقين فقال (يا مرون) أى يا مرون بعضهم بعضا (بالمسكر) هو كل قبيح عقلا أو شرعا (وينهون عن المعروف) هو كل حسن عقلا أو شرعا قال الزجاج هذا متصل بقوله يحلفون بالله انهم لم نكتم وما هم منكم أى ليسوا من المؤمنين ولكن بعضهم من بعض أى متشابهون في الامر بالمسكرو والنهي عن المعروف (ويقبضون أيديهم) أى يشحون فيما ينبغي اخراجه من المال في الصدقة والصلوة والجهاد فانقبض كناية عن الشح كما كان السط كناية عن الكرم (نساء الله فنتسبهم) التسيان الترتك أى تركوا ما أمرهم به فتركهم من رحمة وفضله وأتركوا ذكر الله وعبادته فترك الله ذكرهم فين ذكرهم بالرجة والاحسان لان التسيان الحقيقي لا يصح اطلاقه على الله سبحانه وانما أطلق عليه هنا من باب المشاكلة المعروفة في علم البيان فهو مجاز مرسل ثم حكم عليهم بالنفاق فقال (ان المنافقين هم الفاسقون) التفسق الخروج عن طاعة الله الى معاصيه والانسلاخ من كل خير وهذا الترتيب يفيد انهم هم الكاملون في التفسق والقرود الاظهار في موضع الضمائر لزيادة التعقير وأولاهااته والتحقير فان الاظهار كما يأتي للتغليب يأتي للتحقير كما نص عليه بعضهم (وعدا الله المنافقين والمنافقات والكفار) يقال وعد في الخير والشر والاختلاف اعماهو بالمصدر فصدر الاول وعد ومصدر الثاني وعيد فاستعمل وعد في الشر كما هنا وفي الخير فيما سيأتي في قوله وعد الله المؤمنين ثم بين ما ل حال أهل النفاق والكفر بأن لهم (نار جهنم خالدين) أى بصلواتهم مقيمين (فيها) مقدرين الخلود (هي) أى النار (حسبهم) أى كافهم جزاء وعقابا لاحتجاجهم الى زيادة على عذابها (ولعنتهم الله) أى ومع ذلك فقد طردهم عن بابها وبعدهم عن رحمة (ولهم عذاب مقيم) أى نوع آخر من العذاب غير النار دائم لا تنقذ عنهم كالمهرورأ وعذاب في الدنيا وهو ما يقاسون به من تعب النفاق اذ هم دائما في حذر من أن يطلع المسلمون على نفاقهم (كالذين من قبلكم) شبه حال المنافقين بالكفار الذين كانوا من قبلهم ملتفتان الغيبة

(١٧ - فتح البيان ح) بعض الشعراء وما من يد الا بد الله فوها وما ظالم الاسيل نظام ومعنى الآية الكريمة كما لو لنا هؤلاء الخاسرين من الانس تلك الطائفة التي أغنى عنهم من الجن كذلك تفعل بالظالمين نسلط بعضهم على بعض ونهلك بعضهم بعضا وننتقم من بعضهم بعضا على ظلمهم وبغيتهم (باعتسار الجن والانس) ألم يأتكم رسول منكم يقول عليكم اناني ونذرتكم لنام يومكم هذا قالوا لا والله نذرتنا على أنفسنا وعثرتهم الحياة الدنيا وشد دعائنا على أنفسهم انهم كانوا كفارين) وهذا ايضا مما ينزع الله به كافرين الجن والانس من تقريرهم يوم القيامة حيث يسألهم وهو أعلم هل بلغتهم الرسل رسالته

وهذا يستفهم بقدر ما عشرين الجن والانس ألم باتكم رسل منكم أي من جعلتكم والرسل من الانس فقط وليس من الجن رسل كما قد نص على ذلك مجاهد وابن جريج وغير واحد من الاثمة من المتألف وانظف قال ابن عباس الرسل من بني آدم ومن الجن بندر وشكي ابن جريج عن الضحاك بن مزاحم انه زعم ان في الجن رسلا واخرج بهذه الآية الكريمة وفيه نظر لانها محتملة ليست بصريحة وهي والله أعلم كقوله مرجع البحرين يلتقيان فيهما رزخ لا يغيغان فبأي الآخرة يكاذبان الى أن قال يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ومعلوم ان اللؤلؤ والمرجان انما يستخرج (١٣٠) من المرجل من الحلو وهذا واضح والله الحمد وقد ذكر هذا الجواب بعينه ابن جريج

والدليل على ان الرسل من الانس قوله تعالى انا وحيانا اليك كما وحيانا الى نوح والذين من بعده الى قوله رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقوله تعالى عن ابراهيم وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب فخصر النبوة والكتاب بعد ابراهيم في ذريته ولم يقل أحد من الناس ان النبوة كانت في الجن قبل ابراهيم الخليل ثم انقطعت عنهم بعثته وقال تعالى وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لما يكون الطعام ويششون في الأسواق وقال وما أرسلنا من قبلك الا رجالا فوحى اليهم من أهل القرى ومعلوم ان الجن تبع للانسان في هذا الباب ولهذا قال تعالى اخبارنا عنهم وأنصرفنا اليك فنسرهم من الجن يستحقون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين قالوا يا قومنا اناس معنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدا لما بين يديه يهدي الى الحق وإلى طريق مستقيم يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويحرمكم من عذاب آليم ومن لا يجيب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من

الى الخطاب أي أنتم مثل الناس قبلكم أو المعنى فعلتم مثل فعل الذين مضوا من قبلكم من الاثم وقال الزجاج التقدير وعد الله الكفار نار جهنم وعدا كما وعد الذين من قبلكم وقيل المعنى فعلتم كما فعل الذين من قبلكم في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقبض الايدي ثم وصف حال هؤلاء الكفار الذين من قبلكم وبين وجه تشبيههم بهم وقبيل حالهم بحالهم بأنهم (كانوا أشد منكم قوة) أي بطشوا في الابدان ومنعتم من هؤلاء المنافقين والكفار المعاصرين للنبي صلى الله عليه وآله وسلم (وأكدوا أموالا واولادا) منكم (فاستعصموا) أي تتعصموا في صيغة الاستعمال ما ليس في صيغة التفعّل من الاستعانة والاستدانة في التمتع (بخلافهم) أي نصيبهم الذي قدره الله لهم من ملاذ الدنيا وخاضوا في الباطل وانشغلوا عنه في التقدير فانه ما قدر لاصحابه (فاستعصموا) أي نصيبكم الذي قدره الله لكم (كما استعصم الذين من قبلكم بخلافهم) أي استعصمتم به كما استعصموا به والغرض من هذا التمثيل ذم هؤلاء المنافقين والكفار بسبب شابههم من قبلهم من الكفار في الاستمتاع بما رزقهم الله من الشهوات الفانية والتشاغل بها عن السعي في العاقبة والسعي في تحصيل اللبائت الحقيقية وقد قيل ما فائدة ذكر الاستمتاع بالخلق في حق الاولين مرة ثم ذكر في حق المنافقين ثانيا ثم تكرره في حق الاولين ثالثا أو اجيب بانه تعالى ذم الاولين بالاستمتاع بما أولوا من حظوظ الدنيا وشيواهم وأرضائهم بها وحرمانهم عن مساعدة الآخر في سبب استعصمهم في تلك الحظوظ الفانية لما قرر تعالى هذا عاذا نفسه حال المنافقين بحالهم فيكون ذلك نهيا في المبالغة في ذم الخطاطبين وتوبيخ حالهم ولم يزل هذا المظهر يقتضي التشبيه الثاني وهو قوله خضعت حيث لم يقل وخاضوا وخضعت كخضعتهم كخضعتهم كخضعتهم الاول فاستغنى عن ذكر الفاعل في التشبيه الثاني قال ابن عباس ما أشبه الله بالبراحة هؤلاء بني اسرائيل أشبهناهم والذي نفسي بيده ليتبعنهم حتى لو دخل رجل بخرص لدخلته (وخضعتهم) في الباطل وتلبسهم به (ككاذبي خاضوا) أي خضوا كخضعتهم أو ككاذبين خاضوا أو ككاذب جحاشوا أو ككاذب الخوض الذي خاضوه يقال خضت الماء آخره خوضا وخياضا والموضع مخاضة وهو ما جاز الناس فيه مشاة وركبا ياربجوا

الخاص

دونه وأولياؤه ولك في ضلال مبين وقد جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره ان رسول الله

صلى الله عليه وسلم تلا عليهم سورة الرحمن وفيه ا قوله تعالى ستفرغ لكم أي التقلان نبأى الآخرة يكاذبان وقال تعالى في هذه الآية الكريمة يا عباد الله اني اوتيتكم لئلا يبعث الله فيكم خبيثا فلو شهدنا أي أقرنا على أنفسنا ان الرسل قد بلغتنا رسالا تلك وأبذروا تلك قالوا وان هذا اليوم كائن لبعث الله تعالى وغيرهم الخبيثا الدنيا أي وقد فرطوا في حياتهم وهلكوا فيها بالكذب الرسل ومخالفتهم للجهنم انما الجاهل والشراب من زخرف الحياة الدنيا وبنها

وشهواتها وشهدوا على أنفسهم أي يوم القيامة أنهم كانوا كافرين أي في الدنيا بما جاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم (ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها فإنا فانون ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون) يقول تعالى ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها فإنا فانون أي انما أعذرنا الى النقلين بإرسال الرسل واتزال الكتب لئلا يؤاخذوا أحد بظلمه وهو لم يبلغه دغوة ولكن أعذرنا الى الأمم وما عذبنا أحد الا بعد ارسال الرسل اليهم ثم قال تعالى وان من قرية الا خلا فيها نذير وقال تعالى ولقد بدعنا بني كل أمة رسولا فان عبدوا الله واجتنبوا الطاغوت قوله (١٣١) وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقال تعالى

كلما ألقى فيها نوح سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير والايات في هذا كثيرة قال الامام أبو جعفر بن جرير ويحتمل قوله تعالى بظلم وجهين أحدهما ذلك من أجل ان لم يكن ربك ليهلك القرى بظلم أهلها بالنسبة لهم ونحوه وهم غافلون يقول لم يكن يعاجلهم بالعقوبة حتى يبعث اليهم من بينهم على حجج الله عليهم وينذرهم عذاب الله يوم معادهم ولم يكن بالذي يؤاخذهم غفلة فيقول ما جاءنا من نذير ولا نذير والوجه الثاني ان ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وقول لم يكن ليهلكهم دون التمسك والتذكير بالرسل والايات والعبر فيظلمهم بذلك والله غير ظالم للعبيد شرع عرج الوجه الاول ولاشأنه اقوى والله أعلم قال وقوله تعالى ولكل درجات مما عملوا أي ولكل عامل من طاعة الله ومعصيته من اتى ومن سأل من عمله يبلغه الله ايها وبنيته بها ان خيرا خيرا وان شرا فشرقت ويحتمل أن يعود وقوله ولكل درجات مما عملوا أي ولكل عامل من طاعة الله أو معصيته لكافرى الجن والانس أي

المخاض والمخاض و يقال منه خاض القوم في الحديث والمعنى خضع في أسباب الدنيا والله هو للعب وقيل في أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالكذب ودخلت في ذلك (اولئك) اشارة الى كل من المشبهين والمثبه بهم فهي لمجوع القرى يقين (حطبت) بطلت (أعمالهم) أي ما عملوا مما هو في صورة طاعة لاهذه الاعمال المذكورة هنا فانها من المعاصي وعاقبتها غيبة عن البيان (في الدنيا والاخرة) أي انها باطله على كل حال أما بطلانها في الدنيا فلان ما يترتب على أعمالهم فيها من السعة والصحوة وغير ذلك لا يحصل لهم بل يصير ما يرجونه من الغنى فقرا ومن العزلا ومن القوة ضعفا وما في الاخرة فلانهم يصيرون الى عذاب النار ولا ينتفعون بشئ مما عملوه من الاعمال التي يظنونها طاعة وقرية (واولئك هم الخاسرون) أي المتكفرون في الخسران الكاملون فيه في الدنيا والاخرة (ألم يأتهم) أي المتأقن من رجوع الى الغيبة عن الخطاب فيه التفات وهو استفهام بمعنى التقرير والتحذير أي قد أتاهم (بأ الذين من قبلهم) أي خبرهم الذي له شأن وهو ما فعلوا من الكذب وما فعلهم من الاهلاك ولما شبه حالهم بحالهم فيما سلف على الاجال في المشبه بهم مذكرتهم ههنا مستطوعا قد سمع العرب اخبارهم لان آثارهم باقية وبلادهم بالشام والعراق واليمن وكل ذلك قريب من أرض العرب فكانوا يعرفونهم ويعرفون اخبارهم (قوم نوح) وقد هلكوا بالاغراق وأهلكوا بالطوفان وهم اولهم (و) ثانيهم قوم (عاد) وقد هلكوا بالريح العقيم (و) ثالثهم قوم (ثود) وقد أخذوا بالصحوة وأهلكوا بالرجفة (وقوم ابراهيم) وقد سلب الله عليهم البعوض وقيل أهلكوا بسلب النعمة عنهم وهم رابعهم (وأصحاب مدين) وهم قوم شعيب وقد أخذتهم الرجفة وأهلكوا بعذاب يوم الظلة وهي غمامة أطبقت عليهم وهم خامسهم (و) سادسهم أصحاب (المؤتفكات) وهي قرى قوم لوط وقد هلكهم الله بما أظمر عليهم من التجارة فان كانت مراد به فهي على حقيقتها وان كان المراد مطلق قرى المكذبين وهي لم تخفف باجمعها فيكون المراد به مجازا انقلاب حالهم من الخير الى الشر تشبيها بالخسف على طريق الاستعارة كقول ابن الرومي

وما انخسف ان تلقى أساف بلدة * أعاليها بل ان تسود الاراذل

وهي يدل من الذين بدل بعض من كل فقوله وعاد الى آخر المعطوفات كلها على قوم نوح

ولكل درجة في النار بحسبه كقوله قال لكل ضعف وقوله الذين كفروا وصدا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وما ربك بغافل عما يعملون قال ابن جرير أي وكل ذلك ياجمدهم بعملهم يعلم من ربك يحصيهما وينتقم الله عندهم على ما عملوا منهم ابادهم الله (وربك الغنى ذو الراجة ان يشاء يهلكهم ويستخف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخر بن ائمان وعدون لا توما أنتم معجزين قل يا قوم اعلموا على مكاشكم اني عامل فسوف تعملون من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح القائلون) يقول تعالى وربك الغنى أي عن جميع خلقه من جميع الوجوه وهم الفقراء اليه في جميع أحوالهم

ذوالرجة أي هو مع ذلك رحيم بهم رؤف كما قال تعالى إن الله بالناس لرؤف رحيم إن يشأ يذهبكم أي إذا خالفتم أمره ويستخلف من بعدكم ما يشاء أي قوما آخرين أي يعملون بطاعته كأنشأكم من ذرية قوم آخرين هو قادر على ذلك أسهل عليه سريده كما أذهب القرن الأول وأتى بالذي بعده كذلك هو قادر على اذهاب هؤلاء الأتباع الآخرين كما قال تعالى إن يشأ يذهبكم أي أجمع الناس ويأتى الآخرين وكان الله على ذلك قدير أو قال تعالى يا أيها الناس أنتم الفقيراء إلى الله والله هو الغني المجيد إن يشأ يذهبكم ويأتى بطيخ جديد ما ذلك على الله عزيز وقال تعالى (١٣٢) والله الغني وأنتم الفقيراء إن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا

أمثالكم وقال محمد بن المنصور عن يعقوب بن عتبة قال سمعت أبا عبد الله بن عثمان يقول في هذه الآية كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين الذرية الأصل والذرية النسل وقوله تعالى إنما وعدون لا توماً أنتم عجزون أي أخبرهم يا محمد أن الذي وعدون به من أمر المعاد كاش لا محالة وما أنتم عجزون أي ولا تجحزون الله بل هو قادر على إعادةكم وإن صرتم قراباراً فانا عظاما قادر لا يعجزه شيء قال ابن أبي حاتم في تفسيره يحدثنا أي حدثنا محمد بن المصنف حدثنا محمد بن جعفر بن أبي بكر بن أبي مريم عن عطاء بن أبي رباح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من فوق عاين أي آدم كنتم تعقلون فعادوا أنفسكم من الموت والذي نفسي بيده إنما وعدون لا توماً أنتم عجزون وقوله تعالى قل يا قوم اعلموا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون هذا ثم يدشد بدو وعبداء كيداً استروا على طريقكم وناحياتكم إن كنتم تطنون أنكم على

لا على نوح غير أن الأخير وهو المؤتسكات على حذف مضاف كما قدرنا ذهابه القري وليس من الذين خلوا حتى تكون من جلة البذل وصيحت مؤتسكات لانها انقلبت بهم حتى صار عالمها سافلها والاتفاك الانقلاب يقال أفكك إذا قلبه وبابه ضرب ويقال أفككه فانتك أي قلبته فانقلب والمادة تدل على التحول والصرف ومنه يوفق عنه من أفك أي يصرف (أنتم) استثناء في لبيان بأنهم (رسولهم) أي رسل هذه الطوائف الست وقيل رسل أصحاب المؤتسكات لأن رسولهم لوط وقدمت إلى كل قرية من قراهم رسولاً (باليينات) أي المعجزات الباهرات والحجج الواضحات الدالة على صدقهم فكذبوهم وخالفوا أمرنا فاحذروا أن يصيبكم مثل ما أصابهم والفاء في (فأ) كان الله لينظلمهم) للعطف على مقدر يدل عليه الكلام أي فكذبوهم فاهلكهم الله فظلمهم بذلك ولم يجعل العقوبة لهم لأنه قد بعث إليهم رسلاً فاندروهم وحذروهم (ولكن) كانوا أنفسهم يظلمون) بسبب ما فعلوا من الكفر بالله وعدم الانقياد لآياته وهذا التركيب يدل على أن ظلمهم لأنفسهم كان مستمرا وقيل تقديم المفعول مجرد للاهتمام بجمع مراعاة القاصلة من غير قصد إلى قصر المظالمية عليهم (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) أي قلوبهم متحدة في التوادد والتحاب والتعاطف واتفاق الكلمة والعون والنصر بسبب ما جمعهم من أمر الدين ورضاهم من الإيمان بالله قال ابن عباس آخاهم في الله يتحابون بحلال الله والولاية لظاهر الفرق بين الفريقين ثم بين أوصافهم الحيدة كما بين أوصاف من قبلهم من المنافقين فقال (يا أيها الذين آمنوا لا تأمنوا بعاد من كفر في غيركم) أي عبادوا الله سبحانه وتعالى بعبادة غيره (ويهنون) معروف في الشرع غير منكر ومن ذلك توحيد الله سبحانه وتعالى بعبادة غيره (ويهنون) عن المنكر أي عبادوا منكر في الدين غير معروف أي جنس المعروف وجنس المنكر الشاملين لكل خير وشرو قد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأحاديث ما هو معروف (ويهنون الصلاة) المفروضة ويتقون أركانها وحدها فلا يزالون يذكر الله سبحانه وتعالى في مقابلته ما سبق من قوله نسوا الله (ويوتون الزكاة) الواجبة عليهم وهو في مقابلته قوله يقبضون أي يمتنعون من قتله خصص ما بالذكر من جلة العبادات ليكونها الركنين العظيمين فيما يتعلق بالآداب

والأموال والهدى فاستروا على طريقكم وناحياتكم فاستروا على طريقكم ومنهجي كقوله وقل للذين لا يؤمنون الأعمال على مكانتكم انما علمون وانتظروا وانتمظرون قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس على مكانتكم ناحياتكم فسوف تعلمون من فكذلك عاقبة الدار لا يفلح الظالمون أي أن يكون لي أولئك وقد أنجز الله موعده من سوله صلوات الله عليه أي فانه تعالى يمكن له البلاد وحكمه في نواحي مخالفة من العباد وفتح له مكة وأظهره على من كذبهم من قومه وعاداه وناه واستقر أمره على سائر جزرة العرب وكذلك اليمن والجزيرة وكل ذلك في حياته ثم فكت الأماصار والاقاليم والرياسات بعد وفاته في أيام خلفائه رضي الله عنهم أجمعين كما قال الله تعالى كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز وقال أنال نصير رسلا والذين آمنوا في الحياة

الذين يوم يقوم الاشهداء يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار وقال تعالى اخبار عن رساله فاحي اليهم ربهم
 لهم لكن الظالمين ولنسكنكم الارض من بعدهم ذلك ان خافى مقاي وخاف وعيد وقال تعالى وعبد الله الذين آمنوا منهم وعملوا
 الصالحات ليستخلفهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ولما كتب اليهم الذي ارتضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم
 آمننا بعد وفينا لياشركون في شئنا الاية وقد فعل الله ذلك بهذه الامه وله الحمد والمثله اولاً واخر اواظها ربنا (وجعلوا لله عما
 ذرأ من الحرث والالعام نصيباً فقالوا هذا لله بزرعهم وهذا الشرب كائن انما كان (١٣٣) لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو

يصل الى شركائهم سواء ما يحكمون
 هذا ذمهم ووثقهم من الله لا شركائهم
 الذين ابتعدوا بدعوا وكفروا وشركا
 وجعلوا لله شركاء جزأ من خلقه
 وهو خالق كل شئ سبحانه وتعالى
 ولهذا قال تعالى وجعلوا لله محاذراً
 أي مما خلق وبرأ من الحرث أي من
 الزرع والمزارع والالعام نصيباً أي جزأ
 وقسم ما اقتلوا هذا لله بزرعهم وهذا
 لشركائهم وقوله فما كان لشركائهم
 فلا يصل الى الله وما كان لله فهو
 يصل الى شركائهم قال علي بن أبي
 طلحة والعمري عن ابن عباس أنه قال
 في تفسير هذه الآية ان أعداء الله
 كانوا اذ احروا حرثاً وكانت لهم حصة
 جعلوا لله منه جزأ وللشركاء فما
 كان من حرث أو غرة أو نبي من
 نصيب الا ان حفظوه وأحصوه
 وان سقط منه شئ فليس لهم
 رده الى ما جعلوا للوثان وان سقط
 الماء الذي جعلوا للوثان فسحق شيئاً
 جعلوا لله جعلوا ذلك للوثان وان سقط
 شئ من الحرث والغرة الذي جعلوا لله
 فاختلط بالذي جعلوا للوثان قالوا
 هذا فقير ولم يردوه الى ما جعلوا لله
 وان سبقتهم الماء الذي جعلوا لله

والاموال وقد نفعهم معنى هذا (ويطعون الله ورسوله) في جميع ما أمرهم بفعله
 أو نهيهم بتركه وهذا في مقابلة وصف المنافقين بكل الفسق والخروج عن الطاعة
 (أو تلك) يعني المؤمنين والمؤمنات المتصفين بهذه الاوصاف الفاضلة (سيرجهم الله)
 السين للمبالغة في التجاوز والعدو الدلالة على تحقق ذلك وتقرر بمعونة المقام كانهما اذا السين
 موضوعاً للدلالة على الوقوع مع التأخير فإذا كان المقام ليس مقام تأخير لكونه بشارة
 ووعداً تعضت لما كيد الوقوع أي وقوع ما وعده من الرحمة والرضوان وما أعد لهم من
 النعيم المقيم في الجنان (ان الله عزيز) لا يغالب ولا يعجزه شئ عن النجاة وعده ووعدته
 (حكيم) في أفعاله وأقواله لا يضيع شيئاً الا في محله وفيه ترغيب وترهيب وتعليل لقوله
 سيرجهم الله ثم ذكر تفصيل ما يدخل تحت آثار الرحمة اجاباً باعتبار الرحمة في الدار
 الآخرة فقال (وعبد الله المؤمنين والمؤمنات) أي كل مؤمن ومؤمنة (جنات)
 تجري من تحتها الانهار) الاظهار في موضع الاضمار لزيادة التقرير والاشعار بلبسة
 وصف الايمان للوعد المذكور ومعنى جرى الانهار من تحت الجنات انها تجري تحت
 أشجارها وغرفها والمراد بالسائين التي يتصرف في حسمها الناظر (خالد) أي مقدرين
 الخلود (فيها) وقد تقدم تحقيق الآية في البقرة (ومساكن) أي منازل يسكنون
 فيها من الدار والياقوت (طيبة) تستطيبها النفوس وطيب فيها العيش (في جنات)
 عدن) اقامة يقال عدن بالمسكن اذا أقام به ومنه العدن أي بساكنين خادون قيل هي أعلى
 الجنة وقيل أسوأها وقيل قصور من ذهب لا يدخلها الا نبي أو صديق أو شهيد وأخرج ابن
 أبي حاتم والطبري بسند عن عمران بن مروان عن الحسن قال سألت عمران بن حصين
 وأبا هريرة عن تفسير قوله تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن قال علي الخبير سقطت
 سألتنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال قصير من لؤلؤة في الجنة في ذلك القصر
 سبعون داراً من باقوة جراً في كل دار سبعون بيتاً من زهره خضراء في كل بيت سبعون
 سريراً على كل سرير سبعون فراشاً من كل لون على كل فراش امرأة من الحور العين في
 كل بيت سبعون مائدة في كل مائدة سبعون ثوباً من كل طعام في كل بيت سبعون وصيفة
 ووصيفة تعطي المؤمن من القوة في كل عداوة واحدة ما يأتي على ذلك كله أجمع قلت
 ووصف الله الجنة هنا بأوصاف الاول جرى الانهار من تحتها الميعال الطبع اليها والثاني

فسحق ما سقى للوثان تركوه للوثان وكانوا يحرمون من أموالهم البقرة والسائمة والوصلة والحام قبيحاً لله لا لوثان ويرعون انهم
 يحرمونه قربة لله فقال الله تعالى وجعلوا لله محاذراً من الحرث والالعام نصيباً الآية وهكذا قال مجاهد وقادة والسدي وغير واحد
 وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في الآية كل شئ يجعلونه لله من ذبح بجنونه لاياً كلونه أبداً حتى يذكروا معه أسماء الآلهة وما
 كان للآلهة لم يذكروا اسم الله معه وقوله الآية حتى بلغ ما يحكمون أي سواء ما يقسمون لانهم اخطأوا ولا في القسم لان الله
 تعالى هو رب كل شئ ومليك وخالق وله الملك وكل شئ له وفي قصته وقته ومشيئته لا اله غيره ولا رب سواه ثم لما سجدوا فيها

زعموا القصة الفاسدة لم يحفظوها بل بنارواقها كقولهم جل وعلا ويحفلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون وقال تعالى وجعلوا
 لهم من عباده جزأنا الإنسان ليعفوا عنهم وقال تعالى ألكم الذريرة الأخرى وقوله تلك أذقهم مضرى (وكذلك زين لكثير من
 المشركين قتل أولادهم شركاههم ليردوهم ويلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون) يقول تعالى وكازنت
 لهم الشياطين أن يجعلوا لله محاذرا من الخثر والافعام نصيبا كذلك زينوا لهم قتل أولادهم خشية الاملاق ووأد البنات خشية
 العار قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وكذلك (١٣٤) زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاههم زينوا لهم قتل أولادهم

أنهم فيها خالدون لا يعترفهم فيها فناء ولا تغيير والثالث طيب مساكنها الخالية عن
 الكدورات والرابع انها ذات عدن أى اقامة غير منقطعة هذا على ما هو معنى عدن لغة
 وقيل هو علم قال الرازي والحاصل ان فى عدن قولين أحدهما انه اسم علم لموضع معين فى
 الجنة والآثار والخبار تقوى ذلك وقال المفسر ان الله علم بدليل قوله جنات عدن التى
 وعد الرحمن عباده والثانى انه صفة للجنة بمعنى اقامة فهذا الاشتقاق قالوا الجنات كلها
 عدن والاحاديث فى صفة الجنات وأصنافها كثيرة وقد أوضحت المقام فى كتابي منبر
 ساكن الغرام الى روضات دار السلام فليرجع اليه (ورضوان) حقير يسير (من الله
 أكبر) من ذلك كله الذى أعطاهم الله اياه اذ عليه يدور فوز كل خير وسعادة وبه ينابط
 كل شرف وسيادة ولعل عدم نظمه فى سلك الموعود به مع عزته فى نفسه لانه متحقق فى ضمن
 كل موعود ولانه مستقر فى الدارين وفيه دليل على انه لا شئ من النعم وان جلت وعظمت
 مماثل رضوان الله سبحانه وان أدنى رضوان الله لا يساويه شئ من اللذات الجسمانية
 وان كانت على غاية ليس وراءها غاية اللهم ارض عنا رضا لا يشوبه سخط ولا يكدره نكد
 يا من بيده الخير دفعه وجهه (ذلك) أى ما تقدم مما وعد الله به المؤمنين والمؤمنات (هو
 الفوز العظيم) دون كل فوز بما بعده الناس فوزا من حطام الدنيا وخارج الخاير
 وسلم وغيرهما من حديث أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله
 يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة فمقوون لبيك ربنا وسعديك والخير فى يديك فيقول هل
 رضيت فقولون ربنا وما لنا نارضى وقد أعطينا ما لم نعطه أحد من خلقك فمقول
 الا أعطيتكم أفضل من ذلك قالوا يا ربنا وأى شئ أفضل من ذلك قال أحل عليكم رضوانى
 فلا أسخط عليكم بعده أبدا (يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين) الامر للنبى صلى
 الله عليه وآله وسلم بهذا الجهاد أمر لامتة من بعده وجهاد الكفار بكون بقائهم
 بالسيف والسنان حتى يسلموا وجهاد المنافقين يكون باقامة الحجج عليهم باللسان والبيان
 حتى يخرجوا عنه ويؤمنوا بالله وبه قال ابن مسعود قال الحسن ان جهاد المنافقين باقامة
 الحدود وعليهم واختار قتادة قيل فى توجيهه ان المنافقين كانوا أكثر من يفعل موجبات
 الحدود قال ابن العربى ان هذه دعوى لبرهان عليها وليس العاصى بمنافق انما المنافق
 بما يكون فى قلبه من النفاق دائما لا بما يلبس به الجوارح ظاهرا واخبار الحدود من تشهد

وقال مجاهد شركاههم شياطينهم
 يأمرهم أن يشدوا أولادهم خشية
 العيلة وقال السدى أمرتهم
 الشياطين أن يقتلوا البنات اما
 ليردوهم فيلبسوا عليهم دينهم
 عليهم دينهم أى فيخطوا عليهم دينهم
 ونحو ذلك قال عبد الرحمن بن زيد بن
 أسلم وقادة وهذا كقوله تعالى واذا
 بشرنا أحدكم بالآثى ظل وجهه
 مسودا وهو كظيم يتوارى من
 القوم من سوء ما بشره الآية
 وكقوله واذا المودة سثلت بأى
 ذنب قتل وقد كانوا أيضا يقتلون
 الاولاد من الاملاق وهو الفقر
 أو خشية الاملاق ان يحصل لهم
 فى نفا المآل وقد سألهم عن قتل
 أولادهم لذلك وانما كان هذا كله
 من زين الشياطين وشرعهم لهم
 ذلك قال تعالى ولو شاء الله ما فعلوه
 أى كل هذا واقع بحسبته تعالى
 وارادته واختباره لذلك كونا وله
 الحكمة التامة فى ذلك فلا يستل
 عما يفعل وهم يسألون فذرهم وما
 يفترون أى فدعهم واجتنبهم وما
 هم فيه فيحكم الله بينك وبينهم
 (وقالوا هذه انعام وحرث جحر

لا يطعمها الا من نشأ برعهم والاعمال حرمت ظهورها وانعام لا يدركون اسم الله عليها افتراء عليه
 سيجزى بهم بما كانوا يفترون) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس انجر الحرام محارم من الوصيلة وتحرى ما حرموا وكذلك
 قال مجاهد والضحاك والسدى وقادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهما قال قتادة قالوا هذه انعام وحرث جحر عليهم فى
 أموالهم من الشياطين وتغليظ وتشديد لم يكن من الله تعالى وقال زيد بن أسلم جحر انما التجبروها لا الهنهم وقال السدى
 لا يطعمها الا من نشأ برعهم يقولون حرام لا يطعم الا من نشأ برعهم الآية الكريمة كقوله تعالى قل أرايتم ما أنزل الله لكم

من رزق جعلتم منه خراما وحلالا قل الله أذن لكم أم على الله تفترون وكنتم تقولون ما جعل الله من بحيرة ولا مائة ولا وصية ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون وقال السدي أما انعام حرمت ظهورها فهي البحيرة والسائبة والحام وأما الانعام التي لا يذكرون اسم الله عليها اذا ولدوا ولا يبصرونها وقال أبو بكر بن عباس عن عاصم بن أبي النجود قال قال أبو واثل تدرى ما في قوله وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون اسم الله عليها ولا في شئ من شأنها الا ان ركبوها كانوا لا يحجون عليها وقال مجاهد كان من ابائهم طائفة لا يذكرون (١٣٥)

ولان حلبوا ولان جملوا ولان سجدوا ولان عملوا شيئا افتراء عليه أي على الله وكنتم يا منكم في استنادهم ذلك الى دين الله وشرعه فانه لم يأذن لهم في ذلك ولا رضى به منهم سيجزى بهم عما كانوا يفترون أي عليه ويسندون اليه سيجزى بهم عما كانوا يفترون (وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركا سيجزى بهم وصفهم انه حكيم عليم) قال أبو اسحق السبيعي عن عبد الله بن أبي الهذيل عن ابن عباس وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا لا لآية قال العوفي عن ابن عباس فهو المان كانوا يحرمونه على اناتهم ويشربون ذكرا منهم وكانت الشاة اذا ولدت ذكرا ذبحوه وكان للرجال دون النساء وان كانت أنثى تركت فلم تذبح وان كانت ميتة فهم فيه شركا فنبى الله عن ذلك وكذا قال السدي وقال الشعبي البحيرة لا ياكل من لبنها الا الرجال وان مات منها شيء أكله الرجال والنساء وكذا قال عكرمة وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال مجاهد في قوله وقالوا

سابقا منهم لم يكونوا منافقين وقال الطبري أولى الاقوال قول ابن مسعود لان الجهاد عبارة عن بذل الجهد وقد دللت الآية على وجوب جهاد المنافقين وليس في الآية ذكر كسفة ذلك الجهاد فلا بد من دليل آخر وقد دللت الدلائل المنفصلة ان الجهاد مع الكفار انما يكون بالسيف ومع المنافقين بالظهارا لاجبة عليهم تارة وبترك الرفق بهم تارة وبالانتهار تارة وهذا هو قول ابن مسعود (واعظ) أي شدد (عليهم) أي القربيقين بالانتهار والمقت والجهاد وأصل الغلظة قض الرأفة وهو شدة القلب وخشونة الجانب قيل وهذه الآية نهيته كل شئ من العفو والصلح والصفح (ومأوامهم) أي مسكنهم (جهنم) قال أبو البقاء ان قيل كيف حسنت الواو هنا والفاء أشبه بهذا الموضع ففيه ثلاثة أجوبة أحدها ان الواو والواو والخال وتلك الحال حال كفرهم والتقدير افعل ذلك في حال استحقاقهم جهنم والثاني تقديره واعلم ان مأوامهم جهنم والثالث ان الكلام قد جعل على المعنى والمعنى انه قد اجتمع لهم عذاب الدنيا بالجهاد والغلظة وعذاب الآخرة فيجعل جهنم مأوامهم قال السمين ولا حاجة الى هذا كله بل هذه جملة استثنائية قال أبو السعد مستأنفة لبيان ما أقرهم بعد بيان عاجله (وبئس المصير) مصيرهم اليها ثم ذكر من خصال المنافقين انهم يحلفون الايمان الكاذبة فقال (يحلفون بالله ما قالوا) استئناف مسوق لبيان ما صدر عنهم من الحرام الموجهة للامر بجهادهم والغلظة عليهم وقد اختلف أئمة التفسير في سبب نزول هذه الآية فقيل نزلت في الجلاس بن سويد بن الصامت ووديعه بن ثابت وذلك انهما كثرت زول القرآن في غزوة تبوك في شأن المنافقين وندمهم فقالا ان كان محمد صادق فاعلى اخواننا الذين هم سادتنا وخيارنا نحن شر من الخير فقال له عامر بن قيس أجل والله ان محمد الصادق مصدق وانك لشر من الخير وأخبر عامر بذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجاء الجلاس خلف بالله ان عامر الكاذب وحلف عامر لقد قال وقال اللهم انزل على نبيك شيئا فنزلت وقيل ان الذي سمع ذلك عاصم ابن عدي وقيل حذيفة وقيل بل سمعه ولدا امرأته أي امرأدا الجلاس واسمه عمر بن سعد فهم الجلاس بقتله لا لايحجز بحيزه وقيل ان هذه الآية نزلت في عبد الله بن أبي بأس المنافقين لما قال ما نكنا ومثل محمد الا كما قال القائل من كلبك يا كاك لئن رجعنا الى المدينة ليخربن الاعز منها الاذل فأجبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك فجاء عبد الله

ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا فقال أبو العالمة ومجاهد وقتادة في قول الله سيجزى بهم وصفهم أي قولهم الكذب في ذلك يعني لقوله تعالى ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا احرام لم تتروا على الله الكذب ان الذين يشتركون على الله الكذب لا يفحون منافع الآية انه حكيم أي في أفعاله وأقواله وشرعه وقدره عليهم بأعمال عباده من خير وشر وسيجزى بهم عليها أتم الجزاء (قد خسروا الذين قتلوا) أولادهم سفها بغير علم وحرما وارزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين) يقول تعالى قد خسروا الذين فعلوا هذه الأفاعيل في الدنيا والآخرة اما في الدنيا فخرسوا وأولادهم يقتلهم

وضيقوا عليهم في أموالهم خرموا أشياعا تدعوها من تلقاء أنفسهم وأما في الآخرة فقصروا إلى أسوأ المنازل بكنزهم على الله
وافترائهم كقول تعالى ان الذين يقتلون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم الجحيم جميعهم ثم نذبتهم العذاب
الشديد بما كانوا يكفرون وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه الآية حدثنا محمد بن أحمد بن ابراهيم حدثنا محمد بن
أبوب حدثنا عبد الرحمن بن المبارك حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اذا سئل
ان نعم جهنم العرب فاقرأ ما نوق الثلاثين (١٣٦) والمائة من سورة الانعام قد خسر الذين قتلوا ولادهم سلفها ان يغريهم

ابن أبي خلف انه لم يقله وقيل انه قول جمع المنافقين وان الآية ترتب فيهم وعلى تقدير ان
القاتل واحد او اثنان فتسببه القول الى جميعهم هي باعتبار موافقة من لم يقل ولم يخلف
من المنافقين لمن قد قال وحلف وفي الباب احاديث مختلفة في سبب نزول هذه الآية وفيها
ذكرناه كفاية ثم رد الله على المنافقين وكذبهم وبنينهم حلفوا كذبا فقال (ولقد قالوا
كلمة الكفر) وهي ما تقدم بيانه على اختلاف الاقوال السابقة (وكرموا بعد اسلامهم)
أي كرموا بهذه الكلمة بعد اظهارهم الاسلام وان كانوا كفارا في الباطن والمعنى انهم
فعلوا ما يوجب كفرهم على تقدير صحة اسلامهم (وخموا عما ينالوا) قبل هو همهم بقتل
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لئلا العقوبة في غزوة تبوءوا وهم بضعة عشر رجلا فضررت
عما بن ياسر وفي قول حديثه بن ايمان وجوه الروايات لم اشعره فرجعوا والقصة
مبسوطة في سيرة الحلبي وغيره او قيل هو ما بعد الساج على رأس عبد الله بن أبي وقيل
هوهم الجلاس بقتل من سمعه يقول تلك المقالة فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
(وما قموا الا ان أعظمهم الله ورسوله من فضله) أي ما عابوا أو أنكروا أو كرهوا الاما هو
حقيق بالمدح والثناء وهو أعظم الله لهم من فضله والاستثناء مفرغ من أعم العام فهو من
تأكيد المدح بما يشبه الذم وقد كان هؤلاء المنافقون في ضيق من الغش فلما قدم النبي
صلى الله عليه وآله وسلم المدينة اتسعت معيشتهم وكثرت أموالهم فجعلوا موضع شكر
النبي صلى الله عليه وآله وسلم النعمة وقيل انهم بطروا النعمة أمشرا (فان يتولوا) أي
فان تحصل منهم التوبة والرجوع الى الحق (يت) ذلك الذي فعلوه من التوبة (خبر الله)
في الدين والدنيا وقد تاب الجلاس بن سويدو حسن اسلامه وفي ذلك دليل على قبول
التوبة من المنافق والكافر. وقد اختلف العلماء في قبولها من الزنديق فخرج قولها مالا
وأباعد لانه لا يعلم حجة توبته اذ هو في كل حين يظهر التوبة والاسلام (وان يتولوا) أي
بعرضا عن التوبة والايان ويصروا على النفاق والكفر (بعذبهم الله عذابا أليما
في الدنيا) بالقتل والاسر ونهب الاموال عاجلا فلا ياتي ما يسبق من ان قتالهم باللسان
واجبة لا بالسيوف لان ذلك اذا لم يظهر الكفر بل اظهره والايان (و) في الآخرة
بعذاب النار ارجلا (ومالهم في الارض) مع ستمها وساعدا أقطارها وكثرة أهلها (من ولي
يؤايمهم) (ولا نصيرهم) ينصرهم (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا

وخرموا ما رزقهم الله افترأ على الله
قد ضلوا وما كانوا مهتدين وهكذا
رواه البخاري منفردا في كتاب
مناقب فريش من صحبه عن أبي
النعمان محمد بن الفضل عارم بن أبي
عوانة واسمه الوضاح بن عبد الله
اليسكري عن أبي بشر واسمه
جعفر بن أبي وحشية عن ابياس به
(وهو الذي أنشأ جنات معروشات
وعبر معروشات والنخل والزرع
مختلفا أكله والزيتون والامان
ممشاهما وغير متشابه كلوا من غره
اذا غروا وواحقه يوم حصاده
ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين
ومن الانعام حوله وفرشا كلوا مما
رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات
الشيطان انه ليكن معكم ذوقين) يقول
نعماني مينا انه انطاع لكل شيء من
الزرع والثمار والانعام التي تصرف
فيها هو لاه المشركون بأرائهم
الفاسدة وقسموها وجرؤا ففعلوا
منها حراما وحلالا فقال وهو الذي
أنشأ جنات معروشات وغير
معروشات قال علي بن أبي طلحة
عن ابن عباس معروشات مسموكان
وفي رواية فالمعروشات ما عرش وغير

معروشات ما خرج في البر والحيال من الثمرات وقال عطاء الخراساني عن ابن عباس معروشات
ما عرش من التكرم وغيره ورويات ما لم يعرش من التكرم وكذا قال السدي وقال ابن جريج متشاهما وغير متشاهم قال متشاهما
في المنظر وغير متشاهم في الطعم وقال محمد بن كعب كلوا من غمرا اذا غمرا أي قال من رطبه وعنتبه وقوله تعالى وآواحقه يوم
حصاده قال ابن جرير قال بعضهم هي الزكاة المقرضة حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا ابن زيد بن درهم قال سمعت أنس
ابن مالك يقول وآواحقه يوم حصاده قال الزكاة المقرضة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وآواحقه يوم حصاده يعني

الزكاة المفروضة يوم يكال ويعلم كيده وكذا قال سعيد بن المسيب وقال العوفي عن ابن عباس وآتوا حقه يوم حصاده وذلك ان الرجل كان اذا زرع فكان يوم حصاده لم يخرج مما حصد شيئا فقال الله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده وذلك ان يعلم ما كيده وحقه من كل عشرة واحد وما يلفظ الناس من سنبله وقدرى الامام أحمد وأبو داود في سننه من حديث محمد بن اسحق حديثي محمد بن يحيى ابن حمان عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم امر من كل جاذة عشرة وسق من التمر يقنو يعلق في المسجد للمسكين وهذا اسناد جيد قوي وقال طائوس وأبو الشعثاء وقنادة والحسن (١٣٧) والبخاري وابن جرير هي الزكاة قال الحسن

البصري هي الصدقة من الحب والثمار وكذا قال زيد بن أسلم وقال آخرون هو حق آخر سوى الزكاة قال أشعث بن محمد بن سيرين وعن نافع بن عمر بن قولة وآتوا حقه يوم حصاده قال كانوا يعطون شيا سوى الزكاة رواه ابن مردويه وروى عبد الله بن المبارك وغيره عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء ابن أبي رباح في قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال يعطى من حضره يومئذ ما تيسر وليس بالزكاة وقال مجاهد اذا حضر له المساكين طرحت لهم منه وقال عبد الرزاق عن ابن عيينة عن ابن أبي شيحة عن مجاهد وآتوا حقه يوم حصاده قال عند الزرع يعطى القبضة وعند الصرام يعطى القبضة ويتركهم فيمتعون آثار الصرام وقال الثوري عن جاد عن ابراهيم قال يعطى مثل الضغث وقال ابن المبارك عن شريك عن سالم عن سعد بن جبير وآتوا حقه يوم حصاده قال كان هذا شي قبل الزكاة للمساكين القبضة الضغث لعفد ابنته وفي حديث ابن أبي لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن سعيد مرفوعا وآتوا حقه يوم

من فضله) بان يوسع علينا في الرزق (لتصدقن) هي لام الجواب للقسم وحذف جواب الشرط لدلالة هذا الجواب عليه ولا يمنع الجمع بين القسم واللام لموطئة له أى لخرج من ذلك المال الصدقة وهي أعم من المفروضة وغيرها (والتسكون من الصالحين) أى من أجله أهل الصلاح من المؤمنين القائمين باجبات الدين التاركين لمجرماته والصلاح ضد الفساد والمفسد هو الذى يحل بما يزمع في حكم الشرع (فلما آتاهم من فضله بخلافه) أى لما أعطوهم ما طلبوا من الرزق لم تصدقوا بشئ منه كما حلفوا به (وتولوا) أى أعرضوا عن طاعة الله وأخرج صدقات ما أعطاهم الله من فضله (وهم) أى والحال انهم (معرضون) في جميع الاوقات قبل أن يعطيهم الله ما أعطاهم من الرزق وبعده عن ابن عباس قال ذلك ان رجلا كان يقال له نعلبة من الانصار أتى مجلسا فاشهدهم فقال لئن آتاني الله من فضله آتيت كل ذى حق حقه وتصدق منه وجعلت منه للقرابة قاتلا لله فآتاه من فضله فأخلف ما وعد فغضب الله بما أخلف ما وعده فقص الله شأنه في القرآن وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وغيرهم هذه القصة باطول من هذا جدا وفيه قال يعنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما لا نعلبة قليل تؤدى شكره خيرا من كثير لا ذنبة فقال ادع الله ان يرزقي ما لا فقال اللهم ارزقه ما لا تأخذ غنما فت كاتني الاله ود حتى ضاقت بها المدينة فتحمى بها فكان يشهد الصلاة النهار مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يشهد بالليل ثم تمت حتى لا يشهد جمعة ولا جنازة الحديث (فأعقبهم) الله سبحانه (نفاقا في قلوبهم) بسبب الجمل الذى وقع منهم والاعراض نفاقا كما نفاق قلوبهم متمكنا منها مستمر فيها (الى يوم يلقونه) أى الله عز وجل وقيل ان الضمير يرجع الى الجمل أى فأعقبهم الجمل بما عاهدوا الله عليه الى يوم يلقون الجمل أى جزماء يجلبهم يعنى ان الله سبحانه جعل النفاق المحتمل في قلوبهم الى تلك الغاية عاقبة ما وقع منهم من الجمل (عما أخلفوا الله ما وعده) الباء للسببية أى بسبب اخلافهم لما وعده من التصدق والصلاح وكذلك الباء فى (وجما كانوا يكذبون) أى وبسبب تكذيبهم لما عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن أبي هريرة رأت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا اثنى خان وعن ابن عمر بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربع من كن فيه كان منافقا خالسا ومن كانت فيه

(١٨ - فتح البيان ح) حصاده قال ما سقط من السنبل رواه ابن مردويه وقال آخرون هذا كل شئ كان واجبا

ثم نسخ الله بالعشر ونصف العشر حكاية ابن جرير عن ابن عباس وابن الحنفية وابراهيم الخفي والحسن والسدى وعطية العوفي وغيرهم واختاره ابن جرير رحمه الله قلت وفي تسمية هذا نسخا نظرا لانه قد كان شيئا واجبا في الاصل ثم انفسر بيانه وبين مقدار ما يخرج ويكنه قالوا وكان هذا في السنة الثانية من الهجرة قاله أعلم وقد قدم الله سبحانه الذين يصرمون ولا يتصدقون كما ذكر عن أصحاب الجنة في سورة ن اذا قموا اليصر منها اصبحين ولا يستنون فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فاصبحت كالصريم أى كالليل المدهلهم سودا محترقة فتسودوا مصبحين ان اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين فانطلقوا وهم يتخافتون أن لا يدخلنها اليوم

عليكم مسكن وغدا على حردى قوة وجلد رحمة قادرين فلما رأوها قالوا اننا ضالون بل نحن محرمون قال أو سطيم ألم أقل لكم
ولا تسبحون قالوا سبحان ربنا اننا كنا ظالمين فاقبل بعضهم على بعض يتلأمون قالوا يا ليتنا ان كنا ظالمين عسى ربنا ان يبدلنا خيرا
مننا انما الى ربنا راغبون كذلك العذاب والعذاب الاخرة كما لو كانوا يعلمون وقوله تعالى ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين قيل
معناه لا تسرفوا في الاعطاء فخطوا فوق المعروف وقال أبو العالمة كانوا يعطون يوم الحصاد شيئا ثم يبادر واهبه وأسرفوا فأنزل الله
ولا تسرفوا قال ابن جرير زلت في ثابت (١٢٨) بن قيس بن شماس جد فخره فقال لا يا بني اليوم أحد الأاطعمته فاطم حتى

أُمِّي وَلَيْسَتْ لَهُ ثَمَرَةٌ قَازِلٌ اللَّهُ تَعَالَى
وَلَا تَسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ رَوَاهُ
ابْنُ جَرِيرٍ عَنْهُ وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ عَطَاءٍ
نَهَى عَنْ السَّرْفِ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَقَالَ إِبْنُ أَبِي
بَنِيعٍ مَعَاوِيَةُ مَا جَاوَزَتْ بِهِ أُمُّ اللَّهِ فَيُؤْخَذُ
السَّرْفُ وَقَالَ السُّدِّيُّ فِي قَوْلِهِ
وَلَا تَسْرِفُوا قَالَ لَا تَعْطُوا أَمْوَالَكُمْ
فَتَعْدُوا وَأَفْقَرُوا وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ
وَعُمَيْرُ بْنُ كَعْبٍ فِي قَوْلِهِ وَلَا تَسْرِفُوا
قَالَ لَا تَنْفَعُوا الصَّدَقَةَ فَتَقْصُرُوا بِكُمْ
ثُمَّ اخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ قَوْلَ عَطَاءٍ أَنَّهُ نَهَى
عَنِ الْإِسْرَافِ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَلَا شَكَّ أَنَّهُ
صَحِيحٌ لَكِنِ الظَّاهِرُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ مِنْ
سِمَاقِ الْآيَةِ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى كَاوُوا
مِنْ غَرَاهُ إِذَا أَتَوْا حَقَّهُ يَوْمَ
حَصَادِهِ وَلَا تَسْرِفُوا أَنْ يَكُونَ عَائِدًا
عَلَى الْأَكْلِ أَيِ لَا تَسْرِفُوا فِي
الْأَكْلِ لِمَافِهِ مِنْ مُضَرَّةِ الْعَقْلِ
وَالْبَدَنِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى كَاوُوا شَرِبُوا
وَلَا تَسْرِفُوا الْآيَةُ وَفِي صَحِيحِ الْجَاهِزِيِّ
تَعْلِيْقًا كَاوُوا شَرِبُوا وَالْبَسَامُ مِنْ
غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِذَةٍ وَهَذَا مِنْ
هَذَا وَأَلَّهُ أَعْلَمُ وَقَوْلُهُ وَجَلَّ وَجْهُهُ
الْإِنْعَامُ جَوْلَةٌ وَفَرَشَائِي وَأَنْشَأَ لَكُمْ
مِنَ الْإِنْعَامِ مَا هُوَ جَوْلَةٌ وَمَا هُوَ فَرَشٌ
قَبْلَ الْمَدَامَةِ جَوْلَةٌ مَا يَحْتَمِلُ عَلَيْهِ

خلد كانت فيه خصله من تفاسق حتى بدعها الحديث وفيه اذا خاسم فجر ثم انكر عليهم
فقال (ألم يعلموا) أى المنافقون (أن الله يعلم سرهم ونجواهم) أى جميع ما سره
من التفاسق وما يتناجون به فيما بينهم من الطعن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى
أصحابه وعلى دين الاسلام (وان الله علام الغيوب) أى ما غاب عن العيان فلا يخفى
عليه شيء من الاشياء المغيبة كما سما كان ومن جلة ذلك ما يصد عن المنافقين (الذين
يلزون) أى يعيون وقال قتادة يطعنون (المطوعين) أى المطوعة والنطوع
البرع والتفضل بما ليس بواجب (من المؤمنين في الصدقات) والمعنى ان المنافقين
كانوا يعيون المساكين اذا تطوعوا بشئ من أموالهم وأخرجوه للصدقة فكانوا يقولون
ما أعنى الله عن هذا ويقولون ما فعلوا هذا الأرياء ولم يكن لله خالصاً أخرج البخاري ومسلم
وغيرهما عن ابن مسعود قال لما نزلت آية الصدقة كانت كما على ظهورنا فاجرح رجل
قتصدق بشئ كثير فقاموا به وجاء أروع قيل بنصف صاع فقال المنافقون ان الله
لغنى عن صدقة هذا فزالت هذه الآية وفي الباب روايات كثيرة (والذين لا يجتهدون
الاجتهادهم) بالضم الطائفة وهى لغة أهل الحجاز وبالفتح لغبرهم وهى المشقة وقيل هما
لغتان ومعناها واحد وفى القرطبي الجهد شئ يسير يعيش به المقل وقد تقدم بيان ذلك
والمعنى ان المنافقين كانوا يعيون المؤمنين الذين كانوا يصدقون بمفضل عن كفايتهم
(فيسخرون منهم) أى يستهزؤون بهم لحقارة ما يجرحونه فى الصدقة مع كون ذلك جهداً
المقل وغاية ما يقدر عليه وهو يتمكن منه يقال سخرت منه سخران باب تعب هزئت
به والسخرى بالكسر اسم منه وبالضم لغة فيه والسخره وزان غرفة ما سخرت من
خادم أو جارية أو دابة بلا أجر ولا عنق والسخرى بالضم بمعناه وسخرته فى العمل بالتثنية
استعملته مجازاً وسخر الله الأبل ذلها وسهلها ومنه سخرنا هذا وما كاله مقرنين (سخر
الله منهم) أى جازاهم على ما فعلوه من السخرية بالمؤمنين بمثل ذلك فسخر الله منهم بأن
أهانهم وأذلهم وعذبهم والتعبير بذلك من باب المشاكاة كفى غيره وقيل هو دعاء عليهم
بأن يسخر الله بهم كما سخر بالمالين (ولهم عذاب أليم) أى ثابت مستقر شديد الأليم
فى الآخرة (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم)
أخبر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بأن صدور الاستغفار منه للمنافق

وعدہ

من الابل والفرش الصغار منها كما قال الثوري عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن

عبد الله في قوله الجولة ما جل عليه من الابل وفرشا الصغار من الابل رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه وقال ابن عباس الجولة هي البكار والفرش الصغار من الابل وكذا قال مجاهد وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ومن الانعام جولة وفرشا أما الجولة فالابل والنيل والبالغ والحير وكل شيء يحمل عليه وأما القرش فالغنم واختاره ابن جرير قال وأحسبه قال انما سعى فرشا منه من الارض وقال الربيع بن أنس والحسن والضحاك وقائدة وغيره الجولة الابل والبقرة والفرش الغنم وقال السدي ما الجولة فالابل وأما القرش فالفصلا والعجاويل والغنم وما جل عليه فهو جولة وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم

الجملة ماتركون والفرش ما نأكلون وتحلبون شاة لا تحلبون عليا بل نأكلونها وتخذون من صوفها الذي قاله عبد الرحمن في تفسير هذه الآية الكريمة حسن يشهد له قوله تعالى أولم يروا أن خلقنا لهم معات آتيتنا ما يكون وذلك لئلا هم يفتخروا بهم ومنها ما يكون وقال تعالى وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونهم من بين فتر ود خالصا مساعدا للشاربين إلى أن قال ومن أضوأفها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين وقال تعالى الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوها ومنها ما نأكلون ولكم فيها منافع وتبلغوا عليها حاجة (١٢٩) في صدوركم وعليها وعلى الفئال تحلبون ويريككم آياته فأي آيات الله تتذكرون وقوله تعالى كلا وما رزقكم الله أي من الثمار والزروع والأنعام فكيف خلقها الله وجعلها رزقا لكم ولا تتبعوا خطوات الشيطان أي طريقه وأوامره كما اتبعها المشركون الذين حرموا ما رزقهم الله أي من الثمار والزروع أفتراد على الله أنه لكم أي أن الشيطان أبها الناس لكم عدو وبين أي بين ظاهر العداوة كما قال تعالى إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحابه السعير وقال تعالى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبو يكم من الجنة بنزع عنه الباسم بالبرسم ما سواهما الآية وقال تعالى أفقتضونه وذريته وأبنا من دوني وهم لكم عدو بقس للظالمين بدلا والآيات في هذا كثيرة في القرآن ثمانية أزواج من النضان اثنين ومن المعراشين قل آلذين حرم أم المؤمنين أما أشملت عليه أرحام الاثنين بنوني بعلم أن كنتم صادقين ومن الأبل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذين حرم أم

وعنده سواء فهذا كلام خرج شخراج الامر ومعناه الخبر وذلك لانهم ليسوا بأهل الاستغفار له صلى الله عليه وآله وسلم ولا المغفرة من الله سبحانه فهو كقوله تعالى قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم وفيه بيان لعدم المغفرة من الله سبحانه لأنه منافق وان أكثر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الاستغفار لهم وليس المراد من هذا أنه لو زاد على السبعين لكان ذلك مقبولا كما في سائر مقامهم الأعداد بل المراد بهذا المبالغ في عدم القبول فقد كانت العرب تجرى ذلك مجرى المثل في كلامهم عند ارادة التكثير والمعنى أنه إن يغفر الله لهم وإن استغفرت لهم استغفارا بالغيا الكثرة غاية المبالغ وقد ذهب بعض الفقهاء إلى أن التقييد بهذا العدد المخصوص يفيد قبول الزيادة عليه وبدل ذلك ما أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن عروة أن عبد الله بن أبي قال لو أنكم تتفقدون على محمد وأصحابه لا تنفصوا من حوله وهو القائل ليخرجن الأعراس من الأذل فأنزل الله استغفر لهم أو لا تستغفر لهم فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يزيدن على السبعين فأنزل الله سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم نستغفر لهم لن يغفر الله لهم وعن مجاهد وابن عباس نحوه قال الضحاك لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن الله قد رخص لي فسأزيد على السبعين لعل الله أن يغفر لهم فأنزل الله سواء عليهم الآية يعني فينزل حسنة المغفرة ومعناهم أنه لم يحذف علمه ذلك وإنما أراد بما قال اظهار كمال رحمة ورأفته بمن بعث اليهم وفيه لطف بأشد وحث على المرحمة وشققة بعضهم على بعض وهذا أدب الأنبياء كما قال إبراهيم من عصاني فأنك عذوري رحيم وذكر بعضهم لخصيص السبعين رجها وليس بشئ فقال إن السبعة عدد شريف لانهم أعبدوا السموات والأرضين والبحار والأقاليم والنجوم السيارة والأعضاء وأيام الأسبوع فصير كل واحد من السبعة إلى عشرة لأن الحسنة بعشرة أمثالها وقبل خصت السبعون بالذكر لأنه صلى الله عليه وآله وسلم كبر على عمه حجة تسبعين تكبيرة فكانه قال إن استغفر لهم سبعين من إياكم تكبيرة أكل على حجة وهذا كالأذى قبله ثم علل عدد المغفرة لهم بقوله (ذلك) الامتناع ليس لعدم الاعتداد باستغفاركم بل (بأنهم كفروا بالله ورسوله) ولغة الكفر في ذلك الباس من الغفران لهم بسبب أنهم كفروا ولاجل منأ وقصو رفيل بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنه انتهى (والله لا يهدي القوم الفاسقين) أي المقردين الخارجين عن

الاثنين أما أشملت عليه أرحام الاثنين أم كنتم شهداء أذ وصاكم الله بهم عدائهم أنظلم من افتري على الله كذب الخسل الناس بغير علم أن الله لا يهدي القوم الفاسقين) هذا بيان لجلل العرب قبل الاسلام فيما كانوا حرموا من الأنعام جعلوها حراما أو أوعا بحجة وسأيتوه وصلة وحما وغير ذلك من الأنواع التي ابتدعوا في الأنعام والزروع والثمار فين تعالى أنه أنشأ جنات معروشات وغير معروشات وأنه أنشأ من الأنعام حوله وفرشاتهم بين أصناف الأنعام إلى غنم وهو يباض وهو النضان وسواد وهو المعز ذكره أنشأه وإلى أبل ذكره وأوانهم أو بشر كذلك وأنه تعالى لم يحرم شيئا من ذلك ولا شيئا من أولادها بل كلها محتقرة بل هي آدم كالأولاد

وجولة وحلبا وغير ذلك من وجوه المنافع كما قال وأرسل لكم من الانعام غنمية أرواح الآية وقوله تعالى أما اشتد عليكم آراطم
 الاثنين رد عليهم في قولهم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورا ومحرم على أزواجنا الآية وقوله تعالى نبؤني يعلم ان كنتم صادقين
 أي أخبروني عن يقين كيف حرم الله عليكم ما زعمتم تحريمه من الخيرة والسائبة والوصيلة والحام ونحو ذلك وقال العوفي عن ابن
 عباس قوله غنمية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين فهذه أربعة أزواج ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين الى قوله تعالى
 نبؤني يعلم ان كنتم صادقين بقوله تعالى كله جلال (١٤٠) وقوله تعالى أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا كنتم في ما كنتم تدعون

واقترعوه على الله من تحريم ما حرمه
 من ذلك فنأظم عن اقترى على الله
 كذا لفضل الناس بغير علم أي
 لأحد أظلم منه ان الله لا يهدي
 القوم الظالمين وأول من دخل في
 هذه الآية عمرو بن لحي بن قعدة
 لأنه أول من غير دين الانبياء وأول
 من سبب السوائب ووصل الوصيلة
 وحى الحام كما ثبت ذلك في الصحيح
 (قل لا أجد فيها وحى الى تحريم ما على
 طاعم بطعمه الآن يكون ميتة أو
 دما مسفوحا وألحم خنزيرا فانه
 رجس أو فسقا أهل غير الله بهغن
 اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور
 رحيم) يقول تعالى أمر أعبد الله
 ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم
 قل يا محمد لهؤلاء الذين حرموا
 ما رزقهم الله اقترأ على الله لأجد
 فيها وحى الى تحريم ما على طاعم
 بطعمه أي أكل يأكله قبل معناه
 لأجد شيئا مما حرمتم حراما سوى
 هذه وقبل معناه لأجد من
 الحيوان سباعا ما سوى هذه
 فعسى هذا فيكون ما ورد من
 التحريمات بعد هذا في سورة
 المائدة وفي الأحاديث الواردة رافعا

الطاعة المتجاوزين لحدودها والمراد هنا هذه الآية الموصلة الى المطلوب لا الهذابة التي
 بمعنى الدلالة وإراءة الطريق ثم ذكر سبحانه نوعا آخر من قبائح المنافقين فقال (فرح
 المنافقون) هم المتروكون وهم الذين استأنوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من
 المنافقين فأذن لهم وخلقهم بالمدينة في غزوة تبوك أو الذين خلفهم الله ونشطهم
 أو الشيطان أو ثقاهم أو كسلهم أو المؤمنون (بقعدة) أي بقعودهم يقال قعد
 قعودا ومقعدا أي جلس وأقعد غيره ذكر معناه الجوهرى (خلاف رسول الله) فيه ثلاثة
 أوجه أحدها انه منصوب على المصدر أي خلقه واخلاف رسول الله والثاني انه يفعل
 من أجله أي فرحوا لاجل مخالفتهم رسول الله ويقعدهم لخالفته له واليه ذهب الطبري
 والزجاج ويؤيده قرآن تخلف بضم الخاء وسكون اللام والثالث أن يتصب على الظرف
 أي بعد رسول الله يقال أقام زيد خلف القوم أي تخلف بعد ذهابهم وخلاف يكون ظرفا
 واليه ذهب أبو عبيدة وعيسى بن عرقال الاخفش ويونس الخلف بمعنى خلاف وذلك
 أن جهة الأمام التي يقصدها الانسان تخالفها جهة الخلف وقال قطرب معنى خلاف
 رسول الله مخالفة الرسول حين سار الى تبوك وأقاموا أي قعدوا لاجل مخالفة أو مخالفتين
 له (وذكره) أو أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) لكال لشبهة بالاموال
 والانس وعدم وجود باعث الايمان وداعى الاخلاص ووجود الصارف عن ذلك وهو
 ما هم فيه من التفاق وفيه تعريض بالمؤمنين المبذلين لاموالهم وأنفسهم في سبيل الله
 لوجود الداعى معهم واتقاء الصارف عنهم وفي الخازن وكرهوا الخروج الى الجهاد وذلك
 ان الانسان يميل بطبعه الى اتيار الراحة والقعود مع الاهل والولد ويكره اتلاف النفس
 والمال (وقالوا) أي قال المنافقون لآخوانهم (لا تنفروا في الحرب) تنشط اليهم
 وكسر التشاطهم ونواصيها بينهم بالخالفه لأم الله ورسوله وكانت غزوة تبوك في شدة
 الحر والقطط فأمر الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله (قل يا رجبهم أشد حرا) الداعى
 انكم أي المنافقون كيف تقرن من هذا الحر اليسير ونارجهم التي شد خلوتها بالدين
 فيها أيد أشد حرا فافترقتم فانتكم انما فترقتم من حر يسير في زمن قصير ووقعتم في حر
 كثير في زمن كبير بل غير متناه أبلدين ودهر الداهرين (لو كانوا يفتقرون) انها
 كذلك لما فعلوا ما فعلوا وهذا اعتراض تديلي من جهة تعالى غير داخل تحت القول

المأمور
 لمفهوم هذه الآية ومن الناس من يسمى هذا نكحوا والا كثرون من المتأخرين لا يسمونه نكحوا لانهم باب
 رفع مباح الاصل والله اعلم وقال العوفي عن ابن عباس أو دما مسفوحا يعنى المهرق وقال عكرمة في قوله أو دما مسفوحا هو لاهية
 الآية لتتبع الناس ما في العروق كما تتبعه اليهود وقال جاد عن عمران بن حريق قال سألت أبا الجراح عن الدم وما ينطلق من الذنب
 من الرأس وعن القدر يرى شها الحرقه فقال انما يحى الله عن الدم المسفوح وقال قتادة حرم من الدماء ما كان مسفوحا فاما الدم
 فماخالطه من الدم فلا بأس به قال ابن جرير خدثنا ابن المنى خدثنا جراح بن مناهل حدثنا جاد عن يحيى بن سعيد عن القاسم عن

عائشة رضي الله عنها أنها كانت لا ترى بأسا بلحوم الجوارح والسباع والدم الذين يكونون على القدر بأسا وقرأت هذه الآية صحيح غريب وقال الحمدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار قال قلت لخابر بن عبد الله أنهم يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الجوارح الأهلية فمن خبير فقال قد كان يقول ذلك الحكم بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن أبي ذلك الجري يعني ابن عباس وقرأ قل لأجدفيا أوصي إلى تحرم على طاعم يطعمه الآية وهكذا رواه البخاري عن علي بن المديني عن سفيان به وأخرجه أبو داود ومن حديث ابن جريح عن عمرو بن دينار ورواه الحارث بن مسند (١٤١) حدثنا محمد بن علي بن دحيم حدثنا أحمد بن حازم حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين

حدثنا محمد بن شريك عن عمرو بن دينار عن أبي الشعمس عن ابن عباس قال كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء فقذر أبعث الله نبيه وأمر أنزل كتابه وأحل حلاله وحرم حرامه فأحل فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكنت عنه فهو عفو وقرأ هذه الآية قل لأجدفيا أوصي إلى تحرم على طاعم يطعمه الآية وهذا اللفظ ابن مردويه ورواه أبو داود ومفردا به عن محمد بن داود بن صبيح عن أبي نعيم به وقال الحارث بن أحمد حدثنا صحيح الاسناد ومخرجاه وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قالت ماتت شاة أسودة بنت زمة فقالت يا رسول الله ماتت فلا تبيع الشاة قال فلم لأخذتم مسكها قالت نأخذ مسك شاة قد ماتت فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما قال الله قل لأجدفيا أوصي إلى تحرم على طاعم يطعمه الآن يكون مسك أو دما مسقوحا أو لحم خنزير وأنت لا تطعمه وأنه

المأمر به مما كلفه منه فلم يفتضحوا قليلا وليسكوا كثيرا هذان الأمران معناهما الخبر والمعنى فسيضحك هؤلاء الذين يتخلفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قليلا بالنسبة للبكاء في الآخرة وإن كان كثيرا في نفسه لأن الدنيا قانية والآخرة باقية والمقطع الغائي بالنسبة إلى الدائم الباقي قليل ويكون كثيرا وانما جئ بهما على لفظ الأمر للدلالة على أن ذلك أمر محتموم لا يكون غيره والتقدير ضحك قليلا وبكاء كثيرا وزمانا قليلا وزمانا كثيرا وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم ضحكتم قليلا ولبكيت كثيرا أخرجه البخاري (جزءا ما كانوا يكسبون) من المعاصي والمعنى ينجون جزاء أو سبب الأمر بقله الضحك وكثرة البكاء جزاء وهم بعملهم (فإن رجعت الله) الرجوع تعدد كالأرجوع لازم واللازم من باب جلس والمتعدى من باب قطع وفي الكرخ معنى الرجوع تفسير الشيء إلى المكان الذي كان فيه يقال رجعت رجعا كقولك ردت به والفاء لتفريع ما بعدهما على مقابلهما وانما قال (التي طائفة منهم) لأن جميع من أقام بالمدينة لم يكونوا منافقة بل كان فيهم غيرهم من المؤمنين لهم أذار صحيحة وفيهم من المؤمنين من لا عذر له ثم عفا عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره وتاب الله عليهم كاللثة الذين خلفوا وأساقى بيان ذلك وقد انما قال إلى طائفة لأن منهم من تاب عن النفاق وندم على الخلف وفي البياض أن المتخلفين كانوا اثني عشر رجلا (فاستأذنوا للخروج) معك في غزوة أخرى بعد غزوتك هذه (فقل) لهم أخرجوا لهم عن ديوان الغزاة وابعاد المحلهم عن محفل صحبتك (إن تخرجوا معي أبدا) إلى غزوة ولا إلى سفر وهذا الخبر في معنى التبرع للمبالغة (ولن تقاونا معي عدوا) أي قل لهم ذلك عفو لهم وبما في استصحابهم من المفاسد كما تقدم في قوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا (إنكم رضىتم بالقعود) لتعليل أي لن تخرجوا معي ولن تقاونا إلا أنكم رضىتم بالقعود والخلف (أول مرة) وهي غزوة تبوك والفاء في (فأقعدوا مع الخالفين) لتفريع ما بعدهما على مقابلهما والخالفين جمع خالف كما أنهم خلفوا الخارجين والمراد بهم من تخلف عن الخروج بعد القوم وقيل المعنى فأقعدوا مع الفاسدين من قولهم فلان خالف أهل بيته إذا كان فاسدا فيهم ومن ذلك خلف البن أي فسد بطول المكث في السقاء ذكره عنه الأصمعي وقرئ مع الخالفين قال القراء معناه المخالفين قيل المراد بهم

تدبغوا فتنشعوا به فأسلمت فسلمت مسكها فادبغت به فاتخذت منه قربة حتى تحرق عند هار واهما جدور واه البخاري والتسائي من حديث الشعبي عن عكرمة عن ابن عباس عن سودة بنت زمة بذلك يخبره وقال سعيد بن منصور حدثنا عبد الله بن محمد عن عيسى بن عمارة عن أبيه قال كنت عند ابن عمر وأنته سئل عن أكل القنطرة فقرا عليه قل لأجدفيا أوصي إلى تحرم على طاعم يطعمه الآية فقال شيخ عند سمعت أباه مرة يقول ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال خبث من الخبائث فقال ابن عمر إن كان النبي صلى الله عليه وسلم طاله فهو كآل ورواه أبو داود عن أبي ثور عن سعيد بن منصور به وقوله تعالى فمن اضطر غير باغ

ولا عادى من اضطر الى كل شيء مما حرم عليه في هذه الآية الكريمة وهو غير متيسر يعني ولا عدوان فان ربك غفور رحيم أي غفور
لرحيم به وقد تقدم تفسير هذه الآية في البقرة بما فيه كفاية والغرض من سياق هذه الآية الكريمة الداعي للمشركين الذين استعدوا
ما استعدوه من تحريم المحرمات على أنفسهم بأرائهم الفاسدة من البعرة والسائمة والوصيلة والجنام وتحذو ذلك فامر رسوله أن يحجروا
الله لا يجد فيما أرواه الله اليه ان ذلك محرم وانما حرم ما ذكر في هذه الآية من الميتة والدم المسفوح وسم الخنزير وما أهل الغنابله
وما عدا ذلك فلم يحرم وانما هو عقوبتكم (١٤٢) عنه فكيف ترعون أنه حرام ومن أين حرموه ولم يحرمه وعلى هذا فلا

النساء والصبيان والرجال العاجزون فلذلك جازعته التعليل وقال قتادة الخالقون
النساء وهو مرد ولاجل الجمع قال ابن عباس الخالقين هم الرجال الذين تخلقوا عن الغزو
غير عذرو في الآية دليل على أن الرجل إذا ظهر منه معسكروه وخدا عودعة يجب
الانقطاع عنه وترك صاحبه (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا) يعني صلاة الجنازة
(ولا تقم على قبره) قال الزاجح معناه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا دفن
الميت وقف على قبره ودعا له فقم ههنا منه وقيل معناه لا تقم بمات أصلا فبقيد
ولا تتولى دفنه ولما زلت هذه الآية بما صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على منافق
ولا قام على قبره بعدها (أنهم كفروا بالله ورسوله وما تواتروا هم فاسقون) فعمل النبي عن
الصلاة والقيام على قبره وانما وصفهم بالقس بعد وصفهم بالكفر لان الكافر قد يكون
عدلا في دينه بأن يؤدي الأمانة ولا يضر لاحد سوءا وقد يكون خبيثا في نفسه كثير
الكذب والمكر والتفاد والخداع والجن واهوار السوء والغير والخبث وهي مستقيمة في
كل دين عند كل أحد وقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عمر قال لما توفي عبد الله
ابن أبي بن سلول أتى ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسأله أن يعطيه
قبصه لكي يفنه فيه فأعطاه ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فقام عرفا فخذلوه فقال يا رسول الله أتصلي عليه وقد نهك الله أن تصلي على المنافقين
فقال ان الله خفي وقال استغفر لهم ألا تستغفر لهم ان استغفر لهم سبعين مرة
فلن يغفر الله لهم وسأله على السبعين فقال انه منافق فضلى عليه فأذن الله ولا تصل على
أحد منهم مات أبدا الآية فترك الصلاة عليهم والحديث في اللفاظ في الصحاح والسبب وكان
ابن أبي رئيس الخنزير و ينسب لايه وأمه فابوه أبي وأمه سلول وكان اسمه عبد الله
(فلا تجيب) نهى رسوله أن يجيب (أموالهم وأولادهم انما يريد الله أن يعذبهم بها في
النيازات) رزق أنفسهم وهم كفرون هذا تكرر لما سبق في هذه السورة وتكرر لما سبق
واراد أن يكون المخاطب به على بال ولا ينسأه وان يعتقد أن العمل بهم وقيل ان
الآية المتقدمة في قوم وهذا في آخر بن وقيل هذه في اليهود والاولى في المنافقين وقيل غير
ذلك وقد تقدم في الآية الاولى جميع ما يحتاج اليه في تفسير هذه الآية وقد ذكر في الخازن
ما حصل من التفاوت في اللفاظ في هاتين الآيتين ولا يأتي بكثير فائدة ما عدا الله سبحانه

يحيى تحريم أشياء أخرى فيما بعد هذا
كإجاء النبي عن لحوم الجوارح الألهية
ولحوم السباع وكل ذي مخلب من
الطير على المشهور من مذاهب
العلماء (وعلى الذين هادوا حرمنا
ذئ ظفر ومن البقر والغنم حرمنا
عليهم شحومها ما لا ما حلت
ظهورها وما أواخاها وما أخط
يعظم ذلك حرمانهم فيحسبهم وانا
أصادقون) قال ابن جرير يقول
تعالى وحرمنا على اليهود كل ذي
ظفر وهو البهايم والطير ما لم يكن
مشقوق الأصابع كالابل والنعام
والاوز والبط قال علي بن أبي طلحة
عن ابن عباس وعلى الذين هادوا
حرمنا كل ذي ظفر وهو البعير
والنعامة وكذلك قال مجاهد
والسدى في رواية وقال سعيد بن
جبير وهو الذي ليس مشقوق الأصابع
وفي رواية عنه كل من مشقوق الأصابع
ومنهم الذي قال قتادة في قوله
وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي
ظفر وكان يقال البعير والنعامة
وأشياء من الطير والحيتان وفي
رواية البعير والنعامة وحرم عليهم
من الطير البط وشبهه وكل شيء ليس

بمشقوق الأصابع وقال ابن جرير مجاهد كل ذي ظفر قال النعامة والبعير شقاقت
للقائم بن أبي زائدة وحديثه ما شقاقت قال بكل ما لم ينفرج بين قوائم البهايم قال وما انفرج أ كلفه قال انشرفت قوائم البهايم
والعصافير قال فهو دأ كلفه قال وما تنفرج قائمة البعير خفه ولا خفت النعامة ولا قائمة الورد فلا تأكله اليهود والابل والنعام
ولا الورد لا كل شيء لم تنفرج قائمته ولا تأكل جوارح الوحش وقوله تعالى ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومها قال السدى
يعني الثرب والشحم والكيسين وكانت اليهود تقول انه حرمه اسرا يسئل فمن شحومه وكذا قال ابن زيد وقال قتادة الثرب وكل

شخص كان كذلك ليس في عظم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الاما حلت ظهورهما يعني ما عاق بالظهور من الشحوم وقال السدي وأبو صالح الالية ما حلت ظهورهما وقوله تعالى أو ألوأيا وقال الامام أبو جعفر بن جرير الحوايا جمع واحد ها حاية وحوية وهو مكتوى من البطن بما اجتمع أو استداروهي ثبات اللبن وهي المياعة وتسمى المراض وفيها الامعاء قال ومعنى الكلام ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما اما حلت ظهورهما وما حلت الحوايا قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أو ألوأيا وهي المبعرة وقال مجاهد الحوايا المبعرة والمرئى وكذا قال سعيد بن جبيرة والضحاك وقادة (١٤٣) وأبو مالك والسدي وقال عبد الرحمن بن زيد بن

أسلم وغير واحد الحوايا المراض التي تكون فيها الامعاء يكون وسطها وهو ثبات اللبن وهي في كلام العرب تدعى المراض وقوله تعالى أو ما اختلط بعظم يعني الاما اختلط بالشحوم بعظم فقد أدرجها في شحومهم وقال ابن جرير شحوم الالية ما اختلط بالعصص فهو حلال وكل شيء من القوائم والجنب والعين والراس وشحوه وما اختلط بعظم فهو حلال وقوله تعالى ذلك جزئناهم بغنيمهم قال السدي ذلك جزئناهم بغنيمهم أي هذا التصديق انما فعلنا بهم وأزمنناهم به مجازاة على بغنيمهم ومخالفتهم وأحرنا كما قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وقوله وانا لصادقون أي وانا لصادقون فيما جازي شأهم به وقال ابن جرير وانا لصادقون فيما أخبرنا الله به يا محمد من تحريم ذلك عليهم لا كما زعموا من أن اسرائيل هو الذي حرمه على نفسه والله أعلم وقال عبد الله بن عباس بلغ عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن سمرة باع خرفا فقال قاتل الله سمرة ألم يعلم أن رسول الله صلى الله

على بن أبي طالب فقال (واذا أنزلت سورة) أي طائفة من القرآن ويجوز أن يراد بعض السورة وان يراد كلها وقبل هي هذه السورة (ان آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله) الخطاب للمنافقين أي أخلصوا في إيمانكم وجهادكم وانما قدم الامر بالامان لان الاشتغال بالجهاد لا يفيد الابعاد الايمان (استأذنك أولوا الطول منهم) أي ذوو الفضل والسعة والتدرة وأهل الغنى والثروة من طال عليه طولاً وكذا قال ابن عباس والحسن وقال الاصمهم الرؤساء والكبراء المنتظرون اليهم وخصهم بالذكر لان الذم لهم أزم اذ لا عذر بهم في القعود ولا العاجز عن السفر والجهاد لا يحتاج الى الاستئذان (وقالوا) عطف بنفسه يرى (ذربنا) أي اتركنا (نكن مع القاعدین) أي المتخلفين عن الغزوة من المعذورين كالضعفاء والزمنى (رضوا بان يكونوا مع الخولاف) استئناف لبيان سوء صنيعهم والخولاف جمع خالفة ولذا قيل الخولاف النساء اللاتي يخلفن الرجال في العودة في البيوت وجوز بعضهم أن يكون جمع خالف وهو من لا خير فيه وهو مردود فان فوا على لا يكون جمعا لفاعل وصفه العاقل الاما شذ من نحو قورار من ووا كس وهو الك وقال النحاس يجوز أن تكون من صفة الرجال بمعنى أنها جمع خالفة يقال رجل خالفة أي لا خير فيه فعلى هذا يكون جمعا للذكور باعتبار لفظه (وطبع على قلوبهم) هو كونه ختم الله على قلوبهم وقدمه تفهيمه (فهم لا يفقهون) شيئا مما فيه نفعهم وضرهم بل هم كالكلام أي لا يفقهون الخير الذي في الجهاد ولا الشر الذي في التخلف (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأمورهم وأنفهم) المقصود من الاستدراك الاشعار بان تخلف هؤلاء غير ضار فانه قد قام بفريضة الجهاد من هو خير منهم وأخلص نية كما في قوله فان يكفر به هؤلاء فقد وكلناهم قوما ليسوا بها بكافرين وقد تقدم بيان الجهاد بالاموال والانفس ثم ذكر منافع الجهاد فقال (وأولئك لهم الخيرات) جمع خير فيمثل منافع الدنيا والدين من النصر والغنية والجنة والكرامة وقيل المراد بها النساء الحسنات أي الخيرات قاله الحسن كقوله تعالى فيهن خيرات حسان ومقرده خيرة بالتشديد ثم خففت مثل هينه وهينه (وأولئك هم المفلحون) قد تقدم معنى الفلاح والمراد بهم هنا الفائزون بالمطوب وتكرير اسم الاشارة لتفخيم شأنهم وتكثير أمرهم (أعد الله لهم) استئناف

عليه وسلم قال لعن الله اليهود حرم عليهم الشحوم فجملوها فباعوها وأخر جامعا من حديث سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن طائوس عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب قال قال عطاء بن أبي رباح سمعت جابر بن عبد الله يقول عام الفتح ان الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام فقبل يا رسول الله أرايت شحوم الميتة فأنها يدهن بها الجلود ويطلى بها السفن ويستحب بها الناس فقال لا هو حرام ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك قاتل الله اليهود ان الله لما حرم عليهم شحومها جازاهم ثم أعوه بأكلوا ثم رآه الجماعة من طرق عن يزيد بن أبي حنيفة وقال الزهري عن سعيد بن المسيب عن

أى هرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا ثمنها ورواه البخارى ومسلم
 جيعا عن عبدان عن ابن المباركة عن ونس عن الزهري به وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن عبد الله بن ابراهيم حدثنا اسمعيل بن
 اسحق حدثنا سليمان بن حرب حدثنا وهيب حدثنا خالد الحذاء عن بركة أبى الوليد عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 كان قاعدا خلف المقام فرجع بصره الى السماء فقال لعن الله اليهود ثلاثا فان الله حرم عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا ثمنها وان الله
 لم يحرم على قوم أكل شئ الا حرم عليهم غنمه (١٤٤) وقال الامام أحمد حدثنا علي بن عاصم أنبا خالد الحذاء عن بركة أبى الوليد

لم يحرم على قوم أكل شئ الا حرم عليهم غنمه
 أنبا ابن عباس قال كان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قاعدا في
 المسجد لم يستقبلنا الخرفنظر الى
 السماء فضحك قال لعن الله اليهود
 حرمت عليهم الشحوم فباعوها
 وأكلوا ثمنها وان الله اذا حرم
 على قوم أكل شئ حرم عليهم غنمه
 ورواه أبو داود من حديث خالد
 الحذاء وقال الاشمع عن جامع بن
 شداد عن كاهنهم عن أسامة بن زيد
 قال دخلنا على رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وهو مرض فعوده
 فوجدناه نائما قد غطي وجهه برد
 عذني فكشف عن وجهه وقال
 لعن الله اليهود يحرمون شحوم
 الغنم وبأكل ثمنها وفي رواية
 حرمت عليهم الشحوم فباعوها
 وأكلوا ثمنها وفي لفظ لابي داود
 عن ابن عباس مرفوعا ان الله اذا
 حرم على قوم أكل شئ حرم عليهم
 غنمه (فان كذبوا فقل ربكم ذو
 رجعة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم
 المجرمين) يقول تعالى فان كذبك
 يا محمد مخالفا لقول من المشركين واليهود
 ومن شابههم فقل ربكم ذو رجعة
 واسعة وهذا ترغيب لهم في ابتغاء

ليان كونهم مفطحين (جنات) أى بساكنين (تجري من تحتها الانهار) قد تقدم بيان
 جرى الانهار من تحتها (خالد فيها) قد سبق بيان الخلود والقوز الا فى أيضا (ذلك)
 أى ما تقدم من الخيرات والفلاح وتل الكرامة العظمى واعداد الجنات الموصوفة تلك
 الصفة (القوز العظيم) وصف القوز بكونه عظيما يدل على انه الفرد الكامل من أنواع
 القوز (وجاء المعتذرون من الاعراب) قرئ بالتخفيف من أعذر وكان ابن عباس يقرؤها
 مخففة ويقول والله هكذا أنزلت قال النحاس الآن مدارها على الكبي يقال أعذرا اذا
 بالغ في العذر ومنه من أنذر فقد أعذر وقرأ الجوهري بالتشديد وفيه وجهان أحدهما أن
 يكون أصله المعتذرون وهم الذين لهم عذر فالمعتذرون على هذا هم المحقون في اعتذارهم
 وقد روى هذا عن القزماو الزجاج وابن الانبارى وأبى عبيد والاختش وأبى حاتم وقيل
 هو من عذر وهو الذى يعتذر ولا عذره يقال عذرى الا عذر فى امره اذا قصر فيه واعتذر بما ليس
 بعذر ذكره الجوهري وصاحب الكشف فالمعتذرون على هذا هم المبطون لانهم اعتذروا
 بأعذار كاذبة باطلة لأصل لها والمعنى انه جاء هؤلاء من الاعراب بما جاؤوا به من الأعذار
 بحق أو يبطل على كذا التفسير من قال الضحك هم رط عامر وقيل من أسد وغطان
 وقال ابن عباس هم الذين يتخلفوا بعذر وهذا شروعي بيان أحوال منافقي الاعراب
 اثر بيان أحوال منافقي أهل المدينة والاعراب سكان البادية وهم أخص من العرب إذ
 العربى من تكلم باللغة العربية سواء كان يسكن البادية أو الحاضرة وقد اختلف فى أنهم
 كانوا معتذرين بالتصنع أو بالصحة (يتوذن لهم) أى لأجل أن ياذن لهم رسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم بالتخلف عن الغزو (وقعد) طائفة أخرى لم يعتذروا بل قعدوا
 عن الغزو وبغير عذر وهم منافقوا الاعراب (الذين كذبوا الله ورسوله) بالتخفيف أى
 كذبوا فى ادعاء ايمانهم وبالتشديد أى لم يؤمنوا ولا صدقوا ما جاء به الرسول عن ربه ولا
 امتثلوا أمره قال أبو اسحق ذكرى أنهم نفر من بنى عفار جاؤا فاعتذروا منهم خفاف بن
 ايماء وقيل هم رط عامر بن الطليل قالوا ان غزو ناعمك أغارت أعراب طى على أخاينا
 ومواشنا وقيل منافقوا الاعراب قسمين قسم جاؤا واعتذروا بالاعذار الكاذبة وقسم
 لم يجئ ولم يعتذر ثم توعدهم سبحانه فقال (سيعيب الذين كذبوا ومنهم) أى من
 الاعراب وهم الذين اعتذروا بالاعذار الباطلة والذين لم يعتذروا بل كذبوا الله ورسوله

وأتى
 رجعة الله الواسعة وأتباع رضوانه ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين ترهيب لهم في مخالفتهم
 الرسول خاتم النبيين وكثيرا ما قرن الله تعالى بين الترغيب والترهيب فى القرآن كما قال تعالى فى آخر هذه السورة ان ربك سريع
 العقاب وانه لغفور رحيم وقال وان ربك ذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك شديد العقاب وقال تعالى نبى عبادى أنى أنا
 الغفور الرحيم وان عذابى هو العذاب الالام وقال تعالى عافوا الذنب وقابل التوب شديد العقاب وقال ان بطش ربك لشديد انه هو
 يبدى ويغيب وهو الغفور الودود والآيات فى هذا كثيرة جدا (سيعيب الذين أشركوا والوشاء الله ما شركا ولا أبائنا ولا حرمنا من
 وأتى

شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان
فله السخة الباعرة وساء لهذا لم اجمعين قل هل شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا فان شهدوا فلا

أهواء الذين كذبوا بالنبأ الذين لا يؤمنون بالآخرة وهم يربهم يعدلون هذه مناظر قد كره الله تعالى وشبهه تشبث بها
المشركون لشركهم وتجرعوا حرما فان الله مطلع على ما هم فيه من الشرك والتجرع لهما حرمة وهو قادر على تغييره بان
يلهم من الايمان أو يحول بيننا وبين الصلوة فلم يغيره فدل على أنه (١٤٥) بمشيئته وادته ورضاه من ان ذلك وله هذا قال

ولم يشأ الله ما أشركنا ولا أبونا
ولا حرما من شيء كما في قوله تعالى
وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم
الآية وكذلك الآية التي في النحل
مثل هذه سواء قال الله تعالى كذلك
كذب الذين من قبلهم أي هم هذه
الشبهة ضل من ضل قبل هؤلاء
وهي حجة أحسنه باطلة لا تنالو
كانت صحيحة لما أذاقهم الله بأسه
ودمر عليهم وأدال عليهم رسوله
الكرام وإذا كذب المشركين من أليم
الاتقام قل هل عندكم من علم
فتخرجوه لنا أي بأن الله راض
عليكم فيما أنتم فيه فتخرجوه لنا
أي فخلعوه لروايتهم وتبرؤهم
ان تتبعون الا الظن أي الوهم
والخيال والمراد بالظن ههنا
الاعتقاد الفاسد وان أنتم الا
تخرجون تكذبون على الله فيما
ادعيتوه قال علي بن أبي طلحة عن
ابن عباس ولو شاء الله ما أشركوا وقال
كذلك كذب الذين من قبلهم ثم
قال ولو شاء الله ما أشركوا فأنتم
قالوا عبدنا الا الهة تقر بنا إلى
الله زانق فأخبرهم الله أنهم لا تقرهم
فقوله ولو شاء الله ما أشركوا يقول

وأقرب من التبعية لأن منهم من أسلم فلم يصبه العذاب (عذاب أليم) أي كثير الأليم
فيمصدق على عذاب الدنيا بالقتل والأسر وعذاب الآخرة بالنار المؤبدة ولما ذكر سبحانه
المعذرين ذكر بعدهم أهل الاعتذار الصحيحة المسقط للغزو وبدأ بالاعتذار في أصل الحلقة
فقال (ليس على الضعفاء) وهم إرباب الزمان والهمم والعجز ونحو ذلك كالنسيخ
والصبيان والنساء ومن خلق في أصل الحلقة ضعيفا نحيفا والضعفاء جمع ضعيف وهو
الصحيح في بدنه العاجز عن الغزو ثم ذكر الاعتذار العارض فقال (ولا على المرضى) المراد
بالمريض كل ما يصدق عليه اسم المرض لغة أو شرعا وقيل أنه يدخل في المرضي الأعلى
والأعرج ونحوهما ثم ذكر الاعتذار الجاهل إلى المال لا إلى البدن فقال (ولا على الذين
لا يجدون ما يفتقون حرج) أي ليست لهم أموال يفتقونها فيما يحتاجون إليه من
الجهاد والجهاد فقرهم بكهنته وحزينة وغي عذرة فتفي سبحانه عن هؤلاء الثلاثة الحرج
وأبان أن الجهاد مع هذه الأعذار ساقط عنهم غير واجب عليهم بمقيد بقوله (إذا نصحو
لله ورسوله) في حال قعودهم بالطاعة وعدم الراجف والتنبيط وأصل النصح إخلاص
العمل من الغش ومنه التوبة النصوح قال نقطو به نصح الشيء إذا خلص ونصحه
القول أي أخلصه له والنصح لله الإيمان به والعمل بشر بعته وترك ما يخالفها كما في
ما كان ويدخل تحت دخوله أو بالنصح عبادته ومحبة الجاهدين في سبيله وبذل النصيحة
لهم في أمر الجهاد وترك المعاشرة لأعدائهم بوجه من الوجوه ونصحه الرسول صلى الله
عليه وآله وسلم التصديق بنبوته وبعلمه وطاعته في كل ما يأمر به أو ينهى عنه
وموالاة من والاه ومعاداة من عاداه ومحبة وتغليب سنته وأحياها وهاهنا بعد وتبع ما بلغ
إليه القدرة وقد ثبت في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الذين
النصيحة ثلاثا قالوا نأى قال لله ولكاتبه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم وفي الخازن
النصح ان يتقوا في البدن ويحترزوا عن افشاء الراجف واثارة النفس ويسعوا في
ايصال الخبر إلى أهل الجهاد ويقوموا بمصالح يومئذ (مألى المحسنين من سبيل)
جملة متفرقة ضمنوا ما سبق أي ليس على المعذرين والناسحين طريق عقاب ومواخذة
ومن حزينه لنا كيدوا على هذا فيكون لفظ المحسنين موضوعا في موضع الضمير الراجع
إلى المذكورين سابقا وأقرب من الظاهر له دلالة على انتظامهم بتبعهم في سلك المحسنين

(١٩ - فتح البيان ح) تعالى ولشئت لجمعهم على الهدى أجمعين وقوله تعالى قل فته الخجة باللغة فلو شاء الله أن
أجمعين يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم يا محمد فته الخجة باللغة أي إلى الحكمة التامة والخجة باللغة في هداية من هدى
واضلال من أضل فلو شاء الله أن أجمعين فكل ذلك بقدرته ومشيئته واختياره وهو مع ذلك يرضى عن المؤمنين ويعجز الكافرين
كما قال تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وقال تعالى ولو شاء ربك لأمم كل قبيلة لئلا يعلم الله من الجنة والناس أجمعين وقال الضحالك لاجبة
ولا يزالون محتلين الأمن رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمت ربك لئلا يعلم الله من الجنة والناس أجمعين وقال الضحالك لاجبة

لا أحد عصى الله ولكن الله الخلة البالغة على عباده وقوله تعالى قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا أي
هذا الذي حرموه وأكذبهم واقتربتم على الله فيه فإن شهداءهم فلا تشهد معهم أي لا تهم انما يشهدون والحال انهم كذبا وزورا
ولا تتبع أهواء الذين كذبوا ما تناهوا الذين لا يؤمنون بالآخر وهم يبرهنهم بعدلون أي يبرهنهم كونه يوجبون له عدلا (قل تعالى أتل
ما حرم ربكم عليكم الا انتم كونه شيئا والذين احسانا ولا تقتلوا اولادكم من املاق فمن نزل قبكم واياعلم ولا تقتربوا الفواحش
ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي (١٤٦) حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون) قال داود الاودي

عن الشعبي عن علقمة عن ابن
مسعود رضي الله عنه قال من اراد
أن يتقرب الى وصية رسول الله صلى
الله عليه وسلم التي عليها غاية فليقرأ
هؤلاء الآيات قل تعالى أتل ما حرم
ربكم عليكم الا انتم كونه شيئا
الى قوله لعلكم تتقون وقال
الحاكم في مستدركه حديثا بغير
محمد الصيرفي عن عروة حدثنا
عبد الصمد بن الفضل حدثنا مالك
ابن اسمعيل المهدي حدثنا اسرايل
عن أبي اسحق عن عبد الله بن
خليفة قال سمعت ابن عباس
يقول في الانعام آيات محكمات هن أم
الكتاب ثم قرأ قل تعالى أتل ما حرم
ربكم عليكم الا آيات ثم قال الحاكم
صحيح الاسناد ولم يخبره جرحه
ورواه زهير وقس بن الربيع
كلاهما عن أبي اسحق عن عبد الله
ابن قيس عن ابن عباس به والله أعلم
وروى الحاكم أيضا في مسنده من
حديث يزيد بن هرون عن سفيان
ابن حسين عن الزهري عن أبي
ادريس عن عباد بن الصامت
قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم أيكم يبغى على ثلاث ثم تلا

أو يكون المراد ما على جنس المحسنين من سبيل وهو لا المذكورون سابقا من جعلتهم
فتكون الجملية تعليلية وقولهم لا سبيل عليه معناه لا سبيل ولا عتاب وأنه بمعنى لا عتاب
بمعنى فضلا عن العتاب وإذا تعدي بالي كقوله
ألا تبت شعري هل الى أم سالم * سبيل فاما الصبر عنها فلا صبر
فبمعنى الوصول كما قال
هل من سبيل الى خرفا شربها * أم من سبيل الى نصر بن حجاج
ونحوه فتنبه لمواطن استعماله فانه من مهمات الفصاحة (والله غفور رحيم) لهم
أو للمسيب فكيف للعسن والجملية تذييلية وفي معنى هذه الآية قوله تعالى لا يكلف الله
نفسا الا وسعها وقوله ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج
واسقاط التكليف عن هؤلاء المذخورين لا يستلزم عدم ثبوت ثواب الغزاهم الذي
عذر الله عنه مع رغبتهم اليه ولا حجبهم العذر عنه ومنه حديث أنس عند أبي داود وأحمد
وأصله في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لقد تركتم بعدكم قوما
ما سرتم من مسرو ولا نفقتهم من نفقة ولا قطعتم اديا الاوهم معكم فيه قالوا يا رسول الله
وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة فقال حبسهم العذر وأخرجهم أجدو مسلما من حديث
جابر عن قتادة قال أنزلت هذه الآية في عائشة عن الزنى وقال الضحاك عذرهم وجعل
لهم من العذر ما جعل للجاهدين قال الرازي ليس في الآية انه يحرم عليهم الخروج لان
الواحد لو خرج لبعين الجاهدين بمقدار القدرة اما يحفظ متاعهم ويتكبر سوادهم
بشرط ان لا يجعل نفسه كالأول وبالاعليم لكان ذلك طاعة مقبولة ثم ذكر الله سبحانه
من جملة المذخورين من ضمنه قوله (ولا على الذين اذا ما أولئك لعلهم قلت لأجد
ما أجلكم عليه) العطف على جملة ما على المحسنين أو على الضعفاء أي لا عليهم حرج
والمعنى ان من جملة المذخورين هؤلاء الذين أولئك لعلهم على ما يكون عليه في الغزو
فلم يجد ذلك الذي طلبوه منك قبل هم سبعة من الانصار وقيل بنومقرن وقيل المعنى اذا
ما أولئك قاتلا لأجدو قسلا غير ذلك وهذا أولى وفي اشارة هذا التعبير على ليس عندى
اطفئ الكلام وتطيب لقاوب السائلين كآلة قال أنا أطلب ما سألونه وأقتس عنه
فلا أجد ما أعذروا عن أنس في الآية قال الماوراودي عن علي بن صالح قال حدثني

رسول الله صلى الله عليه وسلم قل تعالى أتل ما حرم ربكم عليكم حتى فرغ من الآيات فنرى فاجره
على الله ومن انقص منهم شيئا فأدر كنه الله في الدنيا كانت عقوبة ومن أخر الى الآخرة فأمره الى الله ان شاء عذبه وان شاء عفا
عنه ثم قال صحيح الاسناد ولم يخبره جرحه وانما انفقا على حديث الزهري عن أبي ادريس عن عباد بن الصامت عن أبي
الحديث وقد روى سفيان بن حسين كلا الحديثين فلا ينبغي أن ينسب الى الوهي في أحد الحديثين اذا جع بينهما والله أعلم واما
تفسيره فاقول تعالى لنبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد هؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله وحرموا ما رزقهم الله
وقتلوا ولادهم وكل ذلك فاعلوا بآرائهم وتوسلوا الشياطين لهم قل لهم تعالى أي هلموا فاقبلوا أتل ما حرم ربكم عليكم أي أنقص

مَالِيسَ لِلْبَيْعِ فَلَا تَقْعِبُهُمْ وَلَا صَاحِبَهُمْ فِي الدِّيَارِ مَعْرُوفًا وَسَبْعَ عَشْرَ نَبِيًّا مِنْ أَنْبَاءِ آلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَارْجِعْكُمْ فَأَتَيْتُكُمْ عَاكِفِينَ تَعْمَلُونَ فَأَمَرَ
بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ مَا وَانْ كَانُوا مُشْرِكِينَ بِحَسْبِهِمَا وَقَالَ تَعَالَى وَإِذَا خُذْنَا مُنَاسِقًا إِلَىٰ سُرَايِلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا
وَالْأَقْرَبِينَ لَا يَأْتِي فِي هَذَا كَثِيرٌ وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي بَرْزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَى الْعَمَلِ
أَفْضَلُ قَالَ الصَّلَاةُ عَلَى رَقْمٍ أَقَامَتْ ثُمَّ قَالَ يَرْوَاهُ الْوَالِدَيْنِ قُلْتُ ثُمَّ أَى قَالَ الْجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ ابْنُ مَعْجُونٍ حَدَّثَنِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَوْ أَمَرْتَهُ أَنْ يَدْفَعَ (١٤٨) وَرَوَى أَخَاظُ أَبُو بَكْرٍ مِنْ مَرْدُوهُ بِسَنَدِهِ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ وَعَنْ عُنَادَةَ

ابن الصامت كل منهما يقول
أوصاني خليلي رسول الله صلى الله
عليه وسلم أطعم والدك وإن أمرت
أن يخرج لهما من الدنيا فافعل
ولكن في أسنادهم ما ضعف والله
أعلم رقبته تعالى ولا تقتلوا أولادكم
من أهلك من زنا زكم وآياهم لما
وصى تعالى بالوالدين والاجداد
عطف على ذلك الاحسان الى الابناء
والاحقاد فقال تعالى ولا تقتلوا
أولادكم من أهلك وذلك أنهم كانوا
يقتلون أولادهم كما رأت لهم
الشياطين ذلك فكانوا يقتلون
البنات خشية العار وربما قتلوا
بعض الذكور خشية الافتقار
ولهذا ورد في الصحيحين من حديث
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
أنه سأل رسول الله صلى الله عليه
وسلم أي الذنب أعظم قال أن تجعل
لله ندا وهو خلقك قلت ثم أي قال
أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك
قلت ثم أي قال أن زاني حيلة جارك
ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذين لا يدعون مع الله الها آخر
ولا يقعون النفس التي حرم الله
الباقي ولا يزنون الآية وقوله

على قلوبهم (فهم) بسبب هذا الطبع (لا يعلون) ما فيه الرجحان حتى يختاروه على ما فيه
الخسر عن مجاهد قال هي في المساقين قال السيوطي وقد تقدم مثله اهـ قال في الجمل
لكن مع نوع اختلاف في الالفاظ كالايجتي (يعتذرون اليكم اذ رجعت اليهم) اخبار
من الله سبحانه عن المساقين المعتذرين بالباطل بانهم يعتذرون الى المؤمنين اذ رجعوا
عن الغزو وهذا كلام مستأنف وانما قال اليهم أى الى المعتذرين بالباطل ولم يقل الى
المدينة لان مدار الاعتذار هو الرجوع اليهم لا الرجوع اليها ويرجع اليها بعد
الملافة وقبل الوصول اليها ويحتمل أن يكون الضمير في اليكم رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم على التأويل المشهور في هذا روى ان المعتذرين كانوا بضعة وعشرين رجلا
ثم أخبر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم عما يجب به عليهم فقال (قل
لا تمترؤا) فهم اهـ أو لا عن الاعتذار بالباطل ثم علمه بقوله (لن تؤمنن لكم) أى ان
نصدقكم كأنهم ادعوا انهم صادقون في اعتذارهم لان غرض الاعتذار ان يصدق فيما
يعتذرون به فاذا عرف انه لا يصدق ترك الاعتذار وانما خاص الرسول صلى الله عليه وآله
وسلم بالجواب عليهم مع ان الاعتذار منهم كائن الى جميع المؤمنين لانه صلى الله عليه وآله
وسلم رأسهم والمتولى لما رد عليهم من جهة الغير ووجهه (قد بينا الله من اخباركم) فاعلمت
لتي قبلها أى لا يقع من تصديق لكم لان الله قد علم اناب الوحي ما هو منافى لصدق اعتذاركم
(وسبى الله علمكم) أى ما استفعلونه من الاعمال فيما بعد هل تغفلون عما أنتم عليه
الآن من السر أم تتقون عليه وقيل سعلم علمكم السيئ واقعا أى مستمرا على الوقوع
والظاهر ان الاستقبال في علم الله بالنظر اذ هو ربه لنا (ورسوله) بمعطوف على الاسم
الشريف ووسطه فعل الرؤية أي انابا نرؤيه الله سبحانه لما استفعلونه من خيرا أو
شره التي تدور عليها الاثابة والعقوبة وفي جملة (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة
ففيشكم بما كنتم تعملون) فتخوف شديد لما هي مشحولة عليهم من التهديد والوعيد لما
ما اشتملت عليه من وضع الظاهر موضع المضمر لا شعار ذلك باحاطته بكل شئ يقع منهم مما
يكفونه ويظهرون به واخباره لهم به ومجازاتهم عليه (سيعلمون بالله لكم اذا انقلبتم
اليهم) ذكر ان هؤلاء المعتذرين بالباطل شيئا كدون ما جاؤا به من الاعتذار الباطل بالحلف

الاحقور يرون فيه وسوءه
تعالى من اطلاق قال ان عباس وقادة السدي وغيره هو الفقراى ولا تقبلوهم من فقركم الحاصل وقال في سورة
الاسراء ولا تقبلوهم ولا ذلكم خشية اطلاق أى لا تقبلوهم خوفا من الفقر فى الاجل ولهذا قال هناك نحن نرزقكم وماياكم فدابر
اللاهتام بهم أى لا تخافوا من فقركم بسبب رزقهم فهو على الله وماهنا لما كان الفقر حاصلا قال نحن نرزقهم وماياهم لاننا
ههنا والله أعلم وقوله تعالى ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن كقوله تعالى قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما
والاثم والبيغ غير الحنى وان تشركوا بالله ما ينزل به سلطانا وان تقولوا الى الله ملائعون وقد عدم تفسير غافى قوله تعالى

ظاهر الاثم وباطنه وفي الصحاحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أحد أعز من الله من أجل ذلك حرم الفواحش مظهر منها وما باطن وقال عبد المطلب بن عمر بن ورا عن مولى المغيرة قال قال سعد بن عباد ثوراً بمت مع امرأته رجلان في سبب غير مضمض فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تجبوا من غير سعد فوالله لا أنا غير من سعد والله أعز مني من أجل ذلك حرم الفواحش مظهر منها وما باطن أخرجه وقال كمال أبو العلاء عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قيل يا رسول الله أنافرا قال والله اني لا أعاروا الله أعز مني ومن غيره (١٤٩) نهى عن الفواحش رواد بن مردويه

ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة وهو على شرط الترمذي فقد روى بهذا السند أعماراً متى ما بين الستين إلى السبعين وقوله تعالى ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الإباحي وهذا ما نص تبارك وتعالى عن النبي عنه ما كيدوا لا فوهوا داخل في النهي عن الفواحش مظهر منها وما باطن فقد جاء في الصحاحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وفي رسول الله الإباحي ثلاث الشيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة وفي لفظ مسلم والذي لا اله غيره لا يحل دم رجل مسلم وذكره قال الأعشى فحدث به إبراهيم فحدثني عن الأسود عن عائشة بنته وروى أبو داود والنسائي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل دم امرئ مسلم الإباحي ثلاث خصال زان محسن يرحم ورجل قتل متعمدا فيقتل ورجل يخرج من الإسلام حارب الله ورسوله فيقتل أو يصاب

عند رجوع المؤمنين إليهم من الغزو وغرضهم من هذا التأكيد (لتعرضوا عنهم) أي تعرض المؤمنون عنهم فلا يؤخروهم ولا يؤخذونهم بالتحلف ويظهرون الرضا عنهم كما يفيد ذلك الرضا من بعد وحذف المحلوف عليه ليكون الكلام يدل عليه وهو اعتذارهم الباطل (فأعرضوا عنهم) أي دعوهم وما اختاروا لأنفسهم والمراد به تركهم والمهاجرة لهم بالرضا عنهم والصفح عن ذنبهم كما يفيد جملة (انهم رجس) الواقعة على الأمر بالاعراض والمعنى انهم في أنفسهم رجس ليكون جميع أعمالهم نجسة فكانها قد صيرت ذواتهم رجساً وأثم ذو ورجس أي ذو وأعمال فيجدة ومثله انما المشركون نجس وهو لا كما كانوا هكذا كانوا غير متأهلين لقبول الارشاد إلى الخير والتخدي من الشرف ليس لهم الا الترك قال أهل المعاني ان هؤلاء طلبوا الاعراض الصريح فأعطوا اعراض المقت (وما واهم جهنم) من تمام التعليل فان من كان من أهل النار لا يجدي فيه الدعاء إلى الخير وتعليل مستقل قاله أبو السعود والمأوى كل مكان يأوى إليه الشيء لئلا يأمنه اوقد أي فلان إلى منزله يأوى (جزاء) أي يجزون جزاء أو مقبول من أجله (عما كانوا يكسبون) الباء السببية (يحقفون لكم) حذف هنا المحلوف به لكونه معلوماً مسبقاً والمحلوف عليه عمل ما تقدم (لتعرضوا عنهم) بين سبحانه ان مقصدهم بهذا الخلف هو رضا المؤمنين عنهم ثم ذكر ما يفيدانه لا يجوز الرضا عن هؤلاء المعتذرين بالباطل فقال (فان تعرضوا عنهم) كما هو مطلوبهم مساعدة لهم وقبلت عذرهم فلا ينفعهم رضاكم (فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) تعليل للمعذوف المتقدم وإذا كان هذا هو ما يريد الله سبحانه من عدم الرضا عن هؤلاء الفاسقة العصاة فينبغي انكم أي المؤمنون ان لاتفعلوا خلاف ذلك بل واجب عليكم أن لاترضوا عنهم على ان رضاكم عنهم لو وقع لكان غير معتد به ولا مقصد الهم والمقصود من اخبار الله سبحانه بعدم رضاه عنهم هو نهى المؤمنين عن ذلك لان الرضا عن من لا يرضى الله عنه عملاً لا يفعله مؤمن ونكتة العدول لهذا الظاهر التسجيل عليهم حيث وصفهم بالخروج عن الطاعة المستوجب لمحال بهم من السخط ولا يذان بشمول الحكم بان شارحهم في ذلك (الاعراب) أي جنسهم لا كل واحد من أسباني (أشد كفرًا وثفًا) لما ذكر سبحانه أحوال المنافقين بالدينونة ذكر حال من كان خارجاً عنهم من الاعراب وبين ان كفرهم

أولى من الأرض وهذا اللفظ النسائي وعن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال وهو يحصور سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل دم امرئ مسلم الإباحي ثلاث رجل كفر بعد اسلامه أو زني بعد احصائه أو قتل نفسه بغير نفس فوالله ما زنت في جاهلية ولا اسلام ولا تقيت أن لي بدني بدمائه بعد اذ هداني الله ولا قتلت نفساً فم تقتلوني رواد الامام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وقال الترمذي هذا حديث حسن وقد جاء النبي والجزء والوعيد في قتل المعاهد وهو المستامن من أهل الحرب فروى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم من فروعاً من قتل معاهدا

لم يرح رائحة الجنة وان ريحها التي تريحها من مسيرة اربعين عاماً وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قتل معاهداً ذمة الله وذمة رسوله فقد آخن به الله فلا ريح رائحة الجنة وان ريحها وجد من مسيرة خمسين خيراً يقال رواه ابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح وقوله ذلك وصلاً بكم به لعلكم تعقلون أي هذا ما وصا بكم به لعلكم تعقلون عن الله أمره ونهيه ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا العكيل والميزان بالقسط لا تكلف نفساً الا وسعها وإذا قلتم فاعدوا ولو كان ذا قربى وبعده الله أفؤوا ذلكم (١٥٠)

ابن عباس قال لما نزل الله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن وان الذين يأتون أموال اليتيم ظلماً الآية فانطلق من كان عنده يقيم فقول طعماه من طعماه وشرباه من شرباه فجعل يفضل الذي فيجب له حتى يأكله ويقتله أشد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله ويشترونك عن اليتيم قل اصلاح لهم خير وان تحاططوهم فاحسوا انكم قال خطوا طعماهم بطعماهم وشرباهم بشرباهم رواه أبو داود وقوله تعالى حتى يبلغ أشده قال الشعبي ومالك وغير واحد من السلف يعني حتى يحتلم وقال السدي حتى يبلغ ثلاثين سنة وقيل أربعون سنة وقيل ستون سنة قال وهذا كله بعدهما والله أعلم وقوله تعالى وأوفوا العكيل والميزان بالقسط يأمر تعالى بأقامة العدل في الأخذ والاعطاء كما توعد على تركه في قوله تعالى ويل للطفذين الذين اذا اكالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألا يظن أولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين وقد أهلك الله أمة من الأمم كانوا يخسرون المكيل وفي كتاب الجامع لأبي عيسى الترمذي من حديث الحسين بن قيس أبي علي الدجي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صحاب الكيل والميزان انكم وليتم أمر اهلك فيهم الأمم السالفة قبلكم ثم قال لا تعرفه مرفوعاً الا من حديث الحسين وهو ضعيف في الحديث وقد روى بإسناد صحيح عن ابن عباس موقوفاً قلت وقد رواه ابن مردويه في تفسيره من حديث شريك عن الأعشى عن سالم بن أبي الجعد عن ابن عباس قال قال رسول الله

ونفاقهم أشد من كسر غيرهم ومن نفاق غيرهم لانهم أقسى قلوباً وأغلظ طباعاً وأجنى قولاً وأبعد عن سماع كتب الله وما جاءت به رسله وأوحى فقلوا ولا نشأتم في معزل من مشاهدة العلماء ومفاوضتهم وهذا من باب وصف الجنس بوصف بعض افراده كقوله تعالى وكان الانسان كثوراً ادليس كاهن كاذ كره على ما سخط به خبروا الاعراب هم من سكن البوادي بخلاف العرب فانه عام لهذا النوع من بني آدم سواء سكنوا البوادي أو القرى هكذا قال أهل اللغة ولهذا قال سيمويه ان الاعراب بصيغة جمع وليست بصيغة جمع العرب لثلاث بلزم كون الجمع أخص من مفردة قال النيسابوري قال أهل اللغة رجل عربي اذا كان نسبه الى العرب بآباء وجده عرب كالحواري والمجوس واليهودي والهذلي والاعرابي اذا قيل له يا عربي فرح واذا قيل للعربي يا عربي غضب وذلك ان من استوطن القرى العربية فهو عربي ومن نزل البادية فهو اعرابي ولهذا لا يجوز ان يقال لله هاجر بن والانصار اعراب وانما هم عرب فان قيل انما سمى العرب عرباً لان أولاد اسمعيل عليه السلام نشأوا بالعرب وهي من تهامة فسموا الى بلدتهم وكل من يسكن جزيرة العرب وينطق بلسانهم فهو منهم وقيل لان أولادهم معربة عما في ضمائرهم ولما في لسانهم من الفصاحة والبلاغة انتهت في المصباح واما الاعراب بالفتح فآهل البرية من العرب الواحد اعرابي بالفتح أيضاً وهو الذي يكون صاحب شجرة وارتاد للكلالة وزاد الاخرى سواء كان من العرب أو من غيرها واليه من نزل البادية وجاور البادين وظن فظعنهم فهم اعراب ومن نزل بلاد دار بفس واستوطن المدن والقرى العربية وغيرها ممن ينتمي الى العرب فهم عرب وان لم يكونوا فصحاء (وأجدر) معناه أخلق يقال فلان جدير بكذا أي خلقي به وأنت جدير أن تفعل كذا أو أصلاً من جدر الحائط وهو رفعه بالبناء يقال هو جدير وأجدر وحقيق وأحق وقبح رخليق وأولى بكذا كله بمعنى واحد قال الليث جدر يجدر جدارة فهو جدير ويؤث ويثني ويجمع وقذبه الراغب على أصل اشتقاق هذه المادة وانما من الجدار أي الحائط فقال والجدير بالتهنئة لانتهاه الامر اليه انتهاء الشيء الى الجدار والذي يظهر ان اشتقاقه من الجدر وهو أصل الشجر فكأنه نابت كنبوت الجدر في قولك جدير بكذا (ألا يعلموا) واحد روماً أنزل الله على رسوله من الشرائع والاحكام والفرائض ومما أمر به من الجهاد لبعدهم عن مواطن الانبياء وديار

التنزيل

يوم يقوم الناس لرب العالمين وقد أهلك الله أمة من الأمم كانوا يخسرون المكيل وفي كتاب الجامع لأبي عيسى الترمذي من حديث الحسين بن قيس أبي علي الدجي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صحاب الكيل والميزان انكم وليتم أمر اهلك فيهم الأمم السالفة قبلكم ثم قال لا تعرفه مرفوعاً الا من حديث الحسين وهو ضعيف في الحديث وقد روى بإسناد صحيح عن ابن عباس موقوفاً قلت وقد رواه ابن مردويه في تفسيره من حديث شريك عن الأعشى عن سالم بن أبي الجعد عن ابن عباس قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم انكم معشر الموالى قد شركتم الله بخصلة من ما هلكت القرون المتقدمة المكيال والميزان وقوله تبارك وتعالى لانكاف نفسا الاوسعها أى من اجتمعت في اداء الحق واخذها فان اخطأ بعد استقراغ وسعوه وبذل جهده فلا حرج عليه وقدر روى ابن مردويه من حديث بقة عن مبشر بن عبيد عن عمرو بن معيرون بن مهران عن ابيه عن سعيد بن المسيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوفوا البكيل والميزان بالقيسط لانكاف نفسا الاوسعها عن ابن المسيب رفعه في الآية فقال من اوفى على يده في الكيل والميزان والله يعلم صحة نيته بالوفاء فيهما لم يؤخذ وذلك تاويل (١٥١) وسعها هذا مرسل غريب وقوله واذا

قلتم فاعدوا لولو كان ذاقرى كقوله يا أيها الذين آمنوا كنوا اقوامين لله شهداء بالقيسط الآية وكذا التي تشهد في سورة النساء يا أيها نفعي بالعدل لكل أحد في كل وقت وفي كل حال وقوله وبعد الله اوفوا قال ابن جرير يقول وبوصية الله التي اوصاكم بها فانافوا واتقوا ذلك بان تطيعوه فيها أمرهم ونهايهم ان تعملوا بكتاب وسنة رسوله وذلك هو الوفاء بعهد الله ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون يقول تعالى هذا وصاكم به وأمرهم بدوا كدعلكم فيه لعلكم تذكرون أى تعظون وتنهون مما كنتم فيه قبل هذا وقرأ بعضهم بتشديد الذال وآخره بتحفيذه (وان هذا صراطى مستقيما فتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية في قوله ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وفي قوله أن أقبوا الذين ولا تتفرقوا فيه ونحو هذا في القرآن قال أمر الله المؤمنين بالجماعة ومنهاهم عن الاختلاف

التنزيل ومشااهدة المعجزات ومعاشاة ما ينزل عليه في تضاعف الكتاب والسنة ووصف العرب بانهم جاهلون لا ينافي صحة الاحتجاج بالفاظهم وأشعارهم على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم اذ وصفهم بالجهل انما هو في أحكام القرآن لا في الفاظه ونحو لا يفتح بلغتهم في بيان الأحكام بل في معاني بيان الالفاظ لان القرآن والسنة بما بلغتهم قاله الكرخي (والله اعلم) بأحوال خلقه فانه على العموم وهو لا منهم (حكيم) فيما يجازيهم بدين خير وشرف عن الكلي ان هذه الآية نزلت في أسد وعظفان وأخرج أحد وأبو داود والترمذي والنسائي والبيهقي في شعب الايمان عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى السلطان اقتن قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث الثوري وأخرج أبو داود والبيهقي من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بنا جنانا ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى أبواب السلطان اقتن وما زاد أحد من سلاطنه قريبا الا زاد من الله بعدا (ومن الاعراب من يتخذ ما يتفق مغرما) هذا تنويع الجنس الى نوعين الاول هؤلاء والناسي ومن الاعراب من يؤمن بالله والمغرم القرم والخسران وهو ثانی مغفول يتخذ لانه معنى الجعل والمعنى انه اعتقدا ما يتفق في سبيل الله غرامة وخسرانا وأصل الغرم والغرامة ما يتفق الرجل وليس يلزم له في اعتقاده ولكنه يتفق للرياء والتقية وقيل أصل الغرم اللزوم كانه اعتقد أنه يلزمه لامر خارج لا يتبعته النفس قال الفخار يعنى بالمغرم انه لا يرجو له ثوابا عند الله ولا مجازاة وانما يعلى ما يعلى من الصدقات كرها وعن ابن زيد قال هؤلاء المنافقون من الاعراب الذين انما يتفقون رياء انتقاما بغزوهم ومحارباوهم يتناقضون مغرما وهم ينوأسد وعظفان (ويترتب أى ينتظر (بكم الدوائر) جمع دائرة وهي الحالة المتقلبة عن النعمة الى البلية وأصلها ما يحيط بالشيء ودوائر الزمان نوبة ونصاريفه ودوله وكأنه الانستعمل في المكره وفي الدائرة مذبحان أظهرهما انها صفة على فاعله كقائه وقال الناصري يجوز أن تكون مصدرا كالعاقبة والمعنى ينتظر بكم قلب الزمان وسرورها التي تأتي مرة بالخير ومرة بالشقاء قال عيان بن رباب يعنى بموت الرسول وبظهور المشرقون ثم دعا سبحانه عليهم بقوله (عليهم دائر الدوائر) وجعل مادعا به عليهم عما نالوا أرادوا بالمؤمن والمو

والفرقة وأخبرهم انه انما علم من كان قلبهم بالرائى والخصومات في دين الله ونحو هذا قاله مجاهد وغير واحد وقال الامام أحمد بن حنبل حدثنا الاسود بن عامر شاذان حدثنا أبو بكر هو ابن عياش عن عاصم بن حوان عن أبي الجود عن أبي وائل عن عبد الله هو ابن مسعود رضى الله عنه قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبا يده ثم قال هذا سيد الله مستقبوا وخشعوا عن عيه وشالاه ثم قال هذه السبل ليس منى ما سيد الاعلى شيطان يدعو اليه ثم قرأ وان هذا صراطى مستقيما فتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وكذا رواه الحاکم عن الاسود عن أحمد بن عبد الجبار عن أبي بكر بن عياش به وقال صحيح ولم يجزأه وهكذا رواه أبو جعفر الرازي

ورواه عمرو بن أبي قيس عن عاصم عن أبي وائل شقيق بن سلمة عن ابن مسعود بن مرفوعا نحوه وكذا رواه بن زيد بن هرثم ومسلم والنسائي عن يحيى بن حبيب بن عربي بن حبان عن حديث ابن وهب أربعين عن عاصم عن أبي وائل عن ابن مسعود بن مرفوعا وكذا رواه ابن جرير عن المثني عن الجاني عن جابر بن زيد بن مرفوعا وقد روى هذا الحديث النسائي والحاكم عن اسحق الثعالبي عن سليمان بن حرب عن جابر بن زيد بن مرفوعا كذلك وقال صحيح ولم يخرجاه وقد روى هذا الحديث النسائي والحاكم عن حديث أحمد بن عبد الله بن يونس عن أبي بكر (١٥٢) بن عياش عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود بن مرفوعا وكذا

رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه من حديث يحيى الجاني عن أبي بكر بن عياش عن عاصم عن زر بن مرفوعا فقد صححه الحاكم كما رأيت من الطبري يقر وأعل هذا الحديث عند عاصم بن أبي النجود عن زر عن أبي وائل شقيق بن سلمة كلاهما عن ابن مسعود بن مرفوعا وأعلم وقال الحاكم وشاهد هذا الحديث حديث الشعبي عن جابر بن وجه غير معتد بشيخه إلى الحديث الذي قال الإمام وعبد بن حميد جميعا واللفظ لأحمد حدثنا عبد الله بن محمد وهو أبو بكر بن أبي شيبة أنبأنا أبو خالد الأحمر عن مجاهد بن الشعبي عن جابر قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم نخط خطا هكذا أمامه فقال هذا سبيل الله وخطين عن يمينه وخطين عن شماله وقال هذه سبيل الشيطان ثم وضع يده في الخط الأوسط ثم تلا هذه الآية وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاياكم لعلكم تتقون ورواه أحمد وابن ماجه في كتابه السنن من سننه والبخاري عن أبي

عند الجمهور ومصدر أضيف إليه الدائرة للإبادة كقولنا رجل صدق وهو مصدر في الحقيقة قال أبو البقاء وهو الضرر وقال مكي من فتح السنين فغناه الفاء والراء وقوم ضحيا فغناه الباء والضرر وظاهر هذا أنهم ما سماه لاذكروا ويحتمل أن يكونا مصدرين ثم أطلقا على ما ذكرنا من غير المضموم العذاب والضرر والمفتوح الذم وقرا أن كثير وغيره بضم السين وهو المكروه قال الاخفش عليهم دائرة الهزيمة والشر وقال القراء دائرة العذاب والبلاء قال السمعاني قال الخفاجي وبين النخ والضم شبه طباق وقال الخليل الدواير الهلكات (والله سميع) لما بولونه (عليه) بما يضره (ومن) الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر) هذا النوع الثاني من أنواع الأعراب كما تقدم أي منهم من يصدق بهم ما عن عبد الرحمن بن معقل قال كان عشرة ولدمقرن فزلت هذه الآية فينا وقال مجاهد هم بنو مقرن من مزينة وهم الذين قال الله ولا على الذين إذا ما تولوا فاحملهم الآية وقال الكشي هم أسلم وغفار وجهينة ومزينة وفي الباب أحاديث يطول ذكرها (ويتخذ ما ينفع قريبات) أي سبب قريبات (عند الله) وهي جمع قربى بالضم وهي ما يتقرب به إلى الله سبحانه تقول منه قربت لله قربانا والجمع قرب وقريبات والمعنى أنه يجعل ما ينفع في سبيل الله سببا لحصول القريبات عند الله (وصالوات الرسول) أي سبب الدعوات الرسول لهم لأنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يدعو للمصدقين ومنه قوله وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى وقال ابن عباس استغفار النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقبل أنها منسوقة على ما ينفع أي ويتخذ ما ينفع وصالوات الرسول قربى وجوزوا من عطية ولم يذكر أبو البقاء غيره وظاهر كلام الزنجشري أنها منسوقة على قريبات كما تقدم ثم أنه سبحانه بين بأن ما ينفعه هذا النوع من الأعراب تقربا إلى الله مقبول واقع على الوجه الذي أرادوه فقال (الانها قربى لهم) أخبر سبحانه بقبولها أخبرا مؤكدا باسمه الجليل وحرفي التنبيه والتحقيق وفي هذا من التلطيب لطواطمهم والطمانينة لقلوبهم ما لا يقادر قدره مع ما يتضمنه من التبعي على من يتخذ ما ينفع مغرما والتوابع له بالبلغ وجهه والضمير في أنها راجع إلى ما في ما ينفع وتأنشه بآية إن أخبر وقيل راجع إلى صالوات الرسول والأول أولى ثم فسر سبحانه القربة بقوله (سبب دخلكم الله

في سبب دخلكم الله بن سعيد عن خالد الأحمر رواه الحافظ ابن مردويه من طريقين عن أبي سعيد الكندي حدثنا أبو خالد عن مجاهد بن الشعبي عن جابر قال خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا وخط عن يمينه خطا وخط عن يساره خطا ووضع يده على الخط الأوسط وتلاه هذه الآية وإن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولكن العهد على حديث ابن مسعود مع ما فيه من الاختلاف أن كان مؤثرا وقد روى موقوف عليه قال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا محمد بن نور عن معمر بن أبان عن عثمان بن رجاء قال لابن مسعود ما الصراط المستقيم قال تر كما محمد صلى الله عليه وسلم في أدناه وطرفه

في الجنة وعن عيسى جواد وعن يساره جواد ورجال يدعون من مريم من أخلف في تلك الجوارات انتهت به إلى النار ومن أخسذ على الصراط انتهى به إلى الجنة ثم قرأ ابن مسعود أن هذا صراط مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله الآية وقال ابن مزيه حديثاً أبو عمرو حديثاً محمد بن عبد الوهاب حديثاً آدم حديثاً إسماعيل بن عياش حديثاً آبان بن عياش عن مسلم بن أبي عمران عن عبد الله بن عمر قال عبد الله عن الصراط المستقيم فقال ابن مسعود ذكر كالحمد صلى الله عليه وسلم في آدناه وطره في الجنة وذكر تمام الحديث كما تقدم والله أعلم وقدره من حديث النواس بن سمعان (١٥٣) نحوه قال الامام أحمد حديثاً الحسن ابن سوار أبو العلاء حديثاً ثعلبي

ابن سعد عن معاوية بن صالح ان عبد الرحمن بن جبير بن نفير حديثه عن أبيه عن النواس بن سمعان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً وعن جنتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرحاة وعلى باب الصراط داع يقول يا أيها الناس هلم ادخلوا الصراط المستقيم جميعاً ولا تفرقوا وادع يدعون من جوف الصراط فإذا أراد الإنسان أن يفتح شياً من تلك الأبواب قال له ويحك لا تفقه فأنك إن تفقه تجبه فأصراط الاسلام والسوران حدود الله والأبواب المفتحة محارم الله وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم ورواه الترمذي والنسائي عن علي بن حجر زاد النسائي وعمر بن عثمان كلاهما عن بقة ابن الوليد عن جبير بن سعد عن خالد ابن معدان عن جبير بن نفير عن النواس بن سمعان به وقال الترمذي حسن غريب وقوله تعالى فاتبعوه ولا تتبعوا السبل انحوا حديثه

في رتبته السبيل لتحقيق الوعد وهذه النعمة هي أقصى مرادهم (إن الله غفور) لأهل طاعته (رحيم) بعداده (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار) لما ذكر سبحانه أصناف الأعراب ذكر المهاجرين والأنصار وبين ان منهم السابقين إلى الهجرة وان منهم التابعين لهم وقرأ عمر بن الخطاب الأنصار ارفع عطفك على والسابقون وقرأ أسائر القرأ من العجايب فن بعدهم بالجر قال الاخفش الخفض في الأنصار الواو جده لان السابقين منهم يدخلون في قوله والسابقون وفي هذه الآية تفضيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وهم الذين صلوا للقبائلين في قول سعيد بن المسيب وطائفة والذين شهدوا بيعة الرضوان وهي بيعة الخديجة في قول الشعبي أو أهل بدر في قول محمد بن كعب وعطاء بن يسار ولا مانع من جعل الآية على هذه الأصناف كلها قال محمد بن كعب القرظي هم جميع العجايب لانهم حصل لهم النسب ببيعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أبو منصور البغدادي أعجبتنا جميعون على أن أفضلهم الخلفاء الأربعة ثم الستة السابقون ثم البديرون ثم أصحاب أحد ثم أهل بيعة الرضوان بالخديجة (والذين تبعوه) أي اتبعوا السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وهم المتأخرون عنهم من العجايب فن بعدهم إلى يوم القيامة وليس المزاياهم التابعين اصطلاحاً وهم كل من أدرك العجايب ولم يدرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم بل هم من جملة من يدخل تحت الآية فتكون من في قوله من المهاجرين على هذا للتبعيض وقيل انها للبيان فتناول المدح جميع العجايب ويكون المراد بالتابعين من بعدهم من الأمة إلى يوم القيامة كما قال ابن زيد هم من بقي من أهل الاسلام إلى أن تقوم الساعة قال جماعة من العجايب ما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا أمتي كلهم وليس بعد الرضا مستحط عن جبير بن زياد قال قلت لمحمد بن كعب القرظي أخبرني عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانما يريد القن قال ان الله قد غفر لجميع أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأوجب لهم الجنة في كتابه محسنهم ومسيئهم قلت له وفي أي موضع أوجب الله لهم الجنة في كتابه قال ألا تفرقون قوله تعالى والسابقون الأولون الآية أوجب لجميع أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم الجنة والرضوان بشرط على التابعين شرطاً لم يشترطه فيهم قلت وما اشترط عليهم قال

(٢٠ - فتح البيان ح) لان الحق واحد ولهذا جمع السبل لتفرقها وتشعبها كما قال تعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من عندهم من الطائفتين الذين كفروا وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون قال ابن أبي حاتم حديثاً أحمد بن نسيان الواسطي حديثاً يزيد بن هرون حديثاً سفيان بن حسين عن الزهري عن أي ادريس الخولاني عن عباد بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيكم يابغي على هؤلاء الآيات الثلاث ثم تلا في ثلثها قال ما حرم ربكم عليكم حتى فرغ من ثلاث الآيات ثم قال ومن وفيه من فأجره على الله ومن استقص من شياً فأدرى الله في الدنيا كانت

عقوبته ومن آخره الى الاسرة كان أمره الى الله ان شاء أخذه وان شاء عفا عنه (ثم أتينا موسى الكتاب بما على الذي أحسن
وبفصل لكل شيء وهدى ورحمة عليهم بظاهرهم وبمؤمنون وهذا كتاب أنزلناه مبارك فأسعوه واتقوا فلعلكم ترحون) قال ابن
جرير ثم أتينا موسى الكتاب تقدريته ثم قل يا محمد فخرنا عانا أتينا موسى الكتاب بدلالة قوله قل تعالوا آمل ما حرر بكم عليكم قلت
وفي هذا انشروهم ههنا انما هي لعطف الخبر بعد الخبر لا لترتيب ههنا كما قال الشاعر
قل لمن سادتم ساد أولو * ثم ساد قبل ذلك جده (١٥٤) وههنا لما أخبر الله سبحانه عن القرآن بقوله وان هذا صراطي

مستقيما فأسعوه عطف بعد ح
التوراة وكثيرا ما قرن سبحانه بين
الكتابين كقوله تعالى ومن قبله
كتاب موسى انا ما ورحمة وهذا
كتاب مصدق لسانا عري ساوقوله أول
هذه السورة قل من أنزل الكتاب
الذي جاء به موسى نوراً وهدى
للناس تبعاه فطريس تبذونها
وتحتون كثيرا الآية وبعد هذا
وهذا كتاب أنزلناه مبارك الآية
وقوله تعالى فخرنا عانا
جاءهم الحق من عندنا فاقوالوا
أوفى مثل ما أوفى موسى قال تعالى
أولم يكفروا بما أوفى موسى من قبل
قالوا سران تظاهرا وقالوا انا بكل
كافرون وقوله تعالى فخرنا عانا
انهم قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل
من بعد موسى مصدقا لما بين يديه
يهدي الى الحق الآية وقوله تعالى
بما على الذي أحسن وتفصيلا
آتينا الكتاب الذي أنزلناه اليه
تماما كله لاجل ما يحتاج اليه في
شريعته كقوله وكتبناه في الاواح
من كل شيء الآية وقوله تعالى على
الذي أحسن أي جزاء على احسانه
في العمل وقيامه باحوارنا طاعتنا

كقوله هل جزاء الاحسان الا الاحسان وكقوله واذا تبى ابراهيم ربه بكلمات فاقهن قال في
جاءت للناس اماما وكقوله وجعلناهم أممهم يدعون بأمرنا لم يصبروا وكانوا بايتان يوقنون وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن
أنس ثم أتينا موسى الكتاب بما على الذي أحسن يقول أحسن فحينما أعطاه الله وقال فتقدمت أحسن في الدنيا ثم لذلك في
الآخرة وأختار ابن جرير ان تقدريته ثم أتينا موسى الكتاب بما على احسانه فكانه جعل الذي مصدرية كما قيل في قوله تعالى
وخصم كالذي جاسوا أي كخوضهم وقال ابن رواحة وثبت الله ما نالك من حسن * في المرسلين ونصرا كالذي نصروا

وقال آخرون الذي ههنا يعني الذين قال ابن جرير وذكر عن عبيد الله بن مسعود انه كان يقول ههنا ما في الدنيا من سوء وقال
ابن أبي شبيب عن مجاهد ما على الذي أحسن قال علي المؤمن والمؤمنين وكذا قال أبو عبيدة وقال البغوي الحسنون
الأنبياء والمؤمنون يعني أظهر ما فصله عليهم قلت كقوله تعالى قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي ولا يلزم
اصطفاءوا على محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء والخليل عليه السلام لا دلالة أخرى قال ابن جرير وروى عن عمرو بن
العله عن يحيى بن يعمر انه كان يقول ههنا ما على الذي أحسن رقعا (١٥٥) يتأويل على الذي هو أحسن ثم قال

وهذه قراءة لا استحيي القراءة فيها
وان كان لها في العربية وجه صحيح
وقيل معناها تماما على احسان الله
الله حكاية ابن جرير والبغوي ولا
سفاضة بينهما وبين القول الاول وبه جمع

ابن جرير كما بيناه والله الحمد وقوله
تعالى وتنفصلا لكل شيء وهذه
ورقة فيه مدح لكتاب الذي أنزله
الله عليه لعلهم يلقاها منهم يؤمنون
وهذا كتاب أنزلناه مباركا فاتبعوه
واتقوا العلقم ترجون فيه الدعوة
الى اتباع القرآن يرغب سبحانه
عباده في كتابه وبأمرهم به تدبره
والعمل به والدعوة اليه وصفه
بالذكر لمن اتبعه وعمل به في الدنيا
والآخرة لانه حصل الله المئين
(أن تقولوا انما أنزل الكتاب على

طائفتين من قبلنا وان كان
دراسهم لغافلين أو تقولوا انما
أنزل علينا الكتاب لكا أهدي
منهم ففسد بكم بينة من ربكم
وهدي ورسة من أنزل من كذب
بأيات الله وصرف عنهم سبيلهم
الذين يصعدون عن آياتنا سوء
الاعذاب بما كانوا يستحقون) قال

مد ينيكم أيها المؤمنون من الاعراب منافقون (ومن أهل المدينة) قوم أو ناس (مردوا
على النفاق) قال البغوي أي من الاوص والخزرج وقيل المعنى ومن حولكم من
الاعراب ومن أهل المدينة منافقون مردوا وأصل مردو قد رد الدين والملاسة والتجرد
فكانهم تجردوا للنفاق ومنه غصن أمر دلا ورق عليه وفرس أمر دلا شعر فيه وغلام
أمر دلا شعر بوجهه وأرض مرداء لا يات فيها اوصح عمر دجرجد على كما قال
في منزل شديد بنائه * رزل عنه ظفر الطائر
قال المعنى أنهم أقاموا على النفاق وبنوا عليه ولم يتنوا عنه ولم يتوبوا منه قال ابن زيد
معناه بطوائفه وأبناؤه قال الخفاف أصل معنى الترد التمرن أي الاعتماد والتدريب
في الامر حتى يصير ما هرا فيه لا يتخذه صنعة ودينا له ولذا في نفاقهم عليه صلى الله عليه
 وآله وسلم مع كمال فطنته وفراسته وقال الراغب الله من قولهم شجرة مرداء أي لا ورق
عليها أي أنهم خلوا من الخير وروى أهل الجنة جر دمر دوهو شجول على ظاهره أو المراد
أنهم خالصون من الشوائب والفتن وجملة (لا تعاليم) بيينة للعبادة الاولى وهي مردوا
على النفاق أي بنوا عليه بنوا شديدا ومهر رافيه حتى خفي أمرهم على رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم فكيف سائر المؤمنين والمراد عدم علمه صلى الله عليه وآله وسلم
بأعيانهم لان حيث الجملة لا فان النفاق دلائل لا تخفى عليه صلى الله عليه وآله وسلم
ولا ينافي في هذا قوله تعالى وتعرفهم في حق القول لان آية التي نزلت قبل آية الاثبات
وهذه الجملة صفة المنافقون أو متأنفة والعلم ههنا ما على باب فيه هدي لان أي لا تعاليم
منافقين أو عرفان في هدي لراحد قاله أبو البقاء ما قوله (نحن نعلمهم) فلا يجوز أن
يكون الاعلى بابا وهي متروكة لما قبلها ما قبلها من الدلالة على معارفهم في النفاق وروى
فيه على وجه يخفى على البشر ولا يظهر لغير الله سبحانه لعلمه بما يخفى وما يتجه الذمائر
وتطوى عليه السرائر ثم يوعدهم سبحانه فقال (ستعلمهم مرتين) قيل المراد بهما عذاب
الدنيا والتسل والسبي وعذاب الآخرة وقيل النجدة بان كشاف نفاقهم والاعذاب في
الآخرة وقيل المصائب في أمرهم وأولادهم وعذاب القبر قال مجاهد مرتين يعنى
بالجوع والتسل وعن أبي مالك قال بالجوع وعذاب القبر وعن قتادة قال عذاب في
القبر وعذاب في النار وقد روى عن جماعة من السلف نحو هذا في تعيين العذابين

ابن جرير وهذا كتاب أنزلناه لئلا تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا يعني لينقطع عذركم كقوله تعالى ولولا أن
تدينهم بحجة بما قدمت أيديهم يقولوا ربنا لا أرسلنا من قبلك الا نبياتنا الآية وقوله تعالى على طائفتين من قبلنا
قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس جسم اليهود والنصارى وكذا قال مجاهد والسدي وقتادة وغير واحد وقوله وان كان
دراسهم لغافلين أي وما كانوا يفكرون لانهم ليسوا باسنانا وشغل مع ذلك عما هم فيه وقوله أو تقولوا
لنا انزل علينا الكتاب لكا أهدي منهم أي وقوله ما ناله لكم أن تقولوا انما أنزل علينا ما أنزل عليهم لكا أهدي منهم فيأوتوه

كقوله وآذوا بالله جهد أيمانهم لئلا يامهم نذير ليكون أن أهدى من إحدى الأمم الآية وهكذا قال ههنا فقد جاءكم بينه من ربكم
وهدى ورحمة يقول فقد جاءكم من الله على لسان محمد صلى الله عليه وسلم النبي العربي قرآن عظيم فيه بيان للعلل والحرام وهدى
لما في القلوب ورحمة من الله لعباده الذين يتبعونه ويقتفون مافيه وقوله تعالى فمن أظلم ممن كذب بايات الله وصدف عنها أي لم
ينفع بها جانب الرسول ولا اتبع ما أرسل به ولا ترك غيره بل صدف عن اتباع آيات الله أي صرف الناس وصدفهم عن ذلك
قاله السدي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة (١٥٦) وصدف عنها أعرض عنها وقول السدي ههنا فيه قوة لانه قال فمن أظلم

وقبل غير ذلك مما يطول ذكره مع عدم الدليل على انه المراد بعينه والظاهر ان هذا
العذاب المكره هو في الدنيا بما يصدق عليه اسم العذاب وانهم يعذبون مرة بعد مرة ثم
يردون بعد ذلك الى عذاب الآخرة وهو المراد بقوله (ثم يردون الى عذاب عظيم) ومن قال
ان العذاب في المرة الثانية هو عذاب الآخرة قال معني قوله ثم يردون انهم يردون بعد
عذابهم في النار كسائر الكفار الى الدرك الاسفل منها وانهم يعذبون في النار عذابا خاصا
بهم دون سائر الكفار ثم يردون بعد ذلك الى العذاب الشامل لهم وسائر الكفار وفي
مسند أحمد عن ابن مسعود خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحمد الله وأثنى
عليه ثم قال ان منكم منافقين فمن سميتهم فليقيم ثم قال قم يا فلان حتى سمى ستة وثلاثين ثم
ذكر سبحانه حال طائفة من المسلمين وهم المخلطون في دينهم فقال (ومن حولكم من أهل
المدينة قوم (آخرون اعترفوا بذنوبهم) المعنى ان هؤلاء الجماعة تختلفون الغزو غير
عذر مسوغ للتحلف ثم ندعوا على ذلك ولم يعذروا بالا عذار الكاذبة كما اعتذر المنافقون
بل تابوا واعترفوا بالذنوب ورجوا أن يتوب الله عليهم (خطوا عملا صالحا وأورسنا)
المراد بالعمل الصالح ما تقدم من اسلامهم وقيامهم بشرائع الاسلام وخروجهم الى
الجهاد في سائر المواطن والمراد بالعمل السيئ هو تختلفهم عن هذه الغزوة وقد أتبعوا هذا
العمل السيئ عملا صالحا وهو الاعتراف به والتوبة عنه وأصل الاعتراف الاقرار بالشئ
وبجرد الاقرار لا يكون توبة الا اذا اقترن به التوبه على الماضي والعزم على تركه في الحال
والاستقبال وقد وقع منهم ما يفيد هذا ومعنى انخططه انهم خلطوا كل واحد منهم
بالآخر كقولك خلطت الماء باللبن واللبن بالماء كرم غالب المفسرين وأنه كرهه الرازي
وقال الواو لطلق الجمع وفيه تنبيه على نفي القول بالخلطة وأنه بقي كل واحد منهما كما كان
من غير أن يتأثر أحدهما بالآخر ويجوز أن يكون الواو بمعنى الباء كقولك بعث
الشاة ودرهما أي بدرهم وقال الواو أحسن من الباء لانه أراده بمعنى الجمع
لاحقيقة الخلط ألا ترى أن العمل الصالح لا يختلط بالسيئ كما لا يختلط الماء باللبن لكن قد
يجمع بينهما وقال التفنزي في تحقيقه أن الواو الجمع والباء اللصاق والجمع والالصاق
من قبيل واحد فلهذا بطريق الاستعارة وقال الزمخشري كل واحد مخلوط ومخلوط به
وفيه ما ليس في الباء وفي قوله (عسى الله أن يتوب عليهم) دليل على انه قد وقع منهم مع

عن كذب بايات الله وصدف عنها
كما تقدم في أول السورة
وهم ينفون عنه ويتأولونه وان
يهلكون لأنفسهم وقال تعالى
الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
زدناهم عذابا فوق العذاب وقال في
هذه الآية الكريمة سيجزي الذين
يصدفون عن آياتنا سوء العذاب
بما كانوا يصدفون وقد يكون
المراد فيها قاله ابن عباس ومجاهد
وقتادة فمن أظلم ممن كذب
بايات الله وصدف عنها أي لا آمن
بها ولا عمل بها كقوله تعالى فلا
صدق ولا صلي ولكن كذب وتولى
وعبر ذلك من الآيات الدالة على
اشتمال الكافر على التكذيب
بقلمه وترك العمل بجوارحه
ولكن كلام السدي أقوى وأظهر
والله أعلم لان الله قال فمن أظلم ممن
كذب بايات الله وصدف عنها
كقوله تعالى الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق
العذاب بما كانوا يفسدون (هل)
يتظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو
يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك
يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع

الاعتراف

(نفسا ايمانهم لم تكن امنتم من قبل او كسبت في ايمانهم اخيرا قل اسطر واواستظرون)

يقول تعالى متوعد الكافرين بهو والمخالفين لرسوله والمكذبين آياته والصارفين عن سبيله هل يتظرون الا أن تأتيهم الملائكة
أو يأتي ربك وذلك كما ان يوم القيامة أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها وذلك قبل يوم
القيامة كائن من امارات الساعة أو اشرافها حين يرون شيئا من اشراف الساعة كما قال البخاري في تفسيره هذه الآية حدثنا
موسى بن اسمعيل حدثنا عبد الواحد حدثنا عماره حدثنا أبو زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها. فمن من علمها فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل حدثنا اسحق حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها وفي لفظ فاذا طلعت ورأها الناس آمنوا أجمعون وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل ثم قرأ هذه الآية هكذا روى هذا الحديث من هذين الوجهين ومن الوجه الاول أخرجه بقية الجماعة في كتبهم الا الترمذي من طرق عن عمار بن القعقاع بن شبرمة عن أبي زرعة (١٥٧) بن عمرو بن جرير عن أبي هريرة واما

الطريق الثاني فرواه عن اسحق غير منسوب وقيل هو ابن منصور التميمي وقيل اسحق بن نصر والله أعلم وقدرناه مسلم عن محمد بن ارفع الجندبسي بوري كلاهما عن عبد الرزاق به وقد ورد هذا الحديث من طرق أخر عن أبي هريرة كما انفرد مسلم بروايته من حديث العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب مولى الحرقمة عن أبيه عن أبي هريرة وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا ابن فضيل عن أبيه عن أبي حازم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها والدجال وذابة الارض ورواه أحمد عن وكيع عن فضيل بن غزوان عن أبي حازم سلمان عن أبي هريرة به وعنده والدخان ورواه مسلم عن أبي بكر ابن أبي شيبة وزهير بن حرب عن وكيع ورواه أيضا الترمذي من غير وجه عن فضيل بن غزوان به ورواه اسحق بن عيسى الله

الاعتراف ما يفيد التوبة أو ان مقدمة التوبة وهي الاعتراف قامت مقام التوبة وحرف الترجي هو عسى في كلام الله سبحانه يفيد تحقق الوقوع لان الاطماع من الله سبحانه ايجاب لكونه أكرم الاركين وفي المواهب وافق المفسرون على ذلك قال القسطلاني وعبر بعسى للاشعار بان ما يفعل تعالى ليس الاعلى سبيل التفضل منه حتى لا يتشكل المرء بل يكون على خوف وحذر (ان الله غفور رحيم) يغفر الذنوب ويقتض على عباده وهذا يفيد الخياض الوعد عن ابن عباس قال كانوا عشرة زهدا تخلقوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة تبوك فلما حضر رجوع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو ثقي سبعة منهم أنفسهم يسواري المسجد وكان عمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذ ارجع عليهم فلما رآهم قال من هؤلاء الموتقون أنفسهم قالوا هذا أبو بابة وأصحابه لخلقوا عندك يا رسول الله فعاذوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تطلقهم وتعذرهم قال وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى يكون الله هو الذي يطلقهم رغوا عني وتخلقوا عن الغزو مع المسلمين فلما بلغهم ذلك قالوا ونحن لا نطلق أنفسنا حتى يكون الله هو الذي يطلقنا فنزلت عسى الله أن يتوب عليهم وقيل الآية تعم جميع المسلمين والحل على العموم أولى وان كان السبب مخصوصا بن تحاتف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة تبوك وروى الطبراني عن أبي عثمان قال سأل القرآن آية أرجى عندي لهذه الامة من هذه الآية (خذمن أموالهم صدقة) اختلف أهل العلم في هذه الصدقة المأمور بها فقيل هي صدقة الفرض وقيل هي مخصوصة بهذه الطائفة المعترفة بدنو بها لانهم بعد التوبة عليهم عرضوا أموالهم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت هذه الآية كما تقدم ومن التبعيض على التفسيرين والاية مطابقة لمدينة بالسنة المطهرة والصدقة مأخوذة من الصدق اذ هي دليل على صدق مخزجها في ايمانها (تطهرهم وتزكهم بها) الضهير المرفوع في الفعلين التي صلى الله عليه وآله وسلم أي تطهرهم وتزكهم بها محمد سبحانه اخذهم من الصدقة منهم وقيل الضهير في تطهرهم بالصدقة والضهير في تزكهم التي صلى الله عليه وآله وسلم والاول أولى لما في الثاني من الاختلاف في الضهير في الفعلين المتعاطفين ومعنى التطهير اذهاب ما يتعلق بهم من آثار الذنوب ومعنى التزكية المبالغة في التطهير قال الزجاج الاجود ان يكون المخاطبة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أي فأنك يا محمد تطهرهم وتزكهم بها على القطع

القرى ما لا عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة ولا سكن لم يخرج به أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه لضعف القروي والله أعلم وقال ابن جرير حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا شعيب بن الليث عن أبيه عن جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن بن هرم عن الاعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت آمن الناس كلهم وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل الآية ورواه ابن لهيعة عن الاعرج عن أبي هريرة به ورواه وكيع عن فضيل بن غزوان عن أبي حازم عن أبي هريرة به أخرجه هذه الطرق كلها الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره

وقال ابن جرير حدثنا الحسن بن يحيى أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها قبل منه لم يخرجها أحد من أصحاب الكتب الستة (حديث آخر) عن أبي ذر الغفاري في الصحابين وغيرهما من طرق عن إبراهيم بن زيد بن شريك التيمي عن أبيه عن أبي ذر جندب بن حنادة رضي الله عنه ولهما عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تدرى أين تذهب الشمس إذا غربت قلت لا أدري قال إنما تنتهي دون العرش فتقر ساجدة ثم تقوم حتى يقال لها الرجعي فيوشك يا أبا (١٥٨) ذر أن يقال لها الرجعي من حيث دخلت وذلك حين لا ينفع نفسها ما ينفع

والاستبتناف ويجوز الجرم على جواب الامر والمعنى ان تأخذ من أموالهم صدقة تظهرهم قال السيوطي فأخذت أموالهم وتصدق بها على سبيل الكفارة لذنوبهم فان كل من أتى ذنبا يس له الصدقة (وصل عليهم) أي ادع لهم بعد أخذك لثالث الصدقة من أموالهم قال النحاس وحكي أهل اللغة جميعا فاعلمناه ان الصلابة في كلام العرب الدعاء على علل سبحانه أمره لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالصلابة على من يأخذ منه الصدقة فقال (ان صلاتك سكن لهم) السكن ما تنسك اليه النفس وتطمئن به وهو فصل بمعنى مقعول كالقبض بمعنى المقبوض والمعنى يسكنون اليها قال ابن عباس استغفر لهم من ذنوبهم التي كانوا أصابوها ان صلاتك رحتهم وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عبد الله بن أبي أوفى قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أتى بصدقة قال اللهم صل على آل فلان فأداه أي بصدقة فقال اللهم صل على آل أبي أوفى (والله سمع) لاعتراهم بذنوبهم ودعائهم (عليهم) عافى ضمائرهم من التذم والغلم لما فرط منهم ولما تاب الله سبحانه على هؤلاء المذكورين سابقا قال (ألم يعلموا) أي غير التائبين أو التائبين قبل أن يتوب الله عليهم ويقبل صدقاتهم والاستغفار للتقريب وللخصيص والتأكيد (ان الله هو يقبل التوبة) لاستغفائه عن طاعة المطيعين وعدم مبالاة به عصية العاصين وقرئ بالتاء وهو ما خاطب التائبين أو الجماعة المؤمنين والمعنى أن ذلك ليس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنما الله هو الذي يقبل التوبة ويردها فاقصدها (عن عباده) قيل لافرق بين من ومن قال ابن عطية وكثير ما يتوصل في موضع واحد بسدوه وهذه نحو لاصدقة الا عن غنى ومن غنى وفعل ذلك فلان من أشربه بظروعه عن أشربه بظروعه وقيل بينهم فرق ولعل عن في هذا الموضع أبلغ لان فيه تبشير القبول للتوبة مع تسهيل سبيلها وقيل لفظه عن شعري بعد ما تقول جلس عن عين الأمير أي مع نوع من البعد والظاهر ان عن هذا المعجزة وإذا قلت منه فعنا ابتداء الغاية (وبأخذ الصدقات) أي يتقبلها منهم وفي اسناد الاخذ اليه سبحانه بعد أمره لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم بأخذها فشرى عظم لهذه الطاعة ولكن فعلها وفي ذكر لفظ الاخذ ترغيب في بذل الصدقة واعطائها القراء عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما تصدق أحدكم بصدقة من كسب حلال طيب ولا يقبل الله الا الطيب الا أخذها الرحمن بيمينه وان كانت قرة

لم تكن آمنت من قبل ولمسلم عن حذيفة بن أسيد بن شريح الغفاري رضي الله عنه قال الامام أحمد بن حنبل حدثنا سفيان بن فرات عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من غرفة ونحن نذكر الساعة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تراعى آيات طلوع الشمس من مغربها والدخان والدابة وخروج يأجوج ومأجوج وخروج عيسى بن مريم وخروج الدجال وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وان يخرج من قعر عدن تسوق وتجتشم الناس بيت معهم حيث بالوا أو قيل معهم حيث قالوا وهكذا رواه مسلم وأهل السنن الاربعة من حديث فرات الفزاز عن أبي الطفيل عاصم بن واثلة عن حذيفة بن اليان رضي الله عنه وقال الثوري عن منصور عن ربيعة عن حذيفة قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ما آية طلوع الشمس من مغربها فقال النبي صلى الله عليه وسلم تطول تلك الليلة حتى تكون قدر ليلتين فيفنا الذين كانوا

يصلون فيها فيعملون كما كانوا يعملون قبلها والتجمل لآتي قد فارت مكانهم ثم يردون ثم يقومون فيعملون كما كانوا يعملون ثم يردون ثم يقومون فيعملون فبقوا في النار ولا يصحون فيها هم ينظرون طلوع الشمس من مشرقها أو طلعت من مغربها فإذا رآها الناس آمنوا فليمتنعوا منهم رواه ابن جرير وغيره وليس هو في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه والله أعلم (حديث آخر) عن أبي سعيد الخدري واهله سعد بن مالك بن سنان بن مالك رضي الله عنه قوله فقتل عليهم جنودهم كذا في الاصل وحرر الرواية أه محصيه (١)

وأرضاه قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا ابن ابي ليلى عن عطية العوفي عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها قال طلوع الشمس من مغربها ورواه الترمذي عن سيفيان بن وكيع عن ابيه وقال غريب ورواه بعضهم ولم يرفعه وفي حديث طاووس بن عباد عن فضال بن جبير عن ابي امامة مولى عبد الله بن جحش عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول الآيات طلوع الشمس من مغربها وفي حديث عاصم بن ابي الجود عن زر بن حبیش عن صفوان بن غسان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفوان بن (١٥٩) غسان مرفوعا ان الله فتح بابا قبل المغرب

عرضه سبعون عاما للتوبة ثم لا يغلق حتى تطلع الشمس منه رواه الترمذي وصححه النسائي وابن ماجه في حديث طويل (حديث آخر) عن عبد الله بن ابي اوفى قال ابن مردويه حدثنا محمد بن علي بن رحيم حدثنا أحمد بن حازم حدثنا ضرار ابن مردود حدثنا ابن فضيل عن سليمان بن زيد عن عبد الله بن ابي اوفى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لياثين على الناس ليلة تعدل ثلاث ايام من لياثكم هذه فاذا كان ذلك يعرفها المستفلون يقوم أحدكم فيقرأ حربه ثم ينام ثم يقوم فيقرأ حربه ثم ينام فينبأهم كذلك اذ صاح الناس بعضهم في بعض فقالوا ما هذا فيفزعون الى المساجد فاذا هم بالشمس قد طلعت حتى صارت في وسط السماء ورجعت وطلعت من مطلعها قال حينئذ لا ينفع نفسا ايمانها هذا حدث غريب من هذا الوجه وليس هو في شيء من الكتب الستة (حديث آخر) عن عبد الله بن عمرو قال الامام أحمد حدثنا اسمعيل بن ابراهيم حدثنا حبان عن ابي زرعة

فترى في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يرى أحدكم فلوها وفضله أخرجه الشيخان وفي الباب أحاديث يطول ذكرها (وان الله هو التواب الرحيم) أي ان هذا شأنه سبحانه وفي صيغة المبالغ في التواب مع توسط ضمير الفصل والتأكييد من التبشير لعباده والترغيب لهم ما لا يخفى (وقل) لهم أولئنا وهم اقوال للمفسرين (اعملوا) ما شئتم من الاعمال الصالحة والسنية (فسيرى الله عملكم) خيرا كان أو شرا لتعليل لما قبله (ورسوله والمؤمنون) فيه تحويف وتهديد للمذنبين أي ان عملكم لا يخفى على الله ولا على رسوله ولا على المؤمنين فسارعوا الى اعمال الخيرة وأخلصوا اعمالكم لله عز وجل وفيه أيضا ترغيب وتشجيع للمطيعين فان من علم ان عمله لا يخفى سواء كان خيرا أو شرا رغب الى أعمال الخير وتجنب أعمال الشر وما أحسن قول زهير وهما يكتن عند امرئ من خلقه * وان خالها يخفى على الناس تعلم فظاهره ترغيب وترهيب والمراد بالروية هنا العلم بما يصدر من الاعمال والاستقبال بالنظر للجزاء والافعال حاصل بالقدرة أي فيجازيكم على عملكم والمجازاة من الله معلومة ومن رسوله والمؤمنين بمعنى النساء عليهم والدعاء لهم قال مجاهد هذا وعيد من الله عز وجل وقال ابو السعدي زيادة ترغيب لهم في العمل الصالح وأخرج أحمد وأبو يعلى وابن حبان والحاكم والبيهقي وغيرهم عن ابي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لو ان أحدكم يعمل في صحرة صماء ليس لها باب ولا كوة لا يخرج الله للناس كائنا ما كان ثم جاء سبحانه يوم عيده شديدا فقال (وستردون) أي بالبعث بعد الموت (الى عالم الغيب والشهادة) أي اليه سبحانه الذي يعلم ما تسمرون وما تعلنونه وما تخفونه وما تبدونه وفي تقديم الغيب على الشهادة اشعار بسعة علمه عز وجل وانه لا يخفى عليه شيء ويستوى عنده كل معلوم ثم ذكر سبحانه ما سيكون عقب رددهم اليه فقال (فينبئكم) أي يخبركم (بما كنتم تعملون) في الدنيا فيجازي الحسن باحسانه والمسي باساءة فهو يفضل على من يشاء من عباده (وأخرون مرجون لآمر الله) ذكر سبحانه ثلاثة أقسام في المتخلفين الاول المنافقون الذين مردوا على النفاق الثاني التائبون المعترفون بذنوبهم الثالث الذين بقي أمرهم موقوفا في تلك الحال وهم المرجون لآمر الله من أرجسته وأرجأه اذا آخرته وهما اغتان والقراءتان أي بالهمزة ودونه سبعين كالمعنى انهم مؤخرون في تلك الحال لا يقطع

عن عمرو بن جرير قال جلس ثلاثة نفر من المسلمين الى مزوان بالمدينة فسمعه يقول وهو يحدث عن الآيات ويقول ان أولها خروج الدجال قال فانصرفوا الى عبد الله بن عمرو فحدثوا به الذي سمعوه من مزوان في الآيات فقال لم يقل مزوان شيئا حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول الآيات خروج الجبال وطلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة فحقى قائمها كانت قبل صاحبها فالأخرى على اثرها ثم قال عبد الله وكان يقرأ الكتب وأظن أولها خروج الجبال وطلوع الشمس من مغربها وذلك انهما كلما غربت أمت تحت العرش وسجدت واستأذنت في الرجوع فأذن لها في الرجوع حتى اذا بد الله أن تطلع من مغربها فقلت

كما كانت تنقل أنت تحت العرش فحدث واستأذنت في الرجوع فلم يدع علياً ابني ثم استأذنت في الرجوع ولا يدع علياً ابني حتى
 اذا ذهب من الليل ما شاء الله أن يذهب عرفت أنه اذا أذن لها في الرجوع لم تترك المشرق قالت رب ما بعد المشرق من لي بالناس
 حتى اذا صار الافق كأنه طرق استأذنت في الرجوع فيقال لها امكناك فاطلعي فطلعت على الناس من مغربها ثم تلا عبد الله هذه
 الآية لا يتبع نفسا ايمانها لم تكن امننت من قبل الآية وأخر جمعة في بيحه وأودعوا ابن ماجه في سجنهم ما من حديث أبي
 حسان التميمي واسمه يحيى بن سعيد بن حيان (١٦٠) عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير به (حديث آخر عنه) قال الطبراني حديثنا

أحمد بن يحيى بن خالد بن حيان الرقي
 حديثنا عن أبي إبراهيم (١) زريق
 الجصبي حديثنا عن ابن سعيد بن
 كثير بن دينار حديثنا عن أبيه عن
 يحيى بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن
 الحلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص
 قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
 اذا طلعت الشمس من مغربها سخر
 ابليس ساجدا ينادي ويجهر الهى
 مررتي أن امجدك من شئت قال فيجتمع
 اليه زبائنه فيقولون كلهم ما هذا
 التضرع فيقول انما سألت ربي أن
 يتطرقني الى الوقت المعلوم وهذا
 الوقت المعلوم قال ثم يخرج دابة
 الارض من صدع في الضفاد قال
 فأول خطوة تضعها بالظا كما فتأق
 ابليس فتطمه هذا حديث غريب
 جدا ووسطه ضعيف ولعله من
 الزامتين اللتين أصابهما عبد الله
 ابن عمرو يوم اليرموك فاما رفعه
 فنسكه والله أعلم (حديث آخر) عن
 عبد الله بن عمرو وعبد الرحمن بن
 عوف ومعاً بن يفي عن أبي سفيان رضي
 الله عنهم أجمعين قال الامام أحمد
 حديثنا الحكم بن نافع حديثنا
 اسمعيل بن عياش عن جهم

لهم بالتوبة ولا يعد منها بل هم على ما تبين من أمر الله سبحانه في شأنهم والفرق بين الثاني
 والثالث أن الثاني اعتذر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بأعذار فقبلها منه فقبلت توبته
 وان الثالث لم يعتذر لانه قس فلم يجده عذرا صادقا فأنزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 أمره حتى ينزل الله قبول توبته فأمر الله قبولها حين يوما (أما بعدهم) ان بقوا على
 ما هم عليه ولم يتوبوا (وأما يوب عليهم) ان تابوا توبة صحيحة وأخلصوا وأخلصوا والتقبر
 وآخرون مرجون لامر الله حال كونهم امام عذرين وامامو باعيلهم وامامنا الثالث
 بالنسبة الى الخطاب واما الالهام بالنسبة الى الله تعالى بمعنى انه تعالى أجبه على الخطابين
 أعني هذا التردد بالنظر لاعتقادنا فيهم والافا لله تعالى عالم بعين ما هو فاعلمهم (والله
 اعلم) بأحوالهم (حكيم) فيما يفعلهم من خير أو شر وعن عكرمة قال وآخرون
 مرجون لامر الله هم الثلاثة الذين خلفوا وعن مجاهد قال هم هلال بن أمية ومروان بن
 الربيع وكعب بن مالك من الاوس والخزرج تخلفوا كسلا وميلا الى الدعة لأنفسا قالوا
 يعتذروا الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم كفبرهم فوقف أمرهم خست بين ليله وهجرهم
 الناس حتى نزلت توبتهم بعد (والذين اتخذوا مسجدا ضارا وكفرا وتفريقا بين
 المؤمنين) لماذا كرسجانه أصناف المتناقضين وبين طرائقهم المختلفة عطف على ما سبق هذه
 الطائفة منهم وهم الذين اتخذوا مسجدا ضارا ورسا في بيان هؤلاء البائسين لمسجد الضرار
 وفي أعرابه وجود كرها في الجمل وقد أخبر الله سبحانه أن الباعث لهم على بناء هذا
 المسجد أمور أربعة الاول الضرار لغبرهم وهو المضاررة الثاني الكفر بالله والمباهاة
 لاهل الاسلام لانهم أرادوا ببناءه تقوية أهل النفاق الثالث التفرق بين المؤمنين
 لانهم أرادوا أن لا يحضروا مسجد قبا فقتل جماعة المسلمين وفي ذلك من اختلاف الكرامة
 وبطلان الالفة ما لا يخفى الرابع قوله (وأرصادا لمن حارب الله ورسوله) قال الزجاج
 الارصاد الانتظار وقال ابن قتيبة الارصاد الانتظار مع العداوة وقال الاكثرون هو
 الاعداد والمعنى مقارب يقال أرصدت لكذا اذا أعددت له متقبالة وبه قال أبو زيد
 يقال رصده وأرصدته في الخير وأرصدته في الشر وقال ابن الاعراب لا يقال أرصدت
 ومعناه ارتقيت والمراد من حارب الله ورسوله المنافقون وهم اثنا عشر رجلا منهم أبو
 عامر الراهب أي أعدوه له ولأولاءه وارتقبوا به ووصلهم وانتظروهم لئلا يوافيه حتى يباخروا

ابن زرعة عن شريح بن عبيد بن ردة الى مالك بن يحيى عن أبي السعدى ولا جد أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال لا تنقطع الهجرة مادام العذر يقاقل فقال سارية وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال ان الهجرة خصلتان احدهما تهاجر النسيات والاخرى تهاجر الى الله ورسوله ولا تنقطع ما تقبل التوبة
 ولا تزال التوبة تقبل حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت طبع على كل قلب على ما فيه وكنى الناس العجل هذا الحديث
 حسن الاسناد ولم يخبره أحد من أصحاب الكتب الستة والله أعلم (حديث آخر) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال عوف
 (١) قوله إبراهيم زريق الجصبي كذا بالاصل وحرر له مضمعه

الاعرابي عن محمد بن سنان بن حذافي أبو عبيدة عن ابن مسعود أنه كان يقول ما ذكر من الآيات فقد مضى غير أربع طلوع الشمس من مغربها والرجال ودابة الأرض وخروج بأجوج وما جوج قال وكان يقول الآية التي تحسبها الاعمال طلوع الشمس من مغربها ألم تر أن الله يقول يوم يأتي بعض آيات ربك الآية كلها يعني طلوع الشمس من مغربها حديث ابن عباس رضي الله عنهما رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره من حديث عبد المنعم بن ادریس عن أبيه عن وهب بن منبه عن ابن عباس مرفوعا فذكر حديثا طويلا غير يانمكر ارفعوه فيه ان الشمس والقمر يطلعان (١٦١) يومئذ مقرورين واذ انصفا السما جعاشم عاد الى ما كانا عليه وهو حديث

غريب جدا بل منكر بل موضوع ان ادعى انه مرفوع فاما وقفه على ابن عباس أو وهب بن منبه وهو الاشبه بغيره موضوع والله أعلم وقال سفيان عن منصور عن عامر عن عائشة رضي الله عنها قالت اذا خرج أول الآيات طرحت وحبت الحفظة وشهدت الاجساد على الاعمال رواه ابن جرير رحمه الله تعالى فقوله تعالى لا تنفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أي اذا أنشأ الكافر ايمانا يومئذ لم يقبل منه فاما ان كان مؤمنا قبل ذلك فان كان مصححا في عمله فهو بخير عظيم وان لم يكن مصححا فاحدث توبة حينئذ لم تقبل منه توبته كاداة عليه الاحاديث المتقدمة وعليه يحكم قول تعالى أو كسبت في ايمانكم اخيرا أي ولا يقبل منها كسب عمل صالح اذ لم يكن عاملا به قبل ذلك وقوله تعالى قل اتطهروا انما نتظرون تسديد شديد للكافرين ووعيدا كيدان سوف ياتيانه وتوبته الى وقت لا تنفعه ذلك وانما كل الحكم

بهم المؤمنين (من قبل) أي من قبل أن ينشأ مسجد الضرار أو المعنى لمن وقع منه الحرب لله ورسوله من قبل بناء مسجد الضرار أو ليحفظ جواب قسم مقدر أي والله (أن أردنا الا الحسنی) أي ما أردنا بيننا الا الاصله أو الارادة الحسنی وهي الرفق بالمسلمين والتوسعة على أهل الضعف والعجز عن الصلاة في مسجد قبا أو مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في المطر والحرفرد الله عليهم بقوله (والله يشهد) أي يعلم (انهم لكاذبون) فيما حلفوا عليه وقاله عن ابن عباس قال هم ناس من الانصار ابتوا مسجد ا فقال لهم أبو عامر الراهب والاحتظلة غسيل الملائكة ابتوا مسجدكم واستعدوا ما استطعتم من قوتهم وسلاح فأتى قيصر ملك الروم فأتى بجند من الروم فخرج محمد وأصحابه فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا قد فرغنا من بناء مسجدنا فحب ان تصلي فيه وتدعو بالبركة فانزل الله لا تقم فيه أبدا وعنه قال لما بنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مسجدا قبا خرج رجال من الانصار بنوا مسجد التفاف فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالجند ما أردت الا ما أرى قال ما أردت الا الحسنی وهو كاذب فصدقه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واراد ان يعذره فانزل الله والذين اتخذوا مسجدا ضلوا عن الآية ثم نهى الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم عن الصلاة في مسجد الضرار فقال (لا تقم فيه أبدا) أي في وقت من الاوقات فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جماعة هدموا وأحرقوه وجعلوا مكانه كاسة نقي فيه الحطب والنهي عن القيام فيه يستلزم النهي عن الصلاة فيه وقد عبر عن الصلاة بالقيام يقال فلان يقوم الليل أي يصلي ومنه الحديث الصحيح من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ثم ذكر الله سبحانه علة النهي عن القيام بقوله (لمسجد أسس على التقوى) الا لام في مسجد لادام القسم وقيل لام الابتداء وفي ذلك تأكيد لمضمون الجلاء وعلى قيل انه بمعنى مع والابلاغ ابقاها على ظاهرها وجعل التقوى أساسا له وتأسيس البناء تيمنه ورفعته ومعنى تأسيسه على التقوى تأسيسه على الخصال التي لا تبقى بها العقوبة واختلاف العلماء في هذا المسجد فقالت طائفة هو مسجد قبا كما روى عن ابن عباس والضحاك والحسن والشعبي وغيرهم ووجه البضارى لظاهر قوله تعالى من أول يوم اذ لا يراد أول الايام مطلقا بل أول أيام الهجرة ودخول المدينة المنورة لانه

(٢١ - فتح البیان ع) كذلك عند طلوع الشمس من مغربها الاقرب الساعة وظهور وشرائطها كما قال فيقول يتظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء شرطها فأتى لهم اذ اجابتهم ذكرهم وقوله تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفروا بما كانوا يشركون فكيف ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا الآية (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا حلت منهم في شئ انما أمرهم الى الله ثم ينتهمهم بما كانوا يفعلون) قال مجاهد وقتادة والضحاك والدي نزلت هذه الآية في اليهود والنصارى وقال العوفي عن ابن عباس في قوله ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا وذلك أن اليهود والنصارى اختلفوا قبل بعث محمد صلى الله عليه وسلم

فخبر قوافل بعث محمد صلى الله عليه وسلم أنزل الله عليه أن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لبست منهم في شئ الآية . وقال ابن جرير حدثني سعيد بن عمر السكوني حدثنا بقية بن الوليد كتب إلى عباد بن كثير حدثني إيث عن طاووس عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية أن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لبست منهم في شئ وليسوا بمنك هم أهل البدع وأهل الشبهات وأهل الضلالة من هذه الأمة لكن هذا السناد لا يصح فان عباد بن كثير متروك الحديث ولم يخلق هذا الحديث ولكنه وهم في رفعه فانه رواه مسفيان الثوري (١٦٢) عن إيث وهو ابن أبي سلم عن طاووس عن أبي هريرة في الآية انه قال

نزلت في هذه الأمة . وقال أبو غالب عن أبي أمامة في قوله وكانوا شيعا قال هم الخوارج وروى عنه مرفوعا ولا يصح . وقال شعبة عن مجاهد عن الشعبي عن شريح عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضي الله عنها أن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا قال هم أصحاب البدع وهذا رواه ابن مردويه وهو غريب أيضا ولا يصح رفعه والظاهر أن الآية عامة في كل من فرق دين الله وكان مخالفا له فان الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وشرعه واحدا لا اختلاف فيه ولا افتراق فمن اختلف فيه وكانوا شيعا أي فرقا كان أهلا لذلك كاهل الملل والنحل والاهواء والضلالات فان الله تعالى قد برأ رسوله صلى الله عليه وسلم عما هم فيه وهذه الآية كقوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك الآية وفي الحديث نحن معاشر الأنبياء أولاد دعوات ينشأوا أحدها هو الصراط المستقيم وهو ما جاء به

بقى قبل مسجد المدينة وقوله فيه رجال يحبون أن يتطهروا ولأنه أوفى بالمقام لانه بقا كسجد الضرار وذهب آخرون إلى أنه مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أخرج ابن أبي شيبة وأحمد ومسلم والترمذي والنسائي وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن خزيمة وابن حبان وأبو الشيخ والحاكم وابن مردويه والبيهقي عن أبي سعيد الخدري قال اختلف رجلان رجل من بني خذرة وفي لفظ قتاربت أو زجل من بني عمرو بن عوف في المسجد الذي أسس على التقوى فقال الخدري هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال العمري هو مسجد قبا فأيما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسألنا عن ذلك فقال هو هذا المسجد لمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال في ذلك خير كثير يعني مسجد قبا وأخرج أحمد وغيره عن أبي بن كعب قال سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن المسجد الذي أسس على التقوى قال هو مسجدى هذا وعن زيد بن ثابت مرفوعا مثله عند الطبراني وغيره وفي الباب أحاديث كثيرة وقد جمع الثريفي السهودي بين الأحاديث وقال كل منهما ماهر ادلان كلامهما أسس على التقوى من أول يوم تأسيسه والسرفي أجابته صلى الله عليه وآله وسلم السؤال عن ذلك بحافى الحديث دفع ما هو به السائل من اختصاص ذلك بمسجد قبا والتوجه به عن هذا على ذلك وهو غريب هناك وقد سبقه إليه السهيلي في الروض الاتق ولا يخفى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد عين هذا المسجد الذي أسس على التقوى وجزم بأنه مسجد رسول الله عليه وآله وسلم كما تقدم من الأحاديث الصحيحة فلا يقاوم ذلك قول فرد من الصحابة والأجانب منهم ولا من غيرهم ولا يصلح لابراده في مقابلة ما قد صرح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الكرخي والتحقيق أن روايته من رواة في مسجد قبا لا تعارض تنصيصه صلى الله عليه وآله وسلم على أنه مسجد المدينة فانهم لا يدل على اختصاص أهل قبا بذلك انتهى ولا فائدة في ابراد ما ورد في فضل الصلاة في مسجد قبا فان ذلك لا يستلزم كونه المسجد الذي أسس على التقوى على أن ما ورد في فضائل مسجد رسول الله عليه وآله وسلم أكثر مما ورد في فضل مسجد قبا بلا شك ولا شبهة (من أول يوم) متعلق بأسس أي أسس على التقوى من أول يوم من أيام تأسيسه قال بعض النحاة أن من ههنا جمعي منذ أي منذ أول يوم ابتدئ بناؤه ووضع أساسه قال السهيلي نور الله مرقد في الآية من القننة حجة ما اتفق عليه

الرسول من عبادة الله وحده لا شريك له والصلوة بغير رقة الرسول المتأخر ومخالفة ذلك فضلالا وجهالات وآراء وأهواء الرسل برأ عنها كما قال الله تعالى أنت منهم في شئ وقوله تعالى إنما أمرهم إلى الله ثم بينهم بما كانوا عليه لو أن كقوله تعالى أن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والجوس والذين أشركوا إن الله يفضل بينهم يوم القيامة الآية ثم بين أطفه سبحانه في حكمه وبعدله يوم القيامة فقال تعالى (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثله وأهم لا يظلمون) وهذه الآية الكريمة فصله لما أجبل في الآية الأخرى وهي قوله من جاء بالحسنة فله خير منها وقدرت

الأحاديث مطابقة لهذه الآية كما قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله عندنا عثمان حدثنا يعقوب بن سليمان عندنا الجعد أبو عثمان عن أبي رجا الطاردي عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى إن ربكم عز وجل رحيم من هم بحسنة فلم يعملها كتب له حسنة فإن عملها كتبت له واحدة أو يعفوها الله عز وجل ولا يلهي الله الأهل ككثيرة ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له واحدة أو يعفوها الله عز وجل ولا يلهي الله الأهل ككثيرة ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له واحدة أو يعفوها الله عز وجل ولا يلهي الله الأهل ككثيرة

ورواه البخاري ومسلم والنسائي عن حديث الجعد أبي عثمان به (١٦٣) وقال أحمد أيضا عندنا أبو معاوية

حدثنا الاعمش عن المعمر بن
سويد عن أبي ذر رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الله عز وجل من عمل حسنة
فله عشر أمثالها وأزيد ومن عمل
سيئة فجزاؤها مثليها أو أغفر ومن
عمل قراب الأرض خطيئة ثم لم يقبض
يشر له في شيء جعل له مثلها مغفرة
ومن اقترب إلى شيء برا اقترب إليه
ذراعا ومن اقترب إلى ذراعا اقترب
إليه باعا ومن أناني عشيأتيته
هرولة ورواه مسلم عن أبي كريب
عن أبي معاوية به وعن أبي بكر بن
أبي شعبة عن وكيع عن الاعمش
به ورواه ابن ماجه عن علي بن
محمد الطنافسي عن وكيع به وقال
الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا
شيبان حدثنا جاد حدثنا ثابت
عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من هم بحسنة فلم يعملها كتب له
حسنة فإن عملها كتب له عشر
ومن هم بسيئة لم يعملها فلم يكتب
عليه شيء فإن عملها كتب عليه
سنة وأعلم أن نارك السبعة الذي

الصحابه رضوان الله عليهم أجمعين مع عمر رضي الله تعالى عنه حين شاورهم في التاريخ
فاتفق رأيهم على أن يكون من علم الهجرة لانه الوقت الذي عز فيه الاسلام والحين الذي
أمن فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونبت المساجد وعبد الله كما يحب ووافق رأيهم
هذا ظاهر التزويل وفهمنا الآن بقولهم ان قوله تعالى من أول يوم ان ذلك اليوم هو أول
أيام التاريخ الذي يورخ به الآن فان كان الصحابة رضوان الله عليهم أخذوا من هذه
الآية فهو الظن بهم لانهم أعلم الناس بتأويل كتاب الله وأفهمهم بما في القرآن من
الاشارات وان كان ذلك على رأي واحد فقد علمه الله وأشار الى محنته قبل ان يفعل
اذ لا يعقل قول القائل فقلته أول يوم الا بالاضافة الى عام معلوم أو شهر معلوم أو تاريخ
معلوم وليس ههنا اضافة في المعنى الا الى هذا التاريخ المعلوم لعدم القرائن الدالة على غيره
من قرينة لفظ أو حال فتدبره ففهمه معتبر ان ذكر وعلم لمن رأى بعين فؤاده واستبصر
(أحق أن تقوم فيه) مضلوا وأقبل التفصيل على غريبه أو المفاضلة باعتدال رجعهم
أو بالنظر لعفي ذاته فان المخطور قصد هم ونبتهم والمعنى لو كان اتيام في غيره جائز الكان
هذا أولى بقيامه فيه للصلاوة لانه لكونه أسس على التقوى من أول يوم ولكونه
(فيه رجال يحبون أن يتطهروا) هذه الجملة مستأنسة لبيان أحقية قيامه صلى الله عليه
وآله وسلم فيه أي كان هذا المسجد أولى من جهة الحل فهو أولى من جهة الحال فيه ومعنى
محبتهم للتطهر انهم يؤثرونه ويحرمون عليه عند عروض موجهة بمعنى من الأحداث
والجنابات وسائر النجاسات وهذا قول أكثر المفسرين وقيل معناه يجمعون التطهر
من الذنوب بالتوبة والاستغفار والاول أولى وقال الرازي المراضة الطهارة من الذنوب
والمعاصي وعينه بوجوه ثلاثة وقيل يحبون أن يتطهروا بالجمعي المطهرة للذنوب فجمعوا جميعا
وهذا ضعيف جدا (والله يحب المطهرين) معنى محبة الله لهم الرضا عنهم والاحسان
إليهم كما يفعل الحب بمحبوبة وأخرج ابن ماجه وابن المنذر وابن أبي حاتم والدارقطني
والحاكم عن أبي أيوب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك أن هذه الآية لما نزلت قال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم يا نعيم انصار الله قد أتني عليكم خير في الطهور فما
طهوركم هذا قالوا تروا للصلاة وتغتسل من الجنابة قال فهل مع ذلك غيره قالوا لا غير ان
أحسننا ذلك اخرج الى الغائط احب ان يستقي بالماء قال هوذا الله فليكن هو في حديث

ابن موسى حدثنا علي وحدثنا الحسن بن الصباح وأبو خزيمة قالوا حدثنا الجعفي بن سليمان كلاهما عن موسى بن عبيدة عن أبي بكر
ابن عبيد الله بن أنس عن جده أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هم بحسنة كتب الله له حسنة فان عملها كتب له
عشر ومن هم بسيئة لم تكتب عليه حتى يعملها فان عملها كتبت عليه سيئة فان تركها كتبت له حسنة يقول الله تعالى انما
تركها من مخافة هذا اللفظ حديث مجاهد يعني ابن موسى وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا شيكان بن عبد
الرحمن عن الركين بن الربيع عن أبيه عن عمه (١٦٤) فلان بن عميلة عن خريم بن قانن الأزدي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال

رواه البزار قالوا اتبع الحجارة بالماء فقال هو ذاك فعلمكموه وفي الباب روايات بالفاظ وقد
روى عن جماعة من التابعين في ذكر سبب نزول الآية فتجو هذا ولا يخفى ان بعض هذه
الاحاديث ليس فيه تعيين مسجد قباء وأهلوه وبعضها ضعيف وبعضها لا تنص صريحاً في بيان
المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجد قباء وعلى كل حال لا ينافي ذلك الأحاديث
المصرحة بأن المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في
صحته وصراحتها ثم بين سبحانه أن بين القريتين بوابين مسجد افتقل (أقن أسس بنيانه على
تقوى من الله ورضون خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار) اللهم زلة الانكار
والجلمة مستأفة مينة لخيرة الرجال المذكورين على أهل مسجد الضرار والفاء عاطفة
على مقدر أي بعد ما علم حالهم من أسس والبيان مصدر كالعمران وأريد به المبنى والمعنى
ان من أسس بنيانه على قاعدة قوية محكمة وهي تقوى الله ورضوانه خير من أسس
دينه على ضد ذلك وهو الباطل والتناقى قيل انه استعارة مكنية شئت للتقوى والرضوان
بما عده عليه البناء تشبيهاً مضمراً في النفس وأسس بنيانه بتحييل فهو مستعمل في معناه
الحقيقي أو مجازاً تأسيس البناء بمعنى احكام أمور دينية وتمثيل لحال من أخذ من الله
وعمل الاعمال الصالحة بحال من شئ شيئاً محكوماً وسياستوطنه ويحصن فيه أو البنين
استعارة أصلية والتأسيس ترشيح والشفاء الشفيرة وشفا كل شئ عرفه وطرفه ومنه يقال
أشقى على كذا اذا دام فيه وقرب ان يقع فيه والجرف بضم الراء وسكونه مقرر انان
سبعينان وعلى كل فالجيم مضمومة وهو ما يتجرف بالسبيل وهي الجوانب التي تحفر
بالماء وقيل المكان الذي أكل الماء تحته فهو الى السقوط قريب وقيل البئر التي لم تظو
وقيل هو الهوة والاجتراف اقتلاع الشيء من أصله والهار الساقط يقال هار البناء اذا
سقط وأصله هار كما قالوا شاك السلاح وشاك كذا قال الزجاج يقال هارهم وورهم
وهارهم وورهم وور البناء وهم فهو مقول بتقديم لامه على عينه وقيل حذف عينه
اعتباطاً لم لا غير موجب وقال أبو حاتم أن أصله هار رأى ساقط متداع منها قال في شمس
العلوم الجرف ما جرف السيل أصله وأشرف أعلاه فان انصدع أعلاه فهو الهار انتهى
وقيل لا قلب فيه ولا حذف وان أصله هور أو هير قال السمين وهذا أعدل الوجوه
لاستراحتة من ادعاء القلب والحذف اللذين هما على خلاف الاصل لولا انه غير مشهور

الناس أربعة والاعمال ستة
فالناس موسع له في الدنيا والآخرة
وموسع له في الدنيا مقصور عليه في
الآخرة ومقصور عليه في الدنيا
موسع له في الآخرة وشقي في الدنيا
والآخرة والاعمال موجبان ومثل
بطل وعشرة أو ضعاف وسبعمان
ضعف فالموجبان من مات مسلماً
مؤمناً لا يشرك بالله شيئاً وحب له
الجنة ومن مات كافراً وحب له
النار ومن هم بحسنة فلم يعملها
فعلم الله انه قد أشعرها قلبه وحرص
عليها كتبت له حسنة ومن هم
بسيئة لم تكتب عليه ومن عملها
كتبت واحدة ولم تضاعف عليه
ومن عمل حسنة كانت عليه بعشر
أمثالها ومن أنفق نفقة في سبيل
الله عز وجل كانت بسبعمان ضعف
ورواه الترمذي والنسائي من
حديث الركين بن الربيع عن أبيه
عن بشير بن عميلة عن خريم بن
قانن به يعضه والله أعلم وقال ابن
أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا
عبيد الله بن عمر القواريري حدثنا
يزيد بن زريع حدثنا حبيب المعلم

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحضر الجمعة ثلاثة نفر
عند
رجل حضرها بالغفوه وحظه منها ورجل حضرها بآفة وهو رجل دعا الله فأنشأ أعطاه وان شاء منعه ورجل حضرها بانصاف
وسكوت ولم يخط رقعة مسلم ولم يؤذ أحد افهى كفارة له الى الجمعة التي تليها وزيادة ثلاثة أيام وذلك لأن الله عز وجل يقول من جاء
بالحسنة فله عشر أمثالها وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا هاشم بن مرشد حدثنا محمد بن اسمعيل حدثني أبي حنيفة
ضمضم بن زرعة عن شرح بن عبيد عن أبي مالك الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة كفارة لما بينها وبين الجمعة

التي تليها وزيادة ثلاثة أيام وذلك لان الله تعالى قال من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وعن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام ثلاثة أيام من كل شهر فقد صام الدهر كله واه الامام أحمد وهذا القطع والنسائي وابن ماجه والترمذي وزاد فانزل الله تصديق ذلك في كتابه من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها اليوم بعشرة أيام ثم قال هذا حديث حسن وقال ابن مسعود من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها من جاء بالله الا الله ومن جاء بالسيئة يقول بالشرك وهكذا جاء عن جماعة من السلف رضي الله عنهم أجمعين فيه حديث مرفوع الله أعلم بحجته لكنني لم أرو من وجه ثبت (١٦٥) والاحاديث والاثر في هذا كثيرة جدا

وعند أهل التصريف انتهى جعل الله سبحانه هذا أمثالا لما هو عليه دينهم الباطل المضاعف بسرعة ثم قال (فإنهم) الجرف أو الشقا أو ببيان الباني على شفا جرف هار (به) أي بالبيان أو المعنى انه طاح الباطل بالناسم والباني (في نار جهنم) قال ابن عباس صيرهم نفاقهم الى النار وروى انهم رأوا الدخان حين حفر وأأساسه وقال قتادة والله ما تناهى بناءهم حتى وقع في النار والباق في التعدية أي فأنهم رأوا الدخان حين حفر وأأساسه وقال قتادة والله ما تناهى بالانهيار الذي هو الجرف ترجيح العجز وسبحان الله ما بلغ هذا الكلام وأقوى ترا كيبه وأوقع معناه وأفصح مبناه عن جابر بن عبد الله قال لقد رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار حيث أنهار على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخرجه الحاكم ومسنود وابن جرير وغيرهم (والله لا يمدى القوم الظالمين) أي لا يوفقهم للخير عقوبة لهم على نفاقهم ثم ذكر سبحانه ان بنيانهم هذا موجب لزيد بينهم واستقرار تردددهم وشكهم فقال (لا يزال بينهم) مصدر بمعنى اسم المفعول (الذي تنوارية في قلوبهم) أي شككنا فانا أي سببر بينهم كأنه نفس الريبة اما حال سائه فظاهر واما حال هدمه فلانه رسخ بهما كان في قلوبهم من الشر وتضاعفت آثاره وأحكامه وقبل معنى الريبة الحسرة والدمامة لانهم بدما على بنيانه وقال المبرد أي حرارة وغيطا وقد كان هؤلاء الذين بنوا مسجد الضرار منافقين شاكين في دينهم ولكنهم ازدادوا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له نفاقا وتضاعف الكفر ومقتلا الاسلام لما أصابهم من الغيظ الشديد والغيظ العظيم بهم ثم ذكر سبحانه ما يدل على استقرار هذه الريبة ودوامها وهو قوله (الآن تقطع قلوبهم) قطعوا وتفرق أجزاء ما بالوت وأبالسف وقيل في القور أو في النار والمقصود ان هذه الريبة دائمة لهم ماداموا أحياء ويجوز أن يكون ذكر التقطع تصويرا لحال زوال الريبة وقيل معناه الآن يتوالت به يتقطع قلوبهم بدما وأسفعا على فقر يطهم وقرى تقطع بالتخفيف والخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أي الآن تقطع يا محمد قلوبهم وتتمكن منهم كل التحكن وقرى ولو تقطعت قلوبهم وقرى شاذا إلى أن تقطع على الغاية أي لا يزالون كذلك إلى أن يموتوا والمستثنى منه محذوف والتقدير في كل وقت الا وقت تقطع قلوبهم أو في كل حال الاحال تقطيعها (والله علم) بعزائهم (حكيم) في جزاء جرائمهم (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) المشرح

عند أهل التصريف انتهى جعل الله سبحانه هذا أمثالا لما هو عليه دينهم الباطل المضاعف بسرعة ثم قال (فإنهم) الجرف أو الشقا أو ببيان الباني على شفا جرف هار (به) أي بالبيان أو المعنى انه طاح الباطل بالناسم والباني (في نار جهنم) قال ابن عباس صيرهم نفاقهم الى النار وروى انهم رأوا الدخان حين حفر وأأساسه وقال قتادة والله ما تناهى بناءهم حتى وقع في النار والباق في التعدية أي فأنهم رأوا الدخان حين حفر وأأساسه وقال قتادة والله ما تناهى بالانهيار الذي هو الجرف ترجيح العجز وسبحان الله ما بلغ هذا الكلام وأقوى ترا كيبه وأوقع معناه وأفصح مبناه عن جابر بن عبد الله قال لقد رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار حيث أنهار على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخرجه الحاكم ومسنود وابن جرير وغيرهم (والله لا يمدى القوم الظالمين) أي لا يوفقهم للخير عقوبة لهم على نفاقهم ثم ذكر سبحانه ان بنيانهم هذا موجب لزيد بينهم واستقرار تردددهم وشكهم فقال (لا يزال بينهم) مصدر بمعنى اسم المفعول (الذي تنوارية في قلوبهم) أي شككنا فانا أي سببر بينهم كأنه نفس الريبة اما حال سائه فظاهر واما حال هدمه فلانه رسخ بهما كان في قلوبهم من الشر وتضاعفت آثاره وأحكامه وقبل معنى الريبة الحسرة والدمامة لانهم بدما على بنيانه وقال المبرد أي حرارة وغيطا وقد كان هؤلاء الذين بنوا مسجد الضرار منافقين شاكين في دينهم ولكنهم ازدادوا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له نفاقا وتضاعف الكفر ومقتلا الاسلام لما أصابهم من الغيظ الشديد والغيظ العظيم بهم ثم ذكر سبحانه ما يدل على استقرار هذه الريبة ودوامها وهو قوله (الآن تقطع قلوبهم) قطعوا وتفرق أجزاء ما بالوت وأبالسف وقيل في القور أو في النار والمقصود ان هذه الريبة دائمة لهم ماداموا أحياء ويجوز أن يكون ذكر التقطع تصويرا لحال زوال الريبة وقيل معناه الآن يتوالت به يتقطع قلوبهم بدما وأسفعا على فقر يطهم وقرى تقطع بالتخفيف والخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أي الآن تقطع يا محمد قلوبهم وتتمكن منهم كل التحكن وقرى ولو تقطعت قلوبهم وقرى شاذا إلى أن تقطع على الغاية أي لا يزالون كذلك إلى أن يموتوا والمستثنى منه محذوف والتقدير في كل وقت الا وقت تقطع قلوبهم أو في كل حال الاحال تقطيعها (والله علم) بعزائهم (حكيم) في جزاء جرائمهم (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) المشرح

وليس يلزم من كونه أمر بتابع مله ابراهيم الحنيفة ان يكون ابراهيم أكل منه فله الا انه عليه السلام قام بها قايما عظما وأكملت له اكمالا ما لم يسبقه أحد الى هذا الكمال ولهذا قال أأنتم الانبياء وسيد ولد آدم على الاطلاق وصاحب المقام المحمود الذي يرغب اليه الخلق حتى الخليل عليه السلام وقد قال ابن مردويه حدثنا محمد بن عبد الله بن حفص حدثنا أجد بن عصام حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا شعبه بن أبي سلمة بن كهيل سمعت زبر بن عبد الله الهمداني يحدث عن ابن أبي ربي عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أصبح قال أصبحنا على مله الاسلام وكلمة الاخلاص ودين نبينا ومله ابراهيم حنيفا وما كان من

المشركين وقال الامام احمد حدثنا يزيد اخبرنا محمد بن اسحق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي الاديان أحب الى الله تعالى قال الحنيفية السمحة وقال أجدأ يضادنا سليمان ابن داود سمعنا عبد الرحمن عن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذقني على منكبي لافترالي فزنت الحنيفة حتى كنت التي مالت فانصرفت عنه قال عبد الرحمن عن أبيه قال قال لي عروة ان عائشة قالت قال رسول الله (١٦٦) صلى الله عليه وسلم من أدلى علمهم ودان في دنيا فصححة اني أرسلت بجنيمة

سمحة أصل الحديث يخرج في الصحيحين والزيادة لها شواهد من طرق عدة وقد استقصيت طرقها في شرح الجناري والله الجود والمنة وقوله تعالى قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين بآمره تعالى أن يجبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير اسمه أنه مخالف لهم في ذلك فان صلاته لله ونسكه على اسمه وحده لا شريك له وهذا كقوله تعالى فعل ربك وانحر أي اخلص له صلاتك وذبحك فان المشركين كانوا يعبدون الاصنام ويذبحون لها فأمره الله تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه والاقبال بالصدق والنية والعزم على الاخلاص لله تعالى قال مجاهد في قوله ان صلاتي ونسكي لنفسك الزبح في الحج والعمرة وقال الثوري عن السدي عن سعيد بن جبير ونسكي قال ذبحي وكذا قال السدي والضحاك وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف حدثنا أحمد بن خالد الذهبي حدثنا محمد بن اسحق عن يزيد بن

الله تعالى قضائح المنافقين وقبائحهم بسبب تخلفهم عن غزوة تبوك وذكر أقسامهم وفرع على كل قسم منها ما هو لا يثق به عاده على بيان فضيلة الجهاد والترغيب فيه وقد بالغ في ذلك على وجه لا مزيد عليه حيث عبر عن قوله بأنفسهم وأموالهم التي بذلوها في سبيله وأثابه إياهم بمقابلتها بالجنة فالشراء قد ذكر الشراء لتمثيل على طريقة الاستعارة التبعية كما في قوله أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ثم جعل المبسح الذي هو العمد والمقصود أنفس المؤمنين وأموالهم وجعل الثمن الذي هو الوسيلة في الصفقة الجنة ولم يجعل الأمر على العكس بأن يقال ان الله باع الجنة من المؤمنين بأنفسهم وأموالهم ليسدل على ان المتصور في العقد هو الجنة وما بذله المؤمنون في مقابلتها وسبيله اليها اذا أنا بكمال العناية بهم وبأموالهم ثم اتهم بقل بالجنة بل قال بان لهم الجنة بمباغعة في تقرر وصول الثمن اليهم واختصاصه بهم كانه قيل بالجنة الشابة لهم المختصة بهم وأصل الشراء بين العباد هو اخراج الشيء عن المالك بشئ آخر مثله أو دونه أو أنفع منه فهو لا المجاهدون باعوا أنفسهم من الله بالجنة التي أعدّها الله للمؤمنين أي بأن يكونوا من أهل الجنة ومن يسكنها فقد جادوا بأنفسهم وهي أنفس الاعلاق والجود بها غاية الجود وجاد الله عليهم بالجنة وهي أعظم ما يطلبه العباد ويتوسلون اليه بالاعمال والمراد بالانفس هنا أنفس المجاهدين وبالاموال ما يتفقونه في الجهاد أو في جمع وجوه البر والطاعات ويدخل فيها الجهاد دخولا أولا قال أهل المعاني لا يجوز ان يشتري الله شئاً في الحقيقة لان المشتري انما يشتري ما لا يملكه الاشياء كلها والله عز وجل ولهذا قال الحسن أنه سئدوا خلقها وأموالنا هور زقنا اياها لكن جرى هذا مجرى التلطف في الدعاء الى الطاعة والجهاد وجعل ذلك استبدا الاشرار ودخلت البامهنا على المتروكة على بابهم واسماها أبو البقاء باء المقابلة كقولهم باء العوض وباء الثمنية وقرأ عمر بن الخطاب بالجنة عن جابر بن عبد الله قال لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم وهو في المسجد كبر الناس في المسجد فأقبل رجل من الانصار ثانياً ساطر في رداءه على عاتقه فقال يا رسول الله أنزلت هذه الآية قال نعم فقال الانصاري بيع ربيع لا تقبل ولا تستقبل وقد أخرج ابن سعد عن عباد بن الصامت ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اشترط في بيعة العقبة على من باعهم من الانصار أن يشهدوا أن لا اله الا الله وانهم رسول الله وبقوا الله لا قوتوا

الزكاة

أي حبيب عن ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم في يوم عبد الجحر يكبت بين وقال حين ذبحهما وجهته وجهي للذي فطر السموات والارض خنيقاً وما آمن المشركين ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين وقوله عز وجل وأنا أول المسلمين قال قتادة أي من هذه الامة وهو كما قال فان جميع الانبياء قبله كلهم كانت دعوتهم الى الاسلام وأصله عبادة الله وحده لا شريك له كما قال وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون وقد أخبرنا تعالى عن نوح أنه قال لقومهم فان توليتهم فاسألتكم من أمر ان أجرى الاعلى الله

وأمرت أن أكون من المسلمين وقال تعالى ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اسطقسنا في الدنيا وأنه في الآخرة لمن الصالحين إذا قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى به إبراهيم بنوه ويعقوب أبني أن الله اصطفى لكم الدين فلا توتنوا
 الأول أنتم مسلمون وقال يوسف عليه السلام رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت الوحي في الدنيا والآخرة فوفيني مسلماً وأحلفني بالصالحين وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا وإن كنتم مسلمين فقلوا على الله توكلنا بالإنجيل فاستنقذنا من القوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم (١٦٧) الكافرين وقال تعالى إننا أنزلنا التوراة فيها إمداد

ونور ويحكم بها النبيون الذين أسألوهم للدين هادوا وأزبايون والأخبار الآتية وقال تعالى وإذا وحيت إلى الحوار بين إن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنوا واشهدنا بما هم مسلمون فأخبر تعالى أن بعث رسوله بالاسلام وليكنهم متفانون فيه بحسب شرائعهم الخاصة التي ينسخ بعضها بعضا إلى أن نسخت بشرى محمد صلى الله عليه وسلم التي لا تنسخ أبدا بدنيا ولا تزال قائمة منصوره وأعلامها منشورة إلى قيام الساعة ولهذا قال عليه السلام نحن معاشر الانبياء أولاد علات ونحن واحد فان أولاد العلات هم الاخوة من أب واحد وأمها شتى فالدين واحد وهو عبادة الله وحده لا شريك له وان تنوعت الشرائع التي هي بمنزلة الامهات كما أن اخوة الأخاف عكس هذا بنى الأم الواحدة من آباء شتى والاخوة الاعيان والاشقاء من أب واحد وأم واحدة والله أعلم وقد قال الامام احمد حدثنا ابو سعيد حدثنا عبد العزيز بن عبد الله المباحسون حدثنا عبد الله بن الفضل الهاشمي عن

الزكاة والسمع والطاعة ولا ينافي الأمر أهله ويعنونه مما يتبعونه منسفة أنفسهم وأهلهم قالوا نعم قال فائق الانصار نعم لك هذا يا رسول الله فالتنا قال الجنة وأخرجه ابن سعد أبضامن وجد آخر وليس في قصة العقبة ما يدل على انه اسبب نزول الآية (يقا تلون في سبيل) استئناف لبيان البيع الذي يقتضيه الاشتراء المذكور لا لبيان نفس الاشتراء لان قتالهم في سبيل الله ليس باشتراء من الله أنفسهم وأموالهم كانه قيل كيف يبيعونها بالجنة فقيل بقاتلون وقيل فيه معنى الامر أي فاتلوا في سبيله ثم بين هذه المقابلة بقوله (فمقتلون) أعداء الله (ويقتلون) طاعته والمراد انهم يقدمون على قتل الكفار في الحرب ويذلون أنفسهم في ذلك فان فعلوا فقد استحقوا الجنة وان لم يقع القتل عليهم بعد الابلاء في الجهاد والتعرض للموت بالاقدام على الكفار وتقديم حالة القتالية على حالة المقتولية للذين يعدم الفرق بينهما في كونها مصداقا لكون القتال بذل النفس وفي قراءة تقديم المني للمفعول رعاية لكون الشهادة عريضة في الباب واذا جاء بعد مبالايتهم بالموت في سبيل الله بل يكون أوجب اليهم من السلامة أي فيقتل بعضهم ويقايل الباقي يعني لا يشترط اجتماع الامر في الشخص الواحد بل يتحقق الفضل العظيم وان لم يوجد واحد من الوصفين كما اذا وجدت المضاربة من غير قتل بل يتحقق الجهاد بمجرد العزم وتكثير الواد (وعدا عليه حقا) مصدران منصوبان بفعلهما المحذوف أي وعدهم وعدا وحق ذلك الوعد حقا أي يحقق وثبت اخبار من الله سبحانه بان فيضة الجهاد واستحقاق الجنة بها قد ثبت الوعد بها من الله (في التوراة والانجيل والقرآن) أي كما وقع في القرآن وفيه وجهان أحدهما انه متعلق باشتري وعلى هذا فقصه دليل على ان الامر بالجهاد موجود في جميع الشرائع ويكتوب على جميع أهل المال وكل أمة وعدت عليه بالجنة والثاني انه متعلق بمحذوف والمعنى وعدا محذورا كما نفي التوراة وعلى هذا فيكون الوعد بالجنة نهذا الاممة مذكورا في كتب الله المنزلة (ومن أوفي بهم هذه من الله) في هذا من تأكيدهم الترغيب للجهاد والتشجيع لهم على بذل الانفس والاموال ما لا يخفى فانه أول أخبار بانه قد اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة وجاء به هذه العبارة للجنة وهي كون الجنة قد صارت ملكا لهم ثم أخبر ثانيا بانه قد وعد بذلك في كتبه المنزلة ثم أخبر ثالثا بانه يعد هذا الوعد الصادق لا بد من حصول الموعود به

الاعرج عن عبد الله بن أبي رافع عن أبي رافع عن علي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا كبر استفتح ثم قال وجئت وجهي للذي فطر السموات والأرض خنيما وما أنا من المشركين ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين إلى آخر الآية اللهم أنت المالك لا اله الا أنت أنت ربى وأنا عبدك ظلت نفسي واعتزقت بذنبي فاعفر لي ذنوبي جميعا لا يغفر الذنوب الا أنت واهدني لاجنات لا يحمدى لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا انت تبارك وتعالى استغفر لك وأنت العفو ثم ذكر تمام الحديث فيما توله في الركوع والسجود والتسليم وقد روي في صحيحه (قل أعظم الله أنبيى رباه و هو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازر زي نبي ثم إلى ربكم مرجعكم فيحكم فينسخكم عما كنتم فيه متخلفون) يقول

تعالى قلبه بحدوثه ولا المشركين بالله في اخلاص العبادته والتوكل عليه أغفر الله أبغى رأياً طلب رياسه وهرب كل شئ برضى
ويحفظنى ويكافى ويدبر أمرى أى لا أتوكل الا عليه ولا أنيب الا اليه لانه رب كل شئ ومملكه وله المطلق والامر فى هذه الآية الامر
بإخلاص العبادته والتوكل كإفتمت الآية التى قبلها إخلاص العبادته لاشريكه وهذا المعنى يقرن بالآخر كثيراً كقوله تعالى
مردد العباد أن يقولوا اليك تعبدوا لستعين وقوله فاعبدوه وتوكل عليه وقوله قل هو الرحمن أمانه وعليه توكلنا
وقوله رب المشرق والمغرب لا اله الا هو (١٦٨) فاتخذوه كيلاً واشياء ذلك من الآيات وقوله تعالى ولا تنكس

فانه لا أحد اوفى بعهد من الله سبحانه وهو صادق الوعد لا يخلف الميعاد فان اخلاق
الوعد مما لا يكاد يصدق عن كرام المطلق مع امكان صدوره منهم فكيف يجنب الخلاق
الغنى عن العمل بل جل جلاله فالحجلة اعتراض مقرضون ما قبل من حقيقة الوعد على
نهم المبالغة فى كونه أوفى بالعهد من كل وافر ثم زادهم سرورا وحسورا فقل
(فاستبشروا بوعدهم) البشارة هى اظهار السرور وظهوره يكون فى بشرة الوجه واذا
يقال أسرار الوجه أى التى يظهر فيها السرور والسكين ليست للطلب كاستوقدوا وقد
بل المطاوعة وقد تقدم ايضاح هذا والفاء ترتيب الاستبشار والا لمر به على ما قبله والمعنى
أطهروا السرور وافر حوائجها الفرح بهذا البيع (الذى يبعث به) الله عز وجل فقد
ربحتم فيه ربحاً لم يربح به أحد من الناس الامن فعل مثل فعلكم وفيه الثقات عن الغيبة
تشرى بفعالهم على تشرى بزيادة لسرورهم على سرور وفيه زيادة فقرير بيعهم واشعار
بكونه مغاير السائر البياعات فانه يبع للغانى بالباقي وكلا البدلين له سبحانه وتعالى
والاشارة بقوله (ذلك) الى الجنة وألوا نفس المبيع الذى ربحوا فيه الجنة (هو الفوز
العظيم) وصف الفوز وهو الظفر المطلوب بالعظيم يدل على انه فوز لا فوز مثله قال عرين
الخطاب ان الله يبيعك وجعل الصفقتين لك وقال الحسن اسمعوا الى بيعه ربحه ببيع
الله بها كل مؤمن وعنه ان الله أعطاك الدنيا فاشتر الجنة بضعها وقال قتادة فأنهم
فاغنى لهم وقال الصادق ليس لابنائكم ثمن الا الجنة فلا تبيعوها الا بها (التائبون) رفع
على المدح أى هم التائبون يعنى المؤمنين والتائب الرابع أى هم الراجعون الى طاعة
الله عن الحالة الخالفة للطاعة وقال الزجاج عندى ان قوله التائبون رفع بلا بداهة وخبره
مضمر أى التائبون ومن بعدهم الى آخر الآية لهم الجنة ايضا وان لم يجاهدوا وقال وهذا
أحسن اذ لو كانت هذه أوصاف المؤمنين المذكورين لكان الوعد خاصا بمجاهدين وقد
ذهب الى هذا طائفة من المفسرين وقيل ان الخبر قوله الآخرون وقيل ان التائبون
يدل من الضمير المستتر فى يقاتلون وذهب آخرون الى أن هذه الاوصاف راجعة الى
المؤمنين فى الآية الاولى وانها على جهة الشرط أى لا يستحق الجنة تلك المبالغة الامن
كان من المؤمنين على هذه الاوصاف وبه قال ابن عطية وقيل غير ذلك وجوز صاحب
الكتاب أن يكون التائبون مبتدأ وخبره العابدون وما بعده اخبار كذلك أى التائبون

كل نفس الاعمال اول تزوار زور
أخرى اخبار عن الواقع يوم القيامة
فى جزاء الله تعالى وحكمه وعدله
ان النفوس انما تجازى بأعمالها
ان خيرها خير وان شرها شر وان لا
يحمل من خطيئة أحد على أحد
وهذا من عدله تعالى كما قال وان
تدع مثقلة الى جملها لا يحمل منه
شئ ولو كان ذا قرنى وقوله تعالى فلا
يخاف ظمأ ولا هضم قال علماء التفسير
أى فلا يظلم بأن يحمل عليه سيئات
غيره ولا يهضم بأن ينقص من
حسناته وقال تعالى كل نفس بما
كسبت رهينة الا أصحاب اليمين
معناه كل نفس مرتبة بعبادتها
السبي الا أصحاب اليمين فانه قد
يعود بركة أعمالهم الصالحة على
ذرياتهم (١) بايمان ألحقناهم بذرياتهم
فى المنزل الرفيعة فى الجنة وان
لم يكونوا قد شاركوهم فى الاعمال
بل فى أصل الايمان وما ألحقناهم
أى نقصنا أولئك السادة الرفقاء
من أعمالهم شأحتى ساويناهم
وهؤلاء الذين شمت أنقص منهم منزلة بل
رفعهم تعالى منزلة الآيات بركة
أعمالهم بفضله ومنه ثم قال كل امرئ

بما كسب رهين أى من شر وقوله ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه مختلفون أى اعلموا على مكاتكم
انا عالمون على ما كنتم عليه فستعرضون وتعرض علمه وينبئناواكم بما كنتم تعملون وما كنتم تختلف فيه فى الدنيا كقوله
قل لا تسئلون عما أجرنا ولا نسل عما كنتم تعملون قل يجمع بيننا ربنا ما بيننا وبينكم وهو الفلاح العليم وقوله تعالى (وهو
الذى جعلكم خلائف فى الارض ووقع بعضكم فوق بعض درجات ليلوا كما كنتم) ثم ان ربك سريع العقاب وان لغفور رحيم
(١) قوله على ذرياتهم بايمان الخ هكذا فى الأصل ولعل فيه سقطا والاصل على ذرياتهم كما قال تعالى والذين آمنوا واتبعتهم
ذرياتهم بايمان الخ وحرره اه

يقول تعالى وهو الذي جعلكم خلائف الارض أى جعلكم تكمرونها جيل بعد جيل وقرنا بعد قرن وخلفاء بعد سلف قال ابن زيد وغيره كقوله تعالى ولولم نشاء لبعثنا منكم ملائكة فى الارض يخفون وقوله عسى ان يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض فينظر كيف تعملون وقوله ورفع بعضكم فوق بعض درجات أى فاوت بينهم فى الارزاق والاخلاق والחסن والمساوى والمناظر والاشكال والالوان وله الحكمة فى ذلك كقوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليجذب بعضهم بعضا فخريا وقوله انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض (١٦٩) وللاخرة كبر درجات وأكبر تفضيلا

عن الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال وفسد من البعد ما ينبغي ثم قيل المراهبة
التوبة عن الشرك والبرائة من النفاق وقيل من كل معصية وقيل من جميع المعاصي لأن
اللفظ عام يتناول الكل وحاصل ما ذكر أو أوصاف تسعة الستة الأولى تتعلق بعبادته الخالق
والسابع والثامن يتعلقان بعبادته الخالق والتاسع بعبادته القليلين فالله الحنفى ساوى وأنى
بترتيب هذه الصفات في الذكر على أحسن نظم وهو ظاهر بالتأمل فإنه قد تم التوبة أولاً ثم
ثنى بالعبادة إلى آخرها (العابدون) أى القائمون بعبادته من عبادة الله مع الاخلاص
(الحامدون) الذين يحمدون الله سبحانه على كل حال في السر والظهر ويقيمون
بشكره على جميع نعمه دنيا وأخرى (السائحون) السائحون في الغلة أصلها الذهاب على
وجه الأرض كما يسبح الماء وهى مما يعين العبد على الطاعة لا تقطاعه عن الخلق ولما
يحصل له من الاعتبار بالتفكير في مخلوقات الله سبحانه فالسائح لها أثر عظيم في تهذيب
النفس وتحسين أخلاقها وفى القاموس السائح بالسكر الذهاب فى الأرض للعبادة
ومنه المسح بن حريم وكرت فى اشتقاقه خسين قولاً فى شرح مختصر الجارى والسائح
الصائم الملازم للسائح قيل هم الصائمون واليه ذهب جمهور المفسرين وبه قال ابن
مسعود ومنه قوله تعالى عابدات سائحات وانما قيل للصائم سائح لأنه يترك لذات كلها
كما يترك السائح فى الأرض قاله سفيان بن عيينة وقال الأزهري سعى الصائم سائحاً لئلا
الذى يسبح فى الأرض متعباً لا زاد معه فكان ممسكاً عن الاكل وكذلك الصائم ممسك
عنه قال الزجاج ومذهب الحسن ان السائحين هنام الذين يصومون القرض وقيل انهم
الذين يديعون الصيام وقال عطاء السائحون هم الغزاة والمجاهدون وقال عبد الرحمن
ابن زيدهم المهاجرون وقال عكرمة هم الذين يسافرون لطلب الحديث وقيل هم الحائرون
بأفكارهم فى توحيد ربهم ومذكورة وما خلق من العبد وقيل هم طلبة العلم مطلقاً لانهم
ينتقلون من بلد إلى بلد فى طلبه ويسعون فى الأرض يطلبونه من مظانه ويدخل فيه
طالب الحديث دخولاً أو قابلاً (الراكون الساجدون) معناه المصلون المحافظون على
الصلوات وغير عبادهم ما لانهم معظم أركانها وبها يتنازل المصل من غيره بخلاف غيرهما
كالقيام والاعتقاد لانهم حالتا المصل وغيره (الأمرون بالمعروف) أى القائمون بأمر
الناس بما هو معروف فى الشريعة (والناهون عن المنكر) أى القائمون بالانكاز على

عبد العزيز المداوردي عن العلامة وقال حسن زوواه مسلم عن يحيى بن يحيى وقتيبة وعلى بن حجر ثلاثتهم عن اسمعيل بن جعفر
عن العلامة وعنه أيضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فيه وعند فوق العرش ان رحمتي
غضبي وعنه أيضا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جعل الله الرحمة مائة جزء فأسد عند تسعة وتسعين
جزء أو أنزل في الأرض جزء واحد فذلك الجزء تترامح الخلائق حتى ترفع الذبابة فترها عن وليها خشية أن تصيبه رواه مسلم
آخر تفسير سورة الأنعام وثمة الجذرة (١٧٠) = (تفسير سورة الأعراف وحى مكة) = (بسم الله الرحمن الرحيم) *

من فعل منك أي شيئا منك الشرع قال الحسن اما انهم لم يأمر والناس بالمعروف
حتى كثرت أو أخذ ولم ينهوا عن المنكر حتى انتهوا عنه لم يأت بعاطف بين هذه الأوصاف
لما سبقت البعض إلا في هذين الوصفين المقتضى لهما إذا لم يطلب فعل أو الشاغل طاب
ترك أو كلف (والحافظون لحدود الله) أي اتقوا من بصفة شرافته التي أنزل الله في كتابه
وعلى لسان رسوله وتبلي طاعة الله وقال الحسن بفرأى الله وهم أهل الخوف أيعب الله
وقيل بأوامره ونواهيه أو بتمام الشرع وقيل ان العطش في الصفات يحى ما نواو وبغيرها
كقوله تافرك الذب وقابل التوب شديد العقاب وقيل ان نواو الله وتقبل حى وأوال الخشية
المعروفة عند النجاة كفى قوله تعالى ثبات وأبكرا وقوله وقفت أنوارها وقوله سبعة
ونامنهم كلهم وقد افكروا والخاتمة أبو على النابسي وناظره في ذلك ابن خنويه قال
الخناجر وقال هذا القول يعنى كون السبع عدد تاما نحو أبو البقاء سبع بعير عن ابن
وأوال الخشية وهو قول ضعيف لم ير فيه النجاة كقوله صاحب المعنى اه والحافظ بن القيم
في البدائع (وبشر المؤمنين) لموصوفين الصفات السابقة بالجنة عن ابن عباس قال من
مات على هذه التسعة فهو في سبيل الله ومن مات وفيه تسع فهو شهيد وفيه أضاف في مقام
الانتماء للتبسية على عهد الحكم أي سبب استحقاقهم الجنة هو إيمانهم وحذف التبشير به
نظروا عن حد البيان (ما كن) أي لا يصح ولا ينبغي ولا يجوز والتبشير والتبشير
يستغفروا للمشركين) لما بين الله سبحانه في أول السورة وما بعده ان أئمة من المشركين
والمتنفقين واجبة بين سبحانه هذا من يذنب ما كيد أو صرح بان ذنبت متهم (ولو كنوا
أولى قرى) فان القرية في مثل هذا الحكم لا تأثر لها وقد ذكر أهل التفسير ان ما كن في
القرآن يأتي على وجهين الأول على النفي نحو ما كن نفس ان توت الأذان لله والأخر
على انهم نحو ما كن لكم أن تؤذوا رسول الله (من بعد ما بين لهم أنهم أصحاب الجحيم)
هذه الآية تضمن التعليل للنهي عن الاستغفار والتبشير ان هذا التبيين موجب لقطع
المواالتمن كان هكذا أو عدم الاعتدال بالقرية لانهم ما تواتر على الشرع وقد قال سبحانه ان
الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دونه من غير أن يشرك به فطلب المغفرة لهم في حكم الخلق لله بعد الله وبعد عن علي قال
أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم تواتر أن يطلب فبكى فقيل أذهب فغفر له وكشفه
وأورده عن الله له ووجه قتله وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستغفروا أما

المص كتاب أنزل اليك فلا يكن
في صدره حرج منه لتدبره
وذكرى للمؤمنين اتبعوا ما أنزل
اليكم من ربكم وليتبعوا من دونه
أوليا قل لا مائدة كرون قد تقدم
الكلام في أول سورة البقرة على
ما يتعلق بالحروف وبسطه
واختلاف الناس فيه قال ابن
جبر حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا
أبي عن شريك عن عطاء بن السائب
عن أبي الخضر عن ابن عباس المص
أن الله أنزل وكذا قال سعد بن
جبر كتاب أنزل اليك أي هذا كذب
أنزل اليك أي من ربك فلا يكن
في صدره حرج منه قال مجاهد
وقادة والسدى شمه وقيل
لا يصح به في ابلاغه والاندابة
فأصبر كاصبر أو العزم من الرسل
ولهذا قال لتدبره أي أنزل الله اليك
لتدبره المكافرين وذكروا للمؤمنين
ثم قال تعالى مخاطب العالم اتبعوا
ما أنزل اليكم من ربكم أي اتقوا
آمال الذي الأمل الذي جاءكم بكل
أنزل اليكم من ربكم أي وليكم ولا
تتبعوا من دونه أولياء أي لا تتفرجوا
عما جاءكم به الرسول إلى غيره

فكنوا قد عدلتم عن حكم الله إلى حكم غيره قل لا مائدة كرون كقوله وما كثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وقوله ولا
وان قطع أكثر من في الأرض يصلحك عن سبيل الله الآية وقوله وما يؤمن أن كثرهم الله الا وهم مشركون (وكم من قرية أهلكناها
فجاءها بأسنا بنا أو هم فالتون فما كن دعواهم اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا اننا كنا طالين فلنسالن الذين أرسل اليهم ولنسالن المرسلين
فلنلقه من عليهم يعلم وما كنا نضع كذا نحن في حافة رسلنا وتكذبهم فاعقبتهم فأنزلناهم من السماء موصولا
بذلك الآخرة كما قال تعالى ولقد استمرزى رسل من قبلنا خلقا من الذين خسروا أنفسهم ما كانوا يعلمون وقوله فكل من قرية
هكذا ما وحى فالله تعالى خولع على عروشها ويرمى عظامه وقصر مشيد وقال تعالى وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها أفلا

مساكنهم لم تكن من بعدهم الاقل ولا وكثفن الوارثين وقوله تعالى
 وبأسه وقته ساء اى املأهم قائلون من التساولة وهى الاستراحة وسط النهار وكلا الوقتين وقت غفلة وهو كما قال أفامن أهل
 القرى ان ياتيهم بأسنا ياتون أم أمن أهل القرى أن ياتيهم بأسنا نخشى وهم بالعيون وقال أفامن الذين مكرروا بالسبوات أن
 يخسف الله بهم الارض أو ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم في قبليهم فاهم يحجزون أو يأخذهم على تخوف فان
 ربكم رؤوف رحيم وقوله فا كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين (١٧١)

الا ان اعترفوا بذنوبهم وانهم
 حققون بهذا كقوله تعالى وكم
 قصصنا من قريه كانت ظالمة الى قوله
 خامدين قال ابن جرير فى هذه الآية
 الدلالة الواضحة على صحة ما جاءت به
 الرواية عن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال ما هلك قوم حتى يعذروا
 من انفسهم حدثنا بلال بن حميد
 حدثنا جرير عن ابن سنان عن عبد
 الملك بن ميسرة الزرادي قال قال
 عبد الله بن مسعود قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ما هلك قوم حتى
 يعذروا من انفسهم قال قلت لعبد
 الملك كيف يكون ذلك قال فقرأ
 هذه الآية فما كان دعواهم اذ
 جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين
 وقوله فلنقلن الذين أرسل اليهم
 الآية كقوله ويوم نناديهم فيقول
 ماذا اجبت المرسلين وقوله يوم يجمع
 الله الرسل فيقول ماذا اُجبت قالوا
 لاعلم لنا انك أنت علام الغيوب
 فيسأل الله الامم يوم القيامة
 عما اُجوابوا رسوله فيها أرسلهم به
 ورسال الرسل أيضا عن ابلاغ
 رسالتهم واللهذا قال على بن أبى
 طلحة عن ابن عباس فى تفسير هذه
 الآية فلنقلن الذين أرسل اليهم

ولا يخرج من بيته حتى نزل عليه ما كان للي الآية وقد روى فى سبب نزول الآية استعمار
 النبي صلى الله عليه وآله وسلم لآنى طالب من طرق كثيرة وأصله فى الصحيحين وما فيه ما تقدم
 على ما لم يكن فيها على فرض انه صحيح فكيف هو وضعيف غالبه وقيل ان أريد بطلب
 المغفرة لا الكفر هذا به للاسلام قبل الموت جازا لا استغفاره وان أريد به ان تغفر ذنبه مع
 بقاءه على الكفر لم يحذفه وم هذه الآية فيه تفصيل وهذه الآية متضمنة لقطع الموالة
 للكفار وتحريم الاستغفار لهم والدعاء بما يجوز ان كان كافرا ولا ينافى هذا ما ثبت عنه
 صلى الله عليه وآله وسلم فى الصحيح انه قال يوم أحد حين كسر المشركون رباعيته وشجوا
 وجهه اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون لانه يمكن ان يكون ذلك قبل ان يغسه تحريم
 الاستغفار لهم وعلى فرض انه قد كان باغيه كما يفيد سبب النزول فانه قبل يوم أحد عدة
 طويلا فصدور هذا الاستغفار منه لقومه انما كان على سبيل الحكاية عن تقدمه من
 الانبياء كما فى صحيح مسلم عن عبد الله قال كانى أنظر الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحكى
 نبيامن الانبياء ضرب قومه ويصيح الدم عن وجهه ويقول رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون
 (وما كان استغفارا براهم لايه) بقوله واغفر لآنى أى بأن وقفه للايمان وتهدية لايه
 وجه تعلق هذا الآية بما قبله الله تعالى لما بالغ فى وجوب الانقطاع عن المشركين الاحياء
 منهم والاموات بين أن هذا الحكم غير مختص بدين محمد صلى الله عليه وآله وسلم بل هو
 مشروع أيضا فى دين ابراهيم فكون المبالغة فى وجوب الانقطاع كلى وأقوى (الا عن
 موعدة وعد هاناه) ذكر سبحانه السبب فى استغفار ابراهيم لايه انه كان لاجل وعد
 تقدم من ابراهيم لايه بالاستغفاره والاستثناء مفرغ من أعم الالل أى لم يكن استغفاره
 لايه ناشئاً عن شئ ولا لاجل شئ الا عن موعدة مبنية على عدم تبين أمره وعد هاناه أى
 لاجلها (فلما تبين له انه عدو لله) مصر على العداوة والكفر ومصر عليه وانه غير مستحق
 للاستغفار بموته على الكفر (قبراً منه) وترك الاستغفاره وهذا يدل على انه انما وعد
 قبل أن يتبين له انه من أهل النار ومن أعداء الله فلا حاجة الى السؤال الذى يورده كثير
 من المفسرين انه كيف خفى ذلك على ابراهيم فانه لم يخف عليه تحريم الاستغفار لمن أسير
 على الكفر ومات عليه وهو لم يعلم ذلك الا بخبار الله سبحانه لانيه عدو لله فان شئت هذه
 العداوة يدل على الموت على الكفر وكذلك لم يعلم نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بتحريم ذلك

ولنقلن المرسلين عما بلغوا وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن ابراهيم حدثنا ابراهيم بن محمد بن الحسن حدثنا أبو سعيد
 الكندى حدثنا الحارثى عن ليث عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته
 فالامام يستل عن الرجل والرجل يستل عن أهله والمرأة تستل عن بيت زوجها والعبد يستل عن مال سيده قال الليث وحدثني ابن
 طاوس مثله ثم قرأ فلنقلن الذين أرسل اليهم ولنقلن المرسلين وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين بدون هذه الزيادة وقال ابن عباس
 فى قوله فلنقلن عليهم يعلم وما كنا نبيين يوضع الكتاب يوم القيامة فيستكلم بما كانوا يعاملون وما كنا نبيين يعنى انه تعالى يخبر عباده
 يوم القيامة بما قالوا وما عملوا من قليل وكثير وجليل وحقيق لانه تعالى الشهد على كل شئ لا يغيب عنه شئ ولا يغفل عن شئ بل

هو العالم حيث لا عين ومناظره الصمد دور وماتسقط من ورقة الابعاج اولاحية في فلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب
من (رازون) يومئذ خلق من ثقلت موازيه فأولئك هم المثلحون ومن خفت موازيه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا
يآتيانها بآياتهم) يقول تعالى والوزن أى لا يعمل يوم القيامة الحق أى لا ينظم تعالى أحدا كقولہ وقضح الموازين القسط يوم القيامة
فلا ينظم الناس شيء أو أن كل من قال به من خردل آياتنا بما وكفى بنا حاسبين وقال تعالى ان الله لا ينظم من قال ذرة وانك حسيبة
بما عداها يؤتم من لده أجز اعظمها وقال تعالى (١٧٢) فاما من ثقلت موازيه فهو في عيشة راضية واما من خفت موازيه فامه

ونسعون سجلاً كل سجل مد البصر ثم يوفى تلك البطاقة فيها لاله الا الله فيقول يا رب وما هذه البطاقات مع
هذه السجلات فيقول الله تعالى انك لا تعلم فوضع تلك البطاقات في كفة الميزان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قطاشت السجلات
ونقلت البطاقات رواء الترمذي فيجوز من هذا وصححه وقيل يوزن صاحب العمل كما في الحديث يوفى يوم القيامة بالرجل السمين فلا
يزن عند الله جناح بعوضة ثم رآه فلا تقيم لهم يوم القيامة وزناً وفي مناقب عبد الله بن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان تقيمون
من دقة ماقيوه والذى نفس يمدلها في الميزان أثقل من أحد وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بان يكون ذلك كله صحيحاً فتارة تزن
الاعمال وتارة يوزن ما بها تارة توزن فاعلموا والله أعلم (ولقد مكأكم في الارض وجعلناكم فيها معاش قليلاً ما تشكرون) يقول تعالى

فتمتد على عبده فيمكن لهم من أنه جعل الأرض قرارا وجعل فيها راسيا وأنهارا وجعل لهم فيها منازل ويوتوا بها لعلهم ينعافوا
 ويخبر لهم النجاة لآخر أخرج أرواقهم من جوارحهم فيها معاش أي مكاسب وأسابيا يكسبون بها ويتجرون فيها وأكرمهم مع هذا
 قليل الشكر على ذلك كقوله وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظالم كفار وقد قرأ الجميع معاش بلا هم ولا تعب إلا عبد الرحمن
 ابن هرمز الأعرج فإنه همزهاو الصواب الذي عليه لا كثرون بلا هم لأن معاش جمع معيشة من عاش بعش وعشوا ومعيشة أصلها
 معيشة فاستقلت الكسرة على الياء فنقلت إلى العين فصارت معيشة فلما جمعت (١٧٣) رجعت الحركة إلى الياء لزال الاستئصال
 فقيل معاش ووزنه مفاعل لأن الياء
 أصلية في الكلمة بخلاف مدائن
 وصحائف وبصائر جمع مدنية وصحيفة
 وبصرة من مدن وصحف وأبصر فان
 الياء فيها زائدة ولهذا تجمع على فيعال
 وتميز ذلك والله أعلم (ولقد خلقناكم
 ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا
 لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من
 الساجدين) فنه تعالى بنى آدم بهذا
 على شرف أبيهم آدم وبين لهم عداوة
 عدوهم إبليس وما انطوى عليه من
 الخسدة ولا يهيم آدم لخصمه ولا
 يتبعوا طريقه فقال تعالى ولقد
 خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة
 اسجدوا لآدم وهذا كقوله تعالى
 وإذا قال ربك للملائكة إني خالق بشرا
 من صلصال من جامس من فاذ
 سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا
 له ساجدين وذلك أنه تعالى لما خلق
 آدم عليه السلام بيده من طين
 لأرب وصوره بشرا ونفخ فيه من
 روحه أمر الملائكة بالسجود له
 تعظيما لشأن الرب تعالى جل جلاله
 فسمعوا كلهم وأطاعوا إلا إبليس
 لم يكن من الساجدين وقد تقدم
 الكلام على إبليس في أول تفسير
 سورة البقرة وهذا الذي قرناه هو

إذا ماقت أرحلها بليل * تأوه أهة الرجل الحزين

وعن ابن شداد بن الهاد قال قال رجل يارسل الله ما لأواه قال الخاشع المتضرع في
 الدعاء أخرج ابن جرير وأبو الشيخ وابن أبي حاتم وفيه شهر بن حوشب فيه الخلاف
 وهذا أن ثبت وجوب المصير إليه وتقديعه على ما ذكره أهل اللغة في معنى التأوه (حليم)
 الكثير الحلم كما تفيد صيغة المبالغة وهو الذي يصفح عن الذنوب ويصبر على الذي يثقله
 بالاحسان واللطيف كما فعل إبراهيم مع أبيه حين قال له لن تنبأ لرجعت فأجابته بقوله
 سلام عليك سأستغفر لك ربّي وقيل الذي لا يعاقب أحدًا قط الله قال ابن عباس
 كان من حلمه إذا آذاه الرجل من قومه قال له ذلك الله وقيل الحليم السعيد (وما كان
 الله ليضل قوما بعد إذ هداهم) لما نزلت الآية المتقدمة في النبي عن الاستغفار
 للمشركين خاف جماعة مما كان يستغفرونهم العقوبة من الله بسبب ذلك الاستغفار
 فأنزل الله هذه الآية أي أن الله سبحانه لا يوقع الضلال على قوم ولا يسميهم ضالا بعد أن
 هداهم إلى الإسلام والقيام بشرائعه ما لم يقصدوا على شيء من المخرمات بعد أن تبين لهم
 أنه محرم وما قبل التبيين لهم ذلك فلا أشتم عليهم ولا يؤاخذون به وهذا مثل قوله في آل
 عمران بعد إذ هديتنا وفيه وجه أن أي بعد أن هداهم وبعد وقت هداهم فيه يعني إذ
 يعني أي أو أنما طرّف بمعنى وقت (حتى بين لهم ما يتقون) أي ما يجب عليهم اقتناؤه
 من محرمات الشرع وقال الضحّاك ما يؤتون وما يذرون وقال مقاتل والسكبي هذا في
 المنسوخ أي ما كان الله ليضل عمل قوم قد عموا بالمنسوخ حتى بين الناسخ قال ابن
 عباس نزلت حين أخذوا الفداء من المشركين يوم الأسارى قال لم يكن لكم أن تأخذوه
 حتى يؤذن لكم ولكن ما كان الله ليعذب قوما بذنب أدبوه حتى بين لهم ما يتقون أي
 نهاهم قبل ذلك وقال مجاهد بيان الله للمؤمنين في ترك الاستغفار للمشركين خاصة
 وبإيانه لهم في طاعته ومعصيته عامة فافعلوا أو اتركوا (أن الله بكل شيء عليم) بما يجب لعباده
 ويحرم عليهم ومن سائر الأسماء التي خلقها ومنه مستحق الاضلال والهداية ثم بين لهم
 (أن الله) سبحانه له ملك السموات والأرض لا يشركه في ذلك مشارك ولا ينزعه منازع
 يتصرف في ملكه بما يشاء من التصرفات التي من جلته أنه (يحيي ويميت) من قضت
 مشيئته بإحيائه وبما أمته (وما لكم) أي ع لعباده (من دون الله من ولي) أو اليهم (ولا نصير)

اختيارا بن جرير أن المراد بذلك كله آدم عليه السلام وقال سفيان الثوري عن الأعشى عن المنال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن
 عباس ولقد خلقناكم ثم صورناكم قال خلقوا في أصلاب الرجال وصوروا في أرحام النساء وأما الخاء كم وقال صحيح على شرطهما
 ولم يخرجاه ونقل ابن جرير عن بعض السلف أيضاً أن المراد بخلقناكم ثم صورناكم الذرية وقال الربيع بن أنس والسدي وقتادة
 والضحاك في هذه الآية ولقد خلقناكم ثم صورناكم أي خلقناكم ثم صورناكم الذرية وهذا نظير لأنه قال بعده ثم قلنا للملائكة
 اسجدوا لآدم فدل على أن المراد بذلك آدم وإنما قيل ذلك بالجمع لأنه أوال البشر كما يقول تعالى لنبي إسرائيل الذين كانوا في زمن النبي
 صلى الله عليه وسلم وظلنا عليكم الغمام وأثرتنا عليكم المن والسوى والمراد بأولهم الذين كانوا في زمن موسى ولكن لما كان ذات

منه على الآباء الذين هم أصل صابره كانه واقع على الاشياء بخلاف قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين الا انه
فان المراد آدم والخلق من السلاله ذريته مخلوقون من نطفه وضع هذا لان المارد خلقنا الانسان الجنس لا معينا والله اعلم قال
ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال بعض النحاة في وجهه قوله تعالى ان لا تسجد اذ
امرته لا هتزاز فيه وقال بعضهم زيدت لتأ كيدا لجدك قول الشاعر ما ان رأيت ولا سمعت بشيء قد أدخل ان وهن النفي على ما للنافمة
لتأ كد النفي قالوا وكذا هنا ما منعك ان لا تسجد (١٧٤) مع تقديم قوله لم يكن من الساجدين حكمها من جر زوردها واختار ان

منعك يقضي معنى فعل آخر تقدمه
ما أوحى وأمرتك واضطر أن لا
تسجد اذ أمرتك وتوحي هذا وهذا
القول قوى حسن والله أعلم وقول
ابليس لعنه الله أنا خير منه من العذر
الذي هو أكبر من الذنب كانه امتنع
من الطاعة لانه لا يؤمر بالانضال
بالسجود للمفضول يعني لعنه الله وأنا
خير منه فكيف تأمرني بالسجود له ثم
بين انه خسر منه بأنه خلق من نار والشار
أشرف مما خلقته منه وهو الطين
فظهر اللعين الى أصل العنصر ولم ينظر
الى التشريف العظيم وهو ان الله
تعالى خلق آدم بيده ونفخ فيه من
ريحه وفاس قبا سافسا في مقابلة
نص الله قوله تعالى ففعلوا له ساجدين
فشذ من بين الملائكة لترك السجود
فلهذا أبليس من الرجة أي أويس
من الرجة فأخطأ فقه الله في قياسه
ودعاه ان النار أشرف من الطين
أبضا فان الطين من شأنه الرزاقه
والحلم والانهما والانبثاب والطين يحمل
النبات والنمو والزيادة والاصلاح
والدارن شأنه الاحراق والطين
والسرعة ولهذا خان ابليس
عنصره ونفع آدم عنصره بالرجوع
والانابة والاستسكانة والانقياد

ينصرهم فلا يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى فان القرابة لا تمنع شيئا ولا تؤخر أزا
بل التصرف في جميع الاشياء لله وحده (لقد تاب الله على آدم وبته (على النبي) فيما
وقع منه صلى الله عليه وآله وسلم من الاذن في الخلف أوفصا وقع منه من الاستغفار
المشركين وليس من لازم التوبة ان يسبق الذنب ممن وقعت منه اولا لان كل العباد محتاج
الى التوبة والاستغفار (١) وقد يكون التوبة منه على النبي من باب انه ترك ما هو الاول
والا ليق كافي قوله عفا الله عنك لم أذنب لهم ويجوز ان يكون ذكر النبي صلى الله عليه
وآله وسلم لاجل التعريض للمذنبين بأن يتوبوا الذنوب ويتوبوا عما قد لا بد ومنه
قال أهل المعاني هو مفتاح كلام للتبرك وفيه تشريف لهم في ضم توبتهم الى توبه النبي
صلى الله عليه وآله وسلم كما ضم اسم الرسول الى اسم الله في قوله فان لله خصه والرسول
فهو تشريفه (و) كذلك تاب الله سبحانه على المهاجرين والانصار فيما قد اقره فود من
الذنوب ومن هذا القبيل ما صح عنه صلى الله عليه وآله وسلم من قوله ان الله اطاع على أهل
بدر فقال اعلموا ما شئتم فقد غفرت لكم والانسان لا يخلو من زلات وتبعات في مدة عمره اما
من باب الصغائر وامان باب ترك الافضل ثم وصف سبحانه المهاجرين والانصار بأنهم
(الذين اجعوه) أي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم يتخلوا عنه (في ساعة العسرة) هي
غزوة تبوك فانهم كانوا فيها في عسرة شديدة وقد ذكر بعض العلماء أن النبي صلى الله عليه
وآله وسلم سار الى تبوك في سبعين ألفا ما بين ركاب وما من من المهاجرين والانصار
وغيرهم من سائر القبائل فالمراد بالساعة أوقات جميع تلك الغزاة لم يرد ساعة تعبها
والعسرة صعوبة الامر والشدة والضيق وقد وقع الاتفاق بين الروايات في ساعة العسرة
هي غزوة تبوك وتسمى غزوة العسرة والجيش الذي سار ليعي جيش العسرة لانه كان
عليهم عسرة في الزاد والظهر والماء وأخرج ابن حبان والحاكم وصححه والبيهقي وغيرهم
عن ابن عباس انه قال لعمر بن الخطاب حدثنا من شأن ساعة العسرة فقال خرجنا مع
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى تبوك في قبط شديد فترسنا بزلافا شافيه عطين
حتى ظننا ان رقانا ستقطع حتى ان الرجل ليخبر بعيره فيعصر فرثه فيسبره ويجعل ماني
على كبده فقال أبو بكر الصديق يا رسول الله ان الله قد عودك في الدعاء خير اذ عودك ارفع
بديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فاهطلت ثم سكبت فلو ما معهم ثم ذهبنا سطر فلم نجد

والاستسلام لامر الله والاعتراف وطلب التوبة والغفرة وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقت الملائكة من نور وخلق ابليس من نار وخلق آدم مما وصف لكم وانا نسل
وقال ابن مردويه حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا اسمعيل بن عبد الله بن مسعود حدثنا نعيم بن جاذ حدثنا عبد الرزاق عن معمر بن
الزهرى عن عروة عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقت الملائكة من نور والعرش وخلق الجن من نار وخلق
آدم مما وصف لكم قلت نعيم بن جاذ أن سمعت هذا من عبد الرزاق قال بالين وفي بعض ألفاظ هذا الحديث في غير الصم
وخلقت الخو والعين من الزعفران وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا محمد بن كثير عن ابن شاذان عن مطر
(١) قوله وقد يكون التوبة الخ بها من الأصل ما نه الظاهر ترك ذلك اذ يصح انه ترك ما هو الاول اه

الوراق عن الحسن في قوله خلقني من نار وخلقته من طين قال قاس ابليس وهو من أول من قاس اسناده صحيح وقال حدثني عمر بن مالك حدثنا يحيى بن سليمان الطائي عن هشام عن ابن سيرين قال أول من قاس ابليس وما عبت الشمس والقمر ابابليس اسناده صحيح أيضا قال فاهبط منها فما يكون لك أن تسكر فيها فاخرج انك من الصاغرين قال أنظري الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين) يقول تعالى مخاطبا ابليس بأمر قدري كوني فاهبط منها أي بسبب عصيانك لأمرى ونزولك عن طاعتي فما يكون لك أن تسكر فيها قال كثير من

(١٧٥)

المفسرين الضمير عائدة الى الجنة ويحتمل أن يكون عائدة الى المنزل التي خوفا منها من المملوكات الاعلى فاخرج انك من الصاغرين أي الذليلين الحقيرين معاملة الله بتفضي قصده وذكافاة لمراده بضده فعند ذلك استتدرك العين وسأل النظرة الى يوم الدين قال أنظري الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين أي جابه تعالى الى ما سأل لما في ذلك من الحكمة والاراء والمشيئة التي لا تخاف ولا تغانم ولا معقب لحكمه وهو سر ربيع الحساب قال فما أغويتني لا أقعدن

لهم صراطك المستقيم عم لا ينهم

من بين أيديهم ومن خلفهم وعن

أيمنهم وعن شمائلهم ولا يجد

أكثرهم شاكرين) يحسب بر تعالى

انه لما أنظر ابليس الى يوم يبعثون

واستوثق ابليس بذلك أخذ في

المعاداة والتمرد فقال فما أغويتني

لا أقعدن لهم صراطك المستقيم أي

كما أغويتني قال ابن عباس أضللتني

وقال غيره أهلكني لا أقعدن

لعبادك الذين تخلفهم من ذرية

هذا الذي أبعدتني بسببه على

صراطك المستقيم أي طريق الحق

وسبل النجاة ولا ضلهم عنه التلا

يعبدوك ولا توحدوا له نسب اضلاله أي وقال بعض الحكماء ما هيأه ما هيأه

المستقيم يعني الحق وقال محمد بن سوفة عن عون بن عبد الله يعني طريق مكة

ذلك (قلت) لما روى الامام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا أبو عقيل يعني الثقفى عبد الله بن عقييل حدثنا موسى بن المسيب

أخبرني سالم بن أبي الجعد عن سيرة من الناكه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان قعد لابن آدم بطرقه

فقد عذله بطريق الاسلام فقال أنسلم ونزديك ودين آياتك قال فعصاه وأسلم قال وقعدله بطريق الهجرة فقال أنما اجر وتدع أرضك

جاوزت العسكر (من بعدما كان يرغب قلوب فريق منهم) في كاد ضمير الشأن بيان لتناهي الشدة وبلوغها النهاية ومعنى يرغب تعلق بالهدو والمشفقة والشدة وقيل معناه عييل عن الحق يترك المناصرة والمماناة وقيل معناه يمتثل للخلف عن الغزو لما هم فيه من الشدة العظيمة وفي قراءة ابن مسعود من بعدما زارعت وهم المتخفون على هذه القراءة وفي تكرير التوبة عليهم بقوله (ثم تاب عليهم) تاكيد ظاهر واعتناء بشأنهم اذ ان كان الضمير راجعا الى من تقدم ذكر التوبة عنهم وان كان الضمير الى الفريق الثاني فلا تكرار وذكر التوبة أولا وقيل ذكر الذنب تفضيلا منه وتطريبا لقلوبهم ثم ذكر الذنب بعد ذلك وأردفهم ذكر التوبة مرة أخرى تعظيما لشأنهم وإيعازا انه تعالى قد قبل توبتهم وعفا عنهم ثم أتبعه بقوله (انه بهم رؤوف رحيم) تاكيد لذلك أي رفيق بعبادته لا يهملهم بالانظمة ومن العبادات وبين الرؤف والرحيم فرق لطيف وان تقاربا في المعنى قال الخطابي قد تكون الرحمة مع الكرامة ولا تكاد الرأفة تكون معها وقيل الرأفة عبارة عن السبي في ازالة الضرر والرحمة عبارة عن السبي في ابطال النفع (و) تاب (على الثلاثة الذين خلفوا) أي آخر وأولم تقبل توبتهم في الحال كما قبلت توبة أولئك المتخلفين المتقدم ذكرهم قال ابن جرير يعني خلفوا تركوا ما قال خلفت فلا نأفركه وقرئ خلفوا بالخفيف أي أقاموا وبعدهم نوح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين الى الغزو وقرئ خلفوا وقيل معنى خلفوا فندوا أخوذ من خالف القوم وهو لاء الثلاثة ثم كعب ابن مالك ومراية بن الربيع وأبو ربيعة العامري وهلال بن أمسية الواقفي وكلهم من الانصار لم يقبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم توبتهم حتى نزل القرآن بأن الله قد تاب عليهم (حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحمت) كناية عن شدة التحير وعدم الاطمئنان يعني انهم أجروا عن قبول التوبة الى هذه الغاية وهي وقت أن ضاقت عليهم الارض برحبها لاعراض الناس عنهم وعدم مكابلتهم من كل أحد لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم نسي الناس أن يكلموهم والرحب الواسع يقال منزل رجب ورحب وراحب والمضموم مصدر والمفتوح مكان وفي هذه الآية دليل على جواز رجوعان أهل المعاصي تأديبا لهم لتزجر وامن المعاصي (وضاقت عليهم أنفسهم) أي انها ضاقت صدورهم بما نالهم من الوحشة وبما حصل لهم من الحقوة وشدة القم والحزن ومجانبة الناس اياهم وترك كلامهم

يعبدوك ولا توحدوا له نسب اضلاله أي وقال بعض الحكماء ما هيأه ما هيأه

المستقيم يعني الحق وقال محمد بن سوفة عن عون بن عبد الله يعني طريق مكة

ذلك (قلت) لما روى الامام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا أبو عقيل يعني الثقفى عبد الله بن عقييل حدثنا موسى بن المسيب

أخبرني سالم بن أبي الجعد عن سيرة من الناكه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان قعد لابن آدم بطرقه

فقد عذله بطريق الاسلام فقال أنسلم ونزديك ودين آياتك قال فعصاه وأسلم قال وقعدله بطريق الهجرة فقال أنما اجر وتدع أرضك

يعبدوك ولا توحدوا له نسب اضلاله أي وقال بعض الحكماء ما هيأه ما هيأه

وسماك وانما سئل المهاجر قال قس في الطول فقصاه وهاجر ثم قبله بطريق الجهاد وخروج جاهد النفس والمال فقال تقافل فقتل
قتلك المراد ويقسم المال قال فقصاه وجاهد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فن فعل ذلك منهم فقات كان حقا على الله ان يدخله
الجنة او قصته دابة كان حقا على الله ان يدخله الجنة وقوله ثم لا يتبهم من بين أيديهم ومن خلفهم الآية قال علي بن أبي طلحة عن
ابن عباس من بين أيديهم أشككهم في آخرتهم ومن خلفهم أرغبهم في دنياهم وعن أيماهم أشبه عليهم أمر دينهم وعن شاكلهم
أشبه لهم المعاصي وقال ابن أبي طلحة في روايه (١٧٦) والعوفى كلاهما عن ابن عباس ما من بين أيديهم فن قبل دنياهم وأما

من خلفهم فأمر آخرتهم وأما من
أيماهم فن قبل حسناتهم وأما من
شاكلهم فن قبل سيئاتهم وقال
سعيد بن أبي عروبة عن قتادة أنهم
من بين أيديهم فأخبرهم أنه
لا بعث ولا جنة ولا نار ومن خلفهم
من أمر الدنيا زينهم والموم ودعاهم
إليها وعن أيماهم من قبل حسناتهم
بطأهم عنها وعن شاكلهم زين لهم
المعاصي ودعاهم إليها وأمرهم بها
آتاك يا ابن آدم من كل وجه غير أنك
يا نك من فوق لم تستطع أن تحول
بينك وبين رجة الله وكذا روى
عن إبراهيم النخعي والحكم بن
عيسى والسندي وابن جريج إلا
أنهم قالوا من بين أيديهم الدنيا
ومن خلفهم الآخرة وقال مجاهد
من بين أيديهم وعن أيماهم من
حيث يصرون ومن خلفهم وعن
شاكلهم حيث لا يصرون واختار
ابن جرير أن المراد جميع طرق الخير
والشر فخير يصدهم عنه والشر
يصدهم عنهم وقال الحكم بن أيان عن
عكرمة عن ابن عباس في قوله ثم
لا يتبهم من بين أيديهم ومن خلفهم
وعن أيماهم وعن شاكلهم ولم يقل

فلا يعبأهم ورولا نفس وعبر بالظن في قوله (وظنوا) عن العلم أي علموا أو يقولوا (أن لا
يخطئ) يخطئ اليه قط (من الله) أي من عذابه أو من خطئه (الاله) سبحانه بالتوبة
والاستغفار (ثم تاب) أي رجع (عليهم) بالقبول والرحمة وأمر في القرآن التوبة عليهم
ليستقيوا أو وفقهم للتوبة فيما يستقبل من الزمان ان فرط منهم خطيئة (ليستقوا) عنها
ويرجعوا فيها إلى الله ويندموا على ما وقع منهم من محصلها التوبة ونشؤوها فحصل التقدير
وصح التعليل (ان الله هو التواب) أي الكثير القبول لتوبة التائبين (الرحيم) أي
الكثير الرحمة لمن طلبها من عباده قال أبو بكر الوارق التوبة النصوح ان تصق على
التائب الأرض عار حبت وتصق عليه نفسه كتوبة هؤلاء الثلاثة وفيه دليل على أن
قبول التوبة يجزئ الرحمة والكرم والرافقة والاحسان من الله تعالى وأنه لا يجب عليه شيء
(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) في مخالفة أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (وكونوا مع
الصادقين) هذا الأمر بالكون مع الصادقين بعد قصة الثلاثة يفيد الإشارة إلى أن هؤلاء
الثلاثة حصل لهم بالصدق ما حصل من توبة لله وظاهر الآية الأمر للعباد على العموم
قال نافع قيل للثلاثة كونوا مع محمد وأصحابه وقال سعيد بن جبير كونوا مع أي بكر وعمر
وزاد الضحاك وأصحابهما وعن ابن عباس مع علي بن أبي طالب وعن جعفر قال مع
الثلاثة الذين خلفوا وقال ابن جرير مع المهاجرين وقيل مع الذين خرجوا مع رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم إلى تولد وقيل مع الذين صدقوا في الاعتراف بالذنب ولم يعتذروا
بالاعذار الباطلة وهذه الآية تدل على فضيلة الصدق روى أن أبا بكر احتج بهذه الآية
على الأنصار في يوم الصفقة حين ذال الأنصار منا أمر ومنكم أمر فقال ان الله يقول في
كتابه للفقراء المهاجرين إلى قوله أولئك هم الصادقون فن هؤلاء قال الأنصار أنتم هم
فقال ان الله يقول اتقوا الله وكونوا مع الصادقين فأمركم ان تكونوا معنا ولم يأمر بأن
تكون معكم قبل والآية تدل على أن الاجماع حجة لأنه أمر بالكون مع الصادقين فلم
يقبل قولهم وقيل مع عني من أي كونوا منهم والله أعلم (ما كان لاهل المدينة ومن حولهم
من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله) زيادة تدل على كيد لجوب الغزو مع رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم وتحررهم التخلف عنه أي ماصح وما استقام لهم ولم حولهم كثرته
وجهته وأجمع وأسلم وغتار أن يتخلفوا عنه صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة تبوك وقيل

هو
من فوقهم لان الرحمة تنزل من فوقهم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ولا يجدا كثرهم
شاكرين قال موحدين وقول ابليس هذا غمنا غوطي منه وتوهم وقد وافق في هذا الواقع كما قال تعالى ولقد صدق عليهم ابليس
ظنه فاتبعوه الا فرى بقاء المؤمنين وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن ولا تخشع من دونه في شك وريبك على كل شيء
حفظ وللهذا ورد في الحديث الاستعاذه من تسلط الشيطان على الانسان من جهاته كلها كما قال الحافظ أبو بكر البرقاني
مسند حديثه ان نصر بن علي حدثننا عمرو بن مجمع عن يونس بن خباب عن ابن جبير بن مطعم يعني نافع بن جبير عن ابن عباس وحديثه

أوتوكونا من الخالدين وقامهما إلى لجان الناصحين) يذكر تعالى أنه أباح لآدم عليه السلام ولزوجه حواء الجنة أن يأكل منها من جميع ثمارها إلا شجرة واحدة وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة البقرة عند ذلك حدهما الشيطان وسعى في المكر والوسوسة والخديعة لبسهما ما هما فيه من النعمة والملابس الحسن (١) وقال كذا وأقروا عما بها كبريكن هذه الشجرة الآن تكونا ملكين أي لئلا تكونا نالين أي خالدين جهنوا ولما كلفهما منها حصل لهما ذلك كما قوله قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وما لك أن تاكل من ثمرها فكلوا منها مما شئتما فلا تقربا هاتين الشجرتين فإن كنتم إحداهما فأنتم من الخالدين (١٧٨) لكم أن تضلوا أي لئلا تضلوا وألني في الأرض روايتي أن تعبدنكم وكان ابن

منيل منه وليس هو من تناول اغما تناول من نلتها بالعطية قال غيره نلت أول من
العطية ونلتها بالله أدر كتمه (الآ كتب لهم به) أى بكل واحد من الأمور الخمسة (عمل صالح)
حسنة مقبولة يجازيهم بها وتواب عمل صالح مقدار رضاهم وقيل لهم منهم بحكم الوعد
الكريم للشباب الجليل ونيل الرزقي قال الوزاعي وجاعة من الأمة هذه الآية للسبيلين
الى أن تقوم الساعة وقال قتادة هذا الحكم خاص برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
والاول أولى وفي الآية دليل على أن من قصد طاعة الله كان قيامه رقبوده وشبه
وحركه وسكونه كلها حسنات مكتوبة عند الله وكان سعيه مشكوراً (إن الله لا يضيع
أمر المحسنين) جله في حكم التعجيل للمسابق مع كونه يشمل كل محسن ويصدق على
المذكورين هنا صدقاً وأولوا العدول من الاضمار الى الظاهر لاجل مدحهم (ولا تنفقون
نفقة صغيرة ولا كبيرة) أى ولا يقع منهم الاتفاق في الحرب أو في سبيل الله وإن كان شيئاً
حقيراً صغيراً يسيراً كتمرة فادونها أو أكثر منها حتى علاقتوسط (ولا يقطعون وادياً)
مقبليين أو دبرين فيه وهو في الأصل كل منفرج بين جبال أو كما يكون منفذ للسبل
والعرب تقول وادواً ودية على غير قياس قال النخاس ولا يعرف فناء علمت فاعل وأفعلة
والمراد ههنا مطلق الأرض قاله الحنفى (الآ كتب لهم) ذلك الذى علموه من التفقه
والسفر في الجهاد (ليجزىهم الله) به (أحسن) جزاء (ما كانوا يعملون) من الأعمال وفاء
الرازي الأحسن من صفة أفعالهم وفيها الواجب والندوب والمباح فأنه يجزىهم على
الأحسن وهو الواجب والندوب دون المباح والاول أولى وقيل يجزىهم على كل واحد
جزاء أحسن عمل كان لهم فليحق مادونه به توفير الاجرهم وفي الآية دليل على فضل الجهاد
وأنه من أحسن أعمال العباد وقد ذهب جماعة الى أن هذه الآية منسوخة بالآ
المذكورة بعده وهي قوله (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) فإنها تبدل على جواز
التخلف من البعض مع القيام بالجهاد من البعض واختلف المفسرون في معنى هذه الآية
فذهب جماعة الى أنه من بقية أحكام الجهاد لأنه سبحانه لما بالغ في الأمر بالجهاد والاستد
الى الفز وكان المسلمون اذا بيعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سرى الى الك
ينفرون جميعاً ويتركون المدينة حالة فأخبرهم الله سبحانه بأنه ما كان لهم ذلك
ما سمعوا ولا استقامان ينفروا جميعاً (قائلاً) تحضيضه قائم على الطلب أى فهل لا تفقه

عيسى بن يحيى بن أبي كثير يقرآن
الآن تكوننا ما نكين بكسر اللام
وقراءة الجهور بفتحها وواقعهما أي
حليف لهما بالله أني لكل من الناهجين
فاني من قبلكهونا وأعلم به هذا
المكان وهذا من باب المفاعلة
والمراد أحد الطرفين كما قال خالد بن
زهير بن نعم أي ذئب
واقعهما بالله جهد الانتم
أأذن السلي إذا ما نشوها
أي حلف لهما بالله على ذلك حتى
خذهما وقد يجذع المؤمن
بالله قال قتادة في الآية تحلف بالله
أني خلقت قبلكما وأنا أعلم منكما
فانعمان أُرشد كما وكان بعض
أهل العلم يقول من خذ عنا بالله
اخذ عنا له (فدلاهما بغرور فلما
ذا قال الشجرة بدت لهما سواهما
وطبقا يجصفان عليهما من ورق
الجنة وناداهما رب عالم الأمم حكما عن
ملك الشجرة وأقول الحكا الشيطان
لكي يدعو من قال لا ربنا ظننا أنفسنا
وان لم نغفر لثنا ورجنا التكون من
الخاسر بن قال سعيد بن أبي عرو
عن قتادة عن الحسن عن أبي بن
كعب رضي الله عنه قال كان آدم
رحلا طوا. كانه مخذوخا

رجلا طوالا كانه شجرة - حقوق كثير
شعر الرأس فلما وقع فيما وقع فيه من الخطيئة بدت له عورة عند ذلك وكان لا يرى اعضاءه فانطلق هاربا في الجنة فتملقت برأسه شجرة - كل
من شجر الجنة فقتل الهارسليني فقاتل ابي غرمر سلمك فناداه به عز وجل يا آدم ائني نعتي قال يا رب اني استحييت وقد رواه ابن جرير
وابن مردويه من طرق عن الحسن عن ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم من فوعوا والموقوف أصبح استنادا لوقال عبد الرزاق أنا
سفيان بن عيينة وابن المبارك أنا الحسن بن عمار عن النمال بن عمرو عن سعد بن جبير عن ابن عباس قال كانت الشجرة التي نهي
الله عنها آدم وزوجته السنبلة فلما كلامها بدت لهما مساواتهما وكان الذي وارى عنهما من سواهما انظارا رهنا وطفقا ليخصفان
عليهما من ورق الجنة ورق التي يلزقان بعضه الى بعض فانطلق آدم عليه السلام موليا في الجنة فتملقت برأسه شجرة من الجنة
(١) قوله وقال كذبا واقترا ما منها كبر بكما الى قوله وكان ابن عباس ويحيى الخ معكذا في الأصل ولتحمر العبارة اهـ صحيحه

فناداه الله يا آدم أمتي تفرقا لولا كني استحيك يا رب قال أما كان لك فيما صنعتك من الجنة وأبختك منهن ما نسد وخذ ع
 عليك قال بلى يا رب ولكن وعزتك ما حسبت أن أحد يحملك كان قال فأبطلك وهو قول الله عز وجل وقاسمهما إلى كل المثل الناصحين
 قال فبعزتي لأبطلنك إلى الأرض ثم لتاتل العيش الا كذا قال فأبطل من الجنة وكان يا كلاً من تها رغدا فأبطل إلى غير رغد من
 طعام وشرب فلم تصنع الحديد وأمر بالحرق فحرق وزرع ثم سقى حتى إذا بلغ حصد ثم داسه ثم ذراه ثم طغنه ثم بجنه ثم خبزه ثم
 أكلفه يبلغه حتى بلغ منه ما شاء الله أن يلع وقال الثوري عن ابن أبي ليلى (١٧٩) عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن

عباس وطفا بياض فان عليه ما من
 ورق الجنة قال ورق التين صحيح اليه
 وقال بجاءه جعل بياض فان عليه ما
 من ورق الجنة قال كهشبة الثوب
 وقال وهب بن منبه في قوله ينزع
 عنهما لباسهما قال كان لباس آدم
 وحواء نوراعلى فروجهما لا يرى
 هذا عورة هذه ولا هذه عورة هذا
 فلما كلاً من الشجرة بدت لهما
 سواتهما رواد ابن جرير بسند
 صحيح اليه وقال عبد الرزاق أخبرنا
 معمر عن قتادة قال قال آدم أي
 رب أرايت ان تبت واسم تغفرت
 قال اذا أدخلك الجنة وأما إبليس
 فلم يسأله التوبة وسأله النظر
 فأعطى كل واحد منهما الذي سأل
 وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا
 الحسين حدثنا عباد بن العوام عن
 سفيان بن حسين عن يعلى بن مسلم
 عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
 قال لما كل آدم من الشجرة قبل له
 لم آكلت من الشجرة التي غيبت
 عنها قال حواء أمرتني قال فاني قد
 أعقبته بأن لا تحتمل الا كرها ولا تضع
 الا كرها قال فزنت عند ذلك حواء
 فقيل لهما الزنة عليك وعلى ولدك

كل فرقة منهم طائفة) الطائفة في اللغة الجماعة أي بل يفر من كل فرقة منهم طائفة من تلك
 الفرق ويبقى من عدا هذه الطائفة الذافرة قالوا ويكون الضمير في قوله (المتفق هو في
 الدين) عائدا إلى الفرقة الباقية والمعنى أن طائفة من هذه الفرقة تخرج إلى الغزو ومن
 بقي من الفرقة يفتنون لطلب العلم ويعلمون الغزاة أن يذهبون في طلبه إلى المكان الذي
 يجدون فيه من يتعلمون منه ليأخذوا عنه الفقه في الدين (وليئذ راقوهم) عطف على
 فقيهه إشارة إلى أنه ينبغي أن يكون غرض المتعلم الاستقامة وتبليغ الشريعة لا الترفع على
 العباد والتبسط في البلاد كما هو أدب أبناء الزمان (أذ ارجعوا) أي وقت رجوعهم (إليهم)
 من الغزو وذهب آخرون إلى أن هذه الآية ليست من بقية أحكام الجهاد وهي حكم
 مستقل بنفسه في مشروعية الخروج لطلب العلم والفقه في الدين جعله الله سبحانه متصلا
 بمبادئ الجهاد والخروج إلى الجهاد فيكون السفر فروع الأول سفر الجهاد والثاني
 السفر لطلب العلم ولا شك أن وجوب الخروج لطلب العلم انما يكون اذا لم يجد الطالب
 من يتعلم منه في الحضر من غير سفر والفقه هو العلم بالاحكام الشرعية وعما يتوصل به إلى
 العلم به ما من لغة ونحو وصرف وبيان واصل وقد جعل الله سبحانه الغرض من هذا هو
 التقية في الدين وانذار من لم يتق به جمع بين المقصد بين الصالحين والمطلين الصالحين وهما
 تعلم العلم وتعلمه من كان غرضه بطلب العلم غير هذين فهو طالب لغرض دنوي لا لغرض
 ديني (لعلهم يحذرون) الترجي لوقوع الحذر منهم عن التفریط فيما يجب فعله فيتروك أو فيما
 يجب تركه فيفعل واستدل به على أن أخبار الاحاديث لا تكون في عموم كل فرقة يقتضي أن
 يفر من كل ثلاثة نفر أو بقية طائفة إلى التقية لتتفرقها كي يتذكروا ويحذروا فاولم
 تعتبر الاخبار ما لم تتواتر لم يفتد ذلك (بأيها الذين آمنوا) قالوا الذين يؤمنكم من الكفار
 في هذا الفعل لغتان أكثرهما وليه يلزم بالكسر فيهما والثانية من باب وعد وهي قليلة
 الاستعمال وجلست مما يليه أي يقاربه وكان الآية جاءت على اللغة الثانية وأصله يلبون
 أي الاقرب فالاقرب منهم أمر سبحانه المؤمنين بان يجتهدوا في مقاتلته من يلهم من الكفار
 في الدار والبلاد والنسب قبل مثل قريظة والنضير وخيبر ونحوها قاله ابن عباس وقال
 ابن عمر هم الروم لانهم كانوا سكان الشام وأقرب إلى المدينة من العراق وقيل هم
 الديلم وقال ابن زيد هم العرب فقاتلوهم حتى فرغوا منهم ثم أمروا بقتال أهل الكتاب

وقال الخليل بن خرازم في قوله رسلنا ظننا أنفسنا وان لم تقفوا لنا وترجنا لتكون من الخاسرين هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه
 (قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين) قال فيها تحيون وفيها غيوت وفيها تحرجون قيل
 المراد بالخطاب في اهبطوا آدم وحواء وإبليس والجنة ومنهم من لم يذكر الجنة والله أعلم والعدوة في العداوة آدم وإبليس ولهذا قال
 تعالى في سورة طه قال اهبطوا منها جميعا الآية وحواء تبع لآدم والحيات كان ذكرها صحيحا فهي تبع لإبليس وقد ذكر المفسرون
 الاما كن التي هبط فيها كل منهم ويرجع حاصل تلك الاخبار إلى الاسرائيليات والله أعلم بصحتها ولو كانت في تعيين تلك البقاع فائدة
 تعود على المكلفين في أمر دينهم أو دنياهم لذكرها الله تعالى في كتابه وأمره صلى الله عليه وسلم وقوله ولكم في الأرض مستقر

ومتاع الى حين أي قرار وأعمار مضروبة الى آجال معلومة قد جرى بها القلم وأحصاهم القدر وسطر في الكتاب الاول وقال ابن عباس
مستقر القبر ورو عنه قال مستقر فوق الارض وتحت ارواه ابن أبي حاتم قوله قال فيها تخيون وفيها توتون ومنها تخبر جون كقوله تعالى
منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى يخبر تعالى انه يجعل الارض دارا للتي آدم مدة الحياة الدنيا فيها يحياهم وفيها
يخرجهم ويموتهم ومنها انشورهم ليوم القيامة الذي يجمع الله فيه الاولين والآخرين ويجازي كل بعمله (يا بني آدم قد أنزلنا عليكم
الباسا ولأولي أسيأتكم وربشا ولباس التقوى (١٨٠) ذلك خير ذلك من آيات الله لعلمهم بذلك) فيه تعالى عباده بما جعل لهم

وجهادهم حتى يؤمنوا أو يعطوا الجزية عن يدهم صاغرون وهكذا المفروض على أهل
كل ناحية أن يقاتلوا من أوليهم وأن يأخذوا في حربهم بالغلبة والسدة كما قال (وليجدوا)
أي ليدركوا (فيكم غلظة) أي شدة وقوة وشجاعة قال الخفافجي قالوا انها كلمة جامعة
للجرائد والصبر على القتال وشدة العداوة والانف في القتل والامر وظاهرها أمر الكفار
بأن يجحدوا في المؤمنين غلظة والمقصود أمر المؤمنين بالاتصاف بصفات كالصبر وامعه
حتى يجدهم الكفار المتصفين بها فهي على حد قولهم لأمر ينك ههنا والغلظة بالكسر
ضد الرقة وهي لعة أسد والفتح لغذاء أهل الحجاز والضم لغة تميم حكى أبو عمرو اللغات الثلاث
وبها قرئ لكن السبعة على الكسر والغلظة أصلها في الاجرام فاستمرت ههنا للسدة
والجلد والصبر وقال الحسن صبرا على جهادهم والجهاد واجب لكل الكفار وان كان
الاستداع من يلى المجاهدين منهم وأقدم ثم الاقرب فالأقرب ونقل عن بعض العلماء
أنه قال أنزلت هذه الآية قبل الأمر بقتال المشركين كافة فلما نزلت وقاتلوا المشركين
كافة صارت داسخة لهذه الآية وقال المحققون من العلماء لا وجه للنسخ فانه تعالى
أمرهم بقتالهم كافة وأرشدهم الطريق الاصول الاصلح وهو أن يسدوا بقتال الاقرب
فالاقرب قربا مكانيا لا قربا بانيدي حتى يصلوا الى الابدع فالبعدهم بهذا الطريق يحصل
الفرض من قتال المشركين كافة لان قتالهم في دفعة واحدة لا يتصور ولهذا السبب قد
قاتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أولا قومه ثم انتقل منهم الى قتال سائر العرب ثم
الى قتال أهل الكتاب وهم قريظة والنضير وخيبر وفدك ثم انتقل الى غزوة الروم والشام
فكان فتحه في زمن الصحابة ثم انتقلوا الى العراق ثم بعد ذلك الى سائر الامصار لانه
اذا قاتل الاقرب أولا وتقوى بما ينال منهم من الغنائم على الابدع ثم أخبرهم الله بما يقوى
عزائمهم وبثبت أقدامهم فقال (واعلموا ان الله مع المتقين) بالصرة لهم وثأب يدهم على
عدوتهم ومن كان الله معه لم يقم له شيء (واذا ما أنزلت سورة) حكاه منه سبحانه ليقية
فضائح المنافقين أي والحال اذا ما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم سورة من
كتابه العزيز (فهم) أي فن المنافقين (من يقول) لآخواتهم (أي يكتم زادة هذه)
السورة السايزة (أيانا) يقولون هذا اسمهم زاعبا المؤمنين ويجوز أن يقولوا لجماعة من
المسلمين فاصدين بذلك صرفهم عن الاسلام وترهيدهم فيه وقد تقدم بيان معنى السرية

من اللباس والريش قال اللباس ستر
العورات وهي السوات والرياش
والريش ما يجعل به ظاهرا غالا لاول
من الضروريات والريش من
التكملات والزادات قال ابن جرير
الرياش في كلام العرب الاثاث
وما ظهر من الثياب وقال علي بن أبي
طلحة عن ابن عباس وحكاها البخاري
عنه الريش المال وهكذا قال مجاهد
وعروة بن الزبير والسدى والغصائل
وغير واحد وقال العوفي عن ابن
عباس الرياش اللباس والعيش
والنعيم وقال عبد الرحمن بن زيد بن
أسلم الرياش الجمال وقال الامام
أحمد حدثنا يزيد بن هرون حدثنا
أصبغ عن أبي العلاء الشامي قال
لبس أبو أمامة ثوبا جديدا فلما بلغ
ترقوته قال الحمد لله الذي كساني
ما أوارى به عورتي وأتجمل به في
حائتي ثم قال سمعت عمر بن الخطاب
يقول قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من استجد ثوبا فلبسه فقال
حين يبلغ ترقوته الحمد لله الذي
كساني ما أوارى به عورتي وأتجمل
به في حائتي ثم عمد الى الثوب انخلق
فتمصدق به كان في ذمة الله وفي جوار

الله وفي كنف الله حيا وميتا ورواه الترمذي وابن ماجه من رواية يزيد بن هرون عن أصبغ هو ابن الجهمي
وقد وثقه يحيى بن معين وغيره وشيخه أبو العلاء الشامي لا يعرف الا بهذا الحديث ولكن لم يخبره أحد والله أعلم وقال الامام أحمد
أيضا حدثنا محمد بن عيسى حدثنا محمد بن قافع القمار عن أبي مطر انه رأى عليا رضي الله عنه أتى غلاما محدثا فاشتري منه قميصا لانه
دراهم ولبسه بين الرستين الى الكعبين يقول حين لبسه الحمد لله الذي رزقني من الرياش ما أتجمل به في الناس وأوارى به عورتي
فقبل هذا شيء ثم روي عن نفسك وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال هذا شيء سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند
الكسوة الحمد لله الذي رزقني من الرياش ما أتجمل به في الناس وأوارى به عورتي ورواه الامام أحمد وقوله تعالى ولباس التقوى

ذلك خبرقرأ بعضهم ولباس التقوى بالنصب وقرأ الآخرون بالرفع على الاستدواء ذلك خبر خبروا واختلاف المفسرون في معناه فقال
عكرمة يقل هو ما يلبسه المؤمن يوم القيامة ورواه ابن أبي حاتم وقال زيد بن علي والسدي وقتان بن جريح ولباس التقوى الايمان
وقال العوفي عن ابن عباس العمل الصالح وعنه هو التمسك الحسن في الوجود وعن عروة بن الزبير لباس التقوى خمسة الله وقال
عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ولباس التقوى يعني الله فيؤاري عورته فذلك لباس التقوى وكلها متقاربة ويؤيد ذلك الحديث الذي
رواه ابن جرير حيث قال حدثني الشئ حدثنا اسحق بن الحجاج حدثني اسحق (١٨١) بن اسحق عن سليمان بن ارقم عن الحسن
قال رأيت عثمان بن عفان رضي

الله عنه على منبر رسول الله صلى
الله عليه وسلم عليه قص فوهي
محلول الزور وسبعته يأمر بقتل
الكلاب وينهى عن الالعاب بالجم
ثم قال يا أيها الناس اتقوا الله في
هذه السرا رفاي سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول والذي
نفس محمد بيده ما أسر أحد سريرة
الا لبسه الله رداه عا لنية ان
خير انخير وان شرافسر ثم قرأ هذه
الاية ورشوا لباس التقوى ذلك
خير ذلك من آيات الله قال التمسك
الحسن هكذا رواه ابن جرير من
رواية سليمان بن ارقم وفيه ضعف وقد
روى الاية الشافعي وأحمد والبخاري
في كتاب الادب من طرق صحيحة
عن الحسن البصري أنه سمع أمير
المؤمنين عثمان بن عفان يأمر بقتل
الكلاب وذبح الحمام يوم الجمعة
على المنبر وأما المرفوع منه فقد روى
الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه
الكبير له شاهد من وجه آخر حيث
قال حدثنا (١) (بابي آدم
لا يقتلنكم الشيطان كما أخرج أبو بكر
من الجنة يزع عنه ما يلبسها
ليزيم ما سواها ثم ما يراكم

فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً) حكى الله سبحانه بعدة التهم هذه ان المؤمنين زادتهم
إيماناً الى إيمانهم لتدقيقهم بها والزيادة فيهم شيء الى آخر من جنسه مما هو في صفته وقد
تقدم الكلام على زيادة الايمان (وهم يستبشرون) أي والحال انهم يفرحون مع هذه
الزيادة بتزول الوحوش شيئاً بعد شيء وما تستقل عليه من المنافع الدنية والدنيوية (وأما الذين
في قلوبهم مرض) وهم المنافقون والمراد بالمرض هنا الشرك والنفاق (فزادتهم) السورة
المتزلة (رجعوا الى رجسهم) أي خبثا مضموما الى خبثهم الذي هم عليه من الكفر وفساد
الاعقاد وظواهرها فمر ما يضرونه ولا عدى بالي وقيل ان الى بمعنى مع وهي الكفر ورجسا
لأنه أقيح الاشياء وأصل الرجس في اللغة الشئ المستقذر (وما نؤاوهكم كافرين) أي ونبهوا
واسموا وعليه ان انماؤا كفارا منافقين وقيل المعنى زادتهم اعمالا في انهم (أو لا يرون)
قرئ بالتحية وبالوقية خطا للمؤمنين وقرأ الاعشى ابروا وقرأ طلحة وأولاد ترى خطايا
للرسول صلى الله عليه وآله وسلم والهمز على القراءت بالياء لان النكار والتوبيخ على
الخطاب للتجيب والرؤية قاسية أو بصريه (انهم يفتنون) يختبرون قاله ابن جرير وغيره
أو يثليهم الله بالقطط والشد والجوع والسنة قاله مجاهد وقال ابن عطية بالامر اض
والاوجاع وقال قتادة الغزور الجهاد مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال الحسن
بالعدو (في كل عام مرة أو مرتين) عن أبي سعيد قال كانت لهم في كل عام كذبة أو كذبتان
قال حديثه يفضل بها فقام من الناس كثير وقيل انهم يتخذون باظهار تنافقهم وقيل
يتنافقون ثم يؤمنون ثم يتنافقون وقيل يتقضون عهدهم في السنة مرة أو مرتين ويرون
ما وعد الله من النصر (ثم لا يرون) بسبب ذلك من النفاق ونقض العهد ولا يرجعون
الى الله سبحانه ان الاملاء يقتضى الرجوع والتذكرو ثم العطف على يرون (ولا هم يدرون)
أي لا يرون ولا يتفكرون ولا يخلون وهذا تجيب من الله سبحانه للمؤمنين من حال
المنافقين وتصلبهم في النفاق واهمالهم للنظر والاعتبار ثم ذكر الله سبحانه ما كانوا يفعلونه
عند نزول السورة بعد ذلك كما كانوا يفعلونه قبل (واذا نزلت سورة) فيها عيب
المنافقين وذكرهم بوقوعهم وقرأها النبي صلى الله عليه وآله وسلم (فلم يعضهم) أي بعض
المنافقين (الى بعض) آخر وتغاضوا بالعيون انكارا لها أو خزيه أو غيظا لما فيها من
عيوبهم وحكى ابن جرير عن بعض أهل العلم ان قال نظري في هذه الاية وضع موضع

هو وقيل من حيث لا ترون ثم تأملوا الذين لا يؤمنون يحذر تعالى بني آدم من لباس وقيل له من الله عداوته
التقدي لابي البشر آدم عليه السلام في سبعة في آخر اجده من الجنة التي هي دار النعيم الى دار التعب والعناء والتسبب في ذلك عورته
بعد ما كانت مستورة عنه وما هذا الا عداوة كما ذكره هذا كقوله تعالى افتخذونه ذرية أو اياما من دوني وهم لكم عدو تبش
لظان من بلا واذ افعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل ان الله لا يعلمون قل امر
ربي بالسطوا فاقوا وجوهكم عند كل سجود وسجود فخذوا منكم ثقلات فتكونون فرياقه دي وفرى فاحق عليهم الضلالة انهم
اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون قال مجاهد كان المشركون يملكون بالبيت عمارة يقولون نظروا في كواكبنا
(١) هنا يابض في الاصل عند اربعة حكمة وانظر النسخ الصحيحة الثامنة اه معجمه

أ. هـ تاتفع المرأة على قلبها التسعة أو الشئ وتقول اليوم يندوبعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله فانزل الله وإذا فعلوا فاحشة
فالواحد ناعليها آية ناول الله أمر ناهي الآية قلت كانت العرب ماعدا قرش لا يطوفون بالبيت في نسائهم التي نسوها ناولون
في ذلك أنهم لا يطوفون في ثياب عبور الله فيها وكانت قرش وهم الجنس يطوفون في ثيابهم من أعاريه اجنبي فوطاف في نفسه ومن
معه ثوب جديد طاف في نفسه ثم لاقه فلا يملكه أحد ومن لم يجدوا باجديد ولا اعاريه اجنبي فوطافوا باناور بما كانت امرأه
تطوف به ربه تفتعل على فريحتها أساليبته (١٨٢) بعض السرفق قول اليوم يندوبعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله وأكثر

ما كان النساء يظن بالليل وكان هذا
شيئا قد ابتدعوه من تلقاء أنفسهم
وابعوا فيه آباءهم ويعتدون أن فعل
آبائهم مستند إلى أمر من الله وشرع
فانكر الله تعالى عليهم ذلك فقال
وإذا فعلوا فاحشة فالواحد ناعليها
آية ناول الله أمر ناهي فقال تعالى ردا
عليهم قل أي يا محمد إن ادعى ذلك إن
الله لا يأمر بالفسق أي هذا
الذي تصنعونه فاحشة منكورة والله
لا يأمر بعمل ذلك أتقون على الله
مالاتعلمون أي أنسندون إلى الله
من الأقوال مالاتعلمون صحتهم
وقوله تعالى قل أمر ربى بالقسط
أي بالعدل والاستقامة وأقيموا
وجوهكم عند كل مسجد وادعوه
مخلصين له الدين أي أمركم بالاستقامة
في عبادته في محالها وهي متابعة
المرسلين المؤيدين بالمعجزات فيها
أخبر ربه عن الله وما جاء به من
الشرائع وبالخلاص له في عبادته
فانه تعالى لا يتقبل العمل حتى يجمع
هذين الركنين إن يكون صوابا
موافقا للشرعة وأن يكون خالصا
من الشرك وقوله تعالى كأبدأكم
تعودون إلى قوله الصلاة اختلف

قال أي قال بعضهم لبعض (هل يريكم من أحد) من المؤمنين لتصرف عن المقام الذي
ينزل فيه الوحي فانه لا يصبر لنا على استماعه أو لتكلمهم بما يزيد من الطعن والسخرية
والضحك وقيل المعنى وإذا أنزلت سورة ذكر الله فيها فاضح المنافقين ومخازبهم قال
بعض من يحضر مجلس النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبعض الإخوة منهم هل يراكم من
أحد (ثم انصرفوا) إلى منازلهم عن ذلك المجلس أو عما يقتضي الهداية والايان إلى
ما يقتضي الكفر والنفاق والتراخي باعتبار وجدان الفرصة والوقوف على عدم رؤية
أحد من المؤمنين ثم دعا الله سبحانه عليهم فقال (صرف الله قلوبهم) عن الخير وما فيه
الرشدهم والهداية وهو سبحانه مصرف القلوب ومقلبها. وقيل المعنى أنه جحد لهم عن
قبول الهداية قال الزجاج أضلهم الله بحجراته على فعلهم وقيل هو دعاء لا يراد به وقوع
مضمونه كقولهم قاتله الله وقيل اخبار بحالهم ثم ذكر سبحانه السبب الذي لا جله
انصرفوا عن مواطن الهداية أو السبب الذي لا جله استمعوا الدعاء عليهم بقوله صرف
الله قلوبهم فقال (بأنهم قوم لا يفقهون) ما يسهونه لعدم تدبرهم وانصافهم عن ابن
عباس لا تفعلوا انصرفنا من الصلاة فان قوم انصرفوا فصرف الله قلوبهم ولكن قولوا
قضينا الصلاة وعن ابن عمر نحوه وأقول الانصراف يكون عن الخير كما يكون عن الشر
وليس في اطلاقه هنا على رجوع المنافقين عن مجلس الخير ما يدل على أنه لا يطابق الأعلى
نحو ذلك والازم أن كل لفظ يستعمل في لغة العرب في الأمور المتعددة إذا استعمل في
القرآن في حكاية ما وقع من الكفار لا يجوز استعماله في حكاية ما وقع عن أهل الخير
كل رجوع والذهاب والدخول والخروج والقيام والقعود واللازم باطل بالاجماع فالمراد
مثله ووجه الملازمة ظاهر لا يخفى ثم ختم الله سبحانه هذه السورة بما به ومن عنده بعض
ما شئت عليه من التكليف الشاق فقال مولانا (لقد جاءكم) بأغصن العرب والخطاب
لهم عند جمهور المفسرين وقال الزجاج هي خطاب لجميع العالم أي لقد جاءكم (رسول)
أرسله الله إليكم له شأن عظيم (من أنفسكم) أي من جنسكم في كونه عربيا
قرشيا مما مثلكم تعرفون نسبه وحسبه وانه من ولد اسمعيل لا من النجم ولا من الجن
ولا من الملك وقرئ أنفس أفعل تنفصيل من التفاسير والمراد الشرف أي أشرفكم
وأفضلكم وسيأتي تفصيله (عز ر عليه ما عنت) ما صدر به والغت العتب لهم والمنفعة

عليهم
في معنى كأبدأكم تعودون فقال ابن أبي نجيع عن مجاهد كأبدأكم تعودون يعنيكم بعدموتكم وقال الحسن البصري
كأبدأكم في الدنيا كذلك تعودون يوم القيامة وقال قتادة كأبدأكم تعودون بدأ خلقهم ولم يكونوا شيئا ثم جبروا ثم بعد ذلك
الرجن بن زيد بن أسلم كأبدأكم أولا كذلك بعدكم آخر واختار هذا القول أبو جعفر بن جرير وأبو عبد الله وأبو حمزة
الثوري وشعبة بن الحجاج كلاهما عن المغيرة بن النعمان عن سعد بن جبير عن ابن عباس قال قام فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
بموعدة فقال يا أيها الناس انكم تحشرون إلى الله حنا فاعرفوا أن لا كأبدأنا أول خلق فبعد موعدة علينا أنا فكافأنا وعد الخلد
مخرج في الصحيحين من حديث شعبة وفي حديث البخاري أيضا من حديث الثوري به وقال سعد بن جبير كأبدأكم تعودون
كأكتب عليكم تكونون وفي رواية كما كنتم تكونون عليه يكونون وقال محمد بن كعب القرظي في قوله تعالى كأبدأكم

وجعله في غير ائزهم وفطرهم وبع هذا قدران منهم شعبا ومنهم شعبا هو الذي خلقكم فكم كافر ومنكم مؤمن وفي الحديث كل
الناس يغدو فبايع نفسه فمعتبها أو موبقها وقدر الله انفذ في ربته فانه هو الذي قدره في الذي اعطى كل شي خلقه ثم هدى وفي
الحديث فاما من كان من اهل السعادة فسيبى لعمل اهل السعادة ومن كان من اهل الشقاوة فسيبى لعمل اهل الشقاوة ولهذا
قال تعالى في بقا حدى وفير يباحق عليهم الضلالة ثم علم ذلك فقال انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله الآية قال ابن جرير
وهذان بين الدلالة على خطا من زعم (١٨٤) ان الله لا يعذب احدا على معصيته تركها او ضلالة اعتقدها الا ان ياتها بعد علم منه

بصواب وجهها فتركها اعتادته
لربها لا ينلو كان كذلك لم يكن بين
فرق بين الضلالة الذي ضل وهو
يجب ان يمهتد وفريق الهدى
فرق وقد فرق الله تعالى بين اعمامها
واحكامها في هذه الآية (يا ايها آدم
خذوا زينتكم عند كل مسجد وكوا
واثربوا ولا تسرفوا انه لا يحب
المسرفين) هذه الآية الكريمة رد على
المشركين فيما كانوا يعقدونه من
الطواف بالبيت عراة كإبراهيم واسلم
والنساء وابن جرير والفظه من
حديث شعبة عن سلمة بن كهيل عن
مسلم البطي عن سعيد بن جبير عن
ابن عباس قال كانوا يطوفون بالبيت
عراة الرجال والنساء الرجال بالثياب
والنساء بالليل وكانت المرأة تقول
اليوم يبدو بعضه أو كله * وما بدا
منه فلا أحله فقال الله تعالى خذوا
زينتكم عند كل مسجد وقال
العوفي عن ابن عباس في قوله خذوا
زينتكم عند كل مسجد الآية قال
كان رجال يطوفون بالبيت عراة
فأمرهم الله بالزينة واللباس
وهو ما يورى السواة وما سوى ذلك
من جيد البر والمنافع فأمروا أن
يأخذوا زينتهم عند كل مسجد هكذا قال مجاهد وعطاء بن ابراهيم الخنفي وسعيد بن جبير وقتادة والسدي والضحاك
ومالك عن الزهري وغير واحد من أئمة السلف في تفسيرها انها نزلت في طواف المشركين بالبيت عراة وقد روى الخطاط ابن مردويه
من حديث سعيد بن بشر الأوراعي عن قتادة عن أنس مرفوعا انها نزلت في الصلاة في التعل وفي بحته نظر والله أعلم ولهذه الآية
وما ورد في معناها من السنة يستحب التعمد عند الصلاة ولا سيما يوم الجمعة ويوم العيد والطيب لانه من الزينة والسوا لانه من
تمام ذلك ومن أفضل اللباس البياض كما قال الامام أحمد حدثنا علي بن عاصم حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير
وصحبه عن ابن عباس مرفوعا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء من ثيابكم البياض فانه من خير ثيابكم وكفوا فيها

(سورة يونس عليه السلام)

وهي مائة وتسع آيات وهي مكية قاله الحسن وعطاء وعكرمة وجابر الا ثلاث آيات فان

كانت
وما لك عن الزهري وغير واحد من أئمة السلف في تفسيرها انها نزلت في طواف المشركين بالبيت عراة وقد روى الخطاط ابن مردويه
من حديث سعيد بن بشر الأوراعي عن قتادة عن أنس مرفوعا انها نزلت في الصلاة في التعل وفي بحته نظر والله أعلم ولهذه الآية
وما ورد في معناها من السنة يستحب التعمد عند الصلاة ولا سيما يوم الجمعة ويوم العيد والطيب لانه من الزينة والسوا لانه من
تمام ذلك ومن أفضل اللباس البياض كما قال الامام أحمد حدثنا علي بن عاصم حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير
وصحبه عن ابن عباس مرفوعا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء من ثيابكم البياض فانه من خير ثيابكم وكفوا فيها

موتاكم ومن خيراً كما لكم الاعتدافه بجواهر البصر وبنت الشعر هذا حديث جليل الاسناد رجاه على شرط مسلم وزواه أبو داود
والترمذي وابن ماجه من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم به . وقال الترمذي حسن صحيح والامام أحمد أيضاً وأهل السنن باسناد
جيد عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالثياب البيض فالبسوها فانها أطهر وأطيب وكفوا نواذيرها
موتاكم وروى الطبراني بسند صحيح عن قتادة عن محمد بن سيرين أن غمماً الدارى اشترى رداءً بألف وكان يصلي فيه وقوله تعالى وكأوا
واشربوا الآية قال بعض السلف جمع الله الطب كله في نصف آية وكأوا (١٨٥) واشربوا ولا تسرفوا وقال البخاري قال ابن

عباس كل ما شئت والبس ما شئت
ما أخطأ لك خصلتان سرف وتخليه
وقال ابن جرير حدثنا محمد بن
عبد الأعلى حدثنا محمد بن ثور
عن معمر بن ابن طاوس عن أبيه
عن ابن عباس قال أحل الله الأكل
والشرب ما لم يكن سرفاً أو تخلياً
اسناده صحيح وقال الامام أحمد
حدثنا محمد بن حاتم عن قتادة

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن
جدته ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال كأوا واشربوا والبسوا
وتصدقوا من غير تخلي ولا سرف
فان الله يحب أن يرى نعمته على
عبده ورواه النسائي وابن ماجه
من حديث قتادة عن عمرو بن شعيب
عن أبيه عن جدته عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال كأوا وتصدقوا
والبسوا في غير اسراف ولا تخلي
وقال الامام أحمد حدثنا أبو الغيرة
حدثنا سليمان بن سليم الكلبى
حدثنا يحيى بن جابر الطائي سمعت
المقدم بن معديكرب الكندي قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما ملأ ابن آدم وعاءاً شراً من
بطانه حسب ابن آدم أكلات يقهن

كنت في شك الى آخره قال ابن عباس وبه قال قتادة وقال مقاتل الآيتين فان كنت
في شك الى آخرهما أو ثلاث وقال الكلبي الاقوله ومنهم من يؤمن به الآية فانها نزلت
بالمدينة وقالت فرقة من أولها نحو من أربعين آية مكي وباقيها مدني قاله القرطبي وقال
ابن سيرين كانت هذه السورة بعد السابعة وأخرج ابن مردويه عن أنس قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان الله أعطاني الرأبأت أي الطواشين مكان
الانجيل وعن الاحنف قال صليت خلف عمر غداة فقرأ أنس وهو دود غيرهما قال
الصاوي سميت السورة بذلك لذكر اسمها فيها وقصته وقد جرت عادة الله بتسمية السورة
ببعض أجزائها

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر) قال الجلال الله أعلم بمراده بذلك قال الصاوي هذا أحد الاقوال وهو أنها وأسلما
انتهى وقد تقدم الكلام مستوفى على هذه الحروف الواقعة في أوائل السور في أول سورة
البقرة فلان بعده ففهم ما يغني عن الاعادة وقد قيل ان معنى الر ان الله أرى قال النحاس
ورأيت أبا اسحق يميل الى هذا القول لان سيويه قد حكى مثله عن العرب وقال الحسن
وعكرمة الر قسم وقال قتادة الر اسم للسورة وقيل غير ذلك مما فيه تكلف لعلم ما سائر
الله يعلمه وقد اتفق القراء على أن الر ليس بآية وعلى أن طه آية وفي مقنع أي عمرو الداني
أن العاذنين لطفه آية هم الكوفيون فقط ولعل الفرقان الر لا تشا كل مقاطع الآي التي
بعدها (تلا) أي ما تضمنته السورة من الآيات والتبعية للتعظيم وقيل الآيات
المتقدمة على هذه السورة وقال مجاهد وقاتة أراد التوراة والانجيل وسائر الكتب
المتقدمة فان تلك اشارة الى غائب مؤنث وقيل تلك بمعنى هذه أي هذه (آيات الكتاب
الحكيم) وهو القرآن ويؤيد كون اشارة الى القرآن انه لم يجر للكتب المتقدمة ذكر
وان الحكم من صفات القرآن لامن صفات غيره والاضافة بمعنى من لان هذه السورة
بعض القرآن والحكيم المحكم بالحلال والحرام والحدود والاحكام قاله أبو عبيدة وغيره
وقيل الحكميم معناه الحكم فهو فاعيل بمعنى فاعل كقوله وأرسل معهم الكتاب الحكميم بين
الناس وقيل بمعنى المحكوم أي حكم الله في العدل والاحسان قاله الحسن وغيره وقيل

(٢٤ - فتح البيان ح) صلبه فان كان فاعلاً لا محالة فقلت لطلعا منه وثبت لشرابه وثبت لنفسه ورواه النسائي والترمذي
من طرق عن يحيى بن جابر به وقال الترمذي حسن وفي نسخة حسن صحيح وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا سويد
ابن عبد العزيز حدثنا بشير بن يوسف بن أيوب عن كثير عن نوح بن ذكوان عن الحسن عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان من السرف أن تأكل كل ما اشتئت ورواه الدارقطني في الأفراد وقال هذا حديث غريب تفرد به بقية وقال السدي
كان الذين يطوفون بالبيت عراة يجرمون عليهم الدواب ما قاموا في الموسم فقال الله تعالى لهم كأوا واشربوا الآية يقول لانسرفوا

في التحريم وقال مجاهد أمرهم أن يأكلوا ويشربوا بما حرم الله وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ولا تسرفوا بقوله ولا تأكلوا
 حراما ذلك الأسراف وقال عطاء الخراساني عن ابن عباس قوله وكألو واشربوا ولا تسرفوا أنه لا يجب للمسرفين في الطعام والشراب
 وقال ابن جرير وقوله أنه لا يجب للمسرفين يقول الله تعالى إن الله لا يحب المعتدين حمله في حلال أو حرام العالمين فيه أسهل
 بإحلال الحرام أو ببحرهم الحلال ولكنه يجب أن يحلل ما أحل ويحرم ما حرم وذلك العدل الذي أمر به (قل من حرم زينة الله التي
 أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي (١٨٦) للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك تفصل الآيات لقوم

الحكيم والحكمة لا تشمله عليها وقيل الحكيم المنظوم قطعا متقنا لا يعتريه خلل ووجه
 من الوجوه وقيل المستمع من الفساد فيكون المعنى لا تغير الدهور والمراد برأيتهم
 الكذب والتناقض والاستهتام في قوله (أكان للناس عجبا إن أوحينا) لأنكار العجب
 مع ما يفيد من التوبيخ أي أكان أحيانا واجبنا للناس والعجب حالة تعتري
 الإنسان من رؤية شيء على خلاف العادة وقيل العجب ما لا يعرف سببه والمراد بالناس
 هنا أهل مكة يعني قريشا (الرجل منهم) أي من جنسهم وليس في هذا ما يقتضي العجب
 فإنه لا يلابس الجنس ويرشده ويخبره عن الله سبحانه إلا من كان من جنسه ولو كان من
 غير جنسهم لكان من الملائكة أو من الجن ويتعذر المقصود حذوهم من الرسل لأنهم
 لا يأتون إليه ولا يشاهدونه ولو فرضنا تشككهم وظهوره فأما أن يظهر في غير ذلك
 النوع الإنساني وذلك أوحش لقلوبهم وأبعد من انفسهم وفي الشكل الإنساني فلا بد من
 انكارهم لكونه في الأصل غير إنسان هذا إن كان العجب منهم لكونه من جنسهم وإن
 كان لكونه تيمنا وفقيرا فذلك لا يمنع من أن يكون من كان كذلك جامعاً من خصال الخير
 والشرف ما لا يجتمع غيره وبالعنف في كمال الصفات إلى حد يقصر عنه من كان غنياً وأعز
 يقيم وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن يصطفه الله بالرسالة من خصال
 الكمال عند قريش ما هو أشهر من الشمس وأظهر من النهار حتى كانوا يسمونه الأميز (إن
 أئد الناس) أي خوفهم قبل أن هي المفصلة لأن في الإيحاء معنى القول وقيل مصدرية
 والإنذار إخباره بخوفه كان البشارة إخباره مع سرور (وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم
 صدق عند ربهم) من إضافة الموصوف إلى الصفة كسجدة الجامع وصلة الأولى وح
 الحصد وفائدة هذه الإضافة التنبية على زيادة الفضل ومدح التقدم لأن كل شيء أضيف إلى
 الصدق فهو مدح ومثله مقعد صدق ومدخل صدق واختلقت عبارات المفسرين
 وأهل اللغة في معنى قدم صدق فقيل منزل صدق وقال الزجاج درجة عالية وقال ابن
 الأعرابي القدم المتقدم في الشرف وقال أبو عبيدة والكسائي كل سابق من خير أو شر
 فهو عند العرب قدم يقال لقمان قدم في الإسلام وله عندى قدم صدق وقدم خير وقدم شر
 وقال غالب التقدم كل ما قدمت من خير وقال ابن الأباري القدم كناية عن العمل
 الذي لا يقع فيه تأخير ولا إبطاء وقال قتادة سلف صدق وقال الربيع والحصكأ ثواب

يعلمون يقول تعالى رداً على من
 حرم شيأ من المأكول والمشرب
 والملابس من تلقاء نفسه من غير
 شرع من الله قل يا مجادلوهؤلاء
 المشركين الذين يحرمون
 ما يحرمون بأرائهم الفاسدة
 وابتدعهم من حرم زينة الله التي
 أخرج لعباده الآية أي هي مخلوقة
 لمن آمن بالله وعبدته في الحياة الدنيا
 وإن شركهم فيها الكفار حساق
 الدنيا فهي لهم خاصة يوم القيامة
 لا يشركهم فيها أحد من الكفار فإن
 الجنة محرمة على الكافرين قال أبو
 القاسم الطبراني حدثنا أبو حصين
 محمد بن الحسين القاضى حدثنا
 يحيى الجاني حدثنا بقوب القمي
 عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن
 جبير عن ابن عباس قال كانت قريش
 يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون
 وبصفقون فأ نزل الله قل من حرم
 زينة الله التي أخرج لعباده فأمروا
 بالثياب (قل اتماحرم ربى الفواحش
 ما ظهر منها وما بطن والأثم والبنى
 بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم
 ينزل به سلطاناً وإن تقولوا على الله
 ما لا تعلمون) قال الامام أحمد حدثنا

صدق

أبو معاوية حدثنا الأعشى عن شقيق عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لأحد أغبر من الله أخرجه في الصبيح من حديث سليمان بن مهران الأعشى عن شقيق أي وأئله عن عبد الله بن مسعود وتقدم
 الكلام على ما يتعلق بالفواحش ما ظهر منها وما بطن في سورة الأنعام وقوله والأثم والبنى بغير الحق قال السدي أما الأثم فالمنفعة
 والبنى أن تبغى على الناس بغير الحق وقال مجاهد الأثم المنعاصي كلها وأخبر أن البنى بغية كائن على نفسه وحاصل ما فسره الأثم أنه
 الخطايا المتعلقة بالفاعل نفسه والبنى هو المتعدى إلى الناس فحرم الله هذا وهذا وقوله تعالى وإن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً

أى تجعلوا لشركاء فى عبادة وان تقولوا على الله ما لا تعلمون من الافتراء والكذب من دعوى الله ولد ونحو ذلك مما لا علم لكم به
كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان الآية (ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) يا بنى آدم اما
يا نبيكم رسول منكم يقصون عليكم آياتى فن اتقى وأصل فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها
أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يقول تعالى ولكل أمة آية آتى قرن وجيل أجل فاذا جاء أجلهم أى صفةاتهم المقدرة لهم لا يستأخرون
عنه ساعة ولا يستقدمون ثم أئذى تعالى بنى آدم بأنه سيعتبهم رسلا (١٨٧) يقصون عليهم آياته وبشروا حد رفقا فن

فمن اتقى وأصل أى ترك المحرمات وفعل الطاعات فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أى كذبت بها قلوبهم واستكبروا عن العمل بها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون أى ما كئون فيها مكنا مخلدا (فن أظلم من افتري على الله كذبا أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا ضلعا وشهدوا على أنفسهم انهم كانوا كافرين) يقول فن أظلم من افترى على الله كذبا وكذب بآياته أى لا أحد أظلم من افترى الكذب على الله أو كذب بآياته المتزلة أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب اختاف المفسرون فى معناه فقال العوفى عن ابن عباس ينالهم ما كتب عليهم وكتب لمن كذب على الله ان وجهه مسود وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس يقول نصيبهم من الاعمال من عمل خير أجرى به ومن عمل شرا جرى به وقال مجاهد ما وعدوا به من خير وشروا وكذا قال قتادة والخالك

صدق وقال الحسن هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم يشفع لهم ونحوه عن زيد بن أسلم وهو قول قتادة وقال الحكيم الترمذى قدمه صلى الله عليه وآله وسلم فى المقام المجود وقال مجاهد الاعمال الصالحة صلاتهم وصومهم وصدتهم ونسبهم وقيل عمل صالح أسلفوه يقدمون عليه قاله الحسن وقال الليث وأبو الهيثم القدم السابقة أى سبق لهم عند الله خبر وقال مقاتل اعلا قدموها واختاره ابن جرير قال ابن عباس ماسبق لهم من السعادة فى الذكر الاول يعنى اللوح المحفوظ وقال أيضا جراح حسننا بما قدموا من اعمالهم وعن ابن مسعود قال القدم هو العمل الذى قدموه قال الله سبحانه سنكتب ما قدموا وآثارهم والاثار مشاهم قال مشى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين اسطوأتين من مسجده ثم قال هذا أمر مكتوب وقيل غير ما تقدم مما لا حاجة الى التطويل بباراده والروايات من التابعين وغيرهم فى هذا كثيرة وقد قدمنا كثرها والسبب فى اطلاق لفظ القدم على هذه المعانى أن السعى والسبق لا يحصل الا بالقدم فسمى السبب باسم السبب كما سميت النعمة يد الانم اعطى باليد (قال الكافرون ان هذا السحريين) قرئ لساحر على انهم أرادوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باسم الاشارة وقرئ لسحر على انهم أرادوا القرآن وقد تقدم معنى السحر فى البقرة والجملة مستأنفة كما نقبل ماذا صنعوا بعد التعجب وقال القفال فيه اضممار والتقدير فلما أئذىهم قال الكافرون ذلك ثم ان الله سبحانه جاء بكلام يبطل به التعجب الذى حصل للكفار من الايحاء الى رجل منهم فقال (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام) من أيام الدنيا أى فى قدرها لانهم لم يكن ثم شمس ولا قمر ولو شاء خلقن فى لحظة والعدل عنه لتعلم خلقه التانى والتهل فى الامور وتخصيص الستة بالذ كرمع ان التثبت يتأتى بأقل منها وبأزيد عليها قد استأثر الله بعلمه والمعنى ان من كان له هذا الاقتدار العظيم الذى تضيق العقول عن تصويره كيف يكون ارساله لرسوله الى الناس من جنسهم محل التعجب مع ككون الكفار يعترفون بذلك فكيف لا يعترفون بعبادة هذه الرسالة لهذا الرسول (ثم استوى على العرش) استواء يليق به وهذ نظريقة السلف المفوضين وقد تقدم تفسير هذه الآية فى الاعراف بما فيه كفاية فلا نعيد هنا قال الكرخى ان الاستواء على العرش صفة له سبحانه بلا كيف انتهى فهذه الصفة يجب الايمان بها امر ارضا على ظاهرها من غير تأويل ولا تكليف

وغير واحدوا اختاره ابن جرير وقال مجاهد كعب القرظى أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال عمه ورقة وعمره وكذا قال الربيع ابن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهذا القول قوى فى المعنى والسباق يدل عليه وهو قوله حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم ويصير المعنى فى هذه الآية كقوله ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع فى الدنيا ثم ينالهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون وقوله ومن كفر فلا يفلحونك كفره اليانما رجعتهم ففتنهم بآياتنا فان الله عليهم بذات الصدور غنعتهم قليلا الآية وقوله حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم الآية يخبر تعالى ان الملائكة اذا أوفت المشركين فقتلهم عند الموت وقبض ارواحهم الى النار

يقولون لهم أين الذين كنتم تشركون بهم في الحياة الدنيا وتعدونهم وتعبدونهم من دون الله ادعوهم يخلصوكم مما أنتم فيه قالوا ضلوا عنا أي ذبحوا عنا فلا نرجو نفعهم ولا خيرهم وشهدوا على أنفسهم أي أقروا واعتزوا فعلى أنفسهم أنهم كانوا كافرين (قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا أذار كوافيها أجمعاً قالت آخرهم لا ولاهم رشاؤنا ولا أضوانا فاتتهم عذاباً عظاماً من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقالت أولاهم لا خير ما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون) (١٨٨) يقول تعالى مخبراً عما يقوله لهؤلاء المشركين به الفترين عليه المكسبين

ولا تعطيل ولا تخيل ليس كذلك شيء وهو السميع البصير وطريقه الخلف المؤثرين مجموعاً بنصوص الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة وأئمتها وظاهر الآية يدل على أنه تعالى إنما استوى على العرش بعد خلق السموات والأرض لأن كلمة التراتيخ وذلك يدل على أنه تعالى كان قبل العرش غنياً عنه فلما خلقه امتنع أن تنقلب حقيقة وذاته عن الاستغناء إلى الحاجة فوجب أن يبقى بعد خلق العرش غنياً عنه ولكن لما قال هو سبحانه وتعالى باستوائه عليه وجب الإيمان به على ما يليق بجلاله ثم ذكر ما يدل على من يقدره وعظم شأنه مع ما مر من خالق هاتيك الأجرام العظام فقال (يدبر الأمر) وترك العاطف لأن جلد يدبر كالتفسير والتفصيل لما قبلها وأصل التدبير النظر في أبعاد الأمور وعواقبها لتتبع على الوجه المقبول والشكل المحمود قال مجاهد بن قنبره وقدره وحده على الوجه الاتم لا الكل وقيل بعث الأمر وقيل نزل الأمر وقيل يأمر به ويمضيه والمعنى متقارب واشتقاقه من الدبر والأمر الشأن وهو أحوال ملكوت السموات والأرض والعرش وسائر الخلق من الجن والانس الحادثة بشأفسى على أطوار شتى لا تكاد تحصى (مأمون شفيح) يشفع عنده يوم القيامة (الأمين بعد ذاته) له في الشفاعة لأنه عالم بالصالحات عبادة في تدبيرهم فلا يجوز لأحد أن يسأله ما ليس له به علم قال الزجاج إن الكفار الذين خوطبوا بهذه الآية كانوا يقولون إن الأصنام شفعاء فاعتداه فرد الله عليهم بأنه ليس لأحد أن يشفع إليه شيء إلا بعد إذنه لأنه أعلم بوضع الحكمة والمصواب وله التصرف المطلق في العالم وقد تقدم معنى الشفاعة في البقرة وفي هذا بيان لاستبداد بالأمور في كل شيء سبحانه وتعالى (ذلكم) أي فاعل هذه الأشياء العظيمة من الخلق والتدبير (الله ربكم) أي سيدكم لأرب لكم سواء وفي هذه الجملة زيادة تأكيده لقوله أن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض (فاعبدوه) أمرهم بعبادته بعد أن بين لهم أنه الحقيق بهادون غير له يدع صنعهم وعظيم اقتداره فكيف تعبدهون الجادات التي لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر والاستغناء عنهم في قوله (أفلا تدرون) الإنكار والتوبيخ والتقريع لأن من له أدنى تدرك أو قل اعتبار يعلم بهذا ولا يخفى عليه بين لهم ما يكون آخر أمرهم بعد الحياة الدنيا فقال (إليه مرجعكم جميعاً) وفي هذا من التهديد والتخويف ما لا يخفى والمراد بالرجوع الروح إلى جسدها ما بالمولوت وبالبعث أو بكل واحد منهم ما انتصاب (وعاد الله) على المصدر وهو منصوب بفعل مقدر ثم أكد ذلك

بآياته أدخلوا في أمم أي من أممكم وعلى صفاتكم قد دخلت من قبلكم أي من الأمم السالفة الكافرة من الجن والإنس في النار يحتمل أن يكون بدلاً من قوله في أمم ويحتمل أن يكون في أمم أي مع أمم وقوله كلما دخلت أمة لعنت أختها كما قال الخليل عليه السلام ثم يوم القيامة يكفر بعضهم بعضاً الآية وقوله تعالى اذنبوا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا ككزة فمنبراً منهم كاتبر وأما كذلك يرهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار وقوله حتى إذا أذار كوافيها أجمعاً أي اجتمعوا فيها كلهم قالت آخرهم لا ولاهم أي آخرهم دخلوا ولاهم الاتباع لا ولاهم وهم المتبعون لأنهم أشد جرماً من أتباعهم فدخلوا قبلهم فيسحقهم الاتباع إلى الله يوم القيامة لأنهم هم الذين أضلواهم عن سواء السبيل فيقولون رشاؤنا ولا أضوانا فاتتهم عذاباً عظاماً من النار أي أضف عليهم العقوبة كما قال

تعالى يوم تقلب وجوههم في النار يقولون ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول أو قالوا ربنا أنأطعنا ساداتنا وكبراءنا فأضلونا السبيل ربا أتهم ضعتين من العذاب الآية وقوله قال لكل ضعف الآية أي قد فعلنا ذلك وجازينا كلاً بحسبه كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زناهم عذاباً الآية وقوله ولحملن أثقالهم وأثقالهم على أعقابهم وقوله ومن أوزار الذين يضلوهم بغير علم الآية وقالت أولاهم لا خير ما كان لكم علينا من فضل قال السدي فقد ضلتم كما ضلنا فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون وهذه الحال كما أخبر الله تعالى عنهم في حال محشرهم في قوله تعالى ولوترى أذى الظالمون

موقوفون عندهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا والاولا انتم لكلام مؤمنين قال الذين استكبروا للذين استضعفوا ان نحن صدقنا كذبكم عن الهدي بعد اذ جاءكم بهل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكروا والليل والنهار اذا تأمروا أن تكفروا بالله ويجعل لله أندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون (ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين) (١٨٩) لهم من جهنم مهادوم فوفهم غواش

وقوله ذلك نجزي الظالمين قوله

لا تفتح لهم أبواب السماء قيل المراد لا يرفع لهم منها عمل صالح ولادعاء قاله مجاهد وسعيد بن جبير ورواه العوفي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس وكذا رواه الثوري عن ليث عن عطاء عن ابن عباس وقيل المراد لا تفتح لارواحهم أبواب السماء رواه الضحاك عن ابن عباس وقاله السدي وغير واحد ويؤيده ما قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن المنهال هو ابن عمرو عن زاذان عن السبراء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح الفاجر وأنه يصعد بها الى السماء فيصعدون بها فلا ترق على ملائكة الملائكة الا قالوا ما هذه الروح الخبيثة فيقولون فلان بأفجع أسمائه التي كان يدعى بها في الدنيا حتى يذبح بها الى السماء فيستحقون بابها فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتح لهم أبواب السماء الآية هكذا رواه وهو قطعة من حديث

الوعد بقوله (حقا) فهو تأكيدي كما فيكون في الكلام من الوكادة ما هو الغاية في ذلك وقرئ وعد الله حق على الاستئناف ثم على سبحانه ما تقدم بقوله (انه) بالكسر استئنافا (يبدأ الخلق) أي ان هذا شأنه يتبدى خلقه من التراب (ثم يعيده) اليه والخلق بمعنى المخلوق والمضارع بمعنى الماضي وعبر به استحضار الصورة الغريبة ومعنى الاعادة الخ جزء يوم القيامة قال مجاهد ينشئه ثم يعينه ثم يحياه للبعث وقيل ينشئه من الماء ثم يعيده من حال الى حال وقرئ انه لا يفتح وهي شاذة أي وعدكم الله انه يبدأ الخلق ثم يعيده أو التقدير لانه يبدأ الخلق قال أحمد بن يحيى التقدير حقا باداءه الخلق وفي الآية دليل على امكان الحشر والنشر والمعاد وصحة وقوعه ورد على منكري البعث ثم ذكرنا به ما يترتب على الاعادة فقال (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط) أي بالعدل الذي لا جور فيه أي يجزى بهم متلبسا بالقسط ومتلبسين به أو بسبب قسطهم والمراد به هنا الايمان بدليل المقابلة في قوله بما كانوا يكفرون (والذين كفروا) يحتمل وجهين أحدهما أن يكون مر قوعا لابتداء وجهه (لهم شراب من حميم وعذاب أليم) خبره والثاني أن يكون منصوبا عطفا على الموصول قبله وتكون الجملة بعده مبنية جزائهم وقيل الجملة في محل نصب على الحال أي حال كونهم لهم هذا الشراب وهذا العذاب المؤلم ولكن بشكل على ذلك ان هذا الشراب وهذا العذاب الاليم هما من الجزء والحميم الماء الحار الذي قد انتهى حره وكل مسخن عند العرب فهو حميم وتغير الاسلوب للمبالغة في استحقاقهم للعقاب والتنبية على ان المقصود بالذات من الابداء والاعادة هو الاثابة والعذاب وقع بالعرض وانه تعالى يتولى اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعين به وأما عقاب الكفرة فكانت داسا قه اليهم سوء اعتقادهم وسوء أفعالهم (بما كانوا يكفرون) أي بسبب كفرهم (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا) ذكره هنا بعض نعمة على المكلفين وهو ما يستدل به على وجوده ووجوده وقدرته وعلمه وحكمته بانفان صنعته في هذين التبرين المتعاقبين على الدوام بعد ما ذكر قبل هذا ابداعه السموات والارض واستواءه على العرش وغير ذلك والضماء قبل جمع ضوء كالسياط والسوط والحياض والحوض والاولى أن يكون ضياء مصدرا لاجعوا لابد من تقدير مضاف أي جعل الشمس ذات ضياء والقمر ذات نور والان

طويل رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من طرق عن المنهال بن عمرو به وقد رواه الامام أحمد بطوله فقال حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن السبراء عن ابن عباس قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الانصار فأتتهما الى القبر ولما جلد جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأن على رؤسنا الطير وفيه عود ينكت به في الارض فرفع رأسه فقال استعذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا ثم قال ان العبد المؤمن اذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال الى الآخرة نزل اليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كف من أ كفان الجنة وحظو من

خبط الجنة حتى يجلبوا منه مد البصر ثم يجي ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الطمسة اخرجي الى مغفرة من الله ورضوان قال فخرج تسيل كاتسيل القطر فمن قم السقاء فإخذهما فإذا أخذاهم يدعوهما في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوهما في ذلك الكفن وفي ذلك الخوط ويخرج منها كاطيب نقيحة مسك ووجدت على وجه الارض فيصعدون بها فلا يرون يعني بها على ملائكة الملائكة الا قالوا ما هذه الروح الطيبة فيقولون فلان بن فلان يا حسن اسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينهوا به الى السماء الدنيا فيستحقون له (١٩٠) فيخرج له فيشيعه من كل سبام مقر بوها الى السماء التي تليها حتى ينتهي بها الى

السماء السابعة فيقول الله عز وجل اكتبوا كتاب عبدي في عشرين وأعيدهوه الى الارض فأتى منها خلقهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال فتعاد روحه فيأتيه ملكان فيجلبانه فيقولان له من ربك فيقول ربي الله فيقولان له ما دينك فيقول ديني الاسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان له وما عليك فيقول قرأت كتاب الله فأمنت به وصدقت فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فيأتيه من روحها وطيبها ويقبضه في قبره مد البصر قال وياتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقبضه فيأشركه بالذي بشره بهذا يومك الذي كنت توعده فيقول له من أنت فوجهك اليوم يجيء بالخبر فيقول أنا ملك الصالح فيقول رب أقم الساعة رب أقم الساعة حتى أرجع الى أهلي ومالي قال وان العبد الكافر اذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال من الآخرة نزل

يحمل على المبالغة كأنهم ما جعلوا نفس الضياء والنور قبل الضياء أقوى من النور وقيل هو ما كان بالذات والنور ما كان بالعرض فقام بالشمس يقال له ضياءه وما قام بالقمر يقال له نور ومن هنا قال الحكماء ان نور القمر مستفاد من ضوء الشمس والشمع الفاضل من الشمس قيل جوهر وقيل عرض قال الصاوي والحق انه عرض لقيانه بالاجرام وضياءه مفعول ثان ان جعل الجبل بمعنى التصدير وحال ان جعل بمعنى الخلق قال السدي لم يجعل الشمس كهينة القمر لكي يعرف الليل من النهار وهو قوله فجونا بآية الليل الآية قال ابن عباس وجوهها ما الى السموات وأقيمت على الارض وعن ابن عمر مثله (وقدره) أي قدر مسير القمر في (منازل) أو قدره منازل وبه يعرف انقضاء الشهور والسنين وذلك ان الشهور والمعتبرة في الشرع مبنية على رؤية الاهلة والسنة المعسرة في الشرع هي القمرية لا الشمسية ومنازلها هي المسافة التي يقطعها في يوم وليلة بمجرى كنه الخاصة به وجعلها ثمانية وعشرون وهي معروفة منقسمة على اثني عشر رجلا لكل برج منزلان وثلاث منازل ينزل القمر في كل ليلة منزلان منها الى انقضاء ثمانية وعشرين ليلة فيبدو وصغيرا في أول منازلهم فيكبكون قليلا قليلا حتى يبدو كاملا واذا كان في آخر منازلهم واستقوس ثم يستقر ليلتين لا يبصر ولا يرى اذا كان الشهر كاملا وأول ليلة اذا كان الشهر ناقصا والكلام في هذا يطول وقد جع الشوكاني فيه رسالة مستقلة جوابا عن سؤال أورده عليه بعض الاعلام وقيل ان الضمير راجع الى كل واحد من الشمس والقمر كما قيل في قوله تعالى واذا راوا تجارتا وألوهما انتفضوا اليها وقوله والله ورسوله أجي أن يرضوه وقد قدما تحقيق هذا فيما سبق من هذا التفسير والاولى رجوع الضمير الى القمر وحده كما في قوله تعالى والقمر قدر نوره منازل ثم ذكر بعض المنافع المتعلقة بهذا التقدير فقال (اعلموا) بذلك التقدير (عدد السنين والحساب) أي حساب الشهور والايام والساعات ونقصانها وزيادتها ووقت دخولها وانقضائها فان في العلم بعدد السنين من المصالح الدينية والدنيوية ما لا يحصى وفي العلم بحساب الاشهر والايام والليالي من ذلك ما لا يحصى ولولا هذا التقدير الذي قدره الله سبحانه لم يعلم الناس بذلك ولا عرفوا ما يتعلق به كثير من مصالحهم والسنه تحصل من اثني عشر شهرا والشهر يحصل من ثلاثين يوما ان كان كاملا ومن تسع وعشرين يوما ان كان ناقصا واليوم يقص من ساعات دخلوه هي أربع وعشرون ساعة

اليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجي ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الخبيثة اخرجي الى سخط من الله وغضب قال فيفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السود من الصوف المبلول فإخذهما فإذا أخذاهم يدعوهما في يده طرفة عين حتى يجعلاهما في تلك المسوح ويخرج منها كاتسيل ربح جيفة ووجدت على وجه الارض فيصعدون بها فلا يرون بها على ملائكة الملائكة الا قالوا ما هذه الروح الخبيثة فيقولون فلان بن فلان بأفجع اسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا فيستحق له فلا يفتح ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتح لهم أبواب السماء

ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجبل في سم الحياط فيقول الله عز وجل اكبتوا كآفته في حين في الارض السفلى فظن حروحه طرحا
ثم قرأ ومن يشرك بالله فكأما تنماخ من السماء فتحطقه الطير وتهوى به الرمح في مكان سحق فتعادر حوه في جسده وبأته ملكان
فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاهاه لا أدري فيقولان ماذا ينك فيقول هاهاه لا أدري فيقولان ماهذا الرجل الذي بعث
فيكم فيقول هاهاه لا أدري فينادي مناد من السماء ان كذب فأقرشوه من النار واقهوه باليمن النار فأتيسه من حرها وسومها
ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه اضلاعها وبأته رجل قيح الوجه (١٩١) قيح الشيا من الرمح فيقول ابشر بالذي

يسوءك هذا يوم الذي كنت تعد
فيقول من أنت فوجهك اليوم
يجي بالشرف فيقول اناعلك الخبيث
فيقول رب انقم الساعة وقال الامام
أحمد أيضا حدثنا عبد الرزاق حدثنا
معمر عن يونس بن خباب عن
المهال بن عمار عن زاذان عن
البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى جنازة
فدركه فحمله وفيه حتى اذا خرج
روحه صلى عليه كل ملك بين
السما والارض وكل ملك
في السماء وفتحت له ابواب السماء
ليس من أهل باب الا وهم يدعون
الله عز وجل أن يرج روحه من
قبلهم وفي آخره ثم يقبل له أعني
أصم بكسم في يده مرز به لوضرب
بها جمل كان ترابا فيضربه ضربة
فيصير رباهم بعيدة الله عز وجل كما
كان وضربه أخرى فيصير
صحة بسمعه كل شيء الا الملقين
قال البراء ثم يفتح له باب من النار
وعنده من فرش النار وفي الحديث
الذي رواه الامام أحمد والترمذي
وابن ماجه وابن جرير واللفظ له من
حديث محمد بن عمرو بن عطاء عن
سعيد بن يسار عن أبي هريرة أن

للليل والنهار وقد يكون لكل واحد منهما اثنا عشرة ساعة في أيام الاستواء ويريد أحدهما
على الآخر في أيام الزيادة وأيام النقصان والاختلاف بين السنة الشمسية والقمرية
معروف ذكرنا في لقطة المجلان وحجج الكرامة (ما خلق الله ذلك) بين سبحانه انه ما خلق
الشمس والقمر واختلاف تلك الاحوال (الاباحق) والصواب دون الباطل والعبث
والاشارة بقوله ذلك الى المذكور قبله من جعل الشمس ضياء والقمر نورا أو تقديره منازل
والاستثناء مفرغ من أعم الاحوال (يفصل الآيات لقوم يعلمون) معنى التفصيل تبينها
والمراد بالآيات التكوينية والتزلية ومجموعهما ويدخل هذه الآيات التكوينية
المذكورة هنا دخولا ولبا في ذلك قرئ بفصل بالياء والنون وهما سبعيتان وعلى النسبية
فيه التماثل ثم ذكر سبحانه المنافع الحاصلة من اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في
السموات والارض من تلك الاختلافات فقال (ان في اختلاف الليل والنهار) أى في
تعاينها ما يكون كل منهما مخالفة للآخر بحسب طالع الشمس وغروبها أو في تفاوتها ما في
أنفسها ما زاد اكل منها ما تنقص الآخر باختلاف حال الشمس بالنسبة الى انوارها وبعدا
بحسب الارض من أوقى اختلافها وتفاوتها بحسب الامكنة اما في الطول والقصر فان
البلاد القريبة من القطب الشمالي ايامها الصيفية أطول وليالها الصيفية أقصر من أيام
البلاد البعيدة منه وليالها وأما في انفسها فان كربة الارض تنقص أن يكون بعض
الازقات في بعض الاماكن ليلا وفي مقابلة نهارا (وما خلق الله في السموات) من ملائكة
وشمس وقمر ونجوم وغير ذلك (والارض) من حيوان وجبال وبحار وأنهار وأشجار وغيرها
(آيات) دلالات على قدرته تعالى (للقوم يتقون) الله سبحانه ويتقون معاصيه خصهم
بهذه الآيات لانهم الذين يعنون النظر والتفكير في مخلوقات الله سبحانه حذر انهم عن
الوقوع في شيء مما يخالف مراد الله سبحانه ونظره الى آياته أمرهم وما يصلحهم في معادهم
قال القفال من تدبر في هذه الاحوال علم ان الدنيا (مخلوقة لبقاء الناس فيها وان خالنها
وخالفهم مآلهم بل جعلها لهم دار عمل وإذا كان كذلك فلا بد من أمر ونهي عن
خليفة العبدى قال لو ان الله تبارك وتعالى لم يعبد الا عن رؤية ما عبده أحد ولكن
المؤمنين تفكر واني بحجج هذا الليل اذا جاء فلا كل شيء وغطى كل شيء في بحجج سلطان
الهارا اذا جاء فحاسب اطان الليل وفي السحاب المسحور بين السما والارض وفي النجوم

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الميت تحضره الملائكة فاذا كان ارجل الصالح قالوا اخرجي أيتها النفس المطمئنة كانت في
الجسد الطيب اخرجي جسده وابشري بروح وريحان ورب غير غضبان فيقولون ذلك حتى يخرجها الى السماء فيستفتح
لهافي قال من هذا فيقول فلان فيقال مر حيا بالنفس الطيبة التي سكنت في الجسد الطيب ادخلي جسده وابشري
بروح وريحان ورب غير غضبان فيقال له اذلك حتى ينهيها الى السماء التي فيها الله عز وجل وإذا كان الرجل السوء قالوا
اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث اخرجي ذميمة وابشري بجميعهم وغساق وآثر من شكاه ازواج فيقولون ذلك
(١) قوله مخلوقة الخ كذا في أصله وحرر العبارة فاعل فيها سقط اه محكيه

حتى يخرج ثم يعرج بهم الى السماء يستفتح لهم ابواب السماء فترسل بين السماء والارض قصيرا الى القبر وقد قال ابن جرير في قوله لا تفتح لهم ابواب السماء لا تفتح لعمالهم ولا لارواحهم وهذا فيه جمع بين القولين والله أعلم وقوله تعالى ولا يدخلكم الجنة حتى يبلغ الجبل فيسم الخياط هكذا قرأه الجوهري وروى غيره بانه البعير قال ابن مسعود هو الجبل ابن الناقة وفي رواية زوج الناقة وقال الحسن البصري حتى يدخل البعير في خرق الابرة (١٩٢) وكذا قال أبو العالية والبخاري وكذا روى علي بن أبي طلحة والعمري عن ابن عباس

وقال مجاهد وعكرمة عن ابن عباس انه كان يقرأها على الجبل فيسم الخياط بضم الخيم وتشديد الميم يعني الخبل الغليظ في خرق الابرة وهذا اختيار سعيد بن جبسر في رواية أنه قرأ حتى يبلغ الجبل يعني قلوب السفن وهي الجبال الغلاظ وقوله لهم من جهنم مهاد قال القرشي ومن فوقهم غواش قال اللعنف وكذا قال الضحاك بن مزاحم والسدي وكذلك يجرى الظالمين (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا تكلف نفسا الا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رحمة ربنا بالحق ونودوا أن تلحقكم الجنة أورثتوها كما كنتم تعملون) لما ذكر تعالى حال الاشقياء عطف بذكر حال السعداء فقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات أي آمنت قلوبهم وعملوا الصالحات مجوارحهم ضد أولئك الذين كفروا بآيات الله واستكبروا عنها نية تعالى على أن

وفي الستة والصيغ فوالله ما زال المؤمنون يتفكرون فيما خلق ربهم حتى أيقنت قلوبهم بهم ربهم وقد تقدم تفسير هذه الآية في نظائرها (ان الذين لا يرجون لقاءنا) شرع الله سبحانه في شرح أحوال لا يؤمن بالمعاد ومن يؤمن به يقدم الطائفة التي لم يؤمن لان الكلام في هذه السورة مع الكفار الذين يعجبون بما لا يحب فيفسد بهم مسألون النظر والتفكير فيما لا ينبغي اهماله مما هو مساعد لكل حي طول حياته فيستبعب عن اهمال النظر والتفكير الصادق عدم الايمان بالمعاد ومعنى الرجاء هنا الخوف وقيل الطمع فالعنى على الاول لا يخافون عقابا وعلى الثاني لا يطمعون في ثواب اذا لم يكن المراد باللقاء حقيقة فان كان المراد به حقيقة كان المعنى لا يخافون رؤيتنا ولا يطمعون في رؤيتنا وقيل المراد بالرجاء هنا التوقع فيدخل تحته الخوف والطمع فيكون المعنى لا يتوقعون لقاءنا فهم لا يخافونه ولا يطمعون فيه (ورضوا بالحياة الدنيا) عوضا عن الآخرة فعملوا لها (واطمأنوا بها) أي وقد سكنت نفوسهم اليها وفرحوا بها (والذين هم عن آياتنا فاعلون) العطف انما هو لتغاير الصفات أي غفلوا عن آياتنا الكونية والشرعية لا يعتبرون بها ولا يتفكرون فيها قيل المراد بالآيات أدلة التوحيد وقيل مجدد القرآن (أولئك) أي المتصفون بالصفات السابقة من عدم الرجاء وحصول الرضا والاطمئنان والغفلة (مأواهم النار) أي مشواهم ومكان اقامتهم (بما كانوا) أي بسبب ما كانوا (يكسبون) من الكفر والتكذيب بالمعاد فهذا حال الذين لا يؤمنون بالمعاد وأما حال الذين يؤمنون به فقد بينه سبحانه بقوله (ان الذين آمنوا) أي فعلوا الايمان الذي طلبه الله منهم بسبب ما وقع منهم من التفكير والاعتبار فيما تقدم ذكره من الآيات (وعملوا الصالحات) التي يقتضيها الايمان وهي ما شرع الله لعباده المؤمنين (بهذههم ربهم بايمانهم) أي برزقهم الهداية بسبب هذا الايمان المضمون اليه العمل الصالح فيصلون بذلك الى الجنة وعبارة أبي السعود فيهم بسبب ايمانهم الى مأواهم ومقصدهم وهي الجنة وانما تذكر تعويلا على ظهورها وانسياق النفس اليها قال القاضي ومفهوم الترتيب وان دل على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله بايمانهم على استئثار الايمان بالهداية وأن العمل الصالح كالتمهيد والرد فيه انتهى وهذا رد لما في الكشف من أن الآية ذلت على أن المعترف بالهداية الى الجنة هو المقيد بالعمل الصالح لا المطلق قال

وقال مجاهد وعكرمة عن ابن عباس انه كان يقرأها على الجبل فيسم الخياط بضم الخيم وتشديد الميم يعني الخبل الغليظ في خرق الابرة وهذا اختيار سعيد بن جبسر في رواية أنه قرأ حتى يبلغ الجبل يعني قلوب السفن وهي الجبال الغلاظ وقوله لهم من جهنم مهاد قال القرشي ومن فوقهم غواش قال اللعنف وكذا قال الضحاك بن مزاحم والسدي وكذلك يجرى الظالمين (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا تكلف نفسا الا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رحمة ربنا بالحق ونودوا أن تلحقكم الجنة أورثتوها كما كنتم تعملون) لما ذكر تعالى حال الاشقياء عطف بذكر حال السعداء فقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات أي آمنت قلوبهم وعملوا الصالحات مجوارحهم ضد أولئك الذين كفروا بآيات الله واستكبروا عنها نية تعالى على أن

الايمان والعمل به سهل لانه تعالى لا يكلف الا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ونزعنا ما في صدورهم من غل أي من حسد وبغض كما جاء في صحيح البخاري من حديث قتادة عن أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خلس المؤمنون من النار حبسوا بقطرة بين الجنة والنار فاقتصر لهم من مقام كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونفوا اذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفسي بيده ان أحدهم ينزل في الجنة أدل منه بمكة كان في الدنيا وقال السدي في قوله ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الانهار الآية ان أهل الجنة اداسقوا الى الجنة وجدوا عند بابها

لهم هذه النار التي كنتم بها تتكذبون أفخرهم أم أم أنتم لا تصرون أضلوها فاصبروا ولا تصبروا وسواكم عليكم انما يجزؤون ما كنتم تعملون وكذلك قرع رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل القلب يوم بدر فنادى يا أجهل بن هشام واعتبه بن زبيعة وباشية بن ربيعة وسمي رؤسهم هدل وحديث ما وعبر بكم حقا فاني وجدت ما وعبدني ربي حقا وقال عمر يا رسول الله تخاطب قومًا قد خيروا فقال والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكن لا يستطيعون أن يحسبوا وقوله فأذن مؤذن منهم أي أعلم يعلم ونادى من أذن لعنة الله على الظالمين أي مستقرة عليهم (١٩٤) ثم وصفهم بقوله الذين يصدون عن سبيل الله ويعرّضون أعزاجاً يصدون

باب الاستناد المعنوي فلا يلزم أن يقولوا هذا اللفظ فقط بل يقولونه أو ما يؤدى معناه من جميع صفات التزهد والتقديس قبل الدعاء للعبادة كقوله وأعتزل لكم وما تدعون من دون الله وقيل معنى دعواهم هذا الادعاء الكائن بين المتخاصمين والمعنى ان أهل الجنة يدعون في الدنيا والآخرة فتزهد الله سبحانه من المعائب والاقارار بالالهية وقيل قولهم وكلامهم قال القفال أصله من الدعاء لان الخصم يدعو خصمه الى من يحكم بينهما وقيل معناه طر يقثمهم وسيرتهم وذلك ان المدعى للشيء مواظب عليه فيمكن أن يجعل الدعوى كناية عن الملازمة وان لم يكن في قوله سبحانه اللهم دعوى ولادعاء وقيل معناه تنهيم كقوله ولهم ما يدعون وكان تنهيم في الجنة ليس الاتسيع الله وتقديسه وأخرج ابن مردويه عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا قالوا اسمعنا يا اللهم أناهم ما أشتهوا من الجنة من ربهم وقدرى نحو هذا عن جماعة من التابعين فهذه الكلمة علامة بين أهل الجنة والخلد في احضار الطعام فإذا أرادوه قالوا اسمعنا يا اللهم فأتواهم في الوقت على حسب ما يشتهون واضعين له على الموائد في كل صحيفة لون من الطعام لا يشبه بعضهم بعضا فإذا فرغوا من الطعام حمدوا الله على ما أعطاهم كما يأتي فتزعم الموائد عند ذلك قال الزجاج أعلم الله ان أهل الجنة يتدعون بتعظيم الله وتزهد به ويحجبون بذكر الله والثناء عليه وقيل انهم يلهون ذلك كما ذكر في الحديث والمعنى تسخير الله تعالى لشيء ما (وتحجيتهم فيها سلام) أي تحية بعضهم البعض فيكون المصدر متصفاً فاني النازل أو تحية الله أو الملائكة لهم فيكون من اضافة المصدر الى المفعول والتحية التكرمة بالخلة الخلة أصلها أحمالك الله حياة طيبة والسلام السلامة من كل مكروه وقيد بضمي تفسير هذا في سورة النساء (وأخروا دعواهم) أي وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح في كل مجلس (ن) يقولوا (الحمد لله رب العالمين) وليس معناه انقطاع الحمد فان أقوال أهل الجنة وأحوالها الآخر لها والدعوى مشهورة في الادعاء لكنها وردت بمعنى الدعاء أيضا وهو المراد هنا بقدرته ما بعده لان من جنس الدعاء وتكون أيضا بمعنى العبادة وقد حوز ارادته هنا وان كانت الجنة ليست دار تكليف أي لا عبادة لهم عزيز هذا القول والاول أظهر والثاني أدق والمراد انه عبادة لهم لتلذذ الانتكاف فاز كره الخلقاني قال أبو السعد ودلا لسانه تعين الخاتمة اه قال القناس مذهب الخليل ان أن هذه مخففة من التقية والمعنى انه

الناس عن اتباع سبيل الله وشرعه وما جاءت به الأنبياء ويعتصمون أن تكون السبيل معوجة غير مستقيمة حتى لا يتبعها أحد وهم بالآخرة كافرون أي وهم ببقاء الله في الدار الآخرة كافرون أي جاحدون مكذبون بذلك لا يصدقونه ولا يؤمنون به فلهذا لا يزالون فيأبون المنكر من القول والعمل لانهم لا يخافون حسابا عليه ولا عقابا فوسم شر الناس أقوال الأراغمة لا (و منهم ما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون وإذا صرفت أبصارهم تلقا أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) ما ذكره الى مخاطبة أهل الجنة مع أهل النار به أن بين الجنة والنار حجابا وهو الحاجز المانع من وصول أهل النار الى الجنة قال ابن جرير وهو الدور الذي قال الله تعالى فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وهو الاعراف الذي قال الله تعالى فيه وعلى الاعراف رجال

يهرؤن باستناده عن السدى انه قال في قوله وبينهم ما حجاب هو السور وهو على الاعراف وقال مجاهد الاعراف حجاب بين الجنة والنار سورة باب قال ابن جرير والاعراف جمع عرف وكل من تقع من الارض عند العرب يسمى عرفا وانما قيل لعرف الذئب عرفا لارتفاعه وحدها سفيان بن وكيع حدثنا ابن عيينة عن عبد الله بن أبي ربيعة سمع ابن عباس يقول الاعراف هو الشيء المشرف وقال الثوري عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس قال الاعراف سور كعرف الذئب وفي رواية عنه الاعراف بين الجنة والنار حجب عليه أناس من أهل الذنوب بين الجنة والنار وفي رواية عنه هو سور بين الجنة والنار وكذا قال الضحاك

وغير واحد من علماء التفسير وقال السدي انما هي الاعراف اعراف لان افعالهم يعرفون واختلقت خبر التفسير في
أحساب الاعراف من هم وكذا اقرية ترجع الى معنى واحد وهو انهم قوم استوت حسنتهم وسيئاتهم نص عليه حذيفة وابن
عباس وابن مسعود وغير واحد من السلف والخلف رحيم الله وقد جاء في حديث من روى له الحافظ أبو بكر من مرويه حدثنا
عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا سعيد بن الحسين حدثنا سليمان حدثنا داود بن النعمان بن عبد السلام حدثنا شيخنا بقال له أبو عبد الله
عبد الله بن محمد بن عجيل عن جابر بن عبد الله قال سئل رسول الله صلى الله (١٩٥) عليه وسلم عن استوت حسنته وسيئاته فقال
أو لئلك أحساب الاعراف لم يدخلوها

وهم بطمعون وهذا حديث غريب
من هذا الوجه ورواه من وجوه
آخر عن سعيد بن سلمة بن أبي الحسام
عن محمد بن المنكدر عن رجل من
منه قال سئل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن استوت حسنته
وسيئاته وعن أحساب الاعراف
فقال انهم قوم خرجوا عصاة
بغير إذن آبائهم فقتلوا في سبيل
الله وقال سعيد بن منصور حدثنا
أبو معشر حدثنا يحيى بن شبيل
عن يحيى بن عبد الرحمن المزني عن
أبيه قال سئل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن أحساب الاعراف
قال هم ناس قتلوا في سبيل الله
بمعصية آبائهم فنعهم من دخول
الجنة معصية آبائهم ومنعهم من
النار قتلهم في سبيل الله ورواه ابن
مرويه وابن جرير وابن أبي حاتم
من طرق عن أبي معشر به وكذا
رواه ابن ماجه من طرق عن حديث
أبي سعيد الخدري وابن عباس
والله أعلم بهذه هذه الاخبار
المرفوعة وقصارها أن تكون
موقوفه فوسفه دلالة على ما ذكر

الحمد لله وقال المبرد يجوز أن تعمله خلفه علمها ثقله والرفع أقبس ولم يحك أبو عبد
الاختصاص قال أبو الهذيل الحد أول الكلام وآخر الكلام ثم تلا هذه الآية ولما ذكر الله
سبحانه الوعد على عدم الإيمان بالعاد ذكر أن هذا العذاب من حقه ان يتأخر عن هذه
الحياة الدنيا فقال (ولو يجعل الله للناس الشر) أي اجابة دعائهم بالشر محال فيه مضرة
وكبره في نفس وأموال والتعجيل تقديم الشيء قبل وقته وقال القائل لما وصفهم بالغبلة
أ كذلل الناس من غايه غفلتهم ان الرسول متى أتاهم استجابوا العذاب فبين الله سبحانه انه
لامصلحة في ابطال الشر اليهم فلعلمهم توبون أو يخرج سن أصلاهم من يؤمن قيل
ومعناه لو جعل الله للناس العقوبة (استجابوا بالخير) أي كما يستجابون بالنواب والخير
أي استجابا لمثل استجابهم قال مكي وهذا مذهب سيدي وأبو يعقوب لمثل استجابهم
وهذا تقدير أبي البقاء وهو الظاهر وقال الزمخشري أصله تعجيله لهم بالخير وهو ضعيف
جدا وقيل منصوب على اسقاط كاف التشبيه أي كما استجابهم والاستجاب طلب المجلة
(لقضى اليهم أجلهم) أي لا هلكهم وقيل معناه لا يموتوا قال ابن قتيبة ان الناس عند
الغضب والضجر قد يدعون على أنفسهم وأهلهم وأولادهم بالموت وتعجيل البلاء كما
يدعون بالرزق والرجة واعطاء المستول يقول لو أجابهم الله اذ ادعوه بالشر الذي يستجابون
به استجابهم بالخير فرغ من اهلا بهم ولكن الله عز وجل بقضاه وكرمه يستحب للداعي
في الخير ولا يستحب له في الشر وقال مجاهد في الآية هو قول الانسان لولده وأهله عند
الغضب لعنكم الله لا بارك الله فيكم وقال سعيد بن جبير هو قول الرجل للرجل اللهم
العنه اللهم اخزه وهو يحب أن يستجاب له وقال قتادة هو دعاء الرجل على نفسه وأهله
وماله بما يكره أن يستجاب له فيسه وقيل الآية خاصة بالكفار الذين أنكروا البعث
وما يترتب عليه وقيل نزلت في النضر بن الحارث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من
عندك فامطر علينا حجارة من السماء الآية وقرئ اقضى على البناء للفاعل وهي قراءة
حسنة لمناسبة ذلك لقوله ولو يجعل الله صورة القياس هكذا يجعل الله الشر للناس
لا هلكهم لكنهم لم يهلكهم بل أماتهم فلم يجعل لهم الشر ويدل على هذا القول قوله (تقدر
الذين لا يرجون لقاءنا) أي لا توقعونه فالقاء اللطف على مقدر يدل عليه الكلام فكانه
قيل لكن لا يجعل لهم الشر ولا يقضى اليهم أجلهم فيه نهرهم أي فيتركهم ويعلمهم

وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا هشيم أخبرنا حصين عن الشعبي عن حذيفة أنه سئل عن أحساب الاعراف قال فقال لهم قوم
استوت حسنتهم وسيئاتهم فقعدت بهم سيئاتهم من الجنة وخلفت بهم حسنتهم عن السارق قال فوقفوا هنا لا على السور حتى
يقضى الله فيهم وقدر وادمن وجه آخر أبسط من هذا فقال حدثنا ابن جندب حدثنا يحيى بن واضح حدثنا يونس بن أبي اسحق قال
قال الشعبي أرسل الى عبد الحميد بن عبد الرحمن وعنده أبو الزناد عبد الله بن كوان مولى قريش فأذاها ما قد ذكر أن أحساب
الاعراف ذكر ليس كذا كرافقت لهما ان شئنا أن بآن كما يحد كحذيفة فقال لا هات فقلت ان حذيفة ذكر أحساب الاعراف فقال

هم قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار وقعدت بهم سيئاتهم عن الجنة فاذا صرف أفعالهم تلقا أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فيبناهم كذلك اذ نزع عليهم ربنا فقال لهم اذهبوا فادخلوا الجنة فاني قد غفرت لكم وقال عبد الله بن المبارك عن أبي بكر اليماني قال قال سعد بن جبيرة وهو يحدث ذلك عن ابن مسعود قال يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسنة أو أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته أكثر من حسنة بواحدة دخل النار ثم قرأ قول الله فنقلت موازينه الا الذين هم نال الميزان يخففون عقال حجة ويرجح قال ومن (١٩٦) استوت حسنة وسيئة كان من أصحاب الاعراف فوقه وعلى الصراط

(في طغيانهم) أي الذي هو عدم ربه القاء وانكار البعث والجزاء وما يتفرع على أعمالهم السيئة ومقاتلتهم الشدة والطغيان التطاول وخوالعها والارتشاق (يعمهمون) يعني يتركهم يغيرون في تطاولهم وتكبرهم وعدم قبولهم الحق استدراجا لهم منه سبحانه وخذلانا ثم يبين سبحانه انهم كاذبون في استعمال الشر ولو أصابهم ما يطلبه الظاهر والهمز والجرع فقال (واذا مس الانسان الضر) أي هذا الجنس الصادق على كل ما يحصل الضرر به كالمرض والنقر (دعا بالجنبه) اللام للوقت أو يعنى على أي دعاء مضطجعا (أوقاعدا أو قاعما) كانه قال دعاء في جميع الاحوال المذمومة كورن وغيره واخص المذمومة كانه لا راد لها الا على الانسان ولا يتجاوزها عاده وما عداها نادرا كالكروع والسخود ويجوز أن يراد أنه يدعو الله حال كونه مضطجعا غير قادر على التقويم وقاعدا غير قادر على القيام وقاعما غير قادر على المشي والاول أولى قال الزجاج ان تعديدا أحوال الدعاء أبلغ من تعديدا أحوال المضرة لانه اذا كان داعيا على الدوام ثم نسي في وقت الرخاء كان أعجب وعن أبي الدرداء قال ادع الله يوم سرائك يستجاب لك يوم ضرائك وأقول أنا أن أكثر من شكر الله على السر الذي يدفع عني الضرر فان وعد الله أن لا يزيده النعم مؤذنا بدفعه عنهم التمتع لذات حلاوة النعمة عند وجوب مراة المقمة اللهم اجعل لنا بين جلب النعم وسلب النعم فانا نساكرك عددا مشاكرك الشاكرين ونحمدك عددا ماحدك الماحدون بكل لسان في كل زمان ومكان (فلما كشفنا عنه ضره) كان لم يدعنا (الى ضره) أي مضى على طريقته التي كان عليها قبل ان يمس الضر ونسي حالة الجهد والدواع المضيق والفقر وأهل جانب الله أو مضى عن موقف الدعاء والتضرع لا يرجع اليه كانه لا عهد له به كانه لم يدعنا عند ان مسه الضر الى كشف ذلك الضر الذي مسه وقيل معنى من استمر على كفره مشبه بمن لم يدعنا ولم يشكر ولم يعطف وعنده الحالة التي ذكرها الله سبحانه للداعي بالخص بآهل الكفر بل يتفق لكثير من المسلمين تليين السنن بالدعاء وقلوبهم بالخشوع والتذلل عند نزول ما يكرهون بهم فاذا كشفه الله عنهم غفلا عن التضرع والدعاء وذهلوا عما يجب عليهم من شكر النعمة التي أنعم الله بها عليهم من اجابة دعائهم ورفع منازلهم من الضر ودفع ما أصابهم من المكروه وهذا مما يدل على ان الآية تعم المسلم والكافر كما يشعر به لفظ الناس ولفظ الانسان اللهم أوزعنا شكر نعمك وأذكرنا

ثم عرفوا أهل الجنة وأهل النار فاذا نظروا الى أهل الجنة نادوا وسلام عليكم واذا صرف أفعالهم الى سيئاتهم ونظروا الى أهل النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين تعوذوا بالله من منازلهم قال فاما أصحاب الحسنات فانهم يعطون نورا عيشون به بين أيديهم وبأيامهم ويعطى كل عبد نورا وكل أمة نورا فاذا أنواع على الصراط سلب الله نور كل منافق ومنافقة فلما رأى أهل الجنة ما في المنافقون قالوا ربنا أتمم انوارنا وأما أصحاب الاعراف فان النور كان بأيديهم فلم ينزع فها كانت يقول الله تعالى لم يدخلوها وهم يطمعون فكان الطمع دخولا فان فقال ابن مسعود على أن العبد اذا عمل حسنة كتب له بها عشرة اذات عمل سيئة لم تكتب له الا واحدة ثم يقول هات من غلب واحدة أعشاره رواه ابن جرير وقال أيضا حدثني ابن زكيه حدثنا ابن جندب قال حدثنا جرير عن منصور عن حبيب بن أبي ثابت عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس قال الاعراف السور التي بين الجنة

والنار وأصحاب الاعراف بذلك المكان حتى اذا بدا الله ان يعاقبهم انطلق بهم الى نهر يقال له نهر الحياة حافته قضيب الذهب مكال بالآلوت ترابه المسك فائقوا فيه حتى تصلح ألوانهم وتبدو في ظهورهم شامة بيضاء يعرفون بها حتى اذا خلعت ألوانهم أتتهم الرحمن تبارك وتعالى فقال تنموا ما شئتم فيمتنون حتى اذا انقضت أميئتهم قال لهم ليكنم الذي تنتمون ومثلا سبعون ضعفا فدخلوا الجنة وفي ظهورهم شامة بيضاء يعرفون بها سبعون مائة كمين أهل الجنة وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن يحيى بن المغيرة عن ابن جرير وقد رواه مسفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن مجاهد عن عبد الله بن الحارث من قوله

وهذا أصح وأعلم وهكذا روى عن مجاهد والنخلك وغير واحد وقال سفيان بن داود حدثني جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن عمرو بن جرير وقال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف قال هم آخر من يفصل بينهم من العباد فإذا فرغ رب العالمين من الفصل بين العباد قال أقم قوم آخر حجتكم حسنتكم من النار ولم تدخلوا الجنة فأنتم عتقائي فأرعوهم الجنة حيث شئتم وهذا مرسل حسن وقيل هم أولاد الناحكا القريطي ورواه الحافظ بن عساكر في ترجمة الوليد بن موسى عن شعبة بن عثمان عن عروة بن ربيعة عن الحسن بن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أن مؤمنين من الجن لهم ثواب وعليهم عقاب فسالناه عن ثوابهم وعن مؤمنهم فقال على الأعراف وليسوا في الجنة مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم فسالناه وما الأعراف فقال حائط الجنة تجري فيه الأنهار وتنبت فيه الأشجار والثمار ورواه البيهقي عن ابن بشران عن علي بن محمد المصمري عن يوسف بن يزيد عن الوليد بن موسى به وقال سفيان الثوري عن خضيف عن مجاهد قال أصحاب الأعراف قوم صالحون فقهوا علماء وقال ابن جرير حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية عن سليمان التيمي عن أبي مجاز في قوله تعالى وفيهم ما يحب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم قال هم رجال من الملائكة يعرفون أهل الجنة وأهل النار قال ورواه أصحاب الجنة أن سلاسلهم على كذا ولهم وهم بطعون وإذا صرفت أبصارهم تلقا أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله بركة قال فقال حين

الأحوال التي منبت عاينها إجابة الدعاء حتى نستكثر من الشكر الذي لا نطيق سواه ولا نقدر على غيره وما اغناؤه وأحوالنا اليه ولت شكرتم لا زيدتكم (كذلك) أي مثل ذلك الترين العجيب أي كآزبن له الدعاء عند الضرر والاعراض عند الرخاء (زين) للمسرفين ما كانوا يفعلون أي علمهم والمصرف في اللغة هو الذي ينق المال الكثير لأجل الغرض الخسيس والترين هو ما من جهة الله تعالى على طريق التخليه وعدم الطغيبهم أو من طريق الشيطان بالوسوسة أو من طريق النفس الامارة بالسوء والمعنى انه زين لهم الاعراض عن الدعاء والفتنة عن الشكر والاستغفار بالشهوات ثم ذكر سبحانه ما يجري مجرى الردع والزجر عما صنعوه ولا عفا قال (ولقد أهلكنا القرون) يعني الام الماضية (من قبلكم) أي قبل هؤلاء الكفار المعاصرين للنبي صلى الله عليه وآله وسلم يعني أهلكناهم من قبل زمانكم وقيل الخطاب لأهل مكة على طريق الالتفات للمبالغة في الزجر (ما ظنوا) أي أهلكناهم حين فعلوا الظالمات ككذب والتجاري على الرسل والتطاول في المعاصي من غير تأخير لأهل كذبهم كما ذكرنا أهلكناهم وقيل الظلم هنا الشرك أي لما أشركوا (وجاءتهم رسلهم) الذين أرسلناهم اليهم (بالبينات) أي بالآيات الواضحات الدالة على صدق الرسل (وما كانوا يؤمنوا) الجلة اعتراضية واللام لتأكيد النفي أي وما صرح لهذه الام وما استقام أن يؤمنوا برسلهم لعدم استعدادهم لذلك وسلب اللطاف عنهم (كذلك) فجزي القوم المجرمين أي مثل ذلك الجزاء وهو الاستئصال الكلي لكل مجرم وهذا وعد شديد لمن كان في عصره من الكفار وألكناف مكة على الخصوص ثم خاطب سبحانه الذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال (ثم جعلناكم خلائف) أي استخلفناكم (في الأرض) بعد ذلك القرون التي تسمعون اخبارها وتنتظرون آثارها وانختلفت جمع خليفة وقد تقدم الكلام عليه في آخر سورة الانعام (لننظر كيف تعملون) اللام لام كي أي لكي ننظر أي عمل تعملون من أعمال الخير والشر أو على أي حالة تعملون الأعمال اللاتفة بالاستخلاف وقيل النظر هنا بمعنى العلم أي لختبر أعمالكم كقوله تعالى ليلوكم أيكم أحسن عملا ذكر الواحدى والارزى وقيل للتعامل معاملة من ينظر في استعارة عقيلة والاول أولى عن أبي سعيد الخدري أن رسول

يدخل أهل الجنة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون وهذا صحيح إلى أبي مجاز لاحق بن جده أحد التابعين وهو غريب من قوله وخلاف الظاهر من السياق وقول الجوهري ومقدم على قوله بدلالة الآية على ما ذهبوا اليه وكذا قول مجاهد أنهم قوم صالحون علموا فقههم غراية أيضا والله أعلم وقد حكى القريطي وغيره فيهم اثني عشر قولاً منها أنهم شهدوا أنهم صلحاء ففرعوا من فرع الآخرة وجعلوا يظلمون على أخبار الناس وقيل هم أنبياء وقيل ملائكة وقوله تعالى يعرفون كلا بسيماهم قال على ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال يعرفون أهل الجنة بسيماض الوجوه وأهل النار بسواد الوجوه وكذا روى النخلك عنه وقال

العوفى عن ابن عباس أنهم أتته بكتاب المنزلة يعرفون من في الجنة والنار ويعرفوا أهل النار يسود الوجود ويعوذوا بالله أن يجعلهم
مع القوم الظالمين وهم في الدنيا يحبون أهل الجنة بالسلم لم يدخلوها وهم يطمعون أن يدخلوها وهم داخلوها عن الله وكذا قال
مجاهد والنسائي والسندي وابن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم وقال معمر بن الحسن أنه تلا هذه الآية لم يدخلوها وهم
يطعمون قال رآته ما جعل ذلك يطعم في قلوبهم إلا لكرامة يريد بهم وقال قتادة أنباكم الله بكنتم من الطمع وقوله وإذا صرفت
أبصارهم تلقاه أصحاب النار قال الزبير بن النضر (١٩٨) مع القوم الظالمين قال النضر عن ابن عباس أن أصحاب الاعراف إذا انقروا

الله صلى الله عليه وآله وسلم قال إن الدنيا خسران الله مستحقكم فيها
فيستذكرون فاعلموا أن الدنيا خسران الله وأما ما غلطتم فيه من القرآن من أن
سبحانه رعا فلان ثمان فتمت وتلا عليهم ما يفسق قال (وإذا نسي عظيمهم) فيه الثقات عن
النسائي عليهم آيات الله التي أثبت التوحيد وإبطال الشرك حال كونها (بيات) أي
واضحات إذ لا تلي إلا للأنبياء (قال ابن كثير لا يرجون لقاءنا) أي لا يخافون البعث وهم
المذكورين للبعد وقال قتادة هم مشركو مكة وقد تقدم تفسيره قريشاً أي قالوا لمن يلوذ
عليهم وهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (أثبت بقرآن غير هذا أو نبه) طلبوا منه صلى
الله عليه وآله وسلم أن يجعلوا ما غلطتم فيه من القرآن من أن سجدوا لغيره من القرآن من أن سجدوا لغيره
والوعد الشديدين بغيره أحد أمرين أما الايمان بقرآن غير هذا القرآن مع بقاء هذا
القرآن على حاله وأما تبديل هذا القرآن بنسخ بعض آياته أو كلها ووضع أخرى مكانها
مما يطابق ارتدادهم ويلائم غرضهم قال الرازي أقدمهم على هذا الاتهام على سبيل
السخرية والاستهزاء أو على سبيل التجربة والامتحان حتى انه لو فعل ذلك علموا انه كاذب
في قوله ان هذا القرآن ينزل عليه من عند الله تعالى فأمره الله أن يقول في جوابهم (قل
ما يكون) أي ما ينبغي ولا يحل (لما أن أريد من تلقا نفسي) ففني عن نفسه أحد القسمين
وهو التبديل لأنه الذي يمكنه لو كان ذلك جائزاً لجاز في القسم الآخر وهو الايمان بقرآن
آخر فان ذلك ليس بوسع ولا يقدر عليه وقيل انه صلى الله عليه وآله وسلم فني عن نفسه
اسم القسمين ليكون دليلاً على فني أصعب ما بالطريق الأولى وهذا منه صلى الله عليه
وآله وسلم من باب مجازاة الشفاء إذ لا يصدر مثل هذا الاقتراح عن العقل بعد أن أمره
الله سبحانه بذلك وهو أعلم بالصالح عباده وما يندفع الكفار عن هذه الطلبات السافطة
والسؤال الباردة قال ابن جراح سأله اسقاط ما فيه من ذكر البعث والنشور وقيل سأله
أن يسقط ما فيه من عيب آلهتهم ونسبهم أحلامهم وقيل سأله أن يحول الوعد وعيدا
والحرام حلالاً والحلال حراماً ثم أمره أن يؤسككم ما أجاب به عليهم من أنه ما صلب ولا
استقام أن يبدله من تلقا نفسه بقوله (أن أتبع الاماوحى الى) من عند الله سبحانه من
غير تبديل ولا تحويل ولا تحريف ولا تعجب فقصر حاله صلى الله عليه وآله وسلم على

أهل النار يعرفونهم فأورثنا
لا يجتمع مع القوم الظالمين وقال
السندي وإذا مروا بهم يعني بأصحاب
الاعراف برزهم تذهب بها إلى النار
فأورثنا لا يجتمع مع القوم الظالمين
وقال حكيم بن محمد وجوههم في النار
فإذا رأوا أصحاب الجنة ذهب ذنب
عنهم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم
في قوله وإذا صرفت أبصارهم تلقاه
أصحاب النار قرأوا وجودهم مسودة
وأعينهم من رقة فأورثنا لا يجتمعنا
مع القوم الظالمين (ونادى أصحاب
الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم
قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم
تستكبرون أهؤلاء الذين أقسمتم
لأنفسهم الله رحمة ادخلوا الجنة
لا تخوف عليكم ولا أنتم تحزنون)
يقول الله تعالى أخبار عن تقريع
أهل الاعراف لرجل من صناديد
المشركين وقادتهم يعرفونهم في
النار بسيماهم ما أغنى عنكم جمعكم
أي كثرتكم وما كنتم تستكبرون
أي لا يتفعلكم كثرتكم ولا جوعكم
من عذاب الله بل صرتم إلى ما كنتم
فيه من العذاب والنكال أهؤلاء
الذين أقسمتم لأنفسهم الله رحمة

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني أصحاب الاعراف ادخلوا الجنة لا خوف عليكم
ولا أنتم تحزنون وقال ابن جرير حدثني محمد بن سعد حدثني أي حدثني يحيى حدثني أي عن أبيه عن ابن عباس قال ما أغنى عنكم
جمعكم الآية قال فلما قال لهم الله الذي قضى الله أن يقولوا يعني أصحاب الاعراف لاهل الجنة وأهل النار قال الله لاهل التكبر والاموال
أهؤلاء الذين أقسمتم لأنفسهم الله رحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون وقال حذيفة أن أصحاب الاعراف قوم
تكاثفت أعمالهم فقصرت بهم حسناتهم عن الجنة وقصرت بهم سيئاتهم عن النار فجعلوا على الاعراف يعرفون الناس بسيماهم

فما قضي الله بين العباد أن لهم في طلب الشفاعة فأولوا آدم فقالوا يا آدم أنت أولنا فاشفع لنا عند ربك فقال هل تعلمون أن أحدنا خلقه الله بيده وفتح فيه من روجه وسبق رجته إليه غضبه وسجدت له الملائكة غيري فيقولون لا فيقول ما علمت مكانه ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن اتوا النبي إبراهيم فأتوا نبي الله صلى الله عليه وسلم فيسألون أن يشفع لهم عند ربهم فيقول هل تعلمون من أحد اتخذ الله خليلا هل تعلمون أن أحد أحرقه قومه بالنار في الله غيري فيقولون لا فيقول ما علمت مكانه ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن اتوا النبي موسى فأتوا موسى عليه السلام فيقول (١٩٩) هل تعلمون من أحد كلمه الله تكلمه وأقر به نجيا غيري فيقولون لا فيقول ما علمت

كنهه ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن اتوا عيسى فأتوا عيسى عليه السلام فيقولون له اشفع لنا عند ربك فيقول هل تعلمون أحد خلقه الله من غير أن فيقول لا فيقول هل تعلمون من أحد كان يبرئ الأكمه والابرص ويحيي الموتى ياذن الله غيري قال فيقولون لا فيقول أنا حجيح نفسي ما علمت كنهه ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن اتوا محمد صلى الله عليه وسلم فأتوا فاضرب يدي على صدري ثم أقول أنا هاهنا ثم أمشي حتى أقف بين يدي العرش فأتني ربي عز وجل فيفتح لي من السماء ما لم يسمع السامعون ثم يهبط ثم أسجد فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وسلك تعظه واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول رب امتح فيقول هم لك فلا يبعني في مرسل ولا ملاك مقرب الا غطني بذلك المقام وهو المقام المحمود فأت بهم الجنة فاستفتح فيفتح لي ولهم فيذهب بهم إلى منبر يقال له منبر الخيوان حافضا قصب مكال باللوثر أتراه المسك وحصباؤه الياساقون فيعتلون منه فتعود

اتباع ما يوحى اليه ويرى ما كان قصد الكفار بهذا السؤال التعريض للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن القرآن كلامه وأنه يقدر على الاتيان بغيره والتبديل له ثم أمره الله سبحانه أن يقول لهم تكلموا لي الجواب عليهم (أني أخاف أن عصيت ربي عذاب يوم عظيم) فان هذه الجملة كالتعليل لما قدمه من الجواب قبلها واليوم العظيم هو يوم القيامة أي أني أخاف أن عصيت ربي بفعل ما أطلبون علي تقدير ما كانه عذاب يوم القيامة ثم أكد سبحانه كون هذا القرآن من عند الله وأنه صلى الله عليه وآله وسلم أتى بالبعث اليهم منه ما أمره الله بتبليغه لا يقدر على غير ذلك فقال (قل لو شاء الله) أي أن هذا القرآن المتلو عليكم هو عسيمة الله وأراد أنه ولو شاء الله أن لا أتلو عليكم ولا أبلغكم إياه (ما تلوته عليكم) فالامر كله منوط بعسيمة الله ليس لي في ذلك شيء (ولا أدرككم به) أي لو شاء الله ما أدرككم بالقرآن أي ما أعلمكم به على إنساني يقال دريت الشيء وأدركني الله به هكذا اقرأ الجهور بالان من أدرا يدربه أعلمه ويعلمه وقرأ أن كثير ولا أدرككم به بغير أني بين اللام والهمزة والمعنى لا أعلمكم به على لسان غيري من غير أن أتلو عليكم فيكون اللام تاما كيدخلت على ألف أفعل وقد قرئ أدرككم بالله من ذقيل هي منقلبة عن الالف لكونها من واحد واحد ويحتمل أن يكون من درأته إذا دفعته وأدرا أنه إذا جعلته داريا والمعنى لا أجعلكم بتلاوته خصماء تدرونني بالجدال وتكذبوني وقرأ ابن عباس والحسن ولا أدرككم به قال أبو حاتم أصله ولا أدرككم به فأبدل من الياء ألفا قال الححاس وهذا غلط والرواية عن الحسن ولا أدرككم به بالهمزة (فقد لبثت فيكم عرمان قبله) تعليل لكون ذلك بعسيمة الله ولم يكن من النبي صلى الله عليه وآله وسلم الا التبليغ أي أفت فيما بينكم زمانا طويلا من قبل القرآن وهو أربعون سنة تعرفوني بالصدق والامانة لست بمن يقرأ ولا ممن يكتب (أفلا تفتحون) الهمزة لانه قريب والتوبيخ أي أفلا تجربون على ما يقتضيه العقل من عدم تكذبي لما عرفتم من العادة المستمرة في المدة الطويلة بالصدق والامانة وعدم قرأت الكتب المنزلة على الرسل وتعلمي لما عند أهلها من العلم ولا تطلي لشي من هذا الشأن ولا حرصى عليه ثم جئتكم بهذا الكتاب الذي يحجزكم عن الاتيان بسورة نفسه وقصرتم عن معارضته وانتم العرب المشهود ولهم بكل الفصاحة المعترف لهم بانهم بالاعوان فيها الى مبلغ لا يتعلق به

اليهم أولان أهل الجنة ويرى فصورون كأنهم الكواكب الدرية يبقى في صدورهم شامات يرض يعرفون بها يقال مساكن أهل الجنة (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفصوا عن امناء من الماء وعما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم نساها كنسوا القاء يومهم هذا وما كانوا بائنا يتجحدون) يخبر تعالى عن ذلة أهل النار وسؤالهم أهل الجنة من شرابهم وطعامهم وانهم لا يجاون الى ذلك قال السدي ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفصوا عن امناء من الماء وعما رزقكم الله يعني الطعام وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يستطعمونهم ويستسقونهم وقال الثوري عن عثمان الثقفي عن سعيد بن جبير في هذه الآية قال نادى الرجل أباه وأخاه فيقول له قد احترقت فأفوض علي من الماء فيقال

أول ما أحسبوهم فيقولون إن الله حرمهم على الكافرين وروى من وجه آخر عن سعيد بن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم إن الله حرمهم على الكافرين يعني طعام الجنة وشرابها قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هرون بن علي أخبرنا موسى بن المغيرة حدثنا أبو موسى الضاري دار عمرو بن مسلم قال سألت ابن عباس أئى الصدقة أفضل فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصدقة الماء ألم تسمع إلى أهل النار لما استعاثوا بأهل الجنة قالوا أفصوا علينا من الماء وعمار زككم الله وقال أيضا حدثنا أفضل الصدقة الماء ألم تسمع إلى أهل النار لما استعاثوا بأهل الجنة قالوا أفصوا علينا من الماء وعمار زككم الله وقال أيضا حدثنا عجلون بن سنان حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش (٢٠٠) عن أبي صالح قال قال عمر بن الخطاب قالوا لو أرسات إلى أن أخيل هذا

يرسل اليك بعنة ومن الجنة له
نيس فيك به فاه الرسول وأبو
بكر عند النبي صلى الله عليه وسلم
قال أبو بكر إن الله حرمه ما على
لكافرين ثم وصف تعالى الكافرين
فما كانوا يعتقدونه في الدنيا بما تحذوهم
الدين لهوا ولعبا واعتبر بهم بالدينا
وزينتها وزخرفها عما أمر وأبه من
العمل للآخرة وقوله فاليوم
ننساكم كانسوا القاء يومهم هذا أي
نعاداهم بمعاملته من نسيهم لأنه
تعالى لا يشد عن علمه شيء ولا ينسا
كما قال تعالى في كتاب لا يضل ربي ولا
ينسى وإنما قال تعالى هذا من باب
المقابلة كقوله نسوا الله فنسيهم
وقال كذلك آياتنا فسفدتها
وكذلك اليوم ننسى وقال تعالى
وقيل اليوم ننساكم كانسيتم لقاء
يومكم هذا وقال العوفي عن ابن
عباس فاليوم ننساكم كانسوا القاء
يومهم هذا قال ننسيهم الله من الخبير
ولم ينسهم من الشر وقال علي بن
أبي طلحة عن ابن عباس قال نتركهم
كما نتركوا القاء يومهم هذا وقال
مجاهد نتركهم في النار وقال
السدّي نتركهم من الرحمة كما تركو

غيركم أخرج ابن أبي شيبة والبخاري والترمذي عن ابن عباس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأربعين سنة فكشبت بحكمة ثلاث عشرة يومياً إليه ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة وعن السدي نحوه قال أنشأه في عروه صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث روايات أحدها أنه توفي وهو ابن ستين سنة والثانية حين وستون سنة والثالثة ثلاث وستون سنة وهي الصحيح وأشهرها رواه مسلم من حديث أنس وعائشة وابن عباس واتفق العلماء على رواها ولو الباقي عليه فرواية ستين سنة اقصر فيها على العقود وترك الكسر ورواية الخمس متأولة أيضاً بأنها حصل فيها الشبهة (فن أظلم) استفهام فيه معنى الجحد أي لأحد أظلم (من افتري على الله كذباً) زيادة كذباً مع أن الافتراء لا يكون إلا كذباً البيان أن هذا مع كونه افتراء على الله هو كذب في نفسه فربما يكون الافتراء كذباً في الأسناد فقط كما إذا ساند زندي إلى عرو وذكره عن هذا الواسع وفي تفسيره قبل وهذا من جله رده صلى الله عليه وآله وسلم على المشركين لما طلبوا منه أن يأتي بقرآن غير هذا القرآن أو يسدله فين لهم أنه لو فعل ذلك لكان من الافتراء على الله ولا ظلم عادل ذلك وقيل المقترى على الله الكذب هم المشركون (أو كذباً يأتيه) وهم أهل الكتاب (أنه) أي ان الشأن (لا يفلح المجرمون) تعليل لما قبله أي لا يظفرون بمحلول ولا يفوزون بخير قال عكرمة قال النضر إذا كان يوم القيامة شفعت في اللات والعزى فأقرن الله هذه الآية ثم نعى الله سبحانه عليهم عبادة الأصنام وبن أنهم لا تتفع من عباده ولا ينصرون لم عباده فقال (ويعبدون من دون الله) أي متجاوزين الله سبحانه إلى عبادة غيره لا بمعنى ترك عبادة بالكلية بل بمعنى عدم الاكتفاء بهم وخدم عبادة الغير إليها التقرب والشفاعة (مألاً يضرهم ولا ينفعهم) أي ما ليس من شأنه الضر ولا النفع ومن جنى المعبود أن يكون مثبلاً أن أطاعه معاقباً أن عصاه ونفى الضر والنفع هناعن الأصنام باعتبار الذات وإثباتهم الماهية الحق في قوله يدعون ضربه أقرب من نفعه باعتبار السبب فلا منافاة بينهما (ويقولون هو لا شفاعة وأعند الله) أي زعموا أنهم يشفعون لهم في الآخرة فلا يعذبهم الله بدفعهم قاله ابن جرير وهذا غاية الجهالة منهم حيث ينظرون الشفاعة في المال لمن لا يؤجر منه نفع ولا ضرفي الحال وقيل أرادوا بهذا الشفاعة إصلاح

السدى تتركهم من الرحمة كما تركوا
 أن يعملوا للقاء ربهم هذا وفي الصحيح أن استعاضى بقول العبد يوم القيامة ألم أزوجك أم أكرمك
 ألم أسخر لك الخيل والابل وأذكرك ترأس وتربع فيقول أظننت أنك ملاقي فيقول لا فيقول الله تعالى فاليرحم أسألك كما
 نسيتني (ولقد حسناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورسالة لقوم يؤمنون هل ينظرون إلا تأويله يوم تأتي تأويله يقول الذين نسوه
 من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا للتأويل فضع عمل غير الذي كان يعمل قد خسر وأنتفسهم وضيع عنهم
 ما كانوا يفتخرون) يقول تعالى مخبراً عن أعدائه إلى المشرقين بارسل الرسول إليهم بالكتاب الذي جاء به الرسول وأنه كتاب مفصل

مبين كقوله كتاب أحكمت آياته ثم فصلت الآية وقوله فصلناه على علم أي على علم متابع فصلناه به كقوله أنزله بعلمه قال ابن جرير وهذه الآية مر دودة على قوله كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدورك حرج منه الآية ولقد جئناهم بكتاب الآية وهذا الذي قاله فيه نظرافة قد طال الفصل ولادليل عليه وأما الأمر انه لما أخبر بما صاروا اليه من الحسار في الآخرة قد أراح علالهم في الدنيا بإرسال الرسل وازال الكتب كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ولهذا قال هل ينظرون إلا تأويله أي ما وعدوا به من عذابه والجنة والنار قاله مجاهد وغير واحد وقال مالك ثوابه (٢٠١) وقال الرازي لا ينبغي من تأويله أمر

أحوال دنياهم قاله الحسن أي لا نكارهم البعث وما يترتب عليه ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يجيب عنهم فقال (قل) لهم تبكيتنا (أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض) والمعنى يتخبرون الله ان له شركا في ملكه يعبدون كما يعبدون أو يتخبرونه ان لكم شفعا بغير اذنه والله سبحانه لا يعلم لنفسه شريكا ولا شفيعا بغير اذنه من جميع مخلوقاته الذين هم في سواها وفي أرضه وهذا الكلام حاصله عدم وجود من هو كذلك أصلا وفي هذا من التكميل كما في الكفر بما لا يخفى (سبحانه وتعالى عما يشركون) بالباء والتاء اسميتان زعم الله سبحانه نفسه عن اشراكهم وهو محتمل أن يكون ابتداء كلام غير داخل في الكلام الذي أمر الله سبحانه رسوله بأن يجيب به عليهم ويحتمل أن يكون من تمام ما أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول لهم جوابا عليهم (وما كان الناس) قد تقدم نفسه في البقرة والمعنى أن الناس جميعا كانوا (الآمة واحدة) موحدة لله سبحانه ومثنية من لدن آدم إلى نوح وقيل من عهد ابراهيم الى عمرو بن لحي لأن التوحيد والاسلام مله قديمة اجمعت عليها الناس قاطبة فطوره وتشريعا وأن الشرك وفروعه جهالات ابتدعتها الغواية (فاختلفوا) أي فصار البعض كافرا وبقي البعض الآخر مؤمنا خالف بعضهم بعضا وقال الزجاج هم العرب كانوا على الشرك وقال كل مولود يولد على الفطرة فاختلفوا عند البلوغ والاول أظهر وليس المراد ان كل طائفة اختلفت ملته من ملل الكفر بخلافه الاخرى بل المراد كفر البعض وبقي البعض على التوحيد كما قد ساء وقال ابن مسعود كانوا على هدى وروى أنه قرأ هكذا وعن مجاهد قال آدم وحده فاختلفوا حين قتل احدا بنى آدم أخاه وعن السدي قال اهل دين واحد على دين آدم فكفروا وقيل ليس في الآية ما يدل على اي دين كانوا من ايمان او كفر فهو وقوف على دليل من خارج وقيل كانوا في الكفر وهو مقول عن جماعة من المفسرين والاول اولي (ولو لا كلمة سبقت من ربك) وهي انه سبحانه لا يقضي بينهم فيما اختلفوا فيه الا يوم القيامة (لنقضى بينهم) في الدنيا بنزول العذاب وتنجيل العقوبة للكافرين وصكان ذلك فصلا بينهم (فيما فيه يختلفون) لكنه قد امتنع ذلك بالكلمة التي لا تختلف وقيل المعنى لنقضى بينهم بأقامة الساعة عليهم وقيل لفرغ من هلاكهم وقيل الحكمة ان الله أمهل هذه الامة فلا

حتى يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فيتم تأويله يومئذ وقوله يوم يأتي تأويله أي يوم القيامة قاله ابن عباس يقول الذين نسوه من قبل أي تركوا العمل به وتناسوه في الدار الدنيا قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شئنا في شفعنا فيهم أم لا بل لنا أي في خلاصنا مما صرنا اليه أو نرد الى الدار الدنيا فنعلم غير الذي كنا فعل كقوله ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا زدونا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدلهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون كما قال ههنا قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يشترون أي ذهب عنهم ما كانوا يعبدونهم من دون الله فلا يشفعون فيهم ولا ينصرونهم ولا يقضونهم مما هم فيه (ان ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره لا اله الا هو العزيز المتكبر) والآخر تبارك الله رب العالمين يحضر تعالى انه خالق العالم سمواته

(٢٦ - فتح البیان ح) وأرضه وما بين ذلك في ستة أيام كما أخبر بذلك في غير ماية من القرآن والسنة الايام الاحد والاشين والثلاثا واما الاربعاء والخميس والجمعة وفيه اجتمع الخلق كله وفيه خلق آدم عليه السلام واختلفوا في هذه الايام هل كل يوم منها كهذه الايام كما هو المتبادر الى الاذهان أو كل يوم كالف سنة كما نص على ذلك مجاهد والامام أحمد بن حنبل ويروى من رواية الضحاك عن ابن عباس فأما يوم السبت فلم يقع فيه خلق لانه اليوم السابع ومنه سمي السبت وهو القطع فأما الحديث الذي رواه الامام أحمد بن مسنيد حيث قال حدثنا جابر بن جريح أخبرني اسمعيل بن أمية عن أيوب بن خالد

عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة عن أبي هريرة قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يدي فقال خلق الله التربة يوم السبت وسنن الخيال فيها يوم الأحد وخلق الشجر فيها يوم الاثنين وخلق المكره يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل فقدر وادع مسلم بن الحجاج في حجة والناس من غير وجه عن حجاج وهو ابن محمد الأعور عن ابن جريح به وفيه استعجاب الأيام السبعة والله تعالى قد قال في ستة أيام ولقد أتاكم القرآن وغير واحد (٢٠٢) من الحفاظ في هذا الحديث وجعله من رواية أبي هريرة عن كعب

بهم لكهم بالعذاب في الدنيا قاله الكلبي وقيل الكلمة أنه لا يأخذ أحد الا بحجة وهي ارسال الرسل كما قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقيل الكلمة قوله سقت رحتي غضبي وعبر بالمضارع عن الماضي حكاية للعالم الماضية (ويقالون) ذكر سبحانه ههنا نوعا رباعيا من مخازيهم وجاها بالمضارع لاستحضار صورة ما قالوه قبل والفاظا ثلثون هم أهل مكة كأنهم لم يعتدوا بما قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الآيات الباهرة والمجربات القاهرة التي لم يكن منها الا القرآن لكنني بعدد لا ينال مصادقها قطعا (ولولا) أي هلا (أنزل عليه آية) من الآيات التي تقرر حقا عليه ونظما به كآيات الاموات وجعل الجبال ذهابا ونحو ذلك (من ربه) كما كان للانبياء من الناقة والعصا واليد ثم أمر الله سبحانه أن يحجب عنهم فقال (فقل انما الغيب لله) أي ان نزول الآية غيب والله هو المحيط بعلمه المستأثر به لا على ولا لكم ولا سائر مخلوقاته وانما على التبليغ (فانتظروا) نزول ما تقرحقوه من الآيات (ان معكم من المستقرين) لنزولها وقيل المعنى انتظروا قضاء الله بيني وبينكم بانظار الحق على الباطل وقال الربيع خوقهم عذابه وعقوبته ان لم يؤمنوا (واذا أدقنا الناس رجعة من بعد ضراعتهم اذ لهم مكر في آياتنا) لما بين سبحانه في الآية المقدمة انهم طلبوا آية عند ادوا مكر او لحاجا كذالك بما ذكره ههنا من انه سبحانه اذا أدقهم رجعة منه من بعد ان مستهم الضراعة فاعلوا مقابله هذه النعمة العظيمة المكر منهم في آيات الله والمراد بادقهم رجعتهم سبحانه انه توسع عليهم في الارزاق وأدر عليهم النعم بالطر والخصب وصلاح الثمار بعد ان مستهم الضر بالخسب وضيق المعاش فاشكروا نعمته ولا قدر وهاحق قدرها بل أضافوها الى أصنامهم التي لا تنفع ولا تنضر وطعنوا في آيات الله واحتالوا في دفعها بكل حيلة وهو معنى المكر فيها واذا الاولى شرطية وجوابها اذ لهم مكر وهي غفائية ذكر معنى ذلك الخليل وسيبويه ويستفاد منه السرعة لان المعنى انهم فاجؤا المكر أي أوقعوه على جهة النجاة والسرعة وقال مجاهد في الآية استهزؤا وتكذب وهذا تفسير مرادوا لافاضل المكر اخفاء الخليل والمكابد وقال مقاتل لا يقولون هذا رزق الله انما يقولون سقينا بنوه كذا وكذا ثم أمر الله سبحانه رسوله ان يحجب عنهم فقال (قل الله أسرع مكرًا) أي أسرع عقوبة وأسند أخذ أو قدر على الجزاء من سرعة مكرهم وقدر على التفضل على ان مكرهم كان سرعا ولكن مكر الله

الاخبار ليس مرفوعا والله أعلم وأما قوله تعالى ثم استوى على العرش فلناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدا ليس هذا موضع بسطها وانما يكفى في هذا المقام مذنب السلف الصالح مالك والاوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد وابن حنبل بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديما وحديثا وهو امرها كما حافت من غير تكيف ولا تشبيه ولا تعطيل والظاهر المتبادر الى اذهان المشبهين معنى عن الله فان الله لا يشبهه شيء من خلقه وليس كشيء وهو السميع البصير بل الامر كما قال الله تعالى نعم من جاد الخرازى شيخ البخارى قال من شبه الله بخلقه كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس فيه ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه فمن أثبت لله ما وردت به الآثار الصريحة والاخبار العجيبة على الوجه الذي يليق بجلال الله ونفى عن الله تعالى النقائص فقد سلك سبيل الهدى وقوله تعالى يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا أي يذهب ظلام هذا بضياء هذا وضياء هذا بظلام هذا وكل منهما يطلب الآخر طلبا

حثيثا أي سرعا لا يتأخر عنه بل اذا ذهب هذا جاء هذا وعكسه كقوله وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجري لسبقها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون فقوله ولا الليل سابق النهار رأى لا يقوته بوقت يتأخر عنه بل هو في أثره بلا واسطة بينهما ولهذا قال يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره من من نصب ومنهم من رفع وكلاهما قريب المعنى أي الجميع تحت قهره وتجنيد ومشيئته ولهذا قال منها آله الخلق والامر أي له الملك والتصرف تبارك

أسرع

مهدي حدثنا شعبة عن زياد بن خرق سمعت أبا نعام عن مولى له أن سعدا جمع ابنه يدعو وهو يقول اللهم اني أسألك الجنة
 رغبها واستبرقها ونحوها من هذا أو عوذ بك من النار وسلاسلها واغلالها فقال لقد سألت الله خيرا كثيرا وعوذت به من شر كثير
 واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه سيكون قوم يعتدون في الدعاء وفي لفظ يعتدون في الطهور والدعاء وقرأ
 هذه الآية ادعوا ربكم تضرعا ولاية وان يجيبك الله تقول اللهم اني أسألك الجنة وما قرب اليها من قول أو عمل وأعوذ بك من النار
 وما قرب اليها من قول أو عمل وأعوذ بالله (٢٠٤) من حديث شعبة عن زياد بن خرق عن أبي نعام عن مولى له سعد فذكره والله

والتعبيد كان عكس ذلك في قوله اياك تعبد دليل الرضا والقريب (برج طيبة) أي
 ساكنة لينة الهبوب الى جهة المقصد والبناء للسمية والجمال (وفرحوها) أي بريح
 السقيفة قاله القيد المعتبرة في الشرط ثلاثة ولها الكون في الفلك والثاني جوهم بالريح
 الطيبة التي ليست بعاصفة وثالثها فرحهم والقيد المعتبرة في الجزء ثلاثة الاول (جاءها)
 أي جاءت الفلك وعارضته وقابلته أوجأت الريح الطيبة أي تلتها (ريح عاصف) أي ذات
 عصف وهو من باب التنب كلابن وناهر وهو عما يستوى فيه المذكر والمؤنث كما صرحوا
 به والعصف في شدة هبوب الريح وهي الهواء بين السماء والارض والجمع أرواح ورياح
 وقيل أرواح على لفظ الواحد وظلته أبو حاتم وهي مؤنثة على الأكثر وقد تدكر على معنى
 الهواء نقله أبو زيد وقال ابن الأنباري الريح مؤنثة لاعلامه فيها وكذلك سائر أسماءها الا
 الا عصارفاته مذكر وراح اليوم بروح ورحمن باب قال وفي لغة من باب خاف اذا اشتدت
 ريجه فهو رائج والثاني (جاءهم) أي ركبوا السفينة (الموج من كل مكان) أي من
 جميع الجوانب للفلك والموج ما ارتفع من غوارب الماء وعلا فوق البحر وقيل هوشدة
 حركة الماء واختلاطه (و) الثالث (ظنوا أنهم أحيط بهم) أي غلب على ظنهم الهلاك
 وأصله من احاطة العدو بقوم أو ببلد فجعل هذه الاحاطة مثلا في الهلاك وان كان بغير
 العدو كما هنا وهو استعادة تعبئة وقيل الظن هنا البقي أي أيقنوا أنه الهلاك وقيل بل
 المراد المقاربة من الهلاك والدؤمنة والاشراف عليه وقوله (دعوا الله) بدل من ظنوا
 لكون هذا الدعاء الواقع منهم انما كان عند ظن الهلاك وهو الباعث عليه فكان بدلانه
 بدل اشتغال الاشغال عليه ويمكن أن يكون جملة مستأنفة كأنه قيل ماذا صنعوا فقبل
 دعوا الله (مخلصين له الدين) أي لم يشوبوا دعاءهم شيء من الشوائب كجرت عاداتهم
 في غير هذا الموطن انهم يشركون أصنامهم في الدعاء وليس هذا اجل الايمان بالله وحده
 بل لاجل أن ينجيهم مما شارقوه من الهلاك لعلمهم انه لا ينجيهم الا الله سبحانه وفي هذا دليل
 على أن اطلاق جبالوا على الرجوع الى الله في الشدائد وان المضطر يحتاج دعاءه وان كان
 كافرا وفي هذه الآية بيان انه هؤلاء المشركين كانوا يلتفتون الى أصنامهم في هذه
 الحالة وما شابهها فبما عجايب ما حدث في الاسلام من طوائف يعتقه دون في الاموات فاذا
 عرضت لهم في الجمر مثل هذه الحالة دعوا الاموات ولم يخصوا الدعاء الله كما فعل المشركون

أعلم وقال الامام أحمد حدثنا
 عفان حدثنا جاد بن سلة أخبرنا
 الجري عن أبي نعام ان عبد الله
 ابن مغفل سمع ابنه يقول اللهم اني
 أسألك القصر الايض عن عيين الجنة
 اذا دخلتها فقال يا بني سل الله الجنة
 وعذبه من النار فاني سمعت رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون
 قوم يعتدون في الدعاء والطهور
 وهكذا رواه ابن ماجه عن أبي بكر
 ابن أبي شيبة عن عفان به وأخرجه
 أبو داود عن موسى بن اسمعيل عن
 جاد بن سلة عن سعيد بن اباس
 الجري عن أبي نعام واسمه قيس
 ابن عباة الخنفي البصري وهو اسناد
 حسن لا بأس به والله أعلم وقوله
 تعالى ولا تفسدوا في الارض
 بعد اصلاحيها ينهي تعالى عن
 الافساد في الارض وما أضربه بعد
 الاصلاح فانه اذا كانت الامور
 ماشية على السداد ثم وقع الفساد
 بعد ذلك كان أضرا ما يكون على
 العباد فنهى تعالى عن ذلك وأمر
 بعبادته ودعائه والتضرع اليه
 والتذلل لديه فقال وادعوه خوفا
 وطمعا أي خوفا مما عنده من وويل

العقاب وطمعا فيما عنده من جزيل الثواب ثم قال ان رجة الله قريب من المحسنين أي ان رحمة
 من صدق المحسنين الذين يتبعون وأمره ويتروكون زواجره كما قال تعالى ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبكم للذي تتقون الآية
 وقال قريب ولم يقل قريبة لانه ضمن الرحمة معنى الثواب أولا نهامضا في الله فلهذا قال قريب من المحسنين وقال مطر
 الوراق استنجزوا موعود الله بطااعته فانه قضى أن رحمة قريب من المحسنين رواه ابن أبي حاتم (وهو الذي يرسل الرياح نشر ابن
 يدي رحمة حتى اذا ألقته بها باثقا لاسنة له بلدميت فانزلناه الماء فاخرجناهم من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون

والبالد الطيب يخرج نباته بأذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا كذلك انصرف الآيات القوم يشكرون لما ذكرنا على
أنه خالق السموات والارض وأنه المنصرف الخ كما المذهب المسخر وأورد على دعائه لأنه على ما أتت قادر به تعالى على أنه الرزاق وأنه
يعبد المولى يوم القيامة فقال وهو الذي يرسل الرياح ينشر أي بشر منتشرة بين يدي السحاب الحامل للمطر ومنهم من قرأ كقوله
ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وقوله بين يدي رجه أي بين يدي المطر كما قال وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا ويرسل
رجمه وهو الولي الحميد وقال فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض (٢٠٥) بعد موتها ان ذلك المحي المولى وهو على كل شيء قدير

كما أتوا ذلك البناؤا ترا يحصل به القطع فانظر ههنا ان الله ما فعلت هذه الاعتقادات
الشيطنية وأين وصل بها أهلها الى أين ربح بهم الشيطان وكيف اقتادهم وتسلط عليهم
حتى اتقادوا لله اقتياداما كان يطمع في مثل ولا في بعضه من عباد الاصنام فان الله وانا اليه
راجعون واللام في (لئن أنجيتنا) هي الموطئة للقسم المحذوف على ارادة القول أى دعوا
فأقبل ذلك ويجوز أن يجرى دعوا الله مجرى قالوا لان الدعاء بمعنى القول اذهبون عن
أنواعه فحكى به الجلاء وهو مذهب كوفي والاول هو الاول لاستدعاء الشانى لاقتصار
دعائهم على ذلك فقط (من هذه) أى ما وقعوا فيه من مشاركة الهلاك في البحر من الرياح
العاصفة والامواج الشديدة (لنكونن) في كل حال (من الشاكرين) أى ممن يشكر
نعمك الذى أنعمت عليهم اعليناها هذه النعمة (١) التى نحن بصدد سؤالك ان نفرحها عنا
وتخيناها وهذا جواب القسم وقبسه من المبالغة في الدلالة على كونهم ثابتين في الشكر
مشابرين عليه منتظمين في سلك المعوقين بالشكر الراخين فيه مالم يسأل فى أن يقال
لننشكركن (فلا أنجأهم) الله من هذه المحنة التى وقعوا فيها وأجاب دعاءهم فلم يوافقا
وعدا ومن أنفسهم بل فعلا فعمل الجاحدين لافعل الشاكرين وجعلوا البنى في الارض
بغير الحق مكان الشكر (أذا هم يغفون) أى فاجؤا البنى والفساد وسارعو اليه والبنى
هو الفساد من قولهم بنى الجرح اذا تراعى في الفساد وقيل هو الشرل وزيادة في الارض)
للدلالة على ان فسادهم هذا شامل لاقطار الارض والبنى وان كان ينافى أن يكون بحق
بل لا يكون الا بالباطل لكن زيادة (بغير الحق) اشارة الى أنهم فعلا وذلك بغير شبهة عندهم
بل تتردوا عند انهم قد يفعلون ذلك لشبهة يعتقدونها مع كونها باطلة وقيل البنى
مجاورة الحد وهو محمودان كان من العدل الى الاحسان ومن القرض الى التطوع
ومذموم ان كان سن الحق الى الباطل أو الى الشبهة وقال الزمخشري البنى قد يكون بحق
وهو استيلاء المسلمين على أرض المكفرة وهدم دورهم وحر اقذر وعهم وقلع أشجارهم
كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين قريظة وهذا فائدة تقيده بسببه بغير الحق
(يا أيها الناس انما نبعيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا) لما ذكر سبحانه انه هؤلاء
المتقدم ذكرهم يغفون في الارض بغير الحق ذكر كعاقبة البنى وسوء مغيبته قرئ نصب

من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به وادعهم والناسي من طرق عن أبي اسامة جازين أسامة بنه (لقد أرسلنا نوحا
إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من الاله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم قال الملا من قومه يا ناثرك في ضلال مبين قال
يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون) لما ذكر تعالى قصة
آدم في أول السورة وما يتعلق بذلك وما يتصل به وفيه من شرح في قصص الانبياء عليهم السلام الأول فالأول فابتدأ بذكر نوح عليه
السلام فإنه أول رسول إلى أهل الارض (٢٠٦) بعد آدم عليه السلام وهو نوح بن ميثاق بن نوح وهو ذو ريس عليه

السلام فيا بر بنعون وهو أول من
خط بالقلم ابن برد بن مهليل بن
قين بن أنش بن شيث بن آدم عليه
السلام هكذا نسب ابن اسحق وغير
واحد من أئمة السبب قال محمد بن
اسحق ولم يبق نبي من قومه من الاذي
مثل نوح الا نبي قتل وقال يزيد
الرقاشي أنما سمى نوحا لكثرة ما نوح
على نفسه وقد كان بين آدم إلى زمن
نوح عليه السلام عشرة قرون كانوا
على الاسلام قال عبد الله بن عباس
 وغير واحد من علماء التفسير وكان
 أول ما حدثت الاصنام ان قوما
 صالحين ماتوا فبني قومهم عليهم
 مساجد وصقروا صور أولئك
 فيها يتذكروا حالهم وعبادتهم
 فيستبشروهم فلما طال الزمان جعلوا
 أجسادا على تلك الصور فلما تآخى
 الزمان عبدوها تلك الاصنام
 وسموها بأسماء أولئك الصالحين
 وذابوا صورها ويعوقون نسرا
 فلما تفاقم الامر بعث الله سبحانه
 وتعالى ولدا لجسد والمنة رسوله نوحا
 فأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له
 فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من
 الاله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم

متاع على أنه مصدر مؤكد لفعل مقدر بطريق الاستثنا في أي بغيكم وبال على أنفسكم
 تتمتعون بمتاع الحياة الدنيا وقيل على انه نظر في زمان فحومة دم الحاج أي زمن متاع الحياة
 الدنيا وقيل على انه مفعول له أي لأجل متاع الحياة الدنيا وقيل منصوب على نزع الخافض
 أي كمتاع وقيل على الحال على انه مصدر بمعنى المفعول أي تمتعين وقيل على انه مفعول
 الفعل دل عليه المصدر أي تبغون متاع الحياة الدنيا وقد نوقش غائب هذه الاقوال في توجيه
 النصب والحق الذي تقتضيه جزالة التزبل انما هو الوجه الاول أما من قرأ برفع متاع
 فيجعله خبر المبتدأ أي بغيكم متاع الحياة الدنيا ويكون على أنفسكم متعلقا بالمصدر
 والتقدير انما بغيكم على أنفسكم والذين جنسهم جنسكم متاع الحياة الدنيا ومنفعة
 التي لا بقاؤها فيكون المراد بانفسكم على هذا الوجه أسماء جنسهم وغيرهم بالانفس
 استعاره لما يدركه الجنس على جنسه من الشفقة وقيل ارتفاع متاع على انه خبر ثان وقيل
 على انه خبر بابتداء المحذوف أي هو متاع كما في قوله تعالى الاساعة من غار بلع أي هذا
 بلاغ وقد نوقش أيضا بعض هذه الوجوه في توجيه الرفع بما يطول به البحث في غير طائل
 والخاص انه اذا جعل خبر المبتدأ على أنفسكم فالعني ان ما يقع من البغي على الغير هو
 بغي على نفس الباغى باعتبار ما يؤول اليه الامر من الاتقام منه مجازاة على بغيه وان
 جعل الخبر متاعا فالمراد ان بغي هذا الجنس الانساني على بعضه بعضا هو سريع الزوال
 قريب الاضلال كسائر أمتعة الحياة الدنيا فانما ذهبة عن قريب متلاشية بسرعة
 ليس لذلك كثير فائدة ولا عظيم جدوى وأخرج أبو الشيخ وابن مردويه وأبو نعيم
 والطيب في تاريخه عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث هن
 رواجع على أهلها المكرو والنكت والبغي ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انما
 بغيكم على أنفسكم ولا يحق المكرو السيئ الباهل ومن نكت فانما نكت على نفسه
 وعن مكحول ثلاث من كن فيه كن عليه المكرو والبغي والنكت أقول أنا بنبغي ان يلقى
 بهذه الثلاث التي دل القرآن على انها تعود على فاعلها الخلد فان الله يقول يخادعون
 الله والذين آمنوا وما يخادعون الا أنفسهم وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو بغي جبل على جبل لاندك الباغى منه ماتم ذكر سبحانه
 ما يكون على ذلك البغي من المجازاة يوم القيامة مع وعيد شديد فقال (ثم الباغى من جنسكم)

عظيم أي من عذاب يوم القيامة اذ القيمة الله وأنتم مشركون به قال الملا من قومه أي الجمهور والسادات والقادة تقدم
 والكبر منهم انما الترك في ضلال مبين أي في دعوتك يا ناثا إلى ترك عبادة هذه الاصنام التي وجدنا عليها آباءنا وهكذا حال الفقار
 انما يرون الابار في ضلالة كقوله واذا رآهم قالوا ان هؤلاء عاصون وقال الذين كفروا الذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقوا اليه واذا
 لم يهتدوا به فسبقوا لهذا اقل قديم أي غير ذلك من الآيات قال يا قوم ليس بي ضلالة ولا كني رسول من رب العالمين أي
 ما أنا ناضل ولكن أنار رسول من رب كل شيء ومليكه أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون وهذا شأن الرسول ان

فوحا كذلك أرسلنا إلى عاد أخاهم خودا قال محمد بن اسحق وهم ولد عاد بن ارم بن عوص بن سام بن نوح (قلت) هؤلاء هم عاد الاولى الذين ذكرهم الله وهم أولاد عاد بن ارم الذين كانوا يرون الى العبد في البركا قال تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات الجوارح لم يخلق مثلها في البلاد وذلك لشدة باسهم وقوتهم كما قال تعالى فأما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون وقد كانت مساكنهم بالبحر بالحاقق وهي جبال الرمل قال ابن اسحق عن محمد بن عبد الله بن أبي سعيد الخدري عن أبي الطيفيل (٢٠٨) عامر بن وائل سمعت عليا يقول لرجل من حضرة موت حل رأيت كنييا

أجرى بحاطه مدره سحرا انزاعا رالا وسدر كثير بناحة كذا وكذا من أرض حضر موت هل رأيت قال نعم يا أمير المؤمنين والله أنك لتعته نعت رجل قد رآه قال لا ولكن قد حدثت عنه فقال الحضرمي وما شأنه يا أمير المؤمنين قال فيه قبر هو د عليه السلام رواه ابن جرير وهو دافيه قائدة ان مساكنهم كانت بالبحر فان هو د عليه السلام دفن هناك وقد كان من أشرف قومه نسبيا لان الرسل انما يعيهم الله من أفضل القبائل وأشرقهم ولكن كان قومه كما شهد خلقهم شدة على قلوبهم وكانوا من أشد الامم تكذبا لبعث ولهداد عاهم هو د عليه السلام الى عبادة الله وحده لا شريك له والى طاعته وتقواه قال المال الذين كفروا من قومه والملا هم الجمهور والسادة والقادة منهم انما التوا في سفاهة وانا انظرك من الكاذبين أي في ضلالة حيث تدعوننا الى ترك عبادة الاصنام والاقبال على عبادة الله وحده كما تعجب الملا من فريش من الدعوة الى الله واحد فقالوا جعل الالهة الها واحدا الاية قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين أي لست كما تزعمون بل جئتكم بالحق من الله الذي خلق كل شيء وهو رب كل شيء ومليكه أبلغكم رسالاتي وأنا لكم ناصح أمين وهذه الصفات التي اتصف بها الرسل البلاغ والنصح والامانة أو بجبته ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم أي لا تعجبوا أن يبعث الله اليكم رسولا من أنفسكم لينذركم أيام الله ولقاءه بل احسوا الله على ذاكم واذكروا ان جعلكم خلفا من بعد قوم نوح أي اذكروا نعمته عليكم في جعلكم من ذرية نوح الذي اهلك الله أهل الارض بدعوتهم لما خالفوه وزادكم في الخلق بسطة أي زاد طولكم على الناس بسطة أي جعلكم أطول من أبناء جنسكم كقوله في قصة

مكينة (وطن أهلها) أي أهل تلك الارض الآخذة تخرفها (انهم قادرون عليها) أي غلب على ظنونهم أو يتقوا أنهم قادرون على حصادها والانتفاع بها المحصولون لثمرتها رافعون لغنائمها يتكئون على جدرانها وقطافها والضعيف في علم الارض والمراد السبات الذي هو عليها (أناها) أي جاءها (أمرنا) بإحلالها واستئصالها وضربها ببعض العادات (لئلا أنهرها) أو للتوبيخ أي تارة يأتي قضاؤها وتارة يأتى نهارها (فجعلناها حصدا) أي جعلنا زرعها شايبة بالمحصود في قفصه من أصوله قال أبو عبيدة الحارثي سيد المستأصل

وقل المقطوع بالمناجل (كان لم تكن بالامس) أي كان لم يكن زرعها موجودا اقيم بالامس مختصرا طريما من غنى بالمكان بالكسر يعنى بالفتح اذا قام قال البيضاوي أي لم تلبث أي لم تقم ولم تمكث وقيل لم تكن ولم توجد وفي القاموس ما يقتضي ان غنى يأتي بمعنى كان ووحد كقوله غنيت دارنا بتمه أي كانت بها والمراد بالامس الوقت القريب والزم من الماضي لخصوص اليوم الذي قبل يومك قاله الكرخي والمغاف في اللغة المنازل وقال قتادة كان لم ينم وقرأ ليعن بالتحية تاراجع الضمير الى الزخرف وقرأ من عدا تغن بالوقية تاراجع الضمير الى الارض (كذلك) أي مثل ذلك التفصيل البديع (تفصل الايات) القرآنية التي من جملتها هذه الاية المنبهة على احوال الدنيا ويجوز ان يراد الايات التكوينية (القوم يتفكرون) فيها اشتملت عليه عن أبي حمزة قال كان يكتبوا في سورة يونس الى جنب هذه الاية ولولان لابن آدم وادين من مال لغنى ثالوثا ولا يشيع نفس ابن آدم الا للتراب ويترى الله على من تاب فغيت قال النسفي في الاية وهذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا في سرعة تنقضيها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بجبال نبات الارض في جفافه وذهابها بحطامها بعد ما القى فوقه كائن وزين الارض بخضرتها ورفعه والتنسبه على حكمة التشبيه أن الحياة صفوها شايبة وكدرها شايبة كما ان صفو السماء في أعلى الاناء

ألم تر أن العمر كاس سلافة * فأوله صفوا وآخره كدر وحقيقته زين حشة الطين بصلح الدنيا والدين كخلائط النبات على اختلاف الألوان فالطينية الطيبة تنبت بساكنات الانس ورياحين الروح وزهرة الزهد وكرم الكرم وحبوب العالمين أي لست كما تزعمون بل جئتكم بالحق من الله الذي خلق كل شيء وهو رب كل شيء ومليكه أبلغكم رسالاتي وأنا لكم ناصح أمين وهذه الصفات التي اتصف بها الرسل البلاغ والنصح والامانة أو بجبته ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم أي لا تعجبوا أن يبعث الله اليكم رسولا من أنفسكم لينذركم أيام الله ولقاءه بل احسوا الله على ذاكم واذكروا ان جعلكم خلفا من بعد قوم نوح أي اذكروا نعمته عليكم في جعلكم من ذرية نوح الذي اهلك الله أهل الارض بدعوتهم لما خالفوه وزادكم في الخلق بسطة أي زاد طولكم على الناس بسطة أي جعلكم أطول من أبناء جنسكم كقوله في قصة

طالوت وزاده بسطة في العلم والجسم واذكروا آلاء الله أي نعمه ومنه عليكم لعلمكم تفلون (قالوا أجتنا عبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بآبائنا فعدنا أن كنت من الصادقين قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلوني في أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بهامن سلطان فاستقروا إلى معكم من المستظرين فأنجيتهما والذين معه برجحة منا وقطعة نادابر الذين كذبوا بآياتنا بما كانوا موثقين) يخبر تعالى عن تمردهم وطغيانهم وعتادهم وانكارهم على هود عليه السلام قالوا أجتنا لعبد الله وحده الآية كقول الكفار من قريش اللهم ان كان (٢٠٩) هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة

من السماء أو أتنا بعذاب أليم وقد ذكر محمد بن اسحق وغيره أنهم كانوا يعبدون أصناما فصفنا يقال له صمد أو آخر يقال له صمد أو آخر يقال له هبا ولهذا قال عليه السلام قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أي قد وجب عليكم بمقاتلتكم هذه من ربكم رجس قيل هو مقلوب من رجس وعن ابن عباس معناه سقط وغضب أتجادلوني في أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم أي أتجادلوني في هذه الاصنام التي سميتوها أنتم وآباؤكم آلهة وهي لا تضر ولا تنفع ولا جعل الله لكم على عبادتها حجة ولا دليلا ولهذا قال ما أنزل الله بهامن من سلطان فاستقروا إلى معكم من المستظرين وهذا تهديد ووعد من الرسول لقومه ولهذا اعتبسه بقوله فأنجيتهما والذين معه برجحة منا وقطعنا بر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا موثقين وقد ذكر الله سبحانه صفة أهلاكهم في أماكن أخرى من القرآن بأنه أرسل عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء أثبت عليه إلا جعلته كالرميم كما قال في الآية الأخرى

الحب وحدائق الحقيقة وشقائق الطبيعة والحيثية تنضج خلاف الخلق وشام الاثم وشوك الشرك وشيح الشج وحطب العطب ولعاع اللعب ثم يدعوه معاده كما يحين الحرث حصاده فتزايده الحياة مغترا كما يجمع النبات مصفرا فغيب جنته في الرمس كأن لم تكن بالامس الى أن يعود ربيع البعث وموعد العرض والبحث وكذلك حال الدنيا كالماء يتفجع قلبه ويهلك كثيره ولا بد من ترك ما زاد كالأبد من أخذ الزاد وأخذ المال لا يتجاوز زلة كما أن خائض الماء لا يجومن بلة وجعه وامساكه تلف صاحبه واهلاكه فنادون النصاب كنضاح ماء يجاوز بلا احتماء والنصاب كنه حائل بين الجمتاز والجواز الى المقار لا يمكن الا بقطرة وهي الزكوة وعارتهما بذل الصلابة في اختلت القطرة غرقته أمواج القناطر المنطرة وكذلك المال لا يجمع الا بكثرة الجعل كما أن الماء لا يجمع الا بسد المسيل ثم يبقى ويتلف ولا يبقى كالماء في الكف انتهى (والله يدعو الى دار السلام) لما نذر عباده عن الميل الى الدنيا بمضربه بلهم من المثل السابق رغبتهم في الدار الآخرة بأخبارهم بهذه الدعوة منه عز وجل الى دار السلام قال الحسن وقنادة السلام هو الله تعالى وداره الجنة وقال الزجاج المعنى والله يدعو الى دار السلامة ومعنى السلام والسلامة واحد كالرضاع والرضاعة وقيل أراد دار السلام الذي هو التحيه لان أهلها يسألون من الله السلام بمعنى التحيه كما في قوله تحييتهم فيها سلام وقيل السلام اسم لاحد الجنان السبع أحدها دار السلام والثانية دار الجلال والثالثة جنة عدن والرابعة جنة المأوى والخامسة جنة الخلد والسادسة جنة الفردوس والسابعة جنة النعيم وقيل المراد دار السلام الواقع من المؤمنين بعضهم على بعض في الجنة وقد اتفقوا على أن دار السلام هي الجنة وانما اختلفوا في سبب التسمية بدار السلام (ويهدي من يشاء) هدايته قال أبو العالمة يهديهم للخروج من الشبهات والفتن والضلالات (الى صراط مستقيم) دين الاسلام جعل سبحانه الدعوة الى دار السلام عامة والهداية خاصة بمن يشاء أن يهديه تكمله الى الجنة واظهار الاستغناء عن خلقه أخرجه ابن جرير والحاجي كهم وصحبه وابن مردويه والبيهقي عن أبي جعفر محمد بن علي قال حدثني جابر قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم فافقاني رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي وميكائيل عند رجلي

(٢٧ - فتح البيان ح) وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليل وليلة أيام حسو ما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية لما عردوا وعتوا أهل كلهم الله بريح عاتية فكانت تحمل الرجل منهم فترفعه في الهواء ثم تنكسه على أم رأسه فتشغل رأسه حتى تيننه من جنته ولهذا قال كأنهم أعجاز نخل خاوية وقال محمد بن اسحق كانوا يسكنون باليمن من جمان وحضر موت وكانوا مع ذلك قد فسدوا في الارض وقهروا أهلها بفضل قوتهم التي آتاهم الله وكانوا أعجاب أو ثان يعبدونها من دون الله فبعث الله اليهم هودا عليه السلام وهو من أو سطهم نسبوا وأضلهم موضعا فأمروهم أن يوحدوا الله

ولا يجعلوا معه الها غير وان يكفوا عن ظلم الناس فالوا عليه وكذوه وقالوا من أشد منا قوة واتبعه منهم ناس وهم يسير يكتفون
انسانهم فلما عتت عاد على الله وكذبوا فيه واكثروا في الأرض الفساد وتجبروا وبنوا بابل ربيع آية عينا بغرقة كلهم خروا فقال
أتنبون بكل ربيع آية تعشون وتخصدون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين فاقفوا الله وأطيعون قالوا يا هود
ما جئنا بسنة وما نحن بتاركي آلهم نحن قولك وما نحن لك بمؤمنين ان تقول الا اعتراك بعض آلهم باسطوا أيديهم نحو من قال اني أشهد
الله واشهدوا لي بري مما تنكرون من دونه (٢١٠) فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على الله ربي وربكم ما من

يقول أحدهما لصاحبه اضرب له مثلا فقال اسمع سمعت أذنك واعقل عقل قلبك انما
مثلك ومثلي أمثل مثل ملك اتخذ ذراعا مني فيها يسامتا جعل فيهما مادية ثم بعث رسولا يدعو
الناس الى طعامه ففهم من أجاب الرسول ومنهم من تركه فآله هو الملك والدار الاسلام
والبيت الجنة وآتيا بمحمد رسول فن أجابك دخل الاسلام ومن دخل الاسلام دخل الجنة
ومن دخل الجنة كل منها وقد روي معنى هذا من طرق ثم قسم سبحانه أهل الدعوة الى
قسمين وبين حال كل طائفة فقال (الذين أحسنوا) بالقيام بما أوجبه الله عليهم من الإيمان
والاعمال والكف عما نهاهم عنه من المعاصي وقيل للذين شهدوا أن لا اله الا الله
(الحسن) أي المثوبة الحسنى وان كان معه ذنوب فصاة المؤمنين داخلون في هذا قال
ابن الانباري الحسنى في اللغة تأنيب الاحسن والعرب توقع هذه اللفظة على الخصال
المحبوبة المرغوب فيها وذلك ترك موصوفها وقيل المراد بالحسن الحسن (وزيادة) قيل
المراد بما يزيد على المثوبة من الفضل كقوله ليوفهم أجورهم وينزيهم من فضله
وقيل الزيادة النظر الى وجهه الكريم وبه قال جماعة من الصحابة منهم أبو بكر الصديق
وحذيفة وأبو موسى الأشعري وعبادة بن الصامت وبه قال الحسن وعكرمة والضحاك
ومقاتل والسدي وقيل الزيادة هي مضاعفة الحسنه الى عشر أمثالها الى سبعائة
ضعف وقيل الزيادة غرة من أولوة واحدة لها أربعة أبواب قاله علي بن أبي طالب وقيل
الزيادة مغفرة من الله ورضوانه فآله مجاهد وقيل هي ما يعطيهم سبحانه في الدنيا من فضله
لا يحاسبهم عليه يوم القيامة قاله ابن زيد وقيل غير ذلك مما لا فائدة في ذكره وأخرج
أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجه وابن خزيمة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو
الشيخ وغيرهم عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تلا هذه الآية قال اذا
دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناديا أهل الجنة ان لكم عند الله موعدا
يريد أن يخزكموه فيقولون وما هو ألم يقتل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة
ويرحنا نحن النار قال فكيف لهم الجحيم فنظفرون اليه فوالله ما أعطاهم الله شيئا
أحب اليهم من النظر اليه ولا أقل لاعينهم وفي اللفظ من حديث أبي موسى عن قوعا الحسن
الجنة والزيادة النظر الى وجه الرحمن أخرجه الدارقطني وابن جرير وغيرهما وروي مثله
عن جماعة من الصحابة عن قوعا بطريق وقد روي عن التابعين ومن بعدهم روايات في

دابة الا هو أخذ شايعا من الناس الى صميم النهر
على صراط مستقيم قال محمد بن
اسحق قلم أبو الا الكثر به أمسك
الله عنهم القطر ثلاث سنين فيما
يرعون حتى جهدهم ذلك قال
وكان الناس اذا جهدهم أمر
في ذلك الزمان وطلموا من الله الفرج
فيه انما يطلبونه بحرمه ومكانه
وبيته وكان معروفه عند الملل وبه
العمالق مقيمون وهم من سلاله
عليق بن آدم بن سام بن نوح وكان
سيدهم اذ ذاك رجلا يقال له
معاوية بن بكر وكانت له أم
من قوم عاد واسمها جاهدة ابنة
الخبيري قال قبعت عاد وقد اقربا
من سبعين رجلا الى الحرم ليستقوا
لهم عند الحرم فرامعوا وبني بكر
بظاهرمكة فقتلوا عليه فقاموا عنده
شهرًا يشربون الخمر وتغيبهم
الجراد نان قيتان لمعاوية وكانوا قد
وصلوا اليه في شهر فلما طال مقامهم
عنده وأخذته شفقة على قومهم
واسحى منهم أن يأمرهم بالانصراف
عمل شعرا يعرض لهم بالانصراف
وأمر القينتين أن تعينهم به فقال
الايقل ويحك قم فهينهم
لعل الله يبعثنا غمًا

فيسقي أرض عادان عادًا * قد أسوا للايينون الكلاما

من العطش الشديد فليس نرجو * به الشيخ الكبير ولا الغلاما

وان الوحش تأتهم جهارا * ولا تحشى لغادى سهاما

فقتلهم فذكركم وفدوكم * ولالقوا النعمة والسلاما

قال فعند ذلك تنبه القوم لما جاؤا له فمضوا الى الحرم ودعوا ودعوا لقومهم فنادعاهم وهو قيل بن عرقا نشأ الله سبحانه ابنا يضا

تفسير

وسوداء وجراهم نادى مناد اخترت ما دارم ددا لا يبق من عا داحدا ولا والداترك ولا ولدا الاجعلته همدا الابنى اللوذية
 مهندا قال وبوالا بقة بطن من عا دميون عكة فلم يصهم ما أصاب قومهم قال وهم من بقى من أنسائهم وذرايرهم عاد الاخرة
 قال ورسا الله السحابة السوداء فبأيد كرون التي اختارها قيل بن عزيز بمانها من النعمة الى عاد حتى تخرج عليهم من واد يقال له
 المغيث فلما أروها استبشروا وقالوا اذا عارض مطرنا يقول بل هو ما استعجلتم به ريح فعا عذاب ألم تدمر كل شئ فكأن
 أول من أبصر ما فيها وعسرى انهار ريح فبأيد كرون امرأة من (٢١١) عاد يقال لها عبيد فلما تبينت ما فيها

صاحت ثم صعدت فلما أفافت
 قالوا ما رأيت يا عبيد قالت ريحها فيها
 شبه النار اما نهارا ليل يقولون
 فسخرها الله عليهم سبع ليل
 وعشائة أيام حسوما كما قال الله
 تعالى والحسوم الداعسة فلم تدع من
 عاد أحدا الا الهلك واعتزل هو وعليه
 السلام في ما ذكرى ومن معه من
 المؤمنين في حظيرة ما يصيبه ومن
 معه الاماتين عليه الجلود وتلد
 الانفس وانما القرع على عاد النظم
 ما بين السماء والارض وتدمرهم
 بالجحارة وذكريم القصص بطولها
 وهو سباق غرب فيه فوائد كثيرة
 وقد قال الله تعالى ولما جاء أمرنا
 نجينا هودا والذين آمنوا معه
 برحمة منا ونجينا ناهم من عذاب
 غليظ وقال الامام أحمد حدثنا
 زيد بن الحباب حدثني أبو المنذر
 سلام بن سليمان النخوى حدثنا
 عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل
 عن الحرث البكري قال خرجت
 أشوك والعلاء بن الحضرمي الى

تفسير الزيادة فلما أنشأ النظر الى وجه الله سبحانه وقد ثبت التفسير بذلك من قول رسول
 الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يبق حينئذ لتقاتل مقال ولا التفات الى الجادات الواقعة
 بين المتخذهة الذين لا يعرفون من السنة المطهرة ما يتفخون به فانهم لو عرفوا ذلك لكفوا
 عن كثير من خباياهم والله المستعان (ولا يرهق) الرحق الغشيان وقيل أصله المقاربة وقيل
 معناه يلحق ومنه قيل غلام مرأق اذا لحق بالرجال وقيل يعا والمعاى متقاربة والمعنى
 لا يغشى (وجوههم قتر) هو غبار معه سواد وقيل سواد الوجه وواحدة قتره وقيل هو
 الدخان ومنه غبار القدر وقيل التقليل ومنه ولم يقر وأومئ على المقتر قدره وقيل الكتابة
 (ولا ذلة) هي ما يظهر على الوجه من الخشوع والاندكسار والهوان بعض لا يعا وجوههم
 غيرة ولا يظهر فيها هوان وقال مجاهد في الآية خرى وعن صهيب عنه صلى الله عليه وآله
 وسلم قال هذا بعد نظرهم اليه عز وجل أخرجه أبو الشيخ والجله مستأنفة أو في محل نصب
 على الحال فانه أبو البقاء وهذا ليس بجائز لان المضارع متى وقع حاله متفيا بالامتنع
 دخول واو الحال عليه كالثبت أو في محل الرفع انساقا على الحسن والتقدير وان لا يرهق
 أى وعدم رفقهم (أولئك) أى المتصفون بالصفات السابقة لهم (أصحاب الجنة هم فيها
 خالون) أى المتعمدون بأنواع نعمها لا يخرجون منها أبدا (والذين كسبوا السيئات جزاء
 سيئة بمثلها) أى يجازى سيئة واحدة بسيئة واحدة لا تزد عليها كما زادت في الحسنه وهذا
 أولى مما عاده وفيه سبعه أوجه قررها السمين لا تطول بك كرها والمراد بالسنة اما الشرك
 أو المعاصى التى ليست بشرك وهى ما تلبس به العصاة من المعاصى قال ابن كيسان الباء
 زائدة والمعنى جزاء سيئة مثلها وقيل جزاء سيئة كاث مثلها وقيل التقدير فلهم جزاء سيئة
 وفيه التنبه على الفرق بين الحسنات والسيئات لان الحسنات يضاعف ثواب العا ملها
 من الواحدة الى العشرة الى السبع مائة الى الضعاف كثيرة تنقص لامنه سبحانه وتكرما
 وأما السيئات فانه يجازى فاعلمها عليها بعلمها عدا لامنه سبحانه (وترهقهم) أى تغشاهم
 (ذلة) أى هوان وخزى وقال ابن عباس ذلة وشدة (مالهم من الله من عاصم) أى
 لا يعصهم أحد كائن من كان من سخط الله وعذابه أو مالهم من جهة الله ومن عذبه من
 يعصهم كما يكون المؤمن والاولى (كاثما أغشيت وجوههم قطعان الليل مظلم)

منقطع بها ففانت يا عبد الله انى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة فهل أنت سلفى اياه قال فملها فأتيت المدينة فاذا
 المسجد خاص بأهلها وادارية سوداء تتحقق واذا بال منقلد سيعا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ما شأن الناس
 قالوا يريد أن يعث عمرو بن العاص وجهها قال جلست فدخل منزله أو قال رحله فاستأذنت عليه فأذننى فدخلت وسلمت فقال
 هل بينكم وبين شئ قلت نعم وكانت نساء الدائرة عليهم ومررت بعجوز من بنى تميم منقطع بها فأسألتنى ان أجعلها اليك وهما هي
 بالباب فأذن لها فدخلت فقلت يا رسول الله ان رأيت أن تجعل بيننا وبين تميم حاجرا فاجعل الدهن خفيمت الجوز واستوفرت

وقالت يا رسول الله فإني أين يضطر مضطرك قال قلت ان مثلي مثل ما قال الاول معزى جلت حشفتها جلت غذه ولا أشعرنا ان كانت
 لي خصما أعوذ بالله وبرسوله ان أكون كواقد عا د قال ولما وافد عا د هو أعلم بالحديث منه ولكن بسطعته قلت ان عادا
 فخطوا فبعثوا فاد الله لهم يقال لقل فرعا عا د بن بكر فقام عند سد شهر رابسة الحجر وتغنيه جارتان يقال لهما الجرادتان
 فلما مضى الشهر خرج الى جبال مهرة فقال اليوم انك تعلم اني لم أجد الى امرئ يضادوا به ولا الى أسير فاذاه الله لهم اسق عاداما
 فمضى منها اخترقا وما الى صحابة منها سوداء فتودى منها اخذها
 كنت تسمة فرت به صحبات سود (٢١٢)

رمادا أرمدا لا تبق من عاد أحد
 قال فابعث الله عليهم من الریح
 الا قدر ما يجري في خاتمي هذا حتى
 هلكوا قال أبو وائل وصديق قال وكانت
 المرأة الرجل اذا بعثوا فاد الله لهم
 قالوا لا تكن كواقد عا د هكذا رواه
 الامام احمد في المسند ورواه
 الترمذي عن عبد بن جبر عن زيد
 ابن الحباب به نحوه ورواه النسائي
 من حديث سلا م المذرع
 عاصم وهو ابن ميلة ومن طريقه
 رواد ابن ماجه ايضا عن ابی وائل
 عن الحرث بن حسان البكري به
 ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن زيد
 ابن حباب به ووقع غذه عن الحرث
 ابن زيد البكري فذكره ورواه أيضا
 عن أبي كريب عن ابی بكر بن عياش
 عن عاصم عن الحرث بن حسان
 البكري فذكره ولم أر في النسخة أبان
 وائل والله أعلم (والى نحو أخاهم
 صالحا قال اقوم اعبدوا الله ما لكم
 من الدعية قد جاءكم بنبه من
 ربكم هذا ناقة الله لكم آية فذروها
 تأكل في أرض الله ولا تمسوا حباسه
 فيأخذكم عذاب أليم واذكروا اذ
 جعلكم خفانا من بعد عاد وبواكم
 في الارض تتخذون من سواها قصورا وتخترون الحبال يتوتا فاذكروا لا الله ولا تعصوا في
 الارض مفسدين قال الملاء الذين استكبروا من قومه الذين استضعفوا من آمن منهم أتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا انما
 أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انما الذي آمنتم به كافرون ففعلوا الناقه وعصوا عن أمرهم وهم قالوا يا صالح انك بما تعد ان
 كنت من المرسلين فأخذهم الرجفة فاصبوا في دارهم جاثمين قال علماء التفسير والتبثود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وهو
 أخر جديس بن عابر وكذلك قبيلة طسم كل هؤلاء كانوا أحياء من العرب العاربة قبل ابراهيم الخليل عليه السلام وكانت تود بعد عاد

القطع طائفة من الليل وقيل ظلمة آخر الليل وقال الاخفش سواد الليل والجملة طائفة أو
 مستأنفة أي أغشيت والبست وجوههم قطعوا سوادا من الليل في حال ظلمته (أو لئلا)
 أي الموصوفون بهذه الصفات الذميمة (أصحاب النار هم فيها خادون) اطلاق الخلود هنا
 مقيد بما ترقى السنة من خروج عصاة الموحد بن (ويوم نحشهم جميعا) الحشر
 الجع من كل جانب وناحية الى موضع واحد وقال مجاهد الحشر الموت ويوم منصوب
 على المنعولية بمعنى أي انذرهم يوم نحشهم لموقف الحساب والجملة مستأنفة لبيان
 بعض أحوالهم القبيحة والمعنى ان الله سبحانه يحشر العابد والمعبودا سواهم يوم
 القيامة (ثم نقول) في حالة الحشر ووقت الجمع (الذين أشركوا) تقرر بعالمهم على رؤس
 الاشهاد ووق بعالمهم مع حضور من يشاركم في العبادة وحضور معبوداتهم (مكانكم)
 أي الزمان مكانكم وابتدأ فيه وقتوا في موضعكم ولا تنفكوا منه ولا تبرحوا عنه حتى
 تسألوا وتنتظر واما فعل بكم ونصب مكانكم على انه في الاصل ظرف لفعل أقيم مقامه
 لا على انه اسم فعل وحرته حركة بناء كما هو رأى القاري قاله أبو السعد قال انما
 وهذا كانه تكلف قال الدمامني لأدري ما الذي الى جعل هذا الظرف اسم فعل اما
 لازما واما متعديا ولا جاعلا لظرف فاعلى باب ولا يحضر جوهه عن أصله أي أثبت مكانك انتهى
 وفيه جيت والضمير في قوله (أنتم) تأكلون للضمير الذي في مكانكم لسد مسد الزمرا
 (وشركاؤكم) عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه وفي هذا عيدهم بديل العائد بن
 والمعبود بن والمراد بالشركاء هنا الملائكة وقيل الشياطين وقيل الاصنام وان الله سبحانه
 يخطفها في هذا الوقت وقيل المسيح وعزير والظاهر أنه كل معبود للمشركين كما انما كان
 (فزيلا) أي فرقا وقطعنا ما كان بينهم من التواصل في الدنيا يقال زيلته فتريل
 أي فرقته فنفرق والمزايلة المارقة والتزاييل التباين قال السجوطي ميزنا بينهم وبين
 المؤمنين كما في آية وامتازوا اليوم أنهم المجرمون انتهى وفيه مسامحة قال القرطبي هذا
 التفسير بعيد من سابقه ولا حقه اذ هو ما في الكلام على المشركين ومعبوداتهم فالاولى
 القول الآخر الذي جرى عليه غيره كالضواي والخازن ونص الخطيب بينهم أي بين
 المشركين وشركائهم وذلك حين يتبرأ كل معبود عن عبده وهذا أنسب بقوله (وقال)

شركاؤهم
 في الارض تتخذون من سواها قصورا وتخترون الحبال يتوتا فاذكروا لا الله ولا تعصوا في
 الارض مفسدين قال الملاء الذين استكبروا من قومه الذين استضعفوا من آمن منهم أتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا انما
 أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انما الذي آمنتم به كافرون ففعلوا الناقه وعصوا عن أمرهم وهم قالوا يا صالح انك بما تعد ان
 كنت من المرسلين فأخذهم الرجفة فاصبوا في دارهم جاثمين قال علماء التفسير والتبثود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وهو
 أخر جديس بن عابر وكذلك قبيلة طسم كل هؤلاء كانوا أحياء من العرب العاربة قبل ابراهيم الخليل عليه السلام وكانت تود بعد عاد

ومساكنهم مشهورة في ابيان الحجاز والشام الى وادي القرى وما حوله وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على دنياهم ومساكنهم وهو
ذاهب الى سول في سنة تسع قال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن محمد بن جويرية عن نافع عن ابن عمر قال لما نزل رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالناس على تبوك نزل بهم الحجر عند بيوت ثمود فاستقى الناس من الابار التي كانت تشرب منها ثمود فمحنوا منها ونصبوا منها
القدور فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم فأهروا القدور وعلقوا العين الابلى ثم انزل بهم حتى نزل بهم على البئر التي كانت تشرب
منها الناقة ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عبدوا وقال افي أحشى أن (٢١٣) يصيبكم مثل ما أصابهم فلا تدخلوا عليهم وقال أحمد

أبنا حدثنا عثمان بن أحمد حدثنا عبد العزيز
ابن مسلم حدثنا عبد الله بن دينار عن
عبد الله بن عمر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو بالخبر لا تدخلوا
على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين
فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم
أن يصيبكم مثل ما أصابهم وأصل
هذا الحديث يخرج في الصحيحين
من غير وجه وقال الامام أحمد
أبنا حدثنا يزيد بن هرون المسعودي
عن اسمعيل بن واسط عن محمد بن أبي
كثبة الأنصاري عن أبيه قال لما
كان في غزوة تبوك تسارع
الناس الى أهل الخبر يدخلون عليهم
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنادى في الناس الصلاة
جماعة قال فأتيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو مسك بعزة وهو
يقول ما تدخلون على قوم غضب
الله عليهم فناداه رجل منهم نجيب
منهم يا رسول الله قال أفلا تبشركم
بأن يحبب من ذلك رجل من أنفسكم
ينبئكم بما كان قبلكم وبما هو
كائن بعدكم فاستمعوا وصدقوا فان
الله لا يعذبكم بشيء أو سألني قوم
لا يدعوني عن أنفسكم شيئا يخرجهم

شركاؤهم) الذين عبدوهم وجعلوهم شركاء لله سبحانه وانما أضاف الشركاء اليهم مع انهم
جعلوهم شركاء لله سبحانه لكونهم جعلوا لهم نصيبا من أموالهم فهم شركاؤهم في أموالهم
من هذه الحثية وقيل لكونهم شركاءهم في هذا الخطاب والاضافة لداني ملازمة
(ما كنتم يا ناعبدون) في الحقيقة ونفس الامر وانما عجب دتم هو كم وضلالكم
وشداطيتكم الذين أعزوكم لانها الا حرة لكم بالاشراك على حد قوله قالوا سبحانه أنت
وليست من دونهم الآية وهذا الجحد من الشركاوان كان محال لما قد وقع من المشركين
من عبادتهم فنهاه انكار عبادتهم بانهم عن أمرهم لهم بالعبادة وتقدم المنعول الفاصلة
(فكني بالله شهيدا بيننا وبينكم) ان كأمرا ناكم بعبادتنا أو رضينا ذلك منكم (ان كأمرا
عن عبادتكم لغافلين) القائل لهذا الكلام هم المعبودون قالوا لمن عبد من المشركين
والمرا دبالغلة هنا عدم الرضا بما فعله المشركون من العبادات لهم وعدم علمهم بها أو كل
من الامر بن وفي هذا دليل على ان هؤلاء المعبودين غير الشياطين لانهم يرضون بما فعله
المشركون من عبادتهم قال أبو السعود هذا من كلام الاصنام كما علمت انتهى قلت ويمكن
أن يكونوا من الشياطين ويحمل هذا الجحد منهم على انهم لم يجبروهم على عبادتهم ولا
أكرهوهم عليها (هناك) أي في ذلك المكان الدهش أو في ذلك الموقف الدحض أو في
ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان (تبا) أي تحبذ وتذوق (كل نفس) مؤمنة
كانت أو كافر سعيدة أو شقية جزاء (ما أسلفت) من العمل ونعائنه بكنهه متبعة لا ناره
من نفع أو ضرر وخيرا أو شرا فحسبوا تذوق وتحبذ وقيل تعلم وقيل تتبع فهو من التلو وهذا
على القراءة بالقافية باسناد الفعل الى كل نفس واما على القراءة بالتثنية فالغنى ان الله يتلى
كل نفس وتحبذها وانه يعلم ما عمله من تحبذها ويتفقد أحوالها ويجوز أن يراد
يصيب بالبلاء أي العذاب كل نفس عاصية بسبب ما أسلفت من الشر والبلية والبلاء
والبلاء واحد والجمع البلاء ومعنى الكل الاخبار اخرج ابن مردويه عن ابن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عتلت لهم يوم القيامة ما كانوا يعبدون من
دون الله فيتعبدونهم حتى يثودوهم النار ثم لا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هناك
تبا الآية وعن ابن زيد قال تعان كل نفس ما عتلت وقرئ من التلاوة أي تقرأ كل نفس

أحد من أصحاب السنن وأبو كبشة احمد بن عمرو بن سعدو يقال عامر بن سعدو الله أعلم وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر
عن عبد الله بن عثمان بن خثعم عن أبي الزبير عن جابر قال لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتسألوا الا تات فقد سألتها
قوم صالح فكانت يعني الناقة ترد من هذا الفرج وتعد من هذا الفرج ففتوا عن أمرهم فقروها وكانت تشرب ما هم يوموا يشربون
لبنها وما قعرها فأخذتهم صيحة أخذ الله من تحت أديم السماء منهم الاربلا واحدا كان في حرم الله فقالوا من هو يا رسول الله قال
أبو رغال فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه وهذا الحديث ليس في شيء من الكتب الستة وهو على شرط مسلم قوله تعالى والى
نحو دأى واقدا أرسلنا الى قبيلة ثمود خاتم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيري مع السبل يدعون الى عبادة الله وحده

لا شريك له كما قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الا يوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وقال ولقد بعنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقوله فداء تكلم منكم من ربكم هذه ناقة الله لكم آية أي فداءكم بحسبتم الله على صدق ما حثتكم به وكانوا هم الذين سألو اوصالحا أن يأتيهم بآية واقرحوا عليه بأن يخرج لهم من صخرة صماء عنينوها بأنفسهم وهي صخرة منفردة في ناحية الحجر يقال لها الكاتكة فطلبوا منه أن يخرج لهم منها ناقة عشرة أشهر فأنقض فأتخذ عليهم صالح العهد والمواثيق لأن أجابهم الله في سؤالهم وأجابهم في طلبهم ليؤمن به (٢١٤) وليتبعنه فلما أعطوه على ذلك عهدوهم ومواثيقهم قام صالح عليه السلام

الى صلاته ودعا الله عز وجل فحسرت تلك الصخرة ثم انصدت عن ناقة جوفاء براء يتحرك جنبها بين جنبها كما سألو افعم ذلك آمن رئيسهم جندع بن عمرو من كان معه على أمره وأراد بنية أشرف غود أن يؤمنوا فصددهم ذؤيب بن عمرو بن لبيد والخباب صاحب أو ثنائهم ورباب ابن معمر بن جلاس وكان جندع بن عمرو ابن عم له شاب بن خلفه بن محلاة بن لبيد بن جواس وكان بن أشرف غود وأفاضلها فأراد أن يسلم أيضا فنأه وألثك الرط فاطاعهم فقال في ذلك رجل من مؤمن في غود يقال له مهوش بن عتبة بن الزميل رحمه الله وكانت عصبة من آل عمرو الى دين النبي دعوا شهابا عزيز ثمود كلهم جميعا فهم بأن يجيب فلما أجابا لاصبح صالح فينا عزرا وماعدوا لاصحابهم فزأوا ولكن الغواة من آل حجر نولو ابعدر شدهم ذيابا وأقامت الناقة وفصلها بعد ما وضعت بين أظهرهم مدة تشرب من بئرها يوما وتدعه لهم يوما وكانوا يشربون لبنها يوما شربها ويتجنبونها فيلزن ماشاؤا من أريتهم وأوانهم كما قال في الآية الاخرى ونبتهم أن الماء سعة بينهم كل شرب (ويخرج تحت ضره وقال تعالى هذه ناقة الهاشرب ولكم شرب يوم معلوم وكانت تسرح في بعض تلك الاودية ترد من فج وتصدر من غيره لبعسها لانها كانت تتضلع من الماء وكانت على ما ذكر خلقها فلا ومنظر اراعتها اضررت بأنعامهم ففرت منها فلما طال عليهم ذلك واشتد تكذيبهم صالح النبي عليه السلام عزموا على قتلها ليستأثروا بالماء كل يوم فيقال انهم اتفقوا كلهم على قتلها قال قتادة بلعي أن الذي قتلها طاف عليهم كلهم انهم راؤون بقتلها حتى على التساء في خدورهن وعلى الصبيان قتل وهذا هو الظاهر لقوله تعالى فكذبوه

صحيفة عملها من خيرا وشر (وردوا) أي الذين أشركوا (الى الله) أي الى جزائه وما أعد لهم من عقابه والرد عبارة عن صرف الشيء الى الموضع الذي جاء منه (مولاهم) ربهم وما لكم (الحق) صفة لآي الصادق الرب يستدون ما اتخذوه من المعبودات الباطلة وقرئ بالنصب على المدح كقولهم الحمد لله أهل الحمد (ووصل عنهم) أي ضاع وبطل وذهب في الموقف (ما كانوا يتفرون) علمه من أن الآلهة التي لهم حقيقة بالعبادة تشفع لهم الى الله وتقر بهم اليه والحاصل أن هؤلاء المشركين رجوعوا في ذلك المقام الى الحق ويعترفون به ويقرون بطلان ما كانوا يعبدونه ويخافونها الها ولكن حين لا ينفعهم ذلك وعن السدي قال نسخها قوله بأن الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم ثم لما بين الله سبحانه فضائح المشركين أسعها بإيراد الخبيخ الدامغة من أحوال الرزق والحواس والموت والحياة والابتداء والاعادة والارشاد والهدى وفي سبحانه الخبيخ على الاستفهام وتقوى بعض الجواب الى المسؤولين ليكون أبلغ في الزام الخبيخ وأوقع في النفوس فقال (قل) يا محمد للمشركين احتجابا لحقيقة التوحيد وبطلان ما هم عليه من الشرك وهذه أسئلة ثمانية جواب الحسنة الاولى منها منهم وجواب الاثنين بعدها منه صلى الله عليه وآله وسلم بتعليم الله انه لا عدم قدرتهم عليه وجواب الاخير لم يذكر كنه سرته والعلم به (من يرزقكم من السماء) بالمطر (والارض) بالنبات والمعادن فان الارزاق تحصل بأسباب سماوية ومواد أرضية أو من كل واحدة منها توسعة عليكم ومن لا ابتداء انغاية فان اعترفوا حصل المطاوب وان لم يعترفوا بان الله هو الذي خلقهم اقول (أم من علم السمع والابصار) أم هي المنقطعة بمعنى بل وفي هذا الاضراب انتقال انتقال من سؤال الى سؤال على القاعدة المقررة في القرآن لا اضراب ابطال أي من يستطيع خلقهم ما وتسو بهما أو من يحفظهم ما من الا فاف مع كثرتها وسورها انفعالهم ما من أدنى شيء وحقيقة الملك معروفة ويزدها الاستطاعة لان المالك لشيء يستطيع التصرف فيه والحفظ له والحماية ولذلك يجوز به عن كل منهم ما يخصه ما بالذكر لما فيه ما من الصنعة العجيبة والخلقة الغريبة حتى يتفوقوا بهم ما هذا الاستفهام العظيم ويحصلون به ما من النوا ان لا يدخل تحت حصر الحاصرين ثم اتقل الى حجة ثالثة فقال (ومن يخرج الحي من الميت) أي الانسان من النطفة والطيور من البيضة والنبات من الحسبة أو المؤمن من الكافر والاول أقرب الى الحقيقة

الذي قتلها طاف عليهم كلهم انهم راؤون بقتلها حتى على التساء في خدورهن وعلى الصبيان قتل وهذا هو الظاهر لقوله تعالى فكذبوه

النافقة يوم الأربعاء فلما أمتى أولئك التسعة الرط عزموا على قتل صالح وقالوا إن كن صادقا فاعلمنا قتلنا وإن كان كاذبا فخلعناه
 بشاقه فتقا حوايا الله لتبينته وأعله ثم لقول أوليه ما شهدنا نأمنك أهلنا ولا نالصادقون ومكر وامكر وامكرنا مكرهم لا يشعرون
 فانظر كيف كان عاقبة تكمهم الآية فلما عزموا على ذلك وتواطوا عليه وجأوا من الليل ليقتلوا نبي الله فأسرسل الله سبحانه
 وتعالى وله العزة ورسوله عليهم حجارة فرفضتهم سلفا وتخيلا قبل يومهم وأصبح ثمود يوم الخميس وهو اليوم الأول من أيام
 النظر ووجودهم مصفرة كل واحد منهم (٢١٦) صالح عليه السلام وأصبحوا في اليوم الثاني من أيام التأجيل

و هو يوم الجمعة ووجودهم محمرة
 وأصبحوا في اليوم الثالث من
 أيام المتاع وهو يوم السبت ووجودهم
 مسودة فلما أصبحوا من يوم
 الاحد وقد تحفظوا وقعدوا
 ينظرون نقمة الله وعذابه عاذا
 بالله من ذلك لا يدرون ماذا يفعل
 بهم ولا كيف يأتيهم العذاب
 وأشرق الشمس جاءتهم صيحة
 من السماء رجفة شديدة من أسفل
 منهم ففاضت الارواح وزهقت
 النفوس في ساعة واحدة فأصبحوا
 في ديارهم جاثين أى صرعى لأرواح
 ذمهم ولم يفلت منهم أحد لا صغير ولا
 كبير ولاذكروا نبي قالوا الاجارية
 كانت مقعدة واسمها كلب انما
 السابق ويقال لها الزريقة وكانت
 كفرة شديدة العداوة لصالح عليه
 السلام فلما رأته مارأت من العذاب
 أطلقت رجلاها فقامت تدعى
 كاسرع نبي فأتت حيا من الاحياء
 فأخبرتهم بمرأت وما حل بقومها
 ثم استسقتهم من الماء فلما شربت
 ماتت قال علماء التفسير ولم يبق
 من ذرية ثمود أحد سوى صالح
 عليه السلام ومن تبعه رضى الله

بالمعاد لكنه لما كان أمر اظاهرا لنا وقد أقام الأدلة عليه في هذه السورة على صورة
 لا يمكن دفعها عندهم أنصف ولم يكابر كان كالمسلم عندهم الذي لا يجنده ولا انكار فيه
 والمعنى هل من هذه الاصنام والاموات التي ترعون انها آلهة من يقدر على أن ينشئ
 الخلق من العدم على غير مثال سبق ثم يعيد بعد الموت في القيامة كهيئة أول مرة للجزاء
 وهذا السؤال استفهام انكار وانما لم يعطف على ما قبله اذ بانا باستقلاله في اثبات
 المطلوب وبعبارة آبي السعود هذا احتجاج آخر على حقية التوحيد وبطالان الاشراك
 باظهار كون شركائهم مجرد عن استحقاق الالهية ببيان اختصاص خواصا من بينه
 الخلق واعادته به تعالى اه والخاص ان الكفار ينكرون الاعادة والبعث
 فكيف يتجح عليهم بها الان الزام الخصم كما يصح مما يعرف به يصح أيضا بما ثبتت
 حقية لقوة برهانه فلذا جعل الاعادة كالبداهة في الارزام الظهور برهانها وان لم يعرفوا
 بها ولذلك أمر الرسول ان ينوب عنهم في الجواب كما قال سبحانه (قل الله سيد الخلق ثم
 يعيده) أى هو الذى يفعل ذلك لا غيره وهذا القول الذى قاله النبي صلى الله عليه وآله وسلم
 عن أمر الله سبحانه له نيابة عن المشركين في الجواب كما تقدم اما على طريق التلقين لهم
 وتعريفهم كيف يجيبون وارشادهم الى ما يقولون واما لكون هذا المعنى قد بلغ في
 الرضوح الى غاية الاحتياج معها الى اقرار الخصم ومعرفة تمام البدي واما لكون المشركين
 لا ينطقون بما هو الصواب في هذا الجواب فرارا منهم عن ان يلزمهم بالحقه وان يسجل
 عليهم بالمكابرة فان حادوا عن الحق (فأنتي توفسكون) أى فكيف تصرفون عن الحق
 وتتقلدون منه الى غيره والمراد التجنب من أحوالهم ثم أمره الله سبحانه ان يورد عليهم حجة
 سابعة فقال (قل هل من شركائكم) الاستفهام ههنا كالاستفهامات السابقة (من
 يهدى الى الحق) الاستدلال بالهداية بعد الاستدلال بالخلق وقع كثيرا في القرآن كقوله
 الذى خلقني فهو يهدين وقوله الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى وقوله الذى خلق نفوسى
 والذى قدر فهدى وفعل الهداية بيى مع تعديا باللام والى وهما بمعنى واحد روى ذلك عن
 الزجاج وقيل كما يعدى بالى لضمه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على ان المنتهى غاية
 الهداية والمعنى متقارب وقد يحذف الحرف تحقيفا وقد جمع بين المتعدين هنا جرف
 الجرف تعدي الاول والثالث بالى والثانى باللام والتعدي بهذين الحرفين من باب التفتن في

البلغة

عندهم الا ان رجلا يقال له أبو رغال كان لما وقعت النعمة بقومه مقبلا اذ ذاك

في الحرم فلم يصبه شئ فلما خرج في بعض الايام الى الحل جاءه من السماء فقته وقدم في أول القصة حديث جابر بن
 عبد الله في ذلك وذكره وأن أبا رغال هذا هو الدقيق الذين كانوا يسكنون الطائف قال عبد الرزاق عن معمر بن أبي حمزة
 اسمعيل بن أسامة أن النبي صلى الله عليه وسلم هو يقرب أبي رغال فقال أندرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا قبر أبي رغال
 رجس من ثمود كان في حرم الله فحرم الله عذاب الله فلما خرج أصابه ما أصاب قومته فدفن ههنا ودفن معدن من ذهب

فقرئ القوم فاستدروا بأسيا فهم فحجوا عنه فاستخرجوا الغصن وقال عبد الرزاق قال معمر قال الزهري أبو رغال أبو ثقيف هذا مرسل من هذا الوجه وقد روى متصلا من وجه آخر كما قال محمد بن أبي اسحق عن اسمعيل بن أمية عن جبير بن أبي جبير قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين خرجنا معه إلى الطائف فمرنا بقبر فقال هذا قبر أبي رغال وهو أبو ثقيف وكان من عهود وكان هذا الحرم قد دفع عنه فلما خرج أصابته النقمة التي أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه وماية ذلك أنه دفن معه غصن من ذهب أنتم (٢١٧) بنسبت عنه أضيقوه فاستخرجوا فاستخرجوا منه الغصن وهكذا رواه أبو داود

عن يحيى بن معين عن وهب بن جرير ابن حازم عن أبيه عن أبي اسحق قال شيخنا أبو الجراح المزني وهو حديث حسن عزيز (قلت) تفرد بوجه جبير ابن أبي جبير وهذا هو شيخ لا يعرف إلا بهذا الحديث قال يحيى بن معين ولم أسمع أحدا روى عنه غير اسمعيل ابن أمية (قلت) وعلى هذا فيخفى أن يكون وهم في رفع هذا الحديث وإنما يكون من كلام عبد الله بن عمرو عما أخذ من الزاملتين قال شيخنا أبو الجراح بعد أن عرضت عليه ذلك وهذا محتمل والله أعلم (فتولى عنهم وقال يا قوم لقد

أبلغتكم رسالة ربّي ونهتكم لكم ولكن لا تحبون الناصحين) هذا تريع من صالح عليه السلام لقوم لما أهلكهم الله بمخالفتهم إياه وتغردهم على الله وإياهم عن قبول الحق وإعراضهم عن الهدى إلى العمى قال لهم صالح ذلك بعد هلاكهم فترى يعاقبون يعاقبونهم يسمعون ذلك كما كانت في الصحيتين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما

البلاغة ولذلك قال الزمخشري هذه الحق والحق فجمع بين اللغتين والمراد بالحق في المواضع الثلاثة ضد الباطل ولما كانوا جاهلين بالجواب الحق في ذلك وأمعن بن أمر الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يجيب بقوله (قل) لهم (الله) الذي له الاحاطة الكاملة (بهدي الحق) من يشاء دون غيره ممن زعموا أنهم شركاء لربهم ذلك ما تقدم من الأدلة الدالة على اختصاصه سبحانه بهذا وهداية الله سبحانه لعباده إلى الحق هي عما نصبه لهم من الآيات في المخلوقات وأرساله للرسول وأزاله للكتب وخلقه لما يتوصل به للعباد إلى ذلك من العقول والأفهام والاسماع والابصار والاستفهام في قوله (أفئن) للتقرير والزام الخلق والقائل ترتيبه على ما سبق وهو برهان ثامن ليدرك جوابه في الآية والمعنى أفئن (بهدي) الناس (إلى الحق) وهو الله سبحانه (أحق أن يتبع) أو يقتدى (أم من لا بهدي) أي أم الحق بأن يتبع ويقتدى به من لا بهدي بنفسه (الآن بهدي) الاستثناء مفرغ من أعم الأحوال أي لا بهدي في حال من الأحوال التي حال هدى الغير إياه وكان مقتضى المقابلة أن يقال أم من لا بهدي وإنما خولف إشارة إلى أنه إذا لم يتبدل بنفسه لا بهدي غيره وقال النحاس الاستثناء منقطع كما تقول فلان لا يسمع غيره إلا أن يسمع أي لكنه يحتاج أن يسمع فعني الآن بهدي أي لكنه يحتاج أن بهدي (فما لكم كيف تحكمون) هذا تعجب من حالهم باستفهام من يتوالين أي أي شيء ثبت لكم في هذه الحالة فهذا جله مستقلة وكيف تحكمون أي افتخاد هؤلاء شر كاته وهي جله أخرى مستقلة وكلا الاستفهامين للتقرير والتوبيخ فحين سجدوا له هؤلاء عليه في أمر دينهم وعلى أي شيء يشبهه وبأي شيء اتبعوا هذا الدين الباطل وهو الشرك فقال (وما يتبع أكثرهم الاظنا) هذا كلام مبتدأ أغرد داخل في الأوامر السابقة والمعنى ما يتبع هؤلاء المشركون في أشرا كهمل بالله وجعلهم له أندادا لا مجرد الظن والتخمين والتخسوس ولم يكن ذلك عن بصيرة والتفات إلى فرد من أفراد العلم فضلا عن أن يسلكوا مسالك الأدلة الصحيحة الهادية إلى الحق المبينة على المقدمات اليقينية الصادقة في فهموا مضموها ويقفوا على مقتضاها وبطلان ما يخالفها بل ظن من ظن من سلفهم أن هذه العبودات تقر بهم إلى الله وإنما انتفع لهم ولم يكن ظنه هذا المستند قط بل مجرد خيال محتمل وحسب باطل فقلدوا فيه آباءهم ولعل تكثير الظن هنا للتحقير أي الاطناض عفاوا بها لا يستند إلى

(٢٨ - فتح البيان ح) ظهر على أهل بدر أنهم ثلاثمائة أمر برأيتهم فدفنت بعد ثلاث من آخر الليل فركبها ثم سار حتى وقف على القلب قلب بدر فجعل يقول يا أبا جهل بن هشام اعتبر بن ربيعة يا شيبه بن ربيعة ويا فلان بن فلان هل وجدت ما وعد ربكم حقاً فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً فقال له عريار رسول الله ما تكلم من أقوام قد جفوا فقال والذي نفسي بيده ما أنتم يا جامع لما أقول منهم ولكن لا يجيبون وفي السيرة أنه عليه السلام قال بئس عشرة النبي كنتم لتبينكم كذب تنوني وصدقني الناس وأخرجتنوني وآواني الناس وقال لقوني ونصرني الناس فبئس عشرة النبي كنتم لتبينكم وهذا صالح عليه السلام قال لقومه

لقد بلغتكم رسالتي ونصحت لكم أي فلم تنتفعوا بذلك لانكم لا تحبون الحق ولا تتبعون اصحابا ولهذا قال والله ان لا تحبون
 الساجدين وقد كره بعض المفسرين ان كل نبي حكمت أمته كأن يذهب فيقسم في الحرم حرم مكة وأنه أعلم وقد قال الامام
 أحمد حدثنا وكيع حدثنا زهير بن صالح عن سلمة بن عهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال لما مر رسول الله صلى الله عليه
 وسلم بوادي عسفان حين حج قال يا بكر أرى وادعا قال هذا وادي عسفان قال لقد مر به وهو دواخل عليه ما السلام على
 بكرات خضمين اللين أزرهم العبا وأردتهم (٢١٨) الثاريليون يحجون البيت العتيق هذا حديث غريب سن هذا

ما تستد المسائر الظنون وقيل المراد بالآية انما يتبع أ كثرهم في الإيمان بالله والآخر
 به الاظنا والاول اولى وقيل المراد بالاكثر الكس لان جميعه يتبعون الظن في دعواهم ان
 الاصنام تنفع لهم قال الكرخي وفيه دليل على ان تحصيل العلم في الاصول واجب
 والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز وقيل المراد بالاكثر الرؤساء ثم أخبرنا الله سبحانه
 (ان الظن لا يغني من الحق شيئا) لان أمر الدين انما ينبغي من العلم وبه ينضج الحق من
 الباطل والظن لا يقوم مقام العلم ولا يدرك به الحق ولا يغني عن الحق شي من الاشياء
 والجملة مستأنفة ليس ان الظن وبطلانه ومن يغني عن واخوة تعني العلم (ان الله يعلم
 بما يفعلون) من الافعال الناجية الصادرة لا عن برهان فيدرج تحتها ما حكمي عنهم من
 الاعراض عن البراهين القاطعة والاتباع لظنون الفاسدة اندراجا وليا (وما كنن هذا
 القرآن ان يفترى) قيل ان معنى اللام أي لا يفترى وقيل يعنى لا أي لا يفترى لما فرغ سبحانه
 من دلائل التوحيد وبوجه شرعي تبينت أمر النبوة أي وما صح وما استقام أن يكون هذا
 القرآن المشغل على الحجج البينة والبراهين الواضحة مفترى من الخلق (من دون الله) وانما هو
 من عند الله عز وجل وكيف يصح أن يكون مفترى على سبيل الاتهام ولا اختلاق وقد عجز
 عن الاتيان بدورة منه انقوم الذين هم أقص الحرف لسانا وأدقهم اذنانا قال القرطبي
 الآية وما ينبغي لهذا القرآن ان يفترى كقولنا وما كان لبي ان يقول وما كان المؤمنون
 ليفتروا كافة يعنى ليس وصف القرآن وصف شيء يمكن ان يفترى به على الله لان المفترى
 هو الذي يأتي به البشر والله مبرأ عن الافتراء والكذب (ولكن) كان هذا القرآن ووقت
 لكن خفا أحسن موقع اذ هي بين تقيض وهما الكذب والصدق المضن للتصديق وفيه
 أوجه أحدها العطف على خبر كان الثاني أنه خبر لكان مضرة وتقدم تقديره واليه ذهب
 الكسافي والقرطبي وابن سعدان والزجاج وهذا كالذي قبله في المعنى الثالث تقديره وما كان
 هذا القرآن أن يفترى ولكن أنزل للتصديق والرابع تقديره ولكن يصدق النبي قاله النبي
 (تصديق الذي بين يديه) أي أمامه من الكتب الالهية المنزلة على الانبياء قبل أي نعم الله
 بشرت به قبل نزوله فجاء مصداقها ونفس هذا التصديق مجزة سقطة لان أقاصيصه
 موافقة لما في الكتب المتقدمة مع ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يطالع على ذلك ولا قيل
 ولأسال عنه ولا اتصل به لانه بذلك وقيل المعنى ولكن تصديق النبي الذي بين يدي القرآن

الوجه لم يخرج أحد منهم (ولو ط
 اذ قال لقومه أنا أنون الناحية
 ما سبقكم به من أحد من العالمين
 أممكم لتأتون الرجال شهوة من دون
 النساء بل أنتم قوم مسرفون) يقول
 تعالى ولقد أرسلنا لوطا وأهله
 واذ كر لوطا اذ قال لقومه ولوط هو
 ابن هار بن آزر وهو ابن أخي
 ابراهيم الخليل عليه السلام وكان
 قد آمن مع ابراهيم عليه السلام
 وهاجر معه الى أرض الشام فبعثه
 الله الى أهل سدوم وما حولها من
 القرى يدعوهم الى الله عز وجل
 ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عما
 كانوا يرتكبونه من المأثم والمحرم
 والفواحش التي اختبروها
 لم يسمعه بها أحد من بني آدم
 ولا غيره وهو اتيان الذكور وهذا
 شيء لم يكن يتوقعه دونه ولا نفسه
 ولا يحضر بها لهم حتى صنعه
 أهل سدوم عليهم لعائن الله قال عمرو
 ابن دينار في قوله ما سبقكم به من
 أحد من العالمين قال ما نراذ كر على
 ذكر حتى كان قوم لوط وقال الوليد
 ابن عبد الملك ان خلفه الاموي يأتي
 جامع دمشق ولو لأن الله عز وجل قصر

علينا خبر قوم لوط ما ظننت أن ذكرا يعاونه كراول هذا قال لهم لوط عليه السلام أنا أنون
 الناحية ما سبقكم به من أحد من العالمين أممكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء أي عدلتم عن النساء وما خلق لكم ربكم
 منهن الى الرجال وهذا امراف منكم وجهل لانه وضع الشيء في غير محله ولهذا قال لهم في الآية الاخرى قال هؤلاء بناتي ان كنتم
 فاعلين فأرسلهم الى نساءهم فاعتدوا اليهن بأنهم لا يشتهونهن قالوا لقد علمت ما تأتي بناتك من حق وانك تعلم ما تريد أي لقد علمت
 انه لا أرب لنافي النساء ولا رادة وانك تعلم ما ادنا من أضيافك وذكرا المفسرون أن الرجال كانوا قد استغنى بعضهم ببعض وكذلك

نسأؤهم قد استغنى بعضهم بعضاً (وما كان جواباً) ان قالوا اخرجوهم من قريبتكم انهم اناس يطهرون اي
 ما أجابوا الوط الا ان هو ابنا خوجه وثيقه ومن معه من بين أظهرهم فاخرجهم الله تعالى سالوا اهل كهم في أرضهم ضاغر من مهانين
 وقوله تعالى انهم اناس يطهرون قال قتادة عابوهم بغير عيب وقال مجاهد انهم اناس يطهرون من أدبار الرجال وأدبار النساء وروى
 مثله عن ابن عباس أيضاً فانحيبناهم أهله الامم انه كانت من العارين وأمطرنا عليهم طرأ فانظر كيف كان عاقبة المجرمين يقول
 تعالى فانحيبوا طواراً له ولم يؤمن به أحد منهم سوى أهل بيته فقط (٢١٩) كما قال تعالى فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين

فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين
 الا امرأته فانهم اتوا من به بل كانت
 على دين قومها فاتهم عليه وتعلمهم
 بمن يقدم عليه من ضيقاها بشارات
 بينها وبينهم ولهذا الماء امر لوط عليه
 السلام ليسرى بأهله امر أن لا يعيها
 ولا يخرجهم من البلد ومنهم من يقول
 بل اتبعتم فلما جاء العذاب التفتت
 هي فاصابها ما أصابهم والاطهر أنها
 لم تخرج من البلد ولا أعلمها لوط بل
 بقيت معهم ولهذا قال ههنا لا
 امرأته كانت من العارين اي
 السابقين وقيل من الهالكين وهو
 تفسير باللازم وقوله وأمطرنا عليهم
 مطراً مفسر بقوله وأمطرنا عليها
 حجارة من سجيل منضود مسومة
 عند ربك وما هي من الظالمين بعيد
 ولهذا قال فانظر كيف كان عاقبة
 المجرمين أي انظر يا محمد كيف كان
 عاقبة من يجترى على معاصي الله
 عز وجل ويكذب رسوله وقد ذهب
 الامام أبو حنيفة رحمه الله الى أن
 الاطراف التي من شاق وقبيل بالبحارة
 كما فعل لوط وذهب آخرون
 من العلماء الى انه يرجع سواء كان
 محصناً أو غير محصن وهو أحد قولين

وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم لانهم شاهدوه قبل أن يسمعوامنه القرآن (وتفصيل
 الكتاب) التفصيل التبيين أي بين ما في كتب الله المتقدمة واللاحقة والامم في الكتاب
 للجنس وقيل أراد ما بين في القرآن من الاحكام فيكون المراد بالكتاب القرآن وقيل اللوح
 المحفوظ (لاربابه) الضمير على الله القرآن وهو داخل في حكم الاستدراك وهو خبر
 ثالث أو حال من الكتاب أي مستقباعنه الرب وبأب واستأنف وأمعترض بين تصديق وبين
 (من رب العالمين) أي كائن منه خبر رابع أو حال ثانية أو متعلق بتصديق أو بتفصيل أو
 التقدير أو لئلا للتصديق من رب العالمين (أم يقولون افتراء) الاستفهام لانكار عليهم مع
 تقرير ثبوت الحق وأهم في المنقطة التي يعمى بل والهزيمة أي بل يقولون افتراء واختلفه
 وقال أبو عبيدة أم بمعنى الواو أي ويقولون وقيل الميم زائدة أي يقولون والاستفهام
 للتقرير والتوبيخ والالتماس والاستبعاد أي هذا القول منهم في غاية البعد والاشاعة
 وقيل التقدير يقولون أم يقولون ثم أمره الله سبحانه ان يصداهم حتى يظهر عجزهم
 ويشين ضعفهم فقال (قل) سيكتا لهم واطهار البطلان مقالهم الفاسدة (فأولئك) أي ان كان
 الامر كما تزعمون من أن محمد افتراء فأولئك على جهة الافتراء (بسورة مثله) في البلاغة
 وبخودة الصناعة فأنتم مثله في معرفة لغة العرب وفصاحة الالسن وحسن الظنم وبلاغة
 الكلام والمراد مثل هذه السورة لانها أقرب ما يمكن أن يشار اليه هكذا قال الرازي وهي
 مكية والاولى السأول لجميع السور فانهم لا يقدرون ان يأثروا بقصر سورة (وادعوا)
 بظاهر نيكوم ومعانيكم (من استعظمتم) دعاء والاستعانة بهم قبائل العرب ومن
 آلهمسكم التي تجعدهم انشر كاه الله (من دون الله) أي من سوى الله من خلقه (ان
 كنتم صادقين) في دعواكم أن هذا القرآن مفترى فان ذلك مستلزم لان كان الاميان
 مثله وهو أيضاً مستلزم لقدركم عليه وسبحان الله العظيم ما أقوى هذه الحججة وأوضحها
 وأطهرها العقول فانهم لم يأتوا بالافتراء الى واحد منهم في البشرية والعربية قال لهم
 هذا الذي نسبوه الى وأنا واحد منكم ليس عليكم الا أن تأثروا وأنتم الجمع الجمع بسورة
 مماثلة لسورة من سورة واستعينوا بمن شئتم من أهل هذه اللسان العربية على كثرتهم
 وتباين مساكنهم أو من غيرهم من بني آدم ومن الجن أو من الاصنام فان فعلتم هذا بعد
 التباين التي فأنتم صادقون فيما نسبوه الى وألصقوه في قلم يأثروا عند سماع هذا الكلام

الشافعي رحمه الله والحجة ما رواه الامام احمد وابوداود والترمذي وابن ماجه من حديث الدراودى عن عمرو بن ابى عمرو عن عكرمة
 عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقبلوا الفاعل والمفعول به وقال آخرون هو
 كازي فان كان محصناً رجم وان لم يكن محصناً جلد مائة جلدة وهو القول الاخر الشافعي وامامتاين النساء في الادبار فهو اللوطية
 الصغرى وهو خرم ابا جاع العلماء الا قولاً شاذ البعض السلف وقد ورد في النهي عنه أخذت كثرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وقد تقدم الكلام عليه في سورة البقرة (والى مدین) أخذهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من الله غيرة قد جاءتكم من ربكم

فانفوا الكيل والميزان ولا تحسوا الناس أشياءهم ولا تحسوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين قال محمد بن اسحق هم من سبالة مدين بن اراهيم وشعيب هو ان ميكل بن يبحر قال واجهه بالسريانية يقولون (قلت) مدين تطلق على القبيلة وعلى المدينة وهي التي يقرب معان من طريق الحجاز قال الله تعالى ولما ورد ما مدين وجد عنده أمة من الناس يسقون وهم أصحاب البكة كما سذكروا ان شاء الله وبه الثقة قال ياقوت عبد الله ما لى من الله غيرهم دعوة الرسل كلهم قد جاءكم بينة من ربكم أى قد أطم الله الخبيج (٢٢٠) والبيات على صدق ما كتبكم به ثم وعظهم في معاملتهم الناس بأن يوفوا

المكيل والميزان ولا يحسوا الناس أشياءهم أى لا يخوفوا الناس في أموالهم ولا يأخذوا على وجه الغش وهو نقص المكيل والميزان خفية وتديسا كما قال تعالى ويل للظالمين الى قوله رب العالمين وهذا تمديد شديد وعيد أكد نسال الله العافية منه ثم قال تعالى اخبارا عن شعيب الذي يقال له خطيب الانبياء الفصاحة عبارة وجر الله وعظمت (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتعدون عن سبيل الله من آمن به وسعوا عروبا واذكروا ان كنتم قايلا ففكرتم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلنا به وطائفة منكم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بينهم وهو خير الحاكمين) بنهاهم شعيب عليه السلام عن قطع الطريق الحسى والمعنوى بقوله ولا تقعدوا بكل صراط توعدون أى توعدون الناس بالقتل ان لم يعطوكم أموالهم قال السدى وغيره كانوا عشارين وعن ابن عباس ومجاهد وغير واحد لا تقعدوا

المنصف والعدل البالغ بكلمة ولا تقعدوا بنية بل كعوا عن الجواب وتشدوا باليد العناد البارد والمكابرة المجردة عن الحجة وذلك مما لا يجوز من قبل من أتى بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسبل القرآن أربعة أولها انه لم يحداهم بكل القرآن كما قال تعالى قل لن اجمع بين الناس والجن على ان يأتوا بعمل هذا القرآن ثانيها انه لم يحداهم بعشر سور قال تعالى قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات ثالثها انه لم يحداهم بسورة واحدة كما قال تعالى فاتوا بسورة مثله رابعها انه لم يحداهم بحديث مثله كما قال تعالى قلنا يأتوا بحديث مثله فهذا مجموع الدلائل التي ذكرها الله في اثبات ان القرآن معجز ثم ان الله تعالى ذكر السبيل الذي لا جله كذبا بالقرآن وأتى به عتب هذا التحدى البالغ فقال (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) فاضرب عن الكلام الاول واتقل الى بيان انهم ساروا الى تكذيب القرآن قبل ان يتدبروه ويفهموا معانيه وما شغل عليه وهكذا اصنع من تصلب في التقليد ولم يسأل عما جاء به من دعا الى الحق وتمسك بذنوب الانصاف بل يريد مجرد كونه لم يوافق هواه ولا جاء على طبق دعواه قبل ان يعرف معناه ويعلم مناد كآراءه عانا ونعلمه وحداانا والحاصل ان من كذب بالحق البتة والبرهان الواضح قبل ان يحيط بعلمه فهو لم يتكلم بشئ في هذا التكذيب الا مجرد كونه جاهلا تماما كذب به غير عالم به فكان هذا التكذيب مناديا على نفسه بالجهل باعلى صوت ومسجلا بقصوره عن تعقل الخبيج بأبلغ تسجيل وليس على الحق ولا على من جاءهم به من تكذيبه شئ

ما يبلغ الاعداء من جاهل * ما يبلغ الجاهل من نفسه

(ولما يأتهم تأويله) أى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولم يأتهم تأويله أى كذبوا به حال كونهم لم يفهموا تأويل ما كذبوا به ولا بلغته عقولهم ولا وصلت اذهانهم بمعانيه الرقيقة المنبثة عن علو شأنه والمعنى ان التكذيب وقع منهم قبل الاطاعة بعلمه وقبل ان يعرفوا ما يؤول الله من صدق ما استعمل عليهم من حكاية ما سلف من أخبار الرسل المتقدمين والائم السابقين ومن حكايات ما سجدت من الامور المستقبلة التي أخبر عنهم سابقا كونهم اقبلوا ان يفهموا حق الفهم وتتعلم عقولهم فانهم لم يتدبروه كل التدبر لفهمه وكما سبق وعرفوا ما استعمل عليهم من الامور الدالة بأبلغ دلالة على انه كلام الله وعلى هذا فاعنى تأويله ما يؤول اليه من تدبره من المعاني الرشقة والطائفة الانيقة وكلمة التوقع أظهر في المعنى الاول

وبكل صراط توعدون أى توعدون المؤمنين الاتين الى شعيب ليتبعوه والاول أظهر لانه قال بكل صراط وهو الطريق وهذا الثاني هو قوله وتعدون عن سبيل الله من آمن به وتسعونها عواجاى تؤدون ان تكون سبيل الله عواما انه واذكروا ان كنتم قايلا ففكرتم أى كنتم مستضعفين لقتلكم فصرتم أعز لكمثرة عبدكم فاذا كروا لعممة الله عليكم في ذلك وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين أى من الامم الخالية والقرون الماضية وما حل بهم من العذاب والنكال باجترائهم على معاصي الله وتكذيب رسوله وقوله وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلنا به وطائفة لم يؤمنوا أى قد اختلفتم

والمعنى

على قاصبه واى انتظر وحتى يحكم الله بيننا وبينكم اى يفصل وهو خير الحاكمين فانه سيجعل العاقبة للمتقين والدمار على الكافرين
(قال الملا الذين استكبروا من قومه لخبر حنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا والتعودن في ملتنا قال اولو كا كارهين قد
افتبر بنا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله فلما بعد اذ نجانا الله فلما بعد اذ نجانا الله فلما بعد اذ نجانا الله فلما بعد اذ نجانا الله
على الله فوكتنا ربنا افخ بيننا وبين قومنا بالحق وانت خيرنا لفلانين) هذا خبر من الله تعالى عما واجهت به الكفار بنيه شعيبا ومن
معهم المؤمنين في نعوذهم اياه ومن معهم المؤمنين بالنبي عن القرية (٢٢١) أو الاكرام على الرجوع في ملتهم وال دخول

معهم فيما هم فيه وهذا خطا بامع
الرسول والمراد اتباعه الذين كانوا
معهم على الملة وقوله اولو كا
كارهين بقول أو أنتم فاعوذ ذلك ولو
كا كارهين ما ندعونا اليه فانا ان
رجعنا الى ملتكم ودخلنا معكم
فيما أنتم فيه فقد أعظمنا القرية
على الله في جعل الشر كما معه أندا
وهذا تفير منه عن اتباعهم وما
يكون لسان نعوذ فيها الآن يشاء
الله ربنا وهذا الى الله مستقيم
فانه يعلم كل شيء وقد حاط بكل
شيء علما على الله فوكتنا ربنا افخ
أمورنا ما نأتى منها وما نذر ربنا افخ
بيننا وبين قومنا بالحق اى احكم
بيننا وبين قومنا وانصرنا عليهم
وأنت خيرنا لفلانين اى خير
الحاكمين فانك العادل الذى لا يجوز
أندا (وقال الملا الذين كفروا من
قومه اثنا عشر سمعنا انكم اذا
نبايرون فأخذتمهم الرحمة
فأصحوافى دارهم جاءن الذين
كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها
الذين كذبوا شعيبا كانوا هم
الخالسين) يخبر تعالى عن شدة
كفرهم وقدرهم وعظمتهم وما هم فيه

والمعنى ان القرآن مجتزئ من جهة النظم ومن جهة المعنى من حيث الاخبار بالغيب
(كذلك) اى مثل ذلك التكذيب (كذب الذين من قبلهم) من الأمم عتدان جاعتهم
الرسول بجحج الله وبراهينه فانهم كذبوا به قبل أن يحطوا به وقبل أن يأتهم تأويله
(فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) من الأمم السالفة من سوء العاقبة بالتحسف والمسخ
وفحود ذلك من العقوبات التي حلت بهم كما حكى ذلك القرآن عنهم واشتملت عليه كتب الله
المنزلة عليهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكل فرد من الناس والجله في
قوة فاعوذهم كلهم (ومنهم) اى ومن هؤلاء الذين كذبوا بالقرآن (من يؤمن به) في نفسه
وبه لم اصدق وحق ولكنه كذب مكابرة وتعاددا وقيل المراد ومنهم من يؤمن به في
المستقبل وان كذب به في الحال (ومنهم من لا يؤمن به) ولا يصدق في نفسه بل كذب
به جهلا وتقليدا أو لا يؤمن به في المستقبل بل يبق على وجوده واصراره وقيل الضير في
الموضوع للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد قيل ان هذا التقسيم خاص بأهل مكة وقيل
عام في جميع الكفار (وربك أعلم بالمفسدين) فيجازيهم بأعمالهم والمراد بهم المفسدون
المعادنون (وان كذبوا فقل) أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يقول
لهم ان أصرروا على تكذيبه واستمروا عليه (ل) جزاء (على ولكم علكم) اى جزاؤه
فقدأ بلغت اليكم ما أمرت به لا بغه وليس على غير ذلك ثم كذبوه (أنتم ربون مما
أعمل وأبارى مما تعملون) اى لا تؤاخذون بعملى ولا تأخذونكم وبفسه فوكيدنا
أفادته لآلام الاختصاص من عدم تعدى أجر العمل الى غير عامله وقد قيل ان هذا
منسوخ بآية السيف لما فيه من إيهام الاعراض عنهم وتخليه سبيلهم كاذب اليه
جماعة من المفسرين منهم مقاتل والكلبي وعن ابن زيد قال أمر الله به هذا ثم نسخ
فأمره بجهادهم قال الرازى وهو بعيد لان شرط النسخ أن يكون ارتفاع الحكم المنسوخ
ومدلول الآية اختصاص كل واحد بأفعاله وبثمرات أفعاله من الثواب والعقاب وآية
القتال ما رفعت شيئا من مدلولات هذه الآية بل هو باق فكان القول بالنسخ باطلا (ومنهم
من يستعون الدين) بين الله سبحانه في هذا أن في أولئك الكفار من بلغت حاله في الفرة
والعداوة الى هذا الحد وهى أنهم يستعون الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان اقرأ القرآن

من الضلال وما جبات عليه قلوبهم من الخلق للحق ولهذا أقسموا وقالوا لن اتبعن شعيبا انكم اذا ناسرون فلماذا عاقبه بقوله
فأخذتهم الرحمة فأصحوافى دارهم جاءن الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها
عنهم في سورة هود فقال ولما جاء أمرنا بنحيت شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جائعين
والمناسية هناك والله أعلم انهم لم يمتكم وما يبق قولهم أصلانك تأمرنا الآية فجأت الصيحة فأسكتهم وقال تعالى اخبارنا عنهم في
الشعرا فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم وما ذاك الا لانهم قالوا له في سياق القصة فأسقط علينا كسفا من

السماواتية فأخبرناه أصابهم عذاب يوم النقلة وقد اجتمع عليهم ذلك كله أصابهم عذاب يوم النقلة وهي سحابة أظلمت فيها شر من نار ولهب وروح عظيم ثم جاءتهم صيحة من السماء وجفقت الأرض شديد من أسفل منهم فزهقت الارواح وفاضت النفوس ونفذت الاجسام فأصجوا في دارهم جاثين ثم قال تعالى كان لم يغنوا فيه أي كانوا أصابهم النقلة لم يقيموا بدارهم التي أرادوا اجلاء الرسول وصحبه منها ثم قال تعالى مقابل لتبليهم الذين كذبوا شعبا كانوا هم الخاسرين (فقتلوا عنهم وقال أقوم لقد بلغتمكم رسالاتي ونبهتكم فكيف آسى على قوم (٢٢٢) كافرين) أي فقتلوا عنهم شعيب عليه السلام بعدما أصابهم ما أصابهم رسالاتي ونبهتكم فكيف آسى على قوم

من العذاب والنقمة والهلاك وقال مقرر عالمهم وموحيًا أقوم لقد بلغتمكم رسالاتي ونبهتكم أي قد أدبت اليكم ما أرسا به فلا آسف عليكم وقد كفرتم بما جئتكم به فلهذا قال فكيف آسى على قوم كافرين (وما أرسنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسرا فآخذناهم بغيته وهم لا يشعرون) يقول تعالى تخبرنا عما اختر به الامم الماضية الذين أرسل اليهم الانبياء بالبأساء والضراء يعني بالبأساء ما يصيبهم في أبدانهم من أمراض واسقام والضراء ما يصيبهم من فقر وجاجة ونحو ذلك اعلهم بضرعون أي يدعون ويخشعون ويتنزلون الى الله تعالى في كشف ما نزل بهم وتقدير الكلام انه ابتلاهم بالبأساء ليضربوا عن اعقابهم لثباتهم الذي أراد منهم فقلب عليهم الحال الى الرخاء ليختبرهم فيه ولهذا قال ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة أي حولنا الحال من شدة الى رخاء ومن مرض وسقم الى صحة وعافية ومن فقر الى غنى ليثكروا على ذلك فاعلوا وقوله حتى عفوا أي

وعلم الشرائع في الظاهر واكتهم لا يسمعون في الحقيقة لعدم حصول أثر السماع وهو حصول القبول والعمل بما يسمعون به وجع الضمير في سعة وجلال على معنى من وأفرده في ومنهم من ينظر جلالا على لفظه قيل والنكتة كثرة المستمعين بالنسبة الى الناظرين لان الاستماع لا يتوقف على ما يتوقف عليه النظر من المقابلة وانقاء الحائل وانفصال الشعاع والنور الموافق لتور البصر والتقدير في قوله ومنهم من يستمعون ومنهم من ينظر ومنهم من يسمعون ومنهم من يسمعون بعض ينظر (أفانت تسمع الصم) الهزيمة للانكار يعني أن هؤلاء وان استمعوا في الظاهر فهم صم والصم مانع من سماعهم فكيف يطمع منهم في ذلك مع حصول المانع وهو الصم فكيف اذا انضم الى ذلك (ولو كانوا لا يعقلون) فان من كان أصم غير عاقل لا يفهم شيئا ولا يسمع ما يقال له والفاء عاطفة وفيه تنبيه على أن حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لا توصف به البهائم وهو لا يتأتى الا باستعمال العقل السليم في تدبره وعقولهم لما كانت مريضة بعارضات الوهم ومتابعة الانا والتقليد تعذرا ففهمهم الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا بسرا الا لفاظا عليهم غير ما ينتفع به البهائم من كلام الناعق والكلام في (ومنهم من ينظر البصير أفانت تهدي العمى ولو كانوا لا يبصرون) كالكلام فيما تقدم لان العمى مانع فكيف يطمع من صاحبه في النظر وقد انضم الى فقد البصر فقد البصيرة لان الاعشى الذي له في قلبه بصيرة قد يكون له من الحدس الصحيح ما يفهمه في بعض الاحوال فهما اقوم مقام النظر وكذلك الاصم العاقل قد يتحدس تحديسا يفهمه بعض فائدة بخلاف من جمع له بين عمى البصر والبصيرة فقد تعذر عليه الادراك وكذا من جمع له بين الصم والبصيرة فذهب العقل فقد انسد عليه باب الهدى والمقصود من هذا الكلام تنبيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فان الطبيب اذا رأى مريضا لا يقبل العلاج أصلا أعرض عنه واستراح من الاشتغال به والهزيمة للانكار (ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون) ذكر هذا عقب ما تقدم من عدم الاهتداء بالاسماع والابصار لبيان أن ذلك لم يكن لاجل نقص فيما خلقه الله لهم من السمع والعقل والبصر والبصيرة بل لاجل ماصارف طبائعهم من العصب والمكابرة للحق والمجادلة بالباطل والاصرار على الكفر فهم الذين ظلموا أنفسهم بذلك ولم يظلمهم الله شيئا من الاشياء بل خلقهم وجعل لهم من المشاعر ما يدركون به أكل

ادراك مرض وسقم الى صحة وعافية ومن فقر الى غنى ليثكروا على ذلك فاعلوا وقوله حتى عفوا أي كبروا وكثرت أموالهم وأولادهم يقال عفوا الشيء اذا كثر وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسرا فآخذناهم بغيته وهم لا يشعرون يقول تعالى ابتليناهم بهذا وهذا ليعرفوا انهم لا يفتخرون بالهدى ولا بالبصيرة بل لاجل نقص فيما خلقه الله لهم من السمع والعقل والبصر والبصيرة بل لاجل ماصارف طبائعهم من الكفر فهم الذين ظلموا أنفسهم بذلك ولم يظلمهم الله شيئا من الاشياء بل خلقهم وجعل لهم من المشاعر ما يدركون به أكل مرض وسقم الى صحة وعافية ومن فقر الى غنى ليثكروا على ذلك فاعلوا وقوله حتى عفوا أي كبروا وكثرت أموالهم وأولادهم يقال عفوا الشيء اذا كثر وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسرا فآخذناهم بغيته وهم لا يشعرون يقول تعالى ابتليناهم بهذا وهذا ليعرفوا انهم لا يفتخرون بالهدى ولا بالبصيرة بل لاجل نقص فيما خلقه الله لهم من السمع والعقل والبصر والبصيرة بل لاجل ماصارف طبائعهم من الكفر فهم الذين ظلموا أنفسهم بذلك ولم يظلمهم الله شيئا من الاشياء بل خلقهم وجعل لهم من المشاعر ما يدركون به أكل

في الصحيحين عبيد المؤمنين لا يقضي الله له قضاء الا كان خيرا له ان اصابته ضراصة فكلن خيرا له وان اصابته سراة اشكر فكلن خيرا له فالؤمن من يتفطن لما ابتلاه الله به من الضراوة والسراة ولهذا جاء في الحديث لا يزال البلاء بالمؤمن حتى يخرج نقيما من ذنوبه والمتناق مشله كمثل الحمار لا يدرى قيم ربطه أهله ولا قيم أرساؤه أو كما قال ولهذا أعقب هذه الصفة بقوله فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون أى أخذناهم بالعقوبة بغتة أى على غتة وعدم شعورهم أى أخذناهم خاتة كما في الحديث موت الفجأة رجسة للمؤمن وأخذنا أسف للكافر (ولان أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم (٢٢٣) بركات من السماء والارض ولكن كذبوا

فأخذناهم عما كانوا يكسبون
فأما من أهل القرى ان يأتهم بأسنا
بما تاهوهم ناعون أو أمن أهل القرى
ان يأتهم بأسنا نحن وهم يلعبون
فأما من أمر الله فلا يأتهم مكر الله
الا القوم الخاسرون) يخبر تعالى
عن قلة ايمان أهل القرى الذين
أرسل فيهم الرسل كقوله تعالى
فلولا كانت قرية آمنت ففعلها
ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا
كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة
الدنيا ومتعناهم الى حين أى
ما آمنت قرية بتمامها الا قوم يونس
فأنهم آمنوا وذلك بعد ما عاينوا
العذاب كما قال تعالى وأرسلناه
الى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا
فغفناهم الى حين وقال تعالى وما
أرسلنا في قريفة من نذير الاية
وقوله تعالى ولان أهل القرى
آمنوا واتقوا أى آمنت قلوبهم بما
جاءهم بالرسول وصدقته واتبعوه
واتقوا بفعل الطاعات وترك
المحرمات لفتحنا عليهم بركات من
السماء والارض أى قطر السماء
ونبات الارض قال تعالى ولكن
كذبوا فأخذناهم عما كانوا

أدرأركم فيهم من الخواص ما يصلون به الى ما يريدون ووفر مصالحهم الدينية عليهم
ورحلي بينهم وبين مصالحهم الدينية * فعلى أنفسهم ابرار حتى * قيل والتكتفى وضع
الظاهر موضع المضمرة زيادة اليقين والتقرير وتقدم المفعول على الفاعل لافادة القصر أو
لجحد الاهتمام مع مراعاة الفاصلة (و) اذكر (يوم نحشرهم) أى المشركين المنكرين
للبعث لموقف الحساب وأصل الحشر اخراج الجماعة واخراجهم من مكانهم أى احياءهم
من القبور (كان) أى كأنهم (لم يلبثوا) أى مشبهين بمن لم يلبث (الاسلعة من النهار)
أى شيئا قليلا والمراد باللبث هو البقاء في الدنيا وقيل في القبور واستقروا المدة الطويلة اما
لانهم ضيعوا أعمارهم في الدنيا فغابوا وجودها كالعدم واستقصروا الدلش والخدمة
أو لاطول وقوفهم في الحشر أولسدة ما هم فيه من العذاب نسوا ان الدنيا وكأنهم لم تكن
ومثل هذا أقولهم ابتداء وما وبعض يوم أولان مقامهم في الدنيا في جنب مقامهم في الآخرة
قليل جدا والمقصود من هذا التشبيه كما قاله أبو السعود بيان كمال سهولة الحشر بالنسبة الى
تعالى ولو بعدد طويل واطهار بطلان استبعادهم انكارهم له بقولهم أئذ آمننا وكذنا ترابا
وعظاما أننا لم نعوتون ونحو ذلك أو بيان تمام الموافقة بين التشايق في الاشكال والصور
فان اللبث اليسير بزمانه عدم التبدل والتغير والمراد بالساعة الزمن القليل فانما مثل في
غاية القلة وتخصيصه بالانهار لان ساعاته أعرف حال من ساعات الليل (يعرفون بينهم)
أى يعرف بعضهم بعضا كأنهم ليتعارفوا لقليل بيان وتقدير لما سبق وذلك يقع في الحشر
الذى هو الاجتماع أى في ابتدائهم ويقطع في آثامهم وقيل عند خروجه من القبور ثم ينقطع
التعارف بينهم لما بين أيديهم من الامور المدهشة للعقول المذهلة للافهام وأما البعث فلا
تعارف فيه لعدم الاجتماع الذى هو لازمه وهذا أحد وجهين في المقام ذكره البضاوى
وأبو البقاء وغالب المفسرين على خلافه وهو تفسير الحشر بالبعث من القبور ويجزى على
هذا أبو السعود والخازن والقرطبي وقيل ان هذا التعارف هو تعارف التوبخ والتعريف
يقول بعضهم لبعض أنت أفضل منى وأغنى لى لتعارف شفقة ورأفة كما قال تعالى
ولا يسأل جيم جيماً وقوله فاذا أنشخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فيجمع
بان المراد بالتعارف هو تعارف التوبخ وعليه يحمل قوله ولورى اذ الظالمون موقوفون
عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول وقوله تعالى لك داخل أمة الاية وقوله ربانا

يكسبون أى ولكن كذبوا رسالهم فعاقبناهم بالهلاك على ما كسبوا من الماسم والمخارم ثم قال تعالى تخوفوا محذرا من مخالفة
أوامره والتجربى على زواجره فأما من أهل القرى أى الكفرة ان يأتهم بأسنا أى عذابنا ونكالنا بما أتى ليلواهم ناعون أو أمن
أهل القرى ان يأتهم بأسنا نحن وهم يلعبون أى في حال شغلهم وغفلتهم فأما من أمر الله أى بأسه وقدمته وقدرته عليهم وأخذ
اياهم في حال سهوهم وغفلتهم فلا يأتهم مكر الله الا القوم الخاسرون ولهذا قال الحسن البصري رحمه الله المؤمن يعمل بالطاعات
وهو متفق وجل خائف والفاجر يعمل بالمعاصى وهو آمن (أولهم الذين يرون الارض من بعد أهلها ان لو نشاء أصبناهم بذنوبهم

نطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون) قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله أولم بهد الذين يزنون الأرض من بعد آهاها أولم يتبين لهم أن لو نشاء أصنافهم بنوهم وكذلك قال مجاهد وغيره وقال أبو جعفر بن جرير في تفسيره ما يقول تعالى أولم يتبين الذين يستخفون في الأرض من بعد ذلك آخر قلبهم كانوا أهل أفسار وواصيتهم وعلموا أن أعمالهم وعتوا على ربهم أن لو نشاء أصنافهم بنوهم يقول ان لو نشاء نعمنا بهم كما فعلنا بن قبيلهم ونطبع على قلوبهم يقول ونختم على قلوبهم فهم لا يسمعون موعظة ولا تذكرا (فأت) وهكذا قال تعالى (٢٢٤) أولم بهد لهم كم أهلك قبليهم من القرون يسبون في مساكنهم أن في ذلك

أطعنا سادتنا الآية قال القرطبي وهو الصحيح وقد جمع بين الآيات المختلفة في مثل هذا وغيره من المواقف يوم القيامة مختلفة فقد يكون في بعض المواقف ما لا يكون في الآخر (قد خسر الذين كذبوا ببقاء الله) هذا تسجيل من الله سبحانه عليهم بالخسران ونهيب منه ولذا أتى بحرف التحقيق والمراد بالقاء يوم القيامة عند الحساب والجزاء أي من باع آخرته الباقية بدينه القانية قد خسر لأنه أثر القاتل على الباقي والجلالة مستأنفة أو في محل نصب باضمار قول أي قاتلين قد خسر (وما كانوا مهتدين) نفي عنهم أن يكونوا من جنس المهتدين لجهلهم وعدم طلبهم لما ينجيهم وينفعهم ويصلحهم (واما من ترك بعض الذي نفعهم) أصله ان تركه وامر يزيد لتأكيده معنى الشرط ولا جله زيدت نون التأكيده خلا قال السيوطي والمعنى ان حصاة من الآراء لك بعض الذي وعدناهم من اظهار دينك في حياتك بقتلهم واسرهم وجواب الشرط محذوف والتقدير قترأه وفذلكه وجهلة (أو توفيتك) معطوفة على ما قبلها المعنى أولًا ترك دينك ذلك في حياتك بل توفيتك قبل ذلك (قال الشاعر جمعهم) فعند ذلك نعتهم في الآخرة قتر بك عذابهم فيها وجواب أو توفيتك محذوف أيضا والتقدير أو توفيتك قبل الآراء فنحن ترك ذلك في الآخرة وقبل أنه جواب للشرط وما عطف عليه أنه معناه صالح لذلك وإلى هذا ذهب العوفي وابن عطية وقيل ان جواب أو توفيتك هو قوله قال الشاعر جمعهم دلالة على ما هو المراد من آراء النبي صلى الله عليه وآله وسلم نعتهم في الآخرة وقيل العديل في الموضعين إلى صيغة المستقبل لاستحضار الصورة والاصل اربناك أو توفيتك وفيه نظر وفان آراءه صلى الله عليه وآله وسلم لبعض ما وعد الله المشركين من العذاب لم تكن قد وقعت كل وفاة وحاصل معنى هذه الآية ان لم ينتقم منهم عاجلا انتقمنا منهم أجلا وقد اراه الله سبحانه قتلهم واسرهم وذهاب عزمهم وانكسار سورة كبرهم عما أصابهم به في يوم بدر وما به بعده من المواطن فله الحمد (ثم الله شهيد على ما يفعلون) من ترك دينهم وكفرهم فعذبهم أشد العذاب وجاء بهم الدالة على التعميد مع كون الله سبحانه شهيد اعلى ما يشعرونه في الدارين للدلالة على ان المراد بهذه الأفعال ما يستترب عليها من الجزاء أو ما يحصل من انطاق الجوارح بالشهادة عليهم يوم القيامة فجعل ذلك بمنزلة شهادة الله عليهم كما ذكره النيسابوري وفي السهني ثم هنالك الترتيب الزماني بل هي لترتيب الاخبار

لَا تَأْتِ لَأُولَى اللَّهِ وَقَالَ تَعَالَى أُولَى
يَهْدِيهِمْ كَمَا أَهْلَكْنَا مَنِيعَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ
يَسْئَلُونَ فِي مَسَائِكِهِمْ إِنِّي فَعَلْتُ
لَا تَأْتِ أَفْئِدَتُهُمْ وَقَالَ أُولَى
تَكُونُوا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ
زَوَالٍ وَسَكَنَتْ فِي مَسَائِكِهِمْ كُنْ لَأُولَى
ظَلُّوا أَنْفُسَهُمْ الْآيَةَ وَقَالَ تَعَالَى وَكَمْ
أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ يُخْفَى مِنْهُمْ
مِنْ أَحَدٍ أَوْ نَسِيعَ لَهُمْ رُكُوءُ أَيْ هَلْ تَرَى
لَهُمْ شَخْصًا أَوْ نَسِيعَ لَهُمْ صَوْتًا وَقَالَ
تَعَالَى أَلَمْ يَرَوْا كَمَا أَهْلَكْنَا مَنِيعَهُمْ
مِنْ قَرْنٍ مَكَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَالِمَ
تُكُنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ
مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا
مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ وَقَالَ
تَعَالَى بَعْدَ ذَلِكَ نَعْلَمُ كَرِهَ اللَّهُ لَكَ
فَاصْبِرْ الْإِثْرَ الْإِثْرَ الْإِثْرَ الْإِثْرَ الْإِثْرَ
تَجْرِي الْقَوْمُ الْمَجْرِمِينَ وَلَقَدْ مَكَّاهُمْ
فَمَا أَتَانَا مَكَائِهِمْ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَعَا
وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَأَغْنَى عَنْهُمْ
سَعَاهُمْ وَلَا أَبْصَارَهُمْ وَلَا أَفْئِدَتَهُمْ
مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْعَلُونَ بَاتَاتٍ
اللَّهُ وَحَقِّهِمْ مَا كَانُوا يَسْتَرْزُونَ
وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى
وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ

وقال تعالى وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما أنتباهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير
وقال تعالى ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير وقال تعالى فكأن من قرءة أهل كل أها وهي ظالمة فقهى خاوية على عروشها
وبئر معطلة وقصر مشيد أطم بسير وفى الأرض فتكون لهم قلوب يعقون بها وأذان يسمعون بها فأنهم لا ينعمون إلا بآياتهم ولكن
تعمى القلوب التى فى الصدور وقال تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك فإخاف بالذين سخر وأمنهم ما كانوا ينسبهم تزؤن إلى غير ذلك
من الآيات الباطنة على حلول نعمه بأعدائه وحصول نعمه لأولائه ولهذا عقب ذلك بقوله وهو أصدق القائلين ورب العالمين

(قال القرني نقص عليك من انسابهم ولقد جاءتهم ربهم بالبينات فما كانوا يؤمنوا بها) كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجد بالاكثربهم من عهدوان وجدنا اكثرهم لفاسقين لما قص تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم خبر قوم فرعون وهود وصالح ولوط وشعيب وما كان من اهلا كه الكافرين وانما جاءهم المؤمنون وآتاهم الله تعالى أعذارا لهم بان بين لهم الحق بالحق على السنة الرسل ص لوات الله عليهم ما جعين قال تعالى تلك القرني نقص عليك أي يا محمد من انسابهم أي من اخبارها ولقد جاءتهم ربهم بالبينات أي الحجج على صدقهم فيما أخبروهم به كما قال تعالى وما يكاد يبين حتى نبعث (٢٢٥) رسلوا وقال تعالى ذلك من انباء القرني نقصه

عليك منها فاعرج صيد وما ظنناهم واكن ظاوا انفسهم وقوله تعالى فما كانوا يؤمنوا بها كذبوا من قبل الباطنية أي فما كانوا يؤمنوا بما جاءتهم به الرسل بسبب تكذيبهم بالحق أول ما ورد عليهم حكمه ابن عبيدة رحمه الله وهو متجه حسن كقوله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة الآية وايضا قال هنا كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا الاكثرهم أي لاكثر الامم الماضية من عهد وان وجدنا اكثرهم فاسقين أي ولقد وجدنا اكثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة والامتثال والعهد الذي أخذوهو جعلهم عليه وفطرهم عليه وأخذ عليهم في الاصلا بانه ربهم ولم يكهم وانه لا اله الا هو وأقروا بذلك وشهدوا على انفسهم به وخالفوه وتركوه وراؤهم وعبدوا مع الله غيره بلا دليل ولا حجة لامن عقل ولا شرع وفي الفطر السليمة خلاف ذلك وجاءت الرسل الكرام من أولهم إلى آخرهم بالنبى عن ذلك

لا ترتيب القيص في نفسها كقولك زيد عالم ثم هو كيم وقال الزمخشري ذكرت الشهادة والمراد من هذا ما وجدنا من عهدوان وجدنا اكثرهم لفاسقين كما قال تعالى فما كانوا يؤمنوا به وعبدواهم وتهدى بشديد (ولكل أمة) من الامم انما جئنا في وقت من الاوقات (رسول) يرسله الله اليهم يسين لهم ما شرع الله لهم من الاحكام على حسب ما تقتضيه المصلحة (فأذا جاء رسولهم) اليهم وبلاغهم ما أرسله الله به فكذبوه فجاء (قضى بينهم) أي بين الامم ورسولها (بالقسط) أي العدل فنجما الرسول وهلاك المكذبون له فيكون ما يذنبون به عدلا لا ظلما كما قال سبحانه وما يكاد يبين حتى نبعث رسولا وقوله تعالى رسلا مبشرين ومنذرين انما يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ويجوز ان يراد بالضمير في بينهم الامم على تقدير أنه كذب بعضهم وصدق البعض الآخر فيكذب المكذبون ويخو المصدقون وفي وقت هذا القضاء قولان أحدهما أنه في الدنيا والآخر أنه في الآخرة الاول أولى (وهم لا يظنون) في ذلك القضاء فلا يعذبون بغرذنب ولا يؤاخذون بغير حجة ومنه قوله تعالى وحي بالبينين والشهادة وقضى بينهم وقوله فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد والمراد بالمباغعة اظهار العدل والنصف بين العباد ثم ذكر سبحانه شبهة أخرى من شبه الكفار (وذلك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان كلما هداهم بنزل العذاب كانوا يقولون متى هذا الوعد) والاستفهام منهم لانكار والاستبعاد وللقدح في النبوة لا طلبا للتعين وقت مجيئه على وجه الارام كما في سورة الملك فان المطلوب هناك تعيين الوقت (ان كنتم صادقين) خطابا منهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وللمؤمنين ويحتمل أن يراد بالقائلين هذه المقالة جميع الامم الذين لم يسلموا الرسولهم الذين أرسلهم الله اليهم ثم أمر الله سبحانه رسوله أن يجيب عليهم بما يحسم مادة الشهادة ويقطع الجاج فقال (قل لا أم لك لنفسى ضرا ولا نفعا) أي لا أقدر على جاب نفع لها ولا دفع ضرر عنها فكيف أقدر على ان أم لك ذلك الغيري وقد قدم الضر لان السابق لظاهر الجزع ظهور الوعد الذي استعملوه واستعدوه والاستثناء في قوله (الا ما شاء الله) منقطع كاذكره أمة التفسير به قال الزمخشري أي ولكن ما شاء الله من ذلك كان فكيف أقدر على ان أم لك لنفسى ضرا وأنت نفعا وقيل متصل تقديره الا ما شاء الله ان أم لك وأقدر عليه والاول أولى وفي هذا أعظم واعظ وأبلغ زاجر لمن صار جديده وهياما المتأذلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والاستغاثة به عند نزول التوازل

(٢٩ - فتح البيان ح) كما جاء في صحيح مسلم يقول الله اني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وفي الصحيحين كل مولود يولد على الفطرة فاولاهم دينه ونصرته ويحسانه الحديث وقال تعالى في كتابه العزيز وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون وقال تعالى وأسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أن يجعلنا من دون الرحمن آية يعبدون وقال تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت الى غير ذلك من الآيات وقد قيل في تفسيره قوله تعالى فما كانوا يؤمنوا بها كذبوا من قبل ما روي أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي

العالية عن أبي بن كعب في قوله فما كانوا اليوم وما كانوا كذبوا من قبل قال كان في علمه تعالى يوم أقروا له بالمشاق أى ما كانوا
ليومنا ولم الله منهم ذلك وكذا قال الربيع بن أنس واختاره ابن جرير وقال السديّ ما كانوا اليوم وما كانوا كذبوا من قبل قال ذلك
يوم أخذهم الميثاق فآمنوا كما هو قال مجاهد في قوله فما كانوا اليوم وما كانوا كذبوا من قبل هذا لقبوله ولو ردوا العادو الآية (ثم
بعثنا بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فيملأوا بها الفاطر كيف كان عاقبة المنسدين) يقول تعالى ثم بعثنا من بعدهم أى الرسل
المتقدم ذكرهم كنوح وهود وصالح ولوط وشعيب (٢٦٦) صلوات الله وسلامه عليهم وعلى سائر أبنائه الله أجعين موسى بآياتنا أى

صججنا وادلائنا البيضة الى فرعون
 هو ملك مصر في زمن موسى وولته أى
 قومه فظلموا بها أى جحدوا وكفروا
 بها ظالما منهم وعنادا كقوله تعالى
 وجحدوا بها واستعتقتهم أنفسهم
 ظالما وعادا فانظر كيف كان
 عاقبة المفسدين أى الذين صدوا
 عن سبيل الله وكذبوا رسله
 أى انظر يا محمد كيف فعلنا بهم
 وأغرقتناهم عن آخرهم برأى من
 موسى وقومه وهذا أبلغ في النكال
 بفرعون وقومه واسفى لقلوب أولياء
 الله موسى وقومه من المؤمنين به
 (وقال موسى يا فرعون انى رسول
 من رب العالمين حقيق على ان
 لا أقول على الله الا الحق قد جئتكم
 ببينة من ربكم فارسل معى بنى
 اسرائيل قال ان كنت جئت بأية
 فأت بها ان كنت من الصادقين) يخبر
 تعالى عن مناظرة موسى لفرعون
 والجماعة اياه بالحجة واطهاره الايات
 البينات بحضرة فرعون وقومه
 من قبط مصر فقال تعالى وقال
 موسى يا فرعون انى رسول من رب
 العالمين أى أرسلنى الذى هو خالق
 كل شئ ورب مملوك حقيق على ان

التي لا يقدر على دفعها الا الله سبحانه وكذلك من صار يطلب من الرسول صلى الله عليه
 وآله وسلم ما لا يقدر على تحصيله الا الله سبحانه فان هذا مقام رب العالمين الذي خلق
 الانبياء والصالحين وجميع الخلق ورزقهم وأحياهم وميتهم فكيف يطلب من نبي
 من الانبياء أو ملك من الملائكة أو صالح من الصالحين ما هو عاجز عنه غير قادر عليه وترك
 يطلب الرب الارباب القادر على كل شيء الخالق الرزاق المعطي المانع وحسبك بما في هذه
 الآية موعظة فان هذا سيد ولد آدم وخاتم الرسل يأمره الله بان يقول لعباده لا أملاك لنفسي
 ضرر ولا تنفع فكيف يملكه لغره وكيف يملكه غيره من رتبته دون رتبته ومنزله لا تبلغ الى
 منزلته لنفسه فضلا عن أن يملكه لغيره فيما يحبها القوم بعكفون على قبور الاموات الذين قد
 صاروا تحت اطباق الثرى ويطلبون منهم من الخواصج ما لا يقدر عليه الا الله عز وجل
 كيف لا يتيقظون لما وقعوا فيه من الشرك ولا يشبهون لمحالهم من المخالفة لعني الا الله
 الا الله ومدلول قل هو الله أحد وأعجب من هذا اطلاع أهل العلم على ما يقع من هؤلاء ولا
 ينكرون عليهم ولا يحولون بينهم وبين الرجوع الى الجاهلية الاولى بل الى ما هو أشبه
 منها فان أولئك يعترفون بان الله سبحانه هو الخالق الرزاق المحيي المميت الضار النافع وانهم
 يجعون أصنامهم شفعا لهم عند الله ومقر بين لهم اليه وهو لا يجعون لهم قدرة على
 الضر والنفع وينادونهم تارة على الاستقلال وتارة مع ذى الجلال وكفالك من شرعباء
 والله ناصر دينه ومظهر شرعته من أوصار الشرك وأدناس الكفر وله دنوس الشيطان
 اخذ الله بهذه الذريعة الى ما تقر به عينه وينتج به صدره من كفر كثير من هذه الالام
 المباركة وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا والله وانما اليه راجعون ثم بين سبحانه ان لكل
 طاقة حدا محدودا لا يتجاوزونه فلا وجه لاستحجال العذاب فقال (اجل أمة) من قض
 بينهم وبين رسولهم وبين بعضهم لبعض (أجل) أى وقت خاص ومدة ضرورية يحل
 ما يريد الله سبحانه لهم عند حلوله والاجل يطلق على مدة العمر وعلى آخر عمره والموت
 هذا الثاني كما يؤخذ من التفسير (فإذا جاء أجلهم) أى اجل كل أمة قال ابو سعدي
 جعل الاجل عبارة عن حدمعين من الزمان فعني بجيئه ظاهر وان اريد به ما استند
 الزمان فجئيه عبارة عن انقضاء اذهالك يتحقق بجيئه بتمامه (فلا يستأخرون) عن
 الاجل المعين (ساعة) اى شيئا قليلا من الزمان (ولا يتقدمون) منه ومثله قوله تعالى

لا أقول على الله إلا الحق فقال بعضهم معناه حقيق بأن لا أقول على الله

الالحق أي جدير بذلك وحرى به فالوا والباء وعلى تعاقبان يقال رنيت بالقوس وعلى القوس وجاء على جال حسنة ومجال حسنة وقال بعض المفسرين معناه حرص على ان لا أقول على الله الالحق وقرأ آخرون من أهل المدينة تحقيق على بمعنى واجب وحق على ذلك أن أخبر عنه الابعاد وحق وصدق لما أعلم من عز وجلاله وعظيم شأنه قد جئتمكم ببينة من ربكم أي بجمعة قاطعة من الله اعطانيها ادليلا على صدق فيما جئتمكم به فإرسل معي بني اسرائيل أي أطلقهم من أسرك وقهرك ودعهم

وعباد قريش وجرهم فانهم من سلالة نبي كريم
هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن قال ان كنت جنت باية
فأتهم ان كنت من الصادقين أي قال فرعون استعصموا مني فاعطيت فان كانت معك حجة فاطهرها وانراها
ان كنت صادقا فاعطيت (فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مدين وزع يد فاذا هي يضاء للناظرين) قال علي بن أبي طلحة عن
ابن عباس في قوله ثعبان مدين الحية الذكرو وكذا قال السدي والعمالك وفي حديث الثنوني من رواه بن زيد بن هرون بن الاصم
ابن زيد عن القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس (٢٢٧) قال ألقى عصاه فتحولت حية عظيمة فاغرة فاها

سرعلة الى فرعون فلما رآها فرعون
انما افاصدة اليه اقمع عن سريره
واستغاث موسى أن يكفه اعنسه
ففعول وقال قتادة تحولت حية
عظيمة مثل المدينة وقال السدي
في قوله فاذا هي ثعبان مدين الثعبان
الذكرو من الحيات فأنحطه فاها واضعة
لحيها الاسفل في الارض والاعلى
على سور القصر ثم توجهت نحو
فرعون لتأخذه فلما رآها ذعر منها
ووثب وأحدث ولم يكن يتحدث قبل
ذلك وصاح يا موسى خذها وانا
أؤمن بك وارسل معك بنى اسرائيل
فأخذها موسى عليه السلام فعادت
عصا وروى عن عكرمة عن ابن عباس
نحو هذا وقال وهب بن منبه لما دخل
موسى على فرعون قال له فرعون
أعرفك قال نعم قال ألم تر بك فينا
وليدا قال فردا اليه موسى الذي رد
فقال فرعون خذوه فبادر موسى
فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مدين
فحملت على الناس فانهم رموها
فأتت منهم خمسة وعشرون ألفا قتل
بعضهم بعضا وقام فرعون منهمزما حتى
دخل البيت رواه ابن جرير والامام
أحمد في كتابه الزهد وابن أبي حاتم

ما نسب من أمه أبوها وما يستأخرون والسين زائدة فيهما والكلام على هذه الآية
المذكورة هنا قد تقدم في تفسير الآية التي في أول الاعراف فلا نعيد (قل رأيتم ان
أتاكم عذابه) هذا منه سبحانه تزييف (أي الكفار في استجبال العذاب بعد التزييف
الاول أي اخبروني عن عذاب الله ان أتاكم أي متى تستجيبون منه وليس شيء من العذاب
يستجبه العاقل اذ العذاب كله مر المذاق، وجب لتفارق الطبع منه فتكون جله الاستهزام
جاءت على سبيل التلطف بهم والتبصير لهم على ان العذاب لا ينبغي ان يستجبل او جاءت على
سبيل التعجب والتعويل للعذاب أي أي شيء شديد يستجيبون منه أي ما أشد وما أهول
ما يستجيبون من العذاب قاله ابو حيان (يأتا) أي وقت يأت والمراد به الوقت الذي يبيتون
فيه وينامون ويغفلون عن التحرز واليات بمعنى التبييت اسم مصدر كالسلام بمعنى التسليم
وكذلك قوله (أو تم آرا) أي وقت الاشتغال بطلب المعاش والكسب والاستهزام في قوله
(ما اذ يستجبل منه الجرمون) لان انكار المتضمن للنهي كما في قوله أي أمر الله فلا تستجبلوه
ووجه الانكار عليهم في استجبالهم ان العذاب مكره تنفر منه القلوب وتباه الطبايع فما
المتقضى لاستجبالهم له وضمير منه راجع الى العذاب وقيل الى الله والجله جواب الشرط
بجذو الفاء وقيل ان الجواب محذوف والمعنى ان أتاكم عذابه تندموا على الاستجبال أو
تعرفوا الخطأ منكم فيه وقيل ان الجواب قوله أتم اذا ما وقع ويكون جله ما اذ يستجبل
اعتراضا والمعنى ان أتاكم عذابه أتم به بعد وقوعه حين لا يتفكركم الايمان والاول أولى
قال الحفصاوى ولم يقل يستجبلون منه لالة على ما يوجب ترك الاستجبال وهو الاجرام
لان من حق الجرم ان يخاف من العذاب على اجرامه وان يهلك فزعان من مجيئه وان أبطل
فكيف يستجبله ودخول الهمزة الاستهزامية في (أتم اذا ما وقع أتمتم به) لانكار ايمانهم
حيث لا ينفع الايمان وذلك بعد نزول العذاب وهو يتضح معنى التوويل عليهم وتقطيع
ما فعلوه في غير وقته مع تركهم له في وقته الذي يحصل به النفع والدفع وهذه الجمله داخله
تحت القول بالمأمور به وحي بكلمة ثم التي للترجيح دلالة على الاستبعاد وحي ما دامع
زيادة المألتا كيد دلالة على تحقق وقوع الايمان منهم في غير وقته ليكون في ذلك زيادة
استجبالهم والمعنى أتم اذا ما وقع عذاب الله عليكم وحل بكم مخطئه وانقامه أتمتم حين
لا ينفعكم هذا الايمان شيئا ولا يدفع عنكم ضرا وقيل ان هذه الجمله ليست داخله تحت

وفيه غراب في سياقه والله أعلم وقوله وزع يد فاذا هي يضاء للناظرين أي أخرج يده من درعه بعدما أدخلها فيه فاذا هي يضاء
تلا لا آمن غير برص ولا مرض كما قال تعالى وادخل يدك في جيبك تخرج يضا من غير سوء الآية وفي حديث الثنوني من غير سوء
يعني من غير برص ثم أعادها الى كنهه فعادت الى لونها الاول وكذا قال مجاهد وغير واحد (قال الملا من قوم فرعون ان هذا الساحر
عليه يريد ان يخرجكم من أرضكم فذا أتاكم من) أي قال الملا وهم الجمهور والسادة من قوم فرعون موافقين لقول فرعون فيه
بعد ما يرجع اليه روعهم واستقر على سيرهم لكنه بعد ذلك قال للملاحول ان هذا الساحر عليهم فواقبوه وقالوا كنهه وتساوى روا

في أمره كيف يصنعون في أمره وكيف تكون حيلهم في الطعافورة واتحاد كلمته وظهور كذبه وافتراءه وتحويله ان عمل الناس اليه بجزءه فيما يتقدرون فيكون ذلك سببا لظهوره عليهم واخرجه اياهم من أرضهم والذي خافوا منه وقوا فيه كما قال تعالى ونرى فرعون وحامان وجنودهم ما منهم ما كانوا يحسدون فلما تشاوروا في شأنه واقتروا فيه اتفق رأيهم على ما حكا الله تعالى عنهم في قوله تعالى (فألقى أرحه وأخاه وأرسل في الدائن حاشر من يأتوك بكل ساحر عليم) قال ابن عباس أرحه آخره وقال قتادة احبسه وأرسل أي بعث في الدائن أي في الأقاليم ومدائن ملكك حاشرين أي من يحشرك السحرة من سائر البلاد

ويجمعهم وقد كان السحر في زمانهم غالباً كثيراً اظهروا اعتقادهم من اعتقادهم وأوهم من أوهم منهم ان ما هو موسى به عليه السلام من قبيل ما تشبهه سحرهم فلهذا جعلوا السحرة ليعارضوه بخصمهم فأراهم من المبدأ كما أخبر تعالى عن فرعون حيث قال أجنثنا القهر جناً من أرضنا بسحره يا موسى فلما تبين بسحره فاجعل بيننا وبينك وعداً لا تخلفه نحن ولا أنت مكانا موسى قال موعدهم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى فتولى فرعون جمع كده ثم أي وقال تعالى هنا: (وجاء السحرة فرعون قائلوا لنا اجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين) يخبر تعالى عما تشارط عليه فرعون والسحرة الذين استدعاهم لعارضه موسى عليه السلام ان غلبوا موسى ليشيئهم وليعطيهنم عطاء جزيلاً فوعدهم ونهاهم ان يعطيهم ما أرادوا ويجمع لهم من جلسائه والمقربين عنده فلما اتفقوا من فرعون لعنه الله قالوا لموسى امان تلقى واما ان تكون نحن الملقين قالوا أفولما

القول المأمور به وانهم ان قول الملائكة استمر ايامهم وازرا عليهم والاول اولى وقيل ثم هنا نسخ الشارع هناك والاول اولى (الآن) بهم من الذين الاولى همزة الاستفهام والثانية همزة قال المعرفة واذا اجتمع هاتان الهمزتان وجب في الثانية أحد أمرين قسم يلها من غير ألف بينهما وبين الاولى وابد الهامد بقدر ثلاث آفات وقد وقع في القرآن الكريم من هذا القبيل ستة مواضع اثنتان في الانعام وهما آله كرم مرتين وثلاثة في هذه السورة فقط لأن هاتين في سائر آياتها ولقظ الله آله اذ انكم وواحد في الفل آله خير فلا يجوز في هذه المواضع الستة تحقيق الهمزتين بل يجب أحد الأمرين الذين قد عرفتمه اقل هو استئناف بتقدير القول غير داخل تحت القول الذي أمر الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يقول لهم أي قيل لهم عند ايمانهم بعد وقوع العذاب لأن آية تبه (و) الحال انكم (قد كتبته) أي العذاب (تستجيبون) يعني تكذبون لان استجابه لهم كان على جهة التكذيب والاستمراء ويكون المقصود بأمره صلى الله عليه وآله وسلم ان يقول لهم هذا القول على سبيل التوبيخ لهم والازراء عليهم (ثم قيل للذين ظلموا) أنفسهم بالكفر وعدم الايمان (نذوقوا عذاب الخلد) أي العذاب الدائم الذي لا يقطع وهو عطف على ما قدر قبل الآن والمراد منه التقرير والتوبيخ لهم يوم القيامة على سبيل الاذاعة أي قيل لهم ان هذا الذي تطلبونه ضرر محض عار عن النفع من كل وجهه والعاقلة لا تطالب ذلك والقائل لهم هذه المقالة قيل لهم خذ جهنم ولا يبعد ان يكون القائل انك الله انما على الخصوص أو المؤمنون على العموم (هل تحجزون الالبابا كنتم تكذبون) في الحياة الدنيا من الكفر والمعاصي والاعمال والاستفهام للتقرير والاستثناء مفرغ وكان يقال لهم هذا القول عند استغاثتهم من العذاب وحاول النجاة بهم ثم حكى الله سبحانه عنهم بعد هذه البيانات البالغة والجوابات عن أقوالهم الباطلة انهم استفتحوا آتارة أخرى عن تحقق العذاب فقال (ويستنبئونك) أي يتحجبونك على جهة الاستمراء منهم والانتكار (أحق حور) أي ما تعدنا به من العذاب في العاجل والاجل وهذا السؤال منهم جهل محض وظلمات بعضهم افوق بعض فقد تقدم ذكره عنهم مع الجواب عليه فصيغهم في هذا التكرير صيغ من لا يعقل ما يقول ولا ما يقال وقيل المراد بهذا الاستخبار منهم حور عن

حقيقة

ألقوا سحرهم وأعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم) خذ مباررة

من السحرة لموسى عليه السلام في قولهم امان تلقى واما ان تكون نحن الملقين فليكن أي كما قال في الآية الاخرى واما ان تكون أول من أتى فقال لهم موسى عليه السلام القوا أي أقيم أول قيل الحكمة في هذا والله أعلم ليري الناس صنيعهم يتأملوه فإذا فرغوا من جرهم ومجالهم جبههم الحق الواضح الجلي بعد التطلبة والانتظار لحيثه فيكون أوقع في النفوس وكذا كان ولهذا قال تعالى فلما القوا سحرهم وأعين الناس واسترهبوهم أي خيلوا الى الابصار ان ما تعدوا له حقيقة في الخارج ولم يكن الا مجرد صفة

وخال كما قال تعالى فاذا جنابهم وغضبهم بخيل اليه من مجرمهم انما اتسعي فأوجس في نفسه خيفة موسى فلما انقضى ذلك أتى الأعلى والقي في عينك تلقف ما صنعوا وان ما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الب احر حيث أتى قال سفيان بن عيينة حدثنا أبو سعيد عن عكرمة عن ابن عباس ألقوا جبالا غلاظا وخشب اطوا ألقا فاقبلت بخيل اليه من مجرمهم انما اتسعي وقال محمد بن اسحق صف خمسة عشر ألف ساحر مع كل ساحر جبالا وعصيه وخرج موسى عليه السلام معه أخاه يثربي على عصاه حتى أتى الجمع وفرعون في مجلسه مع اشرف أهل مملكته ثم قال الصورة يا موسى امان تلقى (٢٢٩) واما ان تكون أول من أتى قال بل ألقوا

فاذا جنابهم وعصيتهم فكان أول ما احتفظوا بسحرهم بصبر مؤتمى وبصر فرعون ثم أبصار الناس بعد ثم أتى كل رجل من الجبال والعصى فاذا احياها كمثل الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضا وقال السدي كانوا بضعا وثلاثين ألف رجل ليس رجل منهم الا ومعه حمل وعصا فلما ألقوا سحرهم وأعين الناس واسترهبواهم يقول فرقههم أي من الفرق وقال ابن جرير حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علف عن هشام الدستواي حدثنا القاسم بن أبي برة قال جمع فرعون سبعين ألفا سحرا فلقوا سبعين ألف رجل وسبعين ألف عصا حتى جعل يخيّل اليه من سحرهم انما اتسعي ولهذا قال تعالى وجاؤا بسحر عظيم (واوحينا الى موسى ان ألق عصاك فاذا هي تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبت واهاك وانقلبوا صاعرين والقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون) يخبر تعالى انه أوحى الى عبده ورسوله موسى عليه السلام في ذلك

حقيقة القرآن (قل) أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يقول لهم في جواب استنهامهم انما خرج بخيل الاستمراء أي قل لهم يا محمد غير ملتفت الى ما هو مقصودهم من الاستمراء (أي أي نعم وربانيه) أي أي ما أعدكم به من العذاب (لحق) ثابت كائن لا محالة وفي هذا الجواب تأكيدي من وجوه الاول القسم مع دخول الحرف الخاص بالقسم الواقع موقع نفي الثاني دخول ان المؤكدة الثالث اللام في لحق الرابع اشارة الى الجمل وذلك يدل على انهم قد بلغوا في الانكار والتفرد الى الغاية التي ليس وراءها غاية ثم توعدهم بأشد توعد ورهبهم بأعظم تهريب فقال (وما أنتم بمجزيين) أي فائتين العذاب بالهرب والقيل الذي لا ينفع والمكابرة التي لا تدفع من قضاء الله شيئا بل هو مدر ككم ولا بد وهذه الجمل اتمام لطيفة على جلد جواب القسم أو مستأنفة لبيان عدم خلوصهم عن عذاب الله بوجه من الوجوه ثم زاد في التأكيدي فقال (ولو) استجابة على ما هو الكثير فيه (ان لكل نفس من النفس المتصفة بانها) طلبت نفسها بالكفر بالله وعدم الايمان به (ما في الارض) من كل شيء من الاشياء التي تشغل عليها من الاموال النفيسة والذخائر الفاخرة (لا تدب به) أي جعلته فدية لها من العذاب يوم القيامة لا ينفعها البقاء ولا يقبل منها ومثله قوله تعالى ان الذين كفروا واماؤا وهم كفار قلن يقبل من أحدنهم ملا الارض ذهبوا ولو اقتدي به ويحجزان يكون الاقصد امتعديا وان يكون قاصر فاذا كان مطاوعا لمتعد كان قاصرا تقول فدية فاندت وان لم يكن مطاوعا يكون عوفي فدى قبيعي ولو احسن الفعل يحتمل الوجهين فان جعلناه متعديا ففعوله محذوف تقديره لا فدية بنفسها وهو من الجاز قوله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها (وأسر الندامة) الضهير راجع الى الكفار الذين سياق الكلام معهم وقيل راجع الى الانفس المدلول عليها بكل نفس وان كان المراد خصوص الرؤساء منهم ومعنى استمروا أخفوا أي لم يظهروا الندامة على ترك الايمان بل أخفوها لما قد شاهدوه في ذلك الموطن مما سلب عقولهم وذهب بخيلهم ويمكن ان يفيهم وهم على تلك الحالة عرق يزعجهم الى العصية التي كانوا عليها في الدنيا فاستمروا الندامة ثلاثا يشتملهم المؤمنون وقيل أسرها الرؤساء فيمنعهم دون أسباعهم خوفا من توحيهم لهم لكونهم هم الذين أضلواهم وحالوا بينهم وبين الاسلام وقيل بمعنى أسروا وأظهروا الان أسروهم الاضداد وبمعنى الاول

الموقف العظيم الذي فرق الله تعالى فيه بين الحق والباطل بأمره ان يلقى ما في يمينه وهي عصاه فاذا هي تلقف أي ما يلقونه ويؤمنون انه حق وهو باطل قال ابن عباس فجعلت لا تحربني من خيالهم ولا من خشيتهم الا التفتة فعرقت السحرة ان هذا أمر من السماء ليس هذا بسحر فخر واستجدوا قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون وقال محمد بن اسحق جعلت تتبع تلك الجبال والعصى واخذة واحدة حتى ما ترى بالوادي قليل ولا كثير عما ألقوا ثم أخذها موسى فاذا هي عصا في يده كما كانت ووقع السحرة سجدا قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون لو كان هذا ساحرا ما علمنا وقال القاسم بن أبي برة أوحى الله اليه ان

أنتي عصا فإذا أوحى ثعبان من فاعرفاه متلعج حالهم وعصم فأنق السحرة عن يد ذلك سيد افكارهم وارؤسهم حتى رأوا الحسنة والبار ونواب أهلها قال فرعون استمع به قبل ان آذن لكم ان هذا لكم مكر تموفى المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون لا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لا صليكنكم أجمعين قالوا أنا خير شامتلون وماتقم منا الآن أنيابا يات ربنا لما جئنا ربنا أفرغ علينا صبراً أو نوفنا سنين) بحسب تعالى عما توعده فرعون لعنه الله السحرة لما آمنوا بموسى عليه السلام وما أظهر للناس من كدومه وكهوفه في قوله ان هذا لكم مكر تموفى المدينة (٢٤٠) لتخرجوا منها أهلها أى ان غلبته لكم في يومكم هذا انما كان عن تشاور

منكم ورضائكم بذلك كقولهم في الآية الأخرى انه لكبيركم الذى علمكم السحر وهو يعلم وكل من له لب ان هذا الذى قاله من أبطل الباطل فان موسى عليه السلام يجرد ما جاء من مدين دعبا فرعون الى الله وأظهر المعجزات الباهرة والجميع القاطعة على صدق ما جاء به فعند ذلك أرسل فرعون فى مدائن ملكه ومعامله سلطنته فجمع سحرة مشرقين من سائر الاقاليم يلاذ مصر عن اختاره وهو الملاء من قومه وأحضرهم عنده وودعهم بالعطاة الجزيل ولهذا قد كانوا من أحرص الناس على ذلك وعلى الظهور فى مقامهم ذلك والتقدم عند فرعون وموسى عليه السلام لا يعرف أحد منهم ولا رآه ولا اتفق به وفرعون يعلم ذلك وانما قال هذا تسترا وتديلا على رعا دوائيه وجهلهم كما قال تعالى فاستخف قومه فاطاعوه فان قوما صدقوه فى قوله أنار بكم الأعلى من أجهل خلق الله وأصلهم وقال السدى فى تفسيره باسناد المشهور عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما من الصحابة فى قوله تعالى ان هذا لكم

هو المشهور فى اللغة وهو فى الآية يحتمل الوجهين وقيل وجدوا ألم الحسرة فى قلوبهم لان الندامة لا يمكن اظهارها وذلك كالمعروف فى ذلك وجهين الاول انها بدت فى وجودهم امرة الندامة وهى الاتكسار واحداً سرار وجعلها أسارى والثانى ما تقدم وقيل معنى أسروا الندامة أخلصوها لان اخفاءها خلاصها قبل انه ماض على بابه قد وقع وقيل بل هو بمعنى المستقبل (كما) نظرف بمعنى حين أى حين (رأوا العذاب) أى وقوع هذا منهم كان عذوبة العذاب ومعابته وما بعد الدخول فيه فهم الذين قالوا ان شغلنا علينا شقوتنا (وقضى بينهم بالقسط) أى العدل مستأنفة وهو الظاهر ومعوطة على رأوا أى قضى الله بين المؤمنين والكافرين أو بين الرؤساء والاتباع أو بين الظالمين من الكفار والظالمين بالعدل وقيل معنى القضاء بينهم انزال العقوبة عليهم (وهو لا يظنون) أى لا يظنهم الله فيما فعله بهم من العذاب الذى حل بهم فانه بسبب ما كتبوا وجعله (الا ان الله مافى السموات والارض) مسوقة لتقرير كمال قدرته لان من مافى السموات والارض يتصرف به كيف يشاء وغلب غير العقلاء لانهم أكثر الخلق قات قيس لما ذكر سبحانه اقتداء الكفار بما فى الارض لو كان لهم ذلك بين أن الاشياء كلها لله وليس لهم شئ يمكنون من الاقتداء به وقيل لما قسم على حقيقة ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم أراد ان يعجب فى ذلك دليل البرهان المبين ما فى العالم على اختلاف أواضعه ملكه يتصرف به كيف يشاء وفى تصدير الجمله بحرف التثنية اتقاء للغافلين وايضا للذاهل ثم أكد ما سبق بقوله (الا ان وعد الله حق) أى كاش لا محالة وهو عام بشروح ما استعملوا من العذاب اندراجاً وليسوا بتصدير الجمله بحرف التثنية كقلائف التى قبلها مع الدلالة على تحقق مضمون الجملتين وتقرير ما سبق من الآيات الكريمة والتثنية على وجوب استحضار المحافظة عليه (ولكن أكثرهم) أى أكثر الناس يعنى الكفار (لا يعلمون) ما فيه صلاحهم فعملوا به وما فيه فسادهم فيجتنبونه لقصور عقولهم واستسلام الغفلة عليهم (هو يحيى ويميت) أى يبى الحياة ويصلها (والهيه ترجعون) فى الدار الآخرة فيجازى كل ما يشقى به ويتفضل على من يشاء من عباده (يا أيها الناس) قيل أراد قريشا وقيل هو على العموم وهو الاول واختاره الطبرى وفيه التفات ورجوع الى اسمايهم عقب تحذيرهم من غوائل الضلال وشروع فى بيان أدلة الرسالة بتدبيان أدلة التوحيد (قد جاءكم

مكر تموفى المدينة قال التقي موسى عليه السلام وأمنرا السحرة فقال له موسى أرايت ان غلبت أنؤمن بنى وتشهد (موعظة) أن ما جئت به حق قال الساحر لا تبغى سحر فوالله لئن غلبتني لاؤمن بك ولشاهدنا الحق وفرعون ينظر اليهما قالوا فلهذا قال ما قال وقوله لتخرجوا منها أهلها أى تجتمعوا أنتم وهو وتصكون لكم دولة وتوصله وتخرجوا منها الاكابر والرؤساء وتكون الدولة والتصرف لكم فسوف تعلمون أى ما أضع بكم ثم فسب هذا الوعيد بقوله لا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف يعنى يقطع يد الرجل اليمنى ويحرقه اليسرى أو بالعكس ولا صليكنكم أجمعين وقال فى الآية الأخرى فى جذوع النخل أى على الحذرع

قال ابن عباس وكان أول من صلب وأول من قطع الأيدي والأرجل من خلاف فرعون وقول السحرة أنا لن نبصق قلبون أي قد
تحققنا أن الله راجعون وعذابه أشد من عذابك ونكاته على مائدونا إليه الدم وأكرهتنا عليه من السحر أعظم من نكالك
فلمصبرن اليوم على عذابك لخلص من عذاب الله ولهذا قالوا ربنا افرغ علينا صبرا أي عذابا صبرا على دينك والثبات عليه وروونا
مسلمين أي متابعين لنبيك موسى عليه السلام وقالوا فرعون فاقض ما أنت قاض انما تقضى هذه الحياة الدنيا أنا متناهبون بنا لا يغفر
لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى انه من بات (٢٣١) ربه مجرم ما كان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى

ومن يأت به مؤمنا فعمل الصالحات
فأولئك لهم الدرجات العلى فلكانوا
في أول النهار سحرة وكانوا في آخره
شهداء بررة قال ابن عباس وعبيد
ابن جبر وقتادة وابن جريح كانوا
في أول النهار سحرة وفي آخره شهداء
(وقال الملا من قوم فرعون
أندرو موسى وقومهم ليفسدوا
في الأرض ويذكركم وآلهتكم قال
سنقتل آسائهم ونستحيي
نساءهم وأنفقوهم فاهرون قال
موسى لقومهم اسمعوا بالله
وأصبروا وان الأرض لله يورثها من
يشاء من عباده والعاقبة للمتقين
قالوا أؤذينا من قبل أن تأتينا ومن
بعد ما جئتنا قال عيسى ربكم ان
هناك عدوكم ويستخلفكم في الأرض
فينظر كيف تعملون) يخبر تعالى عما
تملأوا عليه فرعون ومولوه وما أضروا
لومس عليه السلام وقومهم من الأذى
والبغض وقال الملا من قوم فرعون
أي لفراعون أندرو موسى وقومهم
أي أندعهم ليفسدوا في الأرض
أي يفسدوا أهل رعيته ويدعوهم
الى عبادة ربهم دونك يا الله العجب
صار هؤلاء يشفقون من افساد

موعظة) يعنى القرآن فيما يحفظ به من قرأه وعرف معناه والوعظ في الأصل هو التذكير
بالعواقب سواء كان بالترغيب أو التهيب والوعظ هو كالطبيب ينهى المريض عما
ضره وقيل الوعظ زجر مقترن بتخويف وقال الخليل هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب
(من ربكم) من ابتداء الغاية وهو مجاز والتبعض أى موعظة كاشفة من موعظ ربكم
(وشفاء لما في الصدور) من الشكوك التي تعتري بعض المرتابين لوجود ما يستفاد منه
فيه من العقائد الحقة واشتماله على تزييف العقائد الباطلة عن أي سعيد الخدري قال
جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال اني أشك في صدري فقال اقرأ
القرآن يقول الله شفاء لما في الصدور أخرجه ابن المنذر وابن مردويه وأخرج البيهقي
في شعب الايمان عن واثله بن الاسقع ان رجلا شك الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجع
حلقه قال عليك بقراءة القرآن والعسل قاله القرآن شفاء لما في الصدور والعسل شفاء من
كل داء والشفاء في الأصل مصدر جعل وصفاء بالغة أو هو اسم لما يشفي به أي يتداوى فهو
كالدواء لما يداوى به وانما خص الصدر بالذكر لانه موضع القلب وغلافه وهو أعز موضع
في بدن الانسان لمكان القلب فيه وداء الجهل أضرب للقلب من داء المرض للبدن والقرآن
من داء لمرض القلب كلها (وهدي ورجة للمؤمنين) انجائهم من الضلال نزل بالعطف
تغاير الصفات منزلة تغاير الذات والهدي الارشاد لمن اتبع القرآن وتفكر فيه وتدبر
معانيه الى الطريق الموصلة الى الجنة والرجة هي مايو جدي الكتاب العزيز من الامور
التي يرحمهم بعبادته فيطلبها من أراد ذلك حتى ينالها فالقرآن العظيم مشتمل على هذه
الامور جامع لهذه الاشياء كلها قال الكرخي والحاصل أن الموعظة اشارة الى تطهير
ظواهر الخلق عما لا ينبغي وهو الشر بعبادة والشفاء اشارة الى تطهير الباطن عن العقائد
القاسدة والاخلاق الذميمة وهو الطريقة والهدي اشارة الى ظهور نور الحق في قلوب
الصدقين وهو الحقيقة والرجة اشارة الى كونها بالغنى الكمال والاشراق الى حيث تصير
مكملة لتناقضين وهي السبوة فهذه درجات عقلية وممرات برهانية مدلول علمية بهذه
الافلاخ القرآنية لا يمكن تأخير ما تقدم ذكره انه ثمرة الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم
وجعل الخطاب معه بعد خطابه للناس على العموم فقال (قل بفضل الله وبرحمته) المراد
بالفضل من الله سبحانه هو تفضله على عباده في التجمل والعاجل بما لا يحيط به الحصر

موسى وقومه لان فرعون وقومهم المفسدون ولكن لا يشعرون ولهذا قالوا ويذكركم وآلهتكم قال بعضهم الواو هنا حاله أي
أندروهم وقومهم يفسدون في الأرض وقد تركت عبادتك وقرأ ذلك أي بن كعب وقد تركت أن يعبدوا آلهتكم حكاه ابن جرير وقال
آخرون هي عاطفة أي أندعهم يصنعون من الفساد ما قد فرتهم عليه وعلى ترك آلهتكم وقرأ بعضهم الآلهتكم أي عبادتكم وروى
ذلك عن ابن عباس ومجاهد وغيره وعلى القراءة الاولى قال بعضهم كان لفرعون اله يعبده قال الحسن البصري كان لفرعون اله يعبد
في السر وقال في رواية أخرى كان له حانة في عنقه معلقة بسجدتها وقال السدي في قوله تعالى ويذكركم وآلهتكم وآلهته

فما زعم ابن عباس كافي الذرأوا بقرعة حسنة أمرهم فرعون أن يعبدوا فخلد ذلك أخرج لهم عجل جسد له خوارفا جابههم فرعون
فما زالوا بقوله سقتل أبناءهم ونسجني نسائهم وهذا أمر ثان بهذا الصنيع وكان قد نكل بهم بقبل ولادة موسى عليه السلام
خذا من وجوده فكان خلاف ما رامه وضد ما قصد فرعون وهكذا عمل في صنعه هذا أيضا لما أراد إذلال بني إسرائيل وقهرهم
جاء الأمر على خلاف ما أراد أعزهم الله وأذلّه وأرغم أنفه وأغرقه وجنوده ولما صم فرعون على ما ذكره من المسألة لم يبق إسرائيل
قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا (٢٣٢) ووعدهم بالعاقبة وإن البدار ستصير لهم في غفلة إن الأرض لله يورثها من يشاء

من عباده والعاقبة للمتقين قالوا
أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما
جئتنا أي قد فعلوا بنا مثل ما رأيت
من الهوان والإذلال من قبل ما جئت
يا موسى ومن بعد ذلك فقال منها
لهم على حالهم الخاضرو ما يصرون
السيف ثانی الحال عسى ربكم أن
يهلك عدوك الآية وهذا تخفيض
لهم على العزم على الشكر عند
حلول النعم وزوال النقم (ولقد
أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص
من الثمرات لعلهم يذكرون فاذا
جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن
تصهم سيئة يطيروا عيسى ومن معه
الانحطاط أترهم عند الله ولكن
أكثرهم لا يعلمون) بقول تعالى ولقد
أخذنا آل فرعون أي اختبرناهم
وامتحانهم وأسلمناهم بالسنين
وعنى سنين الخوف بسبب قلة
الزبرع ونقص من الثمرات قال
مجاهد وهو دون ذلك وقال أبو إسحق
عن رجاء بن حيوة كانت النحلة
لا تحمل الأثمة واحدة لعلهم يذكرون
فاذا جاءتهم الحسنة أى من الخصب
والرزق قالوا لنا هذه أى هذا النعما
بشيء وان يصهم سيئة أى جليل

والرجعة لهم وروى عن ابن عباس أنه قال فضل الله القرآن ورحته الإسلام وعن
الجنس والضيال ومجاهد وقادة أن فضل الله الأيمان ورحته القرآن وعن أنس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضل الله القرآن ورحته أن جعلكم من أهله
رواه أبو الشيخ وابن مردويه وقد روى عن جماعة من التابعين نحو هذه الروايات المتقدمة
والأولى حل الفضل والرحمة على العموم ويدخل في ذلك ما في القرآن من ما دخل أوليا
وتكرر الباء في رحمة للدلالة على أن كل واحد من الفضل والرحمة سبب مستقل في
الفرح وأجل الكلام قل بفضل الله ويرحمته فليفرحوا ثم حذف هذا الفعل للدلالة الثاني
عليه في قوله (فبذلك فليفرحوا) وقيل إن فرحوا بشئ فليفرحوا بفضل الله ورحته
بالفرح وهو اللذة في القلب بسبب إدراك المطالب وتقديره الطرف على الفعل لا فائدة
الحصر والتكرير للتأكيد والتقرير وإيجاب إخصاص الفضل والرحمة بالفرح دون
ما عداهما من فوائد الدنيا وفي هاتين القائمتين أوجه ذكرها في الجمل وقد تم الله سبحانه
الفرح في مواطن كثيرة لا تفرح أن الله لا يحب الفرحين وجوزة في قوله فرحين بما
آتاهم الله من فضله وفي هذه الآية وقيل التقدير جاء تكلمهم موعظة بفضل الله ورحته
فبذلك أى فبشيء ما فليفرحوا (هو خير) أى إن هذا خير لهم (بما يحبون) من
حطام الدنيا ولذا أنها القافية قرئ بالياء والتاء وهما سبعيتان ثم أشار سبحانه بقوله (قل)
أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا) إلى طريق أخرى غير ما تقدم
في إثبات النبوة وتقرير ذلك ما حاص له أنكم تحسمون بفعل البعض وتحريم البعض
فإن كان مجرد التشبه والهوى فهو مجبور باتفاق العقلاء مسلمهم وكافرهم وإن كان
لاعتقدكم أنه حكم الله فيكم وفيما رزقكم فلا تعرفون ذلك إلا طريق موصلة إلى الله
ولا طريق يقين بها الحلال من الحرام الأمن بجهة الرسل الذين أرسلهم الله إلى عباده
والمعنى أخبروني الذي أنزل الله إليكم من رزق أى رزق وشرع وغيرهما فجعلتم بعضه
حراما كالبحيرة والسائبة وبعضه حلالا كالسنة وذلك كما كافر يفعلون في الانعام والحزن
حسبما سبق حكاية ذلك عنهم في سورة الانعام من الكتاب العزيز وقيل ما السنة هامة
والسنة ذهب الحوفي والزمخشري والظاهر أنها موصلة كما تقدم لأن فيها بقاء رأيت
على بابها ومعنى أنزال الرزق كونه المطر ينزل من جهة العلو وقال الزجاج أنزل بمعنى

خلق
ونخط بطير واعسى ومن معه أى هذا يسير وما جاء به الانحطاط أترهم عند الله
قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الانحطاط أترهم عند الله مصائبهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون وقال ابن جرير عن ابن
عباس قال الانحطاط أترهم عند الله قال أى من قبل الله (وقالوا مع ما أتانا به من آية لنسيرنا بها فافهم لك المؤمنين فارسنا عليهم
الطوفان والجرادوا لعل والضايع والدم آيات من قبل الله) وقالوا مع ما أتانا به من آية لنسيرنا بها فافهم لك المؤمنين فارسنا عليهم
النار يكسبهم عندك لأن كسفت عنا الجبل فزومق لك واترسلان معك بن إسرائيل فلما كشفنا عنهم الجبال إلى أجل هم بالفرو

أذا هم يكفون) هو أخبرنا من الله عز وجل عن قرد قوم فرعون وعقوبهم وعنادهم للحق وأصرارهم على الباطل وقولهم ما نأمن به من آية تسخرناهم بها فنحن للبعوث من يقولون أي آية تجتنبنا من أولادك وحيمة أقمها ردنا فأفلا تقبلها منك لأننا نؤمن بك ولا ما جئت به قال الله تعالى فأرسلنا عليهم الطوفان اختلجوا في معانعه من ابن عباس في روايات كثيرة الأمطار المفرقة المثلثة للزروع والخاروبة قال الضمالي بن مزاحم وعن ابن عباس في رواية أخرى هو كفرة الموت وكذا قال عطاء وقال شجاع الطوفان الماء والطاعون على كل حال وقال ابن جرير حدثنا ابن هشام الرقي حدثنا يحيى بن ممان (١) حدثنا المنهال (٢٣٣) بن خليفة عن ابن عباس عن الحكم بن مينا عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم الطوفان الموت وكذا رواه من مرويه من حديث يحيى بن ممان به وهو حديث غريب وقال ابن عباس في رواية أخرى هو أمر من الله طاف بهم ثم قرأ فطاف عليهم طائف من ربك وهم نائمون وأما الجراد فعرف مشهور وهو ما كثر الماشيت في الصحابين عن أبي يعقوب قال سألت عبد الله بن أبي أوفى عن الجراد فقال غزو نافع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات نأكل الجراد والشافعي وأحمد بن حنبل وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم عن أبيه عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أحلت لنا ميتتان ودمان الحوت والجراد والكبد والطحال ورواه أبو القاسم البخوي عن داود بن رشيد عن سويد بن عبد العزيز عن أبي تمام الأيلي عن زيد بن أسلم عن ابن عمر مرفوعاً مثله وروى أبو ذر عن محمد بن القريظ عن محمد بن زهران الأهوازي عن سليمان التيمي عن أبي عثمان عن سليمان قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن

خاق كما قال وأمر لركم من الأنعام غصية أو أجاج وأمرنا الخدي فيه بأس شديد (قل الله أذن لكم) في هذا التحليل والتحرير والهمزة للانكار (أم على الله تفترون) أم منقذة جمع سي بل كافي الكشف والظاهر أنهم متصلة كما قال السفاقي أي الله أذن لكم أم تكذبون عليه في نسبة الأذن إليه قال الكرخي وكفي به زاجر المن أفي بغيا رقان كبعض فقها هذا الزمان أه وظاهر الاسم الشريف وتقدمه على الفعل للدلالة على كمال فيج الاقتراء قلت وفي هذه الآية الشريفة ما يصلح مسمع المتصدين للاقتناء للعباد الله في شريعته بالتحليل والتحرير والجواز وعندهم مع كونهم من المقلدين الذين لا يفتنون بحجج الله ولا يفقهون ما لا يدرون ما هي ومبلغهم من العلم الحكاية لقول قائل من هذه الأمة قد قلدهم في دينهم وجعلهم شرا عاصم استقلال ما يلزم من الكتاب والسنة فهو العمول به عندهم وما لم يبلغه أو باغوه ولم يفقهه حق فهمه وأخطأ الصواب في اجتهداه وترجحه فهو في حكم المنسوخ عندهم المرفوع حكمه عن العباد مع كون من قلدهم متعبداً به هذه الشريعة كما هم متعبدون بها ومحكوموا عليه بأحكامها كما هم محكوم عليهم بها وقد اجتهد رأيهم وأتى ما عليه وفاز بأجر من مع الأصابة وأجر مع الخطأ إنما الشأن في جعلهم لرأيهم الذي أخطأ فيه شريعة مستقلة ودلماً معه ولا به وقد أخطوا في هذا خطأ بيناً وغلطوا غلطاً فاحشاً فان الترخيص للجهت في اجتهداً به يخصه وحده ولا قائل من أهل الاسلام المعتد بأقوالهم الله يحوز غيره أن يعمل به تقليد له واقتداء به ومجاوبه للمقلدة في تقوم هذا الباطل فهو من الجهل العاطل اللهم كثر زرقنا من العلم ما في بين الحق والباطل فأرزقنا من الانصاف ما نظف عنده عيها والحق عندك يا واهب الخير قال النسفي الآية زاجرة عن التجوز فيما يستل من الأحكام وباعثة على وجوب الاحتياط فيه وإن لا يقول أحد في شيء جائز أو غير جائز إلا بعد إيقان وإتقان والأفوه مفتع على الديان ثم قال (وما من الذين يشتركون على الله الكذب يوم القيامة) أي أي شيء ظنهم في هذا اليوم وما يصنع بهم فيه أي لا ينبغي هذا الجسبان ولا يحمله بوجه من الوجوه وهذه الجملة الاستفهامية المتضمنة لعظيم الوعيد لهم عند ادخاله تحت القول الذي أمر الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول لهم بل مبتدأ مسوقة لبيان ما سيجل بهم من عذاب الله وذكر الكذب بعد الافتراء مع ان الاقتراء لا يكون إلا كذا زيادة التأكيد (إن الله لذو فضل على

(٣٠ - فتح البيان ح) الجراد فقال كثر جهود الله لآكله ولا أمره وانما تركه عليه السلام لأنه كان يعافه كما عاف نفسه الشريفة كل الضب وأذن فيه وقد روى الحافظ ابن عساكر في جمعه في الجراد من حديث أبي سعيد الحسن بن علي العدوي حدثنا نصر بن يحيى بن سعيد حدثنا يحيى بن خالد عن ابن جرير عن عطاء عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأكل الجراد ولا الكلوئين ولا الضب من غير أن يجرمها أما الجراد فخرج وعذاب وأما الكلوئين فخرجهم ما من البول وأما الضب فقال أتخوف أن يكون مسخاً ثم قال غريب لم أكبه إلا من هذا الوجه وقد كان أمير المؤمنين ع في الخطاب رضي الله عنه يشتمه ويحبه قوله يحيى بن ممان كذا بالاصل وحريه اه

فروى عبد الله بن زيد عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أنس بن مالك يقول كن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم
 ابن مسعود عن أنس بن مالك يقول كن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم
 وقال أبو القاسم البغوي حدثنا داود بن رشيد حدثنا بقية بن الوليد عن يحيى بن زيد القتيبي حدثني
 يثاد بن الجراد على الأطلاق قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من يحببت عرنا عليها السلام سألت ربها
 أنى عن صدى بن جحان عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من يحببت عرنا عليها السلام سألت ربها
 عز وجل أن يطعمها الحلال الأدمه فأطعمها (٢٣٤) الجراد قال اللهم أعشه بغير رضاء وتابعه بغير شياع وقال غيره

(الناس) يتفضل عليهم بأنواع النعيم في الدنيا والآخرة ومنه بعضه الرسل وأنزل الكتب
 نبيان الحلال والحرام وابقاء الكتاب والسنة إلى آخر الدهر والزمان (ولكن أكثرهم
 لا يشكرون) الله على نعمه الواصلة إليهم منه سبحانه في كل وقت من الأوقات وطرفة
 من الطرافات ولا يصرفون مشاعرهم إلى ما خلقت له (وماتكون في شأن) انخطاب
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما نافية والشأن الأمر يعني القصد وجهه شؤون
 قال الاخفش تقول العرب ما شأت شأنه أى ما عملت عمله وما قصدت قصده فهو مصدر
 بمعنى المفعول (وماتلوه من قرآن) قال الفراء والزجاج الضمير يعود على الشأن
 والجار والمجرور صفة مصدر مخدوف أى تلاوة كاتمة منه اذ التلاوة للقرآن من أعظم
 شؤنه صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى أنه يتلون من أجل الشأن الذي حدث القرآن فعمل
 كيف حكمه أو يتلو القرآن الذي ينزل في ذلك الشأن وقال ابن جرير الطبري الضمير في
 منه عائد إلى الكتاب أى ما يكون من كتاب الله من قرآن واعاده نفيبه ماله كقوله إلى أنا
 الله وقيل ماتلوه من الله من قرآن نازل عليك من الشافية زائدة والاولى ما انفليحة
 أو ابتداءية بحسب الوجهين المتقدمين والخطاب في (ولا تفعلون من عمل) لرسول
 الله وللأمة وقيل الخطاب للكفار قريش (الا تكلم عليكم شيهوا) استثناء مفرغ من
 أعم الأحوال للخطابين بالأفعال الثلاثة أى ما تلابسون بشئ منها فى حال من الأحوال
 الا فى حال كونكم تراقبوا مطعين عليه حافظين له يقال شهدت على الشئ اطعته عليه فإنا
 شاهد وشهيدوا الجمع اشهاد وشهودا الضمير في (ادققضون فيه) عائد على العمل بقول
 أقاض فلان فى الحديث والعمل اذا انتفع فيه وقال الضحاك الضمير فى فيه عائد على
 القرآن والمعنى اذ تشيعون فى القرآن الكذب والافاضة الدخول فى العمل على حجة
 الانتصاب اليه والانتساب نفسه قال ابن الأنباري اذ تدفعون فيه وتبسطون فى ذكره
 وقيل الافاضة لدفع بكثرة وقال الزجاج تنشرون فيه وقيل تخوضون فيه وقيل
 تأخذون أى تنشرون فيه والمعاني متقاربة (وما يعزب) أى يغيب ويخفى وقيل يعبد
 وقال ابن كيسان يعذب وهذه المعاني متقاربة قري بضم الزاى وبكسر هاء سبعين وهما
 لغتان فصحتان (عن ربك) أى عن علمه ومن فى (من متقال ذرة) زائدة تشا كيدى
 وزن ذرة أى مثله جراء وهى خفيفة الوزن جدا (فى الارض ولا فى السماء) أى فى دائرة

السماء الصوت وقال أبو بكر بن
 أبي داود حدثنا أبو نفعي هشام بن
 عبد الملك المزني حدثنا بقية بن
 الوليد حدثنا اسمعيل بن عياش عن
 ضمضم بن زرعة عن شرحبيل بن عبيد
 عن أبي زهير التميمي قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لا تقبلوا الجراد فإنه جند الله
 الأعظم غرب جدا وقال ابن أبي
 شيبة عن مجاهد في قوله تعالى
 فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد
 قال كانت تأكل مسامير أبوابهم
 وتدع الخشب وروى ابن عساکر
 من حديث علي بن زيد الخزاز
 عن مجاهد بن كسر سمعت الأوزاعي
 يقول خرجت إلى الصحراء فإذا أنا
 برجل من جراد في السماء فإذا
 برجل راكب على جرادة من شواه
 شاك في الحديد وكما قال بيده
 هكذا مال الجراد مع يده وهو يقول
 الدنيا باطل باطل ما فيها الدنيا باطل
 باطل ما فيها الدنيا باطل باطل ما فيها
 وروى الحافظ أبو الفرج المعافى بن
 زكريا الحريري حدثنا محمد بن
 الحسن بن زياد حدثنا أحمد بن
 عبد الرحيم أخبرنا وكيع عن

الاعمش أنبأنا عمر قال سئل شيخنا عن القاضى عن الجراد فقال قيل الله الجراد فها خلقه سبعة
 جبارة رأسها رأس فرس وعقها عقن ثور وصدورها صدأ أسد وجناحها جناح نسر ورجلها رجل جمل وذنبها ذنب حبة
 وبطنها بطن عقرب وقد منعا عند قوله تعالى أحل لكم صيد البحر وطعامه ما عاكلكم والسيارة حديث جابر بن سلمة قال خرجنا مع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في حج أو عمرة فاستقبلنا رجل جرادة فجعلنا نضرب به العصا ونحن محرمون فأنزل رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فقال لا بأس بصيد البحر وروى ابن ماجه عن هرون الجاني عن هشام بن القاسم عن زياد بن عبد الله بن عروة عن أبي أيوب
 عن أبي هريرة عن موسى بن أبي محمد بن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أنس وجابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا دعا على

الجراد قال اللهم اهلك كبار وقتل صغار واقصد بضه واقطع دابر وخذ بأقلامهم عن معاشنا وارزقنا انك سمع الدعاء فقال له جابر يا رسول الله ائذ عو على جند من أجناد الله بقطع دابر فقال انما هو نثر محوت في البحر قال هاشم أخبني نزياد أنه أخبر من رآه ينثره الخوت قال من حقق ذلك ان السمك اذا باض في ساحل البحر فصب الماء عنه وبدا للشمس انه ينفس كدجر اذا طارا وقد مناعه قوله الأئم أمثالكم حديث عروضي الله عنه ان الله خلق ألفاً ستاً في البحر وأربعة في البر وان أولها هلاك الجراد وقال أبو بكر بن أبي داود حدثنا يزيد بن البركة حدثنا (٢٣٥) عبد الرحمن بن قيس سالم بن سالم حدثنا أبو المغيرة

الجوزجاني محمد بن مالك عن البراء ابن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ذامع السيف ولا خامع الجراد حديث غريب وأما القمل فعم ابن عباس هو السوس الذي يخرج من الخنطة وعنه أنه الذباب وهو الجراد الصغار الذي لا أخف حذقه وبه قال مجاهد وعكرمة وقنادة وعن الحسن وسعيد بن جبير القمل دواب سود صغار وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم القمل البراغث وقال ابن جرير القمل جمع واحدتها قملة وهي دابة تشبه القمل تأكل الابل فيما بلغني وهي التي عناها الاعشى بقوله قوم تقابع قلا وسلا سلا (٢)

أجدوا بابا موصدا قال وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يزعم أن القمل عند العرب الجنان واحدتها جنانة وهي صغار القردان فوق القملة قامة وقال الامام أبو جعفر بن جرير حدثنا ابن جيل الرازي حدثنا يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير قال لما أتى موسى عليه السلام فرعون قال له ارسل معي في

الوجود والامكان وانما عبر عنهم بهم سمع أنه سبحانه لا يغيث عنه شيء الا فيهم وما ولا فيهم هو خارج عنهم الان الناس لايت اهدون سواهما وسوى ما فيهم ما من اخلاوقات وقدم الارض على السماء لانهم احمّل استقرار العالم فيهم يشاهدون ما فيهم من قرب (ولا أصغر من ذلك) أي من مثقال ذرة كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية للبس (ولا أكبر منها (الآ وهو (في كتاب مبين) فكيف يغيث عنه وهو الكتاب الذي عند الله يعني اللوح المحفوظ قاله السدي وقد ورد على توجيهه النصب والرفع في أصغر وأكبر على العطف على لفظ مثقال ومحمداً وعلى لفظ ذرة أشكال وهو أنه يصير تقدير الآية لا يعزب عنه شيء في الارض ولا في السماء الا في كتاب ويلزم منه أن يكون ذلك الشيء الذي في الكتاب خارجا عن علم الله وهو محال وقد أجيب عن هذا الاشكال بأن الاشياء الخالوقة قسمان قسم أوجده الله ابتداء من غير واسطة كخلق الملائكة والسعوات والارض وقسم آخر أوجده بواسطة القسم الاول من حوادث عالم الكون والقساد ولا شك أن هذا القسم الثاني متباعد في السلسلة العلية عن مرتبة الاول فالمراد من الآية أنه لا يعبد عن مرتبة وجوده سبحانه شيء في الارض ولا في السماء الا وهو في كتاب مبين أثبت فيه صورة تلك المعلومات والغرض الدعي من يزعم أنه غير عالم بالجزئيات وأجيب أيضا بأن الاستثناء منقطع أي لكن هو في كتاب مبين وذ كرأبو على البحر جاني ان الابعثي الواو أي وهو أيضا في كتاب مبين والعرب قد تقع الاموضع الواو منه قوله تعالى ان لا يخاف لدى المرسلون الامن ظم يعني ومن ظم وقوله لتسلي لا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا أي والذين ظلموا وقد روه بعد الواو التي جاءت الابعثها كما في قوله وقولوا احطسة أي هي حطة قال الكرخي وهذا الوجه فيه تسعتم ومثله قوله ولا تقولوا ثلاثة وما نسبتم من رقة الابعثها ولا حجة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وجوز الكواشي كونه منه سلا مستغنى من يعزب على أن معناه مبين ويصدر والمعنى لا يصدر عن الله شيء بعد خلقه الا وهو في كتاب وقال الكلبي قد حاول الرازي جعله متصلا بعبارة طوبى له تحصلها أنه جعله استثناء مفرغا وهو حال من أصغر وأكبر وهو في قوة المتصل ولا يقال فيه متصل ولا منقطع ثم لما بين سبحانه احاطته بجميع الاشياء وكان في ذلك تقوية لقلوب المطيعين وكسر لقلوب العاصين ذكر حال المطيعين فقال (الآن اولياء الله لا خوف عليهم) الولي

اسرائيل فأرسل الله عليهم الطوفان وهو المطر فصب عليهم منه شيا أخافوا أن يكون عذابا فقالوا موسى ادع لنا ربك فيكشف عنا المطر فنؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا به فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني اسرائيل فأنذت لهم في تلك السنة شيئا لم ينبتة قبل ذلك من الزرع والثمار والكلاف فقالوا هاذما كنا فتني فأرسل الله عليهم الجراد فسلطه على الكلاف فأرأوا أثره على الكلاف عرفوا أنه لا يبقى الزرع فقالوا يا موسى ادع لنا ربك فيكشف عنا الجراد فمن لك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا به فكشف عنهم الجراد فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني اسرائيل فداسوا أو أحرزوا في البيوت فقالوا قد أحرزنا فأرسل الله عليهم القمل وهو السوس الذي يحزج (٢) قوله قوم تقابع البيت هو هكذا في الاصل وحزره اه معجحه

من فكان الرجل يخرج عشرة أجرة إلى الرعي فلا يرد منها ثلاثة أقدرة فقالوا يا موسى ادع لتأريك يكشف عننا القسمل فنؤمن
 للوزير سئل معك بنى إسرائيل قد عاربه فكشف عنهم فأبوا أن يرسلوا معه بنى إسرائيل فيبدا هو خوالس عند فرعون أذيع نعتي
 ضنيدع فقالوا القرون ما تلقى أنت وقومك من هذا فقال وماعسى أن يكون كند هذا آمنوا حتى كان الرجل يجلس إلى ذنقه
 في الضفادع ويهم أن يسلم فتهب الضفدع في فيه فقالوا موسى ادع لتأريك يكشف عننا هذه الضفادع فنؤمن لك وزير سئل
 معك بنى إسرائيل فلم يؤمنوا وأرسل الله (٢٣٦) عليهم الدم فكانوا يسبقونهم من الذنهار والابار وما كانوا

في اللغة ضد العدو وهو الحب ومحبة العباد لله طاعتهم له ومحبة لهم إكرامه إياهم وعلى
 الاول يكون ففعل بمعنى فاعل وعلى الثاني بمعنى مفعول فهو مشترك بينهم ما وركب
 الواو واللام والياء يدل على معنى القرب فولى كل شيء هو الذي يكون قريبا منه والمراد
 بالاولياء خالص المؤمنين كأنهم قروا من الله سبحانه بطاعته واجتناب معصيته والمراد
 بنى الخوف عنهم أنهم لا يخافون أبدا كما يخاف غيرهم لأنهم قد قاموا عما أوجب الله عليهم
 وانتهوا عن المعاصي التي نهاهم عنها فهم على تقوى أنفسهم وخشيتهم من ربهم وكذلك
 (ولاهم يحزنون) على فوت مطلب من المطالب لأنهم يعلمون أن ذلك بقضاء الله وقدره
 فيسلمون للقضاء والقدر ويرجعون قلوبهم عن الهم والكدر فصدورهم منشرة
 وجوارحهم نشطة وقلوبهم مسرورة وقد قسر سبحانه هؤلاء الاولياء بقوله (الذين آمنوا
 وكانوا يتقون) أي يؤمنون بما يجب الإيمان به ويتقون ما يجب عليهم اتقاؤه من معاصي
 الله سبحانه قال أبو السعود والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة منها الجامعة لما تقدم من
 مرتبة التوقى عن الشرك التي يفيدها الإيمان أيضا ومرتبة التجنب عن كل ما يؤثم من
 فعل وترك أعنى تنزه الانسان عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبطل إليه بالكلية وهي
 التقوى الحقيقية المأمورة به في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وبه
 يحصل الشهود والحضور والقرب الذي عليه يدور اطلاق الاسم عليه فلا أمر الولاية
 هو التقوى المذكور فأولياء الله هم المؤمنون المتقون وعن سعد بن جبير قال هم الذين
 إذا رأوا ذكر الله وعن ابن عباس قال إذا رأوا يذكر الله لم يؤثمهم وقال أبو حنيفة والشافعي
 إذا لم تكن العلماء أولياء الله فليس لله ولي قال النووي وذلك في العالم العامل بعلمه وقد
 أكره أهل العلم من المتكلمين والصوفية وغيرهم في تعريف الولي ووضعوه وأطلقوا
 المقالات في ذلك بما لا حاجة إليه وهذه الآية تنعني عنها فانه إذا جاءهم الله بظلمة من عقل
 والحاصل أن ولي الله من كان آمنا بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل وبالأعمال الصالحة
 على وفق ما وردت به السنة المطهرة لأن الإيمان سبقي على العقيدة والعمل ومقام التقوى
 عوان يبقى العبد لكل ما نهى الله عنه وعن عمر بن الجوح أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله
 وسلم يقول لا يحق العبد حق صريح الإيمان حتى يحب لله ويحضر لله فإذا أحببه
 وأبغض لله فقد استحق الولاية من الله وإن أولياءه من عبادي وأحبائي من خلقي الذين

أوعيتهم وجدودهم ما عيطافشكوا
 إلى فرعون فقالوا انقادا بئسنا بالدم
 وليس لنا شرب فقال انه قد سحركم
 فقالوا من أين صرنا ونحن لا نجني
 أوعيتنا شيا من الماء الوجودنا دما
 عيطافا فوه وقالوا يا موسى ادع لنا
 ربك يكشف عننا هذا الدم فنؤمن
 لك وزير سئل معك بنى إسرائيل قد عاربه فكشف عنهم فلم يؤمنوا
 ولم يرسلوا معه بنى إسرائيل وقد
 روى نحوه هذا عن ابن عباس
 والسدي وقتادة وغير واحد من
 علماء السلف وقال محمد بن اسحق
 ابن يسار رجه الله فرجع عدو الله
 فرعون حين آمنت السحرة مغلوبا
 مغلوبا ثم أي الا الاقامة على
 الكفر والتعادي في الشرف تابع الله
 عليه الآيات فأخذه بالسجين
 وأرسل عليه الطوفان ثم الجراد
 ثم القمل ثم الضفادع ثم الهم آيات
 مفصلات فأرسل الطوفان وهو
 الماء ففاض على وجه الأرض ثم
 ركذ لا يقدرون على أن يحسروا
 ولا يعينوا شيا حتى جهدوا وجوعا
 فلما بلغهم ذلك قالوا يا موسى ادع لنا
 ربك لنكشف عننا الجزل فنؤمن
 لك وزير سئل معك بنى إسرائيل قد عاربه فكشف عنهم فلم يؤمنوا وأرسل الله عليهم

يدكرون
 لهم وزير سئل معك بنى إسرائيل قد عاربه فكشف عنهم فلم يؤمنوا وأرسل الله عليهم
 الجراد فأكل كل الشجر فيما بلغني حتى ان كان لا يأكل مسامير الابواب من الحديد حتى تقع دويرهم ومساكنهم فقالوا مثل ما قالوا
 قد عاربه فكشف عنهم فلم يؤمنوا وأرسل الله عليهم القمل فذكرني أن موسى عليه السلام أمر أن يمشي إلى كتيب
 حتى يضر به بعصاه فمشى إلى كتيب أهل عظيم فضر به بها فأسال عليهم قمل حتى غلب على البيوت والاطعمة ومنعهم النوم والقرار
 فلما جهدهم قالوا له مثل ما قالوا قد عاربه فكشف عنهم فلم يؤمنوا وأرسل الله عليهم ثم الضفادع فلا تنبت
 فلما جهدهم قالوا له مثل ما قالوا قد عاربه فكشف عنهم فلم يؤمنوا وأرسل الله عليهم ثم الضفادع فلا تنبت

والاطعمة والآنية فلا يكف أحد ثوبا ولا طعاما الا وجد فيه الضفادع قد غلب عليه فلما جهدهم ذلك قالوا له مثل ما قال الواسل
وبه فكشف عنهم فلم يفر اله بشئ مما قالوا فأسل الله عليهم الذم فصارت مياه آل فرعون دما لا يستقون من يتر ولا يهر ولا يغترفون
من اناه الاعادد ما عبيطا وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منصور المروزي أنبأنا النضر أنبأنا اسرائيل أنبأنا جابر بن زيد عن
عكرمة عن عبيد الله بن عمرو قال لا تقبلوا الضفادع فانها المأرسلت على قوم فرعون فطلق ضفدع منها فوقع في تورفيه نار بطلب
بذلك مرضاة الله فأبدلهن الله من هذا أرضي يعلمهن المأوى جعل نقيهن (٢٣٧) التسليح وروى عن طريق عكرمة عن

ابن عباس نحوه وقال زيد بن أسلم
يعني بالدم الرعاف رواه ابن أبي حاتم

(فاسقمنا منهم فاعرقناهم في الم)

بانهم كذبوا باننا وكافوا عنها

غافلين وأورثنا القوم الذين كافوا

بستضعفون مشارق الأرض

ومغاريها التي باركنا فيها وتعت كلة

ربك الحسنی علی بنی اسرائیل بما

صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون

وقومه وما كانوا يعرشون يخبر تعالى

أنهم لماعتوا وقرءوا مع آبائهم

اياهم بالآيات المتواترة واحدة

بعد واحدة انهم منهم بما غرقه

اياهم في الم وهو البحر الذي فرقه

لموسى فجاوزه بنوا اسرائيل معه

ثم ورد فرعون وجنوده على اثرهم

فلما استكملوا فيه التطمع عليهم

فغرقوا عن آخرهم وذلك بسبب

تكذيبهم بآيات الله وتغافلهم عنها

وأخبر تعالى انها ورث القوم الذين

كافوا يستضعفون وهم بنوا اسرائيل

مشارق الأرض ومغاريها كما قال

تعالى ونريد أن نغن على الذين

استضعفوا في الأرض ونجعلهم

أئمة ونجعلهم الوارثين ونعكس لهم

في الأرض ونرى فرعون وهامان

يذكرون بذكرى واذا كررهم أخرجهم أحد وغيره وأخرج أحمد عن عبد الرحمن بن غنم
يلعبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم خيار عباد الله الذين اذا رأوا ذلك الله وشرا عباد
المساكين بالنجمة للفرقون بين الاحبة المبالغون البراء الغت وعن ابن عمرو بن العاص
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خباركم من ذكر كم الله رقيه وزاد في علمكم
منطقة ورغبكم في الآخرة عمله أخرجهم الحكيم الترمذي وعن ابن عمر مر فوعا الله
عباد الله وابلوا لاشداع بعبادهم النيون والشهداء يوم القيامة بقرهم ومجسهم منه
خفي اعراي على ركبته فقال يا رسول الله صفهم لنا حلهم لنا قال قوم من آفئنا الناس من
نزاع القبايل تصافوا في الله وتحبوا في الله يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم
يخاف الناس ولا يخافون هم وأولاء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون أخرجهم الخا
وصحبه وأخرج أوداد وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب عن عمر بن الخطاب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد كرر نحوه قال ابن كثير واسناده جيد وروى
بطريق عن جماعة من الصحابة وقد ورد في فضل المحابين في الله أحاديث ليس فيها أنهم
المرادون بالآية (اهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) تفسير يعني كونهم أولاء الله
أى لهم البشرى من الله ماداموا في الحياة بما وجبه الى أن يمتا به وينزل في كسبه من كون
حال المؤمنين عنده هو ادخالهم الجنة ورضوانه عنهم كما وقع كثير من البشارات للمؤمنين
في القرآن الكريم وكذلك ما يحصل لهم من الرؤيا الصالحة وما يتفضل الله به عليهم من
اجابة دعائهم وما يشاهدونه من التبشير لهم عند حضور اجلهم تنزل الملائكة عليهم
قائلين لهم لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة قاله الزهري وقائدة اما البشرى في الآخرة
فتلقى الملائكة لهم مبشرين بالثواب والنعيم والسلامة من العذاب والبشرى مصدر أراده
المبشرة والمراد حال كونهم في الدنيا وحل كونهم في الآخرة وأخرج أحمد والترمذي
وحسنه وابن جرير والبيهقي وغيرهم عن رجل من أهل مصر قال سألت أبا الدرداء عن
معنى قوله لهم البشرى فقال ما سألتني عنها أحد منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم فقال ما سألتني عنها أحد غيرك منذ أنزلت على هي الرؤيا الصالحة بها الم سلم وأترى له
فهى بشره في الحياة الدنيا وبشره في الآخرة الجنة وفي استناده هذا الرجل المجهول
وعن عباد بن الصامت مر فوعا له عند أحد الداربي والترمذي وابن ماجه وأخرج

وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وقال تعالى كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فكهين كذلك
وأورثناهم آثرين وعن الحسن البصري وقائدة في قوله مشارق الأرض ومغاريها يعني الشام التي باركنا فيها وقوله وتعت كلة بقر
الحبي على بنى اسرائيل بمصبروا قال مجاهد وابن جرير وهى قوله تعالى ونريد أن نغن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم
أئمة ونجعلهم الوارثين ونعكس لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وقوله ودمرنا ما كان يصنع
فرعون وقومه وما كانوا يعرشون يبنون (وجاوزنا بنى اسرائيل البحر فاعلى قوم يعشقون على

أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الهة كالهة آلهم قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون فيخبر تعالى عما قاله جده في اسرائيل لموسى عليه السلام حين جاوزوا البحر وقد رأوا من آيات الله عظيم سلطانها ما رأوا فأتوا أي فر وأعلى قوم يعكفون على أصنام لهم قال بعض المنسرين كانوا من الكنعانيين وقيل كانوا من نحم قال ابن جرير وكانوا يعبدون أصناما على صورة البقر فلهذا أثر ذلك شبهة لهم في عبادتهم الجبل بعد ذلك فقالوا يا موسى اجعل لنا الهة كالهة آلهم قال انكم قوم تجهلون أي تتجهلون عظمة الله وجلاله وما يجب ان (١٢٨) ينزه عنه من الشرك والمثيل ان هؤلاء متبر ما هم فيه أي حاله وباطل ما كانوا

يعبدون وروى الامام ابو جعفر ابن جرير في تفسير هذه الآية من حديث محمد بن ابي عيسى وعقيل ومعه مر كلهم عن الزهري عن سنان ابن أبي سنان عن أبي واقد الليثي انهم خرجوا من مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين قال وكان لا تذار سدره يعكفون عندها وعلقون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط قال فرزنا بسدره خضر اعظيمة قال فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كالهة ذات أنواط فقال قائم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى لموسى اجعل لنا الهة كالهة آلهم قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن سنان ابن أبي سنان عن أبي واقد الليثي قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حنين فرزنا بسدره فقلت يا بني الله اجعل لنا ذات أنواط كاللآلئ الكفار ذات أنواط وكان الكفار ينوطون أسلحتهم بسدره ويعكفون حولها فقال النبي

أحمد والبيهقي عن ابن عمر فروعا قال الرويا الصالحة يشربها المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من التسوية فمن رأى ذلك فليخبر بها الحديث وفي الباب أحاديث وقد وردت أحاديث صحيحة بأن الرويا الصالحة من المبررات وأن جزءا من أجزاء النبوة ولكنها لم تقبل بتفسير هذه الآية وقد روى عن ابن عباس أن المراد بالبشرى في الآية هي قوله ويشرب المؤمنون بان لهم من الله فضلا كبيرا وعنه أنهم أقول ان الذين قالوا ربنا الله ثم استيقما وقيل البشرى في الحياة الدنيا هي التناء الحسن وفي الآخرة الجنة وعن أبي ذر قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمد الناس عليه قال تلك عاجل بشرى المؤمن أخرجه مسلم قال أهل العلوي دليل للبشرى المؤخرة في الآخرة وهذه البشرى المجلة دليل على رضا الله عنه وقيل غير ذلك واللفظ أوسع من ذلك لا تبدل لكلمات الله أي لا تغير لاقوله ولا تخلف لمواعيده على العموم فيدخل فيها ما وعده عباده الصالحين دخولا وأوليا (ذلك) أي المدة كوزيله من كونهم بشرين بالشارع في الدارين (هو الفوز العظيم) الذي لا يقدر قدر ولا يبالغ بال غير والمجملتان اعتراض في آخر الكلام عنده من يجوز وفائدتهما تحقيق البشرى به وتوظيم شأنه والاولى اعتراضه والثانية تذييله (ولا يحزنك قولهم) نهى للنبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الحزن من قول الكفار المتضن للظعن عليه وتكذيبه والقدح في دسه والمقصود تسليته صلى الله عليه وآله وسلم عما كان يلقاه من جهتهم من الادية الناشئة عن مقالهم الموحشة وبشيرة بأنه تعالى ينصره ثم استأنف سبحانه الكلام مع رسوله صلى الله عليه وآله وسلم معلا لما ذكره من النسي فقال (ان العزة لله جميعا) أي الغلبة والقدرة والقهر له في مملكته وسلطانها ليست لاحد من عباده وإذا كان ذلك كلمة فكيف يقدرون عليك حتى تحزن لاقوالهم الكاذبة وهم لا يعلمون من الغلبة شيئا ولا ينافي هذا ما في سورة المنافقين ولله العزة ورسوله وللدؤمنين لان كل عزة لله فهي كالهة الله حقيقة لكن قد يظهرها على يد رسوله وعلى أيدي المؤمنين بكميات وتعظيمها لهم ومعه قوله كتب الله لا غلبنا نورسلى اننا نصر ربنا (هو المسيح) لما يقولون (العليم) بما يدرون ويعزمون عليه وهو مكافئهم بذلك (الآن الله من السموات ومن في الارض) ومن جملتهم هؤلاء المشركون المعاصرون للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وإذا كانوا في ملكه يتصرف فيهم

كف
صلى الله عليه وسلم الله أكبر هذا كما قالت بنو اسرائيل لموسى اجعل لنا الهة كالهة آلهم الله انكم تر كيون سنن
من قبلهم أورد ابن جرير وزاد ابن أبي حاتم من حديث كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه جده فروعا قال قال أغرب الله أن يغيبكم الها وهو فضلهم على العالمين وإذا تخيبتكم من آل فرعون ينصرونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاغ لمن ربكم عظيم) يذكرهم موسى عليه السلام من الله عليهم من اتقاهم من أسير فرعون وقهره وما كانوا فيه من الهوان والذلة وما صاروا اليه من العزة والاشاعة فامعن عدوهم والنظر اليه في حال هوانه وهلاكه وغرقه ودماره وقد تقدم

وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وقد تسلم ذلك في الانعام وفي الكتب المتقدمة ان الله تعالى قال موسى عليه السلام
يا موسى انه لا يراني حتى الامات ولا يابس الا تدعده ولهذا قال تعالى فلما تجبل ربه للجبل جعله كاخرو موسى صغقا قال ابو جعفر بن
جرير الطبري في تفسير هذه الآية حدثنا اجد بن سهيل الواسطي حدثنا قرة بن عيسى حدثنا الاعشى عن رجل عن انس عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لما تجبل ربه للجبل اشار باصبعه فجعله كوا وانا ابو اسحق باصبعه السابعة هذا الاسناد فيه رجل مهم لم يسم
ثم قال حدثني المثنى حدثنا حجاج بن منهال (٢٤٠) حدثنا جاد بن ليث عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية

فلما تجبل ربه للجبل جعله كوا قال
هكذا باصبعه ووضع النبي صلى الله
عليه وسلم اصبعه الابهام على
المفصل الا على من انحصر فاسخ
الجبل هكذا وقع في هذه
الرواية جاد بن سلمة عن ليث عن
انس والمشهور جاد بن سلمة عن
ثابت عن انس كما قال ابن جرير
حدثني المثنى حدثنا هادي بن خالد
حدثنا جاد بن سلمة عن ثابت عن
انس قال قرأ رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما تجبل ربه للجبل
جعله كوا قال ووضع الابهام قريبا
من طرف خنصره قال فاسخ الجبل
قال جيسد لثابت يقول هذا فرغ
ثابت يده فضر ب صدره جيسد وقال
يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويقوله انس وانا اكونه وهكذا رواه
الامام اجد بن منبذ عنه حدثنا ابو
المثنى معاذ بن معاذ الغنوي حدثنا
جاد بن سلمة حدثنا ثابت البناني
عن انس بن مالك عن النبي صلى الله
عليه وسلم في قوله فلما تجبل ربه للجبل
قال قال هكذا يعني انه اخبر طرف
الخنصر فقال له جيسد الطويل
ما تريد الى هذا فضر ب صدره

ضربة شديدة وقال من انت يا جيسد وما انت يا جيسد حدثني به انس بن
مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما تريد اليه وهكذا رواه الترمذي في تفسير هذه الآية عن غبسد الوهاب بن الحكم الزراني
عن معاذ بن معاذ بن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي عن سليمان بن حرب عن جاد بن سلمة ثم قال هذا حديث حسن صحيح غريب
لا نعرفه الا من حديث جاد وهكذا رواه الحارثي في مستدركه من طرق عن جاد بن سلمة وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم
ولم يخرجاه ورواه ابو محمد الحسن بن محمد الخلال عن محمد بن علي بن سويد عن أبي القاسم البغوي عن هدي بن خالد عن جاد بن

(منازع)

جاد بن سلمة حدثنا ثابت البناني عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله فلما تجبل ربه للجبل قال قال هكذا يعني انه اخبر طرف الخنصر فقال له جيسد الطويل ما تريد الى هذا فضر ب صدره

سلمة فذكره وقال هذا الاسناد صحيح لعله فيه وقد رواه داود بن الجبر عن شعبة عن ثابت عن أنس مرفوعا نحوه وأسنده ابن مردويه من طريقين عن سعد بن أبي عروة عن قتادة عن أنس مرفوعا ولا يصح أن يضاف إلى الترمذي وصححه الحاكم وقال على شرط مسلم وقال السدي عن عكرمة عن ابن عباس في قول الله تعالى فلما تجلجلى ربه للجبل قال ما تجلجلى منه الا قدر الخضر جعله ذكأ قال تراباخر موسى صعدا قال مغشيا عليه رواه ابن جرير وقال قتادة وخرومى صعدا قال مبيتا وقال سفيان الثوري ما سخ الجبل في الارض حتى وقع في البحر فيه ويذهب معه وقال سفيان بن عيينة عن ججاج بن محمد الاور عن أبي بكر الهذلي فلما تجلجلى ربه للجبل جعله ذكأ تنور فدخل تحت الارض فلا يظهر الى يوم القيامة وجأ في بعض الاخبار أنه ساءخ في الارض فيه ويومئذ يجرى فيها الى يوم القيامة رواه ابن مردويه وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمر بن منبته حدثنا محمد بن يحيى أبو عسان الكاكي حدثنا عبد العزيز بن عمران عن معاوية بن عبد الله عن الجبل بن أيوب بن قرة عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما تجلجلى الله للجبال طارت لعظمته ستة اجبل فوقع ثلثة بالمدية وثلاثة بمكة بالمدية أحد وورقان وورضوى ووقع بمكة حرا ونبير وثور وهذا حديث غريب بل منكر وقال ابن أبي حاتم ذكر عن محمد بن عبد الله بن أبي السبع حدثنا الهيثم بن خارجة (٢٤١) حدثنا عثمان بن حصين بن العلاف عن عروة

ابن رويم قال كانت الجبال قبل أن يتجلى الله لموسى على الطور صما ملءاء فلما تجلى الله لموسى على الطور ذكأ وتفطرت الجبال فصارت الشقوق والكهوف وقال الربيع ابن أنس فلما تجلجلى ربه للجبل جعله ذكأ وخرومى صعدا وذلك ان الجبل حين كشف الغطاء ورأى النور صار مثل ذكأ من الذكالك وقال بعضهم جعله ذكأ أي فتنة وقال مجاهد في قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراه في فناء كبريتك وأشد خلقا فلما تجلجلى ربه للجبل فنظر الى الجبل لا يتما لك وأقبل الجبل فذكأ على أوله ورأى موسى ما يصنع الجبل فخر صعدا وقال عكرمة جعله ذكأ قال نظر الله

(متاع) قليل (في الدنيا) ثم يعقبه الموت والرجوع الى الله فعذب المقتري عذابا مؤبدا والجله مستأنفة لبيان ان ما يحصل للمقتري باقراؤه وما يترأى فيه بحسب الظاهر من نيل المطالب والخطو في الدهنوية بعمل أن يكون من جنس الفلاح وليس بقائدة يعتد بها بل هو متاع يسير في الدنيا يعقبه الموت والعذاب الشديد بسبب الكفر الحاصل باسباب من جعلها الكذب على الله وليس بنافع في الآخرة وقال الاخفش ان التقدير لهم متاع في الدنيا وقال الكسائي ذلك متاع أو هو متاع (ثم اليانمرجهم) بعد الموت (ثم يذيقهم العذاب الشديد بما) أي بسبب ما (كأنوا يكفرون) أي يجهلون في الدنيا من نعمة الله عليهم ويصفونه بما لا يليق بجلاله ولما بالغ سبحانه في تقرير البراهين الواضحة ودفع الشبهة المتناهية شرع في ذكر قصص الانبياء وما جرى لهم مع أممهم لما في ذلك من التسليم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والاسوة بمن سلف من الانبياء ولما كان قوم نوح أول الامم هلاكا وأكثرتهم كفرا ويحذرون كراهة قصصهم وأنها هلكهم بالفرق ليصير ذلك موعظة وعبرة لكفار قريش فقال (وانزل عليهم) أي على الكفار المعاصرين لك المعارضين لما جئت به بأقوالهم الباطلة (تأنفح) أي خبروه النبأ والخبر الذي له خطر وشأن والمراد بعض ما جرى له مع قومه الذين كفروا وبما جاء به كخافله كفار قريش وأمثالهم (اذ) أي وقتان (قال لقومه) اللام لام التبليغ (يا قوم ان كان كبير) أي عظم وثقل (عليكم

(٣١) فتح البان ح) الى الجبل فصار صخراتا وقد قرأ بهذه القراءة بعض القراء واختارها ابن جرير وقد ورد فيها حديث مرفوع رواه ابن مردويه والمعروف ان الصعق هو الغشي ههنا كما فسره ابن عباس وغيره لا كما فسره قتادة بالموت وان كان ذلك صحيحا في اللغة كقوله تعالى ونفخ في الصور فصرع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون فان هلكا فريسة تدل على الموت كما ان هلكا فريسة تدل على الغشي وهي قوله فلما أفاق فانه لا تكون الا عن غشي قال سفيانك تنزيها وتعظيما واجلالا لأن راءه أحد في الدنيا الامات وقوله تبب اليك قال مجاهد أن أسألك الرؤية وأنا أول المؤمنين قال ابن عباس ومجاهد من بني اسرائيل واختاره ابن جرير في رواية أخرى عن ابن عباس وأنا أول المؤمنين أنه لا يراك أحد وكذا قال أبو العالمة قد كان قبله مؤمنون ولكن يقول ناوا لمن آمن بان انه لا يراك أحد من خلقك الى يوم القيامة وهذا قول حسن له اتجاه وقد ذكر محمد ابن جرير في تفسيره ههنا أثر اطو يلاقمه غرائب وجحائب عن محمد بن اسحق بن يسار وكنائه تلقاها من الاسرائيليات والله أعلم وقوله وخرومى صعدا فيه أبو سعيد وأبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فاما حديث أبي سعيد فأسنده البخاري في صحيحه ههنا فقال حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن عرو بن يحيى المازني عن أبيه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال جاء رجل من

اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم قتل ظلم وجهه وقال اجمدان رجلان من اصحابك من الانصار لطم في وجهي قال ادعوه قلعوه
 قتل لثقت وجهه قال يا رسول الله اني مرت اليهودي فدمه عليه قول والى اصطفى موسى على البشر قول نقلت وعني محمد
 واخذتني غصبة فلطمته قال لا تخبروني من بين الانبياء فان الناس يصعقون يوم القيامة فاصفون اول من يصفق فاذا انا بموسى
 اخذتاه من قوائم العرش فلا ادري افاق قبلي ام جوزي بصعقة الطور وقد رواه البخاري في اما كن كثير من صحبه ومسلم في
 احديث التيامن صحبه وبودوفي كتاب السنة من منته من طرق عن جرير بن يحيى عن عمار بن ابي الحسن المدني الاضاري
 المدني عن ابيه عن ابي سعيد عن مالك بن سنان الخدرية واما حديث ابي هريرة فقال الامام احمد في مسنده حديثه
 كامل حديثه ابراهيم بن سعد حديثه ابن شهاب عن ابي سلمة بن عبد الرحمن وعبد الرحمن الاعرج عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
 استبر رجلان رجل من الحبش ورجل من اليهود فقال المسلم والذي اصطفى محمد اعلی العالمين فقال اليهودي والذي اصطفى
 موسى على العالمين فغضب المسلم على اليهودي قلمه فأتى اليهودي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى خبره فدعا رسول الله
 موسى على الله عليه وسلم فاعترف بذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تخبروني على موسى فان الناس

(٢٤٢)

يصعقون يوم القيامة فاكون
 اول من يصفق فاذا موسى ممسكا
 بجناح العرش فلا ادري اكن من
 صفق فافاق قبلي ام كان ممن استنى
 الله عز وجل اخر جاني العجحين
 من حديث الزخري به وقد روى
 الحافظ ابو بكر بن ابي الدنيا رحمه
 الله ان الذي لطم اليهودي في هذه
 القضية هو ابو بكر الصديق رضي
 الله عنه ولكن تقدم في العجحين
 انه رجل من الانصار وهذا هو اصح
 واصر والله اعلم والكلام في قوله
 عليه السلام لا تخبروني على موسى
 كالكلام على قوله لا تفضلوني على
 الانبياء ولا على نونس بن متى قيل
 من باب النواضع وقيل قبل ان يعلم

مقاضي من باب الاسناد البخاري كقولهم نقل على ظلمه والمقام بفتح الميم الموضوع الذي يقام
 فيه وبالضم مكان الاقامة والاقامة نفسها وقد اتفق القراء على انفتح وقرأ ابو رباح
 وابو جحاز وابن الجوزي بالضم قال ابن عطية ولم يقرأ هنا بالضم وكذا لم يطلع على قرائن
 هؤلاء وكذا في المقام عن نفسه كما يقال فعلته لمكان فلان اي لاجله ومنه ومن خاف مقام
 ربه اي خاف ربه ويجوز ان يراد بالمقام المكث اي شق عليكم مكثي بين أظهركم لانه مكث
 فيهم اثنتي عشرة سنة الاخيرين عامو ويجوز ان يراد بالمقام القيام لان الواضع يقوم حال وعنده
 والمعنى ان كان كبير عليكم قايما بالوعظ في مواطن اجتماعكم (و) كبير عليكم (تدبير)
 لكم (بايات الله) التكوينية والتربوية (فقط الله توكلت) اي دمت على تخصيص
 التوكل به تعالى وهذه الجمل جواب الشرط والمعنى اني لا اقبل ذلك منكم لان التوكل
 على الله فان ذلك دأب الذي انا عليه قديما وحديثا ويجوز ان يراد بحدث مرتبة
 مخصوصة من مراتب التوكل ويجوز ان يكون جواب الشرط فاجعوا كما يأتي في قوله
 الا اكثرون والجمل اعترض كقولك ان كنت اكره انك على شيا فاته حسبي وثقتي وقيل
 (فاجعوا امركم) عطف على الجواب وحزم الساقى بان جواب محذوف اي فاجعوا
 ما شئتم والمعنى اعزموا عليه من اجمع الامر اذا فودعزم عليه فانه القراء وروى عنه اجمع
 الشي اعده وقال مؤرج السدي اجمع الامر افع من اجمع عليه وقال ابو اليم اجمع

أمره

بن ذلك وقيل نهى أن يفضل بينهم على وجه الغضب والتعصب وقيل على وجه القول بغير الرأي
 والتشبه والله أعلم وقوله فان الناس يصعقون يوم القيامة الظاهر ان هذا الصعق يكون في عرصات القيامة يحصل أمر يصعقون
 منه والله أعلم به وقد يكون ذلك اذا جاء الرب تبارك وتعالى لتفصل القضاء وتقبل الخلائق الملك الديان كما صعد موسى من جبل الرب
 تبارك وتعالى وليد اقال عليه السلام فلا ادري افاق قبلي ام جوزي بصعقة الطور وقد روى القاضي عياض في اوائل كتابه الشفاء
 بسنده عن محمد بن محمد بن مروق حديثا قد تقدم حديثا الحسن عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
 وسلم قال لما تجلى الله لموسى عليه السلام كان يصير اليه على الصفافي الللة الظلمة عشرة فراسخ ثم قال ولا يبعد على هذا
 ان يختص نبينا بعد كراهة من هذا الباب بعد الامراء والخطوة بما رأى من آيات ربه الكبرى انتهى ما قاله وكذا صحح هذا الحديث
 وفي صحته نظر ولا تخلو رجال اسنادهم من مجاهل لا يعرفون ومثل هذا الخما يقبل من رواية العدل الضابط عن مثله حتى ينتهي الى
 منتهاه والله أعلم (قال ابو موسى اني اصيطع قبل على الناس برسالاتي ومكلاي فخذما آتيتك وكن من الشاكرين وكتبناه في
 الاواضع من كل شي موعظة وتفصيلا لكل شي فخذها بقوة وامر قومك ياخذوا باحسانكم دار القاسقين) يذكر تعالى ان

خاطب موسى بانه اصطفاه على اهل زمانه برسالاته وبكلامه تعالى ولاشك ان محمد اصاب الله عليه وسلم سيد ولد آدم من الاولين
والاخرين ولهذا خصه الله تعالى بان جعله خاتم الانبياء والمرسلين الذي تسعة شر بعته الى قيام الساعة وانباءه اكثر من ان تساع
سائر الانبياء والمرسلين كلهم وبعده في الشرف والفضل ابراهيم الخليل عليه السلام ثم موسى كليم الرحمن عليه السلام ولهذا قال
تعالى له فخذ ما آتيتك اى من الكلام والمأجور كن من الشاكرين اى على ذلك ولا تغضب ما لاطاقة لك به ثم اخذ برتعالى انه كتب
له في الاواح من كل شئ موعظة وتقصيلا لكل شئ قيل ان الاواح كانت من جوهر وانه تعالى كتبه فيها موعظة واحكاما
مفصلة مدينة للجلال من الحرام وكانت هذه الاواح مشتملة على التوراة التي قال الله فيها اول قد آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا
القرون الاولى بصائر للناس وقيل الاواح اعطياهم موسى قبل التوراة قاله اعم وعلى كل تقدير كانت كالتعويض له عن اسأل من
الرؤية ومنع منه والله اعلم وقوله فخذها بقوة اى بعزم على الطاعة وامر قومك باخذوا بحسنها قال سفيان بن عيينة حدثنا ابو سعيد
عن عكرمة عن ابن عباس قال امر موسى عليه السلام ان يأخذها بشدا امر قوموه وقوله سار يكدم دار الفاسقين اى سترون عاقبة
من خالف امرى وخرج عن طاعى كيف يصير الى الهلاك والدمار (٢٤٣) والكتاب وقال ابن جرير وانما قال سار يكدم دار الفاسقين
كاي قول القائل لمن يخاطبه سار يك

امر به جعله جميعا بعدما كان متفرقا وتفرقه ان يقول امره فاعل كذا وامره فاعل كذا فلما
عزم على امر واحد فقد جمعه اى جعله جميعا فلهذا هو الاصل في الاجماع ثم صار يعنى العزم
والتصميم يقال اجتمع في المعاني وجتمع في الاعيان وقد يستعمل كل واحد مكان الآخر وفي
التنزيل جُمع كيداه قال ابن السبكي المراد من الامر هنا وجوه كيدهم ومكرهم فالتقدير
لا تدعوا من امرهم شيئا الا احضرتموه (وشركاءكم) اى ادعواهم لتصرتكم قاله الكسائي
والفراء وقال الزجاج والفارسي والمعنى مع شركاءكم ولم يذكر الزنجشري غير هذا وقيل
اجمعوا وشركاءكم وفي مصنف ابى وادعوا وشركاءكم قال النحاس وغيره وقرائة الرفع بعيدة
وقال الهذلي يجوز رفع الشركاء لا ابتداء والخبر محذوف اى وشركاؤكم ليجمعوا
امرهم ونسبة ذلك الى الشركاء مع كون الاصنام لا تعقل لقصد التوبيخ والتقريع لمن
عبدها (ثم لا يكن امرهم عليكم غم) اى خفي والغمة الغممة من قولهم غم الهلال اذا
استتر اى ليكن امرهم ظاهرهم امسكفا قاله الزجاج وقال الهيثم معناه لا يكن امرهم
مبهما وقيل ان الغمة ضيق الامر كذا روى عن ابى عبيدة والمعنى لا يكن امرهم عليكم
بصاحبتى وبالحجامة لى ضيقا شديدا بل ادفعوا هذا الضيق والشدة بما شئتم وقدرتم عليه
وعلى الوجهين الاولين يكون المراد بالامر الثانى هو الامر الاول وعلى الثالث يكون
المراد غيره وانما تناسب عدم الستر الذى هو عدم الغمة الى الامر الثالثة (ثم اقضوا) ذلك

غدا الى ما يصير اليه حال من خالفنى
على وجه التهديد والوعيد لن عساه
وخالف امره ثم نقل معنى ذلك عن
مجاهد والحسن البصري وقيل معناه
سار يكدم دار الفاسقين اى من اهل
النار واعطيتكم اياها وقيل منازل
قوم فرعون والاول اولى والله اعلم لان
هذا كان بعد انفصال موسى وقومه
عن بلاد مصر وهو خطاب لبعثى
اسرائيل فقل دخولهم اليه والله
اعلم (ما صرف عن اياتي الذين
يتكبرون في الارض بغير الحق وان
يروا كل اية لا يؤمنون بها وان يروا
سبل الرشدا لا يتخذوه سبيلا وان
يروا سبل الحق يتخذوه سبيلا ذلك
بانهم كذبوا باننا وكافوا عنها

غافلين والذين كذبوا باننا ولقاء الآخرة حبطت اعمالهم هل يجزى الاما كانوا يعلمون) يقول تعالى ما صرف عن اياتي الذين
يتكبرون الاية اى سامع ففهم الحجج والادلة الدالة على عظمتى وشريعتى واحكامى قلوب المتكبرين عن طاعى ويتكبرون على الناس
بغير حق اى كما استكبروا بغير حق اذ لهم الله بالجهل كقوله تعالى ونقلب أفئدتهم وبأبصارهم فلم يؤمنوا به اول مرة وقوله تعالى فلما
زاعوا ازاغنا قلوبهم وقال بعض اهل العلم لا يتال العلم حتى ولا مستكبر وقال آخر من لم يصبر على ذل العلم ساعة بقي في ذل الجهل
أبدا وقال سفيان بن عيينة في قوله ما صرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق يقول انزع عنهم فهم القرآن وأصرفهم
عن اياتي قال ابن جرير وهذا يدل على انه خطاب لهذه الامة قلت ليس هذا بل ان ابن عيينة انما أراد ان هذا ما صرف في حق
كل أمة ولا فرق بين أحد وأحد في هذا والله اعلم وقوله وان يروا كل اية لا يؤمنون بها كقوله تعالى ان الذى حقت عليهم كلمة ربك
لا يؤمنون الاية وقوله وان يروا سبل الرشدا لا يتخذوه سبيلا اى وان ظهر لهم سبل الرشداى طريق النجاة لا يسلكونها وان
ظهر لهم طريق الهلاك والنسأل لا يتخذوه سبيلا ثم علل مصيرهم الى هذه الحال بقوله ذلك بانهم كذبوا باننا اى كذبت بها
قلوبهم وكافوا عنها فإلن اى لا يعملون بحافيا وقوله والذين كذبوا باننا وكافوا الآخرة حبطت اعمالهم اى من فعل ذلك

منهم واستقر عليه الى الممات حبط عمله وقوله هل يجوزون الا ما كانوا يعملون أى انما يجازيهم بحسب أعمالهم التى اسلخواها ان خيرا
 فخير وان شرا فشر وكان دين ندان (واخذ قوم موسى من بعدهم من حلبيهم عجل جسد الخوار لهم وانه لا يكلمهم ولا يهدمهم سبيلا
 اتخذوه وكانوا الماثلين ولماسقط فى أيديهم وروا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرجعنا ربنا وبغفر لنا نكون من الخاسرين) فبصر تعالى عن
 ضلال من ضل من بني اسرائيل فى عبادتهم العجل الذى اتخذه لهم السامرى من حلى القبط الذى كانوا استعاروه منهم فشكل لهم
 منه عجلًا ثم اتى فيه القبضة من التراب التى أخذها من أثر فرس جبريل عليه السلام فصار عجل جسد له خوار وانحو وصوت البقر
 وكان هذا منهم بعد ذهاب موسى ليعاقبته ربه تعالى واعلم الله تعالى بذلك وهو على الطور حيث يقول تعالى اخبرنا عن نفسه الكريمة
 فانا قد قمنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى وقد اختلف المفسرون فى هذا العجل هل صار لحا ودماله خوارا واستقر على كونه من
 ذهب الا أنه يدخل فيه الهوا فيصوت كالقرع على قولين والله أعلم ويقال انهم لما صوت لهم العجل رقصوا وحوله واقتنوا به وقال
 هذا الهكم واله موسى فبنى فقال الله تعالى افلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا ولا يعلل لهم ضرا ولا تفعوا وقال فى هذه الآية الكريمة
 ألم يروا انه لا يكلمهم ولا ينكر تعالى عليهم (٢٤) فى ضلالهم العجل وذهولهم عن خالق السموات والارض ورب كل شىء ومليكها أن

عبدوا معه عجل جسد له خوار لا يكلمهم ولا يرشدهم الى خير ولكن غطى على أعين بصائرهم عجب الجهل والضلal كما تقدم من رواية الامام أحمد وأبو داود عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبك الشئ يعصى ويصم وقوله ولماسقط فى أيديهم أى ندما على على ما فعلوا وروا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرجعنا ربنا وبغفر لنا لنكون من الخاسرين من الخاسرين لان لم تغفر لنا بالتا المنة من فوق ربنا منادى وتغفر لنا لنكون من الخاسرين أى من الهالكين هذا اعتراف منهم بذنبهم والتجاء الى الله عز وجل (ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال بسم الله خلقوني

الامر الذى تريدونه فى وأصل اقضوا من القضاء وهو الاحكام والمعنى احكموا ذلك الامر قال الاخفش والكسائى هو مثل وقضينا اليه ذلك الامر أى أنه بيناه اليه وأبلغناه اياه وقبل معناه ثم امضوا الى قال الخاسر هذا قول صحيح فى اللغة ومنه قضى الميت مضى وعن بعض القراء ثم افضوا بالقاء أى توجهوا (ولانظرون) أى شئتم ان يهلونى ولا تؤخرونى بل عجلوا أمركم ونفذوا واصنعوا ما بدا لكم وفى هذا الكلام من نوح عليه السلام ما يدل على وثوقه بضمير ربه وعدم ميلاله بما شرعه به قومه ثم بين لهم ان كل ما اتى به اليهم من الاعذار والاذنار وتبليغ الشريعة عن الله ليس هو طمع ذنوبى ولا لغرض خسيس فقال (فان توليتهم) اى ان اعرضتم عن العمل بنحى لكم وتذكيرى اياكم والتمنا لتزيب ما بعد هاعلى ما قبلها (فاسألكم) فى مقابلة ذلك عليه (من أجر) تودونه الى حتى تنهونى فيما حجت به والقابضاتية (ان أجرى) اى ما توبى فى النصح والتذكير (الاعلى الله سبحانه فهو يشيئى أنتم اولوليتم (وامرأت أن أكون من المسلمين) المقادير حكم الله الذين يحبه اكون أعمالهم خالصة لله سبحانه لا يأخذون عليها أجرة ولا يطعمون فى عاجل أو أمر المتسولين لكل ما يصعب من البلاء (فكذبوه) أى استمروا على تكذيبه واصروا على ذلك وابتس المراد احدثوا تكذيبه بعد أن لم يكن (فخبتناه) أى نوحا عليه السلام (ومن معه) أى من قد اجابه وصار على دينه وكانوا غائبين اربعين رجلا وأربعين امرأة (فى القل) أى

من بعدى اعلمتم امر ربكم رآنى الا الواح وأخبر برأس اخيه بجره اليه قال ابن أم ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلونى فلا تثبت لى الاعداء ولا تجعل لى مع القوم انظالمين قال رب اغفر لى ولا تخنى وادخلنى فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين) فبصر تعالى ان موسى عليه السلام لما رجع الى قومه من مناجاة ربه تعالى وهو غضبان أسفا قال أبو الدرداء الأسف أشد الغضب قال بسم الله خلقوني من بعدى يقول بسم الله صمعت فى عبادتكم العجل بعد أن ذهبت وتركتكم وقوله أعلمتم امر ربكم اى استجلبتم بجهنم اليكم وهو مقدر من الله وقوله وألقى الواح وأخبر برأس اخيه بجره اليه قيل كانت الواح من زهر ذوقيل من ياقوت وقيل من بردوقيل من سدر وفى هذا دلالة على ما جاء فى الحديث ليس الخبز كالعامة ثم ظاهرا السباق انه انما ألقى الواح غضبا على قومه وهذا قول الجهور سلفا وخلفا وروى ابن جرير عن قتادة فى هذا قول لا غريبا ليصيح اسناده الى حكاية قتادة وقد رده ابن عطية وغير واحد من العلماء وهو جدير بالدركاثة لتفاهة قتادة عن بعض اهل الكتاب وفيهم كذابون وموضعون وأفا كونه وزنافة وقوله وأخذ برأس اخيه بجره اليه خوفا ان يكون قد قصر فى نهيم كما قال فى الآية الاخرى قال اخرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا الاتع من أفعصيت أمرى قال يا ابن أم لا تأخذ بلعيتى ولا برأسى انى خشيت ان تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم تر قب قولى وقال ههنا بن أم ان القوم استضعفونى وكلوا يقتلونى فلا تثبت لى الاعداء ولا تجعل لى مع القوم الظالمين اى لاتسقى مساقهم ولا تخطئ معهم وانما قال ابن أم

ليكون ارق وأضع عنده والافهوشقية لاسبه وأمه فلما تحقق موسى عليه السلام براءة ساحه هرون قال كما قال تعالى ولقد قال لهم هرون من قبل باقوم اغناقتهم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمرى فعند ذلك قال موسى رب اغفر لى ولأخى وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين قال ابن أبى حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله موسى ليس المعادين كالخبر آخره به عز وجل ان قومه قتلوا بعده فلم يبق الا الواح فلما راكم وعناهم ألقى الواح (ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين والذين عملوا السمات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم) اما الغضب الذى نال بنى اسرائيل فى عبادة العجل فهو ان الله تعالى لم يقبل لهم توبة حتى قتل بعضهم بعضا كما تقدم فى سورة البقرة فتوبوا الى ربكم فاقبلوا انفسكم ذللكم خير لكم عند ربكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم واما الذلة فاعقبهم ذلك ذلا وصغارا فى الحساسة الدنيا وقوله وكذلك نجزي المفترين ناله لكل من افترى بدعة فى ذلك البدعة ومخالفة الرسالة منفصلة من قلبه على كفيه كما قال الحسن البصرى ان ذل البدعة على أكتافهم وان هملت بهم البغال وطققت بهم البراذين (٢٤٥) وهكذا روى أيوب بن أبي قلابة الجرمى انه قرأ هذه الآية وكذلك نجزي المفترين قال

هى والله لكل مفتر الى يوم القيامة وقال سفيان بن عيينه كل صاحب بدعة ذليل ثم ثمة تعالى عباده وأرشدهم الى انه يقبل التوبة من أى ذنب كان حتى ولو كان من كفر وأشرك أو نفاق أو شقاق ولهذا عقب هذه القصة بقوله والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك اى يا محمد يا رسول الرحمة ونى النور من بعدها أى من بعد تلك الفعل لغفور رحيم وقال ابن أبى حاتم حدثنا أى حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا أيان حدثنا قتادة عن عروة عن الحسن العربى عن علقمة عن عبد الله بن مسعود انه سئل عن

أى السفينة والمفرد على وزن قفل والجمع على وزن أسد والمراد هنا المفرد (وجعلناهم) أى الذين نجحاهم معه فى الفلك جلا على معنى من (خلافت) جمع خليفة والمعنى انه سبحانه جعلهم خلفاء يسكنون الارض التى كانت لله ملكين بالغرق ويخلقونهم فيها (وأغرقتا) بالطوفان (الذين كذبوا بآياتنا) من الكفار المعادين لنوح الذين لم يؤمنوا به تأخيره عن ذكر الانجاء والاستخلاف حسبما وقع فى قوله تعالى ولما جاء أمرنا نجينا نوحا وآله من الغرق (وأغرقتا) كمال العناية بشأن المقدس ولم نجعل المسرة للسامعين ولا ليدان بسبق الرحمة التى هى من مقتضيات الربوبية على الغضب الذى هو من مستتبعات جرائم الجرمين (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) من اهلاكم فكذلك تفعل عن كذبك فيه تسليلا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتهديدا للشركين وتهويل عليهم (ثم بعثنا من بعده) أى من بعد نوح عليه السلام (رسلا الى قومه) لم يسم هناما كان بعد نوح من الرسل وقد كان بعده هود وصالح وابراهيم ولوط وشعيب (فأوحى اليهم) أى بالجزات الباهرات والدلالات الواضحات وبما أرسلهم الله به من السرائع التى شرعها لقوم كل نبى (فما كانوا يؤمنوا) اى فما أحدثوا الايمان بل استروا على الكفر وأصرواعليه والمعنى انه ما صح ولا استقام لقوم من أولئك الاقوام الذين أرسل الله اليهم رسله ان يؤمنوا فى وقت من الاوقات (بما كذبوا به من قبل) أى من قبل تكذيبهم الواقع منهم عند حجب الرسل اليهم والمعنى ان كل قوم من العالم

ذلك يعنى عن الرجل يبنى بالمرأة ثم يتزوجها فتلا هذه الآية والذين عملوا السيئات الآية فتلاها عبد الله عشر مرات فبأمرهم بها ولم ينهم عنها (ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الواح وفى نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) يقول تعالى ولما سكت أى سكن عن موسى الغضب أى غضبه على قومه أخذ الواح أى التى كان ألقاها من شدة الغضب على عبادتهم العجل غير الله وغضابه وفى نسختها هدى ورحمة يقول كثير من المفسرين انه لما ألقاها تكسرت ثم جمعها بعد ذلك ولهذا قال بعض السلف فوجد فيها هدى ورحمة وأما التفصيل فذهب وزعموا ان رضاها الميرل موجود فى خزائن الملوك من بنى اسرائيل الى الدولة الاسلامية والله أعلم بصحة ذلك وما الدليل القاطع على انها تكسرت حين ألقاها وهى من جوهر من الجنة وقد أخبر تعالى انه لما أخذها بعد ما ألقاها وجد فيها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون ضمن الرهبة معنى الخضوع ولهذا أعادها باللام وقال قتادة فى قوله تعالى أخذ الواح قال رب انى أجدى الواح أمة خيرا أمة أخرجت للناس بأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر كما جعلهم أمتى قال تلك أمة أحسن قال رب انى أجدى الواح أمة هم الآخرون السابقون أى آخرون فى الخلق سابقون فى دخولهم الجنة رب اجعلهم أمتى قال تلك أمة أحسن قال رب انى أجدى الواح أمة انا جعلهم فى صدد ورحمهم بقرونهم او كان من قبلهم يقرؤن كتابهم

تبار حتى اذ ارفعوا حاملا يحفظوا شيئا لم يعرفوه وان الله اعطاكم ايها الامم من الحفظ شئ لم يعطه احد من الامم قال رب اجعلهم
 امي قال تلك امة اجد قال رب اني اجد في الاواح امة يؤمنون بالكتاب الاول والكتاب الاخر يقاتلون اهل الضلالة حتى
 يقاتلوا الاور الكذاب فاجعلهم امي قال تلك امة اجد قال رب اني اجد في الاواح امة صدقاتهم باكلون في بطونهم ويؤجرون
 عليهم او كان من قبلهم من الامم اذ تصدق بصدقة فقات منه بعث الله عليهم انا رافا كاهنا وان ردت عليهم تركت فقات كلهم السباع
 والطيور وان الله اخذ صدقاتكم من غنيكم لتعقروكم قال رب اجعلهم امي قال تلك امة اجد قال رب اني اجد في الاواح امة اذاهم
 احدثهم بحسنة ثم لم يعملها كتب له حسنة فان عملها كتبت له عشر امثالها الى سبع مائة رب اجعلهم امي قال تلك امة اجد
 رب اني اجد في الاواح امة هم يمشون والمشفوع لهم فاجعلهم امي قال تلك امة اجد قال قتادة فذكر لنا ان نبي الله موسى
 عليه السلام اخذ الاواح وقال اللهم اجعل مني امة اجد واختر موسى قومه سبعين رجلا لميعة فاجعلهم امي قال
 رب لو شئت اهلكتهم من قبل واباي اتم لك ما فعل السفهاء منا هي الافتقار فضلهم من تشاؤهم في تشاؤنا ولما
 فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين (٢٤٦) واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة انا هداياك قال علي بن ابي

داود عن ابن عباس في تفسير هذه
 الآية ان الله امره ان يختار من
 قومه سبعين رجلا فاختار سبعين
 رجلا فوفد بهم ليدعوا ربهم وكان
 فيهم ادعوا الله ان قالوا اللهم اعطنا
 ما لم تعطه احد من قبلنا ولا تعطه
 احد ابعدنا فذكر الله ذلك من
 دعائهم فاخذتهم الرجفة قال
 موسى رب لو شئت اهلكتهم الآية
 وقال السدي ان الله تعالى امر موسى
 ان ياتيه في اناس من بني اسرائيل
 يعتذرون اليه من عبادة العجل
 ووعدهم موعدا فاختار موسى من
 قومه سبعين رجلا على عينه ثم ذهب
 بهم ليعتذروا فلما اتوا ذلك المكان
 قالوا ان نؤمن لك يا موسى حتى نرى

لهم يؤمنوا عند ان ارسل الله اليهم الرسول المبعوث اليهم على الخصوص بما كانوا مكذبين به
 من قبل فحججه اليهم لانهم كانوا غير مؤمنين بل مكذبين بالدين ولو كانوا مؤمنين لم يبعث اليهم
 رسولا وهذا مسمى على ان الضمير في كانوا كذا وارجع الى القوم المذكورين في قوله الى
 قومه وقيل ضمير كذا وارجع الى قوم نوح أي فا كان قوم الرسل أي مؤسسا كذا بوقوم
 نوح وقيل المعنى بما كذبوا به من قبل أي في عالم الذر (كذلك) أي مثل ذلك الطبع العظيم
 المحكم (تطسيع) بنون العظمة وقرى بالياء على ان الضمير لله (على قلوب المعتدين) أي
 المتجاوزين للحدود والمعهود في الكفر والعناد المتجافين عن قبول الحق وسواك طريق
 الرشاد وذلك بخلافهم وتخليتهم وشأنهم لانهم كذبوا في الغي والضلال وقد تقدم تفسير
 هذا في غير موضع (ثم بعثنا من بعدهم) أي بعد الرسل المتقدم ذكرهم وخضع (موسى
 وهرون) بالذ كرمع دخروا لها تحت الرسل لمزيد شرفها وخطر شأن ماجرى بينهما وبين
 فرعون (الفرعون وملئته) المراد بالملأ الاشراف هكذا قرر بعض المفسرين وقرر
 بعضهم ان المراد بالملأ ملائكة طميط القوم من استعمل الانصاف في العام وهو ظاهر صريح
 السيوطي في الخلاين (يا ياتنا) أي محجوبين بالمحجزات وهي التسع المذكورة في الكتاب
 العزيز (فأسكبروا) عن قبولها ولم يتواضعوا لها ولم يدعوا المناشقة عليه من المحجزات
 الموجبة لتصديق من جاءها والاستكبار ادعاء الكبر من غير استحقاق والفاء فصيحة وقبل

الله جهره فانك قد كلفته فارأنا فاختتمهم الصاعقة فباتوا فقام موسى يبي

ويقول يارب ماذا اقول لبني اسرائيل اذا اقتسمهم وقد اهلك خيارهم رب لو شئت اهلكتهم من قبل واباي وقال مجاهد بن جبر
 اختار موسى من بني اسرائيل سبعين رجلا فخيروا فخير وقال انطلقوا الى الله فتوبوا اليه مما صنعتم واسألوه التوبة عنى من تركتم
 وراءكم من قومكم صوموا واطهروا واطهروا ثيابكم فخرج بهم الى طور سيناء لمقات وقته له وهو كان لا ياتيه الا اذن منه وعلم فقال
 له السبعون فيما ذكرى حين صنعوا ما امرهم به وخرجوا به للقائه موسى اطلب لنا سمع كلامي شاف فقال اقبل فلما دنا موسى
 من الجبل وقع عليه عود الغمام حتى تعشى الجبل كله ودنا موسى فدخل فيه وقال للقوم ادنوا لو كان موسى اذا كلمه الله وقع على
 جبهته موسى نور ساطع لا يستطيع احد من بني آدم ان ينظر اليه فضر بدونه بالجاب ودنا القوم حتى اذا دخلوا في الغمام وقعوا
 سجودا فسمعوه وهو يكلمهم موسى يا مريونيها فاعل ولا تفعل فلما فرغ اليهم من امره وانكشف عن موسى الغمام اقبل اليهم فقالوا
 موسى ان نؤمن لك حتى نرى الله جهره فاختتمهم الرجفة وهي الصاعقة فالتفت ارواحهم فباتوا فاجتمعوا فقام موسى شامخا
 ويدعوه ويرغب اليه ويقول رب لو شئت اهلكتهم من قبل واباي قد سمعوا واتمك من رزاقى من بني اسرائيل وقال سفيان الثوري

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدك بالذي أنزل التوراة هل تجد في كتابك هذا صفتي ومخرجي فقال برأسه هكذا أي لا فقال
 ابنه أي والذي أنزل التوراة أنا الحق في كتابي صفتك ومخرجك وإنني أشهد أن لا إله إلا الله وإنك رسول الله فقال أقسموا بالله هودى عن
 أخيكم ثم يولى كفته والصلاة عليه هذا حديث جيد قوى له شاهد في الصحيح عن أنس وقال لما حكم صاحب المستدرک أخبرنا محمد
 ابن عبد الله بن اسحق البغوي حدثنا ابراهيم بن الهيثم البلدي حدثنا عبد العزيز بن مسلم بن ادريس عن شرحبيل بن مسلم عن أبي
 أمانة الباهلي عن هشام بن العاص الأموي قال بعثت أنا ورجل آخر إلى هرقل صاحب الروم ندعوه إلى الإسلام فخرجه حتى قدمنا
 الغرطة يعني غوطة دمشق فترأسوا لي جبهة بن الأهم الغساني فدخلنا عليه فإذا هو على سرير له فأرسل المينا رسول نكلمه فقلنا
 والله لننكلم رسولنا انما بعثنا إلى الملك فإن أذن لنا كلمناه والام نكلمك الرسول فرجع إليه الرسول فأخبره بذلك قال فأنذرتنا فقال
 نكلمه وافكلمه هشام بن العاص ودعاه إلى الإسلام فإذا عليه ثياب سود فقال له هشام وما هذه التي عليك فقال لبستها وحلفت أن
 لا أترعها حتى أخرجكم من الشام قلنا وبجسمك هذا والله لنأخذنه منك ولنأخذنك ملك الملك الأعظم إن شاء الله أخبرنا بذلك مينا
 محمد صلى الله عليه وسلم قال لستم بهم بل هم قوم يصومون بالهار (٢٤٩) ويقومون بالليل فكيف صومكم فأخبرناه فلي

وجهه سوادا فقال قوموا وبعث
 معنا رسولا إلى الملك فخرجنا حتى
 إذا كنا في بيمن المدينة قال لنا
 الذي معنا أن دواءكم هذه
 لا تدخل مدينة الملك فان شئتم
 جلناكم على براذين من بغال قلنا
 والله لا ندخل إلا على ما فأسروا إلى
 الملك انهم يأتون ذلك فأمرهم أن
 ندخل على رواحنا فدخلنا عليها
 متقلدين سمنونا حتى انتهينا إلى
 غرفة فأنشأنا في أصلها وهو ينظر
 السنا فقال لا إله إلا الله والله أكبر
 قاله يعلم لقد انتفضت الغرفة حتى
 صارت كأنها عذق تصفقه الرياح
 قال فأرسل بنا ليس لكم أن
 تجهروا علينا بدينكم وأرسل بنا

وقال الأزهرى لفت الشيء وقتله ولوا وهذا من المقلوب قلت ولا يدعى فيه قلب حتى يرح
 أحد اللفظين في الاستعمال على الآخر أي تريد أن تصرقنا عن الشيء الذي وجدنا عليه
 آباءنا وهو عبادة الأصنام (وتكون لك) أي لموسى وهرون (الكبرياء) مصدر على وزن
 فعلا ومفعلا ومعناها العظمة والملك والسلطان (في الأرض) أي مصر وفيه خمسة أوجه
 جوارها أي البقاء أحدها أن يكون متعلق بنفس الكبرياء الثاني أن يتعلق بنفس تكون
 الثالث أن يتعلق بالاستقرار في الكالوقوعه خبرا الرابع أن يكون حالاً من الكبرياء الخامس
 أن يكون حالاً من الضمير في لك التحملناه قال الزجاج سمي الملك كبرياء لأنه أكبر ما يطلب
 من أمور الدنيا وقيل سمي بذلك لأن الملك يتكبر والحاصل أنهم علوا لعدم قبولهم دعوة
 موسى بأمر من القسب بالتقليد لا بأمر من الراسية النبوية لأنهم إذا أجابوا
 النبي وصعدوه صارت مقابلة أمر أمته اليهودي في الملك رياسة نامة لأن التدبير للناس
 بالدين يرفع تدبير الملوك لهم بالسياسات والعادات ثم قالوا (وملحن لكعبونين) تصرحنا
 منهم بالكذب وقطعا الطمع في إيمانهم وقد أفردوا الخطأ لموسى في قولهم أجتنا
 لتلفظنا ثم جعوا بينه وبين هرون في الخطأ بين الأخيرين ووجه ذلك أنهم استندوا إلى
 وإصراف عن طريق آباءهم إلى موسى لكونه المقصود بالرسالة المبلغ عن الله ما شرعه لهم
 وجعوا بينهم مافي الضمير من الآخرين لأن الكبرياء شامل لهم مافي زعمهم ولا يكون ترك

(٣٢ - فتح البیان ح) أن ادخلوا فدخلنا عليه وهو على فراشه وعنده بطارقة من الروم كل شيء في مجلسه
 أحر وما حوله حجرة وعليه ثياب من الحرير فتدق نامة ففتح فقال ما عليكم لو جئتموني بتحيتكم فيما بينكم وإذا عنده رجل فصيح
 بالعربية كثير الكلام فقلنا ان تحتنا فيما بيننا لا تحلل لك وتحيت التي تحياها لا يحل لنا ان تحييت بها قال كيف تحييتكم فيما
 بينكم قلنا السلام عليكم قال فكيف تحييتكم ملككم قلنا يا قال فكيف يرد عليكم قلنا يا قال فاعظم كلامكم قلنا لا إله إلا الله
 والله أكبر قلنا تكلمنا به والله يعلم لقد انتفضت الغرفة حتى رفع رأسه إليها فقال هذه الكلمة التي قلتموها حدثت تنفض الغرفة
 أكلما قلتموها في بيوتكم انتفضت عليكم غرفكم قلنا لا مارا بناها فعات هذا قاطل الاعبدك قال لو ددت انكم كمل قلتم تنفض كل
 شيء عليكم وإن قد خرجت من نصف ملكي قلنا ما قال لأنه كان يسر لشأنها وأجدر ان لا تكون من أحر النبوة وانما تكون من
 حبل الناس ثم سألنا عما أراد فأخبرنا ثم قال كيف صلاتكم وصومكم فأخبرناه فقال قوموا فأمرنا بنازل حسن ونزل كثير فأقنا
 ثلثا فأرسل بنا إلى بلادنا فدخلنا عليه فاستعدقنا فعدنا فعدنا ثم عابني كهيئة البعة العظيمة مذهبة فيها بيوت صغار عليها أبواب
 فتفتح بيتا وفتح بيتا فتخرج حرة سوداء فتشربنا فادنا فيها صورة حرام وأذا فيها رجل ضخم العينين عظيم الاليتين لم أر مثل طول

عنه واذ ليست له حبة واذ الله صغير تان أحسن ما خلق الله فقال أنعرفون هذا قلنا لا قال هذا آدم عليه السلام واذ هو أكثر الناس شعرا ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حرة سوداء واذ فيها صورة يضاء واذ الله شعر القطط أحر العينين ضخيم الهامة حسن اللحية فقال هل تعرفون هذا قلنا لا قال هذا نوح عليه السلام ثم فتح بابا آخر فاستخرج حرة سوداء واذ فيها رجل شديد البياض حسن العينين صلب الجبين طويل الخد أيضا اللحية كأنه يتبسّم فقال هل تعرفون هذا قلنا لا قال هذا ابراهيم عليه السلام ثم فتح بابا آخر فاذا فيه صورة يضاء واذ والله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنعرفون هذا قلنا هم هذا محمد صلى الله عليه وسلم قال وبكينا قال والله يعلم انه قام قائما جلس وقال والله انه لهو قلنا هم انه لهو كأنك تظن اليه فامسك ساعة بنظر اليها ثم قال امانه كان آخر البيوت ولكي يبعثه لكم لا تظن ما عندكم ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حرة سوداء فاذا فيها صورة ادماء سحما واذ ارجل جعد فقط غبار العينين حديد النظر عابس متراكب الاسنان غلظ الشفة كأنه غضبان فقال هل تعرفون هذا قلنا لا قال هذا موسى عليه السلام والى جانبه صورة تشبهه الا انه مدهان الرأس عريض الجبين في عينيه قبل فقال هل تعرفون هذا قلنا لا قال هذا هرون بن عمران عليه السلام ثم فتح بابا آخر (٢٥٠) فاستخرج منه حرة يضاء فاذا فيها صورة رجل آدم سبط أربعة كأنه

غضبان فقال هل تعرفون هذا قلنا لا قال هذا الوط عليه السلام ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حرة يضاء فاذا فيها صورة رجل أبيض مشرب حمره ألقى خفيف العارضين حسن الوجه فقال هل تعرفون هذا قلنا لا قال هذا اسحق عليه السلام ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حرة يضاء فاذا فيها صورة تشبه اسحق الا انه على شففته خال فقال هل تعرفون هذا قلنا لا قال هذا يعقوب عليه السلام ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حرة سوداء فيها صورة رجل أبيض حسن الوجه ألقى الانف حسن القامة يعا ووجهه نور يعرف في وجهه الخشوع يضرب

الايان بموسى يستلزم ترك الايمان بهرون وقدمرت القصة في الاعراف (وقال فرعون) لما رأى اليد البيضاء والعصا (أتوتني بكل ساحر عليم) لانه اعتقد أنهم ما من السحرة فأمر قومه بأن يأتوا بكل ساحر أراد أن يعارض معجزة موسى بأنواع من التلميس ليظهر ان ما أتى به موسى حكر وقد تقدم الكلام على هذا في الاعراف وقرئ السحار على صيغة المبالغة أي كثير السحر كثير العلم بعمله وأنواعه (فلما جاء السحرة) في الكلام حذف أي فأتوا بهم اليه فلما جاء السحرة (قال لهم موسى) بعد ان قالوا له امان تلقى واما ان نكون نحن الملقين (أنتم ملقون) أي اطروا على الارض ما معكم من جبالكم وعصاكم ليظهر الحق ويطل الباطل ويبين ان ما أتوا به فاسد ذاهق (فأتوا القوا) ما لقوه من ذلك الجبال والعصى (قال لهم) موسى ما جئتم به ما موصولة مبتدأ أو (السحر) خبره والمعنى انه يحذر الله آياته من آيات الله كما ساء فرعون وقومه أو هو من جنس السحر يرهم ان حاله بين لا يعا به كأنه قال ما جئتم به عمالا فبقي أن يجابه وقرئ السحر على الاستفهام فما استفهامية أي شيء جئتم به أو هو السحر الذي يعرف حاله كل أحد ولا يتبدى له عاقل وقرئ ما جئتم به سحر وقرئ ما أتيت به سحر ودلائم ما على المعنى الثاني في القراءة المشهورة أظهر وأجاز القراء وغيره نصب السحر مجئتم وما شرطية والجزاء (ان الله سيطلع) على

الى الحرة قال هل تعرفون هذا قلنا لا قال هذا اسمعيل جديكم صلى الله عليه وسلم ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حرة يضاء فاذا فيها صورة كصورة آدم كأن وجهه الشمس فقال هل تعرفون هذا قلنا لا قال هذا يوسف عليه السلام ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حرة يضاء فاذا فيها صورة رجل أحر جرش الساقين أخفش العينين ضخيم البطن ربعة متقدس سيفا فقال هل تعرفون هذا قلنا لا قال هذا داود عليه السلام ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حرة يضاء فيها صورة رجل ضخم اليتبين طويل الرجلين راكب فرسا فقال هل تعرفون هذا قلنا لا قال هذا سليمان بن داود عليه السلام ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حرة سوداء فيها صورة يضاء واذ شاب شديد سودا اللحية كثير الشعر حسن العينين حسن الوجه فقال هل تعرفون هذا قلنا لا قال هذا عيسى ابن مريم عليه السلام قلنا من أين لك هذه الصورة لا نعلم انهاء على ما صورت عليه الانبياء عليهم السلام لاننا نرى ما صورت بيننا عليه السلام مثله فقال ان آدم عليه السلام سأل ربه ان يرزقها الانبياء من ولده فآذن له عليه صورهم فكانت في خزنة آدم عليه السلام عند مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين من مغرب الشمس فدفعها الى دانيال ثم قال اما والله ان نفسي طابت بالخروج من ملكي

وإني كنت عبد الأشرك ماسكة حتى أموت ثم أجازنا فاحسن جأزتنا وسرحنا فلما أيقنا بأبكر الصديق رضي الله عنه فحدثنا عما أُرنا
وبما قال لنا وما أجازنا قال فيكي أبو بكر وقال مسكين لو أراد الله به خير الفعل ثم قال أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم
والله يود يجدون نعت محمد صلى الله عليه وسلم عندهم وهكذا أوردته الحافظ الكبير أبو بكر البيهقي رحمه الله في كتاب دلائل النبوة عن
الحاكم أجازته فذكره وأسناده لا بأس به وقال ابن جرير حدثنا الثوري حدثنا عثمان بن عمر حدثنا شافع بن هلال بن علي عن عطاء بن
يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو فقلت أخبرني عن صفته رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال أجل والله الموصوف في
التوراة كصفته في القرآن يا أيها النبي أنا أرسلنا شاهدها ومبشرين وأنذروا سر الزالامين أنت عيسى ورسولي اسمك المتوكل ليس
بفظ ولا غلظ وإن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح قلوبنا غلظا وإذا ناصبنا أو عينا عيا قال عطاء ثم
لقيت كعبا فسألته عن ذلك فما اختلف حرفا إلا أن كعبا قال بلغته قال قلوبنا غلظا وإذا ناصبنا أو عينا عيا وقدرناه
الجباري في صحبه عن محمد بن سنان عن فليح عن هلال بن علي فذكره بأسناده نحوه وزاد بعد قوله ليس بفظ ولا غلظ ولا شهاب في
الأسواق ولا يجرى بالسبي السبي ولكن يعقو ويصفح وذكر حديث (٢٥١) عبد الله بن عمرو ثم قال ويقع في كلام كثير من
السلف الطلاق التوراة على كتب

تقدير الفاعل أي سمعته بالكلية وهم ماسكة فيصير باطلا بما يظهره على يدي من الآيات
والعجزة فلا يبقى له أثر والسين للأكيد (إن الله لا يصلح عمل المفسدين) أي عمل هذا
الجنس فيشمل كل من يصدق عليه أنه مفسد ويدخل فيه السحر والسحرة دخولا أوليا
والجمله تعدل لما قبلها أو علمكم فيكون من باب وضع المظهر موضع المضمحل التخييل عليهم
بالفساد والأشعار بعلة الحكم (ويحى الله الحق) أي بينه ويوضحه بكلماته التي أنزلها
في كتبه على أنبيائه لاشتغالها على الخلق والبراهين أبو عمدة الصادق موسى أنه يظهره
أو بما سبق من فضائه وقدره موسى أنه يغلب السحرة وأبوابهم وأحكامه والأول أولى
(ولو كره المجرمون) من آل فرعون أو المجرمون على العموم ويدخل تحتهم آل فرعون
دخولا أولا وألبا الأجرام الأتنام (فأما من موسى الأذرية) اسم يقع على القليل من القوم
وقيل المراد به التصغير وقوله العدد (من قومه) أي من قوم موسى وهم طائفة من ذراري
بن إسرائيل وقيل المراد طائفة من ذراري فرعون فيكون الضمير عائدا على فرعون
قبل ومنهم مؤمن آل فرعون وأما أنه وما شطه ابنته وأمرأة خازنه وقيل هم قوم آبائهم
من القبط وأمهاتهم من بن إسرائيل روى هذا عن الفراء كما يقال لولد فارس الذين
نقلوا إلى اليمن الأبناء لأن أمهاتهم من غير جنس الآباء (على) أي مع (خوف من
فرعون وملأهم) الضمير لفرعون وجمع لأنه لما كان جبارا رجوعا ضميره تعظيمه وقيل إن

صورته أرسوة النبي صلى الله عليه وسلم فينا أنا كذلك أددخل رجل منهم علينا فقال فيم أنتم فأخبرناه فذهب بنا إلى منزله فساعة
مادخلت نظرت إلى صورة النبي صلى الله عليه وسلم وأدراج أأخذ يعقب النبي صلى الله عليه وسلم قلت من هذا الرجل القابض
على عقبه قال أنه لم يكن نبي إلا كان بعده نبي إلا هذا النبي فإنه لا نبي بعده وهذا الخليفة بعده وإذا ضفة أبي بكر رضي الله عنه قال
أبو داود حدثنا عمر بن حفص أبو عمرو والضري حدثنا جاد بن سلمة أن سعيد بن أبياس الجري رأى أخبرهم عن عبد الله بن شقيق
العميلي عن الأقرع مؤذن عمر بن الخطاب قال بعثني عمر إلى الأسقف فذعوت له فقال له عمر هل تجدني في الكتاب قال نعم قال
كيف تجدني قال أجدك قرنا فرجع عمر الدرة وقال قرن مه قال قرن حديد أمير شديد قال فكيف تجد الذي بعدني قال أجد خليفة
صالحا غير أنه يؤثر قرابته قال عمر يرحم الله عثمان ثلاثا قال كيف تجد الذي بعده قال أجد حديد حديد قال فوضع عمر يده
على رأسه وقال يادفراه يادفراه قال يا أمير المؤمنين أنه خليفة صالح ولكنه يختلف حين يستخاف والسيف مسلول والدم مهران
وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تأخروا عمنهم بالعرف وبنهاهم عن الشكر هذه صفته الرسول صلى الله عليه وسلم في الكتب المتقدمة وهكذا
كانت حاله عليه السلام لا يأمر إلا بخير ولا ينهى إلا عن شر كما قال عبد الله بن مسعود إذا سمعت الله يقول يا أيها الذين آمنوا

فأرعبها سمعك فانه خبر قوم به أو شرتهم عنى عنه ومن أحم ذلك وأعظمه ما بعث الله به من الأبرار عبادته وحده لا شريك له
والله عن عبادة من سواه كما أرسل به جميع الرسل قبله كما قال تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا
الطاغوت وقال الامام أحمد حدثنا أبو عاصم هو العدي عبد الملك بن عمرو حدثنا سليمان هو ابن بلال عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن
عن عبد الملك بن سعيد عن أبي جندب أن أسيد بن رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا سمعتم الحديث عن
تعرفة قلوبكم وتلين له أشعاركم وأبشاركم وترى الله منكم قريب فأنأولاًكم به وإذا سمعتم الحديث عنى تسكر قلوبكم وتقر
منه أشعاركم وأبشاركم وترى الله منكم بعيد فأنأولاًكم بعدكم منه رواه الامام أحمد رضى الله عنه بأسناد جيد ولم يخرج به أحداً من
أصحاب الكتب وقال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي الجعفى عن علي رضى الله عنه قال إذا
سمعت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً فظنوا به الذى هو أهدي والذى هو أهدى والنسب هو أبقى ثم رواه عن يحيى عن ابن
سعيد عن مسعر عن عمرو بن مرة عن أبي الجعفى عن أبي عبد الرحمن عن علي رضى الله عنه قال إذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم حديثاً فظنوا به الذى هو أهدأ وأضاه (١٥٢) وأتقاه وقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث أى يحل لهم

قوم فرعون وهو أفرعون مثل عود فرج الضمير اليهم هذا الاعتبار وقيل انه عائد على
مضاف محذوف أى على خوف من آل فرعون روى هذا عن القراء ومنعه الخليل
وسيبويه روى عن الاخفش ان الضمير يعود على الذرية وقواد النحاس (أن يفهم)
أى يصرفهم من دينهم بالسذاب الذى كان ينزلهم وهو بدل اشتمال أو مفعول للصدر
أو مفعول له بعد حذف اللام والضمير عائد لفرعون وأفرادهم يقول ان يقتلهم أى فرعون
والملأ للدلالة على ان الخوف من الملأ كان بسبب فرعون وتجيئه من حيث استعانهم به
(وان فرعون لعال فى الأرض) أى عات متكررة متعاقبة على أرض مضر اعتباراً من تذييل
مؤ كالمضمون ماسبق (وانه لمن المشرقين) المجاوزين للحد فى الكفر وما فعله من القتل
والصلب وتتويع العقوبات وأولاه كان عبد افادى الربوبية (وقال موسى يا قوم)
انظروا انفساويهم وازالة الخوف عنهم وسماهم قومه من حيث ايمانهم به والافهم من قوم
فرعون أو المراد به بنو اسرائيل أو مطلق من آمن به ولو من القبط (ان كنتم آمنتم بالله
فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين) قيل ان هذا من باب التكرير للشرط فشرطى التوكل
على الله الايمان به والاسلام أى الاستسلام لقضائه وقدره وبه قال الكرخى وقيل ان هذا
ليس من تعليق الحكم بشرطين بل المعلق بالايمان هو وجوب التوكل والمشرط بالاسلام
حصوله ووجوده فانه لا يوجد مع التخليط والمعنى أن يسلموا أنفسهم لله أى يجعلوا له سائلة

ما كانوا حرموه على انفسهم من
البحار والسابات والوصائل والحام
ونحو ذلك مما كانوا ضيقوا به على
انفسهم ويحرم عليهم الخبائث
قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس
كلهم الخنزير والربا وما كانوا
يستحلونه من المحرمات من المأككل
التي حرمها الله تعالى قال بعض
العلماء فكل ما أحل الله تعالى من
المأككل فهو طيب نافع فى البدن
والدين وكل ما حرمه فهو خبيث
ضار فى البدن والدين وقد تسكت بهذه
الاية الكريمة من يرى التحسين
والتعيق العقليين وأجيب عن ذلك
بما لا يتسع هذا الموضع له وكذا
احتج بها من ذهب من العلماء الى

ان المراجع فى حل المأككل الذى لم ينص على تحليلها ولا تحريمها الى ما استطاعه العرب
فى حال رفاقتها وكذا فى جانب التحريم الى ما استخسنته وفيه كلام طويل أيضاً وقوله ويضع عنهم اصرهم والاغلال الى كانت
عليهم أى انه جاب التيسير والسماحة كما ورد الحديث من طرق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بعثت بالحنيفية السمعة
وقال صلى الله عليه وسلم لا يبر به معاذ أبى موسى الاشعرى لما بعثها الى اليمن بشر ولا استقرار يسر ولا تعسر أو تقطا ولا تحلقا
وقال صاحبها أبو بردة الاسلمى انى صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدت تيسيره وقد كانت الامم الذين كانوا قبلنا فى شرائعهم
مشقة عليهم فوسع الله على هذه الامة أمورها وسملها لهم ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز لامتى ما حدث به
انفسهم ما لم تقبل أو تعمل وقال رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ولهذا قال أرشد الله هذه الامة ان يقولوا ربنا
لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ولا تؤاخذنا بما كنا تعلم ان لا نقول ولا تؤاخذنا بما كنا تعلم ان لا نفعل ولا تؤاخذنا بما كنا تعلم ان لا نفعل
واغفر لنا وارحنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين وثبت فى جميع مسلم ان الله تعالى قال بعد ذلك سؤال من هذه قد فعلت
قد فعلت وقوله فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه أى عظموه وورقروه واتبعوا التور الذى أنزل معه أى القرآن والوحى الذى جاء به

أولئك هم المفلحون أى فى الدنيا والآخرة (قل يا أيها الناس ائى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تتقون) يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد يا أيها الناس وهذا خطب للاحزاب والاسود والعربى والعجمى ائى رسول الله اليكم جميعا أى جمعكم وهذا من شرفه وعظمته صلى الله عليه وسلم انه خاتم النبيين وانه سبعت الى الناس كافة كما قال الله تعالى قل الله شهيد بينى وبينكم وأوحى الى هذا القرآن لندرككم به ومن بلغ وقال تعالى ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده وقال تعالى وقل للذين آمنوا والذين آمن من قبلهم ان لا يمشوا فى البلاد الا فى هدايتنا وان يقولوا قانعا عليك البلاغ والآيات فى هذا كثيرة كما ان الاحاديث فى هذا أكثر من ان تحصر وهو معلوم من دين الاسلام ضرورة انه صلات الله وسلامه عليه رسول الله الى الناس كله قال البخارى رحمه الله فى تفسير هذه الآية حديثنا عبد الله حدثنا سليمان بن عبد الرحمن وموسى بن هرون قال حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا عبد الله بن العلام بن زبر حدثني بسر بن عبيد الله حدثني أبو ادريس الخولاني قال سمعت أبا الدرداء رضى الله عنه يقول كانت بيني أبى بكر وعمر رضى الله عنهما محاورة فأغضب أبو بكر عرفانصرف عنه عمر مغضبا فاتبعه أبو بكر (٢٥٣) يسأله ان يستغفره فلم يفعل حتى أغلق باباه فى وجهه فاقبل أبو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو الدرداء ونحن عنده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما صاحبكم هذا فقد دعا رضى الله عنه فأغضب وحاقد قال وندم عمر على ما كان منه فأقبل حتى سلم وجلس الى النبى صلى الله عليه وسلم وقص على رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر قال أبو الدرداء وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل أبو بكر يقول والله يا رسول الله لا انا كنت أظلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل آتتم تاركوا لى صباحى ائى قلت يا أيها الناس ائى رسول الله اليكم جميعا فقلت كذبت وقال أبو بكر

خالصة لاحظ للشيطان فيها لان التوكل لا يكون مع التخليط قال الكازرونى المعنى ان كنتم آمنتم وجب عليكم التوكل وان كنتم مسلمين توكلتم عليه (فقالوا) أى قوم موسى مجيبين له (على الله توكلنا) أى اعقدنا على غيره ثم دعوا الله مخلصين فقالوا (ربنا لا تجعلنا فتنة) أى موضع فتنة (للقوم الظالمين) والمعنى لاطناطهم علينا فمذبذبوا حتى ينشروا عن ديننا قاله مجاهد أول لا تجعلنا فتنة لهم يفتنون بنا غير نافعة قولهم لو كان هؤلاء على حق لما سلطنا عليهم وعذبناهم قاله مجاهد أيضا وعلى المعنى الاول تكون الفتنة بمعنى الفتون ولما قدموا التضرع الى الله سبحانه ان يصون دينهم عن الفساد اتبعوه بسؤال عهده ثم أنفسهم فقالوا (وتخبرنا رحمتك من القوم الكافرين) أى من أتدبهم وفى هذا دليل على انه كان لهم اهتمام بأمر الدين فوق اهتمامهم بسلامة أنفسهم (وأوحينا الى موسى وأخيه ان توتوا لقومك بمصر يونا) قيل هى الاسكندرية وقيل هى مصر المعروفة لالاسكندرية وأن هى المفسرة لان فى اليعاقبة معنى القول أى اتخذنا لقومك يقال بوات زيد ما كانا بوات زيد كما كانا بالمبوء المنزل المألوم ومنه بؤاء الله منزلا أى ألزمه اباءه واسكنه فيه ومنه حديث من كذب على متعمدا فليتبوا مقعده من النار والتبوا النزول والرجوع واللام زائدة أى بؤا قومك وقيل غير زائدة (واجعلوا بينكم وبين القبلة) أى متوجهة الى جهة القبلة قال قتادة ذلك حين منعهم فروع الصلاة فامر وأن

صدقت انشرد به البخارى وقال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن محمد بن العزير بن مسلم حدثنا يزيد بن أي زيادة عن مقسم عن ابن عباس مر فوعا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعطيت خصالا يعطهن نبى قبل ولا أقوله فخبرنا بعنت الى الناس كافة الا اجر والاسود ونصرت بالعب مسيرة شهر وأحلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا وأعطيت الشفاعة فآخترت الامى فهى لمن لا يشرك بالله شيئا اسناد جيد ولم يخبر جوه وقال الامام أحمد أيضا حديثنا قتيبة بن سعيد حدثنا بكر بن مضر عن أبي الهادي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عام غزوة تبوك قام من الليل فصلى فاجتمع وراءه رجال من أصحابه يحرسونه حتى اذا صلى انصرف اليهم فقال لهم لقد أعطيت اللدة خصالا أعطيها أحد قبلى اما أنا فأرسلت الى الناس كله عامرة وكان من قبل انما رسل الى قومه ونصرت على العبد وبالعب ولو كان بينى وبينهم مسيرة شهر لى معنى رعبا وأحلت لى الغنائم كلها وكان من قبل يعظمون أكلها كانوا يحرقونها وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا أيضا أذكر كنى الصلاة تسبحت وصليت وكان من قبل يعظمون ذلك انما كانوا يصلون فى بيعتهم وكنا تسبهم والخامسة هى ما هي قيل لى سل فان كل نبى قدسأل فأخترت تسبعت لى اليوم القيامة فهى لكم ولن شهد أن لا اله الا الله اسناد جيد قوى أيضا ولم يخبر جوه وقال أيضا حديثنا محمد بن

جعفر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
 من سمعني من أمي أو أبي أو مني أو مني في يوم من الأيام لم يدخل الجنة وهذا الحديث في صحيح مسلم من وجه آخر عن أبي موسى قال
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يسمع بي رجل من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا أدخل النار
 وقال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لميعة حدثنا أبو يونس وهو سليمان بن جبير عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني ثم يمتنع ولا يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار فترده
 أحمد وقال الامام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا اسرايل عن أبي اسحق عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم أعطيت خمساً بعثت إلى الأحرار والأسود وجعلت في الأرض مسجداً وطهوراً وأحللت في الغنائم ولم تحل لمن
 كان قبلي ونصرت بالرعب شهرراً وأعطيت الشفاعة وليس من نبي الأود سأل الشفاعة وإن قد أخذت شعاعتي ثم جعلت لمن مات
 من أمي لم ينزل باله شيئا وهذا أيضاً سند صحيح ولم أرهم خروجوا لله أعلم وله مثله من حديث ابن عمر يستجدون أيضاً وهذا الحديث
 ثابت في الصحيحين أيضاً من حديث جابر بن (٢٥٤) عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من

الأنبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر
 وجعلت في الأرض مسجداً وطهوراً
 فأما رجل من أمي أدر كنه الصلاة
 فليصل وأحللت في الغنائم لم تحل
 لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان
 النبي يبعث إلى قومه ويبعث إلى
 الناس عامسة وقوله الذي له ملك
 السموات والأرض لا اله الا هو يحيي
 ويميت صفة الله تعالى في قول رسول
 الله أي الذي أرسلني هو خالق كل
 شيء وربهم وملكهم الذي يسده الملك
 والأحياء والأمانة وله الحكم
 وقوله فاستجاب الله لرسوله النبي
 الإي أخبرهم أنه رسول الله إليهم
 ثم أمرهم بتأسيه والإيمان به النبي
 الإي أي الذي وعدته وبشركه

يجعلوا مساجدهم في بيوتهم وإن يوجهوها نحو القبلة وعن مجاهد قال كانوا لا يصلون إلا
 في البع حتى خافوا من آل فرعون فأمر وأن يصلوا في بيوتهم وعن ابن عباس نحوه وقيل
 المراد بالبيوت هنا المساجد واليه ذهب جماعة من السلف وقيل التي يكون فيها أمر
 بأن يجعلوها مقابلة لبعضها بعضاً والمراد بالقبلة على القول الأول هي جهة بيت المقدس
 وهو قبله اليهود إلى اليوم وقيل جهة الكعبة وإنما كانت قبله موسى ومن معه قال
 أبو سنان إن آدم في بعده كانوا يصلون قبل الكعبة وظاهر القرآن لا يدل على تعيينها
 وقيل أنهم يجعلون بيوتهم مستقبلة للقبلة ليصلوا فيها أسراً لئلا يصيبهم من الكفار معرة
 بسبب الصلاة وما يؤيد هذا قوله (وأقيموا الصلاة) أي التي أمركم الله بأقامتها فبعدم
 أن القبلة هي قبله الصلاة ما في المساجد وفي البيوت لأجل البيوت متقابلة وقيل
 أمر الله موسى وهرون وقومهم بأن يتخذوا المساجد على رغم الأعداء وتكفل بأن يصومهم عن
 شر الأعداء ذكره الخطيب وإنما جعل الخطاب في أول الكلام مع موسى وهرون ثم جعله
 لهم ولقومهم ما في قوله وأجعلوا أقيموا ثم أمرهم موسى بالخطاب بعد ذلك فقال (وبشر
 المؤمنين) أي بالنصر والخبرة لأن اختيار المكان مقوض إلى الأنبياء ثم جعل عامياً
 استقبال القبلة وقائمة الصلاة لأن ذلك واجب على الجميع لا يختص بالأنبياء ثم جعل
 خاصاً بموسى لأنه الأصل في الرسالة وهرون تابع له فكان ذلك تعظيماً للنبوة والمبشر

به في الكتب المتقدمة فإنه منعت بذلك في كتبهم ولما قال النبي الإي وقوله الذي يؤمن بالله وكلماته أي يصدق
 قوله بحمله وهو يؤمن بما أنزل إليه من ربه واتبعه أي أسلكوا طريقه واقفوا أثره لعلكم تهتدون أي إلى الصراط المستقيم
 (ومن قوم موسى أممية يدون بالحق ويبدلون) يقول تعالى مخبراً عن بني إسرائيل أن منهم طائفة يتبعون الحق ويبدلون به كما
 قال تعالى من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله أناء الليل وهم يسجدون وقال تعالى وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما
 أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله عنقاً قليلاً أو أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب وقال
 تعالى الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم يؤمنون وإذا نزل إليهم الكتاب يتلون فيه حق تلاوته أولئك يؤمنون به الآية وقال تعالى إن
 الذين آتوا العلم من قبله إذا نزل إليهم يخرون للأذان سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً ويخرون للأذان
 سيكون وزيرهم خشوعاً وقد ذكر ابن جرير في تفسيرها خبراً عجيباً فقال حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا جراح عن ابن جريح
 قوله ومن قوم موسى أممية يدون بالحق ويبدلون قال بلغي أن بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطاً تبار

سبط منهم بمصنعوا واعتذروا وسألو الله عز وجل ان يفرق بينهم وبينهم فقهر الله لهم فقفا الارض فصاروا فيه حتى خرجوا من وراء الصين فهم هنالك جنفا مسلمين يستقبلون قبلتنا قال ابن جرير قال ابن عباس فذلك قوله وقتلنا من بعدهم بني اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جنفا بكم لقيتموا وعد الآخرة عيسى بن مريم قال ابن جرير قال ابن عباس ساروا في السرب سنة ونصفا وقال ابن عينة عن صدقة أبي الهزبل عن السدي ومن قوم موسى أمية يهدون بالحق وبه يعدلون قال قوم بينهم وبينهم من يهد (وقطعناهم بتي عشرة أسباطا أعماوا وحينا الى موسى اذا استسقاء قومه ان اضرب بعصاك الحجر فانجست منه اثنا عشرة عينا قد علم كل اناس مشر بهم وظلنا عليهم الغمام وأمرنا عليهم المن والسواى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلموا ولكن كانوا أنفسم يظلمون واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكوا منها حمت شتم وقولوا حطة واذا خوا الباب وجدنا نعفر لكم خطايا بكم سنزيد المحسنين قبل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم جراث من السماء بما كانوا ياتون) تقدم تفسير هذا كله في سورة البقرة وهي مدنية وهذا السباق مكي ونهنا على الفرق بين هذا السباق وذلك بما أعنى عن اعادته عما والله الحمد والمنة (واسألهم عن القرية التي كانت (٢٥٥) حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تأتاهم

بها وقيل ان الخطاب في وبشر المؤمنين لنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم على طريقة الالتفات والاعتراض والاول أولى (و) لما بالغ موسى عليه السلام في اظهار المحجزات واقامة الحج البيئات ولم يكن لذلك تأثير في أن يرسل اليهم دعا عليهم بعد ان بين سبب اصرارهم على الكفر وتمسكهم بالجو ودواعي العناد (قال موسى) مينا للسبب أولا (ربنا انك آتيت فرعون وملائكة زينة وآمال في الحياة الدنيا) قد تقدم أن الملائكة الاشراف والملائكة اسم لكل ما يتزين به من ملبوس ومركوب وحلية وفراس وسلاح وغير ذلك والمال ما زاد على هذه الاشياء من الصامت ونحوه ثم كرر الله تعالى كيد فقال (ربنا بلضوا عن سبيك) قال الخليل وسيبويه انه لام العاقبة والصبر والمعنى انه لما كان عاقبة أمرهم الضلال صار كانه سبحانه أعطاهم ما أعطاهم من النعم ليلضوا وقبل انه الامكن قاله الفراء أى أعطيتهم لكي يضلوا وقال قوم ان المعنى أعطيتهم ذلك ليلضوا وخذف لا كما قال سبحانه بين الله لكم ان يضلوا قال الخاس ظاهر هذا الجواب حسن الآن العرب لا تحذف لا الامع أن فوه صاحب هذا التأويل بالاستدلال بقوله تعالى المتقدم وقيل اللام للدعاء عليهم والمعنى اطلبهم بالهلاك عن سبيك قاله ابن الساري واستدل بقوله سبحانه بعد هذا اطمس واشددوا اليه ذهب الحسن البصري وقيل انه الام العلة والمعنى انك آتيتهم ما آتيتهم على سبيل الاستدراج فكان الايتاء لهذه العلة وقد اطل صاحب

حيثما هم يوم منتهى شرعا ويوم يستون لآتاهم كذلك بلأوهم بما كانوا يفسقون) هذا السباق هو بسط لقوله تعالى ولقد علم الذين اعتدوا منكم في السبت الآية يقول تعالى ليس بصاوات الله وسلامه عليه وأسألهم أى وأسأل هؤلاء اليهود بحضر تلك عن قصة أصحابهم الذين خالفوا أمر الله فقبحا عنهم قسمة على صنعهم واعتداهم واحسانهم في مخالفة وحذر هؤلاء من تكتان صفقت التي يجدونها في كتبهم كلابيلهم ما حل باخوانهم وسلفهم وهذه القرية هي أيلة وهي على شاطئ بحر القلزم قال محمد بن اسحق عن

داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر قال هي قرية يقال لها ايلة بين مدين والطور وكذا قال عكرمة ومجاهد وقادة والسدي وقال عبد الله بن كثير القاري سمعنا انها ايلة وقيل هي مدين وهو رواية عن ابن عباس وقال ابن زيد هي قرية يقال لها مينا بين مدين وعينونا وقوله اذ يعدون في السبت أى يعدون فيه ويخالفون أمر الله فيه لهم بالوصاية اذ انهم حيثما هم يوم سبهم شرعا قال الخليل عن ابن عباس أى ظاهرة على الماء وقال العوفي عن ابن عباس ظاهرة من كل مكان وقوله ويوم لا يستون لآتاهم كذلك بلأوهم أى تختبرهم باظهار السمك لهم على ظهر الماء في اليوم المحرم عليهم صيده واحسانها عنهم في اليوم الحلال لهم صيده كذلك بلأوهم نبالهم تختبرهم بما كانوا يفسقون يقول بفسقهم عن طاعة الله وخروجهم عنها وهؤلاء اقوم احتمالوا على انهم المبحار الله عما تعاطوا من الاسباب الظاهرة التي معناها في الباطن تعاطى الحرام وقد قال الفقيه الامام أبو عبد الله بن بطريرجحه الله حديثا أحمد بن محمد بن مسلم حديثا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني حديثا بن هرون حديثا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتركبوا ما تركبكم اليهود فتمسحوا بمحارم الله بأذى الخيل وهذا اسناد

جيد فان اجد بن محمد بن مسلم هذا ذكره الخطيب في تاريخه وثقه وباقى رجاله مشهورون ثقاة ويصح الترمذي بمثل هذا الاسناد كثيرا (واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلمهم بقون فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئس بما كانوا يفعلون فلما اعتوا رجاءهم وعنه قلنا لهم ان كونوا قردة خاسئين) يخبر تعالى عن اهل هذه القرية اهم صاروا الى ثلاث فرق فقرة تركت الحذر واختاروا على اصطباذ السوء يوم السبت كما تقدم يانه في سورة البقرة وقرقة تمت عن ذلك واعتزلتهم وقرقة سكنت فلم تفعل ولم تنه ولكنهم اقامت للمسكرات لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا أى لم تنهون هؤلاء وقد علمت انهم قد هلكوا واستحقوا العقوبة من الله فلا فائدة في نهىكم ابائهم قالت لهم المسكرات معذرة الى ربكم قرأ بكمم بالرفع كأنه على تقدير هذا معذرة وقرأ آخرون بالنصب أى نفعل ذلك معذرة الى ربكم أى فيما أخذنا من الامر المعروف والنهي عن المنكر ولعلمهم بتقون يقولون ولعل لهذا الانكار يقولون ما هم فيه ويتركونه ويرجعون الى الله تائبين فاذا تاب الله عليهم ورحمهم فلما نسوا ما ذكروا به أى فلما رأى الفاعلون قبول النصيحة انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا (٢٥٦) أى ارتكبوا المعصية بعذاب بئس نفس على نجاة الناهين وهلاك الظالمين

الكشاف في تقرير هذا بما لا طائل تحته والقول الاول هو الاول وقرئ ايضا بضم الياء أى وقعوا الاضلال على غيرهم وقرئ الباقون بالفتح أى يضلون فى أنفسهم (ربنا اطمس على أموالهم) أى امسحها وأزل صورها قال الزجاج طمس الشيء اذهبه عن صورته وزاله أنزله الى الخوق لم يجهادها هلكها وقال أكثر المفسرين امسحها وغيروا عن هيأتها والمعنى الدعا عليهم بأن يمحى الله أموالهم ويهلكها وقرئ ضم الياء من اطمس وقدروى عن قتادة أن أموالهم وحرومهم وزروعهم وجواهرهم ودرابهم وذنايرهم تحوات بجارة منقوشة كهيئتها اصحابا وانصافا واثلاثا قيل ان عمر بن عبد العزيز بنعجرا بطة فيها شئ من بقايا آل فرعون فأخرج منها البضة منقوشة والجوزة مشقوقة وهى جارة قال السدى مسح الله أموالهم بجارة والنخل والتمار والذين والاطعمة وقال القرطبي صارت صورهم جارة وفيه ضعف لان موسى دعا على أموالهم ولم يدع على أنفسهم بالمسح وهذا الطمس هو أحد الآيات التسع التى أوتى بها موسى عليه السلام (واشد على قلوبهم) أى اربط عليها واجعلها قاسية مطبوعة حتى لا تقبل الحق ولا تشرح للايمان ولاتلين قال الواحدي وهذا دليل على ان الله تعالى يفعل ذلك لمن يشاء ولولا ذلك لما جسر موسى على هذا السؤال (فلا يؤمنوا) أى آتيتهم الفهم لضاوا ولا يؤمنوا قاله المبرد والزجاج وقال الفرماو الكافى وأبو عبيدة هو دعاء بلفظ النهى

وسكت عن الساكتين لان الجزاء من جنس العمل فهم لا يستحقون معذرة وحاولوا ارتكابوا عظيما فذموا ومع هذا فقد اختلف الائمة فيهم هل كانوا من الهالكين أو من الناجين على قولين وروى على بن أبى طلحة عن ابن عباس واذا قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا هى قرية على شاطئ البحر بين مصر والمدينة يقال لها يله فحرم الله عليهم الحياتان يوم سبتهم وكانت الحياتان تأتيتهم يوم سبتهم شرعافى ساحل البحر فاذا مضى يوم السبت لم يقدر واعلمها فاضى على ذلك ماشاء الله ثم ان طائفة منهم أخذوا

الحياتان يوم سبتهم فنهتهم طائفة وقالوا تأخذونها وقد حرمها الله عليكم يوم سبتكم فلم يزدادوا الا غيا وعتوا وجعلت طائفة أخرى نههم فلما طال ذلك عليهم قالت طائفة من الهة تعاون ان هؤلاء قوم حق عليهم العذاب لم تعظون قوما الله مهلكهم وكانوا أشد غضبا لله من الطائفة الاخرى فتناولوا معذرة الى ربكم ولعلمهم بتقون وكل قد كانوا ينهون فلما وقع عليهم غضب الله نجت الطائفتان التان قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم والذين قالوا معذرة الى ربكم والله الله أهل معصيته الذين أخذوا الحياتان فجعلهم قردة وروى العوفي عنه قريسا بن هذا وقال جاد بن زيد عن داود بن الحسين عن عكرمة عن ابن عباس فى الآية قال ما أدري أنجبا الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم أم لا قال فى آزل به حتى عرفته انهم قد نجوا فسدانى حلة وقال عبد الرزاق أخبرنا ابن جريح حدثني رجل عن عكرمة قال جئت ابن عباس يوما وهو يبكي واذا الخنف فى حجره فأعظمت ان أدنونه لم أزل على ذلك حتى تقدمت فجلست فقلت ما يبكيك يا أبا عباس جعلنى الله فداك قال فقال هؤلاء الورقات قال واذا فى سورة الاعراف قال تعرف الى الله قلت نعم قال فانه كان بها من الهة وندسيفت الحياتان اليهم يوم السبت ثم عاصت لا يقدرون عليهم احدى يقضوا بعد كد وموتة شديدة كانت تأتيتهم يوم السبت شرعا يضا سمعنا كأنهم الخنافس تنتطح ظهورها

والتقدير

لبطونها بأفئدتهم فكانوا كذلك برهة من الدهر ثم ان الشيطان أوحى اليهم فقال انما نهيتمكم عن أكلها يوم السبت فخذوها فيه واكلوها في غيره من الايام فقالت ذلك طائفة منهم وقالت طائفة قبل نهيتم عن أكلها وأخذوها وصيدها يوم السبت فكانوا كذلك حتى جاءت الجمعة المقبلة فغذت طائفة بأنفسهم وأبشلم وأنسلموا واعتزلت طائفة ذات العيين وتحت واعتزلت طائفة ذات اليسار وسكنت وقال الايمانون الله ينهاكم عن ان لا تعترضوا العقوبة لله وقال اليسرون لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قال الايمانون معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون أي يفتنون فو أحب النأان لا يصابوا ولا يملكون ولا يملكون لم يفتنوا واقعدوا الى ربكم فقصوا على الخطيئة وقال الايمانون فقد فعلتم يا أعداء الله ولأننا نيكتم الله في مد يديكم وما نراكم تصيحون حتى يصحبكم الله بخسفاً أو ذفأ أو بعض ما عند من العذاب فلما أصبحوا ضربوا عليهم الباب ونادوا فلبسوا بجاوا فوضعوا سلعاً وعلموا سور المدينة رجلاً فالتفت اليهم فقال أي عباد الله قرءوا الله تعالوا لها أذنا قال فقبحوا فدخلوا عليهم فعرفت الشرود أنسابها من الانس ولا تعرف الانس أنسابها من القررة فجعلت القروء يأتينا نسيما من الانس فقمتم ثياباً وبكى فقول لهم ألم نهيكم عن كذا فقول برأسها أي نعم ثم قرأ ابن عباس فلما نسوا ما ذكرناه أنجيحنا (٢٥٧) الذين يهتدون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا

بعذاب ينس قال قارئ الذين نهوا قد نبجوا ولا أرى الآخر يذكروا ونحن نرى أشياء تنكرها ولا يقول فيها قال قلت أي جعلني الله فداك ألا ترى أنهم قد كرهوا ما هم عليه وظلوههم وقالوا لم تعظون قوماً الله مهلكهم قال فأمرني فكسيت ثوبين غليظين وكذا روى مجاهد عنه وقال ابن جرير حدثنا يونس أخبرنا شبيب بن عبد العزيز عن مالك قال قال زعم ابن رومان ان قوله تعالى تأتيتهم حيث أنهم يوم سببتهم شرعوا يوم لا يثبتون لتأتيتهم قال كانت تأتيتهم يوم السبت فاذا كان الماء ذهب فتلا يرى منها شيء إلى يوم السبت الآخر فاخذوا ذلك رجل

والله سببر اللهم فلا يؤمنوا وقال الاخفش انه جواب الامر أي اطمس واشدد فلا يؤمنوا (حتى يروا العذاب الاليم) أي فلا يحصل منهم الايمان الامع المعينة لما بعدهم الله به وعند ذلك لا يشفع ايمانهم قال ابن عباس العذاب هو الغرق وقد استشكل بعض أهل العلم ما في هذه الآية من الدعاء على هؤلاء وقال ان الرسل انما تطلب هدايتهم وايمانهم واجيب بأنه لا يجوز لشيء أن يدعو على قومه الا باذن الله سبحانه وانما ياذن الله بذلك لعله بأنه ليس فيهم من يؤمن ولهذا المأعلم الله فوحاه عليه السلام بأنه ان يؤمن من قومه الامن قد آمن قال رب لا تذر على الارض من الكافر ينداراً (قال) الله تعالى (قد أجيب دعوتكم) جعل الدعوة ههنا مضافة الى موسى وهرون وفيما تقدم أضافها الى موسى وحده فمما قيل ان هرون كان يؤمن على دعاء موسى فسمى ههنا دعاها وان كان الداعي موسى وحده ففي أول الكلام أضاف الدعاء الى موسى لكونه الداعي وههنا أضافه اليها فتنزى لا لا مؤمن منزلة الداعي ويجوز أن يكون ناجي دعا عين ولكن أضاف الدعاء الى موسى في أول الكلام لصالته في الرسالة قال النحاس سمعت علي بن سليمان يقول الدليل على أن الدعاء لها قول موسى ربنا لم يقل رب وقرئ دعاء كما روى الكاف قال ابن عباس فاستجاب له وحال بين فروع بنو بين الايمان يزعمون أن فروع مكث بعد هذه الدعوة أربعين سنة لحكمة يعلمها هو وعن ابن جرير ومجاهد نحوه (فاستقيماً) أي

(٢٢ - فتح البيان ح) خيطاً ونداف ربط حو نامتها في الماء يوم السبت حتى اذا نواله الاحد اخذته فاشتواوه فوجد الناس ريحاً فادفأوه عن ذلك فجعلهم في الزواجر حتى قال لهم فانه جلد حوت ووجدنا فلما كان السبت الآخر فعل مثل ذلك ولا أدري لعله قال ربط حوتين فلما أمسى من ليلة الاحد اخذته فاشتواوه فوجدوا ريحاً فادفأوه فقال لهم ولستم ضدعتم كما صنع فقالوا له وما صنعت فأخبرهم ففعلوا مثل ما فعل حتى كثر ذلك وكانت لهم مدينة لها ربض يغلقونها عليهم فأصابهم من المسخ ما أصابهم فغردوا عليهم جيرانهم من كلوا حولهم بطلبون منهم ما يطلب الناس فوجدوا المدينة مغانة عليهم فنادوا فلبسوا بجاوا فوضعوا سلعاً وعلموا سور المدينة رجلاً فالتفت اليهم فقال أي عباد الله قرءوا الله تعالوا لها أذنا قال فقبحوا فدخلوا عليهم فعرفت الشرود أنسابها من الانس ولا تعرف الانس أنسابها من القررة فجعلت القروء يأتينا نسيما من الانس فقمتم ثياباً وبكى فقول لهم ألم نهيكم عن كذا فقول برأسها أي نعم ثم قرأ ابن عباس فلما نسوا ما ذكرناه أنجيحنا (٢٥٧) الذين يهتدون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا

وربطه وتركه في الماء فلما كان الغد أخذته فتواء فأكلمه ففعل ذلك وهم سقرون ولا يسكرون ولا ينامهم ثم أخذ الأصفيق منهم
 فهو حتى ظهر ذلك في الاسواق ففعل علابية قال فقالت طائفة من الذين ينهونهم لم تعظون قوما الله هلكهم أو معذبهم عذابا
 شديدا قالوا معذرة الى ربكم فقالوا اسقط أعمالهم واعلمهم بتقون فلما نسوا ما ذكروا به الى قوله قردة خاسئين قال ابن عباس كانوا
 اثلاثا ثلثت فهو اولث قالوا لم تعظون قوما الله هلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم فقالوا اسقط أعمالهم واعلمهم بتقون فلما نسوا ما ذكروا به الى قوله قردة خاسئين قال ابن عباس كانوا
 جديدين ابن عباس ولكن رجوعه الى قول عكرمة في نجاة الساكين أولى من القول بهذا لأنه بين حالهم بعد ذلك والله أعلم وقوله
 تعالى وأخذنا الذين ظلموا بعداد بئس فيه دلالة بما لهم من على ان الذين بقوا نجوا وبئس فيه قراءة كثيرة ومعنا في قول مجاهد
 الشديد وفي رواية اليهم وقال قتادة موضح والكل يتقارب والله أعلم وقوله خاسئين أي ذليلين جعيرين نهائين (واذا تأذن ربك
 ليعنن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وأنه لعفور رحيم) تأذن تفعل من الاذن أي أم
 قاله مجاهد وقال غيره أمر وفي قوة الكلام ما يقيده معنى القسم من هذه النقطه ولهذا نلت اللام في قوله ليعنن عليهم أي على
 اليهود الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب (٢٥٨) أي بسبب عصيانهم ومخالفتهم وأمر الله وشريعته وأحسانه عليهم على الحرام

امضا الامرى ودوما على الاستقامة قاله ابن عباس والاستقامة الثبات على ما فيها
 عليه من الدعاء الى الله قال القراء وغيره أمر بالاستقامة على أمر عموما والنفات عليه وعلى
 دعاء فرعون وقومه الى الايمان الى أن يأتيهم تأويل الايات اربعين سنة ثم اهلكوا وقل
 معنى الاستقامة ترك الاستحجال وزوم الكينة والرضا والتسليم لما يقضى الله به سبحانه
 (ولا تبغضن) قرئ بتشديد النون لكيدو بتخفيفها على النبي لا على النبي أو انه نفي في
 معنى النهي أي لا تسلكا (سبل الذين لا يعلمون) حكمة تأخير المطلوب نعم اهما من سلك
 طريقة من لا يعلم بعبادة الله سبحانه في اجراء الامور على ما تقتضيه المصالح والتجملات وتأجيلها
 وقيل انه خبر محض مستأنف لا يتعلق له بما قبله والمعنى أنهم ما أجبر بانهم ما لا يتبعان وأما
 تشديد التاء وتخفيفها فلفظان من اتبع يتبع ويتبع وتبع وتبع وتبع وتبع وتبع وتبع
 مشى خلفه واتبعه كذلك الا انه حاذى في المشى واتبعه لحقه قال الرازي وهذا النهي
 لا يدل على أن ذلك قد صدر من موسى وهرون كأن قوله لئن أشركت ليحطن عملك لا يدل
 على صدور الشرك منه (وجاوزنا بني اسرائيل البحر) هومن جاوزنا المكاب اذا حلقه
 وتخطاه والباء للتعدي أي جعلناهم مجاوزين البحر حتى بلغوا الشط لان الله سبحانه جعل
 البحر يسافرا وفيه حتى خرجوا منه الى البر والمراد بحر القلزم وهو بحر السويس وكانوا
 ستمائة ألف قاله الخطيب وفي الخازن قال أهل التفسير اجتمع يعقوب وبنوه الى يوسف

ويقال ان موسى عليه السلام
 ضرب عليهم الخراج سبع سنين
 وقيل ثلاث عشرة سنة وكان أول
 من ضرب الخراج ثم كانوا في قهر
 الملوك اليونانيين والكساريين
 والكلدانيين ثم صاروا في قهر
 النصارى واذا لا هم اياهم وأخذهم
 منهم الجزية والخراج ثم جاء
 الاسلام ومحمد صلى الله عليه وسلم
 فكانوا تحت قهره ودمته وقوت
 الخراج والجزية قال العوفي وعن
 ابن عباس في تفسير هذه الآية قال
 هي المكنته وأخذ الجزية منهم بالمدينة
 وقال علي بن أبي طلحة عنه هي
 الجزية والذي يسومهم سوء العذاب
 محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأتمه الى يوم القيامة وكذا قال سعيد بن جبير وابن جرير والسدي وقتادة
 وقال عبد الرزاق عن معمر عن عبد الكريم الخزاز عن سعيد بن المسيب قال يستحب ان تبعث الانبياء في الجزية ثلث
 ثم آخر أمرهم انهم يخرجون أنصار الادجال فيقتلهم المسلمون مع عيسى بن مريم عليه السلام وذلك آخر الزمان وقوله ان ربك
 لسريع العقاب أي لمن عصاه وخالف شرعه وأنه لعفور رحيم أي لمن تاب اليه وأتاب وهذا من باب قرن الرجاء مع العقوبة
 لئلا يحصل اليأس فيقرن تعالى بين الترغيب والترهيب كثير التبعي القوم بين الرجاء والخوف (وقطعناهم في الارض اقسامهم
 الصالحون ومنهم دون ذلك واولاهم بالחסنات والسيئات لعلمهم يرجعون) خلف عن بعدهم خلف وروى الكتاب ياخذون عرض
 هذا الاذن ويقولون سيعفون ان وان بأنهم عرض مثلهما يأخذوه لم يؤخذ عنهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق ودرروا
 ما فيه والدار الاخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون والذين يمسكون بالكتاب وآقا والصلاة بالانصيص أجر المصطفين يذكر
 تعالى انه فرقه في الارض اقسامهم طوائف وفرقا كما قال وقتلنا من بعدهم بني اسرائيل اسكنوا الارض فاداءوا وعدا لاخرة حيثما
 بكم لفيها منهم الصالحون ومنهم دون ذلك أي فيهم الصالح وغير ذلك كقول ابن واخنا الصالحون ومنادون ذلك كطرائق قلدوا

وبلواهم أى اختبرناهم بالحسنات والسيئات أى بالرحمة والشدة والرغبة والرهبة والعاقبة والبلاء عليهم يرجعون ثم قال تعالى تخلف من بعدهم خاف وروى الكتاب بأخذون عرض هذا الأدنى الآية يقول تعالى تخلف من بعد ذلك الجمل الذى فيهم الصالح والمطالح تخلف آخر لاخير فيهم وقد روى دراسة الكتاب وهو التوراة وقال مجاهد هم النصارى وقد يكون أعمن من ذلك يأخذون عرض هذا الأدنى أى يعارضون عن بدل الحق ونشره بعرض الحياة الدنيا يسوفون أنفسهم ويعدونها بالتوبة وكما لا ح لهم مثل الأول أخذوه واهذا قال وان يأثمهم عرض مثله يأخذونه كما قال سعيد بن جبير يعاملون الذنب ثم يستغفرون الله منه ويعترفون لله فان عرض ذلك الذنب أخذوه وقال مجاهد فى قوله تعالى يأخذون عرض هذا الأدنى قال لا يشرف لهم شئ من الدنيا الا أخذوه حلالا كان أو حرما أو يتنمون للمغفرة ويقولون سيعفون لنا وان وجدوا عرضا مثله يأخذوه وقال قتادة فى الآية أى والله تخلف سواه وروى الكتاب بعد أنيأثمهم ورسلهم الله وعهد إليهم وقال الله تعالى فى آخرى تخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة الآية قال يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا تنوعا على الله ما نرى وغرة يغترون بها وان يأثمهم عرض مثله يأخذوه لا يشغلهم شئ عن شئ ولا ينهاهم شئ عن ذلك كلما هف لهم شئ من (٢٥٩) الدنيا كلوه لا يلبثون حلالا كان أو حرما وقال

السدى قوله تخلف من بعدهم خلف الى قوله ودرسوا ما قامه قال كانت بنو اسرائيل لا يستقضون قاضيا الا ارتضى فى الحكم وان خيارهم أجعوا فان أخذ بعضهم على بعض اليهود ان لا يفعلوا ولا يرتضوا ففعل الرجل منهم اذا استقضى ارتضى فيقال له ماشأك ترتضى فى الحكم فيقول سيعفونى فيقطعن عليه القصة الا تخرون من بنى اسرائيل فيما صنع فاذا مات أوزع وجعل مكانه رجل من كان يطعن عليه فيرتضى يقول وان يأت الاخرين عرض الدنيا يأخذوه قال الله تعالى ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله الا الحق

وهم اثنان وتسعون وخرج بنوه مع موسى من مصر فى الوقت المعلوم وهم ستمائة ألف وقد تقدم نفسير هذا فى سورة البقرة فى قوله سبحانه واذ فرقنا بينكم البحر وقرأ الحسن وجوزنا وهما الفتان والآية دلسل على خلق الافعال (فأتبعهم فرعون وجنوده) يقال تبع وأتبع بمعنى واحد اذا خلفه وقال الاصمعى يقال أتبعه بقطع الالف اذا خلفه وأدركه واتبعه بوصل الالف اذا تبع أثره أدركه ولم يدركه وكذا قال أبو زيد وقال أبو عمرو تابعه بالوصل اقتدى به وفى المختار تبعه من باب طرب اذا مشى خلفه أو مر به فخصى معه وكذا اتبعه وهو افتعل واتبعه على اقل اذا كان قد سبقه فلحقه وقال الاخفش تبعه واتبعه بمعنى يمتثل ردفه وأردفه (بغيا) ظلما (وعدوا) اعتداء أى لاجلهم أو باغين معادين وقرأ الحسن عدوا بضم العين والذال وتشديد الواو وقيل ان البنى الاستعلاء فى القول بغير حق والعدو فى الفعل قال عكرمة العدو والعدو والعفو والعفو فى كتاب الله التبر (حتى اذا أدركه الغرق) أى ناله ووصله وألجأه غايه لاتباعه وذلك ان موسى خرج بنى اسرائيل على حين غفلة من فرعون فلما سمع فرعون بذلك لحقهم بمجنوده ففرق الله البحر لموسى وبنى اسرائيل فشقوا فيه حتى خرجوا من الجانب الآخر وتبعهم فرعون والجبراق على الحالة التى كان عليها عند مضى موسى ومن معه فلما تكامل دخول جنود فرعون وكلدوا أن يخرجوا من الجانب الآخر انطبق عليهم فغرقوا كما حكى الله سبحانه ذلك (قال أمست أمة

الآية يقول تعالى منكر اعلمهم فى صنعهم هذا مع ما أخذ عليهم من الميثاق ليسين الحق للناس ولا يكتفونه فينبذوه وراهم ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون كقولهم واذا أخذ الله ميثاق الذين آمنوا الكتاب لنتينه للناس ولا تكنونه الآية وقال ابن جرير قال ابن عباس ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله الا الحق قال فيما تمتون على الله من غفران ذنوبهم التى لا يزلون يعودون فيها ولا يتوبون منها وقوله تعالى والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون يرغبهم فى جزيل ثوابه ويحذروهم من ويل عقابه أى وثوابي وخير ما عندى خير من اتقى المحارم وترك هوى نفسه وأقبل على طاعة ربه أفلا تعقلون يقول أفلس لهؤلاء الذين اعتاضوا بغير الدنيا عما عندى خيرا من اتقى المحارم وترك هوى نفسه وأقبل على طاعة ربه أفلا تعقلون بمسك بكناه الذى يقوده الى اتباع رسوله محمد صلى الله عليه وسلم كما هو مكتوب فيه فقال تعالى والذين يسكنون بالكتاب أى اعتصموا به واقتصدوا بأوامره وتركوا زواجره وأقاموا الصلاة لا تلتضع أجر المصلحين (واذتقنا الجبل فوقهم كما ثمة ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم به وقواذ كروا ما فيه لعنكم يتقون) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله واذا تفتنا الجبل فوقهم يقول رفعناه وهو قوله ورفعنا فوقهم بطور عينا ففهم وقال سفيان الثوري عن الأعشى عن سعيد بن جب

عن ابن عباس رفعته الملائكة فوق رؤسهم وهو قوله ورفعنا فوقهم الطور وقال القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ثم سار بهم موسى عليه السلام إلى الأرض المقدسة وأخذ الألواح بعينه ما كتبت عنه الغضب وأمرهم بالذي أمر الله أن يبلغهم من الوظائف فنقلت عليهم وأوأن يقولوا يا ربنا حتى تنق الله الجبل فوقهم كأنه ظلة قال رفعته الملائكة فوق رؤسهم رواء الناس بطوله وقال سديد بن داود في تفسيره عن ججاج بن محمد عن أبي بكر بن عبد الله قال هذا كتاب أتقبلونه بما فيه فإن فيه بيان ما أحل لكم وما حرم عليكم وما أمركم وما نهىكم والوا انشر علينا ما فيها فإن كانت فرأيتها وحدها يسيرة قلنا هذا قال اقبلوا بما فيها قالوا لا حتى نعلم ما فيها كيف حدودها وقرأنا ما فيها فراجعوه مرارا فأتوا الله إلى الجبل فانطلق فارفع في السماء حتى إذا كان بين رؤسهم وبين السماء قال لهم موسى ألا ترون ما يقول ربى عز وجل لن أتقبلوا التوراة فيها لاريسكم بهذا الحيط قال غديثي الحسن البصري قال لما نظر إلى الجبل خر كل رجل ساجدا على حاجبه الا يسرو ونظر بعينه العيني إلى الجبل فرأى أن يسقط عليهم فكذلك ليس اليوم في الأرض يهودى يسجدوا على حاجبه الا يسر يقولون هذه السجدة التي رفعت بها (٢٦٠) العقوبة قال أبو بكر فلما انشر الألواح فيها كتاب الله كتب به يده لم يبق على وجه

الأرض جبل ولا شجر ولا حجر الا اهتز فليس اليوم يهودى على وجه الأرض صغير ولا كبير يقرأ عليه التوراة الا اهتز ونفض لها رأسه والله أعلم (وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن يقولوا يوم القيامة أنا كنا عن هذا غافلون أو يقولوا انما أنشأناكم من طين أو نذكر به من بعدهم أنقبلكم بما فعل المبطلون وكذلك فصل الآيات ولعلهم يرجعون يخبر تعالى أنه استخرج ذرية من نوح آدم من أصلابهم شاھدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم وأنه لا اله الا هو كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجعلهم عليه قال تعالى فاقم وجهك للدين خفيضا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وفي رواية على هذه الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كالأولاد البهيمة جهمة جعاء هل تحسبون فيها من جذعاء وفي صحيح مسلم عن عياض بن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله إلى خلقه عبادى حنفاء في أنفسهم الشياطين فاختارهم عن بينهم وحرم عليهم ما أحلت لهم وقال الامام أبو جعفر بن جبر روجه الله حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب أخبرني السري ابن يحيى أن الحسن بن أبي الحسن حدثهم عن الاسود بن سريع عن بني سعد قال غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع غزوات قال فتناول القوم الذرية بعد ما قتلوا المقاتلة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتد عليه ثم قال ما بال أقوام يتناولون الذرية فقال رجل يا رسول الله أليسوا أشاء المشركين فقال ان خياركم أشاء المشركين الا انها ليست بدمية نولد الاولاد على الفطرة فخرأل عليها حتى يبين عنها السام فأبواها ويودنها وينصرانها قال الحسن والله لقد قال الله في كتابه وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم الآية وقدر واه الامام أحمد عن اسمعيل بن عيسى عن يونس بن عيسى عن الحسن البصري

الأرض جبل ولا شجر ولا حجر الا اهتز فليس اليوم يهودى على وجه الأرض صغير ولا كبير يقرأ عليه التوراة الا اهتز ونفض لها رأسه والله أعلم (وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن يقولوا يوم القيامة أنا كنا عن هذا غافلون أو يقولوا انما أنشأناكم من طين أو نذكر به من بعدهم أنقبلكم بما فعل المبطلون وكذلك فصل الآيات ولعلهم يرجعون يخبر تعالى أنه استخرج ذرية من نوح آدم من أصلابهم شاھدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم وأنه لا اله الا هو كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجعلهم عليه قال تعالى فاقم وجهك للدين خفيضا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وفي رواية على هذه الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كالأولاد البهيمة جهمة جعاء هل تحسبون فيها من جذعاء وفي صحيح مسلم عن عياض بن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله إلى خلقه عبادى حنفاء في أنفسهم الشياطين فاختارهم عن بينهم وحرم عليهم ما أحلت لهم وقال الامام أبو جعفر بن جبر روجه الله حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب أخبرني السري ابن يحيى أن الحسن بن أبي الحسن حدثهم عن الاسود بن سريع عن بني سعد قال غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع غزوات قال فتناول القوم الذرية بعد ما قتلوا المقاتلة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتد عليه ثم قال ما بال أقوام يتناولون الذرية فقال رجل يا رسول الله أليسوا أشاء المشركين فقال ان خياركم أشاء المشركين الا انها ليست بدمية نولد الاولاد على الفطرة فخرأل عليها حتى يبين عنها السام فأبواها ويودنها وينصرانها قال الحسن والله لقد قال الله في كتابه وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم الآية وقدر واه الامام أحمد عن اسمعيل بن عيسى عن يونس بن عيسى عن الحسن البصري

النبي

ذلك وجعلهم عليه قال تعالى فاقم وجهك للدين خفيضا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وفي رواية على هذه الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كالأولاد البهيمة جهمة جعاء هل تحسبون فيها من جذعاء وفي صحيح مسلم عن عياض بن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله إلى خلقه عبادى حنفاء في أنفسهم الشياطين فاختارهم عن بينهم وحرم عليهم ما أحلت لهم وقال الامام أبو جعفر بن جبر روجه الله حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب أخبرني السري ابن يحيى أن الحسن بن أبي الحسن حدثهم عن الاسود بن سريع عن بني سعد قال غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع غزوات قال فتناول القوم الذرية بعد ما قتلوا المقاتلة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتد عليه ثم قال ما بال أقوام يتناولون الذرية فقال رجل يا رسول الله أليسوا أشاء المشركين فقال ان خياركم أشاء المشركين الا انها ليست بدمية نولد الاولاد على الفطرة فخرأل عليها حتى يبين عنها السام فأبواها ويودنها وينصرانها قال الحسن والله لقد قال الله في كتابه وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم الآية وقدر واه الامام أحمد عن اسمعيل بن عيسى عن يونس بن عيسى عن الحسن البصري

وأخرجه النسائي في سننه من حديث هشيم بن يوسف بن عبيد بن الحسن قال حدثني الأسود بن سريع فذكره ولم يذكر قول الحسن البصري واستحضاره الآية عند ذلك وقد وردت في أحاديث في أخذ الزينة من صلب آدم عليه السلام وتغييره إلى أصحاب اليمين وأصحاب الشمال وفي بعضها الاستسهاد عليهم بأن الله نهم قال الإمام أحمد حدثنا شجاع حدثنا شعبة عن أبي عمران الجوني عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة أريت لو كان لك ما على من شيء أكنت مقتدياً به قال فيقول نعم فيقول قد أردت منك أهون من ذلك قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك في شيء فأيت الآن تشرك لي أخرجه في الصحيحين من حديث شعبة (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا شاذان بن محمد حدثنا جابر يعني ابن حازم عن كنوم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله أخذ المشاق من ظهر آدم عليه السلام سبعين يوماً فخرج من صلبه كل ذرة فراهقها بين يديه ثم كلهم قتلا قال ألتست بركم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلون وقد روى هذا الحديث النسائي في كتاب التفسير من سننه عن محمد بن عبد الرحيم عن صاعقة عن حسين بن محمد المروزي به ورواه ابن (٢٦١) جويران أبي حاتم من حديث حسين بن محمد بن الأمان أبي حاتم جده له

موقوفاً وأخرجه الحاكم في مستدركه من حديث حسين بن محمد وغيره عن جويران حازم عن كنوم بن جبير به وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقد احتج مسلم بكنوم ابن جبير هكذا قال وقد رواه عبد الوارث عن كنوم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فوقفه وكذا رواه اسمعيل بن علفه وو كيع عن ربيعة بن كنوم عن جبير به وهو كذا رواه عطاء بن السائب وحبيب بن أبي ثابت وعلي بن ذرعة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قوله وكذا رواه في وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس فهذا

النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال قال لي جبريل ما كان على الأرض يعني أبغض إلى من قرءون فلما آمن جعلت أحشوا فاه جأه وأنا أعظم خشية أن تتركها الرجعة وأخرج ابن مردويه عن ابن عمر فروعا نحوه وأبو الشيخ عن أبي أمامة نحوه أيضاً وفي إسناد حديث أبي هريرة رجل مجهول وباقي رجاله ثقات والحج بك العجب عن لاعلم بل عن الرواية من المفسرين ولا يكاديين أصح الصحيح من الحديث وأكذب الكذب منه كيف يتجاري على الكلام في أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والحكم بطلان ما صح منها ويرسل أسانيدهم بالجهل البحت والقصور الفاضح الذي يضحك منه كل من له أدنى ممارسة يقن الحديث فيما يمكن ماله ولهذا الشأن الذي ألتست فيه شيء ألا تستر نفسك وترجع على ضلعك وتعرف بانك بهذا العلم من أجهل الجاهلين وتشتغل بما هو عليك الذي لا تجاوز وما ضللت الذي ليس لك غيره وهو علم العقول وأوسعها من العلوم الكلية ولقد صار صاحب الكشاف عفا الله عنه بسبب ما يتعرض له في تفسيره من علم الحديث الذي ليس هو منه في ورود ولا صدر من سخره الساخرين وعبارة لا معتبرين فتارة يروي في كتابه الموضوعات وهو لا يدري أنه منها وتارة يتعرض لرد ما صح ويجزم بأنه من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والبهت عليه وقد يكون في الصحيحين وغيرهما مما يلحق بهما من رواية جماعة من الصحابة بأسانيد كلها آئمة ثقات حجج أثبات وأدنى نصيب من عقل

أكثر وأثبت والله أعلم وقال ابن جري حدثنا ابن وكيع حدثنا عن أبي هلال عن أبي حمزة الضبي عن ابن عباس قال أخرج الله ذرية آدم من ظهره كهية الذر وهو في آدم من الماء وقال أيضاً حدثنا علي بن مهمل حدثنا شعبة عن ربيعة حدثنا أبو مسعود عن جويرات ابن الخمال بن مزاحم ابن ستة أيام قال فقال يا جابر إذا أتت وضعت ابني في لحده فأبرز وجهه وحل عنه عقدة فإن ابني يحلس ومنسؤل ففعلت به الذي أمر فلما قرعت قلت لرجل الله عما يستل أنت من يسأله إياه قال يستل عن الميثاق الذي أقر به في صلب آدم قلت يا أبا القاسم وما هذا الميثاق الذي أقر به في صلب آدم قال حدثني ابن عباس إن الله مسح صلب آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة فأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وتكفل لهم بالآرراق ثم أعدمهم في صلبه فلان تقوم الساعة حتى وإن أعطى الميثاق يومئذ فن أدرك منهم الميثاق الآخر فوقي به تنفعها الميثاق الأول ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يقرب به لم ينفعه الميثاق الأول ومن مات صغيراً قبل أن يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الأول على الفطرة فهذا الطريق كلها مما تنقوى وقف هذا على ابن عباس والله أعلم (حديث آخر) قال ابن جري حدثنا عبد الرحمن بن الوليد حدثنا أحمد بن أبي طيبة عن سفيان بن سعيد عن الأجلح عن الفضال عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمر وقال قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم وإذا أخذ من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم قال أخذ من ظهره كما يؤخذ من الشط من الرأس فقال ليه ألتست بر بكم قالوا
 قالت الملائكة سمعنا أن يقولوا يوم القيامة أنا كنعن هذا فلان أجد بن أبي طيبة هذا هو أبو محمد الجرحي في قاضي قرص كن
 أخذ الزناد أخرج به النسا في منته وقال أبو حاتم الرازي يكتب حديثه وقال ابن عدي حدثنا جديث كندوة غراب وقد
 روى هذا الحديث عند الرحن بن جرير بن مهدي عن سفيان الثوري عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قوله وكذا رواه
 جرير عن منصور وهذا أصح والله أعلم (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا روح بن عباد حدثنا مالك بن عمار بن
 مالك بن زيد بن أبي أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أخبر عن مسلم بن يسار أخبرني أن ابن عمر بن الخطاب سئل
 عن هذه الآية وإذا أخذ من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألتست بر بكم قالوا لا إله إلا الله فقال عمر بن
 الخطاب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عنها فقال إن الله خلق آدم عليه السلام ثم مسح ظهره بمحس فاستخرج منه
 ذرية قال خلقت هؤلاء من شارب ويعمل أهل النار يبعون فقال يا رسول الله فقيم العمل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خلق
 الله العبد الجنة استعمله بأعمال أهل الجنة (٢٦٢) حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله الجنة وإذا خلق الله

لنار استعمله بأعمال أهل النار حتى
 يموت على عمل من أعمال أهل النار
 فيدخله به النار وهكذا رواه أبو
 داود عن القسبي والنسائي عن
 قتيبة والترمذي عن إسحاق بن
 موسى عن معن وابن أبي حاتم عن
 يونس بن عبد الأعلى عن ابن زوب
 وابن جرير حديث روح بن
 عباد وسعد بن عبد الحميد بن
 جعفر وأخرجه ابن حبان في
 صحيحه من رواية أبي مصعب
 الزبيري كلهم عن الإمام مالك بن
 أنس قال الترمذي وهذا حديث
 حسن ومسلم بن يسار لم يسمع عمر
 وكذا قال أبو حاتم وأبو زرعة وأبو
 حاتم وبينهم ما عشرين ربيعة وهذا
 الذي قاله أبو حاتم رواه أبو داود في سننه عن محمد بن معن عن بقة عن عمرو بن جهم الترمذي عن زيد بن أبي
 أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن مسلم بن يسار أخبرني عن نعيم بن ربيعة قال كتب عند عمر بن الخطاب وقد
 سئل عن هذه الآية وإذا أخذ من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم فدركوا وقال الحافظ الأزدي وقد تابع عمرو بن جهم بن زيد بن
 سنان وأبو فروة الرضوي وقرويا وأبو الصواب من قول مالك والله أعلم قلت الظاهر أن الإمام مالك إنما يسقط ذكر نعيم بن ربيعة
 عند الماحيل حال نعيم ولم يعرفه فانه غير معروف الذي هذا الحديث ولذلك يسقط ذكر جماعة ممن لا يرضيهم وليد إسرائيل كثير من
 المرفوعات ويقطع كثيرا من الموصولات والله أعلم (حديث آخر) قال الترمذي عند تفسير هذه الآية حديث سعد بن حماد حدثنا أبو
 نعيم حدثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله آدم مسح ظهره
 فسقط من ظهره كل نسمة حرة لقها من ذرية أبي آدم القيامة وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبينهم ثم عرضهم على آدم فقال
 أي رب من هؤلاء قال هؤلاء من ذرية نبيك فترأى رجال منهم فأعجبهم وبص عينه قال أي رب من هؤلاء قال هذا رجل من آخر الأمم من
 ذرية نبيك يقال له داود قال رب وكم جعلت عمه قال بسين سنة قال أي رب قد وهبت له من عمري أربعين سنة فلما انتفضى عمر آدم جاءه

لا يقبل
 الذي قاله أبو حاتم رواه أبو داود في سننه عن محمد بن معن عن بقة عن عمرو بن جهم الترمذي عن زيد بن أبي
 أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن مسلم بن يسار أخبرني عن نعيم بن ربيعة قال كتب عند عمر بن الخطاب وقد
 سئل عن هذه الآية وإذا أخذ من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم فدركوا وقال الحافظ الأزدي وقد تابع عمرو بن جهم بن زيد بن
 سنان وأبو فروة الرضوي وقرويا وأبو الصواب من قول مالك والله أعلم قلت الظاهر أن الإمام مالك إنما يسقط ذكر نعيم بن ربيعة
 عند الماحيل حال نعيم ولم يعرفه فانه غير معروف الذي هذا الحديث ولذلك يسقط ذكر جماعة ممن لا يرضيهم وليد إسرائيل كثير من
 المرفوعات ويقطع كثيرا من الموصولات والله أعلم (حديث آخر) قال الترمذي عند تفسير هذه الآية حديث سعد بن حماد حدثنا أبو
 نعيم حدثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله آدم مسح ظهره
 فسقط من ظهره كل نسمة حرة لقها من ذرية أبي آدم القيامة وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبينهم ثم عرضهم على آدم فقال
 أي رب من هؤلاء قال هؤلاء من ذرية نبيك فترأى رجال منهم فأعجبهم وبص عينه قال أي رب من هؤلاء قال هذا رجل من آخر الأمم من
 ذرية نبيك يقال له داود قال رب وكم جعلت عمه قال بسين سنة قال أي رب قد وهبت له من عمري أربعين سنة فلما انتفضى عمر آدم جاءه

ملك الموت قال أولم ين من عمرى أربعون سنة قال أولم تعطها الملك داود قال فجحد آدم فحدث نوح ونبي آدم فنسبت ذريته
 وسخطى آدم فخطبت ذريته ثم قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وقد روى من غير وجهه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه
 وسلم فرواه الحناكم في مستدرکهم حديث أبي نعيم الفضل بن دكين وهو قال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ورواه ابن أبي حاتم في
 تفسيره من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه أنه حدثه عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم قد كرموا ما تقدم إلى أن قال ثم عرضهم على آدم فقال يا آدم هؤلاء مني وأذا فهم الأجساد والارص والاعبي
 وأنواع الاسقام فقال آدم إرب لم فعلت هذا بديقي قال كنت قد نعتي وقال آدم إرب من هؤلاء الذين أراهم أظهر الناس نوراً
 قال هؤلاء الأنبياء آدم من ذريتك ثم ذكر قصة داود كجوماً تقدم (حديث آخر) قال عبد الرحمن بن قتادة النضري عن أبيه عن
 هشام بن حكيم رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ابتداء الأعمال أم قد قضى القضاء قال فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قد أخذ ذرية آدم من ظهورهم ثم أشهدهم على أنفسهم ثم أقاض بهم في كفيه ثم قال هؤلاء في
 الجنة هؤلاء في النار فأهل الجنة فيسرون لعمل أهل الجنة وأهل النار (٢٦٣) فيسرون لعمل أهل النار ورواه ابن جرير

لا يقبل الماء ميتاً أبداً قاله الخازن وقيل المعنى يخرجك عما وقع فيه قومك من الرسوب في قعر
 البحر ويخرجك طافيا للشاهدوك ميتا بالغرق وقرئ بالخاء المهملة من التخبئة أي نظرك
 على ناحية من الأرض وقد اختلف المفسرون في معنى (يبدئك) فقبل معناه بجسدك
 بعد سلب الروح منه لا كما هو مطاوعك فهو تخيب له وحسم لطعمه والباله المصاحبة وقيل
 معناه بديرك والدرع نسبي بدينا والابدان الدروع قاله أبو عبيدة ورجح الاخفش الأول
 وقرأ أبو حنيفة رحمه الله بابتدائك وهو مثل قولهم هو بايرامه أي يبدئك كله وأما الجرائم
 وقيل عربنا لأشئ عليه وقيل الباء سمية لأن بدنه سبب في تخيبته (تسكون لمن خلقك آية)
 هذا تعليل لتخبئة يسدنه وفي ذلك دليل على أنه لم يظهر جسده دون قومه إلا هذه العلة
 لاسوى والمراد بالآية العلامة أي تكون علامة يعرفون بها أحلا كل وانك لست كما تدعى
 ويندفع عنهم الشك في كونك قد صرت ميتا بالغرق وقيل المراد ليكون طرحتك على
 الساحل وحيدك دون المغرقين من قومك آية من آيات الله يعتبر بها الناس أو يعتبر بهم من
 سبأ في من الأمم إذا سمعوا ذلك حتى يحذروا من التكبر والتجبر والتقدم على الله سبحانه فإن
 هذا الذي بلغ إلى ما بلغ اليه من دعوى الإلهية واستقر على ذلك دهر طويل كانت له هذه
 العاقبة القبيحة وقرئ لمن خلقك على صيغة الماضي أي لمن يأتي بعدك من القرون أو من
 خلفك في الرياسة أو في السكون في المسكن الذي كنت تكنه وهذا آخر مقول جبريل

وابن مردويه من طرق عنه
 (حديث آخر) روى جعفر بن
 الزبير وهو ضعيف عن القاسم عن
 أبي أمامة قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لما خلق الله
 الخلق وقضى القضية أخذ أهل
 الجن يمينهم وأهل الشمال بيمينهم
 فقال يا أصحاب الجن فقالوا اليسك
 وسعدك قال أنت ربكم قالوا
 بلى ثم خلط بينهم فقال قائل له إرب
 لم خلطت بينهم قال لهم أعمال من
 دون ذلك لهم ليعاملون أن يقولوا
 يوم القيامة أنا كنا عن هذا غافلين ثم
 ردهم في صلب آدم رواه ابن مردويه
 (أثر آخر) قال أبو جعفر الرازي عن
 الربيع بن أنس عن أبي العالية عن

أبي بن كعب في قوله تعالى وإذا خذرك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم الآية قال فجمعهم له يومئذ فجعل ما هو كان منسه إلى
 يوم القيامة فجعلهم في صورهم ثم استطقهم فتكلموا وأخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم أنت ربكم قالوا بلى
 الآية قال فأتى أشهد عليكم السموات السبع والأرض السبع وأشهد عليكم أنا كم آدم أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا أعلموا
 أنه لا غير ولا رب غيري ولا تشركوا بي شيئا وإن سألهم رسلا لينذروكم عهدى وميثاقى وأنزل عليهم كتبى قالوا
 نعم هذا أنكرنا أولها لأرب لنا غيرك فأقرؤهم ما به من الطاعة ورفع أيهاهم آدم فظفر اليهم فقرأ فيهم الغنى والفقر وحسن الصورة
 ودون ذلك فقال إرب لوسيت بين عبادة قال اتى أحببت أن أشكر ورأى فيهم الاتيان مثل السرج عليهم النور وخصوا
 بميثاق آخر من الرسالة والنبوة فهو الذى يقول تعالى وإذا خذنا من الذين ميثاقهم الآية وهو الذى يقول فأقم وجهك للدين
 حنيفا فطرت الله الآية ومن ذلك قال هذا الذين من النذر الأولى ومن ذلك قال وما وجدنا لأكثرهم من عهد الآية رواه عبد الله
 ابن الإمام أحمد في مسنده أبيه ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير وابن مردويه في تفسيرهم من رواية ابن جعفر الرازي به وروى
 عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبر والحسن وقتادة والسدي وغير واحد من السلف سياقات توافق هذه الأحاديث اكتفينا

بارادعائ التطويل في تلك الآيات باركها والله المستعان فهذه الأحاديث دالة على ان الله عز وجل استخرج ذرية آدم من صلبه
 وميز بين أهل الجنة وأهل النار وأما الاشهاد عليهم فذلك بأنه ربههم فاعوا الا في حديث كانوا من جبر عن سعد بن جبر عن ابن
 عباس وفي حديث عبد الله بن عمرو وقد بيناهم ما هو قوفان لاهم قوفان كما تقدم ومن ثم قال قائلون من السلف والخلف ان
 المراد به ذل الاشهاد انما هو فطرهم على التوحيد كما تقدم في حديث أبي هريرة وعياض بن جابر الجعفي ومن رواية الحسن
 البصري عن الاسود بن سريع وقد فسر الحسن الآية بذلك قالوا له ذاقا ولذا أخذ ربك من بني آدم من قبل من آدم من ظهورهم
 ولم يقل من ظهور ذريتهم أي جعل فيهم جلا بعد جيل وقرنا بعد قرن كقوله تعالى وهو الذي جعلكم خلافا لارض وقال
 ويجعلكم خلفاء لارض وقال كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين ثم قال وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بل أي
 أوجدكم شاهدن بذلك قائلين له لا قالوا والشهادة تارة تكون بالقول كقوله قالوا له تعالى أنفسنا الآية وتارة تكون حالا
 كقوله تعالى ما كن المشركن أن يغفروا ما سجد الله شاهدن على أنفسهم بال كفر أي حالهم شاهد اعلمهم بذلك لانهم قائلون
 ذلك وكذا قوله تعالى والله على ذلك شهيد (٢٦٤) كما أن السوال تارة يكون بالقول وتارة يكون بالحال كقوله وآنا هم

عليه السلام (وان كثيرا من الناس عن آياتنا) التي وجب الاعتبار والتفكر وتوقفا
 من سنة القفلة (لقائلون) عما توجه تلك الآيات وهذه الجمل تذييلة بي ما عطف
 الحكاية بقرير الكلام المحكي (ولقد بوا نأبى اسرائيل مبوا صدق) هذا من جملة ما عذر
 الله سبحانه من النعم التي أنعمها عليهم ومعنى بوا نأبى اسكيا يقال بوا نأبى زيد انزل اسكنه
 فيه والمبوا اسم مكان أو مصدر وضافته الى الصدق على ما جرت عليه قاعدة العرب
 فانهم كانوا اذا مدحوا شيئا أضافوه الى الصدق والمراد به هنا المنزل المحمود الصالح المختار
 المرضي قيل هو أرض مصر قاله الضحاك وقيل جيب ما كان تحت أيدي فرعون وقومه
 من ناطق وصامت وزرع وغيره وقيل الاردن وفلسطين وقيل الشام قاله قتادة وقيل
 بيت المقدس لانها بلاد النصب والخير والبركة (ورزقناهم من الطيبات) أي المستلذات
 من الرزق (فما اختلفوا في) أمر دينهم وتشعبوا فيه شعبا بعد ما كانوا على طريفة واحدة
 غير مختلفة (حتى جاءهم العلم) أي لم يقع منهم هذا الاختلاف في الدين الا بعد ما جاءهم
 العلم بقرائتهم التوراة وعلمهم بأحكامها وما اشغلت عليه من الاخبار بنبوة محمد صلى الله
 عليه وآله وسلم وقيل العلم هو القرآن المنزل على نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فاختصروا
 فيه وفي صفته وآمن بهم من آمن منهم وكفروا به من كفر قال ابن زيد يعني كتاب الله الذي أنزل
 وأمره الذي أمرهم به وانما سمي التوراة علما لانه سبب العلم فيكون المراد بالاختلاف في العلم

كل ما ساقوه قالوا وما يدل على ان
 المراد به هذا ان جعل هذا
 الاشهادجة عليهم في الاشراك فلو
 كان قد وقع هذا كما قاله من قال
 لكان كل أحد يكره لكون حجة
 عليه فان قيل اخبار الرسول صلى
 الله عليه وسلم به كاف في وجوده
 فالجواب ان المكذبين من
 المشركين يكذبون بجميع ما جاءهم
 به الرسل من هذا وغيره وهذا جعل
 حجة مستقلة عليهم فدل على أنه على
 الفطرة التي فطر واعلمها من الاقرار
 بالتوحيد ولو لم يزلوا أن يقولوا أي
 لتسلا يقولوا يوم القيامة أنا كنا عن
 هذا غافلين أي التوحيد غافلين
 أو يقولوا انما أشرك آباؤنا الآية

وقال عليهم بنا الذي أنشأنا فاسلم منها فاسعه الشيطان فكان من الغاوين ولولا
 لي فعداها ولكنه أخذنا الى الارض واسمع دعواه قتله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك من القوم الذين
 كذبوا بآياتنا فاقص القصص لعلهم يتفكرون وساء مثالا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنقصهم كانوا يظنون قال عبد الرزاق
 عن سفيان الثوري عن الاعش ومنصور عن أبي الخبي عن مسروق عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه في قوله تعالى
 واتل عليهم بنا الذي أنشأنا فاسلم منها الآية قال هو رجل من بني اسرائيل يقال له بلعم بن باعوراء وكذا رواه
 وغير واحد عن منصوره وقال سعد بن أبي عروبة عن قتادة عن ابن عباس هو صفي بن الراهب قال قتادة وقال كعب بن
 رجلا من أهل البلقاء وكان يعلم الاسم الأكبر وكان مقيما بيت المقدس مع الجبارين وقال العوفي عن ابن عباس هو رجل من
 أهل الجن يقال له بلعم أتاه الله آياته ففر كرها وقال مالك بن دينار كان من عبادة بني اسرائيل وكان يجيب الدعوة فندوه
 في الشدا تدبعه نبي الله موسى الى ملك من بني اسرائيل يدعوهم الى الله فاقطعه واعطاه قسيح ديشه وتركه دين موسى عليه السلام
 وقال سفيان بن عيينة عن حصين عن عمران بن الحارث عن ابن عباس هو بلعم بن باعوراء وكذا قال مجاهد وعكرمة وقال

ابن جرير حدثني الحارث حدثنا عبد العزيز حدثنا اسرائيل عن مغيرة عن بجا هذ عن ابن عباس قال هو

ابن أبي الصلت وقال شعبة عن يعلى بن عطاء عن نافع بن عاصم عن عبد الله بن عمرو في قوله واتل عليهم نبأ الذي

قال هو صاحبكم أمسية بن أبي الصلت وقدرى من غير وجه عنه وهو صحيح اليه وكانه انما أراد ان أمسية بن أبي الصلت كان قد ائتمل اليه علم كثير من علم الشرائع المتقدمة ولكنه لم ينفع بعلمه فانه أدرك زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغته اعلامه وآياته ومعجزاته وظهرت لكل من له بصيرة ومع هذا اجتمع به ولم يتبعه وصار الى مولاة المشركين ومناصرتهم وامتدادهم ورفق أهل بدر من المشركين عبرة بليغة فحبه الله وقد جاء في بعض الاحاديث انه عن آمن لسانه ولم يؤمن قلبه فان له اشعارا رابية وحكما وفصاحة ولكنه لم يشرح الله صدره للاسلام وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابن أبي عمير حدثنا سفيان عن أبي سعيد الاعموري عن عكرمة عن ابن عباس في قوله واتل عليهم نبأ الذي آتيناها آياتنا فانسلخ منها قال هو رجل أعطي ثلاث دعوات يستجاب له فيهن وكانت له امرأة له منها ولد فقالت اجعل لي منها واحدة قال فقلت واحدة فوالذي تريد ان يردني قالت ادع الله ان يجعلني اجل امرأة في بني اسرائيل فدعا الله فجعلها اجل امرأة في بني اسرائيل فلما علمت ان ليس فيهن منها نارغب (٢٦٥) عنه وأرادت شيئا آخر فدعا الله أن يجعلها كلبة فصارت كلبة فذهبت دعواتان فناء بنوه فافسأوا ليس بنألي هذا قرار قد صارت أمنا كلبة يعين الناس بها فادع الله أن يرد هالي الى الحال التي كانت عليها فدعا الله فسادت كما كانت وذهبت الدعوات الثلاث وتسمى البسوس غريب وأما المشهور في سبب نزول هذه الآية الكريمة فانما هو رجل من المتقدمين في زمن بني اسرائيل كما قال ابن مسعود وغيره من السلف وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو رجل من مدينة الجبارين يقال له بلعام وكان يعلم اسم الله الاكبر وقال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم وغيره من علماء السلف كان بحجاب الدعوة ولا يزال

القول الاول هم اليهود بعد أن أنزلت عليهم التوراة وعلومها وعلى القول الثاني هم اليهود المعاصرون لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وقدرى في الحديث أن اليهود اختلفوا وعلى احدى وسبعين فرقة وان النصارى اختلفوا على اثنتين وسبعين فرقة وستة عشر فرقة هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة وهو في السنن والمسائيد والكلام فيه يطول (ان ربك يتقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) من أمر الدين بانحاء المؤمنين وتعذيب الكافرين فيجازي المحسن باحسانه والمسي باسائه وهو الحق بعمله بالحق والمبطل بعمله بالباطل (فان كنت يا محمد في شك) هو في أصل اللغة ضم الشيء بعضه الى بعض ومنه شك الجوهر في العقد والشاك كانه يضم الى ما يتوهمه شيئا آخر خلافا فيتردد وتغير والخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمراد غيره كما ورد في القرآن في غير موضع وعن ابن عباس قال لم يشك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يسأل ونحوه عن سعيد بن جببر والحسن البصري وعن قتادة قال ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لا أشك ولا أسأل وهو مرسل (عما) أي في شك ناشئ عما (أزلنا البك) بأن تشك فيه ومن لا ابتداء أو انه بمعنى من أول الامر قال القاضي عياض في الشفاء احذرت الله قلبك أن يخطر ببالك ما ذكره بعض المفسرين من اثبات شك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما أوحى اليه فحصل هذا لا يجوز عليه اه وقال نعلب والمبرد أي قل يا محمد لا تكفر فان كنت في شك

(٢٦٤ - فتح الباع)

ابن جرير عن بعضهم ولا يصح وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لما نزل موسى بهم بعضي الجبارين ومن معه أنه يعنى بلعام بن بعور وقومه فقالوا ان موسى رجل حديد ومعهم جنود كثيرة وانه ان يظهر علينا هم لمكافأه الله أن يرد موسى ومن معه عنا قال اني ان دعوت الله ان يرد موسى ومن معه ذهبت دنياي وآخرتي فلم ير الوهاب حتى دعا عليهم فسلخه الله ما كان عليه فذلك قوله تعالى فانسلخ منها فاتبعه الشيطان الآية وقال السدي لما انقضت الاربعون السنة التي قال الله فانها محرمة عليهم أربعين سنة بعث يوشع بن نون نبيا فدعا بني اسرائيل فأخبرهم انه نبي وان الله أمره ان يقتل الجبارين فبايعوه وصدقوه وانطلق رجل من بني اسرائيل يقال له بلعام وكان عالما يعلم الاسم الأعظم فكفر لعنه الله واتى الجبارين وقال لهم لا تذهبوا ببني اسرائيل فاني اذا خرجتم قتلناكم ادعوا عليهم دعوة فيهلكون وكان عندهم فيما شاء من الدنيا غير انه كان لا يستطيع ان يأتي النساء يعظمهن فكان ينكح أماناه وهو الذي قال الله تعالى فانسلخ منها وقوله تعالى فاتبعه الشيطان أي استحوذ عليه وعلى أمره فقام أمره وامثله ولهذا قال فكان من الغاوين أي من الهالكين الحائرين البائسين وقد ورد في معنى هذه الآية حديث رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده حيث قال حدثنا محمد بن

مرزوق حدثنا محمد بن بكر عن الصلت بن بهرام حدثنا الحسن بن جندب الجبلي في هذا الحديث ان حذيفة بن عاصي ابن العاتق رضى الله عنه حدثه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما اتخوف عليكم رجل قرأ القرآن حتى اذا قرئت بهجته عليه وكان رداؤه الاسلام اعتزاه لما شاء الله انطع منه وبذره واظفر وروسى على جازي بالسف وروما بالشرك قال قلت يا نبي الله اعم ما اولى بالشرك المرى أو الرأى قال بل الرأى هذا الاستدجيد والصلت بن بهرام كان من ثقات الكوفيين ولم يرم بشئ سوى الاربع وقد وثقه الامام أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهما وقوله تعالى ولو شئنا لرفعناهم واتبع هو اذ يقول تعالى ولو شئنا لرفعناهم أى لرفعناهم من التدنس عن قاذورات الدنيا بالآيات التى آتيناها بها ولكنه أدخل الى الارض أى مال الى زينة الدنيا وزخرفاتها واقبل على لذاتها وتعمها وغر بها فغرت غير من غيرا رأى البصائر والتهى وقال أبو الراهوية في قوله تعالى ولكنه أدخل الى الارض قال تزناؤه الشيطان على عذوة قطرة بانياس فحدثت الجمار لله وسجد بلعام للشيطان وكذا قال عبد الرحمن بن جبير بن نفير وغير واحد وقال الامام أبو جعفر بن جرير رحمه الله وكان من قصة هذا الرجل ما حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا المعتمر عن أبيه أنه سئل عن هذه الآية وان قال جعفر بن جرير رحمه الله وكان من قصة هذا الرجل ما حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا المعتمر عن أبيه أنه سئل عن هذه الآية وان قال عليهم نبا الذى آتيناها آياتنا فحدث (٢٦٦) عن سارائه كان رجلا يقال له بلعام وكان يحجاب الدعوة قال وان موسى

(فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) يعنى سلمى أهل الكتاب كعبه الله بن سلام وأمثاله وقد كان عبدة الاوثان يعترفون لليهود بالعلم ويقرون بأنهم أعلم منهم فأمر الله سبحانه نبيه أن يرشد الشاكين فعائزته الله به من القرآن أن يسألوا أهل الكتاب الذين قد أسلموا فانهم سيخبرونهم بأنه كتاب الله حق وان هذا رسوله وان التوراة شاهدة بذلك ناطقة به فان ذلك تحقق عندهم ثابت في كتبهم والمراد اظفار بنوته عليه السلام بشهادة الاخبار وفي هذا الوجه مع حسنة مخالفة لظاهر قال الزجاج ان الله خاطب الرسول وهو شامل للخلق وهذا وجه حسن أيضا لكن فيه بعد لان الرسول متى كان داخل في هذا الخطاب كان اليراد موجودا او الاعتراض وارادا وقيل ان في قوله فان للشيء أى ما أتت في شك حتى تسأل وهذا أبعد وقال القتيبي المراد بهذه الآية من كان من الكفار غير قاطع بتكذيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا تصدقه بل كان في شك وقيل المراد بالخطاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا غيره والمعنى لو كنت ممن يلحقه الشك فيما أخبرناك به فسألت أهل الكتاب لازلوا اعنك الشك وقيل الشك هو ضيق الصدر أى ان ضاق صدرك بكفر هؤلاء فاصبر وسألت يخبرونك بصبر من قبلك من الانبياء على أدى قومهم وقيل معنى الآية الفرض والتقدير كأنه قال له فان وقع لك شك مثلا وخيل لك الشيطان خياله بتقدير فاسأل فانهم سيخبرونك عن نبوتك وما نزل عليك ويعترفون بذلك لانهم يجدونه

أقبل في بني اسرائيل يريد الارض التى فيها بلعام أو قال الشام قال فرعب الناس منه رعبا شديدا فأتوا بلعام فقالوا ادع الله على هذا الرجل وجيشه قال حتى أو امر ربى أو حتى أو امر قال فواهر بالدعاء عليهم فقيل لا تدع عليهم فانهم عبادى وفيهم نبيهم قال فقال لقومه انى قد واهرت ربي في الدعاء عليهم وانى قد نذيت فأعدوا له مذبة فقبلها ثم راجعوه فقالوا ادع عليهم فقال حتى أو امر ربي فواهر فلم يوح اليه شئ فقال قد واهرت ولم يجسر الى شئ قال فقالوا لو كره ذلك أن تدعوا عليهم لنهالك كما نهالك المرة الاولى قال فأخذ يدعوا عليهم فأذا دعا عليهم

جرى على لسانه النداء على قومهم واذا أراد أن يفتح لقومه دعاء يفتح لموسى وجيشه أو نحوهم ذان شاء الله قال مكروا فقالوا ما نزال ندعوا لعلمنا قال ما يجرى على لسانى الا هكذا ولودعوت عليه أيضا ما استجب لى ولكن سادكم على أمر عسى أن يكون فيه خلاصهم ان الله يغيث الزناطين ان وقعوا في الزناط لكو او رجوت أن يهلكهم الله فانخرجوا النساء تستقبلهم فانهم قوم مسافرون فعسى أن يوافيهم لكو قال فتبعوا فانخرجوا النساء تستقبلهم قال وكان له ملك انفذ كرم عظيم ما شاء الله قال فقال انوهاو بلعام لا عكني فقدك الامن موسى وأوقعوا في الزناط قال فأناها رأس سبط من اسباط بني اسرائيل فأرادها على نفسها قال فقالت ما أنا بمكة نفسى الامن موسى فقال ان منزلي كذا وكذا وان من حالى كذا وكذا قال فأرسلت الى ابيها تستأمره قال فقال ليها ما كنته قال وياتيها سمار رجل من بني حرون ومعه الخمر فيقطعها قال وايد الله بهوة فاستظميها جعلا ووقعها على رحمة قرأها الناس أو كما حدث قال ووسط الله عليهم الطاعون فأتت منهم سبعون الفا قال المعتمر فحدثني سار ان بلعاما ركب جارا له حتى أتى العوى (١) أو قال طريقا من العلى جعل يضربها ولا تقدم وفاتت عليه فقالت علام تضربنى أم ترى هذا الذى بين يديك فاذا الشيطان بين يديه قال فنزل وسجد له قال الله تعالى واتل عليهم نبا الذى آتيناها آياتنا فانسلخ منها الى قوله لعلي

يتفكرون قال خذني بهذا سار ولا أدري اعله قد دخل فيه شي من حديث غيره قلت هو يعلم ويقال يعلم بن باعوراء ويقال ابن ابر
 ويقال ابن باعور بن شهوم بن قوشم بن ماب بن لوط بن هاران ويقال ابن حران بن آزر وكان يسكن قرية من قرى البلقاء قال ابن
 عساكر وهو الذي كان يعرف اسم الله الاعظم فانسح من دينه لذكر في القرآن ثم اورد من قصته نحو الحمد كراهة الورد
 عن وهب وغيره والله أعلم وقال محمد بن اسحق بن يسار عن سالم بن النضر انه حدث ان موسى عليه السلام لما نزل في ارض كنعان
 من ارض الشام أتى قوم يعلم اسم الله فقالوا له هذا موسى بن عمران بن بني اسرائيل قد يخرج جناس من بلادنا ويقتلنا ويحلبها
 اسرائيل واناقومك وليس لنا منزل وانت رجل محباب الدعوة فاخرج فادع الله عليه قال ويلكم بني الله معه الملائكة والمؤمنون
 كيف اذهب ادعوا عليهم وانا اعلم من الله ما اعلم قالوا له الملائكة انهم لم يرفعوا رايهم عن الله حتى قدسوه فافتن فركب
 حماره متوجها الى الجبيل الذي يطعمه على عسكر بني اسرائيل وهو جبل حسيبان فلما سار عليه اغير كثير ربضته فنزل عنها
 فضر بها حتى اذا انزلها قامت فركبها فلم تسره كثيرا حتى ربضت به فضر بها حتى اذا انزلها اذن لها فكلمته بحجة عليه فقالت
 ويحك يا يعلم أين تذهب اما ترى الملائكة اما ترى اني تردني عن وجهي هذا (٢٦٧) تذهب الى بني الله والمؤمنين لتدعوا عليهم فلم يزع
 عنها فضر بها فغلي الله سبيلها حين
 فعل بها ذلك فانطلقت به حتى اذا
 اشرفت به على رأس حسيبان على
 عسكر موسى وبني اسرائيل جعل
 يدعوا عليهم ولا يدعوا عليهم بشئ
 الاصر فاجاب السانة الى قومه ولا يدعوا
 لقومه بخير الاصر فاسانه الى بني
 اسرائيل فقال له قومه اذكري يا يعلم
 ما قسنت على اعدائهم وتدعوا
 علينا قال فهدا ما املك هذا شي
 قد قلب الله عليه قال وانزع اسانه
 فوقع على صدره فقال لهم قد ذهبت مني
 الآن الدنيا والآخرة ولم يبق الا
 المكر والحيلة فساءموا كرموا واحتال
 جاولا النساء واعطوهن السلع ثم
 ارسلوهن الى العسكر يبعنهن فبسه

مكتوبا عندهم وقد زال فيمن أسلم منهم ما كان مقتضيا للكم عندهم (لقد) أي أقسم لقد
 (جاءك الحق من ربك) وفي هذا بيان ما يطلع الشك من أصله ويذهب به بحجته وهو
 شهادة الله سبحانه بأن هذا الذي وقع الشك فيه على اختلاف التفاسير في الشك هو الحق
 الذي لا يخاطه باطل ولا تشوبه شبهة ثم عقبه بالنهي للنبي صلى الله عليه وسلم عن الامتراء
 فقال (فلا تكون من الممتريين) فبدأ أنزل الله عليك بل تستمر على ما أنت عليه من اليقين
 واتقاء الشك ويمكن أن يكون هذا النهي له تعريضا لغيره كإف مواطن من الكتاب
 العزيز وهكذا القول في نه صلى الله عليه وسلم عن التكذيب في قوله تعالى (ولا تكون
 من الذين كذبوا بآيات الله) فان الظاهر فيه التعريض ولا سيما بعد تعقيب به بقوله
 (فكفون من الخاسرين) وفي هذا التعريض من الزجر للممتريين والمكذابين ما هو أبلغ
 وأوقع من النهي لهم أنفسهم لانه اذا كان ينهى عنه من لا يتصور صدوره عنه فكيف
 عن يمين منه ذلك (ان الذين حققت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون) قد تقدم مثله في هذه
 السورة والمعنى انه حق عليهم قضاء الله وقدر بانهم يصرون على الكفر ويعبون عليه
 لا يقع منهم الايمان بحال من الاحوال وان وقع منهم ماصورة صورة الايمان كن يؤمن
 منهم عند معاينة العذاب فهو في حكم عدم قال مجاهد حق عليهم بخط الله بما عصوه
 وقيل لعنة الله وقيل الكلمة هي قوله خلقت هؤلاء النار ولا أبالي (ولو جاءهم كل آية) من

ومروهن فلا تنفع امرأه نفسها من رجل ارادها فافهم ان زنى رجل منهم واحد كفيقوهم ففعلوا فلما دخل النساء العسكر مررت
 امرأتهن الكنعانيات اسمها كستي ابنة صور رأس امته برجل من عظماء بني اسرائيل وهو زمرى بن شافوم رأس سبط شعرون
 ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام فلما راها اعجبته فقام فأخذ يدها واتى بها موسى وقال انى اظنك ستعقل هذا حرام
 عليك لا تقربها قال اجل هي حرام عليك قال فوالله لا طبع لك في هذا فدخل بها قبسته فوقع عليه وارسل الله عز وجل الطاعون
 في بني اسرائيل وكان فمخاض بن العيزار بن هرون صاحب امر موسى وكان غابا حين صنع زمرى بن شافوم ما صنع فجاءه الطاعون
 يجوس فيهم فاخذ بن الخبز فاخذ خبزه ووككانت من حديد كلها ثم دخل القبة وهما امتضا جعانا فانتظمهما بجرحه ثم خرج
 بهما رافعهما الى السماء والحرية قد أخذها ذراعاه واعدت رقبته على خاصرته وأسندت الحربة الى لحيه وكان بكرا العيزار وجعل
 يقول اللهم هكذا تفعل بنى بصيصك ورفع الطاعون فغضب من هلك من بني اسرائيل في الطاعون فيما بين ان اصاب زمرى
 المرأة الى ان قتله ففماض فوجده قد هلك منهم سبعون ألفا والمقل لهم يقول عشرة ونألفا في ساعة من النهار فن هلك تعطى
 بنو اسرائيل ولا فمخاض من كل ذبحة ذبحوها الرقة والذراع والحي والبكر من كل أموالهم وأنفسهم لانه كان بكرا أبيه العيزار

[illegible]

يكونون لعنوا فان الله قد اعطاهم
عليهم وسيرهم على من عبداهم من
الاعراب وجعل يأيدهم صفحة محمد
صلى الله عليه وسلم يعرفونها كما
يعرفون آبائهم قوم أحق الناس
وأولاهم بأبائهم ومناصرتهم
وموازنتهم كما أخبرتهم أنبياءهم بذلك
وأمرهم به ولقد آمن خالف منهم
ماني كذبوا وكفه فلم يعلهم به العباد
أحل الله به ذلالي الدنيا ووصولا لذل
الآخرة وقوله سامعنا القوم الذين
كذبوا بآياتنا يقول تعالى سامعنا
مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا
سامعنا ان شهروا بالكلاب الذين
لا هم تلوم الا في حصيل أكلة او
شهوة من خرج عن حيز العلم والهدى

قدرة قادر الخلق قبل ان يخلق السموات والارض بضعين اَلْفَ سَنَةٍ كان عرشه على الماء وفي صحيح مسلم ايضا من حديث عائشة بنت طلحة عن خاتمة اَعائشة اُم المؤمنين رضى الله عنها انها قالت دعى النبي صلى الله عليه وسلم الى جنازة صبي من الانصار فقلت يا رسول الله طوي له عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه فقال رسول صلى الله عليه وسلم أو غير ذلك يا عائشة ان الله خلق الجنة وخلق فيها أهلا وهم في أصلاب آياتهم وخلق النار وخلق فيها أهلا وهم في أصلاب آياتهم وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود ثم بعث الله اليه الملك فيومر بأربع كلمات فكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أم سعيد وتقدم ان الله لما استخرج ذرية آدم من صلبه وجعلهم فريقين أصحاب اليمين وأصحاب الشمال قال هؤلاء الجنة ولا يأبى ودخلوا النار ولا يأبى والاحاديث في هذا كثيرة ومستقلة القدر كبيرة ليس هذا موضع بسطها وقوله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون وهم لا يسمعون به اعني ليس ينفقون بشئ من هذه الجوارح التي جعلها الله سبيلا للهداية كما قال تعالى وجعلناهم سمعا وبصارا لو افقهوا ما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفقدهم من شئ إذ كانوا يحسدون بآيات الله الآية وقال تعالى صم بكم عني فهم لا يرجعون هذا في حق المنافقين وقال في حق الكافرين صم بكم عني فهم لا يعقلون ولم يكونوا صاموا ولا بكم (٢٦٩) ولا عيا الا عن الهدي كما قال تعالى ولو علم الله

فيهم خيرا لاسمعهم ولو آفهمهم لتولوا وهم معرضون وقال فانهم لا تسمى الابصار ولكن تسمى القلوب التي في الصدور وقال ومن يعش عن ذكر الرحمن نقض له شيطانا فاهوله قرين وانهم لصدوفهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون وقوله تعالى أولئك كالانعام أي هؤلاء الذين لا يسمعون الحق ولا يعون ولا يبصرون الهدي كالانعام السارحة التي لا تنفع هذه الخواس منها الا في الذي يقبضها في ظاهر الحياة الدنيا كقوله تعالى ومثل الذين كفروا كمثل الذين ينعق بما لا يسمع الادعاء ونداء أي ومثالهم في حال دعائهم الى الايمان كمثل الانعام اذا دعاهاراعيا لا تسمع

قبل حلولهم (كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا) هو العذاب الذي كان قد وعدهم يونس انه سيزل عليهم ولم يروا والذي قد راوا علامات دون عينه (ومتعناهم الى حين) أي بعد كشف العذاب عنهم متعهم الله في الدنيا الى حين معافهم قدره لهم أي الى وقت انقضاء اَجالهم قال قتادة لم يكن هذا في الامم قبل قوم يونس لم ينفع قومه كفترت ثم آمنت حين ما بنت العذاب الا قوم يونس وذكرنا ان قومه كانوا يشنؤن من أرض الموصل فلما فقدوا نبيهم قدفى الله في قلوبهم التوبة وبحت في ذلك الزجاج فقال انه لم يقع بهم العذاب وانما راوا علامته ولوروا وعين العذاب لما تنفعهم الايمان قال القرطبي وهو كلام حسين فان المعاييس التي لا ينفع معها الايمان هي التلبس بالعذاب كقصه فرعون وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان يونس دعا قومه فلما أبوا أن يحييوه وعدهم العذاب فقال انكم بآيتكم يوم كذلو كذا ثم خرج عنهم وكانت الانبياء اذا وعدت قومها العذاب خرجت فلما أظلم العذاب خرجوا بفقر قوا بني المرأة وولدها والسجدة ولدها وخرجوا يرجون الى الله وعلم الله منهم الصدق فتاب عليهم وصرف عنهم العذاب وقعد يونس في الطريق يسأل عن الخبر فربه رجل فقال ما فعل قوم يونس فحدثه بما صنعوا فقال لا أربح الى قوم قد كذبتم وانطلق مغاضبا يعنى مر انما وعن سعيد بن جبيرة قال غشى قوم يونس العذاب كما يغشى القبر بالنوب اذا

الاصوته ولا تفقه ما يقول ولهذا قال في هؤلاء بل هم أضل أي من الدواب لانها قد غشيت مع ذلك راعيا اذا أبس بها وان لم تفقه كلامه بخلاف هؤلاء لانها تفعل ما خلقت له اما تطعمها واما تشكرها واما تحياها بخلاف الكافر فانه انما خلق ليعبد الله ويوحده فكفر بالله وأشرك به ولهذا من أطاع الله من البشر كان أشرف من مثله من الملائكة في معادهم ومن كفر به من البشر كانت الدواب أتم منه ولهذا قال تعالى أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون (ولله الاسماء الحسنى) فأدعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تسع وتسعون اسما مائة الاو احدا من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر أخرجه في الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة عن أبي الزناد عن الأعرج عنه ورواه البخاري عن أبي اليان عن شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد به وأخرجه الترمذي عن الجوزجاني عن صفوان بن صالح عن الوليد بن مسلم عن شعيب بن كره بسنده مثله وزاد به صدقوله يجب الوتر هو الله الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير والحيكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت

الحبيب الجليل الكريم الرقيب الشبيب الواسع الحكيم الردود الجيد الباعث الشهد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي
 المبدئ المعيد المحيي المميت الخالق القويم الواحد الماحد الواحد الأحد الفرد الصمد القادر المقدر المقتدر المقدم المؤخر الأول الآخر
 الظاهر الباطن الزاوي المتعالي البر التبارك المتقن العز الرؤف مالك الملك ذو الجلال والاكرام الملقب بالجامع الغني المغني المانع
 المنار النافع التور الوهابي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور ثم قال الترمذي هذا حديث غريب وقد روى عن غيره وجهه عن
 أبي هريرة ولا فقه في كثير من الروايات ذكر الاسماء الا في هذا الحديث ورواه ابن حبان في صحيحه من طريق صفوان بن وهب وقد رواه
 ابن ماجه في سننه من طريق آخر عن موسى بن عبيدة عن الاعرج عن أنس بن مالك عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
 والذي عول عليه جماعة من الحفاظ ان سرد الاسماء في هذا الحديث مدرج فيه وانما ذلك كإرواء الوليد بن مسلم وعبد الله بن
 محمد الصنعائي عن زهير بن محمد انه بلغه عن غيره واحد من أهل العلم انهم قالوا ذلك أي انهم جمعوه من القرآن كما روى عن جعفر بن
 محمد وسفيان بن عيينة وثاني زيد اللخوي واقل علم ثم علم ان الاسماء الحسنى غير متحصرة في تسعة وتسعين بل دليل من ارواه الامام أحمد
 في مسنده عن يزيد بن هرون عن فضيل (٢٧٠) بن مرزوق عن أبي سلمة الجهني عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله

ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم انه قال
 ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن
 فقال اللهم اني عبدك ابن عبدك ابن
 أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك
 عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو
 لك سميت به نفسك وأمرت به في كتابك
 أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به
 في علم الغيب عنك ان تجعل القرآن
 العظم سيرا يبع قلبي ونور صدرى
 وجلا حزني وذهاب همي الأذهب
 الله حزنه وهدمه وأبدل مكانه فرحا
 فقيل يا رسول الله أفلا نتعلمها فقال
 بلى ينفعي لكل من سمعها ان يتعلمها
 وقد أخرجه الامام أبو حاتم بن حبان
 البستي في صحيحه عنه وذكره الفقيه

دخل فيه صاحبها ومطرت السماء دما عن ابن عباس ان العذاب كان هبط على قوم
 يونس لم يكن بينهم وبينه الا قدر ثلثي ميل فلما دعوا كشفه الله عنهم وقال قتادة قد رمل
 وقال وهب غامت السماء غما اسودها لئلا يدخلن دحشا فاشد دبحا فسطح حتى غشي مدينتهم
 واسودت أسطحهم فقاتلوا وأخلصوا النبي ففرجهم ربهم وكشف ما نزل بهم من العذاب
 بعدما أظلمهم وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء وكان يوم الجمعة قيل انهم قالوا يا حي يا قيوم
 ويا حي يحيي الموتى ويا حي لا اله الا انت وقيل قالوا اللهم ان ذو ساقدة عظمت وحلت
 وأنت أعظم وأجل فافعل بنا ما أنت أرحم وأفضل بنا ما نحن أهل له قاله الفضيل بن عياض
 والله أعلم ما قالوه ثم بين سبحانه ان الايمان وضده كلاهما بمشيئة الله وتقديره فقال (ولو شاء
 ربك لآمن من في الارض كلهم) بحيث لا يخرج عنهم أحد (جميعا) مجمعين على الايمان
 لا يتفرقون فيه ولا يختلفون ولا يكفرون به لا يشكك في ذلك لكونه مخالفا للمصلحة التي أرادها الله
 سبحانه قال لا تخشوا جابقه قوله جميعا بعد كلهم للتأكد كيد كقوله لا تتخذوا الهين اثنين
 وقيل أي به مع ان كلامها يفيد الاطاعة والتمسك بالدلالة على ان وجود الايمان منهم
 بصفة الاجتماع الذي لا يدل عليه كلهم ذكره الكرخي ولما كان النبي صلى الله عليه وآله
 وسلم حريصا على ايمان جميع الناس أخبره الله بان ذلك لا يكون لان مشيئته بخلافه
 على الحكمة البالغة والمصالح الراجحة لا تقتضي ذلك فقال (أفأنت تكفر بالناس)

الامام أبو بكر بن العري أحد أئمة المالكية قاله الاحوذى في شرح الترمذي ان بعضهم جمع من الكتاب استفهام
 والسنة من أسماء الله ألف اسم فاته أعلم وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى وذروا الذين يلحدون في أسمائه قال اشتقوا اللات
 من الله واشتقوا العزى من العزيز وقال قتادة يلحدون يشركون في أسمائه وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الخاد التكرير
 وأصل الخاد في كلام العرب العدول عن القصد والميل والجور والانحراف ومنه الخد في القبر لا يخرج عنه الى جهة القبلة عن
 سميت الحفر (ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) يقول تعالى ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون
 بالحق يقولونه ويدعون اليه وبه يعدلون بعمادون يقضون وقد جاء في الآثار ان المراد بهذه الأمة المذكورة في الآية هي هذه الأمة
 المنجية قال سعيد بن قتادة في تفسير هذه الآية بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا قرأ هذه الآية هذه لكم وقد أعطى
 القوم بين أيديكم منكم ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس في قوله تعالى
 ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من أمي قوم على الحق حتى ينزل عيسى بن
 مريم حتى يمازوا في الصحيحين عن معاوية بن أبي سفيان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي على الحق

ظاهر ين البصر هم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة وفي رواية يأتي أمر الله تعالى على ذلك وفي رواية وهم بالشام
 (والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملئ لهم آياتنا من حيث لا يحسبون) يقول تعالى والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم
 من حيث لا يعلمون ومعناه انه يفتح لهم أبواب الرزق ووجوه المعاش في الدنيا حتى يغتروا بها فيه ويعتقدون انهم على شيء كما قال
 تعالى فلما نسوا ما ذكروا به نتجنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرجوا عما كانوا اخذناهم به فتغاثروا في الجبال كالشجر الذي يقطع دابر القوم الذين
 ظلموا والحمد لله رب العالمين ولهذا قال تعالى وأملئ لهم آياتنا من حيث لا يحسبون وأملئ لهم آياتنا من حيث لا يحسبون أي قوى شديد (أولم
 يتفكروا ما ابصاحهم من جنة ان هو الاذير مبين) يقول تعالى أولم يتفكروا ما ابصاحهم يعني محمد صلى
 الله عليه وسلم من جنة أي ليس به جنون بل هو رسول الله حقا ودعالي حق ان هو الاذير مبين أي يظهر لمن كان له قلب ويعقل
 به ويحي به كما قال تعالى وما صاحبكم بمجنون وقال تعالى قل انما أعظمكم بواحدة ان تقولوا الله متنى وفرادى ثم تتفكروا ما ابصاحكم
 من جنة ان هو الاذير لكم بين يدي عذاب شديد يقول انما أعظمكم بواحدة ان تقولوا الله قسيما ما خالص الله ليس فيه تعصب
 ولا عناد متنى وفرادى أي محبة عين ومتفرق ثم تتفكروا في هذا الذي (٢٧١) جاءكم بالرسالة من الله أنه حمون أم لا فانكم
 اذا فسلمت ذلك بان لكم وظاهر لكم
 انه رسول الله حقا وصدقا وقال
 قتادة بن دعامة ذكرونا ان نبي الله
 صلى الله عليه وسلم كان على الصفا
 فدعا قريشا فجعل يبخذهم فخذ الخذا
 ياخي فلان ياخي فلان فخذهم فخذهم
 الله وقائع الله فقال قائلهم ان
 صاحبكم هذا مجنون بات بصوت
 الى الصباح أوحى أصبح فأمر الله
 تعالى أولم يتفكروا ما ابصاحهم من
 جنة ان هو الاذير مبين (أولم ينظروا
 في مذكوت السموات والارض وما
 خلق الله من شيء وان يكون
 قد اقترب آجالهم فمآبهم
 يومنون) يقول تعالى أولم
 هؤلاء المكذبون بآياتنا في ملك الله

استقام تأديب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أي أنكروهم عما يشاء الله منهم (حتى
 يكونوا مؤمنين) فان ذلك ليس في وسعنا يا محمد ولا اخل تحت قدرتك وفي هذا تسلية له
 صلى الله عليه وآله وسلم ودفع لما يضييق به صدره من طلب صلاح الكل الذي لو كان لم
 يكن صلاحا محققا بل يكون الى الفساد أقرب والله الحكمة البالغة وابلأه الاسم حرف
 الاستفهام للاعلام بان الاكراه ممكن مقدور عليه وانما الشأن في المكر من هو وما هو
 الا هو وحده لا يشرك فيه لانه هو القادر على ان يخلق في قلوبهم ما يضطرون عنده الى
 الايمان وذلك غير مستطاع للبشر ثم بين سبحانه ما تقدم بقوله (وما كان) أي ما صح وما
 استقام (من النفس) من الانفس (ان تؤمن الا بالاذن الله) أي تسهيله وتيسيره ومشيئته لذلك
 فلا يقع غير ما يشاء كما انما كان (ويجعل الرجز) يكسر الراء وضهما للفتان أي العذاب
 أو السخط أو الكفر أو الخذلان الذي هو سبب العذاب وهذا معطوف على محذوف
 كأنه قيل فيأذن لبعضهم في الايمان ويجعل الجزاء المضارع في المعطوف والمعطوف عليه
 بمعنى الماضي والمراد بقوله (على الذين لا يعقلون) هم الكفار الذين لا يعقلون حجج الله
 ولا يتفكرون في آياته ولا يتدبرون فيما نصبه لهم من الأدلة (قل انظروا) بضم اللام
 وكسر هاء سبعين (ما ذى السموات والارض) ما بين سبحانه ان الايمان لا يحصل

وسلطانه في السموات والارض وفيما خلق من شيء ما في تدبروا ذلك ويعتبروا به ويعلموا ان ذلك لمن لا نظير له ولا شبهة ومن فعل
 من لا ينبغي أن تكون العباد والدين الخالص الا له فيؤمنوا به ويصدقوا رسوله وينسوا الى طاعته ويخضعوا له ولا يندادوا الاوران ويحذروا
 أن تكون آجالهم قد اقتربت فيهلكوا على كفرهم ويصروا الى عذاب الله وأليم عقابه وقوله فمآبهم حديث بعده يؤمنون يقول فمآبهم
 يخوف وتحذير وترهيب بعد تحذير محمد صلى الله عليه وسلم وترهيبه الذي آتاهم به من عند الله أي كذب يصدقون ان لم يصدقوا
 بهذا الحديث الذي جاءهم به محمد من عند الله عز وجل وقدرى الامام أحمد عن حسن بن موسى وعثمان بن مسلم وعبد الصمد بن
 عبد الوارث كلهم عن جابر بن سلمة عن علي بن زيد بن جندب عن أبي الصلت عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 رأيت ليلة أسري بي كذا قالوا انهم تنالوا السماء السابعة فظنرت فوقها انار عدو برق وصواعق قال وايت على قوم بطونهم
 كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الشياطين يحومون على أعين بني آدم ان لا تتفكروا في
 أسفل منى فاذا انى بهج ودخان وأصوات فقلت ما هذا يا جبريل قال هؤلاء الشياطين يحومون على أعين بني آدم ان لا تتفكروا في
 مذكوت السموات والارض ولولا ذلك لاروا العجايب على بن زيد بن جندب عن أبي الصلت عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ويدرج في طعامهم يعمهون) يقول تعالى من كتب عليه الصلاة فإنه لا يدنيه أحد ولو نظر لنفسه قضاهاه لا يجوز عنه شأ من
 برده الله تنته فلن تعالى من الله شأ قال تعالى قل انظر ولماذا في السموات والارض وما تعصى الايات والتدبر في قوم لا يؤمنون
 (يسألونك عن الساعة أيان من ساء هل انما عليها عند رب لا يعلم الا الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يقول تعالى يستأثرون عن الساعة كالقائل تعالى يسألونك عن الساعة
 عن الساعة قبل نزول في قرش وقيل في قمر من اليه ودوا لا أول أشبهه لان الآية مكية وكذا يسألون عن وقت الساعة استبعادا لوقوعها
 وتكذيبا لوجودها كما قال تعالى ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين وقال تعالى يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا
 مشفقون منها ويعلمون أنها الحق الا ان الذين جاوروا في الساعة لن يضرهم ولا يبعد وقوله آيات من ساء هل انما عليها عند رب لا يعلم الا الله امر تعالى
 عباس منهاها أي متى يحطها وآيات آخر مدة الدنيا الذي هو أول وقت الساعة قل انما عليها عند رب لا يعلم الا الله امر تعالى
 رسوله صلى الله عليه وسلم اذا سئل عن وقت الساعة ان يرد عليه الى الله تعالى فإنه هو الذي يعلمها والوقت الاخر امر تعالى
 يكون على الكذب لا يعلم ذلك الا هو تعالى (٢٧٢) ولهذا قال ثقلت في السموات والارض قال عبد الرزاق عن معمر بن قنادة في قوله

ثقلت في السموات والارض قال ثقل
 عليها على أهل السموات والارض
 انهم لا يعلمون قال معمر قال
 الحسن اذا جاءت ثقلت على أهل
 السموات والارض يقول كبرت
 عليهم وقال الغضائري عن ابن عباس
 في قوله ثقلت في السموات والارض
 قال ليس شيء من اخلق الا يصيبه
 من ضرر يوم القيامة وقال ابن جريج
 ثقلت في السموات والارض قال
 اذا جاءت انشق السماء واستمرت
 النجوم وكورت الشمس وسيرت
 الجبال وكان ما قال الله عز وجل
 فذلك ثقلها واختار ابن جرير
 الله أن المراد ثقل علم وقتها على أهل
 السموات والارض كما قال قتادة
 وهو كما قاله كقوله تعالى لا تأتكم

الا بئس الله أمر بالنظر والاستدلال باللائل السماوية والارضية والمراد بالنظر
 التفكير والاعتبار أي قل يا محمد الكفار تفكروا واعتبروا بما فيهم من المصنوعات والآيات
 على الصانع وحده وكما قدرته ثم ذكر سبحانه ان التفكير والتدبر في خلقه اللدلائل
 لا ينفع في حق من استحكمت شقاوته فقال (وما تنفعي) أي ما تنفع على ان ما تأتونه هذا
 هو الظاهر ويجوز أن تكون استفهامية أي أي غنى تغني (الآيات) هي التي عبرها
 بقوله ماذا في السموات والارض في الكلام اظيار في مقام الاختصار والجملة اماحالة
 أو اعتراضية بنوع ايضاح (والنذر) جمع نذير وهم الرسل أو جمع انذار وهو المصدر (عن
 قوم لا يؤمنون) في علم الله سبحانه والمعنى ان من كان هكذا لا يجدي فيه شيء ولا يدفع عن
 الكفر دافع (فويل ينتظرون الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم) أي فيل ينتظرون هؤلاء
 الكفار المعاصرون محمد صلى الله عليه وآله وسلم شكك فيهم الا مثل وفاء الله سبحانه
 بالكفار الذين خلوا من قبل هؤلاء قوم نوح وعاد وثمود فقد كان الانبياء المقدمون
 يتوعدون كفار زمانهم بأيام مشقة على أنواع العذاب وهم يكذبونهم ويصممون على
 الكفر حتى ينزل الله عليهم عذابه ويحبل بهم استقامه والعرب تسمى العذاب أياما والدم
 أما كقوله تعالى وذكرهم بأيام الله ثم قال (قل) يا محمد هؤلاء الكفار المعاصرون
 (فاستروا) أي تبصروا وعد ربكم (أي معكم من المستقرين) لو عد رب في خلقه تهديد

الا بئس ولا ينبغي ذلك ثقل مجيها على أهل السموات والارض والله أعلم قال السدي

ثقلت في السموات والارض يقول خفيت في السموات والارض فلا يعلم قيامها حتى تقوم ساعة مقرب ولا هي من رسل لا تأتكم
 الا بئس سيفهم قيامها تأتكم على عقدة وقال قتادة في قوله تعالى لا تأتكم الا بئس قضى الله أنها لا تأتكم الا بئس قال وذكر لنا ان
 نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ان الساعة تهيج بالناس والرجل يلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقيم سلعته
 في السوق ويخص ميزانه ويرفعه وقال البخاري حدثنا أبو اليان أن أبا نعيم شيب أن أبا نعيم الزناد عن عبد الرحمن بن عوف عن أبي هريرة عن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورأى الناس آمنوا أجمعون فذلك حين
 لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا ولتقوم الساعة وقد شرر الرجلان نرب ما بينهما فلا يبايعانه
 ولا يطايعانه ولتقوم الساعة وقد انصرف الرجل بين لقمة ولا يطعمه ولتقوم الساعة وهو يلح حوضه فلا يسقي فيه ولتقوم
 الساعة والرجل قد رفع كلته الى فيه فلا يطعمها وقال مسلم في صحيحه حدثني زهير بن حرب حدثنا سفيان بن عيينة عن أبي الزناد
 عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة والرجل يلح لقمة فلا يوصل الا انه الى فيه حتى تقوم الساعة والرجل

يتبايعان الذوب فيما يتبايعانه حتى تقوم الساعة والرجل يلوط حوضه فما يصدر حتى تقوم وقوله يسألونك كأنك حفي عنها
 اختلاف المفسرون في معناه فقيل معناه كما قال العوفي عن ابن عباس يسألونك كأنك حفي عنها يقول كأن يذكروهم مودة كأنك
 صديق لهم قال ابن عباس لم أسأل الناس النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة سألوهم سؤال قوم كأنهم يرون أن محمد حفي بهم فأرعى
 الله الباعث عليها عنده أسأله أن يريه قل يطاع الله عليم الملك المبرور لا رسولا وقال قتادة قالت قريرش لمحمد صلى الله عليه وسلم إن بيننا
 وبينك قرابة فأشر الينا متى الساعة فقال الله عز وجل يسألونك كأنك حفي عنها وكذا روى عن مجاهد وعكرمة وأبي مالك والسدي
 وهذا قول الصحيح عن مجاهد من رواية ابن أبي نجيح وغيره يسألونك كأنك حفي عنها قال استخفيت عنها السؤل حتى علم وقتها
 وكذا قال الضمالي عن ابن عباس يسألونك كأنك حفي عنها يقول كأنك عالم بهم الست تعلمها قل انما علمها عند الله وقال معمر عن
 بعضهم كأنك حفي عنها كأنك عالم بما رقد حفي الله عليهم اعل خلقه وقرأ أن الله عنده علم الساعة الآية وهذا القول أرجح في المعنى
 من الاول والله أعلم ولهذا قال قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولهذا ما جابر بل عليه السلام في صورة
 اعرابي يعلم الناس أمر دينهم فجلس من رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢٧٣) مجلس السائل المسترشد وسأله صلى الله

عليه وسلم عن الاسلام ثم عن الايمان
 ثم عن الاحسان ثم قال في الساعة
 قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ما المسؤل عنها بأعلم من السائل
 أي لست أعلم بها مني ولا أحد أعلم
 به مني أحد ثم قرأ النبي صلى الله
 عليه وسلم ان الله عنده علم الساعة
 الآية وفي رواية فسأله عن اشرط
 الساعة فبين له اشرط الساعة ثم
 قال في خمس لا يعلمهن الا الله وقرأ
 هذه الآية وفي هذا كله يقول له بعد كل
 جواب صدقت ولهذا يحب الصحابة
 من هذا السائل يسأله ويصدق ثم
 لما انصرف قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم هذا جابر بل أنا كم يعلمكم
 دينكم وفي رواية قال وما أنا في

شديد وعيد بالغ بأنه سئل منهم ولا ما زل بأولئك من الاهلاك (ثم نبى) بالتشديد بانفاق
 العشرة وقرى بأ تخفيف وهما لغتان فصيحان أنقى نبى انجاء ونقى نبى تخيبة بمعنى واحد
 وشم للعطف على مقدر يدل عليه ما قبله كأنه قيل أهلكا الام ثم نجينا (رسنا) المرسلين اليهم
 (و) نجينا (الذين آمنوا) والتعبير باللفظ النعل المستقبل لاستحضار صورة الحال الماضية
 ثم وبلا امرها (كذلك) صفة لصدر مخدوف أي انجاء مثل ذلك الانجاء وقوله (حقا
 علينا) اعتراض أي حق ذلك علينا حقا أي وجب وتحتم عنتي الفضل والكرم (نبى)
 بالتخفيف والتشديد قراءة ثان سعيان (المؤمنين) من عذابنا للكفار والمراد بالمؤمنين
 الجنس فيدخل في ذلك الرسل واتباعهم أو يكون خاصا بالمؤمنين وهم اتباع الرسل لان
 الرسل داخلون في ذلك بالاولى وقال السيوطي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه
 حين تمذيب المشركين (قل يا أيها الناس) أمر سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم
 بأن يظهر اتيان بين طريقتيه وطريقته المشركين مخاطبا لجميع الناس أولئك افرامهم
 أولا هل مكة على الخصوص بقوله (ان كنتم في شك من ديني) الذي اناعله وهو عبادة الله
 وحده لا شريك له ولم تعلموا بحقيقته ولا عرفتم محمته وانه الدين الحق الذي لا دين غيره
 فاعلموا اني بري من أديانكم التي أنتم عليها (فلا تعبدوا الذين تعبدون من دون الله)

(٢٥ - فتح البيان ح) صورة الاعرفته فيها الاصوره هذه وقد ذكرت هذا الحديث بطرقه وألفاظه من الصحاح
 والحسن والمسانيد في أول شرح البخاري وثله الحمد والملة ولما سأل ذلك الاعرابي وناداه بصوت جهوري فقال يا محمد قال له رسول
 الله صلى الله عليه وسلم هاؤم على نحو من صوته قال يا محمد حتى الساعة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك ان الساعة آتية
 فما أعددت لها قال ما أعددت لها كبير صلاة ولا صيام ولكني أحب الله ورسوله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم المر مع من
 أحب فافرح المسلمون بشي ففرحهم هذا الحديث وهذه الطرق متعددة في الصحيحين وغيرهما عن جماعة من الصحابة عن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم انه قال المر مع من أحب وهي متواترة عند كثير من الحفاظ المتقين فقهه انه عليه السلام انه كان اذا سئل
 عن هذا الذي لا يحتاجون الى علمه أو رشحدهم الى ما هو الالاه في حقهم وهو الاستعداد لوقوع ذلك والتوجه قبل نزوله ولم يعرفوا
 تعيين وقته ولهذا قال مسلم في صحيحه حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب قال حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي
 الله عنها قالت كانت الاعراب اذا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوهم عن الساعة متى الساعة فيمنظر الى أحدث انسان
 منهم فيقول ان يمش هذا لم يدركه الهرم حتى قامت ساعتيكم يعني بذلك موتهم الذي ينفضي بهم الى الحصول في برزخ الدار الآخرة ثم

قال مسلم وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا يونس بن محمد عن جناد بن سامة عن ثابت عن أنس أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن بعش هذا الغلام فعسى أن لا يدرك الهرم حتى تقوم الساعة الفرية مسلم وحدثني خجاج بن الشاعر حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد حدثنا سعيد بن أبي جلال المصري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم قال متى الساعة فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيهة ثم نظر إلى غلام بين يديه من أزد شنوءة فقال إن عمر هذا الميذر كعه الهرم حتى تقوم الساعة قال أنس ذلك الغلام من أتري وقال حدثنا هرون بن عبد الله حدثنا عفان بن مسلم حدثنا همام حدثنا قتادة عن أنس قال قال عمر غلام للمغيرة بن شعبة وكان من ابن أبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن ياخر هذا الميذر كعه الهرم حتى تقوم الساعة قال أنس ذلك الغلام الي ورواه البخاري في كتاب الادب من صحيحه عن عمرو بن عاصم عن همام بن يحيى عن قتادة عن أنس أن رجلا من أهل البادية قال يا رسول الله متى الساعة فذكر الحديث وفي آخره فرغ غلام للمغيرة بن شعبة وذكره وهذا الاطلاق في هذه الروايات محمول على التقيد بما سئلكم في حديث عائشة رضي الله عنها وقال ابن جرير في آخره (٢٧٤) أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول قبل أن يموت بشهر قال تسألوني عن الساعة وأنا غافل عند الله وأقسم بالله ما على ظهر الارض اليوم من نفس تنفوسه تأتي عليها مائة سنة رواه مسلم وفي الصحيحين عن ابن عمر مثله قال ابن عمر وأما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخرج ذلك في القرن وقال الامام أحمد حدثنا هشيم أبينا العوام عن جبلة بن سفيان عن موثر بن عفاة عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لقيت يسا في ابراهيم وموسى وعيسى قال فذا كروا أمر الساعة قال فردوا أمرهم إلى ابراهيم عليه السلام فقال لا علم لي

في حال من الاحوال (ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم) أي أخصه بالعبادة لا أعبد غير من معبوداتكم من الاصنام وغيرها وخص صفة التوفي من بين الصفات لما في ذلك من التهديد لهم أي أعبد الله الذي يتوفاكم فمفعول بكم ما يفعل من العذاب الشديد ولكنه يدل على الخلق أولا وعلى الاعادة ثانيا ولكونه أشد الاحوال شدة في القلوب ولكونه قد تقدم ذكر الالهلاك والوفات النازلة بالكفار من الامم السابقة فكانه قال أعبد الله الذي وعدني باهلا ككم ولما ذكر انه لا يعبد الا الله بين انه ما روي بالاعتان فقال (وأمرت أن أكون من المؤمنين) أي بأن أكون من جنس من آمن بالله وأخلص له الدين (وان أقم وجهك للدين) المعنى ان الله سبحانه أمره بالاستقامة في الدين والناس فيه وعدم التزل عنه بحال من الاحوال وخص الوجه لانه أشرف الاعضاء وأمره باستقبال القبلة في الصلاة وعدم التحول عنها (حقيقا) أي ما نال عن كل دين من الايمان الى دين الاسلام مستقيما عليه غير موعج عنه الى دين آخر ثم كذا الامر المقدم بالهي عن ضده فقال (ولا تكون من المشركين) عطف على اقم داخل تحت الامر وهو من باب التعريض لغيره صلى الله عليه وآله وسلم (ولا تدع من دون الله) على حال من الاحوال (مالا يتبعك ولا يضرك) بشي من النفع والضرا دعوته ودعاه من كان هكذا لا يجب له دعا

ولا به افردوا أمرهم الى موسى فقال لا علم لي به افردوا أمرهم الى عيسى فقال عيسى أما وجبت فلا يعلم أحد الا الله عز وجل وفيما عهد الى ربي عز وجل ان الدجال خارج قال ومعى قضبان فاذا رأي ذاب كما ذوب الرصاص قال فيه لك الله عز وجل اذا رأي حتى ان الشجر والحجر يقول يا مسلم ان تحتي كافرا فقال فاقبله قال فيه لكهم الله عز وجل ثم يرجع الناس الى بلادهم وأوطانهم قال فبعد ذلك يخرج ما جوج وما جوج وهم من كل خدب يسألون فيطون بلادهم لا يؤمن على شي الا اهلكوه ولا يرون على ماء الا شربوه قال ثم يرجع الناس الى قيس كونه فادعوا الله عز وجل عليهم فيهلكهم ويمسحهم حتى تجو والارض من تنزيمهم أي تنز قال فنزل الله عز وجل المطر فقتل أجسادهم حتى تقتلهم في البحر قال الامام أحمد قال بن يزيد بن هرم ثم تنسف الجبال وتعد الارض هذا الايام ثم يرجع الى حديث هشيم قال فقيم عهد الى ربي عز وجل ان ذلك اذا كان كذلك فان الساعة كالحامل المم لا يدري أهلها متى تغيبهم ولادتهم الملائكة وانها ورواه ابن ماجه عن بن تدار عن بن يزيد بن هرون عن العوام بن حوشب بسنده نحوه فهو لا كبرأولى العزم من المرسلين ليس عندهم علم بوقت الساعة على العيني وانما روي الامر الى عيسى عليه السلام فتكلم على اسراطها لا ينزل في آخر هذه الامة سفذا الاحكام رسول الله صلى الله عليه وسلم

يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها الآية وقال في هذه الآية السكينة وجعل منها زوجها
 ليسكن اليها أي ليألفها ويسكن بها كقوله تعالى ومن آتاه من خلقكم من أنفسكم أزواجه لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة
 ورحمة فلا آفة بين زوجين أعظم مما بين الزوجين ولهذا ذكر تعالى أن السحر بما وصل بكيد إلى التفريق بين المزوجين فلما غشاها
 أي وطئها اجلت جلا خفيها وذلك أول الجمل لا تجد المرأة ألما انما هي النطفة ثم الملقحة ثم المغضة وقوله قربت يقال مجاهد استمرت
 عليه وروى عن الحسن وابراهيم النخعي والسدي شعوبه وقال ميمون بن مهران عن أبيه استغفته وقال أيوب سألت الحسن عن
 قوله قربت به قال لو كنت رجلا غير العرف ما هي انما هي استمرت به وقال قتادة قربت به استبان جلاها وقال ابن جرير معناه استمرت
 بالماء قامت به وقعدت وقال العوفي عن ابن عباس استمرت به فسكت أملت أم لا فلما أنقلت أي صارت ذات ثقل يحملها وقال
 السدي كبر الولد في بطنه ادعوا الله ربهم ما أن آتينا صالحا لآي بشر اسويا كما قال النخعي عن ابن عباس أشد فدا أن يكون جمعة
 وكذلك قال أبو بصير وأبو مالك أشقوا أن لا يكون انسانا وقال الحسن البصري لئن آتينا غلاما لانه يكون من الشاكرين فلما
 آتاهما صالحا جعله لشر كما آتاهما (٢٧٦) فمعنى الله عما يشركون ذكر المفسرون ههنا آثارا وأدحايت ما وردت في

ما فيها ثم تنبع ذلك ببيان الصحيح في ذلك أن شاء الله وبه الثقة قال
 الامام أحمد في مسنده حدثنا عبد
 الصمد حدثنا عمر بن ابراهيم حدثنا
 قتادة عن الحسن عن سمرة عن
 النبي صلى الله عليه وسلم قال لما
 ولدت حواء طاف به ابليس وكان
 لا يعيش لها ولد فقال سمعته عبيد
 الحارث فانه يعيش فسميته عبيد
 الحارث فعاش وكان ذلك من وصي
 الشيطان وأمره وهكذا رواه ابن
 جرير عن محمد بن بشار عن يشار
 عن عبد الصمد بن عبد الوارث به
 ورواه الترمذي في تفسيره هذه
 الآية عن محمد بن المنصور عن عبد
 الصمد بن عبد الله وقال هذا حديث حسن

من الضرفانه صفة فعل (يصيبه) أي يفضل أو بكل واحد من الخبر والضر (من
 يشاء من عباده) وجله (وهو الغفور الرحيم) تذييل عن عامر بن قيس قال ثلاث آيات
 في كتاب الله اكثفت بهن عن جميع الخلائق أولهن ان يمسك الله الآية والثانية
 ما يقض الله للناس من رحمة فلا يمسك لها وما يمسك فلا همس له والثالثة ما من دابة في
 الارض الا على الله رزقها أخرجه البيهقي في الشعب وأخرج أبو الشيخ عن الحسن نحوه
 ثم ختم هذه السورة بما تبدل به على قضائه وقدره فقال (قل يا أيها الناس) لاجل أن
 تقطع معذرتهم فهذا من آية الامر (قرباءكم الحق من ربكم) أي القرآن أو الاسلام أو محمد
 صلى الله عليه وآله وسلم (فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه) أي منفعة احدثه الله له فخصه به
 (ومن ضل فانما يضل علما) أي ضرر كفره مقصور عليه لا يتعداه وليس لله حاجة في شيء
 من ذلك ولا غرض يعود اليه ومن في الموضعين يجوز أن تكون شرطية والفاء واجبة
 الدخول وان تكون موصولة والفاء جازية (وما أتاكم عليكم بوكيل) أي يحفظكم يحفظ
 أموالكم ويوكل اليه انما آتاكم بشير ونذير ثم أمره الله سبحانه ان يتبع ما أوامره والأوامر
 والنواهي التي شرعها الله ولا تمتنع فقال (واستمع ما يوحى اليك) ثم أمره بالصبر على أي
 الكفار وما يلاقيه من مشاق التبليغ وما يعاينيه من نوائب أخلاق المشركين ونحوهم
 فقال (واصبر) وجعل ذلك الصبر تمتدا إلى غاية هي قوله (حتى يحكم الله وهو خير

عرب لا يعرفه الا من حديث عمر بن ابراهيم ورواه بعضهم عن عبد

الحاكمين

الصمد ولم يرفعه ورواه الحاكم في مسنده من حديث عبد الصمد مرفوعا ثم قال هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ورواه
 الامام أبو محمد بن أبي حاتم في تفسيره عن أبي زرعة الرازي عن هلال بن قياض عن عمر بن ابراهيم به مرفوعا وكذا رواه والفاظ
 أبو بكر بن مردويه في تفسيره من حديث شاذ بن قياض عن عمر بن ابراهيم به مرفوعا قلت وشاذ هو هلال وشاذ لقبه والقرض ان
 هذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه أحدها ان عمر بن ابراهيم هذا هو المصري وقدره ثقات بن معين ولكن قال أبو حاتم الرازي
 لا يحتج به ولكن رواه ابن مردويه من حديث المعمر عن أبيه عن الحسن عن سمرة مرفوعا والله أعلم الثاني انه قد روي من قول
 سمرة نفسه ليس مرفوعا كما قال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا المعمر عن أبيه حدثنا بكر بن عبد الله عن سليمان التيمي عن
 عبد الأعلى بن الشخير عن سمرة بن جندب قال سمى آدم ابنه عبد الحارث الثالث أن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا فلو كان
 هذا عنده عن سمرة مرفوعا لم يعدل عنه قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا سهل بن يوسف عن عمرو بن الحسن جعله
 شر كما في آتاهما قال كان هذا في بعض أهل المثل ولم يكن بآدم وحده حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا محمد بن نور عن معمر قال قال

الحسن عن يهاذرية آدم ومن أشرك منهم بعده يعني جعله شر كافيها آتاهما وحسد ثابشر حد ثابشر يحد ثابشر عمن
 قتادة قال كان الحسن يقول هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولادافهم ودوا ونصروا وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن رضي الله
 عنه انه فسر الآية بذلك وهو من أحسن التفسير وأولى ما جلت عليه الآية ولو كان هذا الحديث عنده محفوظا عن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لماعدل عنه هو ولا غيره لاسيما مع تقوا الله وورعه فهذا يدل على انه موقوف على الصحابي ويحتمل انه تلقاه من
 بعض أهل الكتاب من آمن منهم مثل كعب أو وهب بن منبه وغيرهما كما سألني يانه ان شاء الله ألا انما ثمان عهدة المرفوع
 والله أعلم فأما الآثار فقال محمد بن اسحق بن يسار عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال كانت حواء تلد آدم عليه
 السلام أولادافبعدهم لئلا يسلمهم عبد الله وعيسى الله ونحو ذلك فيصيبهم الموت فأتاهما إبليس فقال انك لوسميتاهم بغير الذي
 سميتاهم به لعاش قال فولدت له رجلا فسماه عبد الحارث فقبه أنزل الله يقول الله هو الذي خلقكم من نفس واحدة الى قوله جعله
 شريكا فسميا آتاهما الى آخر الآية وقال العوفي عن ابن عباس قوله في آدم هو الذي خلقتكم من نفس واحدة الى قوله ففرت به
 شريك اجلت آدم لافلا انقضت دعوا الله ربهما لئن اتيتسا صالخال تكونن (٢٧٧) من الشاكرين فأتاهما الشيطان

الطائفتين) أي يحكم الله بينهم في الدنيا بالنصرة له عليهم وفي الآخرة بعذابهم بالنار
 وهم يشاهدونه صلى الله عليه وآله وسلم هو وأمه المتبعون له المؤمنون به العامون بما
 يأمرهم به المنهون عما نهاهم عنه سيقبلون في نعيم الجنة الذي لا ينقذ ولا يمكن وصفه
 ولا يوقف على أدنى مزايه وقال مجاهد هذا منسوخ بآمره مجاهد وهم والغلبة عليهم
 وبه قال ابن عباس قال السبيوطي وقد صرح حتى حكم على المشركين بالقتال وأهل
 الكتاب بالجزية اه وأشار بهذا الى قول مجاهد قاله الكرخي
 * (سورة هود عليه السلام وهي مائة وثلاث وعشرون آية) *

فقال هل تدري ان ما يولد لك آدم هل
 تدري ان ما يكون أبهم أم لا وزين
 لهما الباطل انه غوى مبين وقد
 كانت قبل ذلك ولدت ولدين فأتاها
 فقال لهما الشيطان انكما لم
 تسمياهما لي لم يخرج سويا ومات كما
 مات الأول فسميا وادهما عبد
 الحارث فذلك قول الله فلما آتاهما
 صالحا جعله شر كافيها آتاهما
 الآية وقال عبد الله بن المبارك
 عن شريك بن خنيس عن سعيد
 ابن جبيرة عن ابن عباس في قوله فلما
 آتاهما صالحا جعله شر كافيها
 آتاهما قال قال الله تعالى هو الذي
 خلقكم من نفس واحدة وجعل
 منهن أزواجا لعلن يكن لهن

تقشاهما آدم جلت فأتاهما إبليس لعنه الله فقال اني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطعياني أولا جعلن لقرني ايل فيخرج من
 بطون فيشقن ولا فعلن ولا فعلن يخون فهما فسمياهما عبد الحارث فأبانا بطيعاهما فخرج ميثا من جلت الثانية فأتاهما أيضا فقال أنا صاحبكما
 الذي فعلت ما فعلت لنتعلن أولا فعلن يخون فهما فأبانا بطيعاهما فخرج ميثا من جلت الثالثة فأتاهما أيضا فاذكر لهما فاذكر لهما
 حب الولد فسمياهما عبد الحارث فذلك قوله تعالى جعله شر كافيها آتاهما رواه ابن أبي حاتم وقدمت على هذا الاثر عن ابن عباس
 جماعة من أصحابه كجاءه وسعيد بن جبيرة وعكرمة ومن الطبقة الثانية قتادة والسدي وغير واحد من السلف وجماعة من الخلف
 ومن المفسرين من المتأخرين جماعة لا يحصون كثرة والله أعلم أصلا ما خرد من أهل الكتاب فان ابن عباس رواه عن أبي
 ابن كعب كما رواه ابن أبي حاتم حدثنا أبو الجاهر حدثنا سعيد يعني ابن بشير عن عتبة عن قتادة عن مجاهد عن ابن عباس عن
 أبي بن كعب قال لما جلت حواء أتاهما الشيطان فقال لهما اطيعي ويسلم لك ولولدك سميه عبد الحارث فلم تفعل فولدت فأتاها
 جلت فقال لهما مثل ذلك فلم تفعل ثم جلت الثالثة فجاءها فقال ان تطيعي يسلم والافاته يكون جميعه فسمياهما فأتاهما وهذه الآثار
 يظهر عليها والله أعلم انها من آثار أهل الكتاب وقد صرح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا حدثكم أهل

الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ثم أخبرهم على ثلاثة أقسام فمنها ما علمنا صحته بما دل عليه الدليل من كتاب الله أو سنة رسوله ومنها ما علمنا كذبه بما دل على خلافه من الكتاب والسنة أيضا ومنها ما هو مسكوت عنه فهو المأثور في روايته بقوله عليه السلام حدثنا عن بني إسرائيل ولا حرج وهو الذي لا يصدق ولا يكذب لقوله فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وهذا الزهر من القسم الثاني أو الثالث فيه نظر فاما من حدث به من صحابي أو تابعي فانه مراد من القسم الثالث وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله في هذا وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته ولهذا قال الله تعالى الله عما يشركون ثم قال فذكره آدم رجوا أو لا كالتوطئة لما بعده همام بن أبي دينار وهو كالا سطراد من ذكر الشخص إلى الجنس كقوله ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح الآية ومعالم أن المصابيح هي النجوم التي زين بها السماء ليست هي التي يرمي بها وإنما عاذا سطراد من شخص المصابيح إلى جنسه ولهذا نظر في القرآن والله أعلم (أي شركون ما لا يخلق شيأ وهم مخلوقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون وأن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتهم أم أنتم صامتون أن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوههم فليس يجيبواكم (٢٧٨) أن كنتم صادقين ألهم أرجل عشون بها أم لهم أيدي يطشون بها أم لهم أعين

من ذكر القيامة والبعث والحساب والجنة والنار والله أعلم بما عراده رسوله صلى الله عليه وآله وسلم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر) أن كان سرور دأ على سبيل التعسّد كما في سائر فوائج السور فلا محمل له وإن كان اسم السورة فهو في محمل الرفع على أنه مبتدأ وما بعده خبره أو خبر مبتدأ محذوف وهو الظاهر أو في محمل الت نصب بقدر فعل مناسب المقام نحو أذكر أو اقرأ وقوله (كتاب) خبر مبتدأ محذوف أي هذا كتاب ويدل على ذلك قوله في آية أخرى ذلك الكتاب والاشارة لما إلى بعض القرآن أو إلى مجموعهم ومعنى (أحكمت آياته) صارت محكمة متقنة لا نقص فيها ولا تنقص لها البناء المحكم المرفص وقيل معناه أنهم لم تنسخ بخلاف التوراة والإنجيل وعلى هذا فيكون هذا الوصف للكتاب باعتبار الغالب وهو المحكم الذي لم ينسخ وقيل معناه أحكمت آياته بالامر والنهي والآيات المراد بها حقيقتهما وهي الجمل من السور المفصل بعضها عن بعض أي نظمت نظاما متقنا لا يعتريه خلل بوجه من الوجوه وقيل معنى أحكامها أن لا فساد فيها أخذ من قولهم أحكمت الدابة إذا وضعت عليها الحكمة لئلا تمنعها من الجراح (ثم فصلت) بالوعود والوعيد والشواب والعقاب وقيل

ينصرون بها أم لهم أيدي يطشون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تظنون أن أولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون وأن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوا وتراهم ينظرون اليسئ لهم لا يصرون هذا انكار من الله على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره من الأنداد والأصنام والأوثان وهي مخلوقة لله مربوبة مصنوعة لا تلك شيأ من الامر ولا تنصروا تنفع ولا تبصر ولا تبصر لعابديها بل هي جاد لا تنصرف ولا تسمع ولا تبصر وعابدها كل منها يستمعهم

وبصرهم وبطشهم ولهذا قال أي شركون ما لا يخلق شيأ وهم مخلوقون أي أنشركون بهم من المعبودات ما لا يخلق شيأ ولا يستطيع ذلك كقوله تعالى يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له أن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيأ لا يستقدروا منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدره الله حتى قدره الله لقوى عز بن أخير تعالى أن الله لم يولجوا اجتماع كلهم ما استطاعوا خلق ذباب بل ولسببهم الذباب شيأ من حقير الطعام وطارت لما استطاعوا اتقاد منها فمن هذه صفة وحالة كيف يعبدون رزق ويستنصرون ولهذا قال تعالى لا يخلقون شيأ وهم مخلوقون أي بل هم مخلوقون مصنوعون كما قال الخليل أتعبدون ما لا يخون الآية ثم قال تعالى ولا يستطيعون لهم نصرا أي لعابديهم ولا أنفسهم ينصرون يعني ولا أنفسهم ينصرون ممن أرادهم يسوء كما كان الخليل عليه الصلاة والسلام يكسر أصنام قومهم ويهينها غاية الإهانة كما أخبر تعالى عنه في قوله فراغ عليهم ضرب بالبين وقال تعالى فجعلهم جسدًا إذا لا كبير ألهم لعلمهم اليه يرجعون وكما كان معاذ بن عمرو بن الجوح ومعاذ ابن جبل رضي الله عنهما وكانا شابين قد أسلما لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فقائما يبعدون في الدليل على أصنام المشركين يكسرانها ويقتلنهما واحطبا للارامل ليعتبر قومهما بذلك ويرثوا لأنفسهم فكان لعمر بن الجوح وكان سيدا

وفي رواية بسند بن منصور عن أبي معاوية عن هشام عن وهب بن كيسان عن أبي الزبير خذ العفو قال من اخلاق الناس والله لا خذته منهم ما يحبهم وهذا الشهر الاقوال ويشهد له ما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم جميعا حديثا يونس حديثا سفيان هروان عينة عن ابي قال لما اُرسل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خذ العفو ايجز بل قال ان الله امره ان تعفو عن ظلمك وتعطي من حرمك وقصل من قطعك وقد رواه ابن أبي حاتم أيضا عن ابي يزيد القراطيسي كتابه عن اصبع بن القزح عن سفيان عينة عن الشعبي نحوه وهذا امر سهل على كل حال وقد روى له شواهد من وجود آخر وقد روى مر فوعا عن جابر وقيس بن سعد بن عباد عن النبي صلى الله عليه وسلم اسندهما ابن مردويه وقال الامام أحمد حديثا أبو المغيرة حديثا معاذ بن رفاعة حديثي علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة الباهلي عن عتبة ابن عامر رضي الله عنه قال لقبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاندأته فاخذت بيده فقلت يا رسول الله اخبرني بشواغل الاعمال فقال يا عتبة صل من قطعك وأعط من حرمك وأعرض عن ظلمك وروى الترمذي نحوه من طريق عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد به وقال حسن قلت ولكن علي بن يزيد وشيخه (٢٨٠) القاسم ابو عبد الرحمن فيه ما ضعف وقال البخاري خذ العفو وأمر بالعرف

صفة لتذركا تة يريد أنه صفة في الاصل لو تأخر ولكن لما تقدم صار حال الصرح به أو البقاء فصوابه كأنسان جهته وقيل يعود على الكتاب أي تذكركم من مخالفتكم وبشر من آمن وعمل صالحا وقدم الانذار لان الخوف أهم اذ يحصل به الانزجار وقيل هو من كلام الله سبحانه كقوله ويحذركم الله نفسه (وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه) تقدم الارشاد الى الاستغفار على التوبة لكونه وسيلة اليها وقيل ان التوبة من مقامات الاستغفار وقيل معنى استغفروا توبوا ومعنى توبوا اخلصوا التوبة واستقيموا عليها وقيل استغفروا من سالف الذنوب ثم توبوا من لاحقةها وقيل استغفروا من الشر ثم ارجعوا اليه بالطاعة قال الفراء ثم جئنا معنى التوبوا أي توبوا اليه لان الاستغفار هو التوبة والتوبة هي الاستغفار فذكرهما التاكيد وقيل انما قدم ذكر الاستغفار لان المغفرة هي الغرض المطلوب والتوبة هي السبب اليها وما كان آخر افي الحصول كان أولا في الطلب وقيل استغفروا في الصغار وتوبوا اليه في الكبار ثم توب على ما تقدم أمر من الاول (باعتكم متاعا حسنا) أصل المتاع الاطالة ومنه امتنع الله بك فعني الآية يطول نفعكم في الدنيا بما نفع حسنة مرضية موسوعة للرزق ورغد العيش وقيل هو الرضا بالميسور والصبر على المقدور (الى أجل مسمى) الى وقت مقدر عند الله وهو الموت وقيل القيامة وقيل دخول الجنة والاول أولى والاخر الثاني قوله (ويؤت كل ذي فضل) في الطاعة والعمل (فضله) أي

وأعرض عن الجاهلین العرف المعروف حديثا أبو اليمان حديثا شبيب عن الزهري اخبرني عبد الله ابن عبد الله بن عتبة ان ابن عباس رضي الله عنهما قال قدم عينة بن حصن بن حذيفة فقبل على ابن أخيه الحزين قيس وكان من النفر الذين يدينهم عمرو وكان القراء أعجاب مجالس عمرو ومشاورته كيهولا كانوا أو شيئا فقل عينة لابن أخيه ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه قال ساستأذن لك عليه قال ابن عباس فاستأذن الحزين عينة فاذن له عمر فلما دخل عليه قال حتى يا ابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكيم بيننا بالعدل فنضب عمر حتى هم ان يوقع به فقال له الحزين

يا أمير المؤمنين ان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین وان هذا جزء من الجاهلین والله ما جازها عمر حتى تلاها عليه وكان وفا فاعند كتاب الله عز وجل انفرادا بخرجه البخاري وقال ابن أبي حاتم حديثا يونس بن عبد الأعلى قراءة أخبرنا ابن وهب أخبرني مالك عن ابن أنس عن عبد الله بن نافع ان سالم بن عبد الله بن عمر مر على غير لاهل الشام وفيها برس فقال انه هذا ينهى عن الجرس فقالوا نحن أعلم بهذا منك انما يكره الجليل الكبير فاما مثل هذا فلا بأس به فسكت سالم وقال وأعرض عن الجاهلین وقول البخاري العرف المعروف نص عليه عرو بن الزبير والسدي وقائدة وابن جرير وغير واحد وحكى ابن جرير أنه يقال أوليته معروفًا وعارفا وعارفة كل ذلك بمعنى المعروف قال وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأمر عباده بالمعروف ويأمرهم بالاجتماع والطاعات وبالاعراض عن الجاهلین وذلك ان كان أمر النبي صلى الله عليه وسلم فانه تأديب خلقه باحتمال من ظلمهم واعتمد على علمهم لا بالاعراض عن جهل الحق الواجب من حق الله ولا بالصنيع عن كفر الله وجهل وحده انما هو للمسلمين حرب وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین قال هذه اخلاق أمر الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم ودله عليه او قد أخذ بعض الحكماء هذا المعنى فسبك في بيتين فيه ما اجناس فقال

خذ العفو وأمر بعرف كما أمرت وأعرض عن الجاهلين ولن في الكلام لكل الانام * فمن
وقال بعض العلماء الناس رجل محسن فخذوا عفاك من احسانه ولا تكلفه فوق طاقته ولا ما يحرجه وأما ما
لمعروف فان عدا على ضلاله واستعصى عليك واستمر في جهله فأعرض عنه فعمل ذلك أن يرد كيده كما قال تعالى ادفع بالتي هي أحسن
فاذا الذي منك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم أي هذه الوصية وأما ينزغك من
الشیطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم فهذه الآيات الثلاث في الاعراف والمؤمنون وحمل السجدة لأربع لهن فانه تعالى يرشد
فبين الى معاملة العاصي من الامر بالمعروف بالتي هي أحسن فان ذلك يكفه عما هو قسمه من التريداذنه تعالى ثم أرشد تعالى الى
الاستعاذه به من شیطان الجن فانه لا يكفه عنك الاحسان والتعريض بالكل ودمارك بالكلية فانه عدو قمين لا يتركك من قبل قال
ابن جرير في تفسير قوله وما ينزغك من الشيطان نزغ وما يغضبك من الشيطان غضبك عن الاعراض عن الجاهل ويحكمك
على مجازاتهم فاستعذ بالله يقول فاستجب بالله من نزغته سمع عليم سمع لجهل الجاهل عليك والاستعاذه به من نزغته وبغير ذلك
من الكلام خلقه لا يخفى عليه منه شيء عليم عايد هب عنك نزغ الشيطان (٢٨١) وغير ذلك من أمور خلقه وقال عبد الرحمن

ابن زيد بن أسلم لما نزلت خذ العفو
وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين
قال يا رب كيف بالغضب فأمر الله
وأما ينزغك من الشيطان نزغ
فاستعذ بالله انه سمع عليم قلت وقد
تقدم في أول الاستعاذه حديث
الرجلين اللذين تسابحا بحضرة النبي
صلى الله عليه وسلم فغضب أحدهما
حتى جعل أنفه يترغ غضبا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اني اعلم
كلمة لو قالها اذهب عنه ما يجد أعوذ
بالله من الشيطان الرجيم فقبل له
فقال ما من جنون وأصل النزغ
الفساد أما بالغضب أو غيره قال الله
تعالى وقل لعبادي يقولوا التي هي
أحسن ان الشيطان ينزغ بينهم

جزاء فضله ما في النبأ وفي الآخرة وفيه ما جمعا والضمير راجع الى كل ذي فضل وقيل
راجع الى الله سبحانه على معنى ان الله يعطي كل من فضلت حسنة فضله الذي يتفضل به
على عباده عن ابن مسعود قال من عمل سنة كتبت عليه مائة سنة ومن عمل حسنة
كتبت له عشر حسنات فان عوقب السيئة التي علمها في الدنيا بقيت له عشر حسنات
وان لم يعاقبها في الدنيا أخذ من الحسنات العشر واحدة وبقيت له سبع حسنات
ثم يقول هلكت من غلب أحده أعشاره وقال أبو العباس من كثرت طاعاته في الدنيا
زادت حسناته ودرجته في الجنة ثم وعدهم في مخالفة الامر فقال (وان تولوا)
أي تعرضوا عن الاخلاص في العبادة والاستغفار والتوبة (فاني أخف عليكم
عذاب يوم كبير) هو يوم القيامة ووصفه بالكبر لم يقصه من الاحوال وقيل اليوم
الكبير يوم بدر وقيل صفة لعذاب فهو منصوب وانما خفض على الجوار ثم بين
سبحانه عذاب اليوم الكبير بقوله (الى الله مرجعكم) أي رجوعكم اليه بالمولود ثم
البعث ثم الجزاء الى غيره (وهو على كل شيء قدير) ومن ذلك عذابكم على عدم الامتثال
وهذه الجلة مقررة لما قبلها ثم أخبر الله سبحانه بان هذا الانذار والتحذير والتوعيد لم ينفع
فيهم ولا انت له قلوبهم بل هم مصرون على العناد مصمومون على الكفر فقال مصدرا
لهذا الاخبار بكلمة التنبية الدالة على التعجب من حالهم وأنه أمر ينبغي أن يتنبه له

(٣٦ - فتح الباع) والعباد الالتجاء والاستناد الاستجارة من الشر وأما الملائكة في طلب الخير
كما قال الحسن بن خاتم في شعره
يا من ألونه فيما ألومله * ومن أعوذ به مما حاذره
لا يجبر الناس عظما أنت كسره * ولا يهضون عظما أنت جابره
وقد قدمنا حاديث الاستعاذه في أول التفسير بما أغنى عن
اعادته ههنا ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون واخوانهم بعدونهم في التي ثم لا تبصرون يخبر
تعالى عن المتقين من عباده الذين أطاعوه فيما أمر وتركوا ما عنهم جرائهم اذا مسهم أي أصابهم طيف وقرأ الآخرون طائف وقد
جاء في حديث وهما قراءتان مشهورتان فقيل بمعنى واحد وقيل بينهما فارق ومنهم من فسر ذلك بالغضب ومنهم من فسر بعس
الشیطان بالصرع ونحوه ومنهم من فسر بالهم بالذنب ومنهم من فسر بما صابه الذنب وقوله تذكروا أي عقاب الله وجزل بل لوابه
ووعده ووعيد فتابوا أو تابوا واستغادوا بالله ورجعوا اليه من قريب فاذا هم مبصرون أي قد اسما مقاموا وصحوا كما نوافيه
وقد أورد الحافظ أبو بكر بن مردويه ههنا حديث محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاءت امرأه الى
النبي صلى الله عليه وسلم وهي أظف فقالت يا رسول الله ادع الله أن يشفي فقال ان شئت دعوت الله فشفانك وان شئت فاصبري

ولاحساب عليك فقالت بل أصيروا لحساب علي ورواه غير واحد من أهل السنن وعندهم قالت إرسول الله اني أصرع
 وأتكشف فادع الله أن يسقني فقال ان شئت دعوت الله أن يسقنيك وان شئت صبرت ولك الجنة فقالت بل أصبر وولي الجنة
 ولكن ادع الله أن لا أتكشف فادعها فكانت لا تكشف وأخرجهما كرمي استدركه وقال صحح على شرط مسلم ولم يختر جاهد وقد
 ذكره الحافظ بن عسا كرمي ترجمة عمرو بن جامع من تاريخه ان شابا كان يتعمد في المسجد فهو يتساهل في نفسه انما زالت
 به حتى كاد يدخل معها للمزول فذكره الآية ان الذين اتقوا اذا سمعهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم بمصرفون ثم غمضا
 عليه ثم اتوا فاعادها فبات جاءه عمر فرمى فيه أباه وكان قد دفن ليلافذهب فصلى على قبره عن معه ثم ناداه عمر فقال باقي وان خاف
 منكم رب جنتنا فأجاب القمي من داخل القبر ان عمر قد أعطانهم ماري عز وجل في الجنة مرتين وقوله تعالى واخوانهم أي واخوان
 الشياطين من الانس كقوله ان الميسرين كانوا اخوان الشياطين من الانس وهم اتباعهم المستمعون لهم القابولون لا امرهم
 يدورهم في التي أي تساعدهم الشياطين على المعاصي وتسهلها عليهم وتحسن لهم وقال ابن كثير المذلل زيادة يعني ينيدونهم في التي
 يعني الجهل والسفه ثم لا يقصرون قيل (٢٨٢) ان معناه ان الشياطين قد الانس لا تصرف في أعمالهم بذلك كما قال علي

ابن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله
 واخوانهم يدورهم في التي ثم
 لا يقصرون الآية قال لا الانس
 يقصرون عما يعملون ولا الشياطين
 تمسك عنهم وقبل معناه كما رواه
 العوفي عن ابن عباس في قوله يدورهم
 في التي ثم لا يقصرون قال هم الجن
 يوحون الى أوليائهم من الانس ثم
 لا يقصرون يقول لا يسمعون وكذا
 قال السدي وغيره يعني ان
 الشياطين يدورون أوليائهم من
 الانس ولا تناسم من امسادهم من
 البشر لان ذلك طبيعة لهم وسجية
 ولا تقربيه ولا تبطل عنه كما قال
 تعالى ألم ترانا أرسلنا الشياطين على
 الكافرين تؤزهم ازا قال ابن عباس

المعقلا ويهيموه (ألا انهم يشنون صدورهم) يقال ثنى صدره عن الشيء اذا زور
 واخفى عنه فيكون في الكلام كناية عن الاعراض لان من عارض عن الشيء ثنى عنه
 صدره وطوى عنه كسجه وقبل معناه يعطون صدورهم على ما فهم من الكفر
 والاعراض عن الحق وعداوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بحيث يكون ذلك خفيا
 مستورا فيها كما تعطف الثياب على ما فهم من الاشياء المستورة فيكون في الكلام كناية
 عن الاخفاء لما يعقدونه من الكفر كما كان دأب المنافقين والوجه الثاني أولى ويؤيده
 قوله (ليستخفوا منه) أي من الله فلا يطلع عليه رسوله والمؤمنين أو من رسول الله صلى
 الله عليه وآله وسلم ثم كرر كلمة التنبه ميلا للوقت الذي يشنون فيه صدورهم فقال
 (ألا حين يستغشون ثيابهم) أي يستخفون في وقت استغشاء الثياب وهو التغطى بها
 وقد كانوا يقولون اذا أغلقنا أبوابنا واستغشنا ثيابنا وثني صدورنا على عداوة محمد صلى
 الله عليه وآله وسلم فن يعلم بنا وقبل معناه يأوون الى فراشهم ويتدثرون بثيابهم وقيل
 انه حقيقة وذلك ان بعض الكفار كان اذا امر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثنى
 صدره وولى ظهره واستغشى ثيابه لئلا يسمع كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 وقال البخاري عن ابن عباس يعطون رؤسهم وروى عنه أيضا قال يعني به الشك في الله
 وعمل النيات وكذا روى عن مجاهد والحسن وغيرهما أي انهم كانوا يشنون صدورهم

اذا
 وغيره ترجمهم الى المعاصي ازعاجا (واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجبتهم قل الله تبارك وتعالى قالوا لولا انما اتبع ما يوحى الى من ربي هذا بصائر
 من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله واذم تأتهم بآية قالوا لولا انما اتبع ما يوحى الى من ربي هذا بصائر
 سره أخرى لولا انما اتبع ما يوحى الى من ربي هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون
 لولا اقتضيتها قالوا اخترجها من نفسك وكذا قال قتادة والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم واختاره ابن جرير وقال العوفي عن ابن
 عباس لولا اجبتهم يقول تلقينهم ان الله تعالى وقال الضعفاء لولا اجبتهم يقول لولا أخذتها أنت فحمتهم من السماء ومعنى قوله
 تعالى واذم تأتهم بآية أي معجزة وطارق كقوله تعالى ان نشأتزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين يقولون للرسول
 صلى الله عليه وسلم لا نتجهدهم نفسك في طلب الآيات من الله حتى تراها وتؤمن بها قال الله تعالى قل له انما اتبع ما يوحى الى من
 ربي أي انا لا أقدم اليه تعالى في شيء وانما اتبع ما أمرني به فامتثل ما يوحى به الى قان بعث آية قبلها وان منعها لم أسأله ابتداء
 ايها الآن يأتني في ذلك فانه حكيم عليم ثم أرشدهم الى ان هذا القرآن هو أعظم المعجزات وأبين الدلائل وأصدق الحجج والبراهين
 فقال هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون (واذا قرأ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحون) لماذا كرتعالى

يحدثان والخاص بقص فقلت ألتصمان الى الذكروستوحبان الموعود قال فظنرا الى ثم أقبلنا على حديثهما قال فأعدت فظنرا الى وأقبلنا على حديثهما قال فأعدت الثالثة قال فظنرا الى فقالا لا نأخذ في الصلاة وإذا قرأ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا وكذلك قال سفيان الثوري عن أبي هاشم سمع عبد بن كثير عن مجاهد في قوله وإذا قرأ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال في الصلاة وكذا رواه غير واحد عن مجاهد وقال عبد الرزاق عن الثوري عن ليث عن مجاهد قال لا بأس إذا قرأ الرجل في غير الصلاة أن يتكلم وكذا قال سعد بن جبير والفضال وأبراهيم الحنفي وقادة والشعبي والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم أن المراد بذلك في الصلاة وقيل شعبة عن منصور سمعت أبا هاشم بن أبي جزة يحدث أنه سمع مجاهدا يقول في هذه الآية وإذا قرأ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال في الصلاة والخطبة يوم الجمعة وكذا روى ابن جرير عن عطاء عنه وقال حشيم بن الربيع بن صبيح عن الحسن قال في الصلاة وعند الله كروا قال ابن المبارك عن يasmine سمعت ثابت بن عجلان يقول سمعت سعد بن جبير يقول في قوله وإذا قرأ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال الانصات يوم الاضحية ويوم النضر ويوم الجمعة وفيما يمجهر به الامام من الصلاة وهذا اختيار ابن جرير ان المراد من ذلك الانصات في الصلاة وفي الخطبة كما جاء من الامر بالانصات خالف (٢٨٤) الامام وحال الخطبة وقال عبد الرزاق عن الثوري عن ليث عن مجاهد

أنه كره أذامر الامام بأية يخوف أو بأية رجه أن يقول أحد من خلفه شأنا قال السكوني وقال مبارك بن فضالة عن الحسن إذا جلست الى القرآن فأنصت له وقال الامام أحمد حدثنا ابن سعيد مولى بني هاشم حدثنا عبد بن ميسرة عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من استمع الى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة من تلاها كانت له نورايوم القيامة فسرده الامام أحمد رجه الله تعالى (وإذا كر ربك في نفسك تضرع وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين ان الذين

اختلاف أنواعه تفصلا منه واحسانا وانما جئ به على طريق الوجوب كما تشعر به كلمة على اعتبارا بابقى الوعد به منه وقيل ان على على بابها وأنه عليه من باب الفضل لا الوجوب لانه لا يجب عليه شيء والخاص أن المراد بالوجوب وجوب اختيار لا وجوب الزام فهو موكول الى مسيئته ان شاء رزقها وان شاء لم يرزقها وقيل ان على بمعنى من أى من الله رزقها أى ما يقرم به ربه او تعيش به قال مجاهد ما جاءها من رزق من الله وربها لم يرزقها فتوت جوعا ووجه اتصال هذا الكلام بما قبله ان الله سبحانه لما كان لا يفعل عن كل حيوان باعتبار ما عمله من الرزق فكيف يفعل عن أحواله وأقواله وأفعاله (ويعلم مستقرا) أى محل استقرارها في الارض أو محل قرارها في الاصلاص (ومستودعها) موضعها في الارحام وما يجري مجراها كالبيضه وتجوها وقال القراء مستقرا حيث تأوى اليه ليلا أو نهارا ومستودعها موضعها الذي غوت فيه وقدم غمام الاقوال في سورة الانعام ووجه تقديم المستقر على المستودع على قول القراء ظاهر وأما على القول الاول فلعل وجه ذلك ان المستقر أنسب باعتبار ما جئ به عليه حال كونها دابة والمعنى وما من دابة الا رزقها الله حيث كانت من أما كتبها بعد كونها دابة وقيل كونها دابة وذلك حيث تكون في الرحم ونحوه وفي البصائر أما مكناها في الحياة وفي الممات أو الاصلاص والارحام أو ما كتبها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقارحين

عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون) يأمر تعالى بذلك أول النهار وآخره كثيرا كما أمر به تعالى في هاتين الآيتين وفي قوله فسمع بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب وقد كان هذا قبل أن تفرض الصلوات الخمس ليلة الاترأوه هذه الآية مكتبة وقال ههنا بالغدو وهو أول النهار والاصال جمع أصيل كان الايمان جمع عين واما قوله تضرع وخيفة أى اذ كر ربك في نفسك تضرع رغبة ورهبة وبالقول لاجهرا ولهذا قال ودون الجهر من القول ولهذا استحب أن يكون الذي لا يكون ندا أو جهر بل غيا ولهذا المسأله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أقرب ربنا فتناجيه أم بعد فتناجيه فأمر الله عز وجل وإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان وفي الحديث عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال رفع الناس أصواتهم بالعاء في بعض الاسفار فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غافا أن الذي تدعونه سميع قريب أى أحدكم من عني راحته وقد يكون المراد من هذه الآية كما في قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها أو اتبع بين ذلك سبيلا فان المشركين كانوا إذا سجدوا القرآن سجدوا وسوا من أثره وسوا من جاء به فأمره الله تعالى أن لا يجهر به لئلا ينال منه المشركون ولا يخافت به عن أصحابه فلا يسمعونهم وليتخذ سبيلا بين

الجهر والاسرار وكذا قال في هذه الآية الكريمة ودون الجهر من القول بالغدو والاصال ولا

وقبله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ان المراد بها امر السامع للقرآن في حال استماعه بالذكر على هذه الصفة
المأمورية ثم ان المراد بذلك في الصلاة كما تقدم أوفى الصلاة والخطبة ومعلوم ان الانصات اذ ذلك افضل من الذكرباللسان سواء
كان سرا أو جهرافهذالذي قالاه يتابععليه بل المرادالحض على كثرتالذكر من العباد بالغدو والاصال لئلا يكونوا من الغافلين
ولهذا مدح الملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون فقال ان الذين عندك لا يستكبرون عن عبادته الآية وانما ذكرهم
بهذا ليعتد بهم في كثرة طاعتهم وعبادتهم ولهذا شرع لنا السجود ههنا لما ذكر سجودهم لله عز وجل كما جاء في الحديث ألا تصفون
كما تصف الملائكة عند ربها تتوفى الصفوف الاول فالاول ويتراصون في الصف وهذه أول سجدة في القرآن مما يشرع لتأليها
ومستعها السجود بالاجماع وقد ورد في حديث رواه ابن ماجه عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه عدها في سجدة
القرآن آخر تفسير سورة الاعراف والله الحمد والمنة
كلها ألف كلمة وسقائة كلمة واحدة وثلاثون كلمة وفها خمسة آلاف (٢٨٥) ومائتان وأربعة وتسعون حرفا والله أعلم)*

كانت بعد بالقوة اه والمراد كلفي والعلة والمقار كالمصلي والرحم وعن ابن مسعود

قال مستقره في الارحام ومستودعها حيث تحوت ويؤيد هذا التفسير ما أخرجه الحاكم
وصححه عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال اذا كان أجل أحدكم بارض
أن يمت له البهاجحة حتى اذا بلغ أقصى أثره منها فيقبض فثقل الارض يوم القيامة هذا
ما استودعني ثم ختم الآية بقوله (كل في كتابين) أي كل عما تقدم ذكره من الدواب
ومستقرها ومستودعها ووزنهما في اللوح المحفوظ أي مثبت فيه قبل خلقها ثم أكد
دلائل قدرته بالعرض لانه خلق السموات والارض وكيف كان الحال قبل خلقها
فقال (وهو الذي خلق السموات والارض وما بينهما) (سنة أيام) الكلام على التوزيع
فكان خلق السموات في يومين والارضين في يومين وما عليهما من أنواع الحيوان والنبات
والاقوات والجمادات في يومين والمراد بالايام هنا الاوقات أي في ستة اوقات كما في قوله
ومن يولهم يومئذ دبره وقيل مقدار ستة أيام وقبل المراد هنا الايام المعروفة وهي المقابلة
للباقي اقولها الاحد وأخرها الجمعة ولا يستقيم ذلك لانه لم تكن حينئذ ارض ولا سماء وليس
اليوم الا عبارة عن مدة كون الشمس فوق الارض وفي الجبل وهذا مشكل جدا فلا يتعين
الاحد ولا غيره من الايام الا عند وجودها بالفعل وفي تلك الحال لم يكن زمان قط فضلا
عن تفصيله اياما فضلا عن تخصيص كل يوم باسم والخطاب عن هذا الاشكال ان المراد

(بسم الله الرحمن الرحيم)
(يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله وأطيعوا
الله وأطيعوا رسوله
ان كنتم موافقين) قال البخاري
قال ابن عباس الانفال المغنم
حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا
سعيد بن سليمان أخبرنا شبيب بن أخير
أبو بشر عن سعيد بن جبير قال قلت لابن
عباس رضى الله عنهم سورة الانفال
قال زلت في بدرا ما معلقه عن ابن
عباس فكذلك رواه علي بن أبي
طلحة عن ابن عباس انه قال الانفال
الغنائم كانت لرسول الله صلى الله
عليه وسلم خالصة ليس لاحد فيها
شيء وكذا قال مجاهد وعكرمة

وعطاء والضحاك وقتادة وعطاء الخراساني ومقاتل بن حيان وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد انها المغنم وقال الكلبي عن
أبي صالح عن ابن عباس انه قال الانفال الغنائم قال فيها البعد ان تقوى ربنا خير نفل * وبأذن الله ربنا وبجمل وقال ابن جرير
حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني مالث بن أنس عن ابن شهاب عن القاسم بن محمد قال سمعت رجلا يسأل ابن عباس عن الانفال
فقال ابن عباس رضى الله عنهم ما الله من النفل والسلب من النفل ثم عاد لمسئله فقال ابن عباس ذلك أيضا ثم قال الرجل
الانفال التي قال الله في كتابه ما هي قال القاسم فم ير ل يسأله حتى كاد يجرحه فقال ابن عباس أتدرون ما مثل هذا مثل صنيع
الذي ضرب به عمر بن الخطاب وقال عبد الرزاق أخبرنا جعفر عن الزهري عن القاسم بن محمد قال قال ابن عباس كان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه اذا سئل عن شيء قال لا أمر ولا نهى ثم قال ابن عباس والله ما بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم الا اجرا أمرا
محلا محرما قال القاسم فسلط على ابن عباس رجل فسله عن الانفال فقال ابن عباس كأن الرجل ينقل قوس الرجل وسلاحه
فأعاد عليه الرجل فقال له مثل ذلك ثم أعاد عليه حتى أغضبه فقال ابن عباس أتدرون ما مثل هذا مثل صنيع الذي ضرب به عمر بن
الخطاب حتى سألت الدماء على عتيبه أو عبي رجليه فقال الرجل أما أنت فقد اتهم الله له ومنك وهذا السناد صحيح الى ابن عباس انه

فسر النفل بما ينفع الامام لبعض الأشخاص من سلب أو نحوه بعد قسم أصل المغنم وهو المتبادر الى فهم كثير من الفقهاء من انفل
النفل والله أعلم وقال ابن أبي شحج عن مجاهد انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخس بعد الاربعين من الاجناس فزات
بسالونك عن الانفال وقال ابن مسعود ومسرور لا تنفل يوم الزحف انما النفل قبل التقاء الصفوف رواه ابن أبي حاتم عنهما وقال
ابن المبارك وغير واحد عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء بن أبي رباح في الآية يسألونك عن الانفال قال يسألونك فيما صدق
المشركين الى المسلمين في غير قتال من دابة أو عبداً أو امرأة أو متاع فهو نفل النبي صلى الله عليه وسلم يصنع به ما يشاء وهذا يقتضي
أنه يفسر الانفال بالثمن وهو ما أخذ من الكفار من غير قتال قال ابن جرير وقال آخرون هي أنفال السرايا حدثني الحارث حدثنا عبد
العزير حدثنا علي بن صالح بن حي قال بلغني في قوله تعالى يسألونك عن الانفال قال السرايا ومعنى هذا ما ينفع الامام لبعض السرايا
زيادة على قبضتهم مع بقية الجيش وقد صرح بذلك الشعبي واختار ابن جرير أنها الزيادة على القسم ويشهد لذلك ما ورد في سبب
نزول الآية وهو ما رواه الامام أحمد حدث قال حدثنا أبو معاوية حدثنا أبو إسحق الشيباني عن محمد بن عبيد الله الثقفي عن سعد بن
أبي وقاص قال لما كان يوم بدر وقتل أخى عمير (٢٨٦) قتل سعيد بن العاص وأخذت سيفه وكان يسمى ذا الكسبة فأتته به

مقدار سنة أيام لا يدفع هذا الاشكال انما يدفع الاشكال الآخر وهو انه لم يكن ثم زمان
اه (وكان عرشه) قبل خلقهما (على الماء) ليس تحت شي غيره سواء كان بينهما
فرجة أو كان موضوعا على شئ فلا دلالة تقسم على إمكان الخلاء كيف لا ولول ذلك على
وجوده لا على امكانه فقط ولا على كون الماء أول ما حدث في العالم بعد العرش وانما يدل
على ان خلقهما أقدم من خلق السموات والارض من غير تعرض للنسبة بينهما قلت
وكونه قبل خلقهما ما أخذ من كان لان المعنى المستفاد منها بالنسبة الحكم لا التكليف وهو
خلق السموات والارض وهذا ظاهر سواء كانت الجلة معطوفة أو راجية بتقدير قد ونقل
عن السلف انه كان على الماء وهو الآن على ما كان عليه وعبارة شليمان الجبل بل هو
في مكانه الذي هو فيه الآن وهو ما فوق السموات السبع والماء في المكان الذي هو فيه
الآن وهو ما تحت الارض السبع انتهى عن ابن عباس انه سئل على أي شئ كان الماء
قال على متن الرمح وعن أبي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل ان يخلق
خلقنا قال كان في عاء ما فوقه هواء وما تحته هواء وخلق عرشه على الماء أخرجه الترمذي
قال أجدر بديالعماء انه ليس معه شئ قال البيهقي العماء ان كان ممدودا فعناءه بحاجب رقيق
والمعنى فوق بحاجب مدير له وعاءا عليه وان كان مقصورا فعناءه لاشئ ثابت لانه مما عى
عن الخلق لكونه غيبي شئ ونحوه قال جيع من أهل العلم قال الأزهرى فحقن ثؤمن به

النبي صلى الله عليه وسلم فقال اذهب
فاطرحه في القبر قال فرجعت
ولي ما لا يعلمه الا الله من قتل أخى
وأخذ سبلي قال فما جازت
الا ليسير احقى نزلت سورة الانفال
نقال الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذهب فخذ سلبك وقال الامام
أحمد أيضا حدثنا أسود بن عامر
أخبرنا أبو بكر عن عاصم بن أبي
الجود عن مصعب بن سعد عن سعد
ابن مالك قال قالت يا رسول الله قد
شفاني الله اليوم من المشركين
فهب لي هذا السيف فقال ان
هذا السيف لال ولا لي ضعه
قال فوضعه ثم رجعت فقلت
عسى أن يعطى هذا السيف اليوم

من لا يلي بلائى قال اذا رجل يدعوني من ورائى قال قلت قد أنزل الله في شيا قال كنت سالتني السيف
وليس هو لي فانه قد وهب لي فهو لك قال وأنزل الله هذه الآية يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول ورواه أبو داود
والترمذي والنسائي من طرق عن أبي بكر بن عباس به وقال الترمذي حسن صحيح وهكذا رواه أبو داود الطيالسي أخبرنا شعبة
أخبرنا اسماء بن حرب قال سمعت مصعب بن سعد يحدث عن سعد قال نزلت في أربع آيات أصبت سيفا يوم بدر فأتى النبي صلى
الله عليه وسلم فقلت فقلني فقال ضع من حيث أخذته فبرئت ثم عاودته فقال النبي صلى الله عليه وسلم ضع من حيث أخذته
فنزلت هذه الآية يسألونك عن الانفال الآية وتعام الحديث في نزول ووحيها الانسان بالديه خشنا وقوله تعالى انما الخمر والميسر
وآية الوصية وقدر واه مسلم في صحيحه من حديث شعبة وقال محمد بن إسحق حدثني عبد الله بن أبي بكر عن بعض بني ساعدة قال
سمعت أبا أسيد مالك بن ربيعة يقول أصبت سيف بن عاذل يوم بدر وكان السيف يدعى بالمرزبان فلما أمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم الناس أن يردوا ما في أيديهم من النفل أقبلت به فالتصفت في النفل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنع شيأ يسأله فراه
الارقم بن أبي الأزرق الخزرجي فساله رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه اياه ورواه ابن جرير من وجه آخر (سبب آخر في نزول

الايه) وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن سلمة عن ابن اسحق عن عبد الرحمن بن سليمان بن موسى عن مكحول عن أبي أمامة قال سألت عبادة عن الانفال قال فينا أنحباب بدر نزات حين اختلقتنا في النفس وسامت في نفسه اخلاقنا فانتزع الله من أيدينا وجعله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين عن يوء يقول عن سواء وقال الامام أحمد ايضا حدثنا أبو داود عن ابن عمر أخبرنا أبو اسحق عن عبد الرحمن بن الحرث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة عن سليمان بن موسى عن أبي سلام عن أبي أمامة عن عبادة بن الصامت قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهدت معه بدر فالتقي الناس فهنم الله تعالى العدو فانا طائفة في آثارهم هم زموت ويقتلون وأقبلت طائفة على العسكر بحوزة ويحجمون ويحجمون وأخذت طائفة برسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصيب العدو منه غرة حتى اذا كان الليل وفي الناس بعضهم الى بعض قال الذين جمعوا الغنائم نحن حويناها فليس لاحد فيها نصيب وقال الذين خرجوا في طلب العدو لستم بأحق به منا نحن منعنا عنه العدو وهزمناهم وقال الذين أخذوا برسول الله صلى الله عليه وسلم خفن أن يصيب العدو منه غرة فاشتغلنا به فنزلت يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فقهها رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢٨٧)

عليه وسلم بين المسلمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أغار في أرض العدو قتل الربع فاذا أقبل راجعا قتل الثلث وكان بكره الانفال ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث سفيان الثوري عن عبد الرحمن بن الحرث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة عن سليمان بن موسى عن أبي سلام عن أبي أمامة عن عبادة بن الصامت قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهدت معه بدر فالتقي الناس فهنم الله تعالى العدو فانا طائفة في آثارهم هم زموت ويقتلون وأقبلت طائفة على العسكر بحوزة ويحجمون ويحجمون وأخذت طائفة برسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصيب العدو منه غرة حتى اذا كان الليل وفي الناس بعضهم الى بعض قال الذين جمعوا الغنائم نحن حويناها فليس لاحد فيها نصيب وقال الذين خرجوا في طلب العدو لستم بأحق به منا نحن منعنا عنه العدو وهزمناهم وقال الذين أخذوا برسول الله صلى الله عليه وسلم خفن أن يصيب العدو منه غرة فاشتغلنا به فنزلت يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فقهها رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢٨٧)

ولا تكيف صفته وقد وردت أحاديث كثيرة في صفة العرش وفي كيفية خلق السموات والارض ليس هذا موضع ذكرها (ليلوكم) أي خلق هذه المخلوقات لينبئ عباد الله بالاعتبار والتفكير والاستدلال على كمال قدرته وعلى البعث والجزاء (أيكم أحسن عملا) فيما أمر به ونهى عنه من غيره ويدخل في العمل الاعتقاد لانه من أعمال القلب وقيل المراد بالاحسن عملا الاتم عقلا وقيل الازهد في الدنيا وقيل الأكثر شكرا وقيل الاتقي لله وراز تعليق فعل البلوى لما في الاختبار من معنى العلم لانه طريق اليه فهو ملابس له (ولن قلت) الامام موطئة للقسم فقد اجتمع في الكلام شرط وقسم والقاعدة أن يحذف جواب المتأخر ويدرج جواب المتقدم فقوله ليقولان جواب القسم وجواب الشرط محذوف وكذا في قوله ولئن أخرنا وقوله ولئن أذقنا الانسان وقوله ولئن أذقناه الموضع أربعة ولما كان الابتلاء يتضمن حديث البعث أتبع ذلك بذكره والمعنى لئن قلت لهم يا محمد على ما توجب قضية الابتلاء انكم مبعوثون من بعد الموت فيجزي الحس بإحسانه والمسي بإساءته فقل انكم مبعوثون لعلمكم على ان الرجاء باعتبار حال المخاطبين أي توقعوا ذلك ولا تبشوا القول بانكاره (ليقولن الذين كفروا) من الناس (أن هذا) الذي تقوله يا محمد (الاسحرمين) أي كالسحر أو باطل كبطان السحر وخدع كخدعه فالكلام من باب التشبيه البليغ ويجوز أن تكون الإشارة بهذا الى القرآن لانه المشقل على الاخبار بالبعث وقرئ ساحر يعنى النبي

من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا فاستارع في ذلك شبان القوم وبني الشيوخ تحت الرايات فلما كانت الغمام جاوا بطابون الذي جعل لهم فقال الشيوخ لانتأثروا علينا فانا كذا ردكم لو انكم شقتم لثبتم ليناقتنا زعوا فانزل الله تعالى يسألونك عن الانفال الى قوله وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين وقال الثوري عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله كذا وكذا ومن أتى بأسير فله كذا وكذا فجاء أبو اليسر بأسيرين فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك أنت وعدتنا فقام سعد بن عبادة فقال يا رسول الله انك لو أعطيت هؤلاء لم يبق لاصحابك شيء لو انه لم يبعث هذا زهاده في الاجر ولا جن عن العدو وانما قاتل هذا المقام محاقطة عليك تخاف ان يأولئك من ورائك فتساجر واوزل القرآن يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول قال وزل القرآن واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسة الى آخر الآية وقال الامام أبو عبيد الله القاسم بن سلام رحمه الله في كتاب الاموال الشرعية وبيان جهاتها ومصارفها اما الانفال فهي الغنائم وكل ناله المسلمون من أموال أهل الحرب فكانت الانفال الاولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فقسمها يوم بدر على ما أراد الله من غير ان يحجمهم على ما ذكرناه في حديث سعد ثم نزات بعد ذلك آية الخمس ففسخت الاولى قلت هكذا روى على

ابن أبي طلحة عن ابن عباس سواه قال مجاهد وعكرمة والسدي وقال ابن زيد ليست منسوخة بل هي محكمة قال أبو عبيد
 ذلك آثار والانفال أصلها جاع الغنائم إلا أن الخس منها مخصوص لأهلها على منزلته الكتاب وجرت به السنة ومعنى الانفال في
 كلام العرب كل أحد نفعه فاعل تفصله عن غيران يجب ذلك عليه فذلك النفل الذي أحله الله للمؤمنين من أموال عدوهم
 وانما دوشى منخصصهم الله به يتولاهم عليهم بعد أن كانت الغنائم محرمة على الأعمى قبلهم فقلنا الله تعالى هذه الامة في هذا أصل
 النفل قلت شاهد هذا ما في الصحيحين عن جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعطيت خصالا لم يعطون أحد
 قبلي فذكر اخذت الى أن قال وأخذت في الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وذكر تمام الحديث ثم قال أبو عبيد ذلك ناسي ما جعل الامام
 للمقاتلة نقلا وهو متفصله بعض الجيش على بعض شيء سوى سهامهم يفعل ذلك على قدر اقتناعه من الاسلام والذكاء في
 العدو وفي النفل الذي ينقله الامام ستر أربع لكل واحدة من موضع غير موضع الاخرى فأحداهن في الانفل لأخس فيه
 وذلك الساب والمائة النفل الذي يكون من الغنجة بعد اخراج الخس وهو أن يوجه الامام السرايا في أرض الحرب فتأخذ بالغنائم
 فيكون للسرية مما جاء به الربع أو الثلث (٢٨٨) والثالث في النفل من الخس نفسه وهو أن تحاز الغنجة كلها ثم تخمس
 فإذا صار الخس في يد الامام نقل منه

صلى الله عليه وآله وسلم (ولئن أخرنا عنهم العذاب) أي الذي يستجلبونه اسماء وهو ما تقدم
 ذكره في قوله عذاب يوم كبير وقيل عذاب يوم القيامة وما بعده وقيل عذاب يوم بدر (الى
 أمة معدودة) أي الى طائفة من الايام قليلة لان ما يحصره العدد قليل والامة الشقاقسان
 الام وهو القصد وارادهم الوقت المقصود لا يقع العذاب وقيل هي في الاصل الجماعة من
 الناس وقد يدعى الحين باسم ما يحصل فيه كقولك كنت عند فلان صلاة العصر أي في ذلك
 الحين فالمراد على هذا الى حين تنقضي أمة معدودة من الناس (ليقولن ما يحبس) أي أي
 شيء يمنع من النزول استجبالا لله على جهة الاستهزاء والتكذيب والسخرية فأجابهم الله
 بقوله (آلا) أداة استفهام داخله على ليس في المعنى (يوم يأتيهم) أي العذاب (ليس
 مصروفا) أي محبوسا عنهم بل واقع بهم لا محالة يوم منصوب بخبر ليس مقدما عليه وهو
 دليل البصرين على جواز تقدم خبرها عليها اذ المفعول تابع للعامل فلا يقع الاحتمال يقع
 متبوعه والايانم تقديم الفرع على أصله وردبان الظرف فيجوز فيه ما لا يجوز في غيره فوجه
 ويبني الامر فيه على التسامح فيه وبأنه قد يقدم المفعول حيث لا مجال لتقدم العامل كما
 في قوله تعالى فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر فان اليتيم والسائل مع كونهما
 منصوبين بالفعلين المجزوين قد تقدم ماعى لانهما مع امتناع تقدم الفعلين عليهما قال
 أبو حيان وقد تتبع جملة من دواوين العرب فلم أظفر بتقديم خبر ليس عليهما ولا بتقديم

على قدر ما يرى والرابع في النفل
 في جهة الغنجة قبل ان تخمس منها
 شيء وهو ان يعطى الادلاء ورعاة
 الماشية والسواقيا وفي كل ذلك
 اختلاف قال الربع قال الشافعي
 الانفصال أن لا يخرج من رأس
 الغنجة قبل الخس شيء غير الساب
 قال أبو عبيد والوجه الثاني من
 التفصل هو شيء يزيد وغير الذي كان
 لهم وذلك من خسر النبي صلى الله
 عليه وسلم فان له خمس الخس من
 كل غنجة فينبغي للامام أن يجتهد
 فإذا كثر العدو واشتدت شوكتهم
 وقل من بازائهم من المسلمين نقل منه
 اتباع السنة رسول الله صلى الله

عليه وسلم واذ لم يكن ذلك لم ينقل والوجه الثالث من النفل اذا نعت الامام سرية أو جيشا
 فقال لهم قبل اللقاء من غنم شيئا فهو له بعد الخس فهو لهم على ما شرط الامام لانهم على ذلك غزو أو به رضوا انتهى كلامه وفيما تقدم
 من كلامه وهو قوله ان غنائمهم لم تخمس نظر ويرد عليه حديث علي بن أبي طالب في سارفيه الذين حصلوا من الخس يوم بدر
 وقد بينت ذلك في كتاب السيرة بيان ما شافيا والله الحمد والمثمة وقوله تعالى فانتقوا الله وأطيعوا أوامر الله وانفقوا الله في أموركم
 وأصلحو فيما بينكم ولا تأموا ولا تحموا ولا تأموا ولا تحموا ولا تأموا ولا تحموا ولا تأموا ولا تحموا ولا تأموا ولا تحموا ولا تأموا ولا تحموا
 الله ورسوله أي في قسمه بينكم على ما أراد الله فانه انما قسمه كما أمر الله من العدل والانصاف وقال ابن عباس هذا الخبر يجمع
 الله ورسوله ان يتقوا ويصلحوا ذات بينهم وكذا قال مجاهد وقال السدي فانتقوا الله وأصلحو ذات بينكم أي لا تستواولوا
 شيئا حديثا وأورد الحافظ أبو يعلى أحد بن علي بن المثنى الموصلي رحمه الله في مسنده فانه قال حدثنا جاهد بن موسى حدثنا عبد
 الله بن بكير حدثنا عبد بن شعبة الخطلي عن سعد بن أنس عن أنس رضي الله عنه قال ينار رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ
 رأينا سحابة حتى بدت شياؤه فقال عمر ما ضحكك يا رسول الله بأبي أنت وأمي فقال رجلان من أمية بن جندب بن ربيعة بن ربيعة

تبارك وتعالى فقال أحدهم يا رب خذني مغفلة
 فيحمل عبي من أوزاري قال فضاقت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكاهن ثم قال إن ذلك لوم عظيم يوم يحتاج الناس إلى من
 يحمل عنهم من أوزارهم فقال الله تعالى للطالب ارفع بصرك وانظر في الجنان فرفع رأسه فقال يا رب أرى مدائن من فضة وقصورا
 من ذهب مكالمة بالثؤلولى تبي هذا الأي صديق هذا الأي شهيد هذا قال هذا الم أعطي عنه يا رب ومن علك منه قال أنت تعلمه
 قال ما ذا يا رب قال تعفون عن أخن غلظته قال يا رب فاني قد عفوت عنه قال الله تعالى خذ سيدا خذ خلا الجنة ثم قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القسامة (اعمال المؤمنين الذين اذا ذكر الله وجلت
 قلوبهم واذا تبليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ويؤتوا الزكاة وهم يخافون أن لا يؤمنوا هم المؤمنون
 حق اللهم درجاة عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت
 قلوبهم قال المنافقون لا يدخل قلوبهم شيء من ذكر الله عند أدائها فرائضهم ولا يؤمنون بشيء من آيات الله ولا يتوكلون ولا يصلون اذا
 غابوا ولا يودون زكاة أموالهم فأخبر الله تعالى انهم ليسوا بمؤمنين ثم وصف الله (٢٨٩) المؤمنين فقال انما المؤمنون الذين اذا
 ذكر الله وجلت قلوبهم فادوا

معموله الاما دل عليه ظاهر هذه الآية وقول الشاعر
 فأي خير زاد ادا الحاجة * وكنت أيا في الخنا ليست أقدم
 قلت وهذا الخلاف بينهم في تقديم الخ بر على ليس الاعلى اسمها فانه جائز بالاخلاف
 والكلام فيه وفي آياته معص في كتب النحو (وحاق) أي أحاط (بهم ما كانوا به
 يستترون) أي العذاب الذي كانوا يستجملونه استتر منهم ووضع هذا مكان يستجملون
 لان استجملهم كان استتر منهم وعبر بلفظ الماضي تنبيها على تحقق وقوعه فكأنه قد
 خافهم (ولن أدقنا الانسان) أي الجنس فيشمل المؤمن والكافر ويدل على ذلك
 الاستثناء الآتي قبل المراد به جنس الكفار يؤيد أن اليأس والكفران والفرح
 والفخر هي أوصاف أهل الكفر لا أهل الاسلام في الغالب وقيل المراد بالانسان الوليد
 ابن المغيرة وقيل عبد الله بن أمية الخزرجي (منارحة) أي نعمة من توفير الرزق والصحة
 والسلامة من المحن وسعة العيش والرخاء (ثم رزقناهم من) أي سلطناها بها وأخذناها قهرا
 عليهم وايراد الزرع للاشارة بشدة عقابهم وحرصه عليها (انه لو س) أي آس من الرحمة
 شديد القنوط من عودها ومثالها القلة صبره وعدم ثقته بالله (كنور) عظيم الكفران
 وهو الخلود لها قاله ابن الأعرابي وفي ايراد صغى المبالغة ما يدل على أن الانسان كثير
 اليأس وكثير بالخذ عند أن يسلبه الله بعض نعمه فلا يرجو عودها ولا يشكر ما قد سلف له

فرايضة واذا تبليت عليهم اياته زادتهم
 ايمانا يقول زادتهم تصديقا وعلى
 ربهم يتوكلون يقول لا يرجون غيره
 وقال بجاهد وجلت قلوبهم فرقت
 أي فزعت وخافت وكذا قال السدي
 وغير واحد وهذه صفة المؤمن حق
 المؤمن الذي اذا ذكر الله وجلت
 قلبه أي خاف منه ففعل وأمره
 وترك زواجره كقوله تعالى والذين
 اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم
 ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم
 ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا
 على ما فعلوا وهم يعلمون وكقوله تعالى
 وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس
 عن الهوى فان الجنة هي المأوى
 ولهذا قال سفيان الثوري سمعت

(٢٧ - فتح البيان ح) السدي يقول في قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم قال هو الرجل
 يريد أن ينظم أو قال بهم معصية فيقال له اتق الله فيجل قلبه وقال الثوري أياض عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن شهر بن حوشب
 عن أبي الدرداء في قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم قال الوكيل في القلب كالحراق السعفة أما تجده قشيرة قال
 بن جابر اذا وجدت ذلك فادع الله عند ذلك فان الدعاء يذهب ذلك قوله واذا تبليت عليهم اياته زادتهم ايمانا كقوله واذا ما أنزلت
 سورة فقام من يقول أيكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وقد استدل البخاري وغيره من الأئمة بهذه
 الآية واشباهها على زيادة الايمان وتفاضل في القلوب كاهو مذهب جمهور الامية بل قد حكى الاجماع عليه غير واحد كالشافعي وأحمد
 ابن حنبل وأبي عبد الله كينان ذلك مستقصى في أول شرح البخاري والله الحمد والمثبة وعلى ربهم يتوكلون أي لا يرجون سواه ولا يقصدون
 الاياه ولا يودون الايجابه ولا يطلعون الحوائج الامنة ولا يرجون الا الله ويعلمون انه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وانه المتصرف في
 الملك وحده لا شريك له ولا معقب لحكمه وهو سميع الحساب ولهذا قال سعيد بن جبيرة التوكل على الله جماع الايمان وقوله والذين
 يقيمون الصلاة ويؤتوا الزكاة وهم يخافون أن لا يؤمنوا ينفقون نيته تعالى بذلك على أعمالهم بعدما ذكر اعتقادهم وهذه الاعمال تشمل أنواع الخير كلها وهو

إقامة الصلاة وهو حق الله تعالى وقال قتادة إقامة الصلاة المحافظة على مواقيتها ووضوئها وركوعها وسجودها وقال مقاتل بن حيان أقامت المحافظة على مواقيتها وأسابغ الطهور منها وقيام ركوعها وسجودها وتلاوة القرآن فيها أو التشبهوا بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم هذا أقامتها والانفاق مزارعتهم الله يشل إخراج الزكاة وسائر الحقوق للعباد من واجب ومستحب وإلتحاق كلهم عمال الله فأعجبهم إلى الله أنفعهم لخلقهم قال قتادة في قوله وعما رزقناهم يتفقون فأنفقوا عما رزقكم الله فأعماهذه الأموال عوارى وودائع عندك يا ابن آدم وأوشكت أن تفارقها وقوله وأولئك هم المؤمنون حقا أي المتصفون بهذه الصفات هم المؤمنون حق الأيمان وقال الحفاظ أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عبد الرحمن الحضرمي حدثنا أبو بكر بن حدثان بن الحسين بن أبي العباس بن أبي حمزة عن حماد بن عيسى عن محمد بن أبي هلال عن محمد بن أبي الجهم عن الحرث بن مالك الأنصاري أنه مر برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له كيف أصبحت يا حارثة قال أصبحت مؤثما حقا قال أنظر ماذا تقول فإن لكل شي حقيقة فما حقيقة إيمانك فقال عرفت تنسى عن الدنيا فاسهرت ليلي وأطمت نهارى وكأني أنظر إلى عرش ربنا بارزوا كما أني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاغون (٢٩٠) فيها فقال يا حارثة عرفت فالزم ثلاثا أو قال عمرو بن مرة في قوله تعالى أولئك هم

المؤمنون حقا لما أنزل القرآن منها وفي التعبير بالذوق ما يدل على أنه يكون منه ذلك عند سلب أدنى نعمة ينعم الله به عليه لان الأذقة والذوق أقل ما يوجب به الطعم (ولئن أدقناه لما بعد ضراسته) والنعمة انعام يظهر أثره على صاحبه والضراظ هو أثر الأضرار على من أصيب به والمعنى انه ان أدق الله سبحانه العبد نعمة من الصحة والسلامة والغنى بعد ان كان في ضمر فقر أو مرض أو خوف لم يقابل ذلك بما يليق به من الشكر لله سبحانه وفي اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى (ليقولن) أي بل يقول (ذهب السيئات عني) أي المصائب التي ساءت من الضر والفقر والخوف والمرض عنه وزال أثرها غير شأ كونه ولا من عليه بنعمه (انه لفرح خور) أي كثير الفرح بطرا وأشرا كثير الفرح على الناس بتعديد المناقب والتطاول عليهم بما يفيض الله به عليه من النعم والفرح لاختصاصه في القلب بنيل المراد والمشتهي وفي التعبير عن ملازمة الصبر له بالاسم مناسبة للتعبير في جانب النعم بما لا ذقة فان كليهما لا دنى ما يطلق عليه اسم الملازمة كما تقدم (الا الذين صبروا) فان عادتهم الصبر عند نزول المحن والشكر عند حصول المن قال الاخفش هو استثناء منقطع يعني ولكن الذين صبروا فانهم ليسوا كذلك وقبل متصل اذ المراد بالانسان الجنس لا واحد بعينه قاله الفراء (وعملوا الصالحات) في حالة النعمة والنعمة (وأولئك) إشارة إلى الموصول باعتبار انصافه بالصبر وعمل الصالحات (لهم مغفرة) لأنهم وان جرت بهم وان جرت بهم على أعمالهم الحسنة

المؤمنون حقا لما أنزل القرآن بلسان العرب كقولك فلان سيد حقوقي القوم سادة وفلان تاجر حقوقي القوم تجار وفلان شاعر حقوقي القوم شعراء وقوله لهم درجات عند ربهم أي منازل ومقامات درجات في الجنات كما قال تعالى هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون ومغفرة أي يغفر لهم السيئات ويشكر لهم الحسنات وقال الضحاك في قوله لهم درجات عند ربهم أهل الجنة بعضهم فوق بعض فبى الذي هو فوق فضله على الذي هو أسفله من حيث ولا يرى الذي هو أسفل انه فضل عليه أحد ولهذا جاء في الصحيحين ان رسول الله صلى

الله عليه وسلم قال ان أهل عليين ليراهم أسفل منهم كما ترون الكوكب الغابر في أفق

(كبير)

من آفاق السماء قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يشاهيها غيرهم فقال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وفي الحديث الاخر الذي رواه الامام أحمد وأهل السنن من حديث عطية عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل الجنة ليراهن أهل الدرجات العلى كما ترون الكوكب الغابر في أفق السماء وان أبابكر وعمر ومنهم وانعم ما (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقان من المؤمنين لكارحون يجادلونك في الحق بعضهم مبينين كالغمامة يوقون إلى الموت وهم ينظرون وأدب بعدكم ثم الله احدى الطائفتين انهم لكم يودون ان غدرات الشوك تكون لكم ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره الجرمون) قال الامام أبو جعفر الطبري اختلف المفسرون في السبب الجالب لهذه الكاف في قوله كما أخرجك ربك فقال بعضهم شبه به في الإصلاح للمؤمنين اتقوا وهم ربهم واصلحهم ذات بينهم وطاعتهم لله ورسوله ثم روى عن عكرمة بنحو هذا ومعنى هذا ان الله تعالى يقول كما أنكم لما اختلفتم في المنافع وتشاحتم فيها فأنزله الله منكم وجعلها إلى قسمه وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمها على العدل والتسوية فكان هذا هو المصلحة التامة لكم وكذلك

لما كرهتم الخروج الى الاعداء من قتال ذات الشوكة وهو النفر الذين خرجوا النصر دينهم واحرازهم فكان عاقبة كراهتكم للقتال بان قدره لكم وجمع بينكم وبين عدوكم على غير معاد رسدا وهدي ونصر اوفقا قال تعالى كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون قال ابن جرير وقال آخرون معنى ذلك كما أخرجك ربك من بيتك بالحق على كره من فريق من المؤمنين كذلك هم كارهون للقتال فهم يجادلونك فيه بعد ما تبين لهم ثم يرى نضوه عن مجاهدته قال كما أخرجك ربك قال كذلك يجادلونك في الحق وقال السدي أنزل الله في خروجه إلى بدر ومجادلتهم أي أده فقال كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون لطلب المشركين يجادلونك في الحق بعد ما تبين وقال بعضهم بسألونك عن الأنفال مجادلة كما جادلوك يوم ردقنا لولاء أخرجنا للعير ولم تعلمنا قنا لا فتستعده قلت رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أخرج من المدينة طابا بالعير أي سفيان التي بلغه خبرها أنها صادقة من الشام فيها أموال جزيلة لفرس فاستنص رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين من خف منهم فخرج في ثمانمائة وبضعة عشر رجلا وطلب نحو الساحل من على طريق بدر علم أن يوسفان بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبه فبعث ضعض من عمرو بنديار إلى أهل مكة فتمضوا (٢٩١) في قريب من ألف مقلع ما بين التسعمائة إلى الألف

وتيمان أن يوسفان بالعير إلى سيف البحر ففجأ وجاء النفر فورد وأما بدر وجمع الله المسلمين والكافرين على غير معاد لما يريد الله تعالى من إعلانه كلمة المسلمين ونصرهم على عدوهم والتفرقة بين الحق والباطل كما ساقى بيانه والغرض أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه خروج النفر أوصى الله إليه بعده إحدى الطائفتين أما العير وأما النفر وورع كثير من المسلمين إلى العير لأنه كسب بلا قتال كما قال تعالى وتودون أن نخزيهم الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين قال الحافظ أبو بكر ابن مردويه في تفسيره حديثنا

(كبير) متناه في الكبر وهو الجنة ووصف الأجر بما احتوى عليه من النعيم السرمدي ودفع التكليف والامن من عذاب الله والظفر إلى وجهه الكريم واختياره على العظم له لرعاية الفواصل ثم صلى الله سبحانه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال (فاعلم) لعظم ما تراهم منهم من الكفر والتكذيب واقترح الآيات التي يقتضونها عليك على حسب هواهم وتعتهم (تارك بعض ما يوحى إليك) مما أنزل الله عليك وأمرك بتبليغه مما ينشق عليهم سماعة ويستشقون العمل به كسب الهتهم وأمرهم بالإيمان بالله وحده وقيل هذا الكلام خارج مخرج الاستهزاء أي هل أنت تارك وقيل هو في معنى التي مع الاستبعاد أي لا يكون ممن ذلك بل تبليغهم جميع ما أنزل الله عليك أحبوا ذلك أم كرهوا أشاء أم أبوا (وضائق بصدرك) الضمير راجع إلى ما وإلى بعض وعبر بضائق دون ضيق لأن اسم الفاعل فيه معنى الحدث والعروض والصفة المشبهة فيها معنى الزوم (أن يقولوا) أي كراهة أو مخافة أو لاجل أن أو بأن لا وقال أبو البقاء لا يقولوا (لولا) أي هلا (أنزل عليه كنز) أي مال مكنون يخزون ينفع به ويستغنى به (أوجاء معه ملك) بصدقه وبين لنا صحة رسالته ثم بين سبحانه حاله صلى الله عليه وآله وسلم مقصود على النذارة فقال (إنما أتت نذير) ليس عليك إلا الانذار بما أوحى إليك وليس عليك حصول مطلوبهم وبإيجاد

سليمان بن أحمد الطبراني حديثنا بكر بن سهل حديثنا عبد الله بن يوسف حديثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أسلم بن عمر أنه حدث أنه سمع أبا أيوب الأنصاري يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بالمدينة أتني أخبرت عن عبد الله بن سفيان أنها مقبلة فهل لكم أن تخرج قبل هذا العير لعل الله أن يغفهاها فقلنا نعم فخرج وخرجنا فلما سمعنا أنوما أو يومين قال لنا ما ترون في قتال القوم فأنهم قد أخبروا بخروجكم فقلنا لا والله ما لنا طاقة بقتال العدو ولكن أكرهنا العير ثم قال ما ترون في قتال القوم فقلنا مثل ذلك فقال المقداد بن عمرو إذا قالوا للباري رسول الله كما قال قوم موسى لموسى أذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون قال فبينما هم مشر الانصار أن لوقلنا كما قال المقداد أحب الينامن أن يكون لنا مال عظيم قال فأنزل الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون وذكر تمام الحديث ورواه ابن أبي حاتم عن حديث ابن لهيعة بنحوه وروى ابن مردويه أيضا من حديث محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي عن أبيه عن جده قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر حتى إذا كان بالروحاء خطب الناس فقال كيف ترون فقال أبو بكر يا رسول الله بلغنا أنهم يمكن كذا وكذا قال ثم خطب الناس فقال كيف ترون فقال عمرو مثل قول أبي بكر ثم خطب الناس فقال كيف ترون فقال سعد بن معاذ يا رسول الله

اياتا ترفعون الذي اكرمك وانزل عليك الكتاب ماسلكتم اقط ولا يهاجم ولئن سرت حتى تأتي برك الغم ادمن ذي يمن لنسرين معك
 ولا تكون كالذين قالوا موسى اذهب أنت وربك فقاتلا ففعلنا انا معكم مقانلنا ولعلنا
 ان تكون خرجت لا مراء وحده الله الذي فانتظر الذي أحدث الله اليك فامض له فصل حبال من شئت واقطع حبال من
 شئت وعادم من شئت وسالم من شئت وخذ من أمونا ما شئت فقل انقرآن على قول ساعد كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان
 فريقان من المؤمنين لكارهون الايات وقال العوفي عن ابن عباس لما شاور النبي صلى الله عليه وسلم في لقاء العدو وقال له ساعد
 ابن عباد ما قال وذلك يوم بدر أمر الناس أن يتهبوا للقتال وأمرهم بالشوكه فذكره ذلك أهل الايمان فانزل الله كما أخرجك ربك
 من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعدما تبين لك انك لا تقنع لاهل الاما أمرك الله به قال ابن جرير وقال آخرون
 لهم وقال السدي يجادلونك في الحق بعدما تبين أي بعدما تبين لهم انك لا تقنع لاهل الاما أمرك الله به قال ابن جرير وقال آخرون
 عني بذلك المشركين حسد شايونس أنبأنا (٢٩٢)

مقترحاتهم (والله على كل شيء وكيل) يحفظ ما يؤولون وهو فاعل بهم ما يجب أن يفعل (أم
 يقولون افتراه) أم هي المنقطعة بمعنى بل والهمزة أضرب عما تقدم من تهاونهم بالوحي
 وعدم قنوعهم بما جاء به من المعجزات الظاهرة وشرع في ذكر ارتكابهم لما هو أشد من
 ذلك وهو افتراء وهم عليه بأنه افتراء والاستفهام للتقرير والتوبيخ والضمير المستتر للنبي
 صلى الله عليه وآله وسلم والبارز لما يوحى ثم أمر الله سبحانه أن يجب عليهم عاقبة قطعهم
 وبين كذبهم ونظيره يحزمهم فقال (قل فأناب عشر سور مثله) أي مماثلة له في البلاغة
 وحسن النظم وجزالة اللفظ ونظام المعنى ووصف السور بما يوصف به المفرد قال مثله
 ولم يقل أمثاله لان المراد مماثلة كل واحد من السور وألفه قصدا ليعلم إلى أن وجه التشبه
 ومداره مماثلة في شيء واحد وهو البلاغة البالغة إلى حد الابهام وهذا التماثل على القول
 بان المطابقة في الجمع والتثنية والافراد شرط وقيل لفظة مشل وان كانت بلفظ الافراد
 فانهم اوصف بها المثنى والجمع والمؤنث كقوله تعالى أنؤمن لنسرين مثلنا ونجوز
 المطابقة قال تعالى وحور عين كأمثال اللؤلؤ وقال تعالى ثم لا يكونوا أمثالكم والهاء
 في مثلنا تعود لما يوحى ثم وصف السور بصفة أخرى فقال (مقتريات) جمع مقتراة
 كصفتيات في مصطفاة فأنقلب الالفاء كالتثنية قاله السهني أي مختلفات حيث قالوا
 له افتريت هذا القرآن من عند نفسك وليس هو من عند الله فحدهم وأرعى لهم العنان

كما تأسيا قون إلى الموت وهم
 ينظرون قال هؤلاء المشركون
 جادلوه في الحق كما تأسيا قون إلى
 الموت حين يدعون إلى الاسلام وهم
 ينظرون قال وليس هذا من صفة
 الآخر من هذه صفة مبتدأة لاهل
 الكفر ثم قال ابن جرير ولا معنى لما
 قاله لان الذي قبل قوله يجادلونك في
 الحق خبر عن أهل الايمان والذي
 يتلوه خبر عنهم والصواب قول ابن
 عباس وابن اسحق انه خبر عن
 المؤمنين وهذا الذي نصره ابن جرير
 هو الحق وهو الذي يدل عليه سياق
 الكلام والله أعلم وقال الامام أحمد
 رحمه الله حدثنا يحيى بن بكير
 وعبد الرزاق قال حدثنا اسراييل

عن سماعة عن عكرمة عن ابن عباس قال قبل ان يرسل الله صلى الله عليه وسلم
 حين فرغ من بدر عليك بالهـ بـ ليس دونها شيء فتداه العباس بن عبد المطلب قال عبد الرزاق وهو أسير في وثاقه انه لا يصلح لأن قال
 ولم قال لان الله عز وجل انما وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك الله ما وعدك اسناد جليل يخرج وجه معنى قوله تعالى ويؤدون
 ان غزوات الشوكه تكون لكم أي يحبون ان الطائفة التي لاحد لها ولا منعة ولا قتال تكون لهم وهي العبر ويريد الله أن يحق
 الحق بكلماته أي هو يريد أن يجمع بينكم وبين الطائفة التي لها الشوكه والقتال ليطفر كهمهم وينصرهم عليهم ويظهر دينه ويرفع كلمه
 الاسلام ويجعله غالبا على الاديان وهو أعلم بعواقب الامور وهو الذي يدبركم بحسن تدبيره وان كان العباد يحبون خلاف ذلك فيما
 يظهر لهم كقوله تعالى كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم
 وقال محمد بن اسحق حدثني محمد بن مسلم الزهري وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر بن زيد بن رومان عن عروة بن
 الزبير وغيرهم من علماء ثنائين عبد الله بن عباس كل قد حدثني بعض هذا الحديث فاجتمع حديثهم فهاست من حديث بن رومان قالوا
 لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان مقبلا من الشام ندب المسلمين اليهم وقال هذه عير قرين فيها أموالهم فاخرجوا

اليه العال الله ان ينفلكم وهو افان تدب الناس تخف بعضهم وتقل بعضهم وذلك لانهم لم يظنوا ان رسول الله

حرا وكان اوسعهم ان قد استقر حين دامن الحجاز بتجسس الاخبار ويسأل من اتي من الركان نحو فاعلى امر

خبر من بعض الركان ان محمدا قد استقر اصحابه لك ولعيرك فخذر عند ذلك فاستأجر ضمهم من عمرو الغناري فبعثه الى اهل مكة وامره

ان ياتي قريشا فيستنفرهم الى أموالهم ويخبرهم ان محمدا قد عرض لهافي اصحابه فخرج ضمهم من عمرو وبعثه الى مكة وخرج رسول

الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه حتى بلغ واديا يقال له ذفران فخرج من مته اذا كان يعضه نزلوا به الخبر عن قريش بمسيرهم ليعنوا

عبرهم فاستنار رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس واخبرهم عن قريش فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال فاحسن ثم قام عمر رضي الله

عنه فقال فاحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض لما امرك الله به فحين معك والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل

امسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما قاتلون في الذي بعثك بالحق لو سرت بنا

الى بركة الغماد يعني مدينة الحبشة لخالدنا معك من دونه حتى تبلغه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير ثم قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم أشيروا علي أيها الناس واغريروا الانصار وذلك (٢٩٣) انهم كانوا عدد الناس وذلك انهم حين يابغوه

بالعبسة قالوا يا رسول الله انابرآه

من ذمامك حتى تصل الى دارنا فاذا

وصلت اليها فانت في ذمامنا نعم

فما سمع منه أبناؤه ونساءه وكان

رسول الله صلى الله عليه وسلم

يتخوف ان لا تكون الانصار ترى

عليها نصرة الا من دهمه بالمدينة

من عدوه وان ليس عليهم ان يسير

بهم الى عسقلان بل ادهم فلما قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك

قال له سعد بن معاذ والله لكانت

تريدنا يا رسول الله قال أجل

فقال فقد آمننا بك وصدقناك

وشهدنا ان ما جئت به هو الحق

وأعطيناك على ذلك عهدنا

ومؤثقتنا على السمع والطاعة

وقاوضهم على مثل ادعاهم وقال مقتربا في مقابلة قولهم اقتراء ولما اتحداهم بهذا الكلام امره بان يقول لهم (وادعوا) للاستظهار على المعارضة بالعشر السور (من استطعم) دعاه وقد رتب على الاستعانة به من هذا النوع الانساني (من دون الله) أي من تعبدونه وتجهلونوه بشر يكافئه سبحانه أي ادعوا من استطعم متجاوزين الله سبحانه (ان كنتم صادقين) فيما تزعمون من افتراءي له (فالم) تكتب بغيتون كافي خط المحقق وهذا في خصوص هذا الموضع (بتيحيسوا لكم) أي فان لم يفعلوا ما طلبتم به منهم وتحدتهم به من الايمان بعشر سور مثله ولا استجابوا الى المعارضة المطلوبة منهم ويكون الضمير في لكم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وللمؤمنين وللمؤمنات صلى الله عليه وآله وسلم وحده وجمع تعظيما وتوقيرا (فاعلموا) امر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وللمؤمنين وأول الرسول وحده على التأويل الذي سلف قريبا ومعنى امرهم بالعلم امرهم بالثبات عليه لانهم المعلومون بذلك من قبل بحز الكفار عن الايمان بعشر سور مثله والمراد بالامر بالعلم الامر بالازدياد منه الى حد لا يشوبه شك ولا تخالط شبهة وهو علم اليقين والاولى (أعما أنزل) مثلا (بعل الله) المختص بما لا يتطلع على كنهه العقول ولا تستوضح معناه الافهام لا اشتمل عليه من الاجحاز الخارج عن طوق البشر وليس مقتري على الله وانما اداة حصر ويجوز في ما ان تكون موصولة اسمية أو حرفية تقديره فاعلموا أن تنزله وأن الذي

فامض يا رسول الله لما امرك الله في الذي بعثك بالحق ان استطعت بنا هذا الخبر فخصه بفضله مع ما يتخلف منا رجل واحد

وما نكره ان تلقى شاعدا نأخذ اننا الصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يثبنا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فسر

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله سعدون نشطه ذلك ثم قال سبروا على بركة الله وابشر واثان الله قد وعدني احدي الطائفتين والله

لكافي الان انظر الى مصارع القوم وروى العوفي عن ابن عباس نحو هذا وكذلك قال السدي وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم

وعمر واحد من علماء السلف والخلف اختصرنا في قولهم اكنفوا بسياسي محمد بن اسحق (اذنستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني مكم

بالنفس من الملائكة مردفين وما جعله الله الا بشري وتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم) قال الامام احمد

حدثنا ابو نعيم حدثنا عمار حدثنا مالك الحنفي ابو زميل حدثني ابن عباس حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال

لما كان يوم بدر نظر النبي صلى الله عليه وسلم الى اصحابه وهم ثلثمائة وثلاثون وقلبي يوقظني الى المنكرين فاذا هم الف وزيادة فاستقبل النبي صلى

الله عليه وسلم القبلة وعليه رداء وادوا زاره ثم قال اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهللك هذه العصابة من اهل

الابلام فلا تبعني الا ارض أبدا قال فما زال يستغيب ربه ويدعوه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فانه انما يكره فأخذ رداءه فرداه

ثم التزمه من وراءه ثم قال يا بني الله كفالك مناشداتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فانزل الله عز وجل اذنستغيثون ربكم فاستجاب

وقوله تعالى بالآمن الملائكة مردين أي يردف بعضهم بعضا كما قال هرون بن شيرة عن ابن عباس مردين متتابعين ويحتمل أن المراد مردين لكم أي تجتهد لكم كما قال العوفي عن ابن عباس مردين يقول المدد كما تقول أنت للرجل زده كذا وكذا وهكذا قال مجاهد وابن كثير القاري وابن زيد مردين عذبين وقال أبو كريمة عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس يمددكم ربكم بالآمن الملائكة مردين قال وراه كل ملك ملك وفي رواية بهذا الاسناد مردين قال بعضهم على أثر بعض وكذا قال أبو ظبيان والفتح وقادة وقال ابن جرير حدثني المثنى حدثنا اسحق حدثنا يعقوب بن محمد الزهري حدثني عبد العزيز بن عمران عن الربيع عن أبي الحويرث عن محمد بن جبير عن علي رضي الله عنه قال نزل جبريل في آلف من الملائكة عن ميمنة النبي صلى الله عليه وسلم وفيها أبو بكر ونزل ميكائيل في آلف من الملائكة عن ميسرة النبي صلى الله عليه وسلم وأنا في الميسرة وهذا يقتضي أن صح أسناده أن الآلف مر دفعة بثلثها ولهذا أقر بعضهم مردين يفتح الدال والله أعلم والشهم ومارواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال واهد الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالآمن الملائكة فكان جبريل في خمسة آلف من الملائكة فخمسة ميكائيل في خمسة آلف فخمسة وروى الامام أبو جعفر بن جرير ومسلم من حديث عكرمة بن عمار عن أبي زميل (٢٩٥) سهال بن وليد الحنفي عن ابن عباس عن

عمر الحديث المتقدم ثم قال أبو زميل حدثني ابن عباس قال ينزل رجل من المسلمين يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه اذسمع ضربة بالسوط فوقه وصوت القارص يقول اقدم حيزوم اذنظر الى المشرك أمامه فمر مستلقيا قال فظفر اليه فاذا هو قد حطم وشق وجهه كضربة السوط فاحضر ذلك أجمع فجاء الانصاري فحدث ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة فقتلوا يومئذ سبعين وأسر واسبعين وقال البخاري باب شهود الملائكة بدرا حدثنا اسحق بن ابراهيم حدثنا جرير عن يحيى بن سعيد عن معاذ بن رفاع

الى تأويل وأما ضعفه فلما في ترتيب الامر بالعلم على عدم الاستجابة ممن دعواهم واستعانوا بهم من الخفاء واحتياجه الى تكلف وهوان يقال ان عدم استجابة ممن دعواهم واستعانوا بهم من الكفار والالهي مع حرصهم على نصرهم ومعاذتهم ومباغتهم في عدم ايمانهم واستمرارهم على الكفر بقصد حصول العلم لهؤلاء الكفار بان هذا القرآن من عند الله وان الله سبحانه هو الاله وحده لا شريك له وذلك لوجوب دخوله في الاسلام واعلم انه قد اختلف التصدي للكفار بما روضة القرآن فتارة وقع بمجموع القرآن كقوله لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بجمل هذا القرآن لا يأتون بمثله وبعض سور كافي هذه الآية وذلك لان العشرة أول عقد من العقود وسورة منه كما تقدم في البقرة ويونس وذلك لان السورة أقل طائفة منه ثم ان الله سبحانه هو عدم كانه مصورا للهمة على الدنيا لا يطلب غيره ولا يريد سواها فقال (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها) واختلف أهل التفسير في هذه الآية فقال الضعفاء نزات في الكفار وأهل الشرك واختاره النحاس بدليل الآية التي بعدها وأما الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وقال أنس نزات في اليهود والنصارى وعن الحسن مثله وقيل نزات في المنافقين وقيل الآية واردة في الناس على العموم كافرهم ومسلمهم والجل على العموم أولى والمعنى ان من كان يريد به عمله حظ الدنيا يكافأ بذلك وليس المراد مجرد الإرادة والمراد بنيتها ما ينهوا ويحسنها من الصحة والامن والسعة في

ابن رافع الزرقاني عن أبيه وكان أبوه من أهل بدر قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما تعدون أهل بدر فيكم قال من أفضل المسلمين وأكلمة وشوها قال وكذلك من شهد بدر من الملائكة انفر بنا نراجه البخاري وقد رواه الطبراني في المعجم الكبير من حديث رافع بن خديج وهو خطأ والصواب رواية البخاري والله أعلم وفي الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر لما شاوره في قتل حاطب بن أبي بلتعنة انه قد شهد بدر وأما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعلموا ما شئتم فقد غفرت لكم وقوله تعالى وما جعل الله الا بشرى الاية أي وما جعل الله بعث الملائكة واعلامه اياكم بهم الا بشرى ولطمتم من به قلوبكم والافوهو تعالى قادر على نصركم على أعدائكم وانطمتم به قلوبكم وما النصر الا من عند الله اي بدون ذلك ولهذا قال وما النصر الا من عند الله كما قال تعالى فاذا قضيت الذين كفروا فاضرب الرقاب حتى اذا تخشعوا لهم فشدوا الوثاق فاما من بعدهم افاذ حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليسوا ببعضكم بعض والذين قتالوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيدهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم وقال تعالى وثالث الايام نداهم الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويختصمكم شهداء الله لا يحب الظالمين وليسمع الله الذين آمنوا ويعق الكافرين فهذه حكم شرع الله جهاد الكفار بأيدى المؤمنين لا جاهدوا وقد كان تعالى انصافا قبا لام السالف المذبذبة

للا نبياء بالتواريخ التي في تلك الامم المكذبة كما اذله قوم نوح بالطوفان وعاد الاولي بالدينور وعبود الصيحة وقوم لوط بالخنز والقلب
 وجارة السجيل وقوم شعيب يوم الظلة فلما بعث الله تعالى موسى واخلاه عدو وفرعون وقومه بالغرق في اليم ثم انزل على موسى التوراة
 شرع فيها فقال الكفار استمر الحكم في بقية الشرائع بعده على ذلك كما قال تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب من بعد ما احكمت الذنون
 الاولى بصائر وقتل المؤمنين للكافرين واشهدا هالة للكافرين واشئى لصدور المؤمنين كما قال تعالى للمؤمنين من هذه الامم فانلهم
 بعدهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدورهم مؤمنين ولهذا كان قتل صناديد قريش بايدي اعدائهم الذين
 يتطرون اليهم باعين انذارهم انك لهم واشئى لصدور حزب اليعان كقتل ابي جهل في معركة القتال وسومة الوثني اشدها هالة لمن
 سوة على فراسه بقارعة واصاعة او تحوذ ذلك كما مات ابو ليل لعنه الله بالعدسة بحيث لم يقربه أحد من اقرابه وانما غلبوا الماء
 قد فاض بعيسدور جود حتى دفنوه ولهذا قال تعالى ان الله عزير اى العزة ولرسوله وللمؤمنين بهما في الدنيا والاخرة كقوله
 تعالى اننا لننصر رسلانا الذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الانهاد حكمهم فيما شرعهم من قتال الكفار مع القدرة على دمارهم
 واخلا كلهم بجموله وقوته سبحانه وتعالى (٢٩٦) (اذيعتكم العاص امنته ونزل عليكم من السماء ما ليطهركم به ويذهب

عنكم رجس الشيطان وابيرط على
 قلوبكم ويثبت به الاقدام اذ يوحى
 ريك الى الملائكة اى معكم فتتوا
 الذين آمنوا سألني في قلوب الذين
 كفروا والرب قاض بوافوق
 الاعناق واضربوا منهم كل بنان ذلك
 بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق
 الله ورسوله فان الله شديد العقاب
 ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب
 النار يذكرهم الله تعالى بما انعم به
 عليهم من القائه العاص عليهم امانا
 آمنهم به من خوفهم الذي حصل لهم
 من كثرة عدوهم وقلة عددهم وكذلك
 فعل تعالى بهم يوم أحد كما قال تعالى
 ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نقاما
 يغشى طائفة منكم وطائفة قد

الرزق وارتناع الخط وتقاذ القول وكثرة الارلا دور الياسة وفحذ ذلك وادخل كان في الاية
 ينيديهم مستمرون على ارادة الدنيا باعمالهم لا يكادون يريدون الاخرة ولهذا قيل انهم
 مع اعطائهم حظوظ الدنيا يعذبون في الاخرة لانهم جردوا قسدهم الى الدنيا ولم يعملوا
 للاخرة وظاهر قوله (وف اليهم اعمالهم فيها) ان من اراد به عمله الدنيا حصل له الجزاء
 الديني ولا محالة ولكن الواقع في الخارج يخالف ذلك فليس كل متقن ينال من الدنيا
 امنية وان عمل لها واراد اخلا بدين تقييد ذلك بعيشة الله سبحانه عن ابن عباس قال
 يعني من عمل صالحا القاس الدنيا صوما وصلاوة اترجمه بالليل لايعمله الا لذلك قال
 الترطبي ذهب اكثر العلماء الى ان حذ الاية مطلقه وكذلك الاية التي في الشورى ومن
 كان يريد خزن الدنيا فونه منها كذلك ومن يرد ثواب الدنيا فونه منها فو يذهبوا وفسر بها
 التي في سحان من كان يريد الما جله بحمل له فيها ما شاء من يزيد (وعسم فيها الايجسون)
 اى وهؤلاء المرديدون باعمالهم الدنيا عظم في الدنيا لا يتقصون من جزائهم فيها بحسب
 اعمالهم له او ذلك في الغالب وليس بمطرد بل ان قصته به شئته سبحانه ورجحه حكمته
 الباطنة وقال الثاني معنى الاية من كان يريد به عمل الخير الحياة الدنيا وزينتها فوفى
 اليهم اعمالهم وانية ككامله من غير يخص في الدنيا وهو ما ينالون من الصحة والكفافي
 وسائر اللذات والطيبات والمنافع فخص الجزاء بمثل ما ذكره وهو حاصل لكل عامل للدنيا

أهمهم أنفسهم الاية قال ابو طلحة كنت ممن أصابه العاص يوم أحد ولم يندسقط السيف من يدي
 مراراً بسقط وأخذوه بسقط وأخذوه ولقد نظرت اليهم يتدورهم تحت الخلف وقال الخافض أبو يعلى حدثنا زهير حدثنا ابن مهدي
 عن شعبة عن أبي إسحق عن حارثة بن مضرب عن علي رضي الله عنه قال ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد واقدرنا وناوماقنا
 الا نأتم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي تحت شجرة ويكي حتى أصبح وقال سديان الثوري عن عاصم عن أبي رزير عن عبد الله
 ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال العاص في القتال آمنه من الله وفي الصلاة من الشيطان وقال قتادة العاص في الرأس والثوم
 في القلب قلت أما العاص فقد أصبح يوم أحد وأمر ذلك مشهور جداً وأما يوم بدر فبهذه الآية الشريفة انما هي في سياق قصة بدر
 وهي دالة على وقوع ذلك أيضاً وكن ذلك ككان للمؤمنين عند شدة البأس تكون قلوبهم آمنة مطمئنة بنصر الله وهذا من
 فضل الله ورجحته بهم ونعمته عليهم كما قال تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا ولهذا جاء في الصحيح أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم لما كان يوم بدر في العريش مع الصديق رضي الله عنه وهما يدعوان أخذت رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة من النوم ثم
 استيقظ متبهما فقال ابشرا يا أبكرهما ناجيا بل على شياها التمع ثم خرج من باب العريش وهو يقول قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون

شراباطهورأى مظهر الماكان من غل أو حسد أو تباعض وهو زينة الباطن وطهارته وليربط على قلوبكم أى بالصبر والاقدام على
 جبالدة الاعدام وهو شجاعة الباطن وبثبته بالاقدام وهو شجاعة الظاهر والله أعلم وقوله أذبحى ربك الى الملائكة أى معكم
 فثبتوا الذين آمنوا وهذه نعمة خفية تظهرها الله تعالى لهم ليسكره عليها هو وأنه تعالى وتقدس وتبارك وتعالى وقيل أذبحى الى
 الملائكة الذين أنزلهم لنصرتهم ودينه وحزبه المؤمنين يوحى اليهم فيما بينه وبينهم أن يثبتوا الذين آمنوا قال ابن اسحق
 وأزروهتم وقال غيره فانوا لمعهم وقيل كثر واسودهم وقيل كان ذلك بأن الملك كان يأبى الرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
 فيقول سمعت هؤلاء القوم يعنى المشركين يقولون والله لئن جئنا لعيننا لنكتشف فيحدث المسلمون بعضهم بعضا بذلك فتقوى أنفسهم
 حكما بن جبرير وهذا الظن بجره وقوله سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب أى يثبوا أتم المؤمنين وقوا أنفسهم عن أعدائهم عن
 أمرى لكم بذلك سألقى الرعب والذلة والصغار على من خاف أمرى وكذب رسولى فأضربوا فوق الاعناق وأضربوا منهم كل شان أى
 أضربوا الهام ففلقوها وأضربوا الرقاب فقطعوها وقطعوا الاطراف منهم وهى أيديهم وأرجلهم وقد اختلف المفسرون في معنى
 فوق الاعناق فقبل معناه أضربوا الرؤس (٢٩٨) قاله عكرمة وقيل معناه أى على الاعناق وهى الرقاب قاله الضحاك

صلى الله عليه وآله وسلم من تعلم علم الغيا لله أو أراد به غير الله فليتبوأ عقابه من النار
 أخرجه الترمذى وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم يقول قال الله تعالى أنا غنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معى
 غيرى تركته وشركه أخرجه مسلم وفى الباب أحاديث بمعناه والرايه هو الشرك الأصغر كما
 ورد فى الحديث وهذا هو أحد الأقوال والذى تقتضيه جزالة النظم الكريم ان المراد به
 مطلق الكفر بحيث يندرج فيه القادحون فى القرآن العظيم اندراجا وليما فانه عز وجل
 لما أمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين بان يزادوا علما و يقيناً بان القرآن منزل يعلم
 الله وبان لا قدرة لغيره على شئ أصلا ويهيجهم على الثبات على الاسلام والرسوخ فيه عند
 ظهور بحجج الكفرة وما يدعون من دون الله عن المعارضة وتبين انهم ليسوا على شئ أصلا
 اقضى الحال ان يتعرض لبعض شؤهم الموهمة لكونهم على شئ فى الجملة من ينالهم
 المخطوط العاجلة واستيلاهم على المطالب الديونية وبيان ان ذلك مجهول عن الدلالة عليه
 ولقد بين ذلك أى بيان ثمين سبحانه ان بين من كان طالبا للدين فقط ومن كان طالبا
 للاخرة تفاوتا عظيما وتباينا بعيدا فقال (أفمن كان على بينة) برهان يدل على الحق (من
 ربه) فى اتباع النبي صلى الله عليه وآله وسلم والايمان بالله كغيره من يريد الحياة الدنيا
 وزينتها وقيل المراد به النبي صلى الله عليه وآله وسلم أى أفمن كان معه بيان من الله ومجزة

وعطية العرفى ويشهد له هذا
 المعنى ان الله تعالى ارشد المؤمنين
 الى هذا فى قوله تعالى فاذا لقيتم
 الذين كفروا فاضرب الرقاب حتى
 اذا أخذتمهم فشددوا وثاقا وقال
 وكيع عن المسعودى عن القاسم
 قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
 انى لم أبعث لاذع بعباد الله اتعا
 بعثت بضرب الرقاب وشددوا وثاقا
 واختار ابن جرير انه اشد على
 ضرب الرقاب وفاق الهام قلت وفى
 ما غزى الاموى ان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم جعل عرين القتلى يوم بدر
 فيقول يلقى هاما فيقول أبو بكر
 من رجال أعزة
 علينا وهم كانوا أعز وأظلم

فبتدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأول البيت ويستطعم أبابكر رضى الله عنه انشادا آخره لانه كان
 لا يحسن انشاد الشعر كما قال تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له وقال الربيع بن أنس كان الناس يوم بدر يعرفون قتلى الملائكة ممن
 قتلهم بضرب فوق الاعناق وعلى البنان مشدول النار قد أحرق به وقوله وأضربوا منهم كل شان قال ابن جرير معناه وأضربوا
 من عدوكم أي المؤمنين كل طرف ومفصل من أطراف أيديهم وأرجلهم والبنان جمع بنانة كما قال الشاعر
 ألابتنى قطعت منى بنانة * ولا فيه فى البيت يقطن جادرا
 وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس وأضربوا منهم كل بنان يعنى البنان الاطراف وكذلك قال الضحاك وابن جرير وقال
 السدى البنان الاطراف ويقال كل مفصل وقال عكرمة وعطية العرفى والضحاك فى رواية أخرى كل مفصل وقال الأوزاعي
 فى قوله تعالى وأضربوا منهم كل بنان قال أضرب منه الوجه والعين وارمه بنشاب من نار فاذا أخذته حرم ذلك كله عليه وقال
 العوفى عن ابن عباس فذكر قصة بدر الى أن قال فقال أبو جهل لا تقتلواهم قتل لاولى كن خذوهم أخذنا حتى تعرفوهم الذى
 صنعوا من طعنهم فى دينكم ورجعتهم عن اللات والعزى فأوحى الله الى الملائكة أو بمعكم فثبتوا الذين آمنوا سألنى فى قلوب الذين

كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان الآية فقتل أبو جهل لعنه الله في تسعة وستين رجلا وأسر عتبة بن أبي معيط فقتل صبرا فوق ذلك سبعين يعني قتيلا ولهذا قال تعالى ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله أي طافوهما فاساروا في شق وتركوا الشرح واليمان به واتباعه في شق ومأخوذ أيضا من شق العصا وهو جعلها فرق بين ومن يشاق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب أي هو الشالب الغالب لمن خالفه وناروا ولا يقوته شيء ولا يقوم لغضبه شيء تبارك وتعالى لا اله غيره ولا رب سواه ذلكم فذوقوه وإن للكافرين عذاب النار ههنا خطباء للكفار أي ذوقوا ههنا العذاب والتكاليف في الدنيا واعلموا أيضا أن للكافرين عذاب النار في الآخرة **(بابها الذين آمنوا إذا القيت من الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحيرا فالتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير)** يقول تعالى متوعدا على الفرار من الزحف بالنار لمن فعل ذلك **(بابها الذين آمنوا إذا القيت من الذين كفروا زحفا أي تقارب بهم منهم ودنوتم منهم فلا تولوهم الادبار أي تقربوا وتتركوا أصحابكم ومن يولهم يومئذ دبره الا متحيرا فالتال أي يقرب بين يديه قربة مكيدة ليريه انه قد خاف منه فيتبعه ثم يكر عليه فيقتله فلا بأس عليه في ذلك نص عليه سعيد بن جبير والسدي وقال الضحاك أن يتقدم عن أصحابه (٢٩٩) ابرى غرة من العدو فيصيدها أو متحيزا إلى فئة**

كالقرآن ومعه شاهد بجبريل وقد بشرت به الكتب السابقة يكن كأن يريد الحياة الدنيا وزينتها والضمير في (ويتلو شاهد) راجع إلى المينة باعتبار تأويلها بالبرهان أي يؤيده ويشدده ويقويه والضمير في (منه) راجع إلى القرآن لأنه تقدم ذكره في قوله أم يقولون افتراء أو راجع إلى الله تعالى والمعنى ويتلو البرهان الذي هو المينة شاهد يشهد بصحته من القرآن أو من الله سبحانه والشاهد هو الالفاظ السكاكن في القرآن أو المعجزات التي ظهرت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإن ذلك من الشواهد التابعة للقرآن وقال القراء قال بعضهم ويتلو شاهد منه الانجيل وإن كان قبله فهو يتلو القرآن في التصديق والها في منه لله عز وجل وقيل المراد بمن كان على يمينه ربه هم مؤمنوا أهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضربه وعن علي بن أبي طالب قال ما من رجل من قريش الا انزل فيه طائفة من القرآن فقال له رجل ما نزل فيك قال أما تقرأ سورة هود أفن كان على يمينه من ربه يتلو شاهد منه فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمينه ربه أو ناشاهد منه أخرجه أبو نعيم وابن أبي حاتم وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويتلو شاهد منه على أخرجه ابن عساکر وعنه ووددت اني أنا هو ولكنه لسان محمد وعنه ابن عباس ان الشاهد جبريل ووافقه سعيد بن جبير وعلقمة وبرايم ومجاهد والضحك وأكثر المفسرين وقال الحسن وقادة هو لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووجه ذلك

ذهبنا فأتيناه قبل صلاة الغداة فنخرج فقال من القوم فقلنا نحن القارون فقال لا بل أنتم العكارون أنافتكم وأنافته المسلمين قال فأتيناه حتى قلنا بيه وهكذا رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من طرق عن يزيد بن أبي زياد وقال الترمذي حسن لانعرفه الا من حديث ابن أبي زياد ورواه ابن أبي حاتم من حديث يزيد بن أبي زياد بيه وزاد في آخره وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية أو متحيزا إلى فئة قال أهل العلم معنى قوله العكارون أي العطاؤون وكذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن أبي عبد الله ما قتل علي الجسر بارض فارس لكثرة الخبيث من ناحية الجوس فقال عمر لوتحيز إلى لكتة فقتله هكذا رواه محمد بن سيرين عنه وفي رواية أبي عثمان النهدي عن عمر قال لما قتل أبو عبيد قال عمر أيها الناس أنافتكم وقال مجاهد قال عمر أنافته كل مسلم وقال عبد الملك بن عمير عن عمر أيها الناس لانفرتكم هذه الآية فانما كانت يوم يدروا أنافته لكل مسلم وقال ابن أبي حاتم حديثا أبي حدثا حسان ابن عبد الله المصري حديثا لخلاص سليمان الحضرمي حديثا فاق أنه سأل ابن عمر قلت أنافتم عند قتال عدونا ولا ندرى من الفئة أمامنا أو عسكرنا فقال ان الفئة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الله يقول اذا القيت من الذين كفروا زحفا الآية فقال انما أنزلت هذه الآية في يوم بدر لاقيلها ولا بعدها هو قال الضحاك في قوله أو متحيزا إلى فئة التحيز الفار إلى النبي وأصحابه وكذلك من فر اليوم إلى أمره وأصحابه فاما ان كان الفرار لا عن سبب من هذه الاسباب فانه حرام وكبير من الكبائر لما رواه البخاري ومسلم في الصحيحين

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الأياحق وكل الرأوا وكل مال اليتيم والتولي يوم الرخف وقد نف الخصومات الغافلان المؤمنات وله شواهد من رجوعه آخر ولهذا قال تعالى فقد جاء أي ربح بغضب من الله ومأواه أي مصره ومثقله يوم مبعاده ومأواه جهنم وبئس المصير قال الامام أحمد حدثنا زكريا بن علي حدثنا عبد الله بن عمر الرقي عن زيد بن أبي أنيسة حدثنا جليل بن سحيم عن ابي المنى العبدى سمعت السدوسي يعني ابن الخصاصية وهو بشير بن معبد قال أثبت النبي صلى الله عليه وسلم لابايعه فاشترط على شهادة ان لا اله الا الله وان محمد عبده ورسوله وان أقيم الصلاة وان أؤدى الزكاة وان أخرج حجة الاسلام وان أصرم شهر رمضان وان أجاهد في سبيل الله فقلت يا رسول الله اما انت تان قوا لا لأطيعهما الجهاد فانهم زعموا انهم ولي الدبر فقد ربه بغضب من الله فآخاف ان حضرت ذلك خشعت نفسي وكهت الموت والصدقة فوالله ما الى الاغنية وعشر زود عن رسول اهل وجولهم فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بده ثم حرك بده ثم قال فلاجهاد ولا صدقة فم تدخل الجنة اذن قلت يا رسول الله انا بأباعد فبايعته عليهن كاهن هذا (٣٠٠) حديث غريب من هذا الوجه ولم يخرجوه في الكتب الستة وقال الحافظ أبو

القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن حمزة حدثنا اسحق ابن ابراهيم أبو النضر حدثنا يزيد ابن ربيعة حدثنا أبو الاسعث عن ثوبان مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث لا ينفق معهن عمل الشرك بالله وعقوق الوالدين والقرار من الرخف وهذا أيضا حديث غريب جدا وقال الطبراني أيضا حدثنا العباس بن الفضل الاسفاطى حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا حفص بن عمر السني حدثني عمرو بن مرة قال سمعت بسال بن يسار بن زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت أبي يحدث عن جدي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان اللسان لما كان يعرب عما في الجنان ويظهر ما جعل كالشاهد لانه آية الفضل والبيان وبه بتي القرآن وقال بجاهد الشاهد هو ملك يحفظ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويسدده والاول وأولى (ومن قبله) أي القرآن (كتاب موسى) عطف على شاهد والتقدير يتلون الشاهد وشاهد آخر وهو كتاب موسى فهو وان كان متقدما في النزول فهو يتلو الشاهد في الشهادة وانما تقدم الشاهد على كتاب موسى مع كونه متأخرا في الوجود لكونه وصفا لازما غير مفارق فكان أعرف في الوصفية من كتاب موسى ومعنى شهادة كتاب موسى وهو التوراة انه نشر بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وأخبر بأنه رسول من الله قال الزجاج والمعنى ويتلو من قبله كتاب موسى لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم موصوف في كتاب موسى بحسبونه مكتوبا عندهم في التوراة والاضيل وقرى كتاب موسى بالنصب أي تنازل كتاب موسى جبريل (امام ورجة) الامام هو الذي يؤتم به في أمور الدين ويقتدى به في الاحكام والشرائع والرجة النعمة العظيمة التي أنعم الله بها على من أنزله عليهم وعلى من بعدهم الى يوم القيامة باعتبار ما اشتمل عليه من الاحكام الشرعية الموافقة لحكم القرآن (أولئك) أي المتصفون بتلك الصفة الفاضلة وهو الكون على البينة من الله (يؤمنون به) أي يصدقون بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وبالقرآن (ومن يكفره) أي بالنبي أو بالقرآن (من الاحزاب) وهم المتخزون على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من

من قال أستغفر الله الذي لا اله الا هو وأتوب اليه غفر له وان كان قد كفر من الرخف وهكذا رواه أبو داود عن موسى بن اسمعيل به والترمذي وقال غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه قلت ولا يعرف لزيد مولى النبي صلى الله عليه وسلم عنه سواء وقد ذهب ذاهبون الى ان الفرار عما كان حراما على الصحابة لانه كان فرض عين عليهم وقيل على الانصار خاصة لانهم بايعوا على السمع والطاعة في المشط والمكره وقيل المراد بهذه الآية أهل بدر خاصة روى هذا عن عمرو بن عباس وأبي هريرة وأبي سعيد وأبي نضرة ونافع مولى بن عمرو وسعيد بن جبير والحسن البصري وعكرمة وقادة الضحالك وغيرهم وبحثهم في هذا انه لم تكن عصابة لها شوكة يقفون اليها الا عصا بهم تلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ان تهل هذه العصابة لا تعدي في الارض ولهذا قال عبد الله بن المبارك عن مبارك بن فضالة عن الحسن في قوله ومن يولهم يومئذ دبره قال ذلك يوم بدر فاما اليوم فان انحاز الى فئة أو مصرأ حسبه قال فلا بأس عليه وقال ابن المبارك أيضا عن ابن له مع حديثي بن زيد أي حبيب قال أوجب الله تعالى لمن فرو يوم بدر النار قال ومن يولهم يومئذ دبره الامتحرا قال قتال أو متحرا الى فئة فقد جاء بغضب من الله فلما كان يوم أحد بعد ذلك قال ان الذين يولون انفسكم يوم التي الجعان الى قوله ولقد عفا الله عنهم ثم كان يوم حنين بعد ذلك بسبع سنين قال ثم وليت مدبر بن ثم

يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء في سنة أبي داود والنسائي ومستدرک الحاكم وتفسير ابن جرير وابن مردود به من حديث داود
 ابن أبي هند عن أبي بصرة عن أبي سعيد أنه قال في هذه الآية ومن أولهم يومئذ به أعاء أنزلت في أهل بدر وهذا كله لا ينبغي أن
 يكون القرار من الزحف حراما على غيرهم وإن كان سبب نزول الآية فيهم كإدلال عليه حديث أبي هريرة المتقدم من أن القرار من
 الزحف من الموتات كما هو مذهب الجاهل بالله أعلم (فلم يقتلوه ولكن الله قتلهم وما رميت أذريت ولكن الله يرمي
 المؤمنين منه بلاء حسنا إن الله سامع عليم ذلكم وإن الله سيوفن كيد الكافرين) بين تعالى أنه خالق أفعال العباد وأنه المحمود على
 جميع ما صدر عنهم من خير لأنه هو الذي وفقهم له وأعانهم عليه ولهذا قال فلم يقتلوه ولكن الله قتلهم أي ليس بجهلكم وقوتكم
 قتلتم أعداءكم مع كثرة عددهم وقلة عددكم أي بل هو الذي أظفركم عليهم كما قال ولقد نصركم الله يديروا وتم أدلة الآية وقال تعالى
 لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين أذ عجبكم كثيرا فلم يفتح عنكم شيئا وضائق عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم
 مدبرين يعلم تبارك وتعالى أن النصر ليس على كثرة العدد ولا بليس الأثرة والعدد وإنما النصر من عنده تعالى كقوله
 تعالى لكم من فئمة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله الصابرين (٣٠١) ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم أيضا

في شأن القبضة من الشرب التي
 حصبها وجوه الكافر يوم بدر
 حين خرج من العرش بعد دعائه
 ونصره واستكاثه فرماهم بها
 وقال شأهت الوجوه ثم أمر أصحابه
 أن يصدقوا الجملة اثره فاعلوا
 فأوصل الله تلك الحصاة إلى عين
 المشركين فلم يبق أحد منهم إلا ناله
 منها ما شغله عن حاله ولهذا قال
 تعالى وما رميت أذريت ولكن
 الله رمى أي هو الذي بلغ ذلك اليهم
 وكتبهم بها أنت قال علي بن أبي
 طلحة عن ابن عباس رفع رسول الله

أهل مكة وغيرهم أو المتحيزون من أهل الأديان كلها قال قتادة الكفار حزاب كلهم على
 الكفر (فالتاريخ وعده) أي هومن أهل النار لا محالة وفي جعل النار موعدا لشعابان فيها
 ما لا يحيط بها الوصف من آفان العذاب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم والذي نفس محمد بسده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة لا يهودي ولا نصراني ومات
 ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار أخرجه البغوي بسنده قال سعيد بن
 جبرة بالغني حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على وجهه الا وجدت مصداقه
 في كتاب الله حتى بلغني هذا الحديث فقلت أين هذا في كتاب الله حتى أتيت على هذه الآية
 (فلانك في صرمة منه) أي في شك من كون القرآن نازلا من عند الله وفيه تعريض بغيره
 صلى الله عليه وآله وسلم لأنه معصوم عن الشك في القرآن أو في شك من الموعد والمرية
 بالكسر والضم والاولى لغة الحجاز وبها قرأها جميع الناس والثانية لغة أسد وتميم وبها قرأ
 السلمي وغيره (أنه الحق من ربك) فلا مدخل للشك منه بحال من الأحوال (ولكن أكثر
 الناس لا يؤمنون) بذلك مع وجوب الايمان به وظهور الدلائل الموجبة له ولصحة
 يعاندون مع علمهم بكونه حقا وقد طبع على قلوبهم فلا يفقهون أنه الحق أصلا (ومن أظلم
 ممن افترى على الله كذبا) أي لا أحد أظلم منهم لا تقسم لانهم افترى واعلنه سبحانه كذبا
 بقولهم لا صنمهم هو لا شفعاؤنا عند الله وقولهم الملائكة بنات الله وأضافوا كلامه

جبريل خذ قبضة من التراب فارم بها في وجوههم فأخذ قبضة من التراب فرمى بها في وجوههم فأمسك المشركون
 ومضى به وفيه تراب من تلك القبضة فولو لم يدبرين وقال السدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه يوم بدر أعطى
 حصبا من الأرض فنأولته حصبا عليه تراب فرمى به في وجوه القوم فلم يبق مشرك الا دخل في عينيه من ذلك التراب شيء ودفنهم
 المؤمنون يقتلوا منهم ويأسر منهم وأزل الله فلم يقتلوه ولكن الله قتلهم وما رميت أذريت ولكن الله رمى وقال أبو معشر المدني عن
 محمد بن قيس ومحمد بن كعب القرظي قال لما دنا القوم بعضهم من بعض أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من تراب فرمى بها في
 وجوه القوم وقال شأهت الوجوه فدخلت في أعينهم كلهم وأقبل أصحاب رسول الله يقتلوا منهم ويأسر منهم وكانت هزيمة في رمية
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله وما رميت أذريت ولكن الله رمى وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وما رميت أذريت ولكن الله
 رمى قال هذا يوم بدر أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث حصبات فرمى بحصبات مينة القوم وحصبات في ميسرة القوم وحصبات
 بين أظهرهم وقال شأهت الوجوه فانهزموا وقدر وى في هذه القصة عن عروة ومجاهد وعكرمة وقيادة وغيره واحد من الأئمة أنها
 نزلت في رمية النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر وإن كان قد فعل ذلك يوم حنين أيضا وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا جابر بن منصور

حدثني يعقوب بن محمد حدثنا عبد العزيز بن عمران حدثنا سوسى بن يعقوب بن عبد الله بن ربيعة عن يزيد بن عبد الله عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حنيفة عن حكيم بن حزام قال لما كان يوم بدر جمعنا صوابا وقع من السماء كأنه صوت حمة وقعت في طست ورمى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الرمية فقام زمنا غريب من هذا الوجه وهو هنا قولان آخران غريبان جدا أحدهما قال ابن جرير حدثني محمد بن عوف الطائي حدثنا أبو القعيرة حدثنا صفوان بن عمرو حدثنا عبد الرحمن بن جبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم ابن أبي الحقيق بجير دعا بقوس فألقى بقوس طويلا وقال جيوئي بقوس غير خارجة بقوس كبير فرمى النبي صلى الله عليه وسلم الحصن فأقبل السهم بهوى حتى قتل ابن أبي الحقيق وهو في فراشه فأنزل الله عز وجل وما ريت أذريت ولكن الله رمى وهذا غريب واستاذنا دجيد إلى عبد الرحمن بن جبير بن نفير ولعله اشتبه عليه وأناه أراد أن الآية تعم هذا كله ولا انساق الآية في سورة الانشال في قصة بدر لا محالة وهذا مما لا يخفى على أئمة العلم والله أعلم والثاني روى ابن جرير أيضا والداكم في مستدرکه باسناد صحيح إلى سعد بن المسيب والزهرى أنهما قالوا أنزلت في رمية النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد أي بن خلف بالجرية وهو في لآفته قد شفه في رقبته فجعل يثدأ عن فرسه مرارا حتى كانت (٣٠٢) وفاته بعد أيام قاسى فيها العذاب الاليم موصولا بعذاب البرزخ المتصل

بعذاب الآخرة وهذا القول عن هذين الامهين غريب أيضا جدا ولعلهما أرادا ان الآية تتناول به ومها لانها نزلت فيه خاصة كما تقدم والله أعلم وقال محمد بن اسحق حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير في قوله ويلبلى المؤمنين منه ولا حسنا أى يعرف المؤمنين من نعمته عليهم من اظهارهم على عدوهم مع كثرة عدوهم وقلة عدوهم ليعرفوا بذلك حقه فيشكروه وهكذا افسره ابن جرير أيضا وفي الحديث وكل بلاء حسن ابلاؤنا وقوله ان الله سميع عليم أى سميع الدعاء عليهم بن يستحق النصر والغلب وقوله ذلكم وان الله

سبحانه الى غيره واللفظ وان كان لا يقتضى الاتنى وجود من هو أعظم منهم كما يفيد الاستهزاء بالانكارى فالمقام يفيد نفي المساوى لهم في الظلم فالعقوى على هذا ألا حدثناهم في الظلم فضلا عن ان يوجد من هو أعظم منهم وذلكهم هنا من أوصافهم أربعة عشر وصفا أولها افتراء الكذب وآخرها ككونهم في الآخر فأخسر من غيرهم (أولئك) أى الموصوفون بالظلم المتبالغ (يعرضون على ربهم) يوم القيامة فيخاص بهم على أعمالهم أو المراد بعرضهم عرض أعمالهم عرضا تظهر به فضيحتهم (ويقول الأشهاد) جمع شهداء ورجع أبو عبيد بن كثره وروى شهيد في القرآن كقوليه ويكون الرسول عليكم شهيدا فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئناك على هؤلاء شهيدا وقيل هو جمع شاهد كالحجاب وصاحب قال مجاهد الملائكة الحفظة وقيل المرسلون قاله ابن عباس وقيل الملائكة والمرسلون والعلماء الذين بلغوا ما أمرهم الله بالإلغ وقيل جميع الخلائق قاله قتادة والمعنى انه يقول هؤلاء الشهاد عند العرض (هؤلاء) المعروفون أو المعروضة أعمالهم (الذين كذبوا على ربهم) في الدنيا بما نسبوه اليه ولم يصرحوا بكذبوا به كأنه كان أمرهم اعلوا ما عند أهل ذلك الموقف (ألا لعنة الله على الظالمين) الذين ظلموا أنفسهم بالإفتراء هذا من تمام كلام الامهات أى يقولون ألا لعنة الله الخ ويجوز أن يكون من كلام الله سبحانه قاله بعدما قال الأشهاد وفي الصحيحين وغيرهما عن ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان الله

مؤمن كيد الكافرين هذه بشارة أخرى مع ما حصل من النصر انه تعالى يانه ضعف كيد الكافرين فيما يدنى يستقبل مصغرا أمرهم وانهم كل ما لهم في تبار ومادار والله الجد والمئة (ان تستفتوا فقد جاءكم الفتح وان تنهوا فاقه وخبركم وان تعودوا فعندوا ونفى عنكم فتكم شيئا ولو كنتم وان الله مع المؤمنين) يقول تعالى للكفار ان تستفتوا أى تستنصروا ونستفتوا انه ونستحكمه وان يفصل بينكم وبين أعدائكم المؤمنين فقد جاءكم كما قال محمد بن اسحق وعروة الزهرى عن عبد الله بن نعلبة بن صعب أن أبا جهل قال يوم بدر اللهم أينا كان أقطع للرحم وأنى بما لا يعرف فاحنه الغداة وكان ذلك استفتا حامنه فزلت ان تستفتوا فقد جاءكم الفتح الى آخر الآية وقال الامام أحمد حدثنا يزيد بن عبيد بن الزهرى عن عبد الله بن نعلبة ان أبا جهل قال حين اتى القوم اللهم أينا كان أقطع للرحم وأنى بما لا يعرف فاحنه الغداة فكان المستفتى واخرجه النسائي في التفسير من حديث صالح بن كيسان عن الزهرى به وكذا رواه البخاري في مستدرکه من طريق الزهرى به وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجه وروى نحوه هذا عن ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة بن زيد بن رومان وغير واحد وقال السدي كان المشركون حين خرجوا من مكة الى بدر أخذوا باستار الكعبة فاستبصر والله وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأكرم القميتين وخير القليلين

صلى الله عليه وسلم لم يكن يكثر في دعائه يقول اللهم مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالت فقالت يا رسول الله إن القلوب
للقلوب قال نعم ما خلق الله من بشر من بني آدم إلا أن قلبه بين أصبعين من أصابع الله عز وجل فإن شاء أقامه وإن شاء أزاعه فسأل الله
ربنا أن لا يزعج قلوبنا بعد أن هدانا ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب قالت فقالت يا رسول الله ألا تعلمني دعوات ادعو
بها لنفسى قال بلى قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي واذهب غظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن مأ حبيتي (حديث آخر) قال
الامام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة أخبرني أبو هاشم أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي أنه سمع عبد الله بن عمرو أنه سمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفها كيف شاء ثم قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك أنقر دناخر أحد مسلم عن البخاري فرواه مع الترمذي من حديث حيوة
ابن شريح المصري به (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب) يحذر تعالى عباده المؤمنين فتنة
أى اختباره أو محنة يعم بها المسمى وغيره لا يختص بها أهل المعاصي ولا من باشر الذنب بل يعمها حيث لم تدفع وترفع كما قال الامام
أحمد حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا شاذان بن سعيد حدثنا غيلان بن جبر (٣٠٥) عن مطرف قال قلنا للزبير يا أبا عبد الله

ما جاء بكهم ضيعتم الخليفة الذي قتل ثم
جئتم تطلبون بسمة فقال الزبير رضي
الله عنه انا قرأنا على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر
وعثمان رضي الله عنهم واتقوا فتنة
لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة لم
نكن نجسب انا أهلها حتى وقعت
منا حيث وقعت وقد رواه للزبير من
حديث مطرف عن الزبير وقال
لا تعرف مطرفا روى عن الزبير غير
هذا الحديث وقد روى الترمذي من
حديث جابر بن حازم عن الحسن
عن الزبير نحوه هذا وروى ابن جبر
حدثني الحرث حدثنا عبد العزيز
حدثنا مبارك بن فضالة عن الحسن
قال قال الزبير لقد خوفنا يعني قوله

هذا معروف في كلام العرب يقال فلان لا يستطيع أن ينظر إلى فلان إذا كان ثقيلا عليه
(أو لئلا) المتصفون بتلك الصفات (الذين خسروا أنفسهم) بعبادة غير الله والمعنى اشترى
عبادة الآلهة بعبادة الله فكان خسروا أنفسهم في تجارتهم أعظم خسرا (وصل) أى ذهب
وضاع (عنهم ما كانوا يفعلون) من الآلهة التي يدعون أنها تستغفر لهم ولم يبق بأيديهم إلا
الخسران (لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون) قال الخليل وسيدوه لا جرم بمعنى حق
فهي عندهما بمنزلة كلمة واحدة وبه قال القراء وروى عن الخليل والقراء أنها بمنزلة قولك
لا بد ولا محالة ثم كثر استعمالها حتى صارت بمنزلة حقا وقال الزجاج إن جرم بمعنى كسب
وفاعله مضمرا أى كسب ذلك الفعل لهم الخسران وإن منصوبه بيجرم قال الأزهري وهذا
من أحسن ما نقل في هذه اللغة وقال الكسائي معنى لا جرم لا صلا ولا منع وقال جاعق من
الخبويين إن معنى لا جرم لا قطع قاطع قالوا ولا جرم القطع وقد جرم الفضل واجترمه أى
قطعه ووردت هذه اللفظة في القرآن في خمسة مواضع متوافقة وأسمها ولم يجي بعدهما فعل
ويقال في كل واحد منها ما قيل هنا وفيه لغات بكسر الجيم ويضعها ولا جرم بحذف الميم ولا ن
ذا جرم ولا ذو جرم ولا ذا جرم وغير ذلك وفي هذه الآية بيان أنهم قد بلغوا في الخسران
إلى حد يتقاصر عنه غيرهم ولا يبلغ إليه وهذه الآيات مقرر لما سبق من نفي المماثلة بين
من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها وبين من كان على نيته من ربه (ان الذين آمنوا)

(٣٩ - فتح البيان ح) تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ظننا
أننا خصنا بها خاصة وكذا رواه جميع الحسن عن الزبير رضي الله عنه وقال داود بن أبي هند عن الحسن في هذه الآية قال نزلت
في علي وعمر وطه والزبير رضي الله عنهم وقال سفيان الثوري عن الصلت بن دينار عن عتبة بن ميمان سمعت الزبير يقول
لقد قرأت هذه الآية زمانا وما رأنا من أهلها فإذا نحن المعنيون بها واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله
شديد العقاب وقد روى من غير وجه عن الزبير بن العوام وقال السدي نزلت في أهل بدر خاصة فأصابهم يوم الجمل فافتتلوا وقال علي
ابن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية أمر الله المؤمنين أن لا يقرؤا المنكر بين ظهرانيهم فيعصمهم الله بالعذاب وهذا
وقال وفي رواية عن ابن عباس في تفسير هذه الآية أمر الله المؤمنين أن لا يقرؤا المنكر بين ظهرانيهم فيعصمهم الله بالعذاب وهذا
تفسير حسن جد أوله قال مجاهد في قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة هي أيضا لكم وكذا قال البخاري في
ابن أبي حبيب وغير واحد وقال ابن مسعود ما منكم من أحد إلا وهو مشغل على فتنة الله تعالى يقول أغاموكم وأولادكم فتنة
فأيكم استعاضوا فليس تعذب الله من مضلات الفتن رواه ابن جبر والقول بأن هذا التحذير يعم الصحابة وغيرهم وإن كان الخطاب معهم

هو الصحيح ويدل عليه الاحاديث الواردة في التحديد من الفتن ولذلك كتاب مستقل بوضوح فيه ان شاء الله تعالى كما فعله الاثمة وافردوه بالتصنيف ومن اخص ما يذكره تمار واه الامام اجد حديث قال حدثنا اجد بن الحجاج انا بن عبد الله يعني ابن المبارك انا بن اسيف ابن ابي سليمان سمعت عدي بن عدي الكندي يقول حدثني مولى لنا انه سمع جدي يعني عدي بن عميرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يراد المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على ان ينكروا ولا ينكروا فاذنوا لذلك عذب الله الخاصة والعامة فيه رجل منهم ولم يخرجوه في الكتب الستة ولا واحد منهم والله اعلم (حديث آخر) قال الامام اجد حدثنا سليمان الهاشمي حدثنا اسمعيل يعني ابن جعفر اخبرني عمرو بن ابي عمرو عن عبد الله بن عبد الرحمن الاشبل عن حذيفة بن اليمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذى نفسى بيده لا تأمن بالمعروف وتنهون عن المنكر اولو شكن الله ان يبعث عليكم عقابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم ورواه عن ابي سعيد عن اسمعيل بن جعفر وقال اولبعث الله عليكم قوما ثم تدعوه فلا يستجيب لكم وقال الامام اجد حدثنا عبد الله بن غير قال حدثنا زر بن حبيب الجهمي حدثني ابو الراقاد قال خرجت مع مولى فدفعته الى حذيفة (٣٠٦) وهو يقول ان كان الرجل ليسكم بالكاملة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس بمرءة شافوا في ولائها

أي صدقوا بكل ما يجب عليهم التصديق به من كون القرآن من عند الله وغير ذلك من خصال الايمان (وعملوا الصالحات) أراد بهم جميع أعمال الجوارح (واخشوا الله ربهم) أي اتوا الله وسكنوا وقبل خضعوا وقبل خافوا قاله ابن عباس وقبل اطعوا قاله مجاهد وهذا إشارة الى أعمال القلوب قبل وأصل الاختبات الاستواء في الخبث وهو الارض المستوية الواسعة فيناسب معنى الخشوع والاطمئنان قال الفراء الى ربهم ولربهم واحد وقيل لفظ الاختبات يتعدى باللام والى فاذا قلت أخبت فلان الى كذا فاعناه اطمأن اليه واذا قلت له فاعناه خضع وخضع (أولئك) الموصوفون بتلك الصفات الصالحة (أحباب الجنة هم فيها خالدون) لا لاقطاع لنعيمها ولا زوال لاهلها (مثل القريرتين كالاعشى والاصم والبصير والسميع) ضرب للقريرتين مثلا وهو تشبيهه فربن الكافر بن الاعشى والاصم وتشبيهه فربن المؤمنين بالبصير والسميع على ان كل فربن شبه بشيئين أو شبهه بجمع بين الشيئين فالكافر شبهه بجمع بين الاعشى والهمم والمؤمن شبه بجمع بين السميع والبصير وعلى هذا يكون الواو في والاصم وفي والسميع لطف الصفة على الصفة (هل يستويان مثلا) أي حالوا وصفة (أفلا تذكرون) في عدم استوائهما وفيما بينهما من التفاوت الظاهر لا يخفى على من له تذكروا عنده تفكر وتأمل والهمزة لانكار عدم التذكروا استبعاد صدوره عن المخاطبين ولما أورد سبحانه على الكفار

وسلم فيصبره شافوا في ولائها من أحدكم في المقعد الواحد أربع مرات لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر ولتخاضن على الخبير أو ليوثرن عليكم شراركم ثم يدعوا خاركم فلا يستجاب لهم (حديث آخر) قال الامام اجد أيضا حدثنا يحيى بن سعيد عن زكريا حدثنا عامر رضى الله عنه قال سمعت النعمان بن بشير رضى الله عنه يخاطب يقول وأما بأصابعه الى أدنيه يقول مثل القائم على حدود الله والواقع فيها والانداهن فيها كمثل قوم ركبو اسفينة فأصاب بعضهم أسفلها وأعرها وشرها وأصاب بعضهم أعلاها فسلكا الذين في

أسفلها اذا استقوا الماء مروا على من فوقهم فأدبوهم فقالوا لو خر قناني فاقاسفنا منتهى المعاصر بن ولم يؤذ من فوقنا فان تركوهما أمرهم هل كوا جاعا وان أخذوا على أيديهم نجوا جميعا انفر دوا خراج البخارى دون مسلم فرواه في الشركة والنهبات والترديد في الفتن من غروجه عن سليمان بن مهران الاعشى عن عامر بن شراحيل الشعبي به (حديث آخر) قال الامام اجد حدثنا حسين حدثنا خلف بن خليفة عن ليث عن علقمة بن مرثد عن العرو بن سويد عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا ظهرت المعاصي في أمتي عظم الله بعذاب من عنده فقلت يا رسول الله أمافهم ناس صالحون قال بلى قالت فكيف يصنع أولئك قال يصيهم ما أصاب الناس ثم يصيروا الى مغفرة من الله ورضوان (حديث آخر) قال الامام اجد حدثنا حجاج بن محمد حدثنا شريك عن أبي اسحق عن المنذر بن جريح عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من قوم يعملون المعاصي وفيهم رجل أعز منهم وأمنع لا يغيره الا عظم الله بعقاب أو أصابهم العقاب ورواه ابو دارود عن مسدد عن أبي الاحوص عن أبي اسحق به وقال الامام اجد أيضا حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت ابا اسحق يحدث عن عبيد الله بن جريح عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم أعز وأكر من يعملون ثم

غير واما الاعوام الله بعقاب ثم رما ايضا عن كيع عن اسرائيل وعن عبد الرزاق عن معمر وعن أسود عن شريك ويونس كلهم عن أبي اسحق السبيعي به وآخرجه ابن ماجه عن علي بن محمد عن كيع به وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا جامع بن أبي راشد عن منذر عن حسن بن محمد عن امرأته عن عائشة تبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم اذا ظهر السوق في الأرض أنزل الله بأهل الأرض بأسه قلت وفيهم أهل طاعة الله قال نعم يصرون إلى رحمة الله (وإذا كروا إذا أنتم قليل مستضعفون في الأرض يخافون أن يخطفكم الناس فأولكم وأندكم ينصرون رزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون) بنية تعالى عباده المؤمنين على نعمه عليهم واحسانه اليهم حيث كانوا قليلين فكثروهم ومستضعفين خائفين فقواهم ونصرهم وفقراء عالة فزرقهم من الطيبات واستشكرهم فاطاعوه واستملأوا جميع ما أمرهم وهذا كان حال المؤمنين حال مقامهم بمكة قليلين مستحقين مضطرين يخافون أن يخطفهم الناس من سائر بلاد الله من مشرك ومجوسي ورومي كلهم أعداء لهم قتلهم وعدم قوتهم فلم يزل ذلك دأبهم حتى أذن الله لهم في الهجرة إلى المدينة فأوهم اليها وقبض لهم أهلها آووا ونصرهم واليوم بدر وغيره واسوانا مولاهم وبذلوا مهابتهم في طاعة الله وطاعة رسوله قال قتادة بن دعامة السدوسي رجع الله في قوله تعالى وإذا كروا إذا أنتم قليل (٣٠٧) مستضعفون في الأرض قال كان هذا الخي من

العرب أذل الناس ذلوا وأسقاه عشا وأجوعه بطونا وأغراه جلودا وأتته ضلالا من عاش منهم عاش شقيا ومن مات منهم ردى في النار وثكون ولايا يكون والله ما نعلم قبلا من حاضر أهل الأرض يومئذ كانوا أشرف من لا منهم حتى جاء الله بالاسلام فكمن به في البلاد ووسع به في الرزق وجعلهم به ملوكا على رقاب الناس وبالاسلام أعطى الله ما أريتم فاشكروا الله على نعمه فان ربكم من يحب الشكر وأهل الشكر في من يمدن الله (يا أيها الذين آمنوا لا تخوفوا الله والرسول وتخوفوا أماناتكم وأنتم تعلمون واعلموا أنما أموالكم وأولادكم تنسوه وإن الله

المعاصر بن محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنواع الدلائل التي هي أوضح من الشمس أكد ذلك بذكر القصص على طريقة الاقتنان في الكلام ونقله من اسلوب إلى اسلوب لتكون الموعظة أظهر وأجلبة وابن والقبول أتم فقال (ولقد) الواو لا يشد واللام هي الموطئة للقسيم (أرسلنا نوحا إلى قومه أني لكم نذير مبين) بالكسر على إرادة القول أي فقال أو قائلا وقرئ بالفتح على الضم كحرف الجر أي أرسلناه متلبسا بذلك الكلام وهو إلى بكم واقصر على النذار دون البشارة لان دعوته كانت مجرد الانذار وليكونهم لم يعملوا بما بشرهم به وفي هذه السورة ذكر أنواع من القصص الأولى قصة نوح الثانية قصة هود الثالثة قصة صالح الرابعة قصة إبراهيم الخامسة قصة لوط السادسة قصة شعيب السابعة قصة موسى وهي آخر القصص على الترتيب الزماني (أن لا تعبدوا الا الله) أن مصدرية أو منسوبة متعلقة بأرسلنا أو بنذير أو مبين ولا نهاية (إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم) تعبدية والمعنى تهيبكم عن عبادة غير الله لاني أخاف عليكم وفيها تحقيق لمعنى الانذار واليوم هو يوم القيامة أو يوم الطوفان ووصفه بالليم من باب الاسناد المجازي مبالغة ثم ذكر ما يجب به قومه عليه وهذا الجواب يتضمن الطعن منهم في شوته من ثلاث جهات (فقال الملأ الذين كفروا من قومه) الملأ الاشراف كما تقدم غيرهم ووصفهم بالكفر ذمهم وفيه دليل على ان بعض اشراف قومه لم يكونوا كفرة (مازالوا يبشرون الناس)

عنده أحر عظيم قال عبد الرزاق بن أبي قتادة والزهرى أنزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قريظة لم ينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستشاروه في ذلك فأشار عليهم بذلك وأشار بيده إلى حلقة أي أنه لا يبيع ثم فطن أبو لبابة ورأى أنه قد خان الله ورسوله خالف لا يذوق ذوا قاحتي موت أو يوب الله عليه وانطلق إلى مسجد المدينة ففرط نفسه في سارية فكتبت كذلك تسعة أيام حتى كان يخرج مغشيا عليه من الجهد حتى أنزل الله قوله على رسوله فجاء الناس يبشرونه بتوبة الله عليه وأرادوا أن يحاولوا من السارية خالف لا يحل منها الا الرسول الله صلى الله عليه وسلم سده خلفه فقال يا رسول الله اني كنت نذرت ان أفتخ من مالي صدقة فقال يجوز لك الثالث ان تصدقه وقال ابن جرير حدثني الحرث حدثنا عبد العزيز بن حدثنا يونس بن الحرث الطائي حدثنا محمد بن عبد الله بن عون الثقفي عن المغيرة بن شعبه قال نزلت هذه الآية في قتل عثمان رضي الله عنه ما أيها الذين آمنوا لا تخوفوا الله والرسول الآية وقال ابن جرير أيضا حدثنا القاسم بن بشر بن معروف حدثنا شبابة بن سوار حدثنا محمد بن الحارث قال لقيت عطاء بن أبي رباح حدثني قال حدثني جابر بن عبد الله أن أباسه فنيان خرج من مكة فأتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان أباسه فنيان بكان كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أباسه فنيان في موضع

كذابوا فخرجوا اليه واكتفوا فكتب رجل من المنافقين اليه ان محمدا يريدكم فخذوا حذرکم فاقبل الله عز وجل لا تخفوا الله
والرسول وتخفوا اماناتكم الا بهما حديث غريب جدا وفي سندوه وسياق نظر وفي الصحيحين قصة طاطب بن ابي بلعة انه
كتب الى قريب يشيعلمهم بقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم عام الفتح فاطلع الله رسوله على ذلك فبعث في اثر الكتاب فاسترجعه
واستحضر طاطبا فقرأ عاصم وفيها فقام عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله الا ضرب عيقه فانه قد خان الله ورسوله والمؤمنين
فقال دعه فانه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعلموا ما شئتم فقد غفرت لكم قلت والصحيح ان الامة عامة
وان صح انها وردت على سبب خاص فالأخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب عند الجمهور من العلماء والخاصة تعم الذنوب
الصغار والكبار الازمنة والمتعدية وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس وتخفوا اماناتكم الامانة الاجمال التي اتقن الله عليها
العباد يعني القرينة يقول لا تخفوا لا تنقصوها وقال في رواية لا تخفوا الله والرسول يقول ترك سنته وارتكاب معصيته وقال
محمد بن اسحق حسدني محمد بن جعفر الزبير عن عروة بن الزبير في هذه الآية لا تظهروا الله من الحق ما رضى به منكم ثم تخالفوه
في السر الى غيره فان ذلك هلاك اماناتكم (٣٠٨) وخيانة لانفسكم وقال السدي اذا خانوا الله والرسول فقد خانوا اماناتهم

هذه الجهة الاولى من جهات طعنهم في بقوته اي نحن وانتم مشتركون في البشرية فلم
تكن لك علينا حجة به تتحقق بها السوء وتساو الجهة الثانية (ومنازلنا) اتبعك الذين هم
اراذلنا اي ولم تبع احد من الاشراف فليس لك حجة علينا باي باع هؤلاء الاراذل لك
والاراذل جمع اراذل يضم الذا ل و رذل جمع رذل يسكونها مثل كالب واكلب وكلب فهو
جمع الجمع وقيل الاراذل جمع اراذل كالاسود جمع اسود وهم السفلة كالخاكة والاساكة كفة
والارذل الادرن من كل شئ فقال النحاس الاراذل الفقراء والذين لاحسب لهم والحب
الصناعات قال الزجاج نسبهم الى الخياكة ولم يعملوا ان الصناعات لا اثر لها في الديانة لان
الرفعة في الدين ومتابعة الرسل لا تكون بالشرف والمال والمناصب العلية بل للفقراء
الانحاملين وهم اتباع الرسل ولا تضرهم خسة عنايتهم اذا احسن سيرتهم في الدين وهذه
عادة الله في الانبياء والاولياء ان اول من يتبعهم ضغفاء الناس لذلك هم فلا يتكبرون عن
الاتباع بهال ولا جاه وقال ثعلب عن ابن الاعرابي السفلة هو الذي يصلح الديار
قل له في سفلة السفلة قال الذي يصلح دنيا غيره بفساد دينه واطهار من كلام أهل اللغة
ان السفلة هو الذي يدخل في الحرف النية والرؤية في الموضعين ان كانت القلبية ففسرا
في الاول واتبعك في الثاني هما المفعول الثاني وان كانت البصرية ففيه ما نسته صيان على
الحال (بادي الرأي) أي في ظاهر الرأي من غير تعمق يقال بادي اذا ظهر قال الارزقي

وقال أيضا كانوا يسمعون من النبي
صلى الله عليه وسلم الحديث
يفشرونه حتى يبلغ المشركين وقال
عبد الرحمن بن زيد بن كنانة
الله والرسول كما صنع المنافقون
وقوله واعلموا انما أموالكم
وأولادكم فتنة أي اختبار وامتحان
منه لكم اذا أعطاكموها يعلم
أتشكرونه وتطيعونه فيها وتشتبهون
بها عنه وتعتاضون بها منه كما قال
تعالى انما أموالكم وأولادكم فتنة
والله عنده أجر عظيم وقال وينلوكم
بالسر والخير فتنة وقال تعالى يا أيها
الذين آمنوا اتلوا لكم أموالكم
ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل
ذلك فأولئك هم الخاسرون وقال

تعالى يا أيها الذين آمنوا من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم الآية وقوله
وان الله عنده أجر عظيم أي وابوه عطاؤه وجناته خير لكم من الاموال والاولاد فانه قد يوجب جلدنهم عدوا
والله سبحانه هو المتصرف في ذلك للدنيا والاخرة ولديه الثواب الجزيل يوم القيامة وفي الاثر يقول الله تعالى يا ابن آدم اطلبني
تجدني فان وجدتني وجدت كل شئ وان فقدتني فانك كل شئ وانا أحب اليك من كل شئ وفي الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه الله ومن
كان يحب ان يلقى في النار أحب اليه من ان يرجع الى الكفر بعد اذ انقذه الله منه بل حب رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدم على
الاولاد والاموال والنفس كما ثبت في الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه
من نفسه وأهله وماله والناس أجمعين (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله يجعل لكم فرقا ما يذكر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله
ذو الفضل العظيم) قال ابن عباس والسدي ومجاهد وعكرمة والبخاري وقادة ومقاتل بن حيان وغير واحد فرقا ما يحجة اذ مجاهد
في الدنيا والاخرة وفي رواية عن ابن عباس فرقا ما يحجة وفي رواية عنه نصر او قال محمد بن اسحق فرقا ما أي فضلا بين الحق والباطل

وهذا التفسير من ابن اسحق أعظم مما تقدم وهو يستلزم ذلك كله فإن من اتقى الله بفعل أو امر وترك زواجه وفق له رقة الحق من الباطل فكان ذلك سبب لفرجه ونجاته ونجى حجه من أمور الدنيا وسعدته يوم القيامة وتكفير ذنوبه وهو محو ما غفرت له واسترعا من الناس وسبب لنيل ثواب الله الجزيل كقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وأمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم (واذ يكره أن الذين كفروا يفتكروا أن يفتكروا أو يقتلوا أو يخرجوا ويكره أن يعكروا الله والله خير الماكرين) قال ابن عباس ومجاهد وقادة لثبتوا لم يثبتوا وقال عطاء وابن زيد لم يثبتوا وقال السدي الأثبات هو الحبس الوثاق وهذا يشبه ما قاله هؤلاء وهو لا وهو جميع الأقوال وهو الغالب من صنعه من أراد غيره بسوء وقال سديد عن حجاج عن ابن جريج عن عطاء - سمعت عبيد بن عمر يقول لما اتفقوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه قال له عما أوطأ لك هل تدري ما اتفقوا بك قال يريدون أن يستحبوني أو يقتلوني أو يخرجوني فقال من أخبركم بهذا قال ربي قال نعم الرب ربك استوص به خيراً قال أنا استوصى به بل هو يستوصي بي وقال أبو جعفر بن جرير حدثني محمد بن اسمعيل المصري العروفي بالبصرة أني أخبرنا عبد المجيد بن أبي داود عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمر عن المنطلي بن أبي ربيعة (٣٠٩) أن أبا طالب قال لرسول الله صلى الله عليه

اختلط عليهم فصعدوا في الجبل فروا بالغار قرأوا على بابهم نسج العنكبوت فقالوا لو دخل ههنا لم يكن نسج العنكبوت على بابهم فكث
فيه ثلاث لئال وقال محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قوله وعكروا وعكروا الله والله خبرنا ما من أي
فكرت بهم بكسدي المتن حتى خلصنا منهم (وإذا أتى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لئن لم نلنا مثل هذا من الآساطر الأولى
وإذا قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم وما كان الله ليعذبهم وأنت تهمهم
وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) بخبر تعالى عن كفر قريش وعتوهم وعقدهم وعنادهم ودعواهم الباطل عند سماع آياته إذا
تلى عليهم أنهم يقولون قد سمعنا لئن لم نلنا مثل هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم وما كان الله ليعذبهم وأنت تهمهم
يجدون إلى ذلك سبيلا وانما هذا القول منهم بغرور به أنفسهم ومن تبعهم على باطلهم وقد قيل ان القائل لذلك هو النضر بن الحرث
لعنه الله كما قد نص على ذلك سعيد بن جبير والسدي وابن جرير وغيرهم فإنه لعنه الله كان قد ذهب إلى بلاد فارس وتعلم من أخبار
ملوكهم رسم واسفند ياد ولما قدم وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه الله وهو يتلو على الناس القرآن فكان عليه الصلاة
والسلام إذا قام من مجلس جلس فيه النضر فحدثهم من أخبار أولئك ثم يقول (٣١١) بالله أنا أحسن قصصا أنا ومحمد وهذا

لما أمكن الله تعالى منه يوم بدر ووقع
في الأسارى أمر رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان تضرب رقبته صبرا
بين يديه ففعل ذلك ولله الحمد وكان
الذي أسره المقداد بن الاسود رضی
الله عنه كما قال ابن جرير حدثنا محمد
ابن بشار حدثنا محمد بن جعفر
حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد
ابن جبیر قال قتل النبي صلى الله
عليه وسلم يوم بدر صبرا عقيبته بن أبي
معيط وطعته بن عدی والنضر بن
الحرث وكان المقداد أسرا للنضر فلما
أمر بقتله قال المقداد يا رسول الله
أسيرى فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه كان يقول في كتاب الله
عز وجل ما يقول فأمر رسول الله

الله) فيه التصریح منه عليه السلام بأنه لا يطلب على تبليغ الرسالة ما لا حتى يكون
بذلك محلا للتعذيب هو يكون لقول الكافرين بجمال بأنه ادعى ما ادعى طلبة الدنيا والضمير في
عليه راجع إلى ما قاله لهم فيما قبل هذا (و) قوله (ما أتينا بدار الذين آمنوا) كالجواب عما
يفهم من قولهم وما نراك أتبعك الا الذين هم أراذلنا من التلحج منهم إلى ابعاد الأراذل عنه
وقيل أنهم سألوهم طردهم نصريحا لا يمحوا هذا كما قالت قريش لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم
كانت قد سمع في سورة الانعام ولا تطرد الذين يدعون ربهم الا بآية ثم علس ذلك بقوله (أنهم
ملاقورهم) أي لا تطردهم فانهم ملاقون يوم القيامة فربهم فهو يجازيهم على إيمانهم
لأنهم طلبوا بإيمانهم ما عنده سبحانه وكأنه قال هذا على وجه الاعظام لهم وهو يحفل أنه قاله
خوفامن سخاهتم له عند ربهم بسبب طردهم لهم ثم بين لهم ما هم عليه في هذه المطالب التي
طلبوها منه والعلل التي اعتلوا بها عن اجابته فقال (ولكني أراكم قومًا متجايون) كل ما
ينبغي ان يعلم ومن ذلك استدلهم الذين اتبعوه وسؤا الهمة ان يطردهم ثم أمركه عدم جواز
طردهم بقوله (ويا قوم من ينصرني من الله) أي من ينصني من عذاب الله واتباعه
(ان طردتهم) فان طردهم بسبب سبقته إلى الاعيان والاجابة إلى الدعوة التي أرسل الله
رسوله لاجلها ظلم عظيم لا يقع من الاتياء المؤيدين بالعصمة ولو وقع ذلك منهم فراضا وقد اذنا
لكان فيه من الظلم ما لا يكون لوفعه لغيرهم من سائر الناس (أفلا تدرون) معطوف

صلى الله عليه وسلم بقتله فقال المقداد يا رسول الله أسيرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
المقداد هذا الذي أردت قال وفيه أثران هذا الآية وإذا أتى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لئن لم نلنا مثل هذا من الآساطر الأولى
وكذا رواه هشيم عن أبي بشر جعفر بن أبي حبة عن سعيد بن جبیر قال المطعم بن عدی بدل طعمة وهو غلط لان المطعم بن عدی لم يكن
حيا يوم بدر ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ لو كان المطعم بن عدی حيا ثم سألتني في هؤلاء النتنى لو هيتم له يعني الاسارى
لانه كان قد أجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم رجوع من الطائف ومعنى أساطر الأولى وهو جمع أسطورة أي كتبهم اكتبهم فاهو
يعلم منها ويتلوها على الناس وهذا هو الكذب البحت كما أخبر الله عنهم في الآية الأخرى وقالوا أساطر الأولى اكتبهم فاهو
عليه بكرة أو أصلا قل أنزل الله الذي يعلم السر في السموات والارض انه كان غفورا رحاما إلى من تاب إليه وآتاب فانه يقبل منه ويصفح
عنه وقوله وإذا قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم هذا من كثرة جهالهم
وشدة كذبهم وعنادهم وعتوهم وهذا مما عساه وكان الأولى لهم ان يقولوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فاهذنا له
ووفقتنا لتساعوا ولكن استفتحوا على أنفسهم واستجلبوا العذاب وتقدم العقوبة كقوله تعالى ويستجلبونك بالعذاب ولو لأجل
مسمى لمجاهد العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون وقالوا ربنا نجعل لنا قنطارا قبل يوم الحساب وقوله سأل سائل بعذاب واقع

الله أله وأمان بني فبكم قوله وما كان الله لعذبهم وأنت قيم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال أبو صالح عبد الغفار حدثني بعض أصحابنا أن النضر بن عربي حدثه هذا الحديث بمجاهد عن ابن عباس وروى ابن مردويه وابن جرير عن أبي موسى الأشعري نحو ما هذا وكذا روى عن قتادة وأبي العلاء النحوي المقرئ وقال الترمذي حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا ابن غير عن اسمعيل بن إبراهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف عن أبي ردة بن أبي موسى عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل على أماني لا تأتي وما كان الله لعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة وبشهادة ما رواه الإمام أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه من حديث عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن السلطان قال وعزلنا ربنا لأمر ح أغوى عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم فقال الرب وعزني وجلالي لأزال ألعنهم ما استغفروني ثم قال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الإمام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا راشد هو ابن سعد حدثني معاوية بن سعد الحنظلي عن فضالة بن عبيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال العبد آمن من عذاب الله ما استغفرا لله (٢١٣) عز وجل (وما لهم أن لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه

عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه أن أولياءه إلا المتقون وأمكن أكثرهم لا يعاون وما كان صلاتهم عند البيت المكاوتة قد وقوا العذاب بما كنتم تكفرون) يخبر تعالى أنهم أهل لأن يعذبهم ولكن لم يقع ذلك بهم لبركة مقام الرسول صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم ولهذا لما خرج من بين أظهرهم أوقع الله بهم بأسه يوم بدر فقتل صناديدهم وأسر سرائهم وأرشدهم تعالى إلى الاستغفار من الذنوب التي هم متلبسون بها من الشر والفساد وقال قتادة والسدي وغيرهما لم يكن القوم يستغفرون ولو كانوا يستغفرون ما عذبوا واختاراه ابن

أزرى عليه إذا عابه وزرى عليه إذا احقره والمعنى أني لا أقول لهؤلاء المتبعين إلى المؤمنين بالله الذين تبعواهم وتحتقرهم (إن يؤتيم الله خيرا) أي توفيقا وهذه أعيانا وأجر ابل قدأناهم الخير العظيم بالإيمان به واتباع نبيه فهو محجاز بهم بالخزاة العظيمة في الآخرة دورا ففهم في الدنيا إلى أعلى محل ولا يضرهم احتقاركم لهم شيئا (الله أعلم بما في أنفسهم) من الإيمان به والاخلاص له فجاز بهم على ذلك ليس لي ولا لكم من أمرهم شيء (إلى الذين الظالمين) لهم أن فعلت ما تريدونه بهم أو من الظالمين لا تقسمهم أن فعلت ذلك بهم ثم جابوه بغير ما تقدم من كلامهم وكلامه (قالوا) عجزا عن القيام بالحقه وقصورا عن رتبة المناظرة واقطعا عن المباراة بقولهم (يا قوم قد جداسا فآ كثر جداننا) أي خاصتنا بأفواع الخصام ودفعنا بكل جحالة مدخل في المقام وليبق لنا في هذا الباب مجال فقد ضاقت علينا المسالك وانسدت أبواب الحيل (فانتبها تعذنا) من العذاب الذي نخوفنا منه ونخافه علينا (إن كنت من الصادقين) فيما نقوله لنا فأجاب بان ذلك ليس إليه وانما هو وعشيته الله وارادته و (قال اغنايا تكم به الله ان شاء) فان قضت مشيئته وحكمته بتجيلة لجله لكم وان قضت مشيئته وحكمته بتأخير آخره (وما أنتم بمعجزين) بفائتين عما أراده الله بكم هربا ومدا ففعله ولا ينفعكم نفعي) الذي أبدله لكم وأستكثر

(٤٠ - فتح البيان ح) جرير قالوا لما كان بين أظهرهم من المستغفين من المؤمنين المستغفرين لوقوع بهم البأس الذي لا يرد ولكن دفع عنهم بسبب أولئك كما قال تعالى في يوم الحديبية هم الذين كفر وأصدوا عنكم من المسجد الحرام والهدى معكوكا أن يبلغ تحمله ولو لأجل مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموا أن تطوهم فتصيبكم منهم معرفة بغير علم ليدخل الله في رحمة من يشاء لو أني ألعن الذين كفروا منهم عذابا أليما قال ابن جرير حدثنا ابن جندب حدثنا يعقوب عن جعفر بن أبي المغيرة عن ابن أزري قال كان النبي صلى الله عليه وسلم عكة فأرسل الله وما كان الله لعذبهم وأنت فيهم قال فخرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فأنزل الله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال وكان أولئك التبعة من المسلمين الذين بقوا فيها يستغفرون يعني عكة فلما خرجوا أنزل الله وما لهم أن لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه قال فأنزل الله في فتح مكة فهو العذاب الذي وعدهم وروى عن ابن عباس وأبي مالك والبخاري وغير واحد نحوه وهذا وقد قل أن هذه الآية باسنة لقوله تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون على أن يكون المراد صدور الاستغفار منهم أنفسهم قال ابن جرير حدثنا ابن جندب حدثنا يحيى بن واضح عن الحسين بن زناد عن يزيد النخعي عن عكرمة والحسن البصري قال قال في الانتفال وما كان الله لعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فنفختهم الآية التي تليها وما لهم أن لا يعذبهم الله إلى قوله فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فقاموا

بمكة فاصابهم فيها الجوع والضر وكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث أبي عمير يحيى بن واضح وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا جابر بن محمد عن ابن جريج وعثمان بن عطاء عن عطاء عن ابن عباس وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ثم استثنى أهل الشرك فقال وما لهم أن لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما لهم أن لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه ان أولياءه المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون أي وكيف لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام أي الذي بمكة يصدون المؤمنين الذين هم أهلهم الصلاة فيه والطواف به ولهذا قال وما كانوا أولياءه ان أولياءه المتقون أي هم ليسوا أهل المسجد الحرام وإنما أهل الله الذي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كما قال تعالى ما كان لله شرك أن يعمر ومساجده الله شاهد بن علي أنفسهم بالكفر وأولئك حبطت أعمالهم وفي التارهم خالدون أنعم الله عليهم مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين وقال تعالى وصدعن نساء الله وكفر به والمسجد الحرام وأخرج أهله منه أكبر عند الله الآية وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره هذه الآية تحدثنا سليمان بن أحمد وهو الطبراني حدثنا جعفر بن إلياس بن صدقة المصري حدثنا جعفر (٢١٤) بن جاد حدثنا جعفر بن أبي مرزوق عن يحيى بن سعيد الانصاري عن أنس بن

منه قياما حتى يحق النصيحة لله بالبلاغ رسالته ولكم بإيضاح الحق وبيان بطلان ما أنتم عليه (ان أردت ان تصح لكم) وجواب هذا الشرط بخذوف والتقدير لا ينفعكم نفعي كما يدل عليه ما قبله (ان كان الله يريد أن يغويكم) أي اغواكم كما فلا ينفعكم النصح مني وكان جواب هذا الشرط بخذوفا كالاول وتقدمه ما ذكرنا وهذا التقدير انما هو على مذهب من يمنع من تقدم الجزاء على الشرط وأما على مذهب من يجزئ الشرط الاول ولا ينفعكم نفعي والجله جزاء الشرط الثاني قال ابن جريج رمي بغويكم بملككم بعذابه وظاهر لغة العرب ان الاغواء الاضلال فغني الآية لا ينفعكم نفعي ان كان الله يريد أن يضلكم عن سبيل الرشاد ويخذلكم عن طريق الحق وحكي عن طي أصبح فلان غاوى أي امرىض وليس هذا المعنى هو المراد في الآية وقد ورد الاغواء بمعنى الاضلال ومنه فسوف يلقون غيا وهو غير ما في الآية هذه (هوز بكم) فاليه الاغواء واليه الهداية (واليه ترجعون) فيجازيكم بأعمالكم ان خيرا نفيروا ان شرا نفرس (أم يقولون اقترأه) أنكر سبحانه عليهم قولهم ان ما أوحى الى نوح موصى فترى ثم أمره أن يجيب بكلام منصف فقال (قل ان افترته فعلى اجرائي) بكسر الهمزة مصدر أجرم أي فعل ما يجب الاثم وجرم وأجرم بمعنى قاله النحاس أي اكتب الذنب واقتعه والمعنى فعلى اتني أو جزاء كسبي ومن قرأ بفتح الهمزة قال هو جمع جرم ذكره النحاس أيضا قال قتادة

مالك رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أولياءه قال كل نبي وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أولياءه المتقون وقال الحاكم في مستدركه حدثنا أبو بكر الشافعي حدثنا إسحاق بن الحسن حدثنا أبو حذيفة حدثنا إسحاق عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن اسمعيل بن عبيد بن رفاعه عن أبيه عن جده قال جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فقال هل فيكم من غيركم فقالوا فينا ابن أخنا وفينا حليفنا وفينا مولا لنا فقال حليفنا وابن أخنا فانا ومولا فانا ان أولياءنا منكم المتقون ثم قال هذا صحيح ولم يخرجاه

وقال عروة والسدي ومحمد بن إسحاق في قوله تعالى ان أولياءه المتقون قال حم محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه اجرائي رضي الله عنهم وقال مجاهد هم المجاهدون من كانوا وحيث كانوا ثم ذكر تعالى ما كانوا يعتكفونه عند المسجد الحرام وما كانوا يعاملونه به فقال وما كان صلاتهم عند البيت الامكا وتصدية قال عبد الله بن عمرو وابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة وأبو ربيعة الطرادى ومحمد بن كعب القرظي وجبر بن عتس وسبط بن شريط وقادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم هو الصقر زاد مجاهد وكونوا يدخلون أصابعهم في أفواههم وقال السدي المكاء الصغير على نحو طير أيضا يقال له المكاء ويكون بأرض الحجاز وتصدية قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو خالد سليمان بن خالد حدثنا ثوبان بن محمد المؤدب حدثنا يعقوب يعني ابن عبد الله الأشعري حدثنا جعفر بن المغيرة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس في قوله وما كان صلاتهم عند البيت الامكا وتصدية قال كانت قريش تطوف بالبيت عراة تقشر وتصفق والمكاء الصغير ونماشيهو الصغير الطير والتصدية التصفيق وهكذا روى عن أي طلبة والعوفي عن ابن عباس وكذا روى عن ابن عمر ومجاهد ومحمد بن كعب وأبي سلمة بن عبد الرحمن وأصحابه وقادة وعطية العوفي وجبر بن عتس وابن أبي نزيهوهذا وقال ابن جريج حدثنا ابن بشار حدثنا أبو عامر حدثنا قرة عن عطية عن ابن عمر في قوله وما كان صلاتهم عند البيت الامكا وتصدية قال المكاء الصغير والتصدية التصفيق قال قرة وحكي لنا عطية فعل ابن عمر فصره ابن عمرو وأمال حذو

وصفق يديه وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال انهم كانوا يصنعون خدودهم على الارض ويصفقون ويصفرون وواه ابن ابي حاتم في تفسيره بسنده عنه وقال عكرمة كانوا يطوفون بالبيت على الشمال قال مجاهد وانما كانوا يصنعون ذلك لخطو ابداك على النبي صلى الله عليه وسلم صلاته وقال الزهري يستمرون للمؤمنين وعن سعيد بن جبير وعبد الرحمن بن زيد توصية قال صدقهم الناس عن سبيل الله عز وجل قوله فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قال الضحاك وابن جرير ومحمد بن اسحق هو ما أصابهم يوم بدر من القتل والسبي واختاره ابن جرير ولم يحك غيره وقال ابن ابي حاتم حدثنا ثابي حدثنا ابن ابي عريضة شافعيان عن ابن ابي شيبة عن مجاهد قال عذاب أهل الاقارب بالسيف وعذاب أهل التكذيب بالسحرة والزلازل (ان الذين كفروا يفتنون أموالهم ليمصدروا عن سبيل الله فيسبغونها في جهنم ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحسرون ليرى الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركه جميعا فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون) قال محمد بن اسحق حدثني الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحسين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ قالوا لما أصيب قريش يوم بدر ورجع فلوهم إلى مكة ورجع أبو سفيان بعيره مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان (٣١٥) بن أمية في رجال من قريش أصيب بأولهم وأخيراًهم وأخوانهم وبدر فكلوا

أبا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك المدينة قريش تجارة فقالوا يا معشر قريش ان محمد اقد وركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا نذكرهم منه فابا عن أصيب من نافق علوا قال فقيمهم كاذر عن ابن عباس أنزل الله عز وجل ان الذين كفروا يفتنون أموالهم إلى جهنم الخاسرون وهكذا روى عن مجاهد وسعيد بن جبير والحكم بن عدينة وقتادة والسدي وابن ابي شيبة انهم نزلت في أبي سفيان ونفقته الاموال في أحد لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الضحاك نزلت في أهل بدر وعلى كل تقدير

ففي عامه وان كان سبب نزوله اخصا فقد أخبر تعالى ان الكفار يفتنون أموالهم ليمصدروا عن اتباع طريق الحق فيسبغونها في جهنم ثم يغلبون عليهم حسرة أي دامة حيث لم تجدشوا لانهم أرادوا الطفا فور الله وظهور كلمتهم على كلمة الحق والله متم نوره ولو كره الكافرون وانصرد به ومعلن كلمته ومظهره به على كل دين فهذا الخزي لهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار في عاشر من رآى بعينه ومع بأذنه ما يسوء ومن قتل منهم أو مات فالى الخزي الأبدى والعذاب السرمدي ولهذا قال فيسبغونها في جهنم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحسرون وقوله تعالى ليرى الله الخبيث من الطيب قال علي بن ابي طالب عن ابن عباس في قوله ليرى الله الخبيث من الطيب في أهل السعادة من أهل الشقاء وقال السدي غير المؤمنين من الكافر وهذا يحتمل أن يكون هذا التمييز في الآخرة كقوله ثم يقول الذين أشركوا ما كان لكم أن تعلموه وما كنتم تعلمون وهذا لا يكون في الآخرة فيسبغونها في جهنم ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحسرون وقال تعالى وما تازوا اليوم أجمعين المجرمون ويحتمل أن يكون هذا التمييز في الدنيا يظهر من أعمالهم للمؤمنين وتكون الامم معللة لما جعل الله للكافرين من مال يفتقونه في الصد عن سبيل الله أي انما أئذناهم على ذلك ليرى الله الخبيث من الطيب أي من بطيئته بقتل أعدائه الكافرين أو يعصيه بالنكول عن ذلك كقوله وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله والله يعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا فانا لوفى سبيل الله وأدفعوا قالوا لو علم قتالا

لا تتعناكم الآية وقال تعالى ما كان الله ليعذركم المؤمنين على ما أتمم عليه حتى يبرأ الخبيث من الطيب وما كان الله ليطعكم على الخبيث
 الآية وقال تعالى أم حسبكم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ونظير ما في آية أيضا فمضى الآية
 على هذا انما سلبناكم الكفار بقاؤكم وكم أقدرناهم على اتفاق الاموال وبذلها في ذلك لئلا يذهب الخبيث من الطيب ويجعل
 الخبيث بعضه على بعض فكم كما يجمعه كله وهو جمع الشيء بعضه على بعض قال تعالى في السحاب ثم يجعده ركاما أي
 متراكمات كما في جنة أولئك هم الخاسرون أي هؤلاء هم الخاسرون في الدنيا والآخرة قل للذين كفروا ان يتموا ويعتزلهم
 ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين وفاتهم حتى لا تكون قسمة ويكون الذين كفروا ان يتموا فان الله بما يعملون
 بصرون ولولا فاعلموا ان الله لا يهدي الكفار ليعلم المصير يقول تعالى لئن لم يجدوا من الله عليه وسلم قل للذين كفروا ان يتموا
 عما هم فيه من الكفر والمنافقة والعناد ويدخلوا في الاسلام والطاعة والابية يعجزهم ما قد سلف أي من كفرهم وذنبهم وخطاياهم
 كما جاء في الصحيح من حديث أبي وائل عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحسن في الاسلام لم
 يؤاخذ بما عمل في الجاهلية ومن أساء في الاسلام (٣١٦) أخذ بالاول والآخر وفي الصحيح أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الاسلام يجب ما قبله والتوبة
 يجب ما كان قبلها وقوله وان يعودوا
 أي يستروا على ما هم فيه فقد مضت
 سنة الاولين أي فقد مضت سنتنا
 في الاولين انهم اذا كذبوا واستروا
 على عنادهم اننا نعاملهم بالعذاب
 والعقوبة قال مجاهد في قوله
 فقد مضت سنة الاولين أي في
 قرين يوم بدر وغيرهما من الامم
 وقال السدي ومحمد بن اسحق أي
 يوم بدر وقوله تعالى وفاتهم حتى
 لا تكون قسمة ويكون الذين كفروا
 الله قال البخاري حدثنا عبد الله بن
 عبد العزيز حدثنا عبد الله بن
 يحيى حدثنا حيوة بن شريح عن
 بكر بن عمرو عن بكير بن نافع عن

قال قتادة ذلك حين دعا عليهم نوح قال لا تذروني الارض من الكافرين ديارا وعن
 الحسن قال ان نوحا لم يدع على قومه حتى زلت الآية هذه فانقطع عند ذلك رجاء ومهم
 فدعا عليهم (فلا تبئس بما كانوا يفعلون) النبؤس الحزن أي فلا تحزن عليهم قاله ابن
 عباس والبايس المستكين فنهأ الله سبحانه عن أن يحزن حزن مستكين لان الابتاس
 حزن في استكانة يقال ابتأس فلان اذا بلغه ما يكره والبتس الكاره الحزين ثم ان الله
 سبحانه لما أخبرهم انهم لا يؤمنون البتة عرفه الله هلا كهم وألهمه الامر الذي يكون به
 خلاصه وخلاص من آمن معه فقال (واصنع الفلأ) الظاهر انه أمر الجبابرة لانه لا سبيل
 الى صون روح نفسه وأرواح غيره من المهلاك الا بعد الطريق وصون النفس من
 الهلاك واجب وما لا يتم الواجب الا به فیه وواجب أي عمل السفينة مثلنا (باعتنا)
 أي بمرأى منا وبأبصارنا لك وهو مجاز عن كلام الله به بالحفظ وعبر بالاعتن عن ذلك لانهم
 آله الرؤية وهي التي تكون بها الحراسة والحفظ في الغالب وقيل بعلمنا لك وجمع الاعين
 للمبالغة والتعظيم لا للتكثير وقيل معناها باعين ملائكتنا الذين جعلناهم بعونا على
 حفظك وقيل بأمرنا والحق ان العبد من صفاته لا يذري كيفية ما يجب امره
 على ظاهره من دون تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تقدير ومعنى (ووجينا)
 بما أرحمنا اليك من كيفية صنعتها وقال ابن عباس بعين الله ووجهه ولم يعلم نوح كيف

ابن عمر أن رجلا جاء فقال يا أبا عبد الرحمن ألا تصنع ما ذكر الله في كتابه وان طاعتنا من المؤمنين اقتتلوا
 الآية فإني علمك أن لا تقا تل كما ذكر الله في كتابه فقال يا ابن أخي اعبر بهذه الآية ولا أقا تل أحب الي من ان اعبر بالآية
 التي يقول الله عز وجل ومن يقتل مؤمنا متعمدا الى آخر الآية قال فان الله تعالى يقول وفاتهم حتى لا تكون قسمة قال ابن
 عمر قد فعلنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ كان الاسلام قليلا وكان الرجل يقتل في سنة امانا يقتلوه واما ان يؤتوه
 حتى كثر الاسلام فم تكن قسمة فلما رأى انه لا يوافقهم فيما يريد قال فما قولك في علي وعثمان قال ابن عمر ما قولني في علي وعثمان
 أمانا عثمان فكان الله قد عفا عنه وكرهتم أن يعفو الله عنه وأما علي فابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخسته وأشار به
 وهذه ابنته أو بنته حيث ترون وحدنا أحد بن بنس حدثنا زهير حدثنا بيان ابن بن مرة حدثه قال حدثني سعيد بن جبيرة قال
 خرج علينا أبو المنان بن عمر رضي الله عنهم فقال كيف ترى في قتال التهمة فقال وهل تدري ما التهمة كان محمد صلى الله عليه وسلم
 يقاتل المشركين وكان الدخول عليهم فتنة وليس يقاتلهم على الملك هذا كله سياق البخاري رحمه الله تعالى وقال عبد الله بن نافع
 عن ابن عمر انه أباه رجلا في قسمة ابن الزبير فقال ان الناس قد صنعوا ما ترى وأنت ابن عمر بن الخطاب وأنت صاحب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فإني علمك أن لا يخرج قال يعني ان الله حرم على دم أخى المسلم قالوا لم يقل الله وفاتهم حتى لا تكون قسمة

ويكون الدين كله لله قال قد قاتلنا حتى لم تكن فتنة وكان الدين كله لله اسم زيد بن جابر
 لغير الله وكذا روى جابر بن سفيان عن علي بن زيد عن أبي بن عبد الله النعمي قال كنت عند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فأتاه
 رجل فقال إن الله يقول وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فقال ابن عمر فأتنا أنا وأصحابي حتى كان الدين كله لله
 وذهب الشرك ولم تكن فتنة ولكننا وأصحابنا قاتلنا حتى تكون فتنة ويكون الدين كله لله فأتنا أنا وأصحابنا قاتلنا حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله
 عوانة عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال قال ذوالمطين يعني أسامة بن زيد لا قاتل رجلا يقول لا إله إلا الله أبدا فقال
 سعد بن مالك وأنا والله لا قاتل رجلا يقول لا إله إلا الله أبدا فقال رجل ألم يقل الله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله
 لله فقال لا قد قاتلنا حتى لم تكن فتنة وكان الدين كله لله رواه ابن مردويه وقال الضحاك عن ابن عباس وقاتلوهم حتى لا تكون
 فتنة يعني لا يكون شرك وكذا قال أبو العباس ومجاهد والحسن وقتادة والربيع بن أنس والسدي ومقاتل بن حيان وزيد بن أسلم
 وقال محمد بن اسحق بلغي عن الزهري عن عروة بن الزبير وعنه من علمنا حتى لا تكون فتنة حتى لا يفتن مسلم عن دينه
 وقوله ويكون الدين كله لله قال الضحاك عن ابن عباس في هذه الآية (٣١٧) قال يخص التوحيد لله وقال الحسن وقتادة

وإن جرح ويؤمن ويكون الدين كله لله
 أن يقال لا إله إلا الله قال محمد بن
 اسحق ويكون التوحيد لله
 ليس فيه شرك ويخلص ما دونه من
 الأنداد وقال عبد الرحمن بن زيد
 ابن أسلم ويكون الدين كله لله
 لا يكون مع دينكم كفر ويشهد
 لهذا ما ثبت في الصحيحين عن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم أنه قال
 أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا
 لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني
 دماءهم وأموالهم إلا بحقها
 وحسابهم على الله عز وجل وفيه ما
 عن أبي موسى الأشعري قال سئل
 رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
 الرجل يقاتل شعبة ويقاتل حية

يصنع الفاك أو حتى الله إليه أن يصنعها مثل جوار الطائر (ولا تخاطبني في الذين ظلموا)
 قيل هم أمر الله وأمر الله أي لا تطلب أمهاتهم وترك أهلهم أي لا تراجعني ولا تدعني
 باستدفاع العذاب عنهم فقد حان وقت الانتقام منهم (أنهم مغرقون) تعليل لما قبله أي
 فأنهم محكومون بمعابهم بالغرق وقد ضي به القضاء فلا سبيل إلى دفعه ولا تأخيره وقيل
 المعنى ولا تخاطبني في تجهيل عقابهم فأنهم مغرقون في الوقت المضروب لذلك لا يتأخر
 عاقبتهم عنه (و) طوف (يصنع الفاك) أو أخذ أو قبل يصنعها فاقصر على يصنع وقيل هو
 حكايه حال ماضية لا تخصار صورتهما اللججيه وأما كان فتنة سلامة الاستمرار المفهوم
 من الجمله الآية الواقعة حال من ضميره وكث في صنع السفينة مائتي سنة ذكرها لصاوي
 وقيل أربع مائة سنة ذكره أبو السعود وقال ابن عباس اتخذوا السفينة في سنتين
 وقيل ثلاثين سنة وكان طولها اثنتا عشرة ذراع وسهكها في السهات ثلاثين ذراعا وعرضها
 ثمان ذراعا والذراع إلى المذكوب وكانت من خشب الساج لها ثلاثة بطون وأطاق
 سفلى ووسطى وعليا وكان بابها في عرضها دخل في أسفلها الدواب والوحش وفي أوسطها
 الأنس وفي أعلاها الطير وقيل السفلى للوحش والوسطى للطعام والعليا له وإن
 قال الخفاجي والساج شجر عظيم يكثر بالهند وقيل أنه ورد في التوراة أنها من الصنوبر
 وقيل غير ذلك (ولكن الله عليه ملاء) أي جماعة (من قومه يخبرونهم) كل ظرفية

ويقابل رأيا في ذلك في سبيل الله عز وجل فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا وفي سبيل الله عز وجل وقوله فإن انتهوا أي
 بقتالكم عن غمهم فيه من الكفر فكفوا عنه وإن لم تعملوا بأوامرهم فإن الله بما يعملون بصير كقوله فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا
 الزكاة فإنا نسبيهم الآية وفي الآية الأخرى فأتواكم في الدين وقال وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فلا
 عدوان الأعلى الظالمين وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا أسامة لما عد ذلك الرجل بالسيف فقال لا إله إلا الله ففرضه
 فقتله فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا أسامة فقتله بعد ما قال لا إله إلا الله فكيف تصنع بل لا إله إلا الله يوم القيامة
 فقال يا رسول الله إنما قالها تهوذا قال هلا شققت عن قلبه وجعل يقول ويكره عليه من الله ولا إله إلا الله يوم القيامة قال أسامة حتى
 ثبت أني لم أكن أسأت اليوم ثم وقوله وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم التصبر أي وإن استقروا على خلافكم ومحاربكم
 فاعلموا أن الله مولاكم سيدكم ناصركم على أعدائكم فنع المولى ونعم النصير وقال محمد بن خير رحدثني عبد الوارث بن عبد الصمد
 حدثنا أبي حدثنا أن العطار حدثنا عن عروة بن عروة أن عبد الملك بن مروان كتب إليه يسأله عن أشياء فكتب إليه عروة
 سلام عليك فأتى أحد ذلك الله الذي لا إله إلا هو ما بعد فأنك كتب إلى تسألني عن مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة
 وسأخبرك به ولا حول ولا قوة إلا بالله كان من شأن مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة أن الله أعطاه النبوة فنع النبي ونعم

السيد ونعم العشرة جزاء الله خير او عرفنا وجهه في الجنة وأحيانا على ملته وأمانتنا وبعثنا عليها وأنه لما دعا قومه لما بعثه الله به
 من الهدى والنور الذي أنزل عليه لم يبعدهوا منه أول ما دعاهم وكذا بعثه عن له حتى اذا ذكر طواغيتهم وقدم ناس من الطائفت من
 قريش لهم أموال أنكر ذلك عليه ناس واشتدوا عليه وكرهوا ما قال وأغروا به من أطاعهم فانصق عنه عامة الناس فتركوه
 الا من حفظه الله منهم وهم قليل فكذلك ما قدر الله ان يمكث ثم اتمرت رؤسهم بأن يقتلوا من اتبعه عن دين الله من أنسائهم
 واخوانهم وقبائلهم فكانت فتنة شديدة الزلزال فاقمت من افتن وعصم الله ما شاء منهم فلما فعل ذلك بالمسلمين أمرهم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ان يخرجوا الى أرض الحبشة وكان بالحشة ملك صالح يقال له النجاشي لا يظلم أحدا بأرضهم وكان يثني عليه مع
 ذلك وكانت أرض الحبشة متجربة القريش يخرجون فيها وكانت مساكن تجارهم يتجدون فيها رافعا من الرزق وأمناء ومجرا حسنا
 وأمرهم بهم النبي صلى الله عليه وسلم فذهب اليها عامتهم لمافهم وعكة وجافوا عليهم النش ومكث هو فلم يرح فكذلك بذلك سنوات
 يشتدون على من أسلم منهم ثم انه فسا الاسلام فيها ودخل فيه رجال من أثبر اقومهم ومنعهم فلما رأوا ذلك استرخوا عن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه وكانت (٢١٨) الفتنة الاولى هي أخرجت من خرج من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

وما مصدرية ظرفية أى كل وقت مرورهم واستمرؤا به لعمله السفينة والجله في محل
 نصب على الحال قال الاخفش والكسائي يقال سخرت به ومنه وفي وجهه سخر بهم منه
 قولان أحدهما أنهم كانوا يرونه يعمل السفينة فيقولون يا نوح صرت بعد النبوة فجارا
 وكان يصنعها في بركة في أبعاد موضع من الماء وفي وقت عزته عزه عزة شديدة والثاني أنهم لما
 شاهدوه يعمل السفينة وكانوا لا يعرفونها قبل ذلك ولا كيفية استعمالها والارتفاع
 بها فتعجبوا من ذلك وقالوا يا نوح ما صنعت بها (قال) أمشى بها على الماء ففجىوا من قوله
 وسخروا به ثم أجاب عليهم بقوله (ان تسخروا مني) وهذا الكلام مستجاب على تقدير سؤال
 كانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال والمعنى ان تسخروا مني بسبب علمنا السفينة اليوم
 (فاننا نسخر منكم) غدا عند الغرق ومعنى السخرية هنا الاستحجال أى ان تسخروا نانا
 تسخركم وهذا على سبيل المشاكاة اذا السخرية لا تليق بجماد الانبياء وقيل انه سخر بهم
 من جنس صنيعهم فلا يقيح (كان تسخرون) أى تسخروا مني واستحجالهم باعتبار اظهار
 لهم ومشافهتهم والافهم عنده جهال قبل هذا وبعده والتشبيه بخرد الحقيق والوقوف
 أو التجدد والتكرار والمعنى اننا نسخر منكم بخبرة متحققة واقعة كانت تسخرون منا كذلك
 أو متجددة متكررة كانت تسخرون منا كذلك وقيل معناه نسخر منكم في المستقبل بخبرة
 مثل سخرتكم اذا وقع عليكم الغرق وفيه نظرفان حالهم اذ ذلك لا تناسيه السخرية اذ هم

قبل أرض الحبشة تخلفها وفرار
 مما كانوا فيه من الفتن والزلازل فلما
 استرخ عنهم ودخل في الاسلام من
 دخل منهم تحدث بالاسم ترطاهم عنه
 فبلغ ذلك من كان بأرض الحبشة
 من أصحاب رسول الله صلى الله
 عليه وسلم انه قد استرخى عن كان
 منهم عكة وانهم لا يقتلون فرجوا
 الى مكة وكادوا يأمنون بها وجعلوا
 يردادون ويكثرون وانه أسلم من
 الانصار بالمدينة ناس كثير وشا
 الاسلام بالمدينة فطفق أهل المدينة
 يأتون رسول الله صلى الله عليه
 وسلم عكة فلما رأته قريش ذلك
 توأمر وأعلى أن يقتلوه ويشدوا
 فأخذوهم فحصر صواعبي أن

يقتلوه فاصابهم جهده شديد فكانت الفتنة الآخرة فكانت فتنة آخر جرح من خرج منهم الى أرض
 الحبشة حين أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بها واذن لهم في الخروج اليها وقتها لم يرجعوا وراهم من أتاهم من أهل المدينة ثم انه
 جاع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة سبعون قتيلا رؤس الذين أسلموا أقوافه بالبحر فابعوه بالعقبه وأعطوه عودهم
 ومواثيقهم على اناسك وأتدنا على انه من جاء من أصحابك وأحتنا فانتم عن تمنع منه أنفسنا فاشتد عليهم قريش عند ذلك
 فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ان يخرجوا الى المدينة وهي الفتنة الآخرة التي أخرج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وسلم أصحابه وخرج هو وهي التي أنزل الله عز وجل فيها وأقاتلهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ثم روادع يونس بن عبد
 الاعلى عن ابن وهب عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عروة بن الزبير انه كتب الى الوليد بن عبيد الملك بن مروان بهذا
 فذكر مثله وهذا صحيح الى عروة رحمه الله (واعلموا انما غفتم من شيء فان الله حسبه والرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن
 السبيل ان كنتم أنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم القرفان يوم التي الجمعان والله على كل شيء قدير) بين تعالى تفصيل ما شرعه
 محصا لهذه الأمة الشريفة من بين سائر الامم المتقدمة باحلال الغنائم والغنيمة هي المال المأخوذة من الكفار باجاف الخيل

والركاب والتي مما أخذ منهم بغير ذلك كالأموال التي يصالحون -
 مذهب الإمام الشافعي في طائفة من العلماء من السلف والخلف ومن
 أيضا وإنه ذهب فتادة إلى أن هذه الآية ناسخة لآية الحشر ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى لله وللرسول ولذي القربى الآية
 قال فنقضت آية الانفال تلك وجعلت الغنائم أربعة أخماس للجهاديين وخمسها لله ولأهل المذكورين وهذا الذي قاله بعد لان
 هذه الآية نزلت بعد وقعة بدر وتلك نزلت في بني النضير ولا خلاف بين علماء السلف والمغازي قاطبة إن بني النضير بعد بدر وهذا أمر
 لا يشك فيه ولا يرتاب فمن يفرق بين معنى التي والغنيمة يقول تلك نزلت في أموال التي وهذه في الغنائم ومن يجعل أمر الغنائم
 والتي عراجها إلى رأى الإمام يقول لانساقه بين آية الحشر وبين التخميس إذا رآه الإمام والله أعلم بقوله تعالى وأعلموا أنما غنمتم
 من شيء فإن لله خمسة نوا كيد للتخميس كل قليل وكثير حتى الخط والخيط قال الله تعالى ومن يغفل يات بما غل يوم القيامة ثم توفى
 كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون وقوله فإن لله خمسة وللرسول اختلاف المفسرون ههنا فقال بعضهم لله نصيب من الخمس يجعل
 في الكعبة قال أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية الرازي (٣١٩) قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى
 بالغنمة فيقسمها على خمسة تكون

في شغل شاغل عنها ثم هددهم بقوله (ف سوف تعلمون من) موصولة في محل نصب
 أو استهلامية في محل رفع أى يا أيها الذين آمنوا عذاب يخزيه أى يهينه وهو عذاب الفرق في
 الدنيا قاله ابن عباس والمراد بعذاب الخزي العذاب الذي يخزي صاحبه ويحل عليه العار
 (ويحل) التلاوة بكسر الحاء ويجوز لغة ضمها كما في المصباح أى ينزل (عليه عذاب مقيم)
 في الآخرة وهو عذاب النار الدائم والخالود فيها وقيل معنى محل يجعل المؤجل حالا مأخوذ
 من حلول الدين المؤجل وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والحاكم عن عائشة
 قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان نوح مكث في قومه ألف سنة الا خمسين
 عاما يدعوههم يستقي كان آخر زمانه غرس شجرة فعظم ما ذكبت كل مذهب ثم قطعها
 ثم جعل يعمل منها سفينة ويمرون فيسألونه فيقول أعلمها سفينة فيسبحون منه ويقولون
 نعمل سفينة في البر وكيف نخبري قال سوف تعلمون فلما فرغ منها فرغ منها نور وكثر الماء
 في السكت خشيت أم الصبي عليه وكانت تحبه حباً شديداً فخرجت إلى الجبل حتى بلغت
 ثلثه فلما بلغها الماء خرجت حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء رقبته رفعت بين يديها
 حتى ذهب الماء ثم قال فرحم الله منهم أحد الرحم أم الصبي وقد ضعفه الذهبي في مسنده
 على مسنده الحاكم وقد روى في صفه السفينة وقد رهاه حديثاً وأما ليس في
 ذكرها هنا كثير فائدة (حتى إذا جاء أمرنا) حتى هي الابتداء ثم دخلت على الجملة

والرسول فإن لله خمسة مفتاح كلام الله مافي السموات ومافي الأرض فجعل سهم الله وسهم الرسول صلى الله عليه وسلم واحداً
 وهكذا قال إبراهيم النخعي والحسن بن محمد بن الحنفية والحسن البصري والشعبي وعطاء بن أبي رباح وعبد الله بن بريدة وقادة
 ومغيرة وغير واحد إن سهم الله ورسوله واحد ويؤيده هذا ما رواه الإمام الحافظ أبو بكر البجلي بإسناد صحيح عن
 عبد الله بن شقيق عن رجل قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو بوادي القرى وهو معترض فرسا فقلت يا رسول الله
 ما تقول في الغنمة فقال لله خمسة وأربعة أخماس للجيش قلت فما أحد أولى بهم من أحد قال لا ولا السهم تستخرجهم من
 جبيل ليس أنت أحق بهم من أخيك المسلم وقال ابن جرير حدثنا عمران بن موسى حدثنا عبد الوارث حدثنا أنان عن الحسن
 قال أوصى الحسن بالخمسة من ماله وقال ألا أرضى من مالي بما رضى الله لنفسه ثم اختلف قائلاً وهذا القول فروى على بن أبي طلحة
 عن ابن عباس قال كانت الغنمة تحمس على خمسة أخماس فأربعة منها بين من قاتل عليها وخمس واحد يقسم على أربعة أخماس
 فربيع لله وللرسول صلى الله عليه وسلم فما كان لله وللرسول فهو اقربا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولم يأخذ النبي صلى الله عليه وسلم
 من الخمس شيئاً فهو لنواب النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو معير المصنف حدثنا عبد الوارث بن سعيد

عن حسين المعلم عن عبد الله بن بريدة في قوله واعلموا انما غفتم من شيء فان الله بخسبه والرسول قال الذي الله فلينبه والذي الرسول لازواجه وقال عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء بن أبي رباح قال خسر الله والرسول واحد يحمل منسبه ويصنع فيه ما شاء يعني النبي صلى الله عليه وسلم وهذا أعم وأشمل وهو أنه صلى الله عليه وسلم يصرف في الخس الذي جعله الله له عما شاء ويرده في أمته كقصد شاء ويشهد لهذا ما رواه الامام أحمد حيث قال حدثنا اسحق بن عيسى حدثنا اسمعيل بن عياش عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم عن أبي سلام الاصرج عن المقدام بن معديكرب الكندي انه جالس مع عبادة بن الصامت وأبي الدرداء والحارث بن معاوية الكندي رضی الله عنهم فتذاكروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو الدرداء لعبادة بن عباد ما عباد الله صلى الله عليه وسلم في غزوة كذا وكذا في شأن الاخماس فقال عبادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم في غزوة الى بصرى من المغن فلما سلم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتناول وربة بين أظفله فقال ان ههنا من غنائمكم وأنه ليس لي فيها الا نصيب معكم الخمس والخمس مر دود عليكم فأدوا الخيط والخيط وأكبر من ذلك وأصغر ولا تغلوا فان الغلول عار ونازل على أصحابه في الدنيا والآخرة وجاهدوا الناس في الله القريب والععيد (٢٢٠) ولا تبالوا في الله لومة لائم وأقيموا حدود الله في الحضر والسفر وجاهدوا في

الشرطية وجعلت غاية لقوله واصنع القلب باعيننا وما بينهما اعتراض والمراد الامر العذاب أو وقته وهو واحد الامور لا الواحدة ويصح أن يراد الثاني على معنى جاء أمرنا بركوب السفينة (وقار التنوير) أي على واختلف في تفسير التنوير على أقوال الاول انه وجه الارض والعرب تسمى وجه الارض تنويرا واشرف موضع فيها روى ذلك عن ابن عباس وعكرمة والزهرى وابن عبيدة الثاني انه تنوير الخبر الذي يخبرون فيه بسدئ منه السبع على خلاف العادة وبه قال مجاهد وعطية والحسن وهو قول أكثر المفسرين قيل وهذا أولى لان اللفظ اذا دار بين الحقيقة والجاز كان حمله على الحقيقة أولى وللفظ التنوير حقيقة في اسم الموضع الذي يخبر فيه الثالث انه موضع اجتماع الماء في السفينة وروى هذا عن الحسن الرابع انه طالع الفجر من قولهم تنورا الفجر روى ذلك عن علي ابن أبي طالب الخامس انه مسجد الكوفة روى ذلك عن علي أيضا وسجادة وقال مجاهد كان ناحية التنوير بالكوفة على عين الداخل عماري باب كندة وكان الشعبي يخاف بالله انه مافار الامن ناحية الكوفة الثالث انه على الارض والمواقع المرتفعة فانه قتادة السابع انه العين التي بالجزيرة المسماة عين الوردية وهي بالشام روى ذلك عن عكرمة وبه قال مقاتل الثامن انه موضع بالهند قال ابن عباس كان تنورا آدم بالهند وكانت حواء تخبر فيه وصار لي نوح قال الحسن وهذه الاقوال ليست بمناقضة لان الله

الله فان الجهاد باب من أبواب الجنة عظيم يعني الله به من الهم والغم هذا حديث حسين عظيم ولم أرو في شيء من كتب الستة من هذا الوجه ولكن روى الامام أحمد أيضا وأبو داود والنسائي من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه في قصة الخمس والنهي عن الغلول وعن عمرو بن عتبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذوا بر من ذلك البعير ثم قال ولا يحصل لي من غنائمكم مثل هذا الا الخمس والخمس مر دود عليكم رواه أبو داود والنسائي وقد كان للذي

صلى الله عليه وسلم من الغنائم شيء يصطفيه لنفسه عبداً وأمة وأفرس وأوسيف أو نحو ذلك كما نص عليه محمد بن سيرين وعاصم الشعبي وتبعهما على ذلك أكثر العلماء وروى الامام أحمد والترمذي وحسنه عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تنقل سيفه ذوالقار يوم بدر وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أحد وعن عائشة رضي الله عنها قالت كانت صفية من الصفي رواء أبو داود في سنته وروى أيضا باسنادوه النسائي أيضا عن يزيد بن عبد الله قال كنا بالمربد اذ دخل رجل معه قطعة آدم فقرأناها فاذا قايما من محمد رسول الله الى بني زهير بن أقيش انكم ان شهدتم أن لا اله الا الله وان محمد ارسول الله وأقم الصلاة وآتيت الزكاة وأديتم الخمس من المغن وسهم النبي صلى الله عليه وسلم وسهم الصفي أنتم آمنون بأمان الله ورسوله فقلنا من كتب ذلك هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقهه أحد حديث جده تدل على تقرير هذا أو شبهه ولهذا جعل ذلك كنبوت من انصاأصر له صلوات الله وسلامه عليه وقال آخرون ان الخمس يصرف فيه الامام بالصحة للمسلمين كما يصرف في مال التي وقال شيخنا الامام العلامة ابن تيمية رحمه الله وهذا قول مالمشأ أكثر السابق وهو أصح الاقوال فاذا ثبت هذا وعلم فقد اختلف أيضا في الذي كان يناله عليه السلام من الخمس ماذا يصنع به من بعده فقال قالون يكون لمن يلي الامر من بعده روى هذا عن أبي بكر

سجانه

وعلى وقد اذبح جماعة ونياء فسمي حديثه مرفوعا وقال آخرون بصرة

الاصناف ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل اخذ ابن جرير

على بنية

ورسمهم

ذوى القربى مردودان على اليتامى والمساكين وابن السبيل قال ابن جرير وذلك قول جماعة من أهل العراق وقيل ان الحسن

لذوى القربى كان رواه ابن جرير حديثنا عبد العزيز بن محمد بن عبد الغفار حديثنا المتهل بن عمرو سالت عبد الله بن محمد بن علي

وعلى بن الحسن عن الحسن فقال لا هو لنا فقلت لعلي قال الله يقول واليتامى والمساكين وابن السبيل فقال لا يتامانا ومساكيننا وقال

سفيان الثوري رأوني عيم وأبو أسامة عن قيس بن مسلم سالت الحسن بن محمد بن الحنفية رجه الله تعالى عن قول الله تعالى واعلموا

انما علمتم من شيء فان الله يحسه ولا رسول فقال هذا مفتاح كلام الله الدنيا والاخرة ثم اخذت الناس في هذين السهمين بعد وفاته رسول

الله صلى الله عليه وسلم فقال قالون سهم النبي صلى الله عليه وسلم تسليم اللخيفة من بعده وقال آخرون لقراءة النبي صلى الله عليه

وسلم وقال آخرون سهم القرابة القرابة الطليقة واجتمع رأيهم أن يجعلوا هذين السهمين في الخليل والعدة في سبيل الله فكان على ذلك

في خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما قال الاعشى عن ابراهيم كان أبو بكر (٣١) وعمر يجعلان سهم النبي صلى الله عليه وسلم

في الكراع والسلاح فقلت لأبراهيم

ما كان علي يقول فيه قال كان أشدهم

فيه وهذا قول طائفة كثيرة من

العلماء رجعهم الله وأما سهم ذوى

القربى فانه يصرف إلى بني هاشم

وبني المطلب لأن بني المطلب وأزوا

بني هاشم في الجاهلية وفي أول

الاسلام ودخلوا معهم في الشعب

غضبا رسول الله صلى الله عليه وسلم

وجاء به مسلمة طاعة لله ولرسوله

وكافروهم حجة للعشيرة وأتت طاعة

لأبي طالب عمر رسول الله صلى الله عليه

وسلم وأما بنو عبد شمس وبنو نوفل

وان كانوا أبايهم فلم يوافقوهم

على ذلك بل حاربوهم وناذروهم

وقالوا بنو قريش على حرب

الرسول ولهذا كان ذم أبي طالب إياهم في قصيدته

له شاهد من نفسه غير عائل لقد سفهت احلام قوم بدلوها * بنوخلف فيضابنا والعياطل

ونحن الصميم من ذؤابة هاشم * وآل قصي في الخطوب الاوائل

وقال ابن جرير بن مطعم بن عدى بن نوفل مشيت أنا وعثمان يعني ابن عفان يعني ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس إلى رسول

الله صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله أعطيت بني المطلب من خمس خير وتر كسنا ونحن وهم منك بتزلة واحدة فقال انما

نؤاهاهم وبنو المطلب بنو واحد رواه مسلم وفي بعض روايات هذا الحديث أنهم لم يوافقوني في جاهلية ولا اسلام وهذا قول جمهور

العلماء أنهم بنو هاشم وبنو المطلب قال ابن جرير وقال آخرون هم بنو هاشم ثم روى عن خصم عن مجاهد قال علم الله ان في بني

هاشم فقرا ففعل لهم الخس فكان الصدقة وفي رواية عنه قال هم قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين لا تحمل لهم الصدقة ثم

روى علي بن الحسين نحوه ذلك قال ابن جرير وقال آخرون بل هم قريش كلها حديثني يونس بن عبد الأعلى حديثني عبد الله بن نافع

سبحانه قد أخبرنا ان الماء قد جاء من السماء والارض قال ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر
وغيرنا بالارض عيوننا فبهذا الاقوال يتجمع في ان ذلك كان علامة هكذا قال وفيه فثار
فان القول الرابع شافى هذا الجمع ولا يستقيم عليه التفسير ينبع الماء الا اذا كان المراد
بمجرد العلامة كما ذكره آخره وقد ذكر أهل اللغة ان القور الغليان يقال فار الماء يقور
قورا سابع وجرى وفارت القدر فوران باب قال وفورا نأغلث وعلى هذا يتجوز في الآية
الامن حيث نسمة القوران الى التور وهو اسم أعجمي عربي والعرب وعلى هذا فلا
اشتقاق له - وقيل فارسي لا تعرف له العرب اسم غيره هذا فلا خلاف في القرآن هذا
اللفظ فخطوطا يعبرون وقيل جاء هكذا بكل لفظ عربي وعجمي والله مما اتفق عليه
لغة العرب والعجم كالمصابون وزينة تفعلون ويعزى هذا الشعب وقيل فقول ويعزى
لأبي علي الفارسي وقيل معنى فارا تنور التمثيل يحضور العذاب كقولهم حي الوطيس
اذا اشتد الحرب وعلى هذا فهو وكاية عن اشتداد الامر وقيل كان من حجر لحوا فصار
الى نوح وقدر روى في تفسير التنور غيره هذا ذكر ابن جرير وغيره ان الطوفان كان في
ثالث عشر من أئيب في شدة القظ وكان القوران علامة لنوح على مجيئه وركوب
السفينة (قلنا) بانوح (احمل فيها) أي في السفينة (من كل زوجين) مما في الارض من
الحيوانات (اثنتين) ذكرنا وتقرى من كل بالثوبين أي من كل شيء زوجين والزوجان

(٤١ - فتح البیان ح)

جرى الله عنا عبد شمس ونوفل * عقوبة شر عاجل غير آجل

ولهذا يقول في أشواقه صديقه * له شاهد من نفسه غير عائل لقد سفهت احلام قوم بدلوها * بنوخلف فيضابنا والعياطل

ونحن الصميم من ذؤابة هاشم * وآل قصي في الخطوب الاوائل

وقال ابن جرير بن مطعم بن عدى بن نوفل مشيت أنا وعثمان يعني ابن عفان يعني ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله أعطيت بني المطلب من خمس خير وتر كسنا ونحن وهم منك بتزلة واحدة فقال انما
نؤاهاهم وبنو المطلب بنو واحد رواه مسلم وفي بعض روايات هذا الحديث أنهم لم يوافقوني في جاهلية ولا اسلام وهذا قول جمهور
العلماء أنهم بنو هاشم وبنو المطلب قال ابن جرير وقال آخرون هم بنو هاشم ثم روى عن خصم عن مجاهد قال علم الله ان في بني
هاشم فقرا ففعل لهم الخس فكان الصدقة وفي رواية عنه قال هم قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين لا تحمل لهم الصدقة ثم
روى علي بن الحسين نحوه ذلك قال ابن جرير وقال آخرون بل هم قريش كلها حديثني يونس بن عبد الأعلى حديثني عبد الله بن نافع

عن أبي عبيد عن سعيد المقبري قال كتب مجدة إلى عبد الله بن عباس يسأله عن ذوى القربى فكتب إليه ابن عباس كما تقول أنا هم
 فأتى علينا قومنا وقالوا القريش كلها ذؤوقري وهذا الحديث صحيح ورواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث سعيد المقبري
 فذكرنا إلى قوله فأتى علينا قومنا والزائدة من أفرأني معشر فيجيب بن عبد الرحمن المدني وفيه ضعف وقال ابن أبي حاتم خذ مثابني
 حدثنا إبراهيم بن مهدي المصيصي حدثنا المعمر بن سليمان عن أبيه عن حنشل عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم رغب إليكم عن غزاة الأدي لان لكم من خمس الجنس ما يغنيكم أو يكفيكم هذا حديث حسن الإسناد
 وإبراهيم بن مهدي حدثنا ثوبان قال سمعت أبا حاتم قال سمعت أبا يحيى بن معين يقول سمعت أبا بكر بن عبد الله
 يخص الأيتام بالشفقة راء ريم الأغنياء والقراء على قولين والمساكين هم النحواج الذين لا يجدون ما يسد خلعتهم ويكفونهم وابن
 السبيل هو المسافر والمراد بالسفر إلى مسافة تقصر فيها الصلاة وليس له ما يتقوه في سفره ذلك وسألت تفسير ذلك في آية الصدقات
 في سورة براءة إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان وقوله إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا أي استألفوا ما شرعنا لكم من
 الجنس في الغنائم إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وما أنزل على رسوله ولهذا جافى الصحيحين من حديث عبد الله

ابن عباس في حديث وفد عبد
 القيس أن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال لهم وآمركم بأربع وأنها لكم
 عن أربع أمركم بالإيمان بالله ثم
 قال هل تدرون ما الإيمان بالله
 شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا
 رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة
 وإن تؤدوا الخمس من المغنم الحديث
 بطوله فجعل أداء الخمس من جملة
 الإيمان وقد بوب البخاري على ذلك
 في باب الإيمان من صحيحه فقال باب
 أداء الخمس من الإيمان ثم أورد
 حديث ابن عباس هذا وقد بسطنا
 الكلام عليه في شرح البخاري والله
 الحمد والمئة وقال مقاتل بن حيان
 وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان
 يوم التقى الجمعان والله على كل شيء
 تقدير بنبه تعالى على نعمه وإحسانه إلى خلقه بما فرق به بين الحق
 والباطل وأظهر دينه وأهزمه ويبدو ويسمى الفرقان لان الله أعلنى فيه كلمة الإيمان على كلمة الباطل قال علي بن أبي طلحة
 والعوف عن ابن عباس يوم الفرقان يوم بدر وفيه بين الحق والباطل ورواه الحاكم وكذا قال مجاهد ومقسم وعبد الله بن عبد
 الله والضحاك وقادة ومقاتل بن حيان وغير واحد أنه يوم بدر وقال عبد الرزاق عن معمر بن الزهري عن عروة بن الزبير في قوله
 يوم الفرقان يوم فرق الله بين الحق والباطل وهو يوم بدر وهو أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رأس المشركين
 عتبة بن ربيعة فالتقوا يوم الجمعة لتسع عشرة أو سبع عشرة ضمت من رمضان وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ثمانية
 وبضعة عشر رجلا والمشركون ما بين الألف والتسعمائة فهزم الله المشركين وقتل منهم زيادة على السبعين وأسرى منهم مثل ذلك
 وقد روى الحاكم في مستدركه من حديث الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن ابن مسعود قال في ليلة القدر فتح رها لأحدى عشرة
 تبقي فإن صبحها يوم بدر وقال على شرطهما وروى مثله عن عبد الله بن الزبير أيضا من حديث جعفر بن برقان عن رجل
 عنه وقال ابن جرير حدثنا ابن جهميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا يحيى بن يعقوب أبو طالب عن ابن عون عن محمد بن عبد الله

للأثنين الذين لا يستغنى أحد عما عن الآخر ويطلق على كل واحد منهما زوج كما تقول
 للرجل زوج ولله امرأة زوج وهو المراد هنا أي من كل فرد من متزاوجين اثنين بأن تحمل
 من الأنثى ذكرا وأنثى ومن المغنم ذكرا وأنثى وهكذا وترك الباقي والمراد من الحيوانات
 التي تنفع والتي تلد أنثى وتبيض ليخرج المضرات والتي تتوالد من العصفونة والتراب كالدود
 والقمل والبقي والبعوض فلم يجعل منه شيئا ويطلق الزوج على الاثنين إذا استعمل
 مقابلا للفرد ويطلق الزوج على الضرب والصنف ومنه قوله تعالى وأثبت من كل زوج
 بهيج قال الرازي وأما ما يرى أن إبليس دخل السفينة فبعد لانه من الجن وهو جسم
 ناري وأهوانى فكيف يقرن الغرق وأيضا فان كذب الله لم يدل على ذلك ولم يرد فيه خبر
 صحيح فالأولى ترك الخوض فيه انتهى (و) أجل (أهلك) والمراد أمر أنه المؤمن وبنيه
 ونسألوهم (الامن) سبق عليه القول أي من تقدم الحكم عليه بأنه من المفرقين في عمله أو
 في قوله ولا تختطب في الذين ظلموا انهم مغرورون على الاختلاف الشائع فيهم فمن جعاهم
 جميع الكفار من أهلهم وغيرهم كان هذا الاستثناء من جملة أجل فيهم وأهلك ومن قال
 المراد بهم إله كنعان وامرأته الكافرة وإله أم كنعان جعل الاستثناء من أهلها ويكون
 متصلا أن أريد بالاهل ما هو أمهم من المسلمين والكفار منهم ومنه قطعان أريد بالاهل المليون
 منهم فقط (و) أجل (من آمن) من قومك في السفينة وأفرد الاهل منهم ما أريد الغناية بهم

أو
 يوم الفرقان يوم فرق الله بين الحق والباطل وهو يوم بدر وهو أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رأس المشركين
 عتبة بن ربيعة فالتقوا يوم الجمعة لتسع عشرة أو سبع عشرة ضمت من رمضان وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ثمانية
 وبضعة عشر رجلا والمشركون ما بين الألف والتسعمائة فهزم الله المشركين وقتل منهم زيادة على السبعين وأسرى منهم مثل ذلك
 وقد روى الحاكم في مستدركه من حديث الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن ابن مسعود قال في ليلة القدر فتح رها لأحدى عشرة
 تبقي فإن صبحها يوم بدر وقال على شرطهما وروى مثله عن عبد الله بن الزبير أيضا من حديث جعفر بن برقان عن رجل
 عنه وقال ابن جرير حدثنا ابن جهميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا يحيى بن يعقوب أبو طالب عن ابن عون عن محمد بن عبد الله

الذئبي عن أبي عبد الرحمن السلمي قال قال الحسن بن علي كانت ليلة القدر في يوم الثاني الجمعان لسبع عشرة من رمضان
استناد جيد قوي ورواه ابن مردويه عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب عن علي قال كانت ليلة القدر في ليلة الثاني الجمعان في
صبيحتها ليلة الجمعة لسبع عشرة مضت من شهر رمضان وهو الصحيح عند أهل المغازي والسير وقال يزيد بن أبي جعيد امام أهل
الدار المصرية في زمانه كان يوم بدر يوم الاثنين ولم يتابع علي هذا قول الجمهور ومتقدم عليه والله أعلم (إذا نتم بالعدوة الدنيا وهم
بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لا تخلفتم في الميعاد ولكن ليقضى الله أمرا ما كنتم تعلمون لا من هلك عن
دينه ويحيى من حي عن دينه وإن الله لسميع عليم) يقول تعالى يوم القدران إذا نتم بالعدوة الدنيا أي أنتم نزول بعدوة الوادي
الدنيا القسيسة من المدينة وهم أي المشركون نزول بالعدوة القصوى أي البعيدة من المدينة إلى ناحية مكة والركب أي
العير الذي فيه أو سفبان عامعه من التجارة أسفل منكم أي على سفب البحر ولو تواعدتم أي أنتم والمشركون أي في مكان
لا تخلفتم في الميعاد قال محمد بن اسحق وحديث يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه في هذا الآية قال ولو كان ذلك عن
ميعاد منكم ومنهم ثم بلغكم كفرة عددهم وقلة عددكم ما لقيتهم وهم ولكن (٢٢٢) ليقضى الله أمرا ما كنتم تعلمون ولا ياتى
الله ما أراد بقدرته من اعزاز الاسلام

وأهل وأذلال للشرك وأهل من
غير ملامتكم فقهل ما أراد من
ذلك بلفظه وفي حديث كعب بن
مالك قال اتنا خرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم والمسلمون يريدون
عبر قرش حتى جمع الله بينهم وبين
عدوهم على غير ميعاد وقال ابن
جرير حديث يعقوب بن حذيث ابن
عليه عن ابن عون عن عمار بن
اسحق قال أقبل أبو سفيان في الركب
من الشام وخرج أبو جهل ليلته
من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأصحابه فالتقوا بدير ولا يشعر
هؤلاء هؤلاء هؤلاء هؤلاء حتى
التقى السقاء وشهد الناس بعضهم

أول الاستثناء منهم على القول الآخر ثم وصف الله سبحانه قلة المؤمنين مع فوج بالنسبة إلى
من كفر به فقال (وما آمن معه الا قليل) واعتبار المعية في إيمانهم للإيمان إلى المعية في مقر
الأمم والنجاة قليل كانوا ثمانية فوح وأهل بيته الثلاثة ونسأوهم وبه قال قتادة وابن جرير
ومحمد بن كعب القرظي وقيل كانوا ثمانية رجلا أحدهم جرهم قاله ابن عباس قال الخفاف
وهي الرواية الصحيحة انتهى ولما خرجوا من السفينة بنوا قرية يقال لها قرية الثمانين وهي
موجودة بناحية الموصل وقيل سبعة فوح وبنيوه ثلاث كان له قاله الاعمش قال الخفاف
ويرد عطف من آمن الآن يكون الأهل بعضى الزوجة فانه ثبت بهذا المعنى وهو خلاف
الظاهر وقيل كانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنيوه الثلاثة سام وحام وياث ونسأوهم
واثمان وسبعون رجلا واهرا فمن غيرهم وعن ابن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس
نسوة وقيل غير ذلك قال الطبري والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال عز وجل وما
آمن معه الا قليل ولم يجد عددا يجدهم فلا ينبغي أن يجاوز في ذلك حد الله سبحانه وتعالى اذ لم
يرد ذلك في كتاب ولا خبر صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (وقال اركبوا فيها)
القال نوح وقيل الله سبحانه والاول أو لى لقوله ان ربى لغفور رحيم والركوب العلو على
ظاهر النسي المتحركة حقيقة متحور كركب الدابة أو مجازا متحور كركب الدين وفي الكلام حذف أي
اركبوا الماء في السفينة فلا يردان ركب يتعدى بنفسه وقيل ان القساسة في زيادة في أنه

الى بعض وقال محمد بن اسحق في السيرة ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه ذلك حتى اذا كان قريسان الصقرا بعث
بسبس بن عمرو وعدي بن أبي الزبابة الجهنيين يلتمان الخبر عن أبي سفيان فانطلقا حتى اذا وردا برافا ناخبا بعيريهما الى تل من
البطحاء فاستقيفا في شئ اهما من الماء فمعا جارا يتان يختصمان تقول احدهما لصاحبهما افضني حتى وتقول الاخرى انما اتاني
العبر غدا أو بعد غدا فاضيك حقا فخلص بينهما مجدي بن عمرو وقال صدقت فسمع ذلك بسبس وعدي فجلسا على بعيريهما حتى
أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه الخبر وأقبل أبو سفيان حتى وليا وقد حذر فقدم أمام غيره وقال لجدي بن عمرو هل
أحسنست على هذا المأمن أحد تشكره فقال لا والله الا في قدر أيت را كدين أنا خالي هذا التل فاستقيفا في شئ لهما ثم انطلقا فناء
أبو سفيان الى مناخ بعيريهما فأتا حذمن أباهما فها فافتقه فاذ فيه النوى فقال هذه والله علفك يرب ثم رجع سرعيا فاضرب وجهه غيره
فانطلق بها فاساحل حتى اذا رأى انه قد أحرز غيره بعث الى قريش فقال ان الله قد فتحنا غيركم وكمه لكم ورجالكم فارجعوا فقال
أبو جهل والله لا ترجع حتى تأتي بدر أو كانت بدر سوفامن أسواق العرب فنقيم بها اثلا نأفطع بها الطعام ونخرب بها الخبز ونسقي بها
الخر ونعزف علينا القيان ونسمع بنبا العرب وبسيرة فلا يزالون بها يوما بعد يوم أبدا فإل الا الحسن بن شريك ما بعشر بنى زهرة ان الله

قد أنشئ أمو لكم ونبي صاحبكم فارجهوا فاطاعوه وقرحت بنو هرة فلم يشهدوا ولا بنو عدي قال محمد بن اسحق وسدثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دنا من بدر على أبي طالب وسعد بن أبي وقاص والزبير بن العوام في نفر من أصحابه فيجسسون له أخيراً فأصابوا سقاة لقريش غلاماً لبني سعد بن العاص وغلاماً لبني النخاج فأتوا بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدوه يصلي فجعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونهم ما نحن أنتم فقولوا نحن سقاة لقريش فبعثوا نعيمهم من المأفك فذكر القوم خبرهما ورجوا أن يكونا لابي سفيان فضر بهما فمالا ذلك فوهما فاقترن لابي سفيان فتركوهما وورع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد سجدتين ثم سلم وقال إذا صدقاكم ضر تجرهما وإذا كذباكم تركوهما صدقا والله أنهما مالم يقرش أخبراني عن قريش فالأهم وراء هذا الكتيب الذي ترى بالعدوة القصوى والكتيب العتقل فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كم القوم فالأكثر قال ما عدتهم فالأما من أدري قال كم يخرون كل يوم فالأما متاعوا يوماً عشرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم ما بين التسعمائة إلى الألف ثم قال لهم ما نحن فيهم من أشرف قريش فالأعنية بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو الجعثري بن هشام وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد والحارث (٣٢٤) بن عامر بن نوفل وطعينة بن عدي والنضر بن الحارث وزمعة بن الأسود

وأبو جهميل وأمية بن خلف ونبيه ومنه أبنا النخاج وسهيل بن عمرو وعروة بن عبدود فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال هذه مكة قد ألفت اليكم أفلا ذكبتها قال محمد بن اسحق رحمه الله تعالى وحدثني عبد الله بن أبي بكر ابن حزم أن سعد بن معاذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما أتني الناس يوم بدر يا رسول الله ألا تبني لك عربسات تكون فيه ونبيج ركائبك وتلقى عدونا فان أظفرنا الله عليهم وأعزنا فذلك ما نحب وإن تكن الأخرى فتجلب على ركائبك ونلحق بين وراءنا من قومنا فقد والله تخلف عنك أقوام ونحن بأشدك حسبا منهم لو علموا أنك قلتي حربا منا تخلفوا عنك ووازروناك ونصروناك فأنشئ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستقرار خيرا ودعاه به فبني له عربسات فكان فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ما معهما غيرهما قال ابن اسحق وارتحلت قريش حين أصبحت فلما أقبلت ورأها رسول الله صلى الله عليه وسلم تصوب من العتقل وهو الكتيب الذي جاؤا منه إلى الوادي فقال اللهم هذ قريش قد أقبلت بخيلائها وأخفها تحادك وتكذب رسولك اللهم أحزنهم الغداة وقوله لمالك من هلاك عن يمينه ويحيى من حي عن يمينه قال محمد بن اسحق أي لكفر من كفر بعد الحجة لما رأى من الآية والعبره ويؤمن من آمن على مثل ذلك وهذا تفسير جليل وبسط ذلك أنه تعالى يقول انما جمعكم مع عدوكم في مكان واحد على غير معاد لينصركم عليهم ويرفع حجة الحق على الباطل ليصير الامر ظاهرا والحجة طاعة والبراهين ساطعة ولا يبقى لاحد حجة ولا شبهة فيثبت ذلك من هلاك أي يسرق من الكفر من استتر فيه على بصيرة من أمره انه سطل لقيام الحجة عليه ويحيى من حي عن يمينه أي يؤمن من آمن عن يمينه أي حجة وبصيرة والايان هو حجة القلوب قال الله تعالى ومن كان ميسافا حينما وجعلنا له نورا يمشي به في الناس وقالت عائشة في قصة الافك فهلك فمن هلك أي قال فيها ما قال من البهتان والافك وقوله وان الله لسميع أي الدعائكم وتضرعكم واستغاثكم به عليهم أي بكم وانكم تستحقون

وأبو جهميل وأمية بن خلف ونبيه ومنه أبنا النخاج وسهيل بن عمرو وعروة بن عبدود فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال هذه مكة قد ألفت اليكم أفلا ذكبتها قال محمد بن اسحق رحمه الله تعالى وحدثني عبد الله بن أبي بكر ابن حزم أن سعد بن معاذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما أتني الناس يوم بدر يا رسول الله ألا تبني لك عربسات تكون فيه ونبيج ركائبك وتلقى عدونا فان أظفرنا الله عليهم وأعزنا فذلك ما نحب وإن تكن الأخرى فتجلب على ركائبك ونلحق بين وراءنا من قومنا فقد والله تخلف عنك أقوام ونحن بأشدك حسبا

منهم لو علموا أنك قلتي حربا منا تخلفوا عنك ووازروناك ونصروناك فأنشئ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستقرار خيرا ودعاه به فبني له عربسات فكان فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ما معهما غيرهما قال ابن اسحق وارتحلت قريش حين أصبحت فلما أقبلت ورأها رسول الله صلى الله عليه وسلم تصوب من العتقل وهو الكتيب الذي جاؤا منه إلى الوادي فقال اللهم هذ قريش قد أقبلت بخيلائها وأخفها تحادك وتكذب رسولك اللهم أحزنهم الغداة وقوله لمالك من هلاك عن يمينه ويحيى من حي عن يمينه قال محمد بن اسحق أي لكفر من كفر بعد الحجة لما رأى من الآية والعبره ويؤمن من آمن على مثل ذلك وهذا تفسير جليل وبسط ذلك أنه تعالى يقول انما جمعكم مع عدوكم في مكان واحد على غير معاد لينصركم عليهم ويرفع حجة الحق على الباطل ليصير الامر ظاهرا والحجة طاعة والبراهين ساطعة ولا يبقى لاحد حجة ولا شبهة فيثبت ذلك من هلاك أي يسرق من الكفر من استتر فيه على بصيرة من أمره انه سطل لقيام الحجة عليه ويحيى من حي عن يمينه أي يؤمن من آمن عن يمينه أي حجة وبصيرة والايان هو حجة القلوب قال الله تعالى ومن كان ميسافا حينما وجعلنا له نورا يمشي به في الناس وقالت عائشة في قصة الافك فهلك فمن هلك أي قال فيها ما قال من البهتان والافك وقوله وان الله لسميع أي الدعائكم وتضرعكم واستغاثكم به عليهم أي بكم وانكم تستحقون

النعم على أعدائكم الكفرة المعادين (أذير بكم الله في منامك قليلا ولوأراكم كثر الفساق وأما زعم في الأمر ولكن الله
سلم الله عليهم بذات الصدور وأذير بكم وهم أذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقلل بكم في أعينهم ليقضي الله أمره كان مفعولا وإلى الله
ترجع الأمور) وإل مجاهد أراهم الله إياه في منامه قليلا وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أجماعه بذلك فكان تبينها لهم وكذا قال ابن
الحق وغير واحد وسكن ابن جرير عن بعضهم أنه رأى بعينه التي نام بها وقدرى ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا يوسف بن موسى
المديني حدثنا أبو قتيبة عن سهل السراج عن الحسن بن قنبر عن أبيه عن الحسن بن علي بن فضال قال بعينك وهذا القول غريب وقد صرح
بالنام ههنا فلا حاجة إلى التأويل الذي لا دليل عليه وقوله ولوأراكم كثر الفساق أي لجنت عنهم واختلقت فيما بينكم ولكن
الله سلم أي من ذلك بأن أراكم قليلا انه عليهم بذات الصدور أي بما يختصه الضمائر وتطوى عليه الاحشاء فعمل خائنة الأعين
وما تخفى الصدور وقوله وأذير بكم وهم أذ التقيتم في أعينكم قليلا وحذا أيضا من لطفه تعالى بهم إذا أراهم إياهم قليلا في رأي العين
ليجزيهم عليهم ويظلمهم فيهم قال أبو إسحق السبيعي عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال لقد قالوا في أعيننا
يوم بدر حتى قلت لرجل إلى جني زهر سبعين قال لا بل هم مائة حتى أخذنا (٣٢٥) رجلا منهم فمات منهم فقال كذا القار واه ابن أبي
حاتم وابن جرير وقوله ويقلل بكم في

والاستقرار قال مجاهد في الآية أي حين تكون وتجرى وترسون وعن الضحاك قال
كان إذا أراد أن ترى قال بسم الله فوسد وإذا أراد أن تجرى قال بسم الله فجرت (أن
رني لغفور) للذنوب (رحيم) بعباده ومن رحمة الله هذه الطائفة بفضله من بقاء هذا
الجنس الحيواني وعدم استئصاله بالغرق أخرج أبو يعلى والطبراني وابن السني وغيرهم
عن الحسن بن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمان لأمتي من الغرق إذا
ركبوا الفلأ أن يقولوا بسم الله الملك الرحمن بسم الله مجراها الآية وما قدر والله حق
قدره الآية (وهي تجرى بهم) أي فركبوا مسمين والسفينة تجرى والجله مسنقة
أوصالية ولذلك ندره الزمخشري بقوله أي تجرى وهم فيها (في موج) جمع موجوهي
ما ارتفع عن جلة الماء الكثير عند اشتداد الريح واضطرابه في خلاله (كالجبال) شبهها
بالجبال المرتفعة على الأرض أي كل موجته كالجبل في تراكمها وارتفاعها وعظمتها
قال أهل السير ارتفع الماء على أعلى جبل وأطوله أربعين ذراعا وقيل خمسة عشر ذراعا
حتى أغرق كل شيء وعم العباد وشمل كل البلاد وما قبل من أن الماء يطبق ما بين السماء
والأرض وكانت السفينة تجرى في جوفه كالخوت فغير ثابت (ونادى نوح أباه) هو
كعبان وقيل يام وكان كافرا واستبعد كون نوح نادى من كان كافرا مع قوله رب لا تذر
على الأرض من الكافرين ديارا وأوجب بأنه كان منافقا فظن نوح أنه مؤمن وقيل جلته

فلما اتهم القتل وأبد الله المؤمنين بالملائكة بأنهم من الملائكة هم الذين يرى حرب الأيمان يرى حرب الكفار راضع بها
كما قال تعالى قد كان لكم آية في فتنة بن النضار فقتلوا في سبيل الله وأخرى كافرة ونهم تسليم رأي العين والله يؤيد نصرته من
يشاء من ذلك عبرة لأولي الأبصار وهذا هو الجمع بين هاتين الآيتين فإن كلامهما حتى وصدقوا لله الحمد والمنة (يا أيها الذين
آمنوا إذا التقيتم فمسحوا بوجوهكم) وهذا هو الجمع بين هاتين الآيتين فإن كلامهما حتى وصدقوا لله الحمد والمنة (يا أيها الذين
آمنوا مع الصابرين) هذا تعليم من الله تعالى لعباده المؤمنين آداب اللقاء وطريق النجاة عندهم واجهسة الأعداء فقال يا أيها
الذين آمنوا إذا التقيتم فمسحوا بوجوهكم فثبت في الصحيحين عن عبد الله بن أبي أوفى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر في بعض
أيامه التي لم فيها العدو حتى إذا ماتت الشمس قام فيهم فقال يا أيها الناس لا تتناولوا العدو وأسألو الله العافية فإذا أقيمت لهم
فأصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السعوف ثم قام النبي صلى الله عليه وسلم وقال اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم
الاجباب اهزمهم وانصرنا عليهم وقال عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن زياد عن عبد الله
ابن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتناولوا العدو وأسألو الله العافية فإذا أقيمت لهم فاقبوا وأزادوا الله فان حلبوا
وصاحوا فاعلم بكم بالله وبالله وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا إبراهيم بن هاشم الغوري حدثنا أمية بن بسطام حدثنا حماد بن

سليمان خدمنا بابت بن زيد عن رجل عن زيد بن أرقم عن النبي صلى الله عليه وسلم مروا قال ان الله يحب الصمت عند ثلاث عند تلاوة القرآن وعند الزحف وعند المنازعة وفي الحديث الآخر المرفوع بقول الله تعالى ان عدي كل عدي الذي يذكرني وهو ملاق قرنه أي لا يشغله ذلك الحال عن ذكرى ودعائي واستجابتي وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قوله الآية وقال أنقرض الله ذكره عند أشغل ما يكون عند الضراب بالسيف وقال ابن أبي حاتم حديث أبي حنيفة عن سليمان بن سليمان عن الممارك عن ابن جريح عن عطاء قال وجب الانصاف وذكر الله عند الزحف ثم تلا هذه الآية قلت بجهر وبنان ك قال نعم وقال أيضا قرأ على أنقرض ابن عبد الأعلى أنبا بن وهب أخبرني عبد الله بن عباس عن بن زيد بن قود عن كعب الأحبار قال ما من شيء أحب إلى الله تعالى من قراءة القرآن والذكر وأولى ذلك ما أمر الناس بالصلاة والقتال لأنهم إذا قرأوا القرآن والقتال فقال بأنهم الناس أموا إذا لم يمت فتمت فابتهوا واذكروا الله كثير العلمكم تفطون قال الشاعر

ذكرتك والخطي بخطرسيتا • وقد نمت فينا المتفقة السمر

ولقد ذكرك والراح شواجر • فينا ويض الهند تقطر من دوى

وقال عنترة

فأمر تعالى بالثبات عند القتال
الأعداء الصبر على مبارزتهم فلا
يقروا ولا يشكوا ولا يجنبوا وإن
يذكروا الله في تلك الحال ولا ينسوه
بل يستغيثوا به ويتوكأوا عليه
ويسألوه النصر على أعدائهم وإن
يطعوا الله ورسوله في حالهم ذلك
فأمرهم الله تعالى به اتقوا وما
نمأهم عنه أن يجروا ولا يمتازعوا
فيما بينهم أيضا فيختلفوا فيكون
سببا لتخاذلهم وفشلهم وتذهب
ريحهم أي قوتهم وحدتهم وما
كنتم فيه من الإقبال واصبروا وإن
الله مع الصابرين وقد كان للصحابة
رضي الله عنهم في باب الشجاعة
والإتباع بما أمرهم الله ورسوله

سفيقة الآية على ذلك وكان من صلته على المعتمد وقال ابن عباس هو ابنه غير أنه خالفه
في السيرة والعمل وقيل أنه كان ابن امرأته ولم يكن ابنه ويؤيده ما روى ابن عليا قرأوا بدي
نوح ابنها وقيل أنه كان لغير سدة وولد على فراس فوح ورديان قوله هذا وقوله ان ابني من
أعلى يدفع ذلك مع ما فيه من عدم صيانة منصب النبوة فان جناب الانبياء أرفع من أن
يشار إليهم بأصبع الطعن (وكان في معزل) أي في مكان عزل فيه نفسه عن قومه وقراه
بحيث لم يبلغه قول نوح اركبوا فيها وقيل في معزل من دين الله وقيل من السفينة قيل وكان
هذا إذا قبل أن يستيقن الناس الفرق بل كن في أول فور السور قبل سير السفينة
(يا أي) أصله ثلاث يا أياء الصغور ولام الكلمة ويا المتكلم (اركب معنا) في السفينة
أي اسلم واركب قال ملا علي الجبالي الظاهران معنى الآية أسلم لتسحق الركوب معنا
(ولا تكن مع الكافرين) في البعد عن افتقارهم عنهم نهاء عن الكون معهم خارج
السفينة ويمكن أن يراد بالكون معهم الكون على دينهم في الكفر والاول أولى لانه
عليه السلام يصد الحذر عن الهلكة فلا يلاءم النبي عن الكفر ثم حكى الله سبحانه
ما أجاب به ابن نوح على أبيه فقال (قال ساري) أي سألتني وأصير (الجيبل يعصني)
أي يتبعني بارتفاعه وعلوه (من) وصول (الماء) إلى زعمانه ان ذلك كما أثر المياهي

أزمنة

وامتنال ما أرشدهم اليه ما لم يكن لاحد من الامم والقرون قبلهم

ولا يكون لاحد من بعدهم فانهم ببركة الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته فيما أمرهم فحقوا القلوب والافانيم شرقا وغربا في
المدة اليسيرة مع قلة عددهم بالنسبة الى جيوش سائر الافانيم من الروم والفرس والترك والهند والبربر والحيوش وأصناف
السودان والقبط وطوائف بني آدم فيقولوا الجميع حتى علت كلمة الله وظهر دينه على سائر الأديان وأمنت الممالك الإسلامية
في مشارق الارض ومغاربها في أقل من ثلاثين سنة فرضى الله عنهم وأرضاهم أجعيت وحشر نافي ذمهم انه كرم وهاب
(ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورأوا الناس يصدون عن سبيل الله والله يابعد ما يعملون يحبط واذا زين لهم الشيطان
أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جاركم فماتوا أراعت الفتان تكص على عقبه وقال اني يرى منكم اني أرى
ما لا ترون اني أخاف الله والله شديد العقاب اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض عرخوا لادينهم ومن يتوكل على الله فإن
الله عزير حكيم) يقول تعالى بعد أمر المؤمنين بالاخلاص في القتال في سبيله وكثرة ذكره ناهياهم عن التشبه بالمشر كين في
يخرجهم من ديارهم بطرا أي دفعوا الحق ورأوا الناس وهو المفاخرة والتكبر عليهم كما قال أبو جهل لما قيل له ان العير قد نجح فأرجعوا

فقال لا والله لا رجع حتى زدمابدر وتقرر الجوز ونشرب الخمر ونعزف علينا القيثارة وتحدث العرب بكناقيم ابومنا أئدافانكس ذلك عليه أجمع لانهم لما وردوا مابدر وأردوا به الجم اورموا في أطوار اندرهم انين أذلا مصرة أشقاء في عذاب سرمدي أبدى ولهذا قال والله بما به لا يكون محط أى عالم عاجز وأوله ولهذا جازاهم عليه من الجزاء لهم قال ابن عباس ومجاهد وقادة الضحالة والسدى في قوله تعالى ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطر ورأوا الناس قالوا هم المشركون الذين قاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وقال محمد بن كعب لما خرجت قريش من مكة إلى بدر خرجوا بالقيان والدوف فانزل الله ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطر ورأوا الناس ويصدون عن سبيل الله والله عابعدون محط وقوله تعالى واذا من لهم الشيطان أعمالهم وقال لأغالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم الآية حسن لهم لعنه الله ما جازاه وما هم وباه وأطعمهم انه لأغالب لهم اليوم من الناس ونفى عنهم المشقة من أن يكونوا في ديارهم من عدوهم حتى يكره فقال انى جار لكم وذلك انه تسد لهم في صورة سراقته بن مالك بن جعشم سيد بني مدلس كبير تلك الناحية وكل ذلك منه كما قال تعالى عنه يعدهم وينمهم وما بهدم الشيطان الاغورا قال ابن جرير قال ابن عباس في هذه الآية لما كان يوم بدر سار الجليش (٢٤٧) برأيه وجنوده مع المشركين وأتني في قلوب

المشركين ان أحد الن يغلبكم وانى جار لكم فلما التقوا واطر الشيطان الى احد الملائكة نكص على عقبه قال رجح مدبر او قال انى أرى ما لاترون الآية وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال جاء ابليس يوم بدر في جنود من الشياطين مع هرايته في صورة رجل من مدلس والشيطان في صورة سراقته بن مالك بن جعشم فقال الشيطان للمشركين لأغالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما اصطف الناس أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قصة من التراب فرمى بها في وجوه المشركين فولوا مسددين وأقبل جرير عليه السلام الى ابليس فلأرأه وكأنت به في بدر رجل

أزمنة السبول المعتادة التي رجماتي من باب الصعود الى الربى وأتى له ذلك وقد بلغ السبيل الزبى وجهه بلان ذلك انما كان لاهلال الكفرة وان لا يحيص من ذلك سوى الالتجاء الى ملجأ المؤمنين فذلك أراد عليه السلام ان يبين له حقيقة الحال وان يصرفه عن ذلك الفكر المحال (قال) أى جاب عنه نوح بقوله (لأعاصم) من الجبال أى لمانع (اليوم من أمر الله) فانه يوم قد حق فيه العذاب وجف القلم عما هو كائن فيه نفي جنس العاصم فيندرج تحته العاصم من الفرق في ذلك اليوم اندراجاً وليا وعبر عن الماء وعن الفرق بأمر الله سبحانه فيخمس الشأنة وهو يلا امره (الامن رحم) وقرى على البناء المنعول والاستثناء منقطع قاله الزجاج أى لكن من رجه فهو يعصه واستظهره السفاقي أو متصل على ان يكون عاصم بمعنى معصوم أى لا معصوم اليوم من أمر الله الامن رجه الله مثل ما عداق وعيشة راضية واختار هذا الوجه ابن جرير والبخاري وتبعه القاضي وقيل العاصم بمعنى ذى العصمة كالأول وناهر والتقدير لا عاصم قط الامكان من رجه الله وهو السفةينة وحينئذ فلا يريد ما يقال ان معنى من رجه من رجه الله ومن رجه الله فهو معصوم فكيف يصح استثناءه عن العاصم لان في كل وجه من هذه الوجوه دفعا للأشكال وذكر صاحب الاتصاف ان الاحتمالات الممكنة هنا أربعة لا عاصم الاراحم لا معصوم الامر حوم لا معصوم الاراحم فالاولان استثناء

من المشركين انزع يده منى مدبر او شيعته فقال الرجل يا سراقه أترغم انك لتسارق فقال انى أرى ما لاترون انى أخاف الله والله شديد العقاب وذلك حين رأى الملائكة وقال محمد بن اسحق حدثني الكلبى عن أبي صالح عن ابن عباس ان ابليس خرج مع قريش في صورة سراقته بن مالك بن جعشم فلما حضر القتال ورأى الملائكة نكص على عقبه وقال انى برى منكم فتشبت به الحرب بن هشام فحرق في وجهه فخرصة اقل له وبك يا سراقه على هذه الحال تحذ لنا وتبرأ منا فقال انى برى منكم انى أرى ما لاترون انى أخاف الله والله شديد العقاب وقال محمد بن عمر الواقدي أخبرني عن عبيدة عن شعبة مولى ابن عباس عن ابن عباس قال لما نواقف الناس أنعمي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم كشف عنه فبشر الناس بخير بل في جنود من الملائكة سمينة الناس وميكائيل في جنود من آخر ميسرة الناس واسرافيل في جنود آخر ألف وابليس قد تقرر في صورة سراقته بن مالك بن جعشم المدلجى يدبر المشركين ويخبرهم انه لأغالب لهم اليوم من الناس فلما أبصر عدو الله الملائكة نكص على عقبه وقال انى برى منكم انى أرى ما لاترون تشبت به الحرب بن هشام وهو يرى انه سراقه لا مع من كلامه فضرى في صدر الحرب فسد قط الحرب وانطلق ابليس لا يرى حتى سقط في البحر ورفع ثوبه وقال يا رب موعدك الذى وعدتني وفي الطبراني عن رفاعة بن رافع قريش من هذا

السباق أبسط منه ذكرناه في السيرة وقال محمد بن اسحق حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال لما اجتمعت قريش للسير ذكرت الذي بينهما وبين بكر من الحرب فكان ذلك أن ينتمهم فتبدي لهم ابليس في صورة مرقاة بن مالك بن جشم المدلجي وكان من أشرف بني كنانة فقال أأنا جاركم أن تأتيتكم كانه بشي تشرهونه فخرجوا سراعا قال محمد بن اسحق فذكر لي أنهم كانوا يروونه في كل منزل في صورة مرقاة بن مالك لا يشكروه حتى اذا كان يوم بدر والتقى الجعان كان الذي رآه حين نكص الحرب بن هشام أو عبيد بن وهب فقال أين مرقاة وعيسل عدو الله فذهب قال فأوردتهم ثم أسلمهم قال وانظر عدو الله الى جند الله قد أيد الله بهم رسوله والمؤمنين انتكص على عقبيه وقال اني برى منكم اني أرى مالا ترون وصدق عدو الله وقال اني أخاف الله والله شديد العقاب وهكذا روى عن السدي والضحاك والحسن البصري ومحمد بن كعب القرظي وغيرهم رحيم الله وقال قتادة وذكر لنا انه رأى جبريل عليه السلام تنزل معه الملائكة فعلم عدو الله انه لا يلدائه بالملائكة فقال اني أرى مالا ترون اني أخاف الله وكذب عدو الله والله مآبه مخافة الله ولكن علم انه لا قوة له ولا منعة وثلاث عادة عدو الله لمن أطاعه واستعاده حتى اذا التقى الحق والباطل أسلمهم ثم دليهم وتبرأ منهم عند ذلك قلت يعني (٣٢٨) بعبادته لمن أطاعه كمثل الشيطان اذا قال للانسان اكفر فلما كفر قال

ان يبرى منكم اني أخاف الله رب العالمين وقوله تعالى وقال الشيطان لما قاضى الامر ان الله وعدكم الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أباصر حكم وما أنتم بعد مني اني كفرت بما أشركتكم من قبل ان الظالمين لهم عذاب أليم وقال يونس بن بكير عن محمد بن اسحق حدثني عبد الله بن أبي بكر بن عمر بن حزم عن بعض بني ساعدة قال سمعت أبا أسيد مالك بن ربيعة بعد ما كف بصره يقول لو كنت معكم الا ان يبدد ومعي بصري لا خسر تكم بالشعب الذي خرجت منه الملائكة لا أشك

من الجنس والاخر ان استثناء من غير الجنس فيكون منقطعاً أي لكن المرحوم يعصم على الاول ولكن الرحم يعصم من أراد على الثاني قال عكرمة لاناج الأهل السفينة (وحل بينهما الموج) أي حال بين نوح وابنه فتبعد خرافته من الغرور وقيل بين ابن نوح وبين الجبل والاول أولى لان تفرع (فكان من المغرقين) عليه يد على الاول لاعلى الثاني لان الجبل ليس بعاصم والمعنى فصاراً وفكان كنعان من المغرقين في علم الله بالفضل والمهلكين بالماء (وقيل) أي بعد ما تناهى الطوفان وأغرق الله قوم نوح والقيل كقيل في هذين الموضوعين عبارة عن تعلقي القدرة التحيزي بن وال الماء وبهلا كهم كقيل في قوله تعالى ان يقول له كن فيكون وعلى هذا فالآية على الاستعداد المكتسبة والتجربة وقيل غشبية كإفصل ذلك الخفاجي في العناية تفصيلاً بسبب طامع ما يصعبه من لطائف البلاغة ولكن الحق الذي لا ترد فيه عنداً ولى البصيرة ان الآية على حقيقة تها من النداء والامر وهو المختار في قوله سبحانه كن فيكون ومثاله أيضاً (يا أرض ابلعي) يقال بلع الماء يبلعه مشل منع ينع وبلع يلع مشل جديده لغتان حكاهما الكسائي والفرأ والبليغ الشرب وتغير الماء منه بالوعاء وهي الموضوع الذي يشرب الماء والازدراء يقال بلع ما في فيه من الطعام اذا ازدرده واستعير البليغ الذي حوم فعل الحيوان للشفة دلالة على ان ذلك ليس كالشفة المعتاد الكسائي على سبيل التدرج قال الخفاجي الشف من

ان يبرى منكم اني أخاف الله رب العالمين وقوله تعالى وقال الشيطان لما قاضى الامر ان الله وعدكم الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أباصر حكم وما أنتم بعد مني اني كفرت بما أشركتكم من قبل ان الظالمين لهم عذاب أليم وقال يونس بن بكير عن محمد بن اسحق حدثني عبد الله بن أبي بكر بن عمر بن حزم عن بعض بني ساعدة قال سمعت أبا أسيد مالك بن ربيعة بعد ما كف بصره يقول لو كنت معكم الا ان يبدد ومعي بصري لا خسر تكم بالشعب الذي خرجت منه الملائكة لا أشك

نش

ولا ألتأمرى فلما نزلت الملائكة ورأها ابليس وأوصى الله اليهم اني معكم فثبتوا الذين آمنوا

وتبينتهم ان الملائكة كانت تأتي الرجل في صورة الرجل يعرفه وله أبشر فانهم ليسوا بشي والله معكم ففكر واعلمهم فلما رأى ابليس الملائكة نكص على عقبيه وقال اني برى منكم اني أرى مالا ترون وهو في صورة مرقاة وأقبل أبو جهل يحضض أصحابه ويقول لا يهولنكم خذلان سراقه اياكم فانه كان على موعده من محمد وأصحابه ثم قال واللات والعزى لا نرجع حتى نقرن محمداً وأصحابه في الجبال فلا تقتلواهم وخذوهم أخذوا وهذا من أبي جهل لعنه الله كقول فرعون للسحرة لما أساوروا ان هذا المكر مكروه في المدينة لتخرجوا منها أهلها وذكروا له كذبهم الذي علمكم السحر وهو من باب البهت والافتراء ولهذا كان أبو جهل فرعون هذه الامة وقال مالك بن أنس عن ابراهيم عن ابن عبسلة عن طلحة عن عبيد الله بن كزبان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما رأى ابليس يوماً هو فيه أصغر ولا أحقر ولا أدهر ولا أعظم من يوم عرفه وذلك لما يرى من نزول الرحمة والعفو عن الذنوب الامارأي يوم بدر قالوا يا رسول الله وما رأى يوم بدر قال أمانة انه رأى جبريل عليه السلام يزع الملائكة هذا مرسل من هذا الوجه وقوله اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض عر هو لا دينهم قال علي بن أبي طلحة

عن ابن عباس في هذه الآية قلنا اننا اليوم بعض
 المشركون غر هؤلاء دينهم وانما قالوا ذلك من قلمهم في، عنهم فظنوا انهم سيمزحونهم لا يشكون في ذلك فقال الله ومن يتوكل على
 الله فان الله عزيز حكيم وقال قتادة واوعاصية من المؤمنين تسددت لآمر الله وذكرنا ان ابا جهل عدو الله لما أشرف على محمد
 صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال والله لا يعبد الله بعد اليوم قسوة وعتوا وقال ابن جريح في قوله اذ يتول المنافقون والذين في قلوبهم
 مرض هم قوم كانوا من المنافقين كانوا معكم في قوله يوم بدر وقال عامر الشعبي كان ناس من أهل مكة قد تكلموا بالاسلام
 فخرجوا مع المشركين يوم بدر فلما رأوا قلة المسلمين قالوا غر هؤلاء دينهم وقال مجاهد في قوله عز وجل اذ يقول المنافقون والذين
 في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم قال قتادة من قريش قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة والحرث بن زعمرة
 ابن الاسود بن المطلب وعلى بن أمية بن خلف والعاص بن مضيبة بن الحجاج خرجوا مع قريش من مكة وهم على الارتياح
 فخبسهم اربابهم فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا غر هؤلاء دينهم حتى قدموا على ما قدموا عليه مع قلة
 عددهم وكثرة عدوهم وهكذا قال محمد بن اسحق بن يسار سواء (٣٢٩)
 وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد

الاعلى حدثنا محمد بن نور عن معمر
 عن الحسن في هذه الآية قال
 هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر
 فسماوا منافقين قال معمر قال
 بعضهم هم قوم كانوا قروا بالاسلام
 وهم مكة فخرجوا مع المشركين يوم
 بدر فلما رأوا قلة المسلمين قالوا غر
 هؤلاء دينهم وقوله ومن يتوكل على
 الله أي يعتمد على جنبه فان الله عز
 أي لا ينيام من التجا إليه فان الله
 عز يزنيح الجناح عظيم السلطان
 حكيم في أفعاله لا يضيعها الا في
 مواضعها فينبه من يستحق النصر
 ويخذل من هو أهل ذلك (ولوترى
 اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة
 يضربون وجوههم وأدبارهم

نشف الثوب العرق كسمه وبصر اذا شربه قال المدقق هذا أولى من جعل السكاكي الملع
 مستعار للغور الماء في الارض دلالة على حذب الارض ما عليها كالبلع بالنسبة الى
 الحيوان ولان النشف فعل الارض والغور فعل الماشية دره ما كثر اطالاعه على حقائق
 المعاني اه وقال عكرمة ابلي هو بالحيشية اذ رديه وعن ابن منبه نحو مو عن جعفر بن
 محمد عن أبيه قال معناه اشرب بلغة الهند وعن ابن عباس مثله اقول وشوت لفظ البلع
 وما يستحق منه في لغة العرب ظاهر مكشوف في النال والحشة والهند والمعنى انشفي وتنشري
 (مائل) أي ما على وجهك من ماء الطوفان دون المياه المعهودة فيها من العيون والانهار
 وعبر عنه بالماء بعد ما عبر عنه بامر الله لان المقام مقام النقص والتقليل لام مقام التفعيم
 والتحويل (وياحساء ألقاه) الاقلاع الاسماء يقال ألقع المطر اذا انقطع وألقع عن
 الشيء اذا تركه وهو قريب من الاول والمعنى أمر السماء باسماء الماء عن الارسل ولفظ
 أجدا الماهي في نفسه أي اجذني الى جهة النوق ما نزل منك اه وقيل ميز الله بين
 الماء من فمها كان من ماء الارض أمرها فبلغته وصار ماء السماء بحارها وخوطبت الارض
 أولاً بالبلع لان الماء ينبع منها أولاً قبل ان تمطر السماء (وغيض الماء) أي نقص وانضب
 ما بين السماء والارض من الماء يقال غاض الماء وغضته انا وهو لانهم متعد في اللان
 قوله تعالى وما تغيض الارحام أي تنقص وقيل بل هو ما تمتعوا بآنياسيائهم ومن

(٤٢) - نفع البيان رابع) وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وان الله ليس بظلام للعبيد) يقول تعالى ولوعايت
 يا محمد حال توفي الملائكة أرواح الكفار رأيت أمر اعظيما عاثلا فظلمتكم انكر اذ يضربون وجوههم وأدبارهم ويقولون لهم ذوقوا
 عذاب الحريق قال ابن جريح عن مجاهد أدبارهم استأخروهم قال يوم بدر قال ابن جريح قال ابن عباس اذا أقبل المشركون وجوههم
 الى المسلمين شربوا وجوههم بالسيف واذا ولوا أدبرتهم الملائكة يضربون أدبارهم وقال ابن أبي شيبة عن مجاهد في قوله اذ يتوفى
 الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم يوم بدر وقال وكيع عن سفيان الثوري عن أبي هاشم اسمعيل بن كثير عن
 مجاهد وعن شعبة عن يولي بن مسلم عن سعيد بن جبير يضربون وجوههم وأدبارهم قال واستأخروهم ولكن الله يكتي وكذا قال عمر
 مولى عنه وعن الحسن البصري قال قال رجل يارسول الله اني رأيت بظهور أبي جهل مثل الشوك قال ذاك الشرب الملائكة مرواه
 ابن جرير وهو مرسل وهذا السياق وان كان سببه وقعة بدر ولكنه عام في حق كل كافر واهل البيت المخصصة تعالى بأهل بدر بل قال تعالى
 ولوترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وفي سورة القتال مثلها وتقدم في سورة الانعام قوله تعالى ولو
 ترى اذ اجره ون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسهم أي باسطوا أيديهم بالضرب فيهم بامر ربهم اذا استعصبت

أنفسهم واستعت من الخروج من الأجساد ان تخرج قورا وذلك اذ ابشروهم بالعذاب والغضب من الله كما في حديث البراء ان ملك الموت اذا جاء الكافر عند احتضاره في تلك الصورة المنكورة يقول اخرجي أيها النفس الخبيثة الى محوم وحجم وظل من محموم فتفرق في بدنه فيسخر جوفه من جسده كما يخرج السفوف من الصوف المبازل فيخرج معها العروق والغضب ولهذا أخبر تعالى ان الملائكة تقول لهم ذوقوا عذاب الحريق وقوله تعالى ذلك بما قدمت أيديكم أي هذا الجزاء بسبب ما علمتم من الاعمال السيئة في حياتكم الدنيا جزاءكم الله بما اهدأ الجزاء وان الله ليس بظلام للعبيد أي لا ينظما أحدا من خلقه بل هو الحاكم العدل الذي لا يجرور قبله وتعالى وتقدس وتنزه الغنى الجيد ولهذا جاء في الحديث الصحيح عن مسلم رحمه الله من رواية أبي ذر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادي انا ما هي أعمالكم أحصاها لكم فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يومن الا انفسه ولهذا قال تعالى (كتاب آل فرعون والذين من قبلهم كذروا يا أيات الله فاخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب) يقول تعالى فعل هؤلاء المشركين المكذبين بما أرسلت به يا محمد كما فعل الأمم المكذبة قبلهم فنعلم انهم ما هو (٣٣٠) دأبنا أي عادتنا واستناني أمثالهم من المكذبين من آل فرعون ومن قبلهم

المتعدي هذه الآية لانه لا ينبي للمفعول من غير واسطة حرف الجر الا المتعدي بنفسه وهو اخبار عن حصول المأمور بيمين السماء والأرض معا أي فامتلا ما امر به ونقص الماء ولا ينقص غيض الماء بطوفان السماء كما هو فيه كلام طويل في الكشف قال الصاوي أي ولم يذهب بالكلمة لما علبت من بقاء ما السماء (وقضى الامر) أي أحكم وفرغ منه يعني أهأ الله قوم نوح على تمام واحكام وأخبرنا مكان وعده فالة القرطبي (واستوت على الجودي) أي استقرت السفينة على الجبل المعروف بالجودي روى الله عليه السلام ركب في الفلك في عاشر رجب ونزل عنها في عاشر المحرم فصام ذلك اليوم شكرا فصار سنة والجودي جبل بقرب الموصل وقيل ان الجودي اسم لكل جبل وقيل هو الشام وقيل بالآمل وفي الحديث لقد بقي منها شيء أدركه أوائل هذه الأمة ويقال انه من جبال الجنة فلذا استوت عليه بعد ان طافت الأرض كلها ستة أشهر (وقيل بعدا للقوم الظالمين) الفائل هو الله سبحانه ليناسب صدر الآية وقيل هو نوح وأصحابه والمعنى وقيل هلا كلهم وهو من الكلمات التي تختص بدعاء السوء وصفهم بالظلم للاشعار بأنه علة الهلاك وللايحاء الى قوله ولا تتخاطب في الذين ظلموا قال عبد الرحمن بن خلدون اتفقوا على ان الطوفان الذي كان في زمن نوح وبعده توهب بعمران الأرض أجمع وعمما كان من خراب المعمور وهلك الذين ركبوا معه في السفينة ولم يعقبوا فصار أهل الأرض

من الأمم المكذبة بالرسول الكافرين يا أيات الله فاخذهم الله بذنوبهم أي بسبب ذنوبهم أخذهم الله ان الله قوي شديد العقاب لا يغلبه غالب ولا يقوته هارب (ذلك بان الله لم يكن مغيرا لنعمة أنعم بها على قوم حتى يغيروا ما بآتفسهم وان الله سميع عليم كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا يا أيات ربهم فاهلكهم الله بذنوبهم وأغرقتنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين) يخبر تعالى عن تمام عدله وقسطه في حكمه بأنه تعالى لا يغير نعمة أنعمها على أحد الا بسبب ذنب ارتكبه كقوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا وما بآتفسهم

واذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال وقوله كدأب آل فرعون أي كصنعه بآل فرعون وأمثالهم حين كذبوا يا أيات الله فاهلكهم بسبب ذنوبهم وسلبهم تلك النعم التي أسداها اليهم من جنات وعيون وزروع وكنوز ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين وما ظلمهم الله في ذلك بل كانوا هم الظالمين (ان شر الذواب عند الله الذين كذبوا) فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون فاما تنقذهم في الحرب فسردهم من خلفهم لعالم يدكرون) أخبر تعالى ان شر ما دب على وجه الأرض هم الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين كلما عاهدوا وعهدا نقضوه وكلما كدوه بالايمان كشكدهم لا يتقون أي لا يخافون من الله في شيء ارتكبوه من الآثام فاما تنقذهم في الحرب أي تغلبهم وتظفر بهم في حرب فسردهم من خلفهم أي تكل بهم قال ابن عباس والحسن البصري والضحاك والسدي وعطاء الخراساني وابن عينة ومعناه غلظ عقوبتهم وانحنتهم قتلا ليخاف من سواهم من الاعداء من العرب وغيرهم ويصروا لهم عبرة لعلمهم بذكرهم وقال السدي يقول لعلمهم يحذرون ان يشكوا فيضع بهم مثل ذلك (واما تخاف من قوم خيانة فاذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الظالمين) يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وامّا تخاف من قوم قد علمت خيانتهم أي نقض ما بينك وبينهم من المواثيق والعهود فانذرتهم

اى عهدهم على سواء اى اعلمهم بانك قد نقضت عهدهم حتى يفي علكم وعلمهم بانك حرب لهم وهم حرب لك وانه لا عهد بينك وبينهم
 على سواء اى تستوى انت وهم في ذلك قال الرازي فاضرب وجوه الغدر الاعدا * حتى يجيبوك الى السوا وعن الوليد بن
 مسلم انه قال في قوله فاخذ اليهم على سواء اى على مهل ان الله لا يحب الخائنين اى حتى ولو في حق الكفار لا يجيبها ايضا قال الامام
 احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن ابي الفضل عن سليمان بن عامر قال كان معاوية يسير في ارض الروم وكان بينه وبينهم
 مدافاران يدنو منهم فاذا انقضى الامر غزاهم فاذا شيخ على دابة يقول الله اكبر الله اكبر وفاء لا غدر ان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال ومن كان بينه وبين قوم عهد فلا يحل عقد ولا يشدها حتى ينقضى امدها و اينذ اليهم على سواء قال فبلغ ذلك معاوية
 رجع واذا الشيخ عمرو بن عتبة رضى الله عنه وهذا الحديث رواه ابو داود الطيالسي عن شعبة واخرجه ابو داود والترمذي
 النسائي وابن حبان في صحيحه من طرق عن شعبة به وقال الترمذي حسن صحيح وقال الامام احمد ايضا حدثنا محمد بن عبد الله
 زهير حدثنا اسير ائبل عن عطاء السائب عن ابي الجبتي عن سلمان بن عيسى عن الفارسي رضى الله عنه انه انتهى الى حصن او مدينة
 قال لا يحابه ادعوني ادعوك كما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم فقال انما كنت رجلا

منهم فهداني الله عز وجل
 للإسلام فان أسلمت فلكم مالنا
 وعليكم ما علينا وان أبيت فادوا
 الجزية وأنتم صاغرون وان أبيت
 نابذناكم على سواء ان الله لا يحب
 الخائنين يفعل ذلك بهم ثلاثة أيام
 فلما كان اليوم الرابع غدا الناس
 اليه افقهو هابعون الله ولا تحسبن
 الذين كفروا سبقوا انهم لا يحجزون
 وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة
 ومن رباط الخيل ترهبون به عدو
 الله وعدوكم وأحرين من دونهم
 لآلئولئهم الله يعلمهم وما تنفقوا من
 شيء في سبيل الله يوف اليكم وأنتم
 لا تظلمون يقول تعالى لنبيه صلى
 الله عليه وسلم ولا تحسبن يا محمد الذين

لا تعلمونهم الله يعلمهم وماتتفقوا من

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ الْمَمْنُونِ

تقوله تعالى أم حسب الذين يعملون

لا أرض وما أراهم النار ولا يس من المصدر

على باعداد آلات الحرب لمقاتلتهم

وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ

عنه بن عامر الله سمع عقبه بن عامر

الان القوة التي الان القوة التي

حل عنه وروى الإمام أحمد وأحمد

الامام مالك بن زيد بن أسد بن

جل أجرو لرجل ستر وعلی رجل

كاهن من نسله وعاد بابائيه الخليقة انتهت وقال ابن الاسيرى الكامل واما المجوس فلا يعرفون الطوفان وكان بعضهم يقر بهو زعم انه كان في اقليم بابل وما قرب منه وان مساكن ولدخيو مرت كانت بالشرق فلم يصل ذلك اليهم وكذلك جميع الامم المشرقية من الهند والفرس والصين لا يعرفون بالطوفان وبعض الفرس يعترف به ويقول لم يكن عاما ولم يمتدعةية حلون والصحيح ان جميع اهل الارض من ولدنوح عليه السلام لقوله تعالى وجعلنا نذريته هم السابقين بجميع الناس من ولد سام وحام ويافت اولاد نوح انتهى وقال المقرئى في الخطوط ان جميع اهل الشرائع اربع اسباع الانبياء من المسلمين واليهود والصارى قد اجمعوا على ان نوحا هو الاب الثانى للبشر وان العقب من آدم عليه السلام انحصر فيه ومنه ذر الله جميع اولاد آدم فليس احد من بنى آدم الا هو من اولاد نوح وخالف القبط والمجوس واهل الهند والصين ذلك فانكروا الطوفان وزعم بعضهم ان الطوفان انما حدث في اقليم بابل وما وراءه من البلاد الغربية فقط وان اولاد كيو مرت الذى هو عندهم الانسان الاول كانوا بالبلاد الشرقية من بابل فلم يصل الطوفان اليهم ولا الى الهند والصين والحق ما عليه اهل الشرائع وان نوحا عليه السلام لما انجاه الله ومن معه بالسفينة نزل بهم وهم تخافون رجلا سوى اولاده فماؤ بعد ذلك ولم يعقبوا وصار العقب من نوح فى اولاده الثلاثة وبو يدهذا قول الله تعالى عن نوح وجعلنا نذريته هم السابقين

السيات ان يسبقوا ساء ما يحكمون أي يظنون وقوله تعالى ولا تحسن الذين كفروا معجز من

وقوله تعالى لا يعربك نعل الدين فهو رافى البلاد متاع قليل ثم ما واهم جهنم وبئس المهاد ثم أمر
حسب بالذلة والالكان

حدثنا هرون بن زبيرة عن جده حدثنا الزهري أن

يقول: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يا أيها الناس، اني قد اتاكم بالهدى والنور.

رواه مسلم عن هرون بن معروف وأبو داود عن سعيد بن فضالة عن ابن عباس عن

ولهذا الحديث طرق أخر عن عقبه بن عامر منها ما رواه الترمذي عن جابر بن عبد الله

السنة عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارمواوا ركسوا وان ترموا اخوكم من اذنك كرمه

أبي صالح السمان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخمر لثلاثة

100

عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في قول الله تعالى وآخرون من دونهم ليعلمونهم قال هم الجن ورواه الطبراني
عن ابراهيم بن الحليم عن أبيه عن محمد بن شعيب عن سنان بن سعيد بن سنان عن يزيد بن عبد الله بن غريب وزاد قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يجبل بيت فيه عتيق من الخيل وهذا الحديث منكر لا يصح اسناده ولا محتواه وقال مقاتل بن حيان وعبد الرحمن بن
زيد بن أسلم هم المنافقون وهذا أشبه الأقوال ويشبهه قوله تعالى وعن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على
النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم وقوله وما تتفقوا من شيء في سبيل الله يوفى اليكم وأنتم لا تقاوتون أي همهم أن تفقه في الجهاد فانه يوفى
اليكم على القيام والكمال ولهذا جاء في الحديث الذي رواه أبو داود ان الدرهم يضاعف ثوابه في سبيل الله الى سماعته ضعف كما تقدم
في قوله تعالى مثل الذين يتفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء
والله واسع عليم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن القاسم بن عطية حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الدمشقي حدثنا أبي عن أبيه
حدثنا الأشعث بن إسحق عن جعفر عن سعد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يأمر ان يصدق الأعلى
أهل الاسلام حتى تزالت وما تتفقوا من شيء في سبيل الله يوفى اليكم (٣٣٣) فاهم بالصدقة بعد ما على كل من سأل

المصلحة مبنية لا تعقيد يعثر الفكري طلب المراد ولا التواء يشمك الطريق على المراد بل
ألفاظها تسابق معانيها ومعانيها تسابق ألفاظها وأما النظر فيها من جانب الفصاحة
اللفظية فالفاظها على ما ترى عربية أصلية مستعملة تجارية على قانون اللغة تسليمه عن
التأخير بعدة عن الشاعرة عذبة على العذبات سلسلة على الاسلات كل منها كالمافي
السلاسة وكان على في الخلافة كالنسيم في الرقة انتهت قلت النظر في هذه الآية من
أربع جهات الاول من جهة علم البيان وهو النظر فيما فيها من المجاز وغيره كما تقدمت
الإشارة اليه والثاني من جهة علم المعاني وهو النظر في فائدة كل كلمة فيها وجهة كل تقديم
وتأخير فيما بين جملها والثالث والرابع من جهة الفصاحة المعنوية واللفظية كما تقدم
وقد ذكرنا في هذه الجهات الأربع التفسير في المدارك ثم قال ومن ثم أطلق المعاندون
على ان طرق الدشر فاصر عن الاتيان بمثل هذه الآية وفيه درشان التزليل لا يتمل العالم
آية من آياته الأدرك لطائف لاتسع الحصر ولا تظن الآية مقصورة على المذكور فعمل
المترولة أكثر من المسطور وانتهى قال القاضي والآفة في غاية الفصاحة لغنما لفظها
وحسن نظامها والدلالة على كنه الحال مع الإيجاز الخالي عن الإخلال قال الخفاجي
هذه الآية حوت من البلاغة أمر أعجب بترقص الرؤس له طربا وما اشتملت عليه من
الفصاحة والمكنات مفصل في شرح المفتاح وقال أبو السعود ولقد بلغت الآية الكريمة

من كل دين وهذا أيضا غريب
(وان جخصوا السلم فاجنح لها فوق كل
على الله انه هو السميع العليم وان
يريدوا أن يخذعوك فان حسبك
الله هو الذي يدلوك بنصره وبال مؤمنين
وألف بين قلوبهم لو أنفقت مافي
الارض جمعها مافي ألف بين قلوبهم
ولكن الله ألفت بينهم انه عز رحيم
يقول تعالى اذا خفت من قوم
خيانة فانبذ اليهم عهدهم على سوا
فان استمر وعلى حر بك ومناذتك
فقال لهم وان جخصوا أي ماوا للسلم
أي المسالمة والمصالحة والمهادنة
فاجنح لها أي اقل إليها واقبل منهم
ذلك ولهذا الما طلب المشركون عام
الحديبية الصلح ووضع الحرب بينهم
وقال عبد الله بن الامام أحمد حدثنا
محمد بن أبي بكر المقدسي حدثنا فضيل بن سليمان يعني القمري حدثنا محمد بن أبي يحيى عن ابي اسام بن عمرو والسلي عن علي بن أبي طالب
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سيكون اختلاف وأمرنا فاستعنت ان يكون السلم فافعل وقال مجاهد
زالت في بين قريظة وفيه نظر لان السباق كله في وقعة بدرود كهما كشف لهذا كله وقال ابن عباس ومجاهد وزيد بن أسلم وعطاء
الخراساني وعكرمة والحسن وقتادة ان هذه الآية منسوبة تخفي السيف في براعة قالوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر
الآية وفيه نظر أيضا لان الآية براعة فيها الامر بقتالهم اذا مكن ذلك فاما اذا كان العدو كشافا فانه يجوز مهادنتهم كما دلت عليه هذه
الآية الكريمة وكما فعل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية فلا منافاة ولا نسخ ولا تخصيص والله أعلم وقوله ونوكل على الله أي
صالحهم ونوكل على الله فان الله كافيت وناصر كل ولو كانوا يرون بالصلح خديعة ليقعوا يستعدوا فان الله حسبك أي كافيت
وحده ثم ذكر نعمته عليه بما آيده به من المؤمنين المهاجرين والانصار فقال هو الذي يدلوك بنصره وبال مؤمنين وألف بين قلوبهم أي
جمعها على الايمان بك وعلى طاعتك ومناصر لك ومواز لك لو أنفقت مافي الارض جمعها مافي ألف بين قلوبهم أي ما لكان بينهم من

العداوة والبغضاء فان الانصار كانت فيهم غروب كثيرة في الجاهلية بين الاوس والخزرج وامور يلزم منها التمسيل في الشر حتى قطع الله ذلك بنور الايمان كما قال تعالى واذا كروا فاعلموا ان الله عليكم اذ كنتم اعداء فان الله بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شناعة من النار فان بعدكم منها كذلك بين الله لكم آياته لعلكم تهتدون وفي الصحاح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خطب الانصار في شأن غنائم حنين قال لهم يا معشر الانصار الم اجد لكم فضلا لا فهدا لكم الله في وعاة فاخاكم الله في وكنتم متفرقين فالفكم الله في كفا قال شيا قالوا الله ورسوله آمن ولهذا قال تعالى ولكن الله آلف بينهم انه عزيز حكيم أي عزير حكيم فلا يجيب رجاءهم في وكل عليه حكمهم في أفعاله وأحكامه وقال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ علي بن بشر الصيرفي القزويني في منزلنا أن أبا عبد الله محمد بن الحسن القنديلي الأسر اباذي حدثنا أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن النعمان الصنار حديثنا جيون بن الحكم حدثنا بكر بن السمرود عن محمد بن مسلم الطائفي عن ابراهيم بن ميسرة عن طاوس عن ابن عباس قال قرابة الرحم تقطع ومنه النعمة تكفروا لم يثل تقارب القلوب يقول الله تعالى لو أنفقتم ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم وذلك مرجوح في الشعر (٣٣٤) اذابت ذوق ربى اليك برلة * فغسل واستغنى فليس بنى رحم

في الشعر

ولكن ذا القربى الذي ان دعوته أجاب وان يرحى العدو الذي ترحى قال ومن ذلك قول القائل ولقد صحبت الناس ثم سهرتهم وبلوت ما وصلوا من الاسباب فاذا القرابة لا تقرب فاطعا واذا المودة أقرب الاسباب قال البيهقي لا أدري هذا موصولا بكلام ابن عباس أو هو من قول من دونه من الرواة وقال أبو اسحق السبيعي عن أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه سمعه يقول لو أنفقتم ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم الآية قال هم المتحابون في الله وفي رواية نزلت في المتحابين في الله ورواه النسائي والحاكم

من حر اتب الاجاز فاصبتا وملكك من غر الزايا ناصبتا وقد تصدى لتفصيل المهرة المتقنون واهمى ان ذلك فوق ما يصفه الواصفون فخرى بنان نوح الكلام في هذا الباب ونقوض الامر الى تأمل أولى الالباب والله عنده علم الكتاب (ونادى نوح ربه) أي دعاه والظاهر ان هذا السند اذ كان قبل سر حاله سؤال في نجاة ابنه ولا معنى للسؤال الا عندا مكان النجاة والمراد انه اوداد دعاه بدليل اقامه في قوله (فقال رب ان ابى من أهلى) وعطف الشيء على نفسه غير سائق فلا بد من التقدير المذكور فانه الرخصى وقيل عطف تفسيره وتفصيل اذ القول المذكور هو عين السند فهو مر بط في المعنى بقوله ونادى نوح ابنه والمعنى انه من الاهل الذين وعدتني بتجديتهم بقوله وأهلك وهو المستثنى منه وترك ما يفيد الاستثناء وهو الامن سبقت عليه القول فيجاب بأنه لم يعلم اذ ذلك انه من سبق عليه القول فانه كان يظنه من المؤمنين (وان وعدك الحق) الصدق الذي لا خلف فيه وهذا منه (وأنت أحكم الحاكمين) أي اتقن المتقين لما يكون به الحكم فلا يتطرق الى حكمك نقض وقيل أراد به أعلمهم وأعدلهم أي أنت أكثر علما وعدلا من ذوى الحكم وقيل ان الحكماء بمعنى ذى الحكمة كدارع ثم أجاب الله سبحانه عن نوح ببيان ان ابنه غير داخل في عموم الاهل وانه خارج بقيد الاستثناء (قال يا نوح انه) يعنى هذا الابن الذي

في مسنده ورواه صحيح وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال ان ابن عباس سألني وان النعمة تكفروا والله اذا قارب بين القلوب لم يرححها شي ثم قرأوا أنفقتم ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ورواه الحاكم أيضا وقال أبو عمرو والوا زاعي حديثي عبدة بن أبي ليابة عن مجاهد ولفظه وأخذ بيدي فقال اذا التقي المتحابان في الله فأخذ أحدهما بيد صاحبه وضحك اليه تحتات خطبا باعما كالتحتات ورق الشجر قال عبدة فقلت له ان هذا اليسر فقال لا تغفل ذلك فان الله يقول لو أنفقتم ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم قال عبدة فعرفت انه أقسمه مني قال ابن جرير حدثنا أبو بكر بن حدثان بن بيان عن ابراهيم الجزري عن الوليد بن أبي مغش عن مجاهد قال اذا التقي المسلمان قصصا فحافرا غلرهما قال قلت لمجاهد عاصفة تغفر لهما قال روى طلحة بن مصرف عن مجاهد وقال ابن عون عن عمير بن اسحق قال لا تكلمت ان أول ما يرفع من الناس الالفة وقال الحافظ أبو القاسم سليمان بن اجد الطبراني رحمه الله حدثنا الحسين بن اسحق التستري حدثنا عبد الله بن عمر القواريري حدثنا سالم بن غلخان سمعت جعدا أبا عثمان حدثنا أبو عثمان النهدي عن سلمان الفارسي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المسلم اذا لقي أخاه

المسلم فاخذ سد تخمات عنهم ما ذنوبهم كما يفتح الورق عن الشجرة اليابسة في يوم ريح عاصف والاعقر لهم ما ولو كانت ذنوبهم
 مثل زبد البحر (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك عن المؤمنين يا أيها النبي حرص المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون
 صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا يا أيهم قوم لا يفقهون الا ان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم
 ضعفا فان يكن منكم مائة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين) يحرض تعالى نبيه
 صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على القتال ومنابر الأعداء ومبارزة الأقران وتجربهم انه حسبهم أي كائينهم وناصرهم ومؤيدهم على
 عدوهم وان كثرت أعدادهم وتردفت أعدادهم ولو قل عدد المؤمنين قال ابن أبي حاتم حدثنا أجد بن عثمان بن حكيم حدثنا عبيد
 الله بن موسى أن أبا سفيان عن ابن شاذب عن الشعبي في قوله يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك عن المؤمنين قال حسبك الله
 وحسب من شهد معك قال وروى عن عطاء الخراساني وعبد الرحمن بن زيد مثله ولهذا قال يا أيها النبي حرص المؤمنين على القتال
 أي حثهم وذمهم عليه ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرض على القتال عند صفهم ومواجهة العدو كما قال لا يحيا به
 يوم بدر حين أقبل المشركون في عددهم وعددهم وقوموا (٣٢٥) الى الجنة عرضها السموات والارض فقال

سألتني نجاته (ليس من أهلك) الذين آمنوا بك وتابوا بك ومن أهل دينك وان كان من
 أهلها باعتبار القرابة قال عكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وأكثرا المفسرين انه ابن نوح
 من صلبه وهو الصحيح وعن ابن عباس قال ما بعت امرأة نبي قطوان الله نص عليه بقوله
 ونادى نوح ابنيه ونوح أيضا نص عليه بقوله يا بني ولا يجوز صرف الكلام عن الحقيقة الى
 الجازم من غير ضرورة وقيل المعنى انه ليس من الذين وعدت ان أنجيهم معك وانما
 خالف هذا الظاهر من خافقه لانه استبعد ان يكون ولد نبي كافرا وهذا خطأ ممن قاله لان
 الله يخرج الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر ولا فرق في ذلك بين الانبياء وغيرهم فان
 الله سبحانه قد أخرج قاييل من صلب آدم وهو نبي وكان كافرا وأخرج ابراهيم
 وهو نبي من صلب آزر وكان كافرا فكذلك أخرج كنعان من صلب نوح وهو كافر فهو
 المتصرف في خلقه كيف شاء لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ثم صرح بالعادة الموجبة
 لخروجه من عموم الادل المبينة له بان المراد بالقرابة القرابة الدين لا القرابة النسب وحده
 فقال (انه عمل غير صالح) قرأ الجهمور على لفظ المصدر وقرئ على لفظ الفعل ومعنى
 الاولى المبالغة في ذمه كأنه جعل نفس العمل وأصله ذوم عمل غير صالح كذا قال أبو اسحق
 الزجاجي وأبو علي الفارسي وابن الانباري والواحدى وبعبارة الصاوي ان الضمير عائذ الى
 الولد يقال في الاخبار عنه بعمل ما قبل في زيد عدل وهو الراجح انتهى ومعنى الثانية

عمر بن الحنبل عرضها السموات
 والارض فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم نعم فقال يخبر فقال
 ما يحملك على قولك يخبر قال رجاء
 ان أكون من أهلها قال فانك من
 أهلها فتقدم الرجل فيكسر جفن
 سيقه وأخر غرات فجعل يأكل
 منهن ثم التى بقيتين من يده وقال
 لئن أنا حييت حتى آكلهن لانه الحياة
 طويلة ثم تقدم فقاتل حتى قتل
 رضى الله عنه وقدرى عن سعيد
 ابن المسيب وسعيد بن جبير ان هذه
 الآية نزلت حين أسلم عمر بن الخطاب
 وكل به الاربعةون وفي هذا نظر لان
 هذه الآية بمدينة واسلام عمر كان
 بمكة بعد الهجرة الى أرض الحبشة

وقبل الهجرة الى المدينة والله أعلم ثم قال تعالى مبشر للمؤمنين وآخر ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن
 منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا كل واحد بعشرة ثم نسخ هذا الامر وبقيت البشارة قال عبد الله بن المبارك حدثنا سير
 ابن خازم حدثني الزبير بن الخريت عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين شق ذلك
 على المسلمين حين فرض الله عليهم ان لا يفر واحد من عشرة ثم جاء التخفيف فقال الا ان خفف الله عنكم الى قوله يغلبوا مائتين قال
 خفف الله عنهم من العدو ونقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم وروى البخاري من حديث المبارك نحوه وقال سعيد بن منصور
 حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن ابن عباس في هذه الآية قال كتب عليهم ان لا يفر عشرون من مائتين ثم خفف الله عنهم فقال
 الا ان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فلا ينبغي لمائة ان يفر وامن مائتين وروى البخاري عن علي بن عبد الله عن سفيان به
 نحوه قال محمد بن اسحق حدثني ابن أبي شيبة عن عطاء عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية ثقل على المسلمين وأعظموا ان يقاتل
 عشرون مائتين ومائة الا تخفف الله عنهم فسخها بالآية الاخرى فقال الا ان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا الآية
 فكانوا اذا كانوا على الشطر من عدوهم لم ينسحب لهم ان يفر وامن عدوهم واذا كانوا دون ذلك لم يجب عليهم قتالهم وجاز لهم
 ان ينجسوا وامنهم وروى علي بن أبي طلحة والوفى عن ابن عباس نحو ذلك قال ابن أبي حاتم وروى عن مجاهد وعطاء وعكرمة

والحسن وزيد بن أسلم وعطاء الخراساني والضحاک وغيرهم نحو ذلك وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه عن حديث المسيب بن شريك عن ابن عوف عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما في قوله ان يكن منكم عشرة من صابر وت يغلبوا ما تسين قال نزلت فينا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وروى الحافظ في مستدرکهم حديث ابن عمرو بن العلاء عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ آلان خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فرفع ثم قال صحيح الاسناد ولم يخبرنا به (ما كلن لي ان يكون له امسى حتى يغتن في الارض تر يدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسقم فيما أخذتم عذاب عظيم فكلوا وامنوا عظم جلالا طيبوا واثقوا الله ان الله يعفور رجيح) قال الامام أحمد حديث شاعلي بن عاصم عن حميد عن أنس رضي الله عنه قال استشار النبي صلى الله عليه وسلم الناس في الاسارى يوم بدر فقال ان الله قد أمكنكم منهم فقام عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله اضرب أعناقهم فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم ثم عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اضرب أعناقهم فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم ثم عاد النبي صلى الله عليه وسلم فقام عمر فقال يا رسول الله اضرب أعناقهم فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم ثم عاد النبي صلى الله عليه وسلم فقال للناس مثل ذلك فقام (٢٣٦) أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال يا رسول الله نرى أن تغفو

عنهم وأن تقبل منهم الغداء قال فذهب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان فيه من الغم فعفا عنهم وقبل منهم الغداء قال واثرل الله عز وجل لولا كتاب من الله سبق لمسقم فيما أخذتم عذاب عظيم وقد سبق في أول السورة حديث ابن عباس وفي صحيح مسلم بنحو ذلك وقال الاعشى عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله قال لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقولون في هؤلاء الاسارى فقال أبو بكر يا رسول الله قومك وأهلك استبقهم واستبتهم لعل الله ان يتوب عليهم وقال عمر يا رسول الله كذولوا وأخرجوه فقد همهم

ظاهر أى انه عمل غير صالح وهو كفره وعدم متابعتة لايه قاله أبو علي قال الصاوي أشار السبوطي الى ان الضمير في أنه عائد الى نوح علي حذف مضاف والمعنى قال الله له يا نوح ان سؤالك عمل غير مقبول انتهى وبؤيده ما قال ابن عباس يقول مسألك اباي يا نوح عمل غير صالح لا أرضاه لك ثم نهاه عن مثل هذا السؤال فقال (فلا تسألن ما ليس لك به علم) أى ما لا تعلم أصواب هو فتسأل عنه أم ليس كذلك فتتركه وهو وإن كان نبيا عالما بحيث يشمل كل سؤال لا يعلم صاحبه ان حصوله مطلوب به منه صواب فهو يدخل تحته سؤاله هذا دخولا وأوليا وفيه عدم جواز الدعاء بما لا يعلم الانسان مطابقتها للشرع وسعى دعاه سؤالاً لالتفتنه معنى السؤال باعتبار استبحاره في شأن ولده (انى أعظك) من (ان تكون من الجاهلين) أى أحذرك وأنهاك ان تكون جاهلا فتسأل مثل ما يسألون كقوله يعظكم الله ان تعودوا لمثله أبداً وسعى سؤال الجاهل لان حب الولد شغله عن تذکر استثناء من سبق عليه القول منهم بالاهلاك قاله الكرخي وقيل المعنى أرفعك ان تكون منهم قال ابن العربي وهذا زيادة من الله وهو عظم ترفع بها نوحا عن مقام الجاهلين ويعليه بها الى مقام العلماء العاملين ثم لما علم نوح بان سؤاله لم يطابق الواقع وان دعاه ناشئ عن وهمهم كان يتوهم بادر الى الاعتراض بالخطا وطلب المغفرة والرجعة (وقال رب انى أعوذ بك) أى الجاهليك واعتذر من (ان أسألك ما ليس لي به علم) أى أطلب منك

فأضرب أعناقهم وقال عبد الله بن رواحة يا رسول الله انت في واد كبير الخطب فأضرم الوادي نارا ثم ألقهم فيه قال فذكرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيئا ثم قام فدخل فقال ناس تأخذ بقول أبي بكر وقال ناس تأخذ بقول عمر وقال ناس تأخذ بقول عبد الله بن رواحة ثم خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون آيين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الخجارة وان مثلاً يا أبا بكر كمثل ابراهيم عليه السلام قال فبنى معننى فانه منى ومن عصانى فأنك غفور رحيم وان مثلاً يا أبا بكر كمثل عيسى عليه السلام قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فأنك أنت العزيز الحكيم وان مثلاً يا عمر كمثل موسى عليه السلام قال ربنا اطمس على أمو الهيم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى ير والاعذاب الاليم وان مثلاً يا عمر كمثل نوح عليه السلام قال رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً انهم عائلة فلا يتسكن أحد منهم الا بعداً وأضر به عتقى قال ابن مسعود قلت يا رسول الله الاسهيل بن يسفاء فانه يذكر الاسلام فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرأى نبي في يوم أخوف من ان تقع على تجارة من السماء منى في ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسهيل ابن يسفاء فانزل الله عز وجل ما كان لبي أن يكون له أميرى الى آخر الآية رواه الامام أحمد والترمذي من حديث أبي معاوية

عن الأعمش بهوالخاكم في مستدركو قال صحيح الاسناد ولم يخبرناه وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه عن عبد الله بن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه وفي الباب عن أبي أيوب الأنصاري وروى ابن مردويه أيضا واللفظ له والحاكم في مستدركه من حديث عبد الله بن موسى حديثا سريلا عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم لما أسرى الأسارى يوم بدر أسرى العباس فيمن أسرى رجل من الأنصار قال وقد أودته الأنصار أن يقتلوه فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال نعم فأتى عمر الأنصار فقال لهم أرسوا العباس فقالوا لا والله لا نرسله فقال لهم عرفان كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم رضى قالوا فان كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم رضى فخذوه عرفا فصار في يده قال له العباس أسلم فوالله لئن تسلم أحب إلى من أن يسلم الخطاب وما ذاك إلا ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجه أسلا م قال واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر ففرهم فقال أبو بكر عشرين ألفا سلهم فاستشار عمر فقال اقتلهم ففاداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله ما كان لنبي أن يكون له أسرى الآية قال الخاكم صحيح الاسناد ولم يخبرناه وقال سفيان الثوري (٢٢٧) عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين

منك بعد ذلك ما لعلم لي بعصته وجوازه (والا تغفروني) ذنب ما دعوت به على غير علم حتى وجهي واقد ادى عليه (وترجى) برحمتك التي وسعت كل شيء فتقبل توبتي (أ كن من الخاسرين) في أعمالي فلا أريح فيها وليس في الآية ما يقتضى صدور ذنب ومعصية من نوح سوى تأويله واقدامه على سؤال ما لم يؤذن له فيه وهذا ليس بذنب ولا معصية وقال الخطيب أخطأ في ذلك الاجتهاد كما وقع لا دم في الأكل من الشجرة فلم يصد منه الأهذه الزلة (قيل يا نوح) القائل هو الله أو الملائكة (اهبط) أى انزل من السفينة إلى الأرض أو من الجبل إلى المنخفض منها فادبع الأرض ماء ما وجفت (بسلام منا) أى بسلامة وأمن وقيل بحية وعظمة كما قال سلام على نوح في العالمين وذلك ان الفرق لما كان عاما في جميع الأرض فعند ما خرج من السفينة علم انه ليس في الأرض شيء يتفجع به من النبات والحيوان فكان كالخائف في انه كيف يعيش وكيف يدفع جهات الحاجات عن نفسه من الماء كقول والمثروب فلما قال الله ذلك زال عنه الخوف لان السلامة لا تكون الا مع الأمن وسعة الرزق ثم أرفده الله تعالى بالبركة بقوله (وبركات) أى خيرات نامية ونعم ثابتة باقية دائمة في نسلك وما يقوم به معاشك ومعاشهم من أنواع الارزاق والبركة مشقوق من برك الجبل وهو ثوبته ومنه البركة لتسبوت الماء فيها (عليك) وفي هذا الخطاب دليل على قبول توبته ومغفرته فزله وخلاصه من الخسران واعلام وبشارته من الله تعالى

(٤٣ - فتح البان ح) ومنهم من روى هذا الحديث عن عبيدة بن مسعود عن سفيان قال علم وقال ابن اسحق عن ابن أبي نجيح عن عطاء بن ابن عباس ما كان لنبي أن يكون له أسرى فقرأ حتى بلغ عذاب عظيم قال غنم بدر قبل أن يحلها لهم يقولوا لا في لأعذب من عصاني حتى أتقدم اليه مسلما فيأخذتم عذاب عظيم وكذا روى ابن أبي نجيح عن مجاهد وقال الأعمش سبق منه أن لا يعذب أحداهم بدرا وروى نحوه عن سعد بن أبي وقاص وسعد بن جبير وعطاء وقال الشعبي عن أبي هاشم عن مجاهد لولا كتاب من الله سبق أى لهم بالمغفرة ونحوه عن سفيان الثوري رحمه الله وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله لولا كتاب من الله سبق يعنى في أم الكتاب الاول ان المغنم والأسارى حلال لكم مسلما فيأخذتم من الأسارى عذاب عظيم قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا الآية وكذا روى العوفي عن ابن عباس وروى مثله عن أبي هريرة وابن مسعود وسعد بن جبير وعطاء والحسن البصري وقتادة والأعشى أيضا ان المراد لولا كتاب من الله سبق لهذه الأمة باحلال الغنم وهو اختصار ان جرير رحمه الله ويستشهد لهذا القول بما أخرجه في الصحيحين عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت جسما لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وأحللت لي الغنم ولم تحل لأحد قبلى وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه وما يبعث إلى الناس عامة وقال الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله

عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحل الغنائم لسود الروم غير ناول هذا قال تعالى فكلوا مما غنم حلالا طيبا الآية
 فعند ذلك أخذوا من الاسارى القدا و قد روى الامام أبو داود في سننه حدثنا عبد الرحمن بن المبارك العيسى حدثنا سفيان بن حبيب
 حدثنا شعبة عن أبي العنيس عن أبي الشعثاء عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل قداء أهل الجاهلية يوم بدر أربعمائة
 وقد استأجر الحكم في الاسرى عند جمهور العلماء ان الامام يخير فيهم ان شاء قتل كما فعل بين قريظة وان شاء فادى بمال كما فعل في بأسرى
 بدر وأربع أسرى من المسلمين كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الجارية وابنتها اللتين كانتا في سبي سلمة بن الأكوع حيث ردهما
 وأخضعهما بمائة من المسلمين الذين كانوا عند المشركين وان شاء استرق من أسرى هذا مذهب الامام الشافعي وطائفة من العلماء
 وفي المسئلة خلاف آخر بين الأئمة مقرر في موضع من كتب الفقه (باب في التي قل لمن في أيديكم من الاسرى ان يعلم الله في قلوبكم
 خيرا اوتوكم حيرا عما أخذتمكم ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا خيانتك فتد خانوا الله من قبل فامكن منهم والله عليم
 حكيم) قال محمد بن اسحق حدثني العباس بن عبد الله بن مغفل عن بعض أهله عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهم ما أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر اني قد عرفت (٢٣٨) ان أناسا من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرها لأحاجة لهم بقنا لثان في

منكم أحد امهم أى من بني هاشم
 فلا يقتله ومن لى أبا الهيثم بن
 هشام فلا يقتله ومن لى العباس بن
 عبد المطلب فلا يقتله فانه اتما
 أخرجه مستكره فقال أبو حذيفة
 ابن عتبة أن قتل آباءنا وأولادنا
 وأخوانا وعشائرنا وترك العباس
 والله لئن لقته لأجتنسه بالسيف
 فبلغت رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فقال لعمر بن الخطاب يا أبا
 حفص قال عمر والله انه لأول يوم
 كلفني فيه رسول الله صلى الله عليه
 وسلم أنا حفص أن يضرب وجه عم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بالسيف فقال عمر يا رسول الله ائذن
 لي فأضرب عنقه فقال الله لقد ناقق
 فكان أبو حذيفة يقول بعد ذلك
 بنفيضان أنواع الخيرات عليه في كل ما يأتي وما يذر (وعلى أم) ناشئة وهم المشعبون (عن
 معك) أى من ذرية من كان معك في السفينة وهي الامم الى آخر الدهر ومن الذين كانوا
 معه في السفينة لم يعقب أحد منهم الا أولاد نوح الثلاثة فأنحصر النوع الانساني بعد
 نوح في ذرية واحدة وذلك يقال انه آدم الصغير وقد كان بينه وبين آدم ألف سنة وثمانية أجياد
 فالمراد من هذه الآية تقسيم ذرية أولاد نوح الى فريقين ثم من وفريق كافر لا تقسيم من
 كان معه في السفينة اذ كانوا كلهم مؤمنين قال أبو السعود ويجوز ان تكون من
 بيانية أى وعلى أمهم الذين معك وانما هو أعمالهم أمهم تحزبه وجاعات متفرقة
 أو لان جميع الامم انما تشعبت منهم حينئذ يكون المراد بالام المشار اليهم في قوله (وأم)
 ستمتعهم) بعض الامم المتتبعة منهم وهي الامم الكافرة المتعاسلة منهم الى يوم القيامة
 ويقتضى أمر الامم المؤمنة الناشئة منهم بهم ما غير معرض له ولا مدلول عليه ومع ذلك ففي
 دلالة المذكور على خبره المحذوف وخفاءه لان من المذكور بيانية والمحذوف تعبيضية
 أو ابتدائية فتأمل اه قيل أراد الله سبحانه بهذا الامم الذين كانوا معه من صاموئيل
 من ذرية نوح وأراد بقوله وأمهم ستمتعهم من صاموئيل من ذرية نوح الى يوم القيامة والقدير
 ومنهم أمهم أو يكون أمهم والمعنى ستمتعهم في الدنيا بما فيها من المتاع وتطعيمهم مما يعيشون
 به (ثم يحسمهم من) في الآخرة وفي الدنيا (عذاب أليم) وعن الضحاك قال وعلى أمهم من

منكم أحد امهم أى من بني هاشم
 فلا يقتله ومن لى أبا الهيثم بن
 هشام فلا يقتله ومن لى العباس بن
 عبد المطلب فلا يقتله فانه اتما
 أخرجه مستكره فقال أبو حذيفة
 ابن عتبة أن قتل آباءنا وأولادنا
 وأخوانا وعشائرنا وترك العباس
 والله لئن لقته لأجتنسه بالسيف
 فبلغت رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فقال لعمر بن الخطاب يا أبا
 حفص قال عمر والله انه لأول يوم
 كلفني فيه رسول الله صلى الله عليه
 وسلم أنا حفص أن يضرب وجه عم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بالسيف فقال عمر يا رسول الله ائذن
 لي فأضرب عنقه فقال الله لقد ناقق
 فكان أبو حذيفة يقول بعد ذلك

والله ما آمن من تلك الكذبة التي قلت ولا زال منها خائفا الآن يكفرها الله تعالى عني
 بشهادته فقتل يوم اليمامة شهيد ارضى الله عنه وبه عن ابن عباس قال لما أسي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر والاسارى
 محبوسون بالوفاء يا رسول الله على الله عليه وسلم ساهرا أول الليل فقال له أجبني يا رسول الله مالك لانتم وقد أسر العباس رجل
 من الانصارى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعت أني عنى العباس في وثاقه فأطلقوه فسكت فنام رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال ابن اسحق وكان أكثر الاسارى يوم بدر قداء العباس وذلك انه كان رجلا موسرا فافتنى نفسه بمائة أوقية ذهبوا في جميع
 البخارى من حديث موسى بن عقبة قال ابن شهاب حدثنا أنس بن مالك أن رجلا من الانصار قالوا يا رسول الله ائذن لنا فلتترك لابن
 أختنا عباس قداء قال لا والله لا ندرون منه رده و قال يونس بن بكير عن محمد بن اسحق عن يزيد بن رومان عن عروة عن الزهري
 عن جماعة سماهم قالوا بعثت قريش في قداء أسرىهم ففدى كل قوم أسرىهم عارضا وقال العباس يا رسول الله قد كنت مسلما فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم باسلامك فان يكن كما تقول فان الله يجزيك وأما ظاهرك فقد كان علينا فافتنى نفسك و اخی أخيك
 نوفل بن الحر بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب وحليفك عتبة بن عمرو وأخی بنى الحر بن فهر قال ما ذاك عندي

يارسول الله قال فإني المال الذي دفعته أنت وأم الفضل فقلت لها إن أصبت في سئري هذا فهذا المال الذي دفعته إني الفضل وعبد الله وقته قال والله يارسول الله إني لأعلم أنك رسول الله أن هذا الشيء مما علمه أحد غيري وغير أم الفضل فأحسب لي يارسول الله ما أصبته مني عشرين أو قية من مال كان معي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ذل شيء أعطانا الله تعالى من ذنبي فغنى نفسه وإني أخويه وخليفه فأمر الله عز وجل فيه يأبى الذي قل أن في أيديكم من الأسرى أن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله عز وجل قال العباس فأعطاني الله مائة من العشرين في الأوقية في الإسلام عشرين عبدا كلهم في يده مال يضرب به مع ما أرجو من مغفرة الله عز وجل وقد روي ابن اسحق أيضا عن ابن أبي شيحة عن عطاء عن ابن عباس في هذه الآية بنحو ما تقدم وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا ابن إدريس عن ابن أبي شيحة عن مجاهد عن ابن عباس قال قال العباس في ثلاث ما كان لي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم بأسأله أن يحاسبني بالعشرين في الأوقية التي أخذت مني فأبى لي الله بها عشرين عبدا كلهم تاجر مالي في يده وقال ابن اسحق أيضا حدثني الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس عن جابر بن عبد الله بن رباب قال كان العباس بن عبد المطلب يقول في ثلاث (٢٣٩) والله حين ذكرت رسول الله صلى الله عليه وسلم

معك يعني من لم يولد أو جب الله لهم البركات لما سبق لهم في علم الله من السعادة وأتم سقمهم يعني متاع الحياة الدنيا لما سبق لهم في علم الله من الشقاوة قال محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام والبركات كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة ودخل في ذلك العذاب الأليم كل كافرو كافرة إلى يوم القيامة وعن ابن زيد هبطوا والله راض عنهم ثم أخرج منهم نسلا منهم من رحم الله ومنهم من عذب وقيل المراد بالأم المصيبة قوم هود وصالح ولوط وشعيب وبالغدا ما نزل بهم وإلى هنا انتهت قصة نوح عليه السلام (ثلاث) أي قصة نوح وهو مبتدأ (من أنباء الغيب) خبره أي من جنسها والآباء جمع نباوهو الخبر أي أخبار الغيب التي مرت بك في هذه السورة (نوحيا) أي القصة (الذي) خبر ثان وأجى بالمضارع لاستحضار الصورة (ما كنت) يا محمد تعلمها أنت تفصيلا خبر ثالث والا كانت مشهورة عند كل القرون لكن أجمالا (ولا) يعلمها (قومك) يعني العرب بل هي مجهولة عندكم وقد ذكرهم تنبيهه على أنه لم يعلمه اذ لم يخاطب غيرهم وانهم مع كثرتهم لم يسمعوه فكيف يواحد منهم (من قبل هذا) أي الوحي أو القرآن أو من قبل هذا الوقت (فأصبر) على ما نالهم من كفا زمانك كما صبر نوح على أذى قوم موافا لتفريق ما بهداه على ما قبلها (ان العاقبة) المحودة في الدنيا والآخرة (للمتقين) لله المؤمنين بما جاءت به رسوله وفي هذا نسبية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

ضعف وقال ويغفر لكم وأرجو أن يكون قد غفر لي وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية كان العباس أسير يوم بدر فأنقذ نفسه بأربعين أو قية من ذهب فقال العباس حين قرئت هذه الآية لقد أعطاني الله عز وجل خصلتين ما أحب أني بهما الدنيا أسرت يوم بدر فندبت نفسي بأربعين أو قية فأتاني أربعين عبدا واني لأرجو المغفرة التي وعدنا الله عز وجل وقال قتادة في تفسير هذه الآية ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم عليه مال البحر بن ثمانون ألفا وقد توضع الصلاة الظهر فأنطى يومئذ ساكنا ولا حرم ساكنا وما صلى يومئذ حتى فرقه فأمر العباس أن يأخذ منه ويحتسب فكان العباس يقول هذا خير مما أخذ منا وأرجو المغفرة وقال يعقوب بن سفيان حدثنا عمرو بن عاصم حدثنا سلمة بن المغيرة عن حميد بن هلال قال بعث بن الحضرى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من البحر بن ثمانين ألفا ما أتاه مال أكثر منه لا قبل ولا بعد قال فبثرت على حصير وودى بالصلاة قال وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل قائما على المال وجاء أهل المسجد فكان يومئذ عدد ولا وزن ما كان الا قبضنا وإياه العباس ابن عبد المطلب خنثى خمسة عليه وذهب يقوم فاستطاع قال فرجع رأسه إلى الرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ارفع على قال فبثس رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى خرج ضاحكا أو نابه وقال له أعدم من المال طائفة وقيم بها نطيق قال ففعل

اسلامي ثم ذكره الحديث كالذي قبله وقال ابن جرير عطاء الخراساني عن ابن عباس يأبى الذي قل أن في أيديكم من الأسرى عباس وأصحابه قال قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم أنتما بما جئت به ونشهد أنك رسول الله لنخسب لك على قومنا فأمر الله أن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم إيماننا ونصدقا يخلف لكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم الشر الذي كنتم عليه قال فكان العباس يقول ما أحب أن هذه الآية لم تنزل فينا وان لي الدنيا لقد قال يؤتكم خيرا مما أخذ منكم فقد أعطانى خيرا مما أخذتني مائة

وجعل الهام يقول وهو منطابق أما إحدى اللتين وعدنا الله فقد انقضت وما ندرى ما يصنع في الأخرى أيها النبي قل لمن في أيديكم
 من الأسرى الآية ثم قال هذا خير مما أخذتم وما أتدري ما يصنع الله في الأخرى فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم مما لا على ذلك
 المثل حتى ما بقي منه درهم ومابعت إلى أهله بدرهم ثم أتى الصلاة ف صلى (حدث آخر) في ذلك قال الحافظ أبو بكر البيهقي أنبأنا أبو
 عبد الله الحافظ أخبرني أبو الطيب محمد بن محمد بن عبد الله السعري حدثنا محمد بن عمامة حدثنا حص بن عبد الله حدثنا إبراهيم بن
 طهمان عن عبد العزيز بن مذهب عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من البحر من انثروا في منجدي
 قال وكان أكثر مال أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إلى الصلاة ولم يلبث في اليوم فاقضى الصلاة فجلس إليه فما كان يرى
 أحدا إلا أعطاه إذ جاءه العباس فقال يا رسول الله أعطني فأدبت نفسي وفاديت عقلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ
 خنثى فو به ثم ذهب يقوله فلم يستطع فقتل مريضهم برفعه إلى قال لا قال فارفعه أنت على قال لا فترمته ثم احتل على كاشه ثم انطلق
 فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبعه بصرة حتى خفي عنه فجاء من حرمه فما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من ادركهم
 وقد رواه البخاري في مواضع من صحيحه تعليقا (٣٤٠) بصيغة الجزم يقول وقال إبراهيم بن طهمان وسوقه وفي بعض السياقات

وتنبه له بأن الظفر للمتيقن في عاقبة الأمر ولا اعتبار بما ديه (و) أرسلنا إلى عاد أخاهم
 هودا) أي واحد منهم في النسب لافي الدين وهو د عطف بيان وقوم عاد كانوا عبيدة
 أوثان وقد تقدم مثل هذا في الاعراف وقيل هم عادان الأولى والأخرى فهو لا هم عاد
 الأولى من ذرية سام بن نوح وعاد الأخرى هم شداد ولقمان وقومهما المذكورون في قوله
 ارم ذات العماد أوصل عاد اسم رجل ثم صار اسم القبيلة كتميم وبكر ونحوهما وبين هود
 ونوح عتباته تسعة وعاش أربع مائة تسعة وأربعين سنة (قال يا قوم اعبدوا الله)
 وحدود ولا تشركوا معه شيئا في العبادة (مالكم من الغيرة) في معنى العبد لما قبله قرئ غيرة
 بالجر على اللفظ وبالرفع على محلي من الله وبالنصب على الاستثناء (ان أنتم) أي ما أنتم
 يا قوم لا أسألكم عليه أجرا) أي لا أطلب منكم أجرا على الذي أبلغكمم وأنصركم
 من الإرشاد إلى عبادة الله وحده وأنه لا اله الا الله سواء فالضمير راجع إلى مضمون هذا
 الكلام وخاطب بهذا كل نبي قومه ازاحة لماعسى أن يتوهموا وبالحضاضة الصحيحة فأنها
 مادامت مشوبة بالمطامع فهي بعزل عن التأثير وقد تقدم معنى هذا في قصة نوح وقال
 هنا أجروها هناك ما لا تقفنا أولئك الخرائن بعده هناك ولفظ المال بها اليق (ان أجري الا
 على الذي فطرني) أي ما أجري الذي أطلب الامن خلقني فهو الذي يثبتني على ذلك (أفلا

أنتم من هذا وقوله وان يريدوا خيانتا
 فقد خاؤا الله من قبل أي وان
 يريدوا خيانتا فكيف أظهرهم والاك
 من الأقوال فقد خاؤا الله من قبل
 أي من قبل بدر بالكفر به فكأن
 منهم أي بالأسارى يوم يدرؤا الله عليهم
 حكيم أي عليهم بما يفعله حكيم فيه قال
 قتادة نزلت في عبد الله بن سعد بن
 أبي سرح الكاتب حين ارتد ولحق
 بالمشركين وقال ابن جريج مع عطاء
 الخراساني عن ابن عباس نزلت
 في عباس وأصحابه حين قالوا
 لنسجن لك على قومنا وفسرها
 السدي على العموم وهو أشمل
 وأظهر والله أعلم (ان الذين آمنوا
 وهاجروا واجاهدوا بأموالهم

وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا
 وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا
 ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم ينسلكم وينسلكم الله بماتع ما لو
 بصير) ذكر تعالى أصناف المؤمنين وقسمهم إلى مهاجرين خرجوا من ديارهم وأموالهم وجاءوا لنصرة الله ورسوله وأقامته
 وبذلوا أموالهم وأنفسهم في ذلك وإلى انصاروهم المسلمون من أهل المدينة اذ ذاك أو الأخوان المهاجرين في منازلهم وواسوهم
 في أموالهم ونصروا الله ورسوله بالقتال معهم فهو لا بعضهم أولياء بعض أي كل منهم أحق بالآخر من كل أحد ولهذا أثنى رسول
 الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار كل اثنين اخوان فكانوا يتوارفون بذلك اثم اقدم ما على القرابة حتى نسخ الله تعالى
 ذلك بالمواريث ثبت ذلك في صحيح البخاري عن ابن عباس ورواه العوفي وعلى بن أبي طلحة عنه وقاله بجاهد وعكرمة والحن وقادة
 وغير واحد قال الامام أحمد حدثنا وكيع عن شريك عن عاصم عن ابي رائل عن جابر بن عبد الله الجلي رضي الله عنه قال
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون والانصار بعضهم أولياء بعض والطلاق من قريش والعنقاء من ثقيف بعضهم أولياء
 بعض إلى يوم القيامة ثم رديا أجدو قال الحافظ أبو يعلى حدثنا سفيان حدثنا عكرمة يعني ابن ابراهيم الأزدي حدثنا عاصم عن ثقيف
 عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المهاجرون والانصار والطلاق من قريش والعنقاء من ثقيف بعضهم

أولاً وبعض في الدنيا والآخرة هكذا وأبى حسنة عبد الله بن مسعود وقد أثنى الله ورسوله على المهاجرين والأنصار في غير ما آتت في كتابه فقالوا السابِقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين أتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار الآية وقال لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين أتبعوه في ساعة العسرة الآية وقال تعالى للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً نشرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون والذين تبوءوا الدار والأمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة الآية وأحسن ما قيل في قوله ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا أي لا يجدون في صدورهم حاجة مما أعطاهم الله على هجرتهم فإن ظاهر الآية تأكيد تقديم المهاجرين على الأنصار وهذا أمر يجمع عليه بين العلماء لا يختلفون في ذلك ولهذا قال الإمام أبو بكر بن عمرو ابن عبد الخالق البرازي في مسنده حدثنا محمد بن معمر حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا جابر بن سالم عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن حذيفة قال خبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الهجرة والنصرة فاخترت الهجرة ثم قال لا تعرفه إلا من هذا الوجه وقوله تعالى والذين آمنوا ولم يهاجروا وأمالكم من شيء حتى يهاجروا (٣٤١) هذا هو الصنف الثالث من المؤمنين وهم الذين آمنوا

تعالى (ان أكرم الناس حين انما هم من رب العالمين ثم أرشدكم الى الاستغفار والتوبة فقال (و يا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه) أي اطلبوا مغفرة تملأ قلبكم من ذنوبكم بفعل الطاعة ثم توسلوا اليه بالتوبة وقد تقدم زيادة بيان لمثل هذا في قصة نوح ثم غيهم في الايمان بالخير العاجل فقال (يرسل السماء عليكم مدرارا) أي كثير الدروا رأى السيلان والزول والتتابع والسماء المطر يقال درن السماء تدرفهى مدرار ولم يفته لان المراد بالسماء الموشة السحاب أو المطر كما تقدم فذكر على المعنى أو ان معالاة السماء الغيرة فسوى فيه المذكور والمؤث أو ان الهاء محذوف من مفعول على طريق النسب قاله مكي وكان قوم هود أهل بساتين وزروع وعمارة وكان ما كنهم الرمال التي بين الشام واليمن عن الضحالك قال أسسك الله انظر عن عاد ثلاث سنين فأجذبت بلادهم وقطبت بسبب كفرهم فقال لهم هود استغفروا الالة فباوا الاعتاديا (وزيدكم قوة الى قوتكم) أي شدة مضافة الى شدة تكلم أو خصصا الى خصبكم أو عزز الى عزكم قال الزجاج قوة في النعم وقال بكرمة القوة الى القوة ولدا ولد وقيل كانت قد عمت نسأوهم ثلاثين سنة ثم قلدوقيل قوة في الدين الى قوة الابدان (ولاتتولوا بحجرمين) أي لاتعرضوا عملا أدعوكم اليه وتوقموا على الكفر مصرين عليه والابرار الاما كما تقدم ثم أجابه قومهم ابدل على فرط جهالهم وعظيم غباوتهم (فالوا يا هود ما جئتنا ببينة) أي بحجة واضحة تعمل عليها ونؤمن من البهاغر

قروا الذين كفروا بعضهم أولياء بعض الاتفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير ثم قال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخبر به قلت الحديث في الصحاحين من رواية أسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم وفي المسند والسنن من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يورث أهل ملتين شتى وقال الترمذي حسن صحيح وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا محمد بن معمر عن الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ شئ على رجل دخل في الاسلام فقبل تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحت البيت وتصوم رمضان وإنك لا ترى نار يدركك الا وأنت لم حرب وهذا امر سل من هذا الوجه وقد روي متصلا من وجه آخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إنما أنا باري من كل مسلمين ظهر إلى المشركين ثم قال لا يترأى نارها وقال أبو داود في آخر كتاب الجهاد حدثنا محمد بن داود بن سفيان أخبرني يحيى بن حبان أن أبا سليمان بن موسى أبو داود حدثنا جعفر بن سعد بن حمزة عن حمزة بن جندب ما بعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جامع المشرك وسكن معه فانه مثله وقال الخافض أبو بكر بن مردويه عن حديث حاتم بن اسمعيل عن عبد الله بن هريرة عن محمد بن سعد بن أبي عبيد عن أبي حاتم المزني قال قال رسول الله (ص ٤٤) صلى الله عليه وسلم إذا أناكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير قالوا

يا رسول الله وإن كان (١)
قال إذا أناكم من ترضون دينه
وخلقه فأنكحوه ثلاث مرات
وأخرجه أبو داود والترمذي من
حديث حاتم بن سليمان بن بخره
ثم روي من حديث عبد الجبدين
سليمان عن ابن جحان عن ابن أبي
وثبة الضمري عن أبي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم إذا أناكم من
ترضون خلقه ودينه فزوجه
الاتفعلوه تكن فتنة في الارض
وفساد عريض ومعنى قوله
الاتفعلوه تكن فتنة في الارض
وفساد كبير أي ان لم يجانبوا المشركين

معتزتين بجامعهم به صحيح الله وبرأيه عناه وبعد اعن الحق والبالا للتعدي أو
للصاحبة (وما نحن بشاركي ألهمنا) التي نعبدها من دون الله (عن قولك) أي لاجله
أوتر كاصدار عنه فمن على الاول للتعليق كما أشار إليه ابن عطية ولكن اختار الثاني ولم
يذكر الزمخشري غيره (وما نحن لك بمؤمنين) أي بمصدقين في شئ مما جئت به (ان تقول الا
اعتزلة) يقال عزم الامر واعتزله إذا لم به أي ما تقول الا أنه أصابك (بعض ألهمنا) التي
نعبدنا وتفسرها رأينا في عبادتها (بسر) يجنون حتى نشأ عنه ما تقولوا ولا تذكروا علينا
من التغير عنها والاستغناء مفرغ كما قال الزمخشري فاجابهم عما يدل على عدم مبالاة
بهم وعلى وثوقه بربه وتوكله عليه وانهم لا يقدرون على شئ مما يريد به الكفار بل الله
سبحانه هو الضار النافع (قال أني أشهد الله) على نفسي (وأشهدوا) أنتم أيضا عليها
(أنى يرى مما تشركون) به (من دونه) أي من اشراككم من دون الله من غير أن ينزل
به سلطانا (فكذبوني جميعا) أنتم وألهمنا ان كانت كل تزعمون من أنها سادة على
الارض اربى وانها اعترفتي بوء (ثم لا تظنون) أي لا تملكون في بل عاجلوني واصنعوا
مابد الكفر واحملوا في هلاكى وفي هذا من اظهار عدم المبالاة بهم وبأصنامهم التي
يعبدونها ما يصلح سماعهم ويوضح عجزهم وعدم قدرتهم على شئ وهذا من تعجزاته
الباهرة (انى توكلت على الله ربى وربكم) فهو يعصم من كيدكم وان بالغتم في تطلب

ووالا المؤمنين والادقت فتنة في الناس وهو الناس الامر وخطا المؤمنين بالكافرين فيقع
بين الناس فساد متشعر عرض طويل (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين أووا ونصروا أولئك هم المؤمنون
حقا لهم مغفرة ورزق كريم) والذين آمنوا بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض
في كتاب الله ان الله بكل شئ عليم) لما ذكر تعالى حكم المؤمنين في الدنيا عطفه بك ما لهم في الآخرة وأخبر عنهم بمحبة الاعمى كما
تقدم في أول السورة وأنه سبحانه يجازيهم بالمغفرة والصفح عن الذنوب ان كانت وبالرزق الكريم وهو الحسن الكثير الطيب
الشريف دائم مستمرا أبدا لا ينقطع ولا ينقض ولا يأسم ولا يبل حسنة وتنوعه ثم ذكر ان الاتباع لهم في الدنيا على ما كانوا عليه من
الايمان والعمل الصالح فهم معهم في الآخرة لقوله والسابقون الاولون الآية وقال والذين جاؤا من بعدهم الآية وفي الحديث
المتفق عليه بل المتواتر من طرق صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال المرء مع من أحب وفي الحديث الآخر من أحب
قومافهم منهم وفي رواية حشر معهم وقال الامام أحمد حدثنا وكيع عن شريك عن عاصم عن أبي وائل عن جرير قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم المهاجرون والانصار أولياء بعضهم لبعض والطلقة من قريش والعقاة من ثقيف بعضهم (١) يبايض بالاصل

أولياء بعض الى يوم القيامة قال شريك قد شئنا الا عشم عن عشم بن سلمة عن عبد الرحمن بن هلال عن جرير عن النبي صلى الله عليه وسلم من له نقر قد به أحد من هذين الوجهين وأما قوله تعالى وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله أى في حكم الله وليس المراد بقوله وأولوا الارحام خصوصية ما يطلقه علماء الزناض على القرابة الذين لا فرض لهم ولا عصبية بل يدلون بوارث كالخاللة والخال والعمة وأولاد البنات وأولاد الاخوات ونحوهم كما يرجمه بعضهم ويحتاج بالآية ويعتقد ذلك صريحاً في المسئلة بل الحق ان الآية عامة تشمل جميع القرابات كما نص عليه ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن وقادة وغير واحد على انها ناسخة للآيات بالخلف والاخاء الذين كانوا تورثون به وأولاً وعلى هذا اقتضت ذوى الارحام بالاسم الخاص ومن لم يورثهم بمحتاج بأدلة من أقوالها حديث ان الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث قالوا فلو كان ذا حق لكان ذا فرض في كتاب اللهسمى فلما لم يكن كذلك لم يكن وارثاً والله أعلم آخر تفسير سورة الانفال ولله الحمد والمنة وعليه السكّان وهو حسبنا ونعم الوكيل

﴿تفسير سورة التوبة مدينة﴾ (براهمة بن الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسجوا في الارض أربعة أشهر وعلموا انكم غير معجزى الله وان الله يخزي الكافرين) هذه السورة الكريمة (٣٤٣) من أو اخر ما رتل على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما

قال البخاري حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة عن ابي اسحق قال سمعت البراء يقول آخر آية تزلت يستقنون قل الله يتسكّم في الكلالة وآخر سورة تزلت براءة وانما لم يسجل في أولها لان الصحابة لم يكتبوا السجدة في أولها في المصحف الامام بل اقتدوا في ذلك بما يرى المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه كما قال الترمذي حدثنا محمد بن بشر حدثنا يحيى بن سعيد ومحمد بن أبي جعفر وابن أبي عدي وسهيل بن يوسف قالوا حدثنا عوف بن أبي جميلة أخبرني بن زيد القاسمي أخبرني ابن عباس قال قلت لعثمان بن عفان ما جعلكم ان عدمتم الى الانفال وهي من المثاني

وجوه الاضرابي كل مبلغ فنقول على الله كفاه ثم لما بين لهم توكل على الله وثقته بحفظهم وكلامه بوصفه بما يوجب التوكل عليه والتفويض اليه من استقال ربوبيته عليه وعليهم وأنه مالاً للجميع فقال (ما من دابة) تدب على الارض (الا هو أخذ بناصيتها) أى ان ناصية كل دابة من دواب الارض بيد وفي قبضته وتحت قهره وأنت من جله الدابة فلا تؤثر في شيئا وهو تمثيل لغاية التجبر ونهاية التذليل وكانوا اذا أسروا الاسير وأرادوا اطلاقه والمضى عليه جزوا ناصيته فجعلوا ذلك علامة لقهره قال القرامعي أخذ بناصيتها مالكمها والقادر عليها وقال القيني فاهر هالان من أخذت بناصيته فقد قهرته والناسية قصاص الشعر من مقدم الرأس ويسمى الشعر النابت أيضا ناصية تاسم محلهم على ما تقدم بقوله (ان ربي على صراط مستقيم) أى هو على الحق والعدل فلا يكاد يضلهم على وقيل ان دين ربي هو الصراط وقيل ان ربي يجعلكم على صراط وقيل ان ربي يدل على صراط والاول أولى (فان قولوا) أى تسعروا على الاعراض عن الاجابة والتصميم على ما أنتم عليه من الكفر فلا تألوا على مؤاخذه في شأنكم (فتنتوا) بالفتك ما أرسلت به الحكيم وليس على الا ذلك وقد رتبكم الجنة (ويستخفون ربي قوماً غيركم) جملة من أنتهتكم ربي بالوعيد بالهلاك أى يستخفون دياركم وأموالكم قوماً آخرين (ولا تضرروني شيئاً) بتوكلكم ولا تقدررون على كثير من الضرر ولا حقير (ان

الى براهمة بن الله وقرنته بنهما ولم يكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن ووضعتوها في السبع الطوال ما جعلكم على ذلك فقال عثمان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يأتى عليه الزمان وهو يقتل عليه السور ذوات العدد فكان اذا نزل عليه الشئ دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الانفال من أول ما نزل بالمدينة وكانت براهمة من آخر ما نزل من القرآن وكانت قصتها شبيهة بقصتها وخشيت انها من قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا انها من قبل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن ووضعتوها في السبع الطوال وكذا رواه الامام أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه من طرق أخر عن عوف الاعرابي وقال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه وأول هذه السورة الكريمة نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة تبوك وهم بالحج ثم ذكر ان المشركين يحضرون عامهم هذا الموعود على عادتهم في ذلك وانهم يطوفون بالبيت عراة فذكره مخالطهم وبعث أبا بكر الصديق رضي الله عنه أميراً على الحج تلك السنة ليقم للناس مناسكهم ويعلم المشركين أن لا يحجوا بعد عامهم هذا وان ينادى بالناس براهمة من الله ورسوله فلما قتل أسعد بن أبي طالب ليكون مبلغاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكونه عصبته كما ساقى بيانه قوله تعالى براهمة من الله ورسوله

أى حده برأه أى تبرى من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيجوفى الارض أربعة أشهر اختلاف المفسرون ههنا
 اختلافاً كثيراً فقالوا هؤلاء هذه الآية تدل على اليهود المطلقة غير المؤقتة وأما من له عهد دون أربعة أشهر فيكمل له أربعة أشهر فأما من
 كان له عهد مؤقت فأجله الى مدته منهما كان لقوله تعالى فأقوا اليهم عهدهم الى مدتهم الآية ولم يأتى فى الحديث ومن كان بينه
 وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعهد الى مدته وهذا أحسن الأقوال وأقواها وقد اختاره ابن جرير رحمه الله وروى عن
 البكاءي ومحمد بن كعب القرظي وغير واحد وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله برأه من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من
 المشركين فسيجوفى الارض أربعة أشهر الآية قال حدثنا الله للذين عاهدوا رسوله أربعة أشهر يرحلون فى الارض حيث شاؤوا
 وأجل أجل من ليس له عهد انصلاح الأشهر الحرم من يوم النحر الى صلح الحمر فذلك تحسونه ليله فأمر الله نبيه اذا انسحل الحرم أن يضع
 السيف أين لم يكن بينه وبينه عهد يقتلهم حتى يدخلوا فى الاسلام وأمر من كان له عهد اذا انسحل أربعة أشهر من يوم النحر الى
 عشر خلون من ربيع الآخر أن يضع (٣٤٤) فيه السيف ايضا حتى يدخلوا فى الاسلام وقال أبو عبيد الله بن جندب

رمى على كل شئ حفظ أى رقبته من عليه يحفظه من كل شئ قبل وعلى معنى الام
 فيكون المعنى لكل شئ تحفظ فهو يحفظنى من ان تتألمونى بسوء (ولما جاء أمرنا) أى
 عذابنا الدنوى الذى هو اهلاك عاد بالريح (نحيها هوذا الذين آمنوا معي) من قومه
 من هذا العذاب وكأول أربعة آلاف (برحمة) عظيمة كاشنة (منا) لانه لا ينجو أحد من
 العذاب اذا نزل البرحمة الله وقيل هى الامان (ونحيهاهم من عذاب غليظ) أى شديد
 فى الآخرة وقيل هو العموم التى كانت تدخل أنوفهم فى الدنيا والى ههنا تمت القصة (وتلك
 عاد) أنت الاشارة اعتبارا بالقصة قال الكسائى ان من العرب من لا يصرف عاد ويحمله
 اسم القسيلة وقيل اشارة الى آثارهم كقبورهم ومدائنهم (سجدوا بابايت رهم) أى
 كفروا بها وكذبوها وأكسروا المعجزات (وعصوا) أى رؤسوا وهم وسفطتهم (رسلا) أى
 هودا وحده لانه لم يكن فى عصره رسول سواه وانما جاع هذا التعظيم لأن من كذب رسولا
 فقد كذب جميع الرسل وقيل انهم عصوا هودا ومن كان قبله من الرسل أو كانوا يحب
 لوبعت الله اليهم رسلا متعددين لكذبهم (وأتبعوا أمر كل جبار عنيد) اخبار المتكبر
 والعنيد الطاغى الذى لا يقبل الحق ولا يدعه له ويقاوم فى الظلم قال أبو عبيد الله العنيد
 والعدو والعداؤ المعاند هو المعارض بخلاف مته ومنه قيل للعرق الذى يتغير بالتم عاند
 وعن قتادة قال عنيدهم شرك وقال السدى العنيد المتأق (وأتبعوا) أى جميعهم

محمد بن كعب القرظي وغيره
 قالوا بعث رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أبابكر أميرا على الموسم
 ستة تسع وبعث على بن أبى طالب
 بثلاثين آية وأربعين آية من برأه
 فقراها على الناس يؤجل المشركين
 أربعة أشهر يرحلون فى الارض
 فقراها عليهم يوم عرفة أجلهم
 عشر من ذى الحجة والحرم وصفر
 وشهر ربيع الاول وعشر من ربيع
 الآخر وقراها عليهم فى منازلتهم
 وقال لا يحجب بعد ما هذا مشرك
 ولا بطون بالبيت عريان وقال ابن
 أبى نجيب عن مجاهد براءة من الله
 ورسوله الى أهل العهد خراعة
 ومدخل ومن كان له عهد وأمرهم

فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك حين فرغ فأراد رسول الله
 صلى الله عليه وسلم الحج ثم قال انما يحضر المشركون فيطوفون عرفة فلا أحب ان أخرج حتى لا يكون ذلك فأرسل أبابكر
 وعليه رضى الله عنه ما فطافا بالناس فى ذى الحجاز وأما كتبهم التى كانوا يتبايعون بها بالمواثيق كلها فأتوا أصحاب العهدين
 يؤمنوا وأربعة أشهر وهى الأشهر المتواليات عشرون من ذى الحجة الى عشر يخلون من ربيع الآخر ثم لا عهد لهم وأذن الناس
 كلهم بالقتال الا ان يؤمنوا وهكذا روى عن السدى وقتادة وقال الزهري كان استاء التأجيل من شوال وآخرة صلح الحمر وهذا
 القول قريب وكفى بما سبون بعد لم يلغهم حكمها وان ظهر لهم أمرها يوم النحر حين نادى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وسلم بذلك ولهذا قال تعالى (وأذن من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله بربى من المشركين ورسوله فان تبتم فهو خير
 لكم وان توليتم فاعلموا انكم غير محجزي والله وبشر الذين كفروا بعذاب آليم) يقول تعالى واعلم من الله ورسوله وتقدم وتذرا الى
 الناس يوم الحج الاكبر وهو يوم النحر الذى هو افضل ايام المناسك وأظهرها وأكبرها جميعا ان الله بربى من المشركين ورسوله
 أى بربى منهم ايضا ثم دعاهم الى التوبة البسه فقال فان تبتم أى مما أنتم فيه من الشرك والضلال فهو خير لكم وان توليتم أى

استمرتم على ما كنتم عليه فاعلموا انكم غير محزى بالله بل هو قادر عليكم وانتم في قبضته وتحت قهره ومشيئته وبشر الذين كفروا
بعذاب آليم اى الى الدنيا بالخزي والنكال وفى الآخرة بالمقامع والاعلال قال البخارى رحمه الله حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا اللث
حدثني عقیل عن ابن شهاب قال أخبرني جید بن عبد الرحمن ان أباه ربه قال بعثني أبو بكر رضى الله عنه في تلك الحجة في المؤذنين
بعينهم يوم النحر يؤذنون بحى أن لا يخرج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان قال جید ثم أوردني النبي صلى الله عليه وسلم على بن
أبي طالب فأمره ان يؤذن براءة قال أبو هريرة فأذن معنا على في أهل منى يوم النحر براءة وأن لا يخرج بعد العام مشرك ولا يطوف
بالبيت عريان ورواه البخارى أيضا حدثنا أبو اليان أخيه ناسه عيب عن الزهري أخبرني جید بن عبد الرحمن ان أباه ربه قال
بعثني أبو بكر في يوم النحر معي لا يخرج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ويوم الحج الاكبر يوم النحر وانما قيل
الاكبر من أجل قول الناس الحج الاصغر فنبذ أبو بكر الى الناس في ذلك العام فخرج جميع عام حجة الوداع الذي حج فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم مشرك هذا اللفظ البخارى في كتاب الجهاد وقال عبد الرزاق عن معمر بن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة
رضي الله عنه في قوله براءة من الله ورسوله قال لما كان النبي صلى (٢٤٥) الله عليه وسلم من حنين اعتمر من الجعرانة ثم

أو السفلة والرؤساء (في هذه الدنيا لعنة) أى اخقوها على لسان الانبياء والعنة هي
الانعدام من الرحمة والطرد من الخير والمعنى انها لازمة لهم لا تفارقهم ماداموا في الدنيا
(و) اتبعوها (يوم القيامة) فلعنوا هنالك كالعنوا في الدنيا قال السدي لم يبعث نبي بعد عاد
اللعنة على اسائهم وقال قتادة متابعت عليهم لعنة من الله لعنة في الدنيا ولعنة في الآخرة
(الآن عاد اكفروا برهم) قال القراء أى سمعتم بهم يقال كفرت وكفرت به مثل
شكرته وشكرته (الآن عاد اكفروا برهم) أى لا زالوا بعد من من رحمة الله والبعد
الهلاك والتباعد عن الخير يقال بعدى بعدى بعدى اذا تأخر وتبعه بعدى بعدى بعدى اذا
هلك والمبالغة في التخصيص والتكرير بعبارة مختلفة تدل على قهوه التاكيد ونهاية
التحقيق وقد تقدم ان العرب تستعمله في الدعاء بالهلاك (و) أرسلنا (الى ثودا) حاهم
صالحا وهم سكان الحفرة وهم هود عاد الاوى وقوم صالح عاد الثانية كما قال الخليل في سورة
النجم وقرأ الحسن عمود بالتون في جميع المواضع واختلف سائر القراء فيه فصر فوه في
موضع ولم يصر فوه في موضع فالصرف باعتبار التأويل بالحق والمنع بالتبليغ وهكذا سائر
ما يصح فيه التأويلان وبين صالح وهود مائة سنة وعاش صالح مائة سنة وعاش هود مائة سنة
وما كان بين الشام والمدينة وتقدم في الاعراف بسط قصتهم وقصة الناقبة كثر مما هنا
والكلام فيه وفى قوله (قال باقوم اعبدوا الله ما لكم من الغيرة) كما تقدم في قصة هود

أمر أبابكر على تلك الحجة قال معمر
قال الزهري وكان أبو هريرة يحدث
ان أبابكر أمر أباه ربه ان يؤذن
براءة في حجة أبى بكر قال أبو هريرة
ثم اتبعنا النبي صلى الله عليه وسلم
عليه وأمره ان يؤذن براءة وأبو بكر
على الموسم كاهوا وقال هيثم وهذا
الساق فيه غرابة من جهة ان أمير
الحج كان سنة عرة الجعرانة انما هو
عتاب بن أسيد فاما أبو بكر انما كان
أمرا سنة تسع وقال الامام أحمد
حدث محمد بن جعفر حدثنا شعبة
عن معمر عن الشعبي عن محرز بن
أبي هريرة عن أبيه قال كنت مع
علي بن أبي طالب حين بعثه رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى أهل مكة

(٤٤ فتح البيان رابع) براءة فقال ما كنتم تتادون قال كنا تادى انه لا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة ولا يطوف بالبيت عريان
ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فأت أجله أو مدته الى أربعة أشهر فاذا مضت الاربعة الأشهر فان الله يرى من
المشركين ورسوله ولا يخرج هذا البيت بعد عامنا هذا مشرك قال فكنت أنا دى حتى جعل صوتي وقال الشعبي حدثني محرز
ابن أبي هريرة عن أبيه قال كنت مع علي بن أبي طالب رضى الله عنه حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم بنا دى فكان اذا جعل
ناديت فقلت بأى شئ كنتم تتادون قال بأربع لا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فعهده
الى مدته ولا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة ولا يخرج بعد عامنا هذا مشرك رواه ابن جرير عن غير وجهه عن الشعبي ورواه شعبة عن
معمر عن الشعبي به الا انه قال ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعهده الى أربعة أشهر وذكروا تمام الحديث قال
ابن جرير وأخشى أن يكون وهما من بعض نقله لان الاخبار متضادة في الأجل بخلافه وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد

عن سالم بن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه ببراءة مع أبي بكر فلما بلغ ذا الحليفة قال لا يلحقها إلا أنا أو رجل من أهل بيتي فبعثهم جميعا على بن أبي طالب رضي الله عنه ورواه الترمذي في التفسير عن بشير عن عثمان وعبد الصمد كلاهما عن حماد بن حماد بن سلمة ثم قال حسن غريب من حديث أنس رضي الله عنه وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل حديثا صحيحين سليمان حدثنا لوين حدثنا محمد بن جابر عن سالم بن أنس عن علي رضي الله عنه قال لما نزلت عشر آيات من براءة علي النبي صلى الله عليه وسلم دعا النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر فبعثه بهم إلى القراء على أهل مكة ثم دعاني فقال أدرك أبا بكر فخشيما لحقتهم صلى الله عليه وسلم فاذهب إلى أهل مكة فقرأ عليهم فلحقته بالحقيقة فأخذت الكتاب منه ورجع أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فخذ الكتاب منه فاذهب إلى أهل مكة فقرأ عليهم فلحقته بالحقيقة فأخذت الكتاب منه ورجع أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله نزل في شيء فقال لا ولكن جبريل جاءني فقال إن يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك هذا السناد فيه ضعف وليس المراد أن أبا بكر رضي الله عنه يرجع من ثور بل بعد قضاءه للمناسك التي أمره عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاءه ميثاق الرواة الأخرى وقال عبد الله أيضا حدثني أبو بكر حدثنا عمرو بن حماد عن أسباط بن نصر عن سالم بن أنس عن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعثه (٣٤٦) براءة قال يا بني الله اني لست بالأسن ولا بالخطيب قال ما بد لي ان اذهب ما أنا

أوتدب بها أنت قال فان كان
لا بد فادب اذ قال انطلق فان الله
ثبت لسانك وهدى قلبك قال ثم
وضع يده على فيه وقال الامام أحمد
حدثنا سفيان عن أبي اسحق عن
زيد بن يسبح رجل من همدان
سأله عليا بأى شيء بعثت يعنى يوم
بعثه النبي صلى الله عليه وسلم مع أبى
بكر فى الجنة قال بعثت بأربع
لا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة ولا
يطوف بالبيت عريان ومن كان
بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم
عهد فعهده الى مده ولا يبيع
المشركون بعد عامهم هذا ورواه
الترمذى عن قلابة عن سفيان بن
عصنة وقال حسن صحيح كذا قال

ورواه شعبه عن أبي اسحق فقال عن زيد عن أشهل وهم فيه ورواه الثوري عن أبي اسحق عن بعض
أصحابه عن علي رضي الله عنه وقال ابن جرير حدثنا بن وكيع حدثنا اسامة عن زكريا عن أبي اسحق عن زيد بن شبيب عن علي قال
بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزلت براءة بأربع ان لا يطوف بالبيت عريان ولا يقرب المسجد الحرام مشرك بعد عامهم
هذا ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته ولا يدخل الجنة الا بنفس مؤمنة ثم رواه ابن جرير عن محمد
ابن عبد الاعلى عن ابن ثور عن معمر عن أبي اسحق عن الحرث عن علي قال أمرت بأربع فذكره وقال اسرايل عن أبي اسحق عن
زيد بن شبيب قال نزلت براءة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبابكر ثم أرسل عليا فاخذها فلما رجع أبو بكر قال نزل في شيء قال
لا وأكن أمرت ان أبلغها أنا ورجل من أهل بيتي فأنطلق الى أهل مكة فقام فبم بأربع لا يدخل مكة مشرك بعد عامه هذا ولا
يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا بنفس مسلمة ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعده الى مدته
وقال محمد بن اسحق عن حكيم بن حكيم بن عباد بن خنيفة عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي قال لما نزلت براءة على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد كان بعث أبابكر ليقبم الحج للناس فقبل يا رسول الله لو بعثت الى أبي بكر فقال لا يؤدى عنى الارجل من

أهل بيتي ثم دعا علياً فقال اذهب بهذا^١
 يخرج بعد العام بمشرك ولا يطوف بالبيت عر^٢
 كان له عهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو له إلى مده فخرج على رضى
 الله عنه على ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم العضا حتى ادرك أبا بكر في الطريق فلما رآه أبو بكر قال أميراً وموراً فقال بل مأمور
 ثم مضى فأقام أبو بكر للناس الحج اذ الشئ في تلك السنة على منازلهم من الحج التي كانوا عليهم في الجاهلية حتى اذا كان يوم النحر قام على
 ابن أبي طالب فأذن في الناس بالذي أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس انه لا يدخل الجنة كافر ولا يخرج بعد العام
 مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو إلى مده فخرج بعد ذلك العام مشرك ولم
 يطف بالبيت عريان ثم قدم ما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان هذان من أمة من كان من أهل الشرك من أهل العهد العام
 وأهل المدة إلى الأجل المسمى وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال أخبرنا أبو زرعة وعبد الله بن راشد أن خبرنا حذوة
 ابن شريح أخبرنا ابن خنجر أن سمع أبا معاوية الجيلي من أهل الكوفة يقول سمعت أبا الصهباء البكري وهو يقول سألت علياً عن
 يوم الحج الأكبر فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا (٣٤٧) بكر بن أبي خافة يقيم للناس الحج وبعث معه

لاستحضار الصورة (والشأن في شك مما تدعوننا إليه من عبادة الله (مرتب) موقع في الرية
 من أن نؤمن أن ربه اذا فعلت به فعلا يوجب له الرية وهي قلق النفس واستقاء الطمأنينة
 أو من أرباب الرجل اذا كان ذرية فالأسماء مجازي للمباينة كجدده والظاهر انه على
 الاول مجازي أيضاً والمعنى انما هو في عبادة الله وحده وترك عبادة الاوثان والتسوين
 فيه وفي شك للتعظيم (قال يا قوم أرايتم) قال ابن عطية هي من روية القلب والشرط
 الذي بعده وجوابه يسد مسد فعولين لا رأيتم قال الشيخ والذي تقرر ان رأيت من
 معنى أخبرني وعلى تقدير أن لا يضمن فجعله الشرط والجواب لا تسمع مدفعي علمت
 (ان كنت على بيئة من ربي) أي حجة ظاهرة وبرهان صحيح (وأتاني منه) أي من جهته
 (رحمة) أي بقوة وهذه الامور وان كانت متحدة الوقوع لكن ما صدرت بكلمة الشك اعتبارا
 بحال المخاطبين لانهم في شك من ذلك كما وصفوه عن أنفسهم وعبارة الشهاب انه من باب
 ارغاء العنان (فن ينصرفي من الله) استنهمام معناه التي أي لا ناصر يمتنع من عذاب
 الله والنصر مستعده له في لازم معناها وهو المنع ولذا عدي عن (ان عصيته) في تبليغ الرسالة
 وراقتكم وفترت عما يجب على من البلاغ (فانريدوني) بتبسطكم اباي (غير تخشع)
 بان تجع لوني خاسر ابا بطل عملي وما تخشعني الله والتعرض لعقوبة الله لي قال الفراء أي
 تضليل والبعاد من الخير وقيل المعنى فانه يدوني باحتجاجكم بدين آباءكم غير بصيرة

على الله عليه وسلم قال كل في ذلك وقال عبد الرزاق أبيض عن ابن جرير عن عطاء قال يوم الحج الأكبر يوم عرفة وقال عمرو بن الوليد
 الشئ حدثنا شهاب بن عباد البصري عن أبيه قال سمعت عمر بن الخطاب يقول هذا يوم عرفة هذا يوم الحج الأكبر فلا يوضع
 أحد قال فبعث بعد أبي فأتيت المدينة فسألت عن أفضل أهلها فقالوا سعد بن المسيب فأتته فقلت اني سألت عن أفضل أهل
 المدينة فقالوا سعد بن المسيب فأخبرني عن يوم عرفة فقال أخبرك عن هو أفضل مني مائة ضعف عمرو بن عمر كان ينهى عن
 صومه ويقول هو يوم الحج الأكبر رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وهكذا روى عن ابن عباس وعبد الله بن الزبير ومجاهد وعكرمة
 وطاوس انهم قالوا يوم عرفة يوم الحج الأكبر وقد ورد فيه حديث مرسل رواه ابن جرير أخبرني عن محمد بن قيس عن ابن
 مخزومة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب يوم عرفة فقال هذا يوم الحج الأكبر وروى من وجه آخر عن ابن جرير عن محمد
 ابن قيس عن المسور بن مخرمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه خطبهم بعرفات فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان هذا يوم
 الحج الأكبر والقول الثاني انه يوم النحر قال هشيم عن اسمعيل بن أبي خالد عن الشعبي عن علي رضي الله عنه قال يوم الحج الأكبر
 يوم النحر وقال أبو اسحق السبيعي عن الحارث الاعور ألت علياً رضي الله عنه عن يوم الحج الأكبر فقال هو يوم النحر وقال شعبه عن

الحكم سمعت يحيى بن الجزار يحدث عن علي بن رضى الله عنه انه خرج يوم التجر على بغلة يضامر يد الجبابرة فاجتمع رجل فاشد الجبابر
 دابته فساله عن يوم الحج الاكبر فقال عويونك هذا دخل سبيلها وقال عبد الرزاق عن سفيان عن شعبة عن عبد الملك بن عبد الله بن عمر بن
 عبد الله بن أبي أوفى انه قال يوم الحج الاكبر يوم التجر وروى شعبة وغيره عن عبد الملك بن عبد الله بن عمر بن شعبة وغيره عن
 الشيباني عن عبد الله بن أبي أوفى وقال الاعمش عن عبد الله بن سنان قال خطبنا المغيرة بن شعبة يوم الاضحية على بعير فقال هذا يوم
 الاضحية وهذا يوم النحر وهذا يوم الحج الاكبر وقال جلد بن سلمة عن سماعة عن عكرمة عن ابن عباس انه قال الحج الاكبر يوم
 النحر وكذا روى عن أبي حنيفة وسعيد بن جبير وعبد الله بن شداد بن الهاد ونافع بن جبر بن مطعم والشعبي وابراهيم النخعي وشاهد
 وعكرمة وأبي جعفر الباقر والزهري وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم انهم قالوا يوم الحج الاكبر هو يوم التجر واختاره ابن جرير وقد تقدم
 الحديث عن أبي هريرة في صحيح البخاري ان أبا بكر بعثهم يوم التجر يؤذنون بمعنى وقد ورد في ذلك أحاديث أخر كما قال الامام أبو
 جعفر بن جرير حدثني سهل بن محمد الحسباني حدثنا ابو جابر الحري حدثنا هشام بن الغازي الجرشي عن نافع عن ابن عمر قال وقف
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر ٣٤٨ عند الجران في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وهكذا رواه ابن أبي

بجسارتكم وقال مجاهد وعطاء الخراساني ما تزدادون أنتم الا خسارا (ويا قوم هذه ناقة
 الله لكم آية) أي معجزة ظاهرة وقد مر تفسير هذه الآية في الاعراف وانما قال هذه
 ناقة الله لأنه لا شيء اهلها من جبل على حسب اقتراحهم وقيل من صخرة صماء والاضافة
 للتشريف كبيت الله وعبد الله (فذروها) أي فدعوها (تاكل كل ارض الله) بما فيها
 من المراعى التي تأكلها الحيوانات وليس عليكم كلفة في وقتها وهذا من تمام التزامهم قال
 الكرخي أي تركعياتهم وتشرب ماءها فهو من قبيل الاكفانة نحو تقيكم الحتر وجعل
 تأكل من عوم الجزار يحتاج الى قرينة صرافة (ولا تمسوا خباياها) قال القراء بعقر
 والنظار ان النهى عما هو أهم من ذلك (فياخذكم) ان قتلوها (عذاب قريب) في الدنيا
 جواب النهى أي قريب من عقرها وذلك ثلاثة أيام (فمقروها) أي فلم يقتلوا الامر من
 صالح ولا النهى بل خالفوا كل ذلك فوقع منهم العقر لها وعقرها قد اقدار وهو من أشق
 الاشياء (فقال) لهم صالح (تمتقوا في داركم) أي بالعيش في منازلكم أو بلادكم
 ومساكنكم فان العقاب نازل عليكم وعبر عن الحياة بالتمتع لان الحي يكون متمتعاً
 بالحواس (ثلاثة أيام) ثم هل يكون قبل عقروها يوم الاربعاء فاقاموا الخميس والجمعة
 والسبت وأنهم العذاب يوم الاحد (ذلك) أي اتفق ثلاثة أيام (وعد غير مكذب) فيه
 خفف الجار اتساعاً أو من باب الجاز كان الوعد اذا وقي به صدق ولم يكذب ويجوز ان

حاتم وابن مردويه من حديث أبي
 جابر واسمه محمد بن عبد الملك به
 ورواه ابن مردويه أيضاً من حديث
 الوليد بن مسلم عن هشام بن الغازي
 به ثم رواه من حديث سعيد بن عبد
 العزيز عن نافع به وقال شعبة عن
 عروة بن مرقا الهمداني عن رجل
 من أصحاب النبي صلى الله عليه
 وسلم قال قام فينا رسول الله صلى
 الله عليه وسلم على ناقة جراء
 مخضمة فقال أترون أي يومكم
 هذا قالوا يوم النحر قال صدقتم يوم
 الحج الاكبر وقال ابن جرير حدثنا
 أحمد بن المقدام حدثنا يزيد بن زريع
 حدثنا ابن عون عن محمد بن سيرين
 عن عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه

قال لما كان ذلك اليوم فقد رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعيره وأخذ الناس بخطامه أو زمامه فقال
 أي يوم هذا قال فسكتنا حتى ظننا انه سيجيء سوى اسمه فقال أليس هذا يوم الحج الاكبر وهذا السناد صحيح واصله يخرج في الصحيح
 وقال ابو الاحوص عن شيبان عن عروة عن سليمان بن عمرو بن الاحوص عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة
 الوداع عقلاً أي يوم هذا فقالوا اليوم الحج الاكبر وعن سعيد بن المسيب انه قال يوم الحج الاكبر اليوم الثاني من يوم النحر ورواه ابن
 أبي حاتم وقال مجاهد أيضاً في يوم الحج الاكبر أيام الحج كلها وكذا قال أبو عبيد قال سفيان يوم الحج الاكبر كما يقال يوم الجبل ويوم
 صفيان أي أيامه كلها وقال سهل السراج سئل الحسن البصري عن يوم الحج الاكبر فقال ما لكم والحج الاكبر ذلك العام حج فيه أبو بكر
 الذي استخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج باناس ورواه ابن أبي حاتم وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبو اسامة عن ابن
 عون سألت مجاهد يعني ابن سيرين عن يوم الحج الاكبر فقال كان يوماً وافق فيه حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وحج أهل الير (الا الذين
 عاهدتم من المشركين ثم لم يلقه ولم يسألوا لم يظهر واعليكم أحد فاقاموا اليوم عهدهم الى مدهم ان الله يحب المتقين) هذا الاستثناء من
 ضرب مدة التأجيل بأربعة أشهر لمن له عهد مطلق ليس بمؤقت فاجله أربعة أشهر يسبح في الارض يذهب فيها ليجو بنفسه حيث

شاء الامن له عهد مؤقت فأجله الى مدته المضروبة التي عوده علم او قد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عليه وسلم فعهده الى مدته وذلك بشرط ان لا ينقض المعاهد عهده ولم يظاهر
 الخ. وفي الحديث وعهده الى مدته بشرط ان لا ينقض المعاهد عهده ولم يظاهر

الذي يوفي له بيمينته وعهده الى مدته ولهذا ارضى تعالى على الوفاء بذلك فقال ان الله يحب المتكفين في الموقفين بعددهم **فَقَدْ اَنْسَلَمَ**

الأسهر الحرم فاقبلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم من كل طرف صفاً نازلاً وأقاموا الصلاة وأءاتوا الزكاة وأقاموا الصلوة وأقاموا الصلاة وأقاموا الصلاة

الرسالة فلا يستطيعون أن الله عفو ورحيم) اختلاف المفسرون في المراد بالأشهر الحرم ههنا ما هي، فذهب ابن جرير إلى أنها المذكرة في

قوله تعالى منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهم أنفسكم الآية قاله أبو جعفر الناقورليكن قال ابن جرير أخ الإسماعيل الحارثي

في حقهم المحرم وهذا الذي ذهب إليه حكامه على بن أبي طحفة عن ابن عباس والذهب الضحاك أيضا وفيه نظر. الذي

حدث السياق ما ذهب إليه ابن عباس في رواية العوفي عنده قال يحايد عرو بن شبيب ويحيد اسمته بقرابة العرو بن

جيب السبأى ماذهب اليه ابن عباس في روايته العوفي عنه وبقال بجاهد وعروب بن شعيب وعبد بن اسحق وقتادة والسبأى وعبد الرحمن بن زبد أسلفوا ان المراد اسم أشهر التسميات الاربعه المتضمنه على ما نقله في كتابه الا ان في نسخة من نسخة

نسب الأشهر الحرم إذا انتضت الأشهر الأربعة الحرام على ما قبله فيقول: حيواني الأرض أربعة أشهر ثم قال فإذا

فمنع الأشهر الحرم إذا انتقضت الأشهر الأربعة التي حرمنا عليكم ٢٤٩ فيها قتالهم وسباني إن حكمها في آية

يكون مصدرا أي وعد غير كذب (فلما جاء أمرنا) أي عذابنا أو أمرنا ببقائه قوله العذاب

يكون مصدر أي وعد غير كذب (فلما جاء أمرنا) أي عذابنا أو أمرنا بالوقوع العذاب
 الكريمة وقوله فاقتلوا المشركين

فجاء اصحابو الدين انما وعدهم بركة عظيمة (من) قد تقدم تفسير هذا في قصة هود
الاله للسمية والمصاحفة هو الذي قاله الله تعالى في سورة النازعات

والإباء للسيبية أو للمصاحبة وهي بالنسبة إلى صالح النبوة والنسبة إلى المؤمنين الإيمان

(و) نحنهم (من خرى نوسند) وهو هلا كههم بالصحة ووسى خربا لان فيه خربا للمكندار القتال في الحمره بقوله ولا يقاتلوه

الجزى الذل والمهانة وقيل من عذاب يوم القيامة والاول اولى ويعد بئس الميم اعرابا

ففيها بناءة لاضافته الى معنى قال السيوطي وهو الاكثر رأياً في الاستعمال والافهما

فیه فان قاتلوکم فاقتلوهم وقوله

وَأَخَذَ

أخذ في السوم والاعمال عقب الناقة صحصفاة له ذلك الفـ

أَيُّ فِي السُّبُوحِ الرَّابِعِ مِنْ عَقْرِ النَّاقَةِ صَاحِبُهُمْ فَيَأْتُوا وَكَذَا الْفَاعِلُ لَانِ
صَاحِبُهُ وَالصَّاحِاحُ وَاحِدُهُمْ كُنَ الْتَّائِبُ غَيْرُ حَقِيقَةٍ وَالصَّاحِبَةُ غَيْرُهَا عَالِمَةٌ

للمحبة والصباح واحد مع كون التائيد غير حقيقي والصحة فعله تدل على المرتبة
مرصدنا أي لا تكذبوا بعد

صياح وهو الصوت الشديد يقال صاح صياحا أى صوّت بقوة قبل صحة جبريل
مرصدناى لا تتركوا جبريل وحسنه انكم ايسر بل اقصوهم

وَبَدَّلْنَاكُمْ إِيَّاهُمْ بِأَقْصَادِهِمْ
بِالْحَصَارِ فِي مَعْقِلِهِمْ وَحَصَرَهُمْ

لواعلمها وقعت عقب الصيحة (فأصبحوا في ديارهم جائعين) ميتين صرعى هلكي ساقطين

يكون مصدرا أى وعد غير كذب (فلما جاء أمرنا) أى عذابنا أو أمرنا بوقوع العذاب
(فحينما صدأوا الدين آمنوا معه رجعة) عظيمة (مننا) قد تقدمت تفسير هذا في قصة هود
والباء للسياقة وللمصاحبة وهى بالنسبة إلى صالح النبوة بالنسبة إلى المؤمنين الإيمان
(و) فحينئذهم (من حذى يومئذ) وهو هذا كهى بالصيغة وهى خزبا لأن فيه خزبا للكفار
والخزى الذل والمهانة وقيل من عذاب يوم القيامة والاول أولى ويثمد بكسر الميم اعرابا
وتثمها بناء لاضافته إلى مبنى قال السيوطى وهو الا كثرأى فى الاستعمال والافهما
قراءتان سبعيتان على السواء (ان ربك هو القوى العزيز) القادر الغالب الذى لا يهزمه
شيء والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والقصة تحت عند قوله يومئذ (وأخذ
الذين ظلموا الصلوة) أى فى اليوم الرابع من عقر الناقة صيحبهم فأتوا وذكر الفعل لأن
الصلوة والصباح واحد مع كون التأكيد غير حقيقى والصلة تفعلة تدل على المرة من
الصباح وهو الصوت الشديد يقال صاح يصيح صياحا أى صوت بقوة قتل صيحة جبريل
وقيل صيحة من السماء فتهطعت قلوبهم وماتوا وقد قدم فى الاعراف فأخذتهم الرجفة
قبل وإلها وقعت عقب الصلوة (فأصعقوا فى ديارهم غائين) مستين صرعى هلكت ساقطين
على وجوههم موفى قد صدقوا بالتأرب كالطير اذا جفت والجثوم كالركوب من البعير
والفاعل جاثم وجثام مبالغة يقال جثم الطائر والارنب يجثم (كأنهم يغفوا فيها) أى

ثَابِتُوا قُلُوبَكُمْ عَلَى الصَّلَاةِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَلَهُذا عَقَّدَ الصَّادِقُ رِضَى اللَّهِ عَنْهُ فِي قِتَالِ مَانِعِي الزَّكَاةِ عَلَى هَذِهِ

الآية الكريمة وأمثالها حيث شرط قتالهم بشرط هذه الأفعال وهي الدخول في الإسلام والقيام بأداء واجباته ونسبها لأهلها على

أدناها فان أشرف أركان الإسلام بعهد الشهادتين الصلاة التي هي حق الله عز وجل وبعدها أداء الزكاة التي هي نفع متعة إلى

الفقراء والمحاويج وهي اشرف الافعال المتعلقة بالخلقين ولهذا كثيرا ما يقرن الله بين الصلاة والزكاة وقد جاء في الصحيحين عن ابن

عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ تَحْمَدَ رَسُولَ

عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أحسن أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة الحديث. وقال أبو إسحاق ع: (إني عسدة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال أمرت بأقام

والله يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة الحديث وقال أبو إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال أمرني بأمرين الصلاة والزكاة

الصلاة وإيتاء الزكاة ومن لم يرك فإلا صلاة وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أي الله أن يقبل الصلاة الإبراهيمية وقال رحمه الله

أَبَا بَكْرٍ مَا كَانَ أَفْقَهُهُ وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ اسْحَقَ أَنْبَأَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ الطَّوِيلَ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ

اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَإِذَا شَهِدُوا أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

وعليهم ما عليهم ورواه البخاري في صحيحه وأصل السنن الا ابن ماجه من حديث عبد الله بن المبارك به وقال الامام ابو جعفر بن جرير
 حدثنا عبد الاعلى بن واصل الاسدي حدثنا عبد الله بن موسى اخبرنا ابو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس قال قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم من فارق الدنيا على الاخلاص لله وحده وعبادته لا يشرك به فارقها والله عنه راض قال وقال أنس هودين الله اني
 جاءت به الرسل وبلغوه عن ربهم قبل هرج الاحاديث واختلاف الالهواء وتصديق ذلك في كتاب الله في آخر ما أنزل قال الله تعالى
 فان تابوا أو أقاموا الصلاة أو آتوا الزكاة خلوا سبيلهم قال فيهم خلق الالهوان وعبادتهم وحده وأقام الصلاة وآتوا الزكاة ثم قال
 في الآية الاخرى فان تابوا أو أقاموا الصلاة أو آتوا الزكاة فآخوا تكفيهم الدين ورواه ابن مردويه ورواه محمد بن نصر المروزي في
 كتاب الصلاة له حدثنا اسحق بن ابراهيم اننا نأكلهم بن سلمة حدثنا أبو جعفر الرازي به سواء وهذه الآية الكريمة هي آية السيف
 التي قال فيها الضمالة بن مزاحم انها نجت كل عهدين النبي صلى الله عليه وسلم وبين احدهما من المشركين وكل عقد وكل مدة وقال
 العوفي عن ابن عباس في هذه الآية بقى لاحد من المشركين عهدا ولا ذمة منذ تزلت برأه وانسلاخ الاشهر الحرم ومدة من كان له
 عهد من المشركين قبل ان تنزل برأه اربعة (٢٥٠) اشهر من يوم اذن براءة الى عشر من اول شهر ربيع الآخر وقال علي بن ابي طلحة

كانهم لم يبقوا في مقام بلاهم وديارهم ولم يعثوا فيها ولم يعمرها ولم ينعموا واتقوا بمثلين
 لمن لم يوجد لهم في مقام قطب قال غبت بالمكان اذا ابتغيت وأقمت فيه (ألا ان تود كفروا
 ربيع) وضع الظاهر موضع الضمير لزيادة البيان وصرح بكفرهم مع كونه معلوما لتعديلا
 للدعاء عليهم بقوله (ألا بعد التود) بالصرف وتركه كقراءة سبعين على معنى الخي
 والقسلة وقد تقدم تفسير هذه القصة في الاعراف بما يحتاج الى مراجعتها ليضم ماني
 احدي القصتين من التوائد الى الاخرى (ولقد جاءت رسلا الى ابراهيم) يسكون السنين وضعت
 حديثا وقع مضافا الى الضمير بخلاف ما اذا أضف الى مظهر فليس فيه الاضمار وهذا شروع
 في قصة ابراهيم لكن ما مذكورة هنا طوطاة لقصة لوط لا استعلا ولا ذلك ما يذكره على أسلوب
 ما قبلها وما بعد خالفه بقل وأرسلنا ابراهيم الى كذا وعاش ابراهيم من العمر مائة وخمسا
 وسبعين سنة ويؤيه ويرى نوح أثناسه وسقاة سنة وأربعين سنة ولوط عليه السلام هرب ابن أبي
 وتاين سنة ويعقوب بن اسحق عاش مائة وخمسا وأربعين سنة ولوط عليه السلام هرب ابن أبي
 ابراهيم عليه السلام وكانت قري قوم لوط بنواحي الشام وابراهيم يلاذ فلسطين فلما انزل
 الله الملائكة بعد اذ قوم لوط م وابراهيم وزلوا عنده وكان كل من نزل عنده يحسن قراء
 وكان مردوخ عليه لتبشيره هذه البشارة الا تية ظنهم اضيا فاهم جبريل وميكائيل
 واسرافيل فآله عناء وقيل كانوا اربعة قاله الضمير وقيل احدى عشر قاله السدي وقيل اثني

عن ابن عباس في هذه الآية قال
 أمره الله تعالى ان يضع السيف
 فبين عاهدان لم يدخلوا في الاسلام
 ونقص ما كان سمي اثم من العهد
 والميثاق وأذهب الشرط الاول وقال
 ابن ابي حاتم حدثنا أبي حدثنا اسحق
 ابن موسى الانصاري قال قال سفيان
 ابن عيينة قال علي بن ابي طالب بعث
 النبي صلى الله عليه وسلم اربعة اساف
 سفيان المشركين من العرب قال
 الله تعالى فآخاؤا المشركين حيث
 وجدتوهم هكذا رواه مختصرا
 واطن ان السيف الثاني هو قتال
 اهل الكتاب لقوله تعالى فآخاؤا الذين
 لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر
 ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا

يدنون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يديهم صاغرون والسيف والثالث عشر
 قتال المنافقين في قوله يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين الآية والاربعة قتال الباغيين في قوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلا
 فأصلحو بينهما ما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفي الى امر الله ثم اخذت المفسرون في آية السيف فقال
 المحاكاة والسدي هي منسوخة بقوله تعالى فاما من بعدوا فاما قداما وقال قتادبا العكس (وان احدهم المشركين استجار فأجره
 حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه ذلك بانهم قوم لا يعجلون) يقول تعالى لئيه صلوات الله وسلامه عليه وان احدهم المشركين
 الذين امرت بقتالهم استجاروا اي استأمنك فأجبه الى طلبته حتى يسمع كلام الله اي القرآن تقرؤه عليه وتذكر له شيئا من امر الدين
 تقويه به عليه حجة الله ثم ابلغه مأمنه اي وهو آمن مستر الامان حتى يرجع الى بلاده وداره ومأمنه ذلك بانهم قوم لا يعجلون اي انما
 شرعنا امانا مثل هؤلاء ليعلموا دين الله وتشرده عودا الله في عبادته وقال ابن ابي شيح عن مجاهد في تفسير هذه الآية قال انسان
 يأتيك ليسمع ما تقول وما انزل عليك فهو آمن حتى يأتيك نفسه معه كلام الله وحتى يبلغ مأمنه حيث جاء ومن هذا كان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يعطى الامان لمن جاءه مسترشدا أو في رسالة كما جاءه يوم الحديبية جماعة من الرسل من قريش منهم عروة بن مسعود

ومكر بن حفص وسهيل بن عمرو وغيرهم واحدا بعدوا واحدا يترددون في القضية بينهم وبين المشركين فقرأوا من اعظام المسلمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهرهم وما لم يشاهدوه عند ملك ولا قصر فرجعوا الى قومهم واخبروهم بذلك وكان ذلك وامثاله من اكبر اسباب هداية اكثرهم ولهذا ايضا لما قدم رسول مسيلة الكذاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له انتم هذان مسيلة رسول الله قال نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ان الرسل لا تقتل لضربت عنقه وقد قبض الله له ضرب العنق في اماره ابن مسعود على الكوفة وكان يقال له ابن النواحة ظهر عنه في زمان ابن مسعود انه يشهد لمسيلة بالسالة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا رسالة الا لك لست في رسالة وأمر به فضربت عنقه لارجد الله ولعنه والقرض ان من قدم من دار الحرب الى دار الاسلام في اداء رسالة او تجارة او طلب صلح او مهادة او حل حزية ونحو ذلك من الاسباب وطلب من الامام او نائبه امانا أعطى امانا مادام مستردا في دار الاسلام وحتى يرجع الى امانه ووطنه لكن قال العلماء لا يجوز ان يعكس من الاقامة في دار الاسلام سنة ويجوز ان يعكس من اقامة أربعة أشهر فيما بين ذلك فيما زاد على أربعة أشهر ونقص عن سنة قولان عن الامام الشافعي وغيره من العلماء رحمهم الله (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله (٣٥١) الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين)

بين تعالى حكمته في البراءة من المشركين ونظرته فيهم أربعة أشهر ثم بعد ذلك السيف المرفع ابن يقظوا فقال تعالى كيف يكون للمشركين عهد أي امان و يترون كيف فهم فيه وهم مشركون بالله كافرين به ورسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام يعني يوم الحديبية كما قال تعالى هم الذين كفروا وصدواكم عن المسجد الحرام والهدى معكوا فان يبلغ محله الآية فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم أي مهما تسكوا بما عاهدتموهم عليه وعاهدتموهم من ترك الحرب بينكم وبينهم عشر سنين فاستقيموا لهم ان الله يحب

عشر قاله مقاتل وقيل كان جبريل ومعه سبعة املاك قاله محمد بن كعب القرظي والاول اولى لان اقل الجمع ثلاثة (بالشري) التي بشرهم بها بشره بالولد وقيل باخلاص قوم لوط والاول اولى (قالوا سلاما) أي سلمنا عليكم سلاما وهذه تحيتهم التي وقعت منهم وهي لفظ سلاما (قال) لهم ابراهيم (سلام) أي اكرمكم سلاما وعليكم سلام وهذه التحية الواقعة عن جبرائيل وهي لفظ سلام وحياهم بالجملة الالهية في جواب تحيتهم بالتحية ومن المعلوم ان الاول ابلغ من الثانية فكانت تحيته احسن من تحيتهم كما قال تعالى خفيوا يا احسن منها (قالت) أي ابراهيم (ان جاء بعجل خنيد) قال أكثر النحاة ان هذا يعني حتى والتقدير فالتبع ان جاء أي ما ابتأ ابراهيم عن مجيئه بعجل وما نافية قاله سيدي به وقال الفرغاني فالتبع ان جاء أي ما ابتأ مجيئه وقيل ان ما موصولة والتقدير فالتبع ان لبث ابراهيم هو مجيئه والخنيد المشوي مطلقا وقيل المشوي بجزء الخازرة من غير ان تحسب النار وهذه من فعل اهل البادية يقال خنيد الشاة يعني خنيد جازة فخمة لينضجها فهي خنيد وقيل دوسين وقيل دوا السميط وقيل الضج وهو فعل بمعنى منعول وانما جاءهم بعجل لان البقر كانت أكثر أمواله (فلما رأى) الرؤية بصرية أي أبصر (أيديهم) لان الله صلى الله عليه وسلم كان في مكة من ذي القعدة في سنة ست الى ان نقتل قريش العهد وما لوالا حلفاءهم وهم شيوخهم على خزاعة احلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلواهم معهم في الحرم أيضا فعند ذلك غزاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان سنة ثمان ففتح الله عليه البلد الحرام ومكنه من فواصمهم ولله الحمد والمنة فاطلق من أسلم منهم بعد القهر والغلبة عليهم فسموا الطلقاء وكانوا قريشيين اثنين ومن استمر على كفره وفر من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث اليه بالامان والتسليم في الارض أربعة أشهر يذهب حيث شاء ومنهم صدوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وغيرهما ثم عاهداهم الله بعد ذلك الى الاسلام التام والله المحمود على جميع ما يقدره ويفعله (كيف وان يظهر واعليكم لا يرقبوا فيكم الا لائمة يرضونكم بافواههم ويأتون في قلوبهم وأكدهم فاسقون) يقول تعالى محرضا المؤمنين على معاداتهم والتبري منهم ومعيننا انهم لا يستحقون ان يكون لهم عهد لشرهم بالله تعالى وكفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ولؤا نهم انظروا على المسلمين وأدبوا عليهم لم يبقوا ولم يذروا ولا راقبوا فيهم الا لائمة قال علي بن أبي طلحة وعكرمة والعوف عن ابن عباس الا لا القرابة والائمة العهد وكذا قال الضحاك والسدي كما قال التميمي بن مقبل

المتقين وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك والمسلمون استمروا العقود والهدنة مع أهل مكة من ذي القعدة في سنة ست الى ان نقتل قريش العهد وما لوالا حلفاءهم وهم شيوخهم على خزاعة احلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلواهم معهم في الحرم أيضا فعند ذلك غزاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان سنة ثمان ففتح الله عليه البلد الحرام ومكنه من فواصمهم ولله الحمد والمنة فاطلق من أسلم منهم بعد القهر والغلبة عليهم فسموا الطلقاء وكانوا قريشيين اثنين ومن استمر على كفره وفر من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث اليه بالامان والتسليم في الارض أربعة أشهر يذهب حيث شاء ومنهم صدوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وغيرهما ثم عاهداهم الله بعد ذلك الى الاسلام التام والله المحمود على جميع ما يقدره ويفعله (كيف وان يظهر واعليكم لا يرقبوا فيكم الا لائمة يرضونكم بافواههم ويأتون في قلوبهم وأكدهم فاسقون) يقول تعالى محرضا المؤمنين على معاداتهم والتبري منهم ومعيننا انهم لا يستحقون ان يكون لهم عهد لشرهم بالله تعالى وكفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ولؤا نهم انظروا على المسلمين وأدبوا عليهم لم يبقوا ولم يذروا ولا راقبوا فيهم الا لائمة قال علي بن أبي طلحة وعكرمة والعوف عن ابن عباس الا لا القرابة والائمة العهد وكذا قال الضحاك والسدي كما قال التميمي بن مقبل

أفسد الناس خافوا ، قطعوا الال وأعراق الرحم

وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه

وجدناهم كاذبا والهم * وذوالال والعهد لا يكذب

وَجَدْنَاهُمْ كَذَّابِينَ كَذِبًا وَأَكْمَارًا وَفِي رَوَايَةٍ لَيْسَ فِيهَا لِقَاءُ اللَّهِ وَلَا غَيْرُهُ وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ
وَقَالَ ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مِجَادٍ لَيْسَ يَقْبُولُ فِي مَوْسَمِ الْإِلَاحِ اللَّهُ وَفِي رَوَايَةٍ لَيْسَ يَقْبُولُ اللَّهُ وَلَا غَيْرُهُ وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ
حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ سَلَمَةَ عَنْ سَلِيمَانَ عَنْ أَبِي مَجَازٍ قَوْلُهُ تَعَالَى لَيْسَ يَقْبُولُ فِي مَوْسَمٍ قَوْلُهُ جَعَلَ لَكُم مِثْلًا لِمَا كَانُوا
يَقُولُونَ لَيْسَ يَقْبُولُ اللَّهُ وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَظْهَرُ وَأَشْهُرُ وَعَلَيْهِ الْأَكْثَرُ وَعَنِ مِجَادٍ أَيْضًا الْإِلَاحُ الْعَهْدُ وَقَالَ قَتَادَةُ الْإِلَاحُ الْخَلْفُ (اَشْتَرَا)
يَقُولُ لَيْسَ يَقْبُولُ اللَّهُ وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَظْهَرُ وَأَشْهُرُ وَعَلَيْهِ الْأَكْثَرُ وَعَنِ مِجَادٍ أَيْضًا الْإِلَاحُ الْعَهْدُ وَقَالَ قَتَادَةُ الْإِلَاحُ الْخَلْفُ (اَشْتَرَا)
بِآيَاتِ اللَّهِ غَنَّا قَلِيلًا فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ أَنْهُمْ سَاعَمَا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لَيْسَ يَقْبُولُ فِي مَوْسَمٍ الْإِلَاحُ الْعَهْدُ وَقَالَ قَتَادَةُ الْإِلَاحُ الْخَلْفُ (اَشْتَرَا)
وَأَمَّا الصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ فَاحْوَاكُم فِي الدِّينِ وَتَفَصَّلَ الْآيَاتُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ يَقُولُ تَعَالَى ذِمَّةَ الْمُشْرِكِينَ وَخَالِ السُّومَنِينَ عَلَى
قَاتِلَتِهِمْ اَشْتَرَا بِآيَاتِ اللَّهِ غَنَّا قَلِيلًا لَعَنِي أَنْهُمْ اَعْتَصَمُوا عَنْ اتِّبَاعِ آيَاتِ اللَّهِ عَمَّا التَّوْبَةِ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا الْخَبِيسَةِ فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ
أَي مَنَعُوا الْمُؤْمِنِينَ مِنْ اتِّبَاعِ الْحَقِّ أَنْهُمْ سَاءَ (٢٥٢)

بذلك قبل وانما استنكر منهم ذلك لان عادتهم ان الضيف اذا نزل بهم ولم ياكل من طعامهم ظنوا انه قد جاء بشيء لم ينجفوا عنه قتادة وفي الذاريات قوم منكروا أي غرباء لا يعرفهم قال ذلك في نفسه كما قاله ابن عباس وقيل انما أنكروا مرهم لانهم دخلوا عليه من غير استئذان وقال أبو العالية انكروا لانهم في ذلك الزمان وفي تلك الارض (وأوحس منهم) أي أحس في نفسه (خيفة) أي خوفا وفزعوا قبل معنى أوحس أنذر في نفسه والاول ألصق بالمعنى اللغوي والوحس هو رعب القلب والايحس الادراك وقيل الاضمار وفي السمين الايحاس حديث النفس وأوحس من السخول كأن الخوف داخله والوحس ما يعترى النفس أو ان النزوع ووحس في نفسه كذا أي خطرهم بايحس وجسا ووجسا ووجسا كما نفعنا انهم قد نزلوا لاي يذكروا ولتعذيب قومه (قلوا لا تخف) قالوا له ذلك مع كونه لم يذكركم ما يدل على الخوف بل أوحس ذلك في نفسه فلعلهم استدلوا على خوفه بامارات كلهم وأثره على وجهه وأقاربه بعدما قال عقب ما أوحس في نفسه من الخيفة قول لا يدل على الخوف كما في قوله في سورة الحجر قال اننا منكم وجلون ولم يذكر ذلك هنا اكتفاء بما هنا لانه علموا انهم عن الخوف بقولهم (انا ارسلنا الى قوم لوط) خاصة ولوط اول من آمن يا ابراهيم أخبرهم وعيسى ان يكون ابراهيم عليه السلام قد قال قولنا لا يكون هذا جوابا عنه كما قال فاسخطبكم أي المارسا قالوا انا

الآية التي بعدها فان تابوا
وأقاموا الصلاة إلى آخرها تقدمت
وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا
محمد بن المشني حدثنا يحيى بن أبي
بكر حدثنا أبو جعفر الرازي حدثنا
الربيع بن أنس قال سمعت أنس بن
مالك يقول قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من فارق الدنيا على
الإخلاص لله وعبادته لا يشرك به
وأقام الصلاة وآتى الزكاة فارقها
والله عند راض وهو دين الله الذي
جاء به الرسل وبلغوه عن ربهم قبل
هزج الأحاديث واختلاف الأهواء
وتصديق ذلك في كتاب الله فان تابوا
يقبل فان خلعوا الاوثان وعبادتها

يقول فان خلعوا الاوثان وعبادتها
واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيهم وقال في آية أخرى فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة
فاخوانكم في الدين ثم قال الزنار آخر الحديث عندي والله اعلم فارقها وودعها راض وباقية عندي من كلام الربيع بن أنس
(وان نكحوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينهم فقد انزلوا أئمة الكفر انهم لايمان لهم اعمامهم ينهون) يقول تعالى وان نكحنا
هؤلاء المشركون الذين عاهدوهم على مدة معينة ايمانهم اى عهودهم ومواقفهم وطعنوا في دينكم اى عابوهم وابتعدوهم
هنا أخبر بقتل من سب الرسول صلوات الله وسلامه عليه وامن طعن في دين الاسلام او ذكره بنقص ولو - هذا قال فقد انزلوا أئمة
الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينهون اى يرجعون عما هم فيه من الكفر والعناد والضلال وقد قال قتادة وغيره أئمة الكفر كإبي
جهل وعتبة وشيبة وامية بن خلف وعدة رجلا الا عن مصعب بن سعد بن ابي وقاص قال مر سعد بن ابي وقاص برجل من الخوارج
فقال انذارى هذا من أئمة الكفر فقال سعد كذبت بل انا فانك أئمة الكفر رواد ابن مردويه وقال الاعشى عن زبدين وهب
عن حماد بن عمار قال ما قول اهل هذه الآية بعد - وروى عن علي بن ابي طالب رضى الله عنه مثله والعجيب ان الآية عامة وان كان

وأما الصلاة وآتوا الزكاة فإلّا يسيلهم وقال في آية أخرى فإن تابوا وأقاموا الصلاة وجعلوا الزكاة فإلّا يسيلهم
فأخبرناكم في الدين ثم قال الزنا آثم الحديث عندى والله أعلم فأمرها وشؤعه راض وباقية عندى من كلام الربيع بن أنس
(وان نكحوا أمهاتهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينهم فقلوا أئمة الكفر لهم لايمان لهم أمهاتهم ينهون) يقول تعالى وإن نكحتم
هؤلاء المشركون الذين عاهدتموه على مدة معينة إيمانهم أى عهدهم ومواقفهم وطعنوا في دينكم أى علمهم واثقوه ومن
هنا أخبرنا قبل من سب الرسول صلوات الله وسلامه عليه ومن طعن في دين الاسلام أو ذكره بنقص ولو - هذا قال فقلوا أئمة
الكفر انهم لا إيمان لهم لعلمهم ينهون أى يرجعون عما هم فيه من الكفر والعناد والضلال وقد قال قتادة وغيره أئمة الكفر كراي
جهل وعتبه وشبهة وامية بن خاف وعدرجا لاوعن مصعب بن سعد بن أبى وقاص قال مر سعد بن أبى وقاص برجل من الخوارج
فقال انذارى هذا من أئمة الكفر فقال سعد كذبت بل أنا فأناب أئمة الكفر رواد ابن مردويه وقال الاعشى عن زيد بن وهب
عن حذيفة قال ما قول اهل هذه الآية بعد - وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه مثله والعجيب ان الآية عامة وإن كان

سبب نزولها مبسر كي قرئ في عامة اهلهم ولغيرهم والله أعلم وقال الوليد بن (٢٥٢) مسلم حدثنا صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير أنه كان في عهد أبي بكر رضي الله عنه إلى الناس حين وجههم إلى الشام قال انكم ستجدون قوما مجوفه رؤسهم فاذهبوا ما عاقد الشيطان منهم بالسيف فوائه لان أقل رجلا منهم أحب إلى من ان أقتل سبعين من غيرهم وذلك بان الله يقول فقاتلوا أئمة الكفر زواها بن أبي حاتم (ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهم بذؤكم أول مرة الرسول وهم بذؤكم أول مرة أتخشونهم قاله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين فأتولاهم بعذرهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين وبذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم) وهذا أيضا تهيب وتخفيض واغراء على قتال المشركين الناكثين بايمانهم الذين هم مواياخراخ الرسول من مكة كما قال تعالى واذيكر بك الذين كفروا لميتولوك أوبقتلوك أويخرجوك ويكفرون ويكفر الله والله خير الماكرين وقال تعالى يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم الآية وقال تعالى وان كادوا ليستفزونك من الارض اخرجوك منها الآية وقوله وهم بذؤكم أول مرة قيل المراد بذلك يوم بدر حين خرجوا لنصر عيرهم فلما نجحت وعلوا بذلك واستمرواعلى وجوههم طلبا لقتال بغيا وتكبيرا كما تقدم بسط ذلك وقيل المراد ان تقضمهم العهـم بذؤكم فاهم مع خلقائهم بى بكر لخراعة أحلاف

أرسلنا إلى قوم مجرمين (وامرأته) اى سارة زوجة ابراهيم وهى ابنة عرو بن ناحور وهى ابنة عم ابراهيم (قائمة) قيل كانت قائمة عند نحاوهم وراء السرة تسرع كلامهم وقيل كانت واقفة قائمة تخدم الملائكة وهو جالس والجلالة مستأنفة وأحوالة (فضحك) الضحك ضاهوا الضحك المعروف الذى يكون للتعجب أو للسرور كما قاله الجوهري واصل الضحك انبساط الوجه من سرور يحصل للنفس وظهور الاسنان عند سميت مقدمات الاسنان الضواحد ويستعمل فى السرور والجرد وفى التعجب الجرد ايضا وعلمه أكثر المفسرين وقال مجاهد وعكرمة انه الحيز والعرب تقول ضحكك الارنب اذا حاضت وقد انكر بعض اللغويين ان يكون فى كلام العرب ضحكك بمعنى حاضت قال الراغب وقول من قال حاضت ليس تفسير القوله فضحكك كما تصوره بعض المفسرين وانما ذكر ذلك تضييعا لخالها فان ذلك ما رواه بشر بن به غرضه انى حاضت قال ابن الجاهليين ينكر لان المرأه اذا كانت تحيض فانها تحمل قال الفراء ضحكك بمعنى حاضت لم نسمع من ثقة وقال الزجاج ليس بشئ فضحكك بمعنى حاضت وقال ابن الانبارى قد أنكر القراء وأبو عبيدة ان يكون ضحكك بمعنى حاضت وقال فى المحكم ضحكك المرأة حاضت والاول أولى ولا مصلح الى الحجاز لا عند تعدد الحقائق وظاهر النص انها ضحكك قال قتادة ضحكك تعجبا بحافيه قوم لوط من الغفلة ومما تأهم من العذاب وقال السدى ضحكك تعجبا من عدم اكلامهم وقال مقاتل والكبي ضحكك من خوف ابراهيم من ثلاثة وهو فيها بن خذمه وحشمه وخواصه وقيل ضحكك من زوال الخوف عنها وعن ابراهيم حين قالوا لا تخف وقيل ضحكك سرور من البشارة وقال وهب ضحكك تعجبا من أن يكون لها ولد على كبر سنهما وس زوجه وقيل غير ذلك مما ليس فى ذكره كثير فائدة والله أعلم بحاضتك وقال ابن عباس حاضت وهى بات غائبة سبعين سنة وعن مجاهد قال وكان ابراهيم بن مائة سنة (فبشرناها باسحق) نظاها ان التبشير كان بعد الضحك وقال الفراء فيه تقدم وتأخير والمعنى فبشرناها فضحكت سرورا بالولد واسحق بعد البشارة سنة وكانت ولادته بعد اسبعيل بأربعة عشر سنة (ومن وراء) أى وهبها الهام وراء (اسحق يعقوب) وقرئ بجور يعقوب ومنعه الذرا وقرئ بالرفع على الابتداء وخبره الظرف الذى قبله وبالنصب وهى اسبعيل بن وقد وقع التبشير بها والها ووقع لابراهيم فى قوله تعالى وبشرناها بغلام طيب وبشروه بغلام طيب لان كل واحد منهما ما تحقق للبشارة به لكونه منهم ما قال ابن عباس هو ولد الولد أى فبشرت بأنها تعيش حتى ترى ولد الولد وقد رآته (قالت يا ويلتا) مستأنفة كأنه قيل فاذا قالت وهى لم ترد الدعاء على نفسها بالويل ولكنها كلمة تقع كثيرا على افواه النساء اذا طرأ عليهن ما يعجزن عنه وأصل الويل الخزي ثم شاع فى كل أمر فطسح والاف مبتدلة من ياء الاضافة والاستفهام فى قولها (أألدو أنا بحور) للتعجب أى كيف ألدوا بأشيعه قد طعنت فى السن يقال عجزت عجزت مخفقا ومشقلا عجزا وتعجزا أى طعنت فى السن ويقال عجز وعجوزة وأما عجزت بكسر الجيم فعناه عظمت بعجزتها (وهذا يعنى) أى زوجه ابراهيم (شيئا) لا تحبل من مثله النساء ونصبه على الحال والعامل فيه

لا تختبركم بأموالهم ويظهر فيهم أهل العزم الصادق من الكاذب ولهذا قال (٢٥٥) ولما بعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من

دول الله ولا رسولا ولا المؤمنين
وليحبس أي بطانة ودخيلة بل هم
في الظاهر والباطن على النصع لله
ورسوله فأكفى بأحد القسمين عن
الآخر كما قال الشاعر
وما أدري أذا عمت أرضا

أريد الخبر أي ما يليني
وقد قال الله تعالى في الآية الأخرى
الم أحسب الناس أن يتركوا أن
يقولوا آتنا وهم لا يفتنون ولقد
فحصنا الذين من قبلهم فليعلمن الله
الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين
وقال تعالى أم حسبكم أن تدخلوا
الجنة الآية وقال تعالى ما كان
الله ليجزى المؤمنين على ما أتتهم عليه
الآية والحاصل أنه تعالى لما شرع
لعباده الجهاد بين أن له فيه حكمة
وهو اختبار عبده من يطيعه من
يعصيه وهو تعالى العالم بما كان وما
يكون وما لم يكن لو كان كيف كان
يكون فيعلم الشيء قبل كونه ومع
كونه على ما هو عليه لا اله الا هو ولا
رب سواه ولا راد لما قدره وأما
(ما كان للمشركين أن يعبدوا
مساجد الله شاهدين على أنفسهم
بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي
التأخير خالدون أتابعهم مساجد
الله من آمن بالله واليوم الآخر
وأقام الصلاة واتى الزكاة ولم يخش
الاله فحسب أولئك أن يكونوا من
المؤمنين) يقول تعالى ما ينبغي
للمشركين بالله أن يعبدوا مساجد
الله التي بنيت على اسمه وحده لا
شريك له ومن قرأ مسجدا لله فأراد

قال فواحد قالوا لا قال ان في الوطا قالوا نحن أعمى فيها النجسة وأهلها الآية وعن ابن
عباس قال لما حانت الملائكة الى ابراهيم قالوا ابراهيم ان كان فينا خمسة يصليون رفع
عنهم العذاب فهذا معنى مجادلته في قوم لوط أي في شأنهم وأمرهم وقيل معناه يكلمنا
وبالنسبة الى الله لا يقدر أن يخصهم به وإن كان نبيا ولهذا قال جمهور المفسرين معناه
يجادل رسلا ثم أتوا الى ابراهيم أرائني الله عليه فقال (ان ابراهيم حلليم) أي ليس يعول
في الامور ولا يوقع لها على غير ما ينبغي (أواه) أي كثر التآوه والرحيم (منيب) أي
راجع الى الله وقد تقدم في برائة الكلام على الاو والمنيب هو المقبل الى طاعة الله وقال
قنادة المنيب المخلص وفي الآية ما يشبهه أن المراد بالمجادلة فيما تقدم مجادلة الرسل
لا مجادلة الرب كما قاله الجمهور والمقصد من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه
وفطر رحته فطلب تأخير العذاب عنهم لعلمهم بوقوعه ويرجعون عنهم فيه من الكفر
والمعاصي (يا ابراهيم أعرض عن هذا) هذا قول الملائكة له أي أعرض عن هذا المقال
واترك هذا الجدال في أمر قد فرغ منه وجب به القلم وحق به القضاء (أنه قد جاء أمر ربك)
الفهم للشان والمعنى يحى عذابه الذي قدره عليهم وسبق بقضاؤه في آله (وانهم أتيتهم
عذاب غير مردود) أي لا يرد دعاءه ولا جدال بل هو واقع بهم لا محالة ونازل بهم على كل
حال ليس بمصرف ولا مدفوع (ولما حانت رسالتنا لوطا) أي لما خرجت الملائكة من
عند ابراهيم وكان بين ابراهيم وقربة لوط أربعة فواسخ جاؤا الى لوط فلما رآهم لوط وكانوا
في صورة ثملان حسان مرد (سي بهم) أي ساء بهجيتهم اليه يقال ساء به يسوء ولا نهم جاؤه
في صورة ثملان حسان مرد فظن انهم ناس يخاف عليهم ان يقصد منهم قومه فيجزع عن
مدافعهم (وضاق بهم ذرعا) قال الازهرى الذرع موضع موضع الطاقة وأصله ان البعير
يذرع بيده في سيره على قدر سرعة خطوه أي يبسطها فاذا أجل علمه أكثر من طاقة ضاق
ذرع عن ذلك فجعل ضيق الذرع كناية عن قلة الوسع والطاقة وشدة الامر وقيل هو من
ذرع الي اذا غلبه وضاق عن حبسه والمعنى أنه ضاق صدره لما رأى الملائكة في تلك
الصورة خوفا عليهم من قومه لما علم ان من فسدتهم وارتكبهم لفاحشة الاواط ولم يجد
مخلصا قال ابن عباس ساء لنا بقومه وضاق ذرعا بضايفه وقيل ضاق بهم قلبا وصدرا ولا
يعرف أصله ويقال ضاق فلان ذرعا بكذا اذا وقع في مكروه ولا يطيق الخروج منه (وقال
شذابون عصب) أي شديد كانه قد عصب به الشر والبلاء أي شديده ما خون من العصابة
التي يشدهم الرأس يقال عصب وعصب وعصوب على التكثير أي يوم مكروه يجمع
فيه الشر ومنه عصبه وعصابه أي يجمعوا الكثرة ورجل معصوب أي يجمع الخلق (وجاءه
قومه يهرعون اليه) أي جاؤا لوطا يسرعون اليه قاله قنادة قال الكسائي والقراء
وغيرهم ما من أهل اللغة لا يكون الا هراغ الا سراعهم رعدة يقال هراغ الرجل هراغا
أي أسرع في رعدة من برد أو غضب أو سجي وقيل يروون قاله مجاهد وقيل هو مشى بين
الهرة والعدو قاله الحسن وقال شمر هو بين الهرة والحب والجزو المعنى ان قوم
لوط لما بلغهم معنى الملائكة في تلك الصورة أسرعوا اليه كما يتعبدون دفعا للطلب
بالمسجد الحرام أشرف المساجد في الارض الذي بنى من أول يوم على عبادة الله وحده لا شريك له وأسسه خليل الرحمن هذا وهم

شاهدون على أنفسهم بالكفر أي بحالهم (٣٥٦) وقالهم كما قال السدي لو سألت النصراني ما ديك لقال نصراني واليهودي

ما ديك لقال يهودي واليهودي فقال
صاني والمشرع لقال مشرك أولئك
حببت أعمالهم أي بشرتهم وفي
النار هم خلدون كقوله تعالى وما لهم
ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن
المسجد الحرام وما كانوا أولاه
أولواؤه المتقون ولكن أكثرهم
لا يعلمون ولهذا قال تعالى انما يعمر
مساجد الله من آمن بالله واليوم
الآخر فشهدت على الأيمان لعمار
المسجد كما قال الامام أحمد حدثنا
شرح حدثنا ابن وهب عن عمرو
ابن الحرث ان دراجا بالاسم
حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد
الخدري ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اذا رايت الرجل
يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان
قال الله تعالى انما يعمر مساجد
الله من آمن بالله واليوم الآخر
ورواه الترمذي وابن مردويه
والحاكم في مستدركه من حديث
عبد الله بن وهب وقال عبد
ابن حميد في مسنده حدثنا يونس بن
محمد حدثنا صالح المري عن ثابت
البناني عن ميمون بن سبياه وجعفر
ابن زيد عن أنس بن مالك قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انما
عمار المساجد هم أهل الله ورواه
الحاظ أبو بكر البزار عن عبد الواحد
ابن غياث عن صالح بن بشير المري
عن ثابت عن أنس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انما عمار
المساجد هم أهل الله ثم قال لا تعلم
رواه عن ثابت غير صالح وقد روى

الدارقطني في الافراد من طريق حكامة بنت عثمان بن دينار عن أبيها عن أخيه مالك بن دينار عن أنس مرفوعا لدا فعتكم

إذا أراد الله بقوم عاهة نظر إلى أهل المساجد فصرف عنهم ثم قال (٢٥٧) غريب وروى الحافظ البهائي المستقصى عن أبيه

لما أفتكم عنهم ومنعتكم منهم وبطشت بكم وهذا منه عليه السلام على طريق التقى
أي لو وجدت ناسرا ومعتنا فمسي ما يتقوى بقوة (أو آوى إلى الركن الشديد) مراده
بالركن الشديد العشرة وما يتقوى به عنهم هو ومن معه وإنما قال ذلك لأنه لم يكن من قومه
يسأل كان غريبا فيهم لأنه كان أوليا له لمراق مع إبراهيم فلما هاجر إلى الشام أرسله الله
إلى أهل سدوم وهي قرية عند حصن قال أبو هريرة ما بعث الله نبيًا بعد آدم إلا في منة من
عشرته وقيل أراد بالقوة الولد وبالركن من منعه من غير ولده وقيل أراد بالقوة قوته
في نفسه قال السدي إلى جند شديد لقاتلكم وقد ثبت في البخاري وغيره من حديث
أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بعث الله لوطا أن كان يأوي إلى الركن
شديد وهو مروي في غير الصحيح من طريق غير من الحديث وقال النووي المراد بالركن
الشديد هو الله عز وجل فإنه أشد الأركان وأقواها وأمنعها وهو يخاف ظاهرا
الآية والحديث المتقدم ولما سمعته الملائكة بقول هذه المقالة ووجدوا قومه قد علوه
وغير عن مدافعهم (قالوا لوط انارسل ربك) أخبرهم وألا أنهم رسل ربهم بشروهم بقولهم
(ان يصلوا الليل) وهذه الجلة موضحة لما قبلها لأنهم إذا كانوا رسلين من عند الله إليه
لم يصل عدوه اليه بسوء ولم يقدر وأعليه ثم أمره أن يخرج عنهم فقالوا له (فأسر بأهلك)
فري بالوصل وبالقطع من أسرى وسرى وهما الغتان سبعيتان فصيحتان قال تعالى والليل
إذا نسى وقال سبحانه الذي أسرى وهل هما بمعنى واحد وأينهم ما فرق خلاف مشهور
فقبلهما بمعنى واحد وهو قول أبي عبيد وقيل إن أسرى للمسير من أول الليل وسرى
للمسير من آخره وهو قول الليث وأما سار فتخص بالنهار وليس مقبولا من سري والباء
للتعديبة أو للاحصاء أو الأهل هم يتألف فلم يخرج من القرية إلا هو وبناته فقط وفي
القرطبي خرج لوط وطوى الله له الأرض في وقته حتى نجا ووصل إلى إبراهيم (بقطع) أي
مصاحمين بقطع (من الليل) القطع الطائفة منه قال ابن الأعرابي بأسعته وقال
الأخفش يخرج من الليل وقال الضحاك يبقية الليل وقال قتادة بعد مضى أوله وقيل إنه
السحر الأول وقيل نصف منه لأنه قطعة منه مساوية لباقيه وقيل بظلمته منه وقيل بعد
هدوم الليل وقال ابن عباس يحوف الليل وبسواده وقيل إن البامعني في وقت قد قدم
الكلام على القطع في بونس بأشبع من هذا وقيل إن السرى لا يكون إلا في الليل فواجه
زيادة بقطع من الليل قيل لو لم يقله لحازن يكون في أوله قبل اجتماع الظلمة وليس ذلك
براد (ولا يلتفت منكم أحد) أي قلبه إلى ما خلفه ولا ينظر إلى ما وراءه وألا يشتغل
بما خلفه من مال أو غيره قبل وجه النهي عن الالتفات إن لا يروا عذاب قومهم وهو ل
مازلهم في حوهم ويرقوهم أؤلئس لا يتقطعوا عن السير المطلوب منهم عما يقع من
الالتفات فإنه لا بد للمفت من فترة في سيره وقع فيه ضمير منكم لاهل فهو الالتفات فقوله
لا يلتفت من تسعة النوع وهذا من بديع السكات وهو عند المتأخرين من أهل البديع
النوني بئس من البديع ويذكر اسمه على سبيل التورية وتبجيوا يا خسرانه وأنه تدرفع
في القرآن في هذه الآية قال الخطابي ثم أتى وحديث منه قوله تعالى من وجد في رحله فهو
عبادان البدن وأتى الزكاة أي التي هي أفضل الأعمال المتعدية إلى بر الخلاق وقوله ولم يخش الله تعالى

بسنده إلى أبي أمية الطرسوسي
حدثنا منصور بن حازم حدثنا صالح
المري عن ثابت عن أنس مرفوعا
يقول الله عز وجل ولا تولى إلى لاهم
بأهل الأرض عذابا فإذا انظرت إلى
عمار بيوتى وإلى المتحابين في وإلى
المستغفرين بالاحجار صرفت ذلك
عنهم ثم قال ابن عساكر حديث
غريب وقال الإمام أحمد حدثنا
روح حدثنا سعيد عن قتادة حدثنا
العلاء بن زياد عن معاذ بن جبل أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال إن
الشيطان ذئب الإنسان كذئب
الغنم يأخذ الشاة القاصصة والناحية
فأياكم والشعاب وعليكم بالجماعة
والعامة والمسجد وقال عبيد
الرزاق عن معمر عن أبي إسحق
عن عمرو بن ميمون الأودي قال
أدركت أصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم وهم يقولون إن المساجد
بيوت الله في الأرض وأنه حق على
الله أن يكسر من زارها فيها وقال
المسعودي عن حبيب بن أبي ثابت
وعدي بن ثابت عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
من سمع النداء بالصلاة ثم لم يجب
وبأى المسجد ويصلي فلا صلاة له
وقد عصى الله ورسوله قال الله
تعالى إنما يعمر مساجد الله من
آمن بالله واليوم الآخر الآية رواه
ابن مردويه وقد روى مرفوعا من
وجه آخر وله شواهد من وجوه
آخر ليس هذا موضع بسطها وقوله
وأقام الصلاة أي التي هي أكبر
عبادات البدن وأتى الزكاة أي التي هي أفضل الأعمال المتعدية إلى بر الخلاق وقوله ولم يخش الله تعالى

ولم ينش سواه فعسى أولئك ان يكونوا من المهتدين (٢٥٨) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله انما يعمر مساجد الله من

جزاؤه في سورة يوسف فان فهو جزاؤه من امن الشرطة وقد ذكرنا جزاءه ومنه قوله تعالى
أنزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها الى قوله كذلك يضرب الله الامثال اه
(الامرأتك) بالنصب سبعة والاستقناء من قوله فأمر بأهلها أى امر بأهلها جميعا
الامرأتك فلا تسربهم الكونها كافتة وأنكر قراءة الرفع جماعة منهم ثم أبو عبيدة قال
التخمس الرفع على البدل له معنى صحيح أى لا يلقفت منكم أحد الامرأتك فأنما تملقت
وتهلك وقيل ان الرفع على البدل من أحد ويكون الالتفات بمعنى التخلف لا بمعنى النظر
الى الخلف فكانت له قال ولا يخلف منكم أحد الامرأتك فأنما تخلف والمجيء الى هذا
التأويل البعيد القرار من تناقض القراءةتين (انهم جميعا ما أصابهم) من العذاب وهو
رسمهم بالجحارة والجللة لتعليل الاستثناء (ان موعدهم الصبح) هذه الجلالة لتعليل لما تقدم من
الامر بالاسراء والنهي عن الالتفات والمعنى ان موعدهم انهم أى وقت هلاكهم الصبح
المسفر عن تلك الدلية روى انه قال لهم متى موعدهم هلاكهم فقالوا هذه المدة فقال أريد
أسرع من ذلك فقالوا (أليس الصبح يقرب) الههزة للانكار التقريرى على حسد
ألم نشرح لك صدرك والجللة تأكيده لتعليل ولعل جعل الصبح ميقانا لهلاكهم يكون
النفوس فيه أسكن والناس فيه مجتمعون ليتفرقوا الى أعمالهم (فلما جاء أمرنا) أى
الوقت المضروب لوقوع العذاب فيه أو المراءى بالامر نفس العذاب والاول أولى (جعلنا
عالميا) أى على قرى قوم لوط (سافلهما) والمعنى انه قلبها على هذه الهيئة وهى كون عالميا
صار سافلهما وسافلهما صار عالميا وذلك لان جبريل أدخل جناحه تحت أفرغتهما ثم خوم
الارض حتى أدناها من السماء ثم قلبها عليهم قال مجاهد لما أصبحوا غدا جبريل على
قرينهم وقطعهم ان أركانها ثم أدخل جناحه ثم جعلها على خوافي جناحه بما فيها ثم سعد
بها الى السماء حتى سمع أهل السموات صياح ديكهم ونباح كلهم ثم قلبها فكان أول
ما سقط منها سرادقها فلم يصب قومها ما أصابهم ثم ان الله طمس على أعينهم ثم قلبت قرينهم
وهى خمس مدائن أكبرها سدوم وهى الموثفكان المذكورة في سورة براءة يقال كان فيها
أربعة آلاف ألف (وأما طرنا عليها) أى على المدن حين رفعها جبريل أو على شذاها
وعلى من كان خارجا عنها من مسافريها أو من بعد قلبها قيل انه يقال امطرنا في العذاب
ومطرنا في الرحمة وقيل هما لغتان يقال مطرت السماء وامطرت حتى ذلك اليوم (جحارة
من جحيل) هو الطين المتجبر بطبع وغيره وقيل هو الشديد الصلب من الجحارة وقيل هو
الكثير وقيل ان السجيل لفظه غير عربية أصله سحج وسجيل وهما بالفارسية متجروطين
عربتهما العرب فجعلتهما اسما واحدا قال سعيد معناه سنك كل فارسي معرب لان
العرب اذا تكلمت بشئ من الفارسي صار لفظه للعرب ولا يضاف الى الفارسي مثل قوله
سندس واسترق فكل هذه ألفاظ فارسية تكلمت بها العرب واستعملتها في ألفاظهم
فصارت عربية قال قتادة وعكرمة هو الحجر والطين دليله قوله تعالى في موضع آخر جحارة
من طين وقال مجاهد وألها جحر آخرها طين وقال الحسن أصل الجحارة طين فشدت وقال
الضحاك يعنى الآجر وقيل هو من لغة العرب وذكر الهروي ان السجيل اسم لسماء الدنيا

آمن بالله واليوم الآخر يقول من
وحد الله وآمن بالله واليوم الآخر يقول
من آمن بما أنزل الله وأقام الصلاة
يعنى الصلوات الخمس ولم ينش
الله يقول لم يعبد الله ثم قال
فعسى أولئك ان يكونوا من
المهتدين يقول تعالى ان أولئك
هم المفلحون كقوله انبيد صلى الله
عليه وسلم عسى أن يعينك ربك
مقاما محمدا رضى الشفاعة وكل
عسى في القرآن فهو واجبة وقال
محمد بن اسحق بن يسار رحمه الله
وعسى من الله حق (أجعلنا سقاية
الحاج وعارة المسجد الحرام كن
آمن بالله واليوم الآخر وجهاد في
سبيل الله لا يسيرون عند الله والله
لا يهتدى القوم الظالمين الذين آمنوا
وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله
بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند
الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم
ربهم بدرجة من سدور وحنان
لهم فيها انهم هم خالدين فيها أبدا
ان الله عنده أجور عظيم قال العوفي
في تفسيره عن ابن عباس في تفسير
هذه الآية قال ان المشركين قالوا
عمارة بيت الله وقيام على السقاية
خير من آمن وجهاد وكانوا يفتخرون
بالحرم ويستكبرون به من أجل
انهم أهل له وعمارته فذكر الله
استكبارهم واعراضهم فقال لاهل
الحرم من المشركين قد كانت آياتي
تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم
تتكفون مستكبرين به سامرا
تمجرون يعنى انهم كانوا يستكبرون
بالحرم قال به سامرا كانوا يسمرون به و

قال قال قال به سامرا كانوا يسمرون به و

صلى الله عليه وسلم على عمارة المشركين بالبيت وقيل لهم على السقاية ولم يكن (٢٥٩) يتبعهم عند الله مع الشركين وان كانوا يعبدون

قال ابن عطية وهـ ذاعف يردوه ومنه يعضد وقيل هو بحر معلق في الهواء بين السماء والارض وقيل هي جبال في السماء الدنيا وقال الزجاج عومن التحصيل لهم أى ما كتب لهم من العذاب فهو في معنى حين ومنه قوله تعالى وما أدراك ما حين كتاب مر قوم وقيل هو من أحواله اذا أعطيته فكأنه عذاب اعطوه والاول أولى (منضود) أى تضد بعضه فوق بعض ومنه وطلع منضود أى متراكب والمراد وصف الجحش بالكثر وقيل بعضه في اثر بعض يقال تضدت المتاع اذا جملت بعضه على بعض فهو منضود ونضد أى متابع أو مجموع معه العذاب نعت لسجيل (مسومة) معللة أى التي لها علامة حال من جحارة وسوخ مجيها ن السكرة تخصيص السكرة بالوصف والتسويم العلامة قيل كان علما أمثال الخواتم قاله الحسن والسدى وقيل مكتوب على كل حجر اسم من رعى به وقال الفرزدق عوا أنها كانت مخططة بحجرة وسواد في بياض فذلك تسويها قال ابن جريج عليها أسماء لأشياء كل حجارة الارض وقال قتادة وعكرمة عليها خطوط حجر على هيئة الخبز (عند بن) أى في خزائنه أوفى حكمه وان الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم (وما هي) أى الحجارة الموصوفة وقيل العقوبة المفهومة من السياق والاول أولى لانه أقرب مذكور (من الظالمين) وهم قوم لوط (ببعيد) فانهم بظلمهم حقيق بأن عظم عليهم وفيه وعيد لكل ظالم من الظلمة ومنهم كفار قريش ومن عاصدهم على الكفر عجمه صلى الله عليه وآله وسلم وقيل الضمير للقرى أى هي قرية من طالمى مكة ممن كفر بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فانها بين الشام والمدينة يتركون بها في أسفارهم وتذكر البعيد على تأريل الحجارة بالجر أو اجرا الله على موصوف مذكر أى شئ بعيداً ومكان بعيداً ولو كونه مصدراً كالزفير والضمير والمصادر يستوى في الوصف بها المذكر والمؤنث وعن مجاهد قال يربح بها قريش ان يصيبهم ما أصابهم وعن السدى قال من ظلمة العرب لم يؤمنوا فبعدوا بها وعن قتادة قال من ظلمى هذه الامة وقدر كالمفسرون روايات وقصصا في كيفية هلاك قوم لوط بيله متخلفة وليس في ذكرها فائدة ولا سيما وبين من قال شئ من ذلك وبين هلاك قوم لوط دهر طويل لا يتيسر له في مثله اسناد صحيح وغالب ذلك ما خوذ عن أهل الكتاب وحالهم في الرواية معروف وقد أمر نابأنا لندصدقهم ولا نكتبهم فاعرف هذا فهو الوجه لحذفنا كثيرا من هذه الروايات الكاشنة في قصص الانبياء وقومهم (و) أرسلنا (الى مدين) هو اسم ابن ابراهيم الخليل ثم صار اسما للقبيلة من أولاده وهو المراد هنا وقيل هو في الأصل اسم مدينة شاهدين المذكور والتقدير الى أهل مدين قال المقرئ في الخط ان مدين أمية شعيب هم مومنين بن ابراهيم وأمه قطور البنت يقطن الكنعانة ولدت له ثمانية من الولادة سلت منهم أم مومنين على بحر فلزم تحاذي بولك على شحوت من اجل وهي أكبر من بولك وبها البئر التي استقى منها موسى اسماعيل شعيب وعمل عليها بيت قال الفرزدق مدين اسم بلد قطر والجحور على ان مدين أعجمي وقيل عربي فان كان عربيا فانه يحتمل أن يكون فعلا من مدن بالمكان أقام به وهو بناء نادر وقيل ممدل أو مفعلان دان فتحصيه شاذ وهو ممنوع الصرف على كل علم اولوا شأبت في المسجد فقال على رضى الله عنه ما أدري ما تقولان لقد صليت الى القبلة ستين سنة ثم قبل الناس وأنا صاحب

الجهاد فنزل الله عز وجل أجمعتم سقاية الحاج (٣٦٠) الآية كلها وهكذا قال السدي الا انه قال نزل على والعباس وشيبة بن عثمان
 وذكر نحوه وقال عبد الرزاق أخبرنا
 معمر عن عمرو بن الحسن قال أنزلت
 في علي وعباس وعثمان وشيبة تكلموا
 في ذلك فقال العباس ما أراني الا
 اني نازل سقاية الحاج فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أقيموا علي
 سقايكم فان لكم فيها خيرا ورواه
 محمد بن ثور عن معمر بن الحسن
 وذكر نحوه وقد ورد في تفسير هذه
 الآية حديث مرفوع فلا بد من
 ذكره هنا قال عبد الرزاق أخبرنا
 معمر عن يحيى بن أي كثير عن
 النعمان بن بشير رضي الله عنه
 ان رجلا قال ما ألي ان لا أعمل عملا
 بعد الاسلام الا ان أسقى الحاج
 وقال آخر ما ألي ان لا أعمل عملا بعد
 الاسلام الا ان أسقى المسجد الحرام
 وقال آخر الجهاد في سبيل الله
 أفضل مما قلتم فزجرهم عمر رضي
 الله عنه وقال لا ترفعوا أصواتكم
 عند من رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وذلك يوم الجمعة ولكن اذا
 صلينا الجمعة دخلنا على النبي صلى
 الله عليه وسلم فسألناه فأنزلت أجمعتم
 سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام
 الى قوله لا يستوي عند الله (طريق
 أخرى) قال الوليد بن مسلم حدثني
 معاوية بن سلام عن جده أبي سلام
 الاسود عن العبدان بن بشير
 الانصاري قال كنت عند من
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر
 من أصحابه فقال رجل منهم ما ألي
 ان لا أعمل لله عملا بعد الاسلام الا
 ان أسقى الحاج وقال آخر بل عمارة
 المسجد الحرام وقال آخر بل الجهاد في سبيل الله خيرا مما قلتم فزجرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال لا ترفعوا أصواتكم

وقال آخر بل الجهاد في سبيل الله خيرا مما قلتم فزجرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال لا ترفعوا أصواتكم

عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك يوم الجمعة ولكن اذا صليت (٣٦١) الجمعة دخلت على رسول الله صلى الله عليه

وهو قوله (مفسدين) ليخرج ما كان صورته من العتي في الارض والمراد به الاصلاح
كما وقع من الخضر في السفينة (بقيت الله) أي ما بقيد لكم من الحلال بعد ابقاء الحقوق
بالقسط (خير لكم) أي أكثر خيرا وبركة مما تقبونه لانفسكم من التطفيف والبخس
والفساد في الارض ذكر معناه ابن جرير وغيره من المفسرين وقال مجاهد بقية الله طاعته
وقال الربيع وصيته وقال الفراء امر اقبلته وقال قتادة حظكم من ربكم وقال ابن عباس
رزق الله وقيل ثوابه في الآخرة وبقيت رسم بالياء المحرورة واذ وقف عليه اضطراب الصبح
الوقت بالمحرورة والمربوطة وليس في القرآن غيرهما وانما قيل ذلك بقوله (ان كنتم
مؤمنين) لان ذلك انما يتحقق به المؤمن لا الكافر والمراد بالمؤمنين هنا المصدقون
لشعيب عليه السلام وفي البيضاوي بشرط أن تؤمنوا فان خبره يتناسب استماع النواب مع
النجاة وذلك مشروط بالايان (وما أنا عليكم بحفيظ) أحفظكم من الوقوع في المعاصي
من التطفيف والبخس وغيرهما وأحفظ عليكم أعمالكم وأحاسبكم بها وأجاز بكم عليها
وانما أنا ناصح مبلغ وقدأ عذرت حين أدبرت وأولست بحافظ عليكم نعم الله لولا أنه تم كواسوه
ضيعكم (قالوا يا شعيب أصلناك تأمرنا) مستأنفة كأنه قيل فاذا قالوا للشعيب عليه
السلام والاستقهام للانكار عليه والاستمراء به لان الصلاة عندهم ليست من الخير الذي
يقال لفاعله عند ارادة تلمين قلبه وتذليل صعبه كما يقال لمن كان كثيرا الصدقة اذا فعل
بما لا يناسب الصواب أصدقتك أمرتك بهذا وقيل المراد بالصلاة هنا القراءة قاله الامش
وقيل المراد بها الدين وقيل المراد بها الساعه ومنه المصلي الذي يتلو السابق قال الاحنف
ان شعيبا كان أكثر الانبياء صلاة فلذلك قالوا هذه المقالة وانما ذكر الصلاة لانهم ان
أعظم شعائر الدين (أن تترك ما يعبد آباؤنا) أي عبادة الأوثان وفيه ان الترك فعلهم
لا فعل شعيب وهو المأمور والانسان يؤمر بفعل نفسه فالصاف محذوف وهو التكليف
وهذا فاعله أي هل هي تأمرتك بتكليفك ايانا ترك عبادة الاصنام وهذا منهم جواب
لشعيب عن أمره لهم بعبادة الله وحده وقولهم (أو ان تفعل في أموالنا ما نشاء) جواب
له عن أمرهم بابقاء الكيل والوزن ونهيمهم عن نقصها وعن بخش الناس وعن العتي
في الارض معطوف على ما يعبد فالترك مسلط عليه وأوجعني الواو والمعنى هل تأمرتك
بتكليفك لنا ترك ان تفعل في أموالنا ما نشاء من الاخذ والاعطاء الزيادة والنقص
وهذا انما ندر مر تب وقرئ بالياء في الفعلين عطفا على مفعول تأمرتك أي أصلناك
تأمرنا ان تفعل أنت في أموالنا ما نشاء وقرئ بفعل بالنون وما تشاء بالقوية أي تفعل
فيها ما تشاء انت وندع ما تشاء نحن وما يجري به التراضي بيننا وعن ابن زيد في الآية قال
نهامهم عن قطع هذه الذنائب والدراهم فقالوا انما هي أموالنا تفعل فيها ما تشاء ان شئنا
قطعناها وان شئنا أخرقناها وان شئنا طرحنها وعن مجاهد بن كعب وزيد بن أسلم وابن
المسيب نحوه ثم وصفوه بوصفين عظيمين فقالوا (انك لانت الحليم الرشيد) عند نفسك
وفي اعتقادك ومعناه ان هذا الذي نهيته عنه وأمرته به يخالف ما يعتقده في نفسك من
الظلم والرشد وقيل انهم قالوا ذلك لعل على طريق الاستهزاء بل هو عندهم كذلك وانكروا

(٢٦ - فتح البیان ع) قوم ما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله الآية ثم أمر تعالى رسوله ان يتوعد من
أراه له وقرأه وعشيرته على الله ورسوله وجهاد في سبيله فقال قل ان كان آباؤكم أو أبناءكم أو أزواجكم وعشيرتكم وأموال

اقتربتموها في انكسبتموها وحصلتموها وتجارة (٣٦٢) تخشون كسادها وما كن ترضونها ائى تجبونها الطيبها وحسنهاى

ان كانت هذه الاشياء أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترى صور ائى قاسطروا وماذا يحل بكم من عقابه ونكاله بكم ولهذا قال حتى يأتى الله بامرهم والله لا يهدي القوم الفاسقين وقال الامام أحمد حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ابن لهعة عن زهرة بن معبد عن جده قال كاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أخذ بيد عمر بن الخطاب فقال والله يا رسول الله لانت أحب الى من كل شئ الا من نفسى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه فقال عمر فانت الآن والله أحب الى من نفسى فقال رسول الله الآن يا عمر انظر دبائرجه البخارى فرواه عن يحيى بن سليمان عن ابن وهب عن جوبة بن شريح عن ائى عقل زهرة بن معبد انه سمع جده عبد الله ابن هشام عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا وقد ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال والذي نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده والناس أجمعين وروى الامام أحمد وابوداود واللفظه من حديث ائى عبد الرحمن بن انس سائى عن عطاء الخراسانى عن نافع عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا تابعتهم بالعينه وأخذتهم بأذنان البقر ورضيتهم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذل لا ينزعه حتى ترجعوا الى دينكم وروى الامام أحمد أيضا عن يزيد بن خنوس عن

عليه الامر والنهى منه لعلهم عايخالف الخلم والرشد في اعتقادهم والمعنى انك فينا حلیم رشيد فلا يحمدك شئ عصا قومك ومخالفتهم في دينهم وقال ابن عباس يقولون انك لست بحليم ولا رشيد اى ارادوا السفيه الغاوى لان العرب قد تصف الشئ بضده فيقولون للدينغ سليم وللغلاة الملهكة مغارة وقيل هو على حقيقة وتعانوا قالوا انك على سبيل السخرية قال قتادة استمر به (قال يا قوم أرأيتم ان كنت على يمين من ربى) مستأنفة كالجمل التي قبلها والمعنى اخبروني ان كنت على بيان وحجة واضحة بصيرة وهداية من عند ربى فيما أمرتكم به ونهيتمكم عنه (ورزقنى منه) اى من فضله ونزائى ملكه ومن عنده وباعائه بلا كدمنى ولا تعب فى تحصيله (رزقا حسنا) ائى كثيرا واسعا حلالا طيبا وقد كان عليه السلام كثيرا المال والنعمة وقيل اراد بالرزق النبوة وقيل الحكمة وقيل العلم وقيل التوفيق وقيل المعرفة وقيل الهداية وجواب الشرط محذوف يدل عليه سياق الكلام تقديره أأترككم ونهيكم أو تقولون فى شائى مائقولون مما تريدون به السخرية والاستهزاء وهل يسعى مع هذه النعمة ان اخون فى وحيه وهذا الجواب شديد المطابقة بقولهم انك لانت الحليم الرشيد اى كيف يليق بالحليم الرشيد ان يخالف امر ربه وله عايه نعم كثيرة (وما أريد) ينهى لكم عن التطفيف والجس (ان اختلفكم الى ما أنتمكم) نهيتكم (عنه) فأفعله دونكم يقال خالفه الى كذا اذا قصده وهو مولى عنه وخالفته عن كذا فى عكس ذلك قال الزجاج معناه لست انهمكم عن شئ وادخل فيه انما اختار لكم ما اختار لنفسى قال ابن الانبارى بين ان الذى يدعوهم اليه من اتباع طاعة الله وترك الجس والتطفيف هو ما رضه لنفسه ولا ينطوى الاعليه فكان هذا محض الضم لهم وقال قتادة لم يكن لانهمكم عن امر وأمرتكم (ان أريد) اى ما أريد بالامر والنهى (الا الاصلاح) لكم ودفع الفساد عن دينكم ومعاملاتكم (ما استطعت) ما بلغت اليه استطاعى وعملت منه طاقى (وما توفيقى الا بالله) ائى ما صرت موفقا هاديا نبيما رشدا الا بئى الله سبحانه واقدارى عليه ومنى اياه (عليه توكلت) فى جميع أمورى التي منها أمركم ونهيكم (واليه انيب) ائى اليه ارجع فى كل ما ناجى من الامور وافوض جميع أمورى الى ما يحتملنى من قضائه وقدره وقيل معناه اليه ارجع فى الآخرة وقيل ان الانابة الدعاء ومعناه له ادعو وعن على قال قلت يا رسول الله أوصى قال قل الله ربى ثم استقم قلت ربى الله وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه انيب قال ليهنك العلم بأئى الحسن لقد شربت العلم شربا ونهلتهم نهلا أخرجه أبو نعيم فى الحلية وفى اسناده محمد بن يوسف الكديمى (ويا قوم لا يحبر منكم شقاقى) قال الزجاج معناه لا يكسبنكم والشقاق العدواة وقال قتادة لا يحبر منكم فراقى وعن السدى لا يحبر منكم عداوتى وعن مجاهد نحوه (ان يصيبكم) مفعول ثان لجبر منكم اى ان لا يكسبنكم معاداتكم لئى أن لا يصيبكم (مثل ما أصاب قوم نوح) من الغرق (أو قوم هود) من الريح (أو قوم صالح) من الجحارة وغربها (وما قوم لوط منكم يعيد) يحتمل ان يريد ليس مكانهم يعيد من مكانكم أو ليس زمانهم يعيد من زمانكم وليسوا منكم يعيد فى السبب الموجب لعقوبتهم وهو مطلق الكفر

الى حجاب عن شهر بن حوشب انه سمع عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك وهذا شاهد للذى قلده وأفرد والله أعلم لقد نمركم الله فى مواطن كثيرة يوم نحين اذا أحببتكم كثر تكلم فلم تغن عنكم شيئا وضافت عليكم الارض تبارحت ثم

وأيتم مدبرين ثم أنزل الله سبحانه على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا (٣٦٣) لهم ترها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين

وأورد لفظ بعيد مثل ما سبق وقيل بشئ بعيد كذا قدره الزخشي ومعه الشيخ وقال الزخشي يجوز أن يستوى في بعيد وقرى بوقيل وكثيرين المذكر والمؤنث ولورها على زنة المصادر التي هي كالصهيل والنهيق ونحوهما وقال قتادة إنما كانوا أحد بشئ عهد قريب بلاء كهم بعد فرح وتعود ثم بعدت عليهم بالعذاب أمرهم بالاستغفار والتوبة قتال (واستغفروا ربكم) من عبادة الاوثان (ثم يوبأ اليه) من الجس والتقصان في المكيال والميزان وقد تقدم تفسير الاستغفار مع ترقيب التوبة عليه في أول السورة (ان ربي رحيم) بالمؤمنين (ودود) للتأمين وتقدم تفسير الرحيم والمراد هنا الله عظيم الرحمة والودود الحب صيغة مبالغته من وذلك الشيء يودوا وودادوا وادادوا أي أحبه وآثره قال في الصحاح وددت الرجل أو دعه وإذا أحبته والودود والود الحبة والمشهور ودبت بكسر العين وسمع بتفتحها والودود يعني فاعل أي يود عباده ويرحمهم وقيل بمعنى مفعول يعني ان عباده يحبونه ويودون وأولاء فهم بمنزلة المواد مجازا والاول وأولى والمعنى هنا انه يفعل بعباده فعل من هو بليغ المودة بمن يود من اللطف به وسوق الخير اليه ودفع الشر عنه وفي هذا تعليل لما قبله من الامر بالاستغفار والتوبة وحله (قالوا يا شعيب ما نفقه كثير مما تقول) مستأنفة كالحل السابقة والمعنى انك تأتي بنا بما لا عهد لنا به من الاخبار بالامور الغيبية كالبعث والنشور ولا تفهم ذلك كما تفهم الامور الحاضرة المشاهدة فيكون نفي الفقه على هذا حقيقة لا مجازا وقيل قالوا ذلك اعراض عن سماعه وايدنا بقوله المبالاة به واحتقار الكلام مع كونه مفهوما لديهم مع ما علموا عندهم فلا يكون نفي الفقه حقيقة بل مجازا يقال نفقه بفتح فقه اذا فهم فقهها وفقها وحكى الكسائي فقهنا نأوي يقال فقهه فقهها اذا صار فقهها (وانا لثرفيضا ضيعفا) أي لا قوة لك تقدر بها على ان تمنع نفسك منا وتتمكن بها من مخالفتنا أو مهيننا لاعتراك وهذا قريب من الاول وقيل المراد انه ضعيف في بدنه قاله علي بن عيسى وقيل انه كان مصابيا بصره قال النحاس وحكى أهل اللغة ان جبير يقول للاعشى ضعيف أي قد ضعف بذهاب بصره كما يقال له ضري رأي قد ضرب بذهاب بصره وقال الزجاج الاعشى يسمى ضعيفا عن سعيد بن جبير قال كان أعشى وانما عشى من بكائه من حب الله عز وجل وعن شداد بن أوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بني شعيب عليه السلام من حب الله حتى عشى أخرجه ابن عساكر والواحدى وقال السدي منها إنما أنت واحد وقال علي كان مكفورا فانسبوا الى الضعف وقيل الضعيف العاجز عن الكسب والتصرف وقال الحسن ومقاتل يعني ذليلا والاول أولى ويدل لاحتجازه قوله (ولولا رطلك) رطل الرجل جماعته وعشيرته الذين يستند اليهم ويتقوى بهم ومنه الراطل بحر البروع لانه يتوق به ويختبأ فيه وللهو الرطل والراطل يقع على الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة قاله الزخشي ولا يقع الرطل والعصبة والنفر الا على الرجال ويجمع على أرطط وأرطط على أرطط وانما جعبه أرططه ما نعتس ابقاع الضرب به مع كونهم في قلة والكتفار أو لمؤلفة لانهم كانوا على دينهم فتركوا احترام ما لهم لاحقوا منهم وقال علي فوالله الذي لا لا غير ما هو اجلال ربهم ما هو الا العشرة (لرجلناك)

ثم يوبأ الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم قال ابن جرير عن مجاهد هذه أول آية نزلت من برائة تذكرك تعالى للمؤمنين فضله عليهم واحسانه لديهم في نصره اياهم في مواطن كثيرة من غزواتهم مع رسوله وان ذلك من عنده تعالى وبأيديه وتقديره لا بعدد ولا بعدد دم ونههم على ان النصر من عنده سواء قل الجمع أو كثر فان يوم حنين أعجبهم أكثرتهم ومع هذا ما أجدي ذلك عنهم شيئا فولوا مدبرين الا التلبيس منهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أنزل نصره وتأييده على رسوله وعلى المؤمنين الذين معه كما سنبينه ان شاء الله تعالى مفضلا ليعلمهم ان النصر من عنده تعالى وحده وبأيداه وان قل الجمع فكهم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وقد قال الامام أحمد حدثنا وهب بن جرير حدثنا أي سمعت يونس يحدث عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الصحابة أربعة اثنا عشر ألفا من تغلب اثنا عشر ألفا من وهب بن جرير حدثنا والترمذي ثم قال هذا حديث حسن غريب جدا لا يسند أحد غير جرير ابن حازم وانما روى عن الزهري عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسل لا وقد رواه ابن ماجه والبيهقي وغيره عن أكرم بن الجون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه والله أعلم وقد كانت وقعة حنين بعد فتح مكة في شتاء سنة ثمان من الهجرة وذلك لما فرغ صلى الله عليه وسلم من فتح مكة وتهدأت امورها وأسلم عامة أهلها وأطلقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغه ان هوازن جعلوا ليقا تاهوان أميرهم مالك بن عوف النصري ومعه ثقيف بكالها وبنو جشم وبنو سعد بن بكر

شلت سنة ثمان من الهجرة وذلك لما فرغ صلى الله عليه وسلم من فتح مكة وتهدأت امورها وأسلم عامة أهلها وأطلقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغه ان هوازن جعلوا ليقا تاهوان أميرهم مالك بن عوف النصري ومعه ثقيف بكالها وبنو جشم وبنو سعد بن بكر

واوراع من بني هلال وهم قليل وناس من بني (٣٦٤) عمرو بن عامر وعمر بن عامر وقد اقبلوا معهم النصارى والولدان والشاة والنم

أى القتل بالبخار والرجم بالحجارة أسوأ القتل وأشهرها وقيل معناه لقتلنا
لك القول والاول أظهر ثم أكسدا وأما وصفه من الضعف بقولهم (وما أنت علينا
بعزيز) أى كريم مكرم معظم حتى تكفى عنك لاجل عزك ومنعك عن ذابل تركك
رجلك لعزة رهطك علمنا ما وقفتم لنا فى الدين لا لقوة شوكتهم (قال يا قوم أرطى أعز
عليكم من الله) مستأنفة وإنما قال من الله ولم يقل منى لاني العزة عنه وإنشاء القوم
كابدل عليه إبله الضمير حرف التثنية استأنف به والاستمارة بآباء الله استأنف الله عز وجل
فقد تضمن كلامهم أن رهطه أعز عليهم من الله فاستكثر ذلك عليهم ونجس منه وأزغهم
مالا يخص لهم عنه ولا يخرج لهم منه ضرورة الاستفهام وفى هذا من قوة الحاجة
ووضوح المجادلة والقام انهم الحجة لا ينجى والضمير فى (واخذتموه) راجع الى الله
سجانه والمعنى واخذتم الله عز وجل بسبب عدم اعتدادهم بنبيه الذى أرسله اليكم
(وراءكم ظهريا) أى منبذوا وراء الظهر لا بالتون به وقيل المعنى واخذتم أمر الله الذى
أمرني يا بلاغهم اليكم وهو ما جئكم به وراى ظهوركم كالشيء الملقى الذى لا يلتفت اليه
يقال جعلت أمره يظهر اذا قصرت فيه وظهر ما ينسب الى الظاهر والكسر من تغييرات
التب والقياس فخرج الظاهر كما قالوا فى أمسى بكسر الهمزة وفى دهرى بضم
الدال قال مجاهد بنديتم أمره وقال قتادة لا تخافونه وقال الخليل تهاونتم به وقيل ان
الضمير يعود الى العاصيان أى واخذتم العاصيان عونا على عداوتى فالظهور على هذا
بمعنى المعين القوى (ان ربى بآعماله محيط) لا ينجى عليه شئ من أفعالكم ولا أفعالكم
فيجازيكم به يوم القسامة (ويا قوم اعلموا على مكانتكم) لما رأى اصرارهم على الكفر
ونصمهم على دين آبائهم وعدم تأثير الموعظة فيهم نوعد بهم بأن يعملوا على غاية تمكينهم
ونهاية استطاعتهم يقال مكن مكانة اذا تمكن أبلغ تمكن (الى عامل) على حسب ما يمكن
وقدره الله ثم بالغ فى التهديد والوعيد بقوله (سوف تعلمون) أى الجاني على نفسه
الخطي في فعله وتعلمون عاقبة ما أنتم عليه من عبادة غير الله والاضرار بعباده وقد تقدم
مثله فى الانعام قال الزمخشري وصل سوف تارة القاء تارة الاستئناف كما هو عادة اللفظ
من العرب وأقوى الرسلين وأبلغها الاستئناف لأنه كمل فى باب القسامة والتهويل
أى يعنى حذف الفاء هنا لأنه جواب سائل هو المسمى فى علم البيان بالاستئناف الثاني
كان فائلا قال فاذا يكون بعد ذلك فهو أبلغ فى التهويل (من بآياته عذاب يجزيه) أى
سوف تعلمون من هو الذى بآياته العذاب الجزى الذى يثأر عنه الذل والفضيحة والغار
(ومن هو كاذب) فى زعمكم ومن هو المعذب فيه تعر بض بكذبهم فى قولهم لو لا رهطك
لرجناك وما أنت علينا بعزيز وقيل التقدير من هو كاذب فيعلم كذبهم بيقين وبال أمره
(وارتقبوا الى معكم قريب) أى انتظروا الى معكم منتظرا لما يقضى به الله شيئا (ولما جاء
أمرنا) بعد آياتهم أو عذابنا (نحيبنا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا) لهم بسبب إيمانهم
أو بآياتهم للإيمان (وأخذت الذين ظلموا) غيرهم بما أخذوا من أموالهم بغير وجه وظلموا
أنفسهم بالصميم على الكفر (الصيحة) التى صاح بها جبريل حتى خرجت أرواحهم من

وجاءوا بفصيحهم وفصيحهم فخرج اليوم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جيسه
الذى جاء معه الفصح وهو عشرة آلاف
من المهاجرين والانصار وقبائل العرب
ومعه الذين آمنوا من أهل مكة
وهم الطلقاء فى الفين فصار بهم الى
العدو فالتقوا فى واديين مكة والطائف
يقال له حنين فكانت فيه الوقعة فى
اول النهار فى غلس الصبح اتخدروا فى
الوادى وقد كنت فيه هوان فلما
تواجهوا لم يشعر المسلمون الا بهم قد
بادروهم فرهبوا بالنبال وأصلحوا
السوف وجعلوا رجل واحد كما
أمرهم ربكم فعند ذلك ولّى المسلمون
مديرين كما قال الله عز وجل وثبت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
راكب يومئذ بقلته الشمامسة وقها الى
خبر العدو والعباس عنه أخذ خبر كل
الايين وأوسقيا بن الحارث بن عبد
المطلب أخذ خبر كعب بن الاشعر
يثقلانها لئلا تسمع السيرة وهو
يومئذ باسمه عليه الصلاة والسلام
ويعود المسلمين الى الرجعة أين
باعداد الله الى أن أرسل الله ويقول
فى تلك الحال أنا الذى لا كذب أنا
ابن عبد المطلب وثبت معه من
أصحابه قريب من مائة ومنهم من
قال عاشت فقام أبو بكر وعمر رضى
الله عنهم والعباس وعلى والفصل
ابن عباس وأبو سفيان بن الحارث وأمين
ابن أم أمين وأسامة بن زيد وغيرهم
رضى الله عنهم ثم أمر صلى الله عليه
وسلم عبد العباس وكان جبر الصوت
ان ينادى بأعلى صوته بأصحاب
الشجرة يعنى شجرة بعة الرضوان
الى تابعه المسلمون من المهاجرين
والانصار فاحتما على ان لا يشروا عنه ففعل
يقولون يا بيلك يا بيلك وانظف الناس قترا حوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ان الرجل منهم اذا لم يطاوعد بغيره على الرجوع

لبن دره ثم التجرد عنه وأرسله ورجع نفسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣٦٥) فلما اجتمع شريعة منهم عند رسول الله صلى

الله عليه وسلم أمرهم عليه السلام أن
يصدقوا الحجة وأخذ قبضة من التراب
بعد ما دعا به واستصره وقال اللهم
انجز ما وعدتني ثم رى القوم بها
فجاثق الناس منهم الأصابع منها في
عينه وفيه ما شغله عن القتال ثم
انهمزوا فأتبع المسلمون أقصاهم
يقتلون في يأسرون ومات راجع بقية
الناس الأولى الأسرى مجندة بين
يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال الامام أحمد حدثنا علقمان
حدثنا جابر بن سلمة أخبرنا يعلى بن
عطاء عن عبيد الله بن يسار عن أبي
همام عن أبي عبد الرحمن الفهري
واسمه يزيد بن أسيد ويقال يزيد بن
أنيس ويقال كز قال كنت سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في
غزوة حنين فسرنا في يوم فأنزلنا شيد
الحرقن لنا تحت ظلال الشجر فلما
زالت الشمس لبست لائتي وركبت
فرسي فانطلقت إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو في فسطاطه
فقلت ألسلام عليك يا رسول الله
ورجعة الله وبركاته حان الروح فقال
أجل فقال يا بلال فائرس تحت شجرة
كان ظله ظل طائر فقال ليسك
وسعديك وأناد أولك فقال أنرج
لي فرسني فأخرج سر جادته من ليف
لبس فيها أسروا ولا تطرقوا فأسرج
فركب وركبنا فاصفا فنهضنا عشيتنا
ولمينا فتشامت الخيلان فولى
المسلمون مدبر بن كمال الله تعالى
ثم وليته مدبر بن فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا عباد الله أنا عبد الله
ورسوله ثم قال يا معشر المهاجرين أنا
عبد الله ورسوله قال ثم اتفقتم عن فرسه

أجسادهم وفي الأعراف فأخذتهم الرجفة وكذا في العنكبوت وقد قدمنا ان الرجفة
الزلازل وانها تكون تابعة للصيحة لتوحيق الهوام المقتضي لها وهذي في أهل قرته وما
أعجاب الأيكة فأهلكوا بعذاب القلابة وهو نار زلت من السماء أحرقتهم (فأصبحوا في
ديارهم جاثقين) يعني يباركين على التركيب وقد تقدم تفسيره وتفسير (كان لم يغفوا فيها) قريبا
وكذا التفسير (الإبعاد المدين كما بعدت غود) قال المهدي بن ضم العين بن بعدت فهي لغة
تستعمل في الجبر والنسب وبعدت بالكسر على قراءة الجوهري تستعمل في الشرح خاصة وهي
هنا بمعنى اللعنة وقيل بكسر العين بمعنى الهلاك وبضمها ضد القرب والمصدر البعد بفتح
العين والمعنى هلاكهم كما هلكت غود والتشبيه من حيث ان هلاك كل بالصيحة قال
ابن الأثير من العرب من يسوي بين الهلاك والبعد الذي هو ضد القرب قيل لم يعذب
أكثر من قط بعذاب واحد الا قوم شعيب وقوم صالح فاما قوم صالح فأخذتهم الصيحة من
تحتهم وأما قوم شعيب فأخذتهم الصيحة من فوقهم (ولقد أرسلنا موسى) هذه سابعة
قبص ذكرت في هذه السورة وقد تقدم قصته فوحي وهو دوصالح وابراهيم ولوط ومدبر على
هذا الترتيب وهذه قصة موسى (يا أيها الذين آمنوا) أي بالتوراة حال كونه ملتصبا بها (وسلطان
مبين) أي المجزأت الباهرات وقيل المراد بالآيات هي التسع المذكورة في غير هذا
الموضع منها أعني في الأعراف والتاسعة في توبس وليس من الآيات المرادة هنا التوراة
لأنها أثارت بعد أخراق فرعون وقومه والسلطان العصا وهي وان كانت من التسع لكنها
لما كانت أعظم الآيات وأظهرها للعقول وأشد هاخر فالعادة أفردت بالذكر وقيل المراد
بالآيات ما يقيد النظر والسلطان ما يقيد القطع مما جاء به موسى وقيل هما جميعا عبارة
عن شيء واحد أي أرسلناه بما يجمع وصف كونه آية وكونه سلطانا وبقيل ان السلطان
المبين ما أورده موسى على فرعون في المحاور بينهما (الفرعون وملئه) أي أرسلناه
بذلك إلى هؤلاء وقد تقدم ان الملا أشرف القوم وأعلاهم بالذكريون سائر القوم
لأنهم أتباع لهم في الإصدار والإيراد وحس هؤلاء الملادون فرعون بقوله (فأصبحوا
أمر فرعون) أي أمرهم بالسكفر لان حال فرعون في الكفر أمر واضح اذ كفر قومه
من الإشراف وغيرهم انما هو مبتدئ الكفر ويجوز ان يراد بأمر فرعون شأنه
وطريقه في الكفر وغيره (ومأمر فرعون برشيد) أي ليس فيه رشد قط بل هو غي
وضل والرشيد بمعنى المرشد والاسناد مجازي أو بمعنى ذي رشد وفيه تعريض بأن الرشد
في أمر موسى (يقدم قومه) تعليل الثاني قبله من قدمه بمعنى تقدمه أي يصير متقدما لهم
(يوم القيامة) وسابقا لهم إلى عذاب النار كما كان يتقدمهم في الدنيا (فأوردتهم النار)
أي أنه لا زال متقدما لهم وهم يتبعونه حتى يوردتهم النار في الآخرة والورود الدخول
وأوردتهم النار لفظا مستقبلا معنى لأنه عطف على ما هو موصوف في الاستقبال وغير بالماضي
تنهيا على جهة وقوعه والهمزة في أو ردلتعدي لانه قبلها يتعدى لواحد قال تعالى ولما
وردنا مدبرين وقيل بل هو ماض على حقيقته وهذا قد وقع وانفصل وذلك أنه أوردهم
في الدنيا النار قال تعالى النار يعرضون عليها وقيل أوردتهم موجباتها وأسبابها وفيه بعد

فأخذ كفامن تراب فأخبرني الذي كان أدنى الهمي انه ضرب به وجوههم وقال شاعت الوجوه فنهضهم الله تعالى قال يعلى بن عطاء
فحدثني أنسواهم عن أبيهم انهم قالوا الميرق من أجد الامتلات عيناه وفيه ترابا ومعها صلابة بين السماء والارض كما هو الحال في

على الطلث الحديد وكذا رواه الحافظ (٣٦٦) البيهقي في دلائل النبوة من حديث أبي داود الطيالسي عن جابر بن سلمة بن وهب قال سمعت

ابن اسحق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه جابر بن عبد الله قال نخرج ماله بن عوف بن معه الى حنين فسبق رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه فاعدوا وتهيؤوا في مضائق الوادي واحناؤه وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى انخط بهم الوادي في غمابة الصبح فلما انخط الناس ثارت في وجوههم انجيل فاشتدت عليهم وانكفأ الناس متوزمين لا يقبل أحد على أحد وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمن يقول أيها الناس هلموا الي أنا رسول الله أنا رسول الله أنا محمد بن عبد الله فلا شيء وركبت بعضها بعضا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس قال يا عباس اصبر خيام عشر الاصابا يا أصحاب السيرة قأ جاؤوا ليس لي لك جعل الرجل يذهب ليعطف بعبه فلا يقدر على ذلك فنفذ درعه في عنقه وياخذ سقه وقوسه ثم يرمي الصوت حتى اجتمع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مائة فاستمرض الناس فاقبلوا وكانت الدعوة أول ما كانت بالانصار ثم جعلت آخر الانحاز وكنوا صبرا عند الحرب وأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركابه فظفر الى مجتد القوم فقال الآن حي الوطيس قال فوالله ما راجعه الناس الا و اسارى عنده رسول الله ملقون فقتل الله منهم من قتل وانهم من منهم ما انهم و افا الله على رسوله أموالهم وأبناءهم وفي الصحيحين من حديث شعبة عن أبي اسحق عن البراء بن عازب رضي الله عنهم ان رجلا قال يا أبا عارة أفررت عن

لاجل العطف بالقاء قال قتادة يعني فرعون بن أبي قومه حتى يجمعهم بهم على النار قال الخنابجي وأما لهم النار منزلة الما فمضى اتياها وروى قال اناراسته تعار تكتنية تم كنية للصد وهو الماء وانبات الورود لها تخيل ثم ذم الورد الذي أورد لهم اليه فقال (وبش الورد المورود) أي المدخل المدخول فيه الذي ورد له لان الوارد الى الماء الذي يقال له الورد انما يريد ليعطى حر العطش ويذهب ظمأه والنار على ضد ذلك والورد يكون مصدرا بمعنى الورد فلا بد من حذف مضاف تقديره وبش مكان الورد المورود وهو النار وانما احتج الى هذا التقدير لان تصادق فاعل نعم وبش ومخصوصهما شرا فلا يقال نعم الرجل الفرس ثم ذمهم بعد ذم المكان الذي يردونه فقال (وأستعوا) أي أتبع قوم فرعون مطلقا أو المالا خاصة أو هم وفرعون (في هذه) الدنيا (لجنة) عظيمة أي طر داوا بعد ادا من الامم بعدهم (و) اتبعوا الجنة (يوم القيامة) يلعنهم أهل المحشر جميعا ثم ان جعل الجنة بعد ذمهم لهم على طريقة التكم فقال (بش الرغد المرفود) أي العون المعان او العطاء المعطى قال الكسائي وأبو عبيد قذفته أرفده رقد أغمسته وأعطيته واسم العطية الرغد أي بش العطاء والاعانة مأطوهم اياه وأعانواهم به والمخصوص بالذم محذوف أي رقدهم وهو اللعنة التي اتبعوها في الدنيا والآخرة كأنهم اللعنة بعد لعنة غد الاخرى الاولى وتوذيها وسببت اللعنة غوانا انما اذا سمعتم في الدنيا بعدتكم عن رحمة الله وأعانكم على ما هم فيه من الضلال وسببت رقد أي عوانا هذا المعنى على التكم والافاللعنة اذلال لهم واتزال بهم الى الخيض الاسفل وسببت معانانا لانها أرفدت في الآخرة بلعنة أخرى لتكونا هاديتين الى طريق التحيم وذكر الماوردي حكاية عن الاصمعي ان الرغد بالفتح القدح والكسر ما فيه من الشراب فكانه ذم ما يستقونه في النار وهذا أنسب بالمقام وقيل ان الرغد الزيادة أي شمسما يردونه به بعد الغرق وهو الزيادة قاله الكلبي وأصل الرغد العون والعطاء والاصلة والارفاذ أيضا الاعطاء والاعانة قال أبو السعد وقد فرس الرغد بالعطاء ولا يلاعه المقام وأصل ما يضاف الى غيره لعمده (ذلك) أي ما قصه الله سبحانه في هذه السورة من القصص السبعة (من أنباء القرى) أي من أخبار الامم السالفة والقرون الماضية وما فعلوه بانبيائهم (نقصه عليكم) أي حرمه خصوص عليكم لتعزبه قومك لعلمهم يعتبروا وقد تقدم تحقيق معنى القصص (منها) أي من القرى التي أهلكت أهلها (فأثم وحصيد) القائم ما كان قائما على عروشها وحصيد ما لا أثر له وقيل القائم العامر والحصيد الخراب وقيل القائم القرى الخاوية على عروشها والحصيد المستأصل بمعنى محصود شمه ما بقي من آثار القرى بالزرع القائم على ساقه وشبهه المقطوع والمعنو منها بالحصيد قال ابن عباس يعني قرى عامر وقرى خاودة قال قتادة قائم يرى مكانه وحصيد لا يرى له أثر وقال ابن جرير قائم خاوة على عروشها وحصيد ملصق بالارض والمعنى بعضها باق وبعضها عاف والجملة مستأنفة استئنافا بيان لا لانه لما ذكر أنباء القرى اتجه لسائل ان يقول ما حال هذه القرى باقية آثارها أم لا (وما ظلمناهم) بما فعلناهم من ايعذاب والاهلاك (ولكن ظلموا أنفسهم) بأن جعلوها عرضة لاهلاك باقتراف ما يوجب

رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفران حوازن كانوا قواما رماة فلما لقيناهم من وجعلنا عليهم انهم زوا فاقبل الناس على الغنائم فاستقبلوا بالسهم فأنهم الناس فلقدر أيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابوسفان

ابن الحرث أخذ يلجام بغلته البيضاء وهو يقول أما النبي لا كذب أنا

قلت وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة

التي التامة في مثل هذا اليوم في حومة
الوحي وقد انكشف عنه جسده وهو مع
هذا على بغلته ليست سرقة الجري
ولا صلح لقرولا أكر ولا الهرب وهو مع
هذا أياض كضها إلى وجوههم
ويومئذ لم يعرفه من لم يعرفه
صاوات الله وسلامه عليه دائما إلى
يوم الدين وما هذا كله الا نقية بالله
ونو كلاله وعلمانه بأنه سنضمره
ويتم أمره له وبظهره به على
سائر الأبدان ولهذا قال تعالى ثم
أنزل الله سكنته على رسوله أي
طما ننته ونماته على رسوله وعلى
المؤمنين أي الذين معه وأنزل
جنود الم تر وهاهم الملائكة كما
قال الامام أبو جعفر بن جرير حدثني
الحسن بن عرفة قال حدثني المعتمر بن
سلمان عن عوف هو ابن أبي جيلة
الاعرابي قال سمعت عبد الرحمن بن مولى
أمر بن حدثني رجل كان مع
المسكين يوم حنين قال لما التقينا
نحن وأصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم حنين لم يقموا لنا
حلب شاة قال فلما كشفناهم جعلنا
نسوقهم في آثارهم حتى انتهينا إلى
صاحب البغلة البيضاء فآذاهو
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
فتلقا ناعمد رجا ل بعض حسان
الوجه فقال لنا شاة الوجه ورجعوا
قال فأنه مناور كبير الكفاة فكانت
أنا وهو قال الحافظ أبو بكر البيهقي أنبأنا
أبو عبد الله الحافظ حدثني محمد بن
أحمد بن بابويه حدثنا إسحاق بن
الحسن الحلي حدثنا عفا بن مسلم
حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا
الحرث بن حصيرة حدثنا القاسم بن

من الكبر والمعاصي فما أغنت عنهم آياتهم أي فادفعت عنهم أصنامهم وأمانعت
قوله أبو عامر (التي يدعون) يعبدونها (من دون الله) أي غيره (من شيء) أي شيامن
الغدا وبأس الله ومن زائدة (لما جاء) أي حين جاء (أمر ربك) أي عذابه (وما زادهم
غير تبين) أي هلاك وخسران قال ابن عمر أي هلكه وقال ابن زيد أي تحسير وقيل
تدمير والتبنيب اسم من تبنيب التبديد وتبنيب الله بالكسر خسرت كناية عن الهلاك
وسأله أي دلا كما استتب الأمر تبنا وبستعمل لازما متعديا يقال تبنيب غيره وتبنيب هو
نفسه والمعنى ما زادتهم أصنامهم التي يعبدونها الأهللاك وخسرانا وقد كانوا يعتقدون
أنهم انعمهم على تحصيل المنافع ودفع المضار (وكذلك) أي مثل ذلك الأخذ (أخذ ربك)
فري على أنه فعل وعلى أنه مصدر (ان أخذ القرى وهي ظالمة) أي أهلها وهم ظالمون
بالذنوب فلا يغني عنهم من أخذهم شيء (ان أخذته) عقوبته للكافرين (ألم شديد) أي
موجب غليظ على المخوف وهو مبالغة في التهديد والتخدير أخرج البخاري ومسلم
وغیره عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله
سبحانه وعلى لبي للظالم حتى إذا أخذهم بقلبيهم ثم قرأ وكذلك أخذ ربك الآية ولا تظن
ان الآية حكمها تخص بظالمى الامم الماضية بل هو عام في كل ظالم ويعضده الحديث
(ان في ذلك) أي أخذ الله سبحانه لاهل القرى أوفى القصص السبعة التي قصها الله على
رسوله (الآية) لعمرة وموعظة لأن القصص المذكورة فيها عذاب الدنيا وعذاب الآخرة
وقد حصل الاول فيعلم العاقل ان القادر على ازال الاول قادر على ازال الثاني (لكن خاف
عذاب الآخرة) لانهم الذين يعتبرون بالعبر ويعتقلون بالمواعظ قال ابن زيد يقول أنا
سوف نفي لهم عاودناهم في الآخرة كما وقينا للأنبياء ان انصرفهم (ذلك) أي يوم
القيامة المدلول عليه بذكر الآخرة (يوم مجموع له) صفته ليوم جرت على غير من هي له
فلذلك رفعت الظاهر وهو (الناس) من الاولين والآخرين للحاسنة والمجازاة (وذلك)
أي يوم القيامة (يوم مشهد) يشهده أهل المحشر وأمشهد وفيه خلائق أو يشهده أهل
السماء والارض فأنشع في الطرف باجرائه مجرى المفعول (وما تؤخره) أي ذلك اليوم
(الا لاجل) اللام للتعليل أي لانها أجل أي وقت (معدود) معلوم بالعدد لا يعلمه الا الله
وهو مدة الدنيا وقد عدى سبحانه وقوع الجزاء بعد موعدة أي السعود الا لا انقضاء مدة
قليلة مضروبة بحسب جاقته تنضيه الحكمة (يوم) حين (يأت) يوم القيامة وقيل الضمير لله
تعالى كقوله الآن بأنهم الله أو يأتي ربك (لا تكلم) أي لا تسكلم فيه (نفس) بما ينفع
ويغني من جواب (الآبانه) أي بما أن لها من الكلام وقيل لا تكلم بحجة ولا شفاعة
الآبانه سبحانه لها في التكلم بذلك كقوله لا يسكلمون الا من آذن له الرحمن وقوله تعالى
من ذا الذي يشفع عنده الا بانه وقد جع بين هذا وبين قوله يوم تأتي كل نفس تجادل
عن نفسها وقوله اخبار عن حجة الكفار ربنا ما كما مشركين وقوله هذا يوم لا يغنون
ولا يؤثرون لهم فيعتبرون باختلاف أحوالهم باختلاف مواقيف القيامة وقد تكرر مثل

عبد الرحمن عن أبيه قال قال ابن مسعود رضي الله عنه كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فولى عنه الناس وبقيت
معه في ثمانين رجلا من المهاجرين والأنصار قد ساءلواهم الدبر وهم الذين أنزل الله عليهم السكينة قال ورسول الله صلى الله عليه

وسلم على بقلته البيضاء يمضي قدما فاذن بقلته (٣٦٨) قال عن السرج فقلت ارفع رقعك الله قال ناولني كفا من التراب فناولته

هذا الجمع في مواضع وقد اشتملت هذه الآية على ثلاثة أنواع من البديع الجمع في قوله لا تكلم نفس والتعريق في قوله فهم شقي وسعدو والتقسيم في قوله فالما الذين شقوا (فمنهم) أي من الانفس أو من أهل الموقف وان لم يذكر وا قال الزمخشري لان ذلك معلوم ولان قوله لا تكلم نفس يدل عليه وكذا قال ابن عطية (شقي) هو من كبت عليه الشقاوة (وسعيد) أي من كبت له السعادة وقد عديم الشقي على العبد لان المقام مقام تحذير أخرجه الترمذي وحسنه وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه عن عمر بن الخطاب قال لما نزلت ففهم شقي وسعيد قلت يا رسول الله فعلمت فعمل على شيء فقد فرغ عنه أو على شيء لم يفرغ عنه قال بل على شيء قد فرغ عنه وحررت به الاقدام يا عمر ولكن كل ميسر لما خلق له وقد استدل بهذه الآية على ان أهل الموقف قسمان لان ثالثيهما وظاهر الآية هو الحديث يدل على ذلك لكن في قسم آخر مستكوت عنه وهو من استوت حسنة وسيائة ولا حسنات لهم ولا سيئات كالحجابين والاطفال فيهم تحت منسبته يحكم فيهم عشاء وتخصيص القسمين لا يتبقى القسم الثالث (فالما الذين شقوا) أي الذين سبقت لهم الشقاوة في علمه تعالى وهم الذين يورثون على الكفر وان تقدم منهم ايمان (قفي النار) أي فسحقون فيها (لهم فيها زفير وشهيق) قال الزجاج الزفير من شدة الانين وهو المرتفع جدا قال وزعم أهل اللغة من البصريين والكوفيين ان الزفير بمنزلة اشد اصوات الجبر والشهيق بمنزلة آخره وقيل الزفير للجمار والشهيق للبقول وقيل الزفير اصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف وقيل الزفير اخراج النفس والشهيق ردها وقيل الزفير من الصدر والشهيق من الحلق وقيل الزفير زبد النفس في الصدر من شدة الخوف حتى تنفخ منه الاضلاع والشهيق النفس الطويل الممتدا ورد النفس الى الصدر والمراد به الدلالة على شدة كربهم وغمهم ونشيبه حالهم من استوت الحرارة على قلبه وانحصر فيسهر وجهه وقال البيهقي الزفير ان يملأ الرجل صدره بال كونه في الغم الشديد من النفس ويخرج به والشهيق ان يخرج ذلك النفس وهو قريب من قولهم تنفس الصعداء والجملة امامه سبأ فقه وأحالة (خالدين) لابئين (فيها) أي في النار (مادامت السموات والارض) ما مصدرية أي مدة دوامهما في الدنيا وهذه المدة غير ماريته الله تعالى لانها لا تملك له ودامت هنا تامة لانها بمعنى بقيت وقد اختلف العلماء في شأن معنى هذا التوقيت لانه قد علم بالادلة القطعية تأيد عذاب الكفار في النار وعدم انتفاعهم عنهم وثبت أيضا ان السموات والارض تذهب عند انقضاء أيام الدنيا فقلت طائفة ان هذا الاخبار جارية ما كانت العرب تعتاده اذا أزداد المالك في دوام الشيء قالوا هو دائم مادامت السموات والارض ومنه قوله لم لا تدرك ما بين الليل وما احتلت الليل والنهار وما تاج الحاموش وذلك فيكون المعنى انهم خالدون فيما أبدل الانتفاع لذلك ولا انتهاء له وقيل ان المراد سموات الآخرة وأرضها فقد دور وما يدل على ان الآخرة سموات وأرضها غير هذه الموجودة في الدنيا وهي دائمة دوام دار الآخرة وأيضا لا بد لهم من موضع يقبلهم وآخر يظلمهم وهذا أرض وسعها قال ابن عباس لكل جنة أرض وسعها

وسلم على بقلته البيضاء يمضي قدما فاذن بقلته (٣٦٨) قال عن السرج فقلت ارفع رقعك الله قال ناولني كفا من التراب فناولته قال فضربت به وجوههم فامتلأت أعينهم ترابا قال ابن الميائون والاضرار قلت هم هناك قال اهتف بهم فاهتفت بهم جفا وأوسيو ففهم بأنهم كانوا المشبه وولي المشركون أدبارهم ورواه الامام أحمد في مسنده عن علقان بن بختوم وقال الوليد بن مسلم حدثني عبد الله بن المبارك عن أبي بكر الهذلي عن عكرمة مولى ابن عباس عن شيبة بن عثمان قال لما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قد عرى ذكرت أبي وعجى وقتل على وحشة اياهما فقلت اليوم أدرك نارى منه قال فذهبت لاجنبه عن عيبيه فاذا أنا بالعباس بن عبد المطلب فأنا عليه درج بيضاء كأنها فضة يكشف عنها الحجاب فقلت عمه ولن يحذله قال فحقتة عن يساره فاذا أنا بأبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب فقلت ابن عمه ولن يحذله فحقتة من خلفه فليبق الا ان اسوره سورة السيف اذ رفع لي شواط من نار يريق ويثبه كأنه يريق خفت ان يحمشني فوضعت يدي على بصري ومشيت القهقري فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا شيبة يا شيبة اذن مني اللهم اذهب عنه الشيطان قال فرفع يديه بصري ولهوا حب الى من سمعي وبصري فقال يا شيبة قاتل الكفار رواه البيهقي من حديث الوليد فذكره ثم زوى من حديث أبي بن جابر عن صدقة بن سعيد عن مصعب بن شيبة عن أبيه قال خرجت مع رسول الله صلى

وروى نحوه عن السدي والحسن (الامام شريك) قد اختلف أهل العلم في معنى هذا الاستثناء على اقوال الاول انه من قوله في التاركاته قال الامام شريك من تأخير قوم عن ذلك روى هذا عن أبي سعيد الخدري الثاني ان الاستثناء انما هو للعصاة من الموحدين وانهم يخرجون بعد مدتهم النار وعلى هذا يكون قوله سبحانه فاما الذين همقوا عما في الكفر والعصاة ويكون الاستثناء من خالدين ويكون ما جمع في من وبهذا قال قتادة والبخاري وأبو سنان وغيرهم قال البضاوي هو استثناء من الخلود في النار لان بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف في صحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهم المرادون بالاستثناء الثاني فانهم مفارقون عن الجنة أيام عذابهم فان التأنيذ من مبدء معين ينتقص باعتبار الابتداء كما ينتقص باعتبار الانتهاء وهو لان شقوب انعصا بهم فقد سعدوا بايعانهم انتهى وقد ثبت بالاحاديث المتواترة بواثر ازيد العلم الضروري بأنه يخرج من النار أهل التوحيد فكان ذلك خصصا لكل عموم الثالث ان الاستثناء من الرقيق والشهيق أي لهم فيه ذلك الامام شريك من أنواع العذاب غير الرقيق والشهيق قاله ابن الانباري الرابع ان معنى الاستثناء أنهم خالدون فيها مادامت السموات والارض لا يموتون فيها الامام شريك فانه يأمر النارقا كلهم حتى يقفوا ثم يجدد الله خلقهم روى ذلك عن ابن مسعود الخامس ان الاعمى سوى ولكن والاستثناء منقطع والمعنى مادامت السموات والارض سوى ما يتجاوز ذلك من الخلود كانه ذكر في خلودهم ما ليس عند العرب أطول منه ثم زاد عليه الدوام الذي لا آخر له حكمه الزجاج السادس ما روى عن الفراء وابن الانباري وابن قتيبة من ان هذا لا ينافي عدم المشيئة بقولك والله لا ضرر به الا ان أرى غير ذلك ونوقش هذا بان معنى الآية الحكم بخلودهم الا المدة التي شاء الله فالمشيئة قد حصلت جرما وقد حكي هذا القول الزجاج أيضا السابع ان المعنى خالدين فيها مادامت السموات والارض الامام شريك من مقدار موقعهم في قبورهم وللعباس حكمه الزجاج أيضا الثامن ان المعنى خالدين فيها الامام شريك من زيادة النعيم لاهل النعيم وزيادة العذاب لاهل الجحيم حكمه الزجاج أيضا واختاره الحكمي الترمذي التاسع ان الاعمى الواو قاله الفراء والمعنى وما شاء ربك من الزيادة قاله مكي وهذا القول بعيد عند البصريين ان يكون الاعمى الواو العاشر ان الاعمى الكاف والتقدير بكاءه ربك ومنه قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف أي كما قد سلف الحادي عشر ان هذا الاستثناء انما هو على سبيل الاستثناء الذي يندب اليه الشارع في كل كلام فهو على حد قوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمين قاله ابن عطية وروى نحوه هذا عن أبي عبيد ولا يحتاج الى ان يوصف بمقتضى ولا منقطع وهذه الاقوال هي حله ما رققنا عليه من اقوال أهل العلم وقد نوقش بعضها بما نشأت ودفعت بدفعات وقد اوضح الشوكاني ذلك في رسالة مستقلة جمعها في جواب سؤال ورد من بعض الاعلام قال السيوطي وما تقدم من التأويل هو الذي ظهر وهو خال من التكلف والله أعلم بمراده انتهى قال في الجبل أي التفسير للاستثناء وحاصله ان الاقوال المعنى بمعنى حرف العطف

ولهذا قال تعالى ثم أنزل الله سكتهم
 على رسوله وعلى المؤمنين وأتولى
 جنود المتمر وهوا عذب الذين كفروا
 وذلك جزاء الكافرين في قوله ثم يوب
 الله من بعد ذلك على من يشاء والله
 غفور رحيم قد تاب الله على بقية
 هوازن فاسلو أو قدموا عليه مسلمين
 ولحقوه وقد قارب مكة عند الجعرانة
 وذلك بعد الوقعة بـ ٢٠ ريب من
 عشر بن يوماف بعد ذلك خيره بين
 سيهم وبين أموالهم فاختاروا سيهم
 وكالوا ستة آلاف أسير ما بين صبي
 وامرأة فرد عليهم وقسم الأموال
 بين الغنائم وقل أناسا من الطلقاء
 لتألف قلوبهم على الاسلام
 فأعطاهم مائة مائة من الابل وكان من
 جله من أعطى مائة مالك بن عوف
 النضري واستعمله على قومه كما كان
 فامدحه بقصيدته التي يقول فيها
 ما ن رأيت ولا سمعت بمثله
 في الناس كما هم بمثل محمد
 أوفى وأعطى للجزيل اذا احتدى
 ومتى بشأ يخبرك عما في غد
 واذا الكتيبة غردت انسابها
 بالسهمى وضرب كل مهند
 فكانت له لث على اشبه ماله
 وسط البامة خادرق من صد
 قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا
 المشركون نجس فلا يقربوا المسجدين
 الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم
 عملكم فسوف يعنكم الله من فضله
 ان شاء الله ان الله عالم خفي فانابوا
 الذي لا يؤمنون بالله ولا باليوم
 الآخر ولا يحرمون ما حرم الله

والاستثناء منقطع فكانت قبيل خالدين فيها مادامت السموات والارض وزيادة على
 هذه المدة لا منتهى لها وقوله هو الذي ظهر أي ظهر له اختيار من ثلاثة عشر وجهها
 للمفسرين في هذا المقام وهو وجه حسن لان فيه التأييد بما يعلمه المخاطبون بالمشاهدة
 ويعتقون به وهو دوام الدنيا وما لا يتبدى بام سموات الآخرة وأرضها كاقيل فقصه انه
 غير معلوم للمخاطبين خصوصا من شكر البعث وقد استوفى السمين الوجود المذكورة
 ولتقتصر على نقل بعضها لكونه أقرب من غيره انتهى ثم ذكر الوجه الثاني والخامس
 والحادى عشر كما مر وقال ابن حجر الميمني المكي في الزواجر عن اقتراف الكاثر دلت
 الآيات والاحاديث على ان عذاب الكفار في جهنم دائم مؤبد وموارد ما يخالف ذلك يجب
 تأويله في ذلك قوله تعالى خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ما شاع ربك ان ربك
 فعال لما يريد فظاهره ان مدة عقابهم مساوية لمدة بقاء السموات والارض الا ما شاء الله من
 هذه المدة فلا يكونون فيه خالدين فيها وقد أواله العلماء بنحو عشرين وجهها يرجع بعضها
 الى حكمة التقييد بعد دوام السموات والارض وبعضها الى حكمة الاستثناء وما عاين
 الاول ان المراد سموات الجنة وأرضها اذا السماء كل ما عاكلا والارض كل ما استقررت
 عليه وكون الجنة والنار له ما سماه وأرض هذا الاعتبار أمر قطعي لا يخفى على أحد
 فاندفع التطير في هذا القول بأنه لا يجوز حمل ما في الآية عليه لانه غير معروف للمخاطبين
 أو سموات الدنيا وأرضها أو جرى ذلك على عادة العرب في الاخبار عن دوام الشيء وتأنيده
 بذلك ونحوه كقولهم لا آتيتك ما مال سيل وما جيل وما طما البحر وما قام جبل لانه تعالى
 يخاطب العرب على عرفهم في كلامهم وهذه اللفاظ في عرفهم تعيد الابد والادوام وعن
 ابن عباس ان جميع الاشياء المخلوقة أصلها من نور العرش وان السموات والارض في
 الآخرة تردان الى النور الذي خلقهما منه وهما دائمان نور العرش ثم هذا الجواب
 انما يحتاج اليه بناء على ان مفهوم التقييد بدوام السموات والارض انهم لا يقرون في النار
 الا بقدر مدة دوامهما من حين ايجادهما الى اعدامهما ومنع بعضهم ذلك بان المفهوم من
 الآية انهما متى كانتا دائمتين كان كونهم في النار باقيا وقضية ذلك انه كلما حصل الشرط
 وهو دوامهما حصل المشروط وهو بقاؤهم في النار ولا يقتضى انه اذا عدم الشرط بعدم
 المشروط فاذا قلنا مادامت بقاؤهم في جهنم ثم قلنا انهما دائمتان لزم دوام عقابهم ولو كنهما
 ما بقيتا لم يلزم عدم دوام عقابهم لا يقال اذا دام عقابهم بقيتا أو عدمتا فلا فائدة للتقييد
 بدوامهما لانه لا يقول بل فيهما أعظم الفوائد وهو لانه تعالى بقاء ذلك العذاب دهرأ دائما
 طويلا لا يحيط العقل بقدر طوله وامدادته فأما انه هل اذلك العذاب آخرا لا فذلك يحصل
 من ادلة أخرى وهي الآيات المصروفة بتأويلها فلو عدم المستلزم انه لا آخر له ومن الثاني انه
 استثناء من فيها لانهم يخرجون من النار الى الزمهرير وإلى شرب الخمر ثم يعودون فيها فهم
 خالدون فيها أبدا الا في تلك الاوقات فانهم وان كانت أوقات عذاب ايضا لانهم ليسوا
 حيث تدفع حقيقة أو أن ما من يعقل كان كجوا ما طاب لكم من النساء وحيداً فيكون
 استثناء لعصاة المؤمنين من ضمير خالدين متصلا به على شمول شقوا لهم وأمنه قطعاً بناء على

عندم شموله لهم وهو الاقلهر وانه منقطع والابغى سوى أى ماد استأوى ما شاربون
زيادة على ذلك وبقيت اجوبه كثيرة اعرضت عن البعد ها ولا ينافي ذلك ما رواه أحد عن
عند الله بن عمرو ولياين على جهنم يوم تصفق فيه أبواب المس فيها أحد ذلك بعد ما يلبنون
فيها الحقايا لان في سنده من قالوا فيه اندغرة ثقفة وصلح أ كذيب كثيرة عظيمة ثم نقل غير
واحد هذه المقالة عن ابن مسعود وأبي هريرة قال شيخ الاسلام ابن تيمية وهو قول عمر بن
الخطاب وابن عباس وابن مسعود وأبي هريرة وأنس واليه ذهب الحسن البصري وجماد
ابن سلمة وبه قال علي بن طلحة والوالي وجماعة من المفسرين انتهى ويرد ما نقله عن الحسن
قول غيره قال العلماء قال ثابت سألت الحسن عن هذا فأنكره والظاهر ان هؤلاء الذين
ذكرهم لم يصح عنهم من ذلك شيء وعلى التبريل فعني كلامهم كما قاله العلماء ليس فيها أحد من
عصاة المؤمنين أملا مواضع الكفار فهي مملئة بهم لا يخرجون عنها أبدا كما ذكره الله في آيات
كثيرة وفي تفسير الرازي قال قوم ان عذاب الكفار منقطع وله نهاية واستدلوا بهذه
الآية وبلائين فيها أحقايا وبان معصية الظالم متناهية فالعقاب عليها لا يتناهى ظلم
انتهى والجواب عن الآية وقوله تعالى أحقايا لا يقتضي ان له نهاية لما مر ان العرب
يعبرون به ويحكمون عن التوام ولا ظلم في ذلك لان الكافر كان عازما على ان لا يترك ما دام حيا
فغوب دائما فبهم لم يعاقب بالذات الا على دائم فليكن عذابه الاجزاء وقفا واعلم ان
التقييد والاستثناء في أهل الجنة ليس المراد بهم ما ظاهرهما بانفاق الكل اقله تعالى غير
بمحدود فيقول بظنهم ما مر ويكون المراد بما اذا جعلنا هاجعي من أهل الاعراف عصاة
المؤمنين الذين لم يدخلوها بعد قال ابن زيد أخبرنا الله تعالى بالذي يشاء لاهل الجنة
فقال عطاء غير محدود أى مقطوع ولم يجز بالذي يشاء لاهل النار انتهى كلام ابن جرير
وفي الذي تحامل به على ابن تيمية نظره فقد أضحى الجنب الحافظ ابن القيم رحمه الله في حاشي
الارواح الى بلاد الافراح مستوفيا بما له وعليه فن شاء فليجمع اليه أخرج أبو الشيخ عن
قادة انه تلا هذه الآية فقال حدثنا أنس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يخرج
قوم من النار ولا نقول كما قال أهل حرواء ان من دخلها بقي فيها وعن جابر قال قرأ رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية فقال ان شاء الله ان يخرج أنا سامن الذين شقوا من
النار فيدخلهم الجنة فعل أخرجهم ابن مردويه وعن خالد بن معدان في الآية قال انها
في ذوى التوحيد من أهل القبلة وعن جابر بن عبد الله أو أبي سعيد الخدري قال هذه
الآية قاضية على القرآن كله يقول حيث كان في القرآن خالد بن معدان في الآية قال انها
ابن عباس في قوله الاما شاربون قال فقد شاربون ان يخلط هؤلاء في النار وان يخلط هؤلاء
في الجنة وعنه قال استثنى الله من النار ان تأكلهم وعن السدي في الآية قال لقاء
بعد ذلك من مشيئة الله ما سخطها فأقرن بالمدينة ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر
لهم ولا يهديهم طريقا الى آخر الآية فقد ذهب الرجاء لاهل النار ان يخرجوا منها وأوجب
لهم خلود الابدية وقوله وأما الذين سعدوا الآية في بعد ذلك من مشيئة الله ما سخطها فأقرن
بالمدينة والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات الى قوله ظلال ظليل فأوجب لهم

ورسوله ولا ينجون دين الحق من
الذين أوثروا الكتاب حتى يعذبوا
بمجرمته عن يدهم صاعرون امر
تعالى عباده المؤمنين الظاهر من
ديننا وانا نفي المشركين الذين هم
نجس ديننا عن المسجد الحرام وان
لا يقربوه بعد نزول هذه الآية وكان
نزولها في سنة تسع ولهذا بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدا
حسنة أي بكر رضى الله عنه ما عاين
وأمره ان ينادي في المشركين ان لا
يجز بعد هذا العام مشرك ولا يظوف
باليث عربان فأنتم الله ذلك وحكم
به شرعا وقدرا وقال عبد الرزاق
أخبرنا ابن جريح أخبرني أبو الزبير
انه سمع جابر بن عبد الله يقول في
قوله تعالى انما المشركون نجس فلا
يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم
هذا الا ان يكون عبدا أو أحد
من أهل الذمة وقد روى مرفوعا
من روجه آخر فقال الامام أحمد حدثنا
حسن حدثنا شريك عن الاشعث
يعني ابن سوار عن الحسن بن عن
جابر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يدخل مسجدنا هذا
بعد عامنا مشرك الا أهل العهد
وخدمكم تقربوا الامام أحمد مرفوعا
والموقوف أصح اسنادا وقال الامام
أبو عمر الاوزاعي كتب عمر بن عبد
العزيز رضى الله عنه ان امنعوا
اليهود والنصارى من دخول
مساجد المسلمين واتبع نهيهم قول
الله تعالى انما المشركون نجس وقال

خلود الابد وعن أبي نضرة قال ينتهي القرآن كله الى هذه الآية يعني (ان ربك فعال لما يريد) وفي المناوي الكبير على الجامع الصغير انصه فبنيه ما ذكره انما ان عذاب الكفار في جهنم دائم أبدا هو ما دللت عليه الآيات والأخبار وأطبق عليه جمهور الأمة سلفنا وخلفنا وروا ذلك أقوال يجب تأويلها فذهب اليه الشيخ محي الدين بن عربي انهم بعدون في هامة ثم تنقلب عليهم وتبقى طبيعة نار به لهم يملكونهم بالمواظقة لطبيعتهم فان الثناء بصدق الوعد لا بصدق الوعيد بل بالتجاوز وقال فلا تحسن الله مخاف وعده ورسوله ولم يقل وعيده بل قال وتجاوز عن سبائهم مع انه وعد على ذلك وأثنى على اسمعيل بأنه كان صادق الوعد وقال في موضع آخر ان أهل النار اذا دخلوها لا ينزلون خائفين مترقبين ان يخرجوا منها فاذا أغلقت عليهم أبوابها اطمانوا لانهم اخلقت على وفق طباعهم قال الحافظ ابن القيم وهذا في طرف أي جهة والمعتزلة القائلون بأنه يجب على الله تعذيب من توعد به بالعذاب في طرف آخر فاولئك عندهم لا يخرجون من النار من دخلها أبدا والقولان مخالفان لما علم بالاضطرار ان الرسول جاء به وأخبر به عن الله ومنها قول جعفر النابتي فإنه تعالى جعل لها أمدا فنتهي اليه ثم نزل عذابها لهذه الآية وقوله تعالى لا تبين فيها أحقابا قال هؤلاء وليس في القرآن دلالة على بقاء النار وعدم فناءها انما الذي فيه ان الكفار خالدون فيها وانهم غير خارجين منها وانه لا يفتر عنهم عذابها وانهم لا يعوبون وأن عذابهم فيها مقيم وانه غرام لازم وهذا النزاع فيه من الصحابة والتابعين انما النزاع في أمر آخر وهو ان النار أبدية أو بما كتب عليه الفناء واما كون الكفار لا يخرجون منها ولا يدخلون الجنة فيختلف فيه أحد من أهل السنة وقد نقل شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله القول بفنائها عن جمع من الصحابة والتابعين وقد نصر هذا القول ابن القيم كشيخه ابن تيمية وهو مذهب متروك وقول مهجور لا بصار اليه ولا يعول عليه وقد أول ذلك كله الجمهور وأجابوا عن الآيات المذكورة بنحو عشرين وجها وبما نقل أولئك الصحابة بان معناه ليس فيها أحد من عصاة المؤمنين أمامواضع الكفار فهي متمثلة منهم لا يخرجون عنها أبدا كما ذكره الله في آيات كثيرة انتهت كلامه قلت وبالله التوفيق أخرج ابن المنذر عن عمر قال لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عال لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه وروى عبد بن حميد باسناده رجاله ثقات عن عمر بن الخطاب وأخرج ابن الزهري عن أبي هريرة قال سألني علي بن جهنم يوم لا يبقى فيها أحد وقرأنا ما الذين شقوا وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ عن ابراهيم قال ما في القرآن آية أرجح لاهل النار من هذه الآية خالدون فيها الخ قال وقال ابن مسعود لما أتيت عليه ازمان تتحقق أبوابها وروى أحمد عن ابن عمرو بن العاص لما أتيت علي بن جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وحكاها البغوي وغيره عن أبي هريرة وغيره وأخرج ابن جرير عن الشعبي قال جهنم أسرع الدارين عمرا وأسرعهما خرابا وعن قتادة قال الله أعلم بقتنته على ما وقعت وقد روى عن جماعة من السلف مثل ما ذكره ابن مسعود وعمر وأبو هريرة كان عباس وابن عمر وجابر وأبي سعيد من الصحابة وعن أبي مجاز وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم ان التابعين وورث ذلك حديثي

عطاء الحرم كله مسجد لقوله تعالى فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامه هـ هذا ودلت هذه الآية الكريمة على نجاسة المشرك كما ورد في الصحيح الموثق لا ينحس وأما نجاسة بدنه فالحجور على انه ليس بنحس البدن والذات لان الله تعالى أحل طعام أهل الكتاب وذهب بعض الظاهرية الى نجاسة أبدانهم وقال أشعث عن الحسن من صافهم فليطوؤا رواه ابن جرير وقوله ان حقت عليه فسوف يغنيكم الله من فضله قال ابن اسحق وذلك ان الناس قالوا لتقطع عنا الاسواق ولتذهبن عنا التجارة وليسذهبن عنا ما كنا نصيب فيها من المرافق فانزل الله وان حقت عليه فسوف يغنيكم الله من فضله من وجه غير ذلك ان شاء الله الى قوله وهم صاغرون أي هذا عوض ما تخوفتم من قطع تلك الاسواق فعوضهم الله مما قطع أمر الشرك ما اعطاهم من اعناق أهل الكتاب من الجزية وهكذا روى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وقادة والفتح وغيرهم ان الله عليم أي عاينكم حكم حكيم أي فيما امر به وبني عنه لانه الكامل في أفعاله وأقواله العادل في خلقه وأمره تساركا وتعالى ولهذا عوضهم عن تلك المكاسب باموال الجزية التي يأخذونها من أهل الذمة وقوله تعالى فاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا دين الحق

مجمع الطبراني الكبير عن أبي امامة صدى بن عجلان الباهلي واسناده ضعيف وقد ثبت
بذلك صحة ما نقله شيخ الاسلام ابن تيمية عن هؤلاء وانتمصر الحافظ ابن القيم ووضحه
ما قاله ابن حجر والمناوي عليهم ماوان كان لاشك في أن الرابع هو الاول ولقد تكلم صاحب
الكشاف في هذا الموضوع بما كان له في تركه وفي السكون عنه غنى فقال ولا يبعد عنك
قول الجيرة ان المراد بالاستثناء خروج أهل البكاثر من الشارقات الاستثناء الثاني ينادى
على تكذيبهم ويسجل باقتراهم وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى لهم بعض
النواب عن ابن عمر وليأتين على جهنم قوم تصفق فيه أبوابهم ليس فيها أحد ثم قال وأقول
ما كان لابن عمر في سيفه ومقاتلته بها على بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ما يشغله
عن تفسير هذا الحديث انتهى قال الشوكاني وأقول أما الطعن على من قال بخروج أهل
البكاثر من الشارقات فإني بذلك يمسكين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما صرح عنه في
دواوين الاسلام التي هي دفاتر السنة المطهرة وكما صرح عنه في غيرها من طريق جماعة من
الصحابة يبلغون عدداً تراخا والطعن على قوم عرفوا ما جهلته وعلموا بما أنت عنه
في مسافة بعيدة وأي مانع من جعل الاستثناء على هذا الذي جاءت به الأدلة الصحيحة
الكثيرة كما ذهب إلى ذلك وقال به جمهور العلماء من السلف والخلف وأما ما ظننته من أن
الاستثناء الثاني ينادى على تكذيبهم ويسجل باقتراهم فلا مناداة ولا مخالفة وإي مانع
من جعل الاستثناء في الموضوعين على العصاة من هذه الأمة فالاستثناء الاول يحمل على
معنى الاماشار بك من خروج العصاة من هذه الأمة من النار والاستثناء الثاني يحمل
على معنى الاماشار بك من عدم خلودهم في الجنة كما يخلد غيرهم وذلك لتأخر دخولهم
اليها مقدار المدة التي لشواقيها في النار وقد قال بهذا من أهل العلم من قدمنا ذكره وبه
قال ابن عباس حبر الأمة وأما الطعن على صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وحافظ سنته وعابده الصحابة عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنه فإني أئن محمود أندري
ما صنعت وفي أي واد وقعت وعلى أي جنب سقطت ومن أنت حتى تصعد إلى هذا المكان
وتتناول نجوم السماء يديك القصيرة ورجلك العرجاء أما كان لك في مكسرى طلبك من
أهل النحر واللغة ما يردك عن الدخول فيما لا تعرف والتكلم بما لا تدري فإنا لله العجب
ما يفعل القصور في علم الرواية والبعده عن معرفته إلى أبعد مكان من الفضيحة لمن لم يعرف
قدر نفسه ولأوقنتها حيث وقفها الله سبحانه (وأما الذين سعدوا) أي في علمه تعالى وهم
الذين يؤمنون على الإيمان وان تقدم منهم كثر أو غيرهم المعاصي قرأ الكسائي وغيره
سعدوا بضم السين وقرأ الباقون بفتحها قال سيبويه لا يقال سعد فلان كما لا يقال شقي
فلان لكونه على الاعتدال قال النحاس ورأيت على بن سليمان يتعجب من قراءة
الكسائي بضم السين مع علمه بالعريضة وهذا الخن لا يجوز قال السمين قرأ الأخوان
وحفص بضم السين والباقيون بفتحها فالاولى من قولهم سعد الله أي أسعدكم حكى القراء
عن هذيل أنها تقول كذلك قال الأزهرى سعد فهو وسعد كسلم فهو وسلم وسعد فهو
مسعود وقال أبو عمرو بن العلاء يقال سعد الرجل كما يقال حسن وقيل سعد لغة

من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا
الجزية عن يديهم صاغرون فهم في
نفس الامر لما كفروا بمحمد صلى
الله عليه وسلم لم يبق لهم إيمان صحيح
بأحد من الرسل ولا بما جاء به وإنما
يتبعون آراءهم وأهواءهم وآباءهم
فمما هم فيه لا لأنه شرع الله ودينه
لأنهم لو كانوا مؤمنين بما يأتيهم
إيماناً صحيحاً لآدم ذلك إلى الإيمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم لأن جميع
الانبياء بشر وأمر واتباعه فلما
جاء وكفروا به وهو أشرف الرسل
دل على أنهم ليسوا بمؤمنين بشرع
الانبياء والاقدمين لأنه من عند
الله بل لظوظهم وأهوائهم فلماذا
لا يفهم إيمانهم بيقينة الانبياء
وقد كفروا بسيدهم وأفضلهم
وطائفة منهم وأكملهم ولهذا قال
قائلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا
اليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم
الله ورسوله ولا دينون دين الحق
من الذين أوتوا الكتاب وهذه الآية
الكريمة أول الامر بقتال أهل
الكتاب بعد ما تمهدت أمور
المشركين ودخل الناس في دين الله
أنواراً واستقامت خيرة العرب
أمر الله رسوله بقتال أهل الكافرين
اليهود والنصارى وكان ذلك في
سنة تسع ولهذا تجهز رسول الله
صلى الله عليه وسلم لقتال الروم
ودعا الناس إلى ذلك وأظهر لهم
ويعت إلى أحياء العرب حول
المدينة فندبهم فاجتمعوا معه
واجتمع من مقاتله ثثمون ثلاثين
ألفاً وتحلف بعض الناس من أهل

المدينة ومن حولها من المنافقين وغيرهم وكان ذلك في عام حذب ووقت قنط وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الشام لقتال الرزم فبلغ تبوك فنزل بها وأقام بها قرى يمان عشرين يوما ثم استخار الله في الرجوع فرجع عامه ذلك لصيق الحال وضعف الناس كما ساقى بيانه بعد ان شاء الله تعالى وقد استدل بهذه الآية الكريمة من يرى أنه لا تؤخذ الجزية الا من أهل الكتاب أو من أشبههم كالجوس كما صح في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها من مجوس هجر وهذا مذهب الشافعي وأحمد في المشهور عنه وقال أبو حنيفة رحمه الله بل تؤخذ من جميع الاعاجم سواء كانوا من أهل الكتاب أو من المشركين ولا تؤخذ من العرب الا من أهل الكتاب وقال الامام مالك بل يجوز ان تضرب الجزية على جميع الكفار من كنان ومجوس وروثي وغير ذلك ولما أخذ هذه المذاهب وذكر أدلتها مكان غير هذا والله أعلم وقوله حتى يعطوا الجزية أي ان لم يسألوا عن يداى عن قهر لهم وغلبة وهم صاغرون أي ليسوا بحقرون مهانون فلذلك لا يجوز ان يأخذ أهل الذمة ولا دفعهم على المسلمين بل هم آذلاء صغرة اشقياء كما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تسبوا اليهود والنصارى بالسلام واذا قيمت أحدكم في

مجهورة وقد ضعف جماعة قراءة الاخوين وفي المصباح سعد فلان يسعد من باب تعب في دين أو دنيا سعد أو بالمصدر مسمى ومنه سعد بن عباد والفاعل يسعد والجمع سعداء ويعدى بالحركة في لغة فقال سعد الله يسعده يقتضين فهو مسعود وقرئ في السبعة بهذه اللفظة في هذه الآية بالبناء للمفعول والاكثر ان يعدى بالهزة فيقال أسعده الله وسعدنا الضم خلاف شق (في الجنة خالد بن فيم امدامت السنوات والارض) معنى الآية كما مر في قوله وأما الذين شقوا (الاماشاء ربك) من الزيادة التي لا منتهى لها فالمعنى خالد بن فيم أبدا وقد عرف من الاقوال المتقدمة ما يصلح لجل هذا الاستثناء عليه ولا يستقيم الا على التأويل المذكور في الوجه الخامس والسابع وما بعده (عطاء) اسم مصدر والمصدر في الحقيقة الاعطاء أو يكون مصدرا على حذف الزوائد كقوله أنتكم من الارض ثمانا أو منصوب بعقد يقال عطوت بمعنى ناولت (غير مجذوف) من حده يجده اذا قطعه وكسره والجذا ذكسر الجيم ما تكسره والضم أقصح والجدادات القراضات والمعنى يعطهم الله عطاء غير مقطوع يعني انه تمتد الى غير نهاية قال القاضي وهو نصريح بان الثواب لا ينقطع وتبسيه على ان المراد من الاستثناء في الثواب ليس الاقطاع ولا جله فرق بين الثواب والعقاب في التأنيد انتهى قال الخفاجي وقع لبعضهم هيبا ان النار ينقطع عذابها بخلاف نعم أهل الجنة وأورفده حديثا عن عبد الله بن عمرو بن العاص وقد تقدم قال ابن الجوزي انه موضوع وأشار النجاشي الى انه تكلم في ابن عمرو كلاما لا ينبغي ذكره انتهى وقد ثبت بالنصوص القاطعة ان لا وجود لذلك فيقدر الخلود ولا يتوهم جواز التعارض بين هذه وبين النصوص الدالة على عدم الخلود لان المحتمل لا يعارض القطعي ولم افرض الله سبحانه من أقاصيص الكثرة وبيان حال السعداء والاشقياء صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشرح أحوال الكفرة من قومه في ضمن النهي عن الامتناع فقال (فلانك) حذف النون لكثرة الاستعمال ولان النون اذا وقعت طرف الكلام لم يبق عند التلظظ بها الا مجرد اللفظة فلا جرم أسقطوها قاله الكرخي (في) مرية ما يعبد هؤلاء أي ما يعبدونه غير نافع لهم ولا ضار ولا تأثير له في شيء والمرية الشك والاشارة بهؤلاء الى كفار عصره صلى الله عليه وآله وسلم من قريش وقيل المعنى لانك في شك من بطلان ما يعبد هؤلاء من الاصنام وقيل لانك في شك من سوء عاقبتهم ولا مانع من الحل على جميع هذه المعاني وهذا النهي لصلى الله عليه وآله وسلم هو تعرض لغيره ممن بداخل شيء من الشك فانه صلى الله عليه وآله وسلم لا يشك في ذلك أبدا ثم بين له سبحانه بقوله (ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم) ان معبودات هؤلاء كمعبودات آباؤهم وان عبادتهم كعبادة آباؤهم (من قبل) وفي هذا الاستئناف لتعليل للنهي عن الشك والمعنى انهم سواء في الشرك بالله وعبادة غيره فلا يمكن في صدرك حرج عمار من قومك فهم كن قلوبهم من طوائف البشر وفي الحازن يعني انه ليس لهم في عبادة هذه الاصنام مستند الا تقليد آباؤهم انتهى وجاء بالمضارع في كما يعبد لاستحضار الصورة ثم بين له انه يحازمهم بايمانهم فقال (وآباؤهم) لو فهم نصيبهم من العذاب (غير منقوص) لا يقص ذلك شيء وانما صاب غير على الحال

والتوفية لا تستلزم عدم القص فقد يجوز ان يوفى وهو ناقص كما يجوز ان يوفى وهو كامل
 قال القاضي كازبحر شري فانك تقول وقبته حقه وترديه وقبته بعضه ولو تجازا انتهى
 وآت خبير بانه اذا لم تكن قرينة المجاز قاعة كما في هذا المقام لا تكون الحال الا لا كبدلان
 التوفية تقتضي الا كمال فقد استفيد معناها من عامها وهو شأن المؤكدة وفائدته دفع
 توهم التجوز قال بعضهم وجعلها مقدمة لدفع احتمال كونه منقوصا في حديثه مبنى
 على الذهول عن كون العامل هو التوفية تأمل قاله الكرخي وقيل المراد نصيبهم من
 الرزق وقيل ما هو أهم من الخير والنشر (ولقد آتينا موسى الكتاب) أى التوراة (فاختلف
 فيه) أى في شأنه وتفاصيل أحكامه فآمن به قوم وكفروه آخرون وعمل بأحكامهم قوم وترك
 العمل ببعضها آخرون فلا يصح صدر لك يا محمد بما وقع من هؤلاء في القرآن وقيل في
 سببية أى هو سبب اختلافهم وقيل بمعنى على (ولولا كلمة) الانظار الى يوم القيامة
 أى الحكم الا ترى بتأخير عذابهم (سبق من ربك) لما علم في ذلك من الصلاح (لقضى
 بينهم) أى بين قومك أو بين قوم موسى فيما كانوا فيه مختلفين فائيب الحق وعذب المبطل
 وعذبوا في الحال وفرغ من عذابهم واهلأكلهم والكامه هي ان رحمة سبحانه سبقت
 غضبه فامهلهم ولم يمهلهم لذلك وقيل ان الكلمة هي انهم لا يعذبون بعذاب
 الاستئصال وهذا من جملة التسلية صلى الله عليه وآله وسلم ثم وصفهم بأنهم في شك من
 الكتاب فقال (وانهم لم يثقوا) أى من القرآن ان جل على قوم محمد صلى الله عليه وآله
 وسلم أو من التوراة ان جل على قوم موسى (مريب) موقع في الرية من أرباب اذا حصل
 الرب لغيرة أو صار هو في نفسه ذاريب ثم جمع الاولين والآخرين في حكم توفية العذاب
 لهم وهو الثواب فقال (وان كلا) أى كل الخلائق (لما يوفينهم ربك أعمالهم) أى
 جزاء ما في ان وكلا وما أقوال متخلفة هل ان متخلفة أم منقولة والتونين في كلامه
 النصب عوض عن المضاف اليه ونصبه بان والمتخفة أم منقولة وهي بمعنى الام لا
 وأحسن هذه الاقوال انما يعنى الاستثنائية وقدر وى ذلك عن التخليل وسبويه ووجه
 الزجاج وقرأ أى ان كلا الالبوفينهم وقرى بالتونين يعنى جميعا وبسط الكلام في ذلك في
 جل قال السمين هذه الآية الكريمة مما تكلم الناس فيها قديما وحديثا وعسر على
 أكثرهم تلخيصها قراة وتقر يحا وقد سهل الله تعالى ذلك فذكرت أفاويلهم وما هو الراجح
 منها فاقول قرأ بعضهم ان والمتخفة تعني وبعضهم خفف ان ونقل ما لبعضهم شدد هما
 وبعضهم شددان وخفف ما في هذه أربع قراآت في هذين الحرفين وكلها متواترة تسبعة
 قال والاربعة وهي تشديدان وتخفيف لما فواضحة جدا وقرئ شاذ وان كل يخفف ان
 ورفع كل ولما التشديد وهي قراة الحسن البصري وعليها فلما يعنى الانتهى ملخصا
 وقرئ أيضا اذا قرأت آخر فاتر اجمع في السمين وغيره (انهم اتعماون) أي المتخلفون
 (خبر) لا يخفى عليه منه شيء والجملة لتلخيص لما قبلها وفيه وعد للمحسنين المصدقين
 ووعد للكافرين ثم أمر سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم بكلمة جامعة لانواع
 الطاعة له سبحانه فقال (فاستقم كما أمرت) أى كما أمر الله فيدخل في ذلك جميع

طريق فاضطررهم الى أضيقه
 ولهذا اشترط عليهم أمير المؤمنين
 عمر بن الخطاب رضى الله عنه تلك
 الشروط المعروفة في اذلالهم
 وتقصيرهم وتخديرهم وذلك ما رواه
 الأئمة الحنفا ظعن رواية عبد الرحمن
 ابن غنم الأشعري قال كتبت لعمر
 ابن الخطاب رضى الله عنه حين
 صالح نصارى من أهل الشام بسم
 الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعبد
 الله عمر أمير المؤمنين من نصارى
 مدية كذا وكذا انكم لما قدمتم
 علينا سألناكم الامان لانفسنا
 وذرائنا وأموالنا وأهل ملتنا
 وشرطنا لكم على أنفسنا ان
 لا تحدث في مديتنا ولا فيما حولها
 ديورا ولا كنيسة ولا قلاية ولا
 صومعة زاهب ولا نجسد ما خرب
 منها ولا نجي منها ما كان خططا
 للمسلمين وأن لا تمنع كائنا من
 ينزلها أحد من المسلمين في ليل ولا
 نهار وان توسع أبوابها المارة وابن
 السبيل وان تترك من ممرنا من
 المسلمين ثلاثة أيام فطعمهم ولا
 تؤوى في كائنا منا ولا منازلنا
 جاسوسا ولا نكتم غشا للمسلمين ولا
 نعلم أولادنا القرآن ولا نظهر شركا
 ولا ندعو اليه أحد الا نمنع أحدنا من
 ذوى قرابتنا الدخول في الاسلام
 ان أرادوه وان نوفر المسلمين وان
 تقوم لهم من مجالسة ان أرادوا
 الجلاس ولا تشبه بهم في شيء من
 ملابسهم في قلنسوة ولا عمامة ولا
 نعلين ولا فرق شعر ولا تتكلم
 بكلامهم ولا نكتفى بكلامهم ولا نركب

السروج ولا تقلد السيوف ولا
تخذ شيا من السلاح ولا تحمله
معنا ولا تنقش خواتمنا بالريسة
ولا تبسج الخجور وان تجز مقادير
رؤسنا وان نلزم زناحيضا كالأون
نشد الزناير على أوساطنا وان
لا نظهر الصليب على كائسنا وان
لا تظهر صلبنا ولا كتبنا في شيء من
طريق المسلمين ولا أسواقهم ولا تضرب
نواقيسنا في كائسنا الا ضربا خفيا
وان لا نرفع أصواتنا بالقرع في
كائسنا في شيء من حضرة المسلمين ولا
نخروج سعنات ولا بعوثا ولا نرفع
أصواتنا مع موتانا ولا نظهر التبران
معهم في شيء من طرق المسلمين ولا
أسواقهم ولا نجاوزهم موتانا ولا نتخذ
من الرقيق ما جرى عليه سهم المسلمين
وان نرشد المسلمين ولا نطلع عليهم في
منازلهم قال فلما أتيت عمر بالكتاب
زاد فيه ولا تضرب أحدا من
المسلمين شرطنا لكم ذلك على أنفسنا
وأهل ملتنا وقبلنا عليه الامان فان
نحن خلفنا في شيء مما شرطنا لكم
ووظفنا على أنفسنا فلا ذمة لنا وقد
حل لكم منا ما يحل من أهل
المعاهدة والشقاق (وفات اليهود
عزير ابن الله وفات النصارى
المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواهم
بصاهون قول الذين كفروا من
قبل فافلهم الله أن يؤفككون
اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا
من دون الله والسيح بن مريم وما
أمروا الا لعباد الله وحده
لا اله الا هو سبحانه عما يشركون)

ما أمر به وجب ما نهى عنه لانه قد أمر به فجب ما نهى عنه كما أمره بفعل ما نهى عنه
وأتمه اسوته في ذلك قال قتادة أمرنا بالاستقيم على أمره ولا يطعن في نعمته وقال
سفيان استقم على القرآن وعن الحسن قال ما زالت هذه الآية قال ثور وشمر واقرفي
ضاحكا قال أبو السعود وبالجملة فهذا الامر منتظم لجميع محاسن الاحكام الاصلية
والفرعية والكمالات النظرية والعملية والخروج عن عهد في غاية ما يكون من الصوبة
ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم شيتني سورة هود (و) ليستقم (من تاب معك)
أي آمن ورجع عن الكفر الى الاسلام وشارك في الاعيان وما أعظم موقع هذه الآية
وأشد أمرها فان الاستقامة كما أمر الله لا تقوم بها الا الانفس المطهرة والذوات المشددة
ولهذا يقول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم شيتني هود كما تقدم وعن سفيان الثوري
قال قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا أسأل عنه أحد ابعدك قال قل أنت بالله تم
استقم أخرجه مسلم أقول هي تشمل العقائد والاعمال والاخلاق فانه في العقائد
اجتناب التشبه والتأويل والتعطيل والصرف عن الظاهر وفي الاعمال الاجتناب عن
الزيادة والنقصان والبدع والمحدثات والتغيير للكتاب والتبديل للسنة والتقيد بالرجال
والا راعى في الاخلاق التباعد عن طرق الافراط والتعريط وهذا في غاية العسر وبالله
التوفيق وهو المستعان (ولا تطغوا) الطغيار بما جاوزوا الحد لما أمر الله سبحانه بالاستقامة
المذكورة بين ان الغلو في العبادة والافراط في الطاعة على وجهه يخرج به عن الحد الذي
حدده والمقدار الذي قدره ممنوع منه منى عنه وذلك كمن يظوم ولا يظن ولا يقوم الليل
ولا ينائم ويترك الحلال الذي أذن الله به ورغب فيه ولهذا يقول الصادق المصدوق عفا
صح عنه اما ان اقصا صوم واكثر واقوم واتام وانكح النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني
واخطاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولأتمه تغليبا لجمالهم على حاله أو النهي عن
الطغيان خاص بالاممة قال ابن عباس لا تطغوا ولا تغلوا وقال الغلام بن عبد الله لم رد
أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم انما عني الذين يحبون من بعدهم وعن ابن زيد
الطغيان خلاف أمره وان كتاب معصيته (انهما تعامون بصير) يجازيكم على حسب
ما تحبفون والجملة تغليبا لما قبلها فيسأل ما زالت آية على رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم هي أشد عليه من هذه الآية (ولا تكنوا الى الذين ظلموا) قرئ بفتح الكاف ونصبها
وهي لغة تميم وقيس والاول لغة أهل الحجاز قال أبو عمرو ولغة تميم بكسر التاء وفتح الكاف
وهي بكسرون حرف المضارعة في كل ما كان من باب علم يعلم قال الأزهري وليست
بالنصيحة وركن بركن يقتضين وليست بالاصل بل من تدخل اللغتين وقال الزايع
والصحيح انه يقال بالفتح فها وبالكسرة في الماضي والفتح في المضارع وبالفتح في الماضي
والضم في المضارع وقرئ على البناء للمفعول من أركبه وقال في الصحاح ركن اليه ركن
بالضم وحكي أبو زيد ركن اليه بالكسر ركن زكوا فاعلم ما أي مال السنة وسكن قال الله
تعالى ولا تكنوا الى الذين ظلموا واما ما بالفتح فها فاعلموا على الجمع بين اللغتين اه وقال
في شمس الغمام الركون السكون وقال في القاموس ركن اليه كنصر وعلم ومنع ركوبا

مال وسكن اه فهو الا لئلا من رواة اللغة فسر والركون يطلق الميل والسكون من غير تشديد بما يفيد به صاحب الكشاف حيث قال فان الركون هو الميل اليسير وهكذا فسر المفسرون يطلق الميل والسكون من غير تشديد الا من كان من المتقيدين بما يقتضيه صاحب الكشاف ومن المفسرين من ذكر في تفسير الركون قيوداً لم يذكرها أئمة اللغة قال القرطبي في تفسيره الركون حقيقة الاستناد والاعتقاد والسكون الى الشيء والرضا به ومن أئمة التابعين من فسر الركون بما هو أخص من معناه اللغوي فروى عن قتادة وعكرمة ان معناه الا توذوهم ولا تطيعوهم وقال عبد الرحمن بن زيد الركون هنا الادهان وذلك ان لا ينكر عليهم كثرهم وقال ابو العالية معناه لا تزوا أعمالهم وقال ابن عباس الركون الى الشرك ولا تركوا الايمان ولا تدينوا وعن عكرمة لا تصطنعوهم وقد اختلف أيضاً الأئمة من المفسرين في هذه الآية هل هي خاصة بالمشركون أو عامة فقيل خاصة وان معنى الآية النهي عن الركون الى المشركين وانهم المرادون بالذين ظلموا وقد روى ذلك عن ابن عباس وقيل انها عامة في الظلمة من غير فرق بين كافر ومسلم وهذا هو الظاهر من الآية ولو فرضنا ان سبب التزول هم المشركون لكان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فان قلت وقد وردت الأدلة الصحيحة باللغة عدد التواتر الشائعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبوتها لا يخفى على من له أدنى فهم باللغة عدد التواتر بوجوب طاعة الأئمة والسلطان والامر احسنى ورد في بعض الفاظ الصحيح اطيعوا السلطان وان كان عبداً اجتنبوا رأسه كل بية وورد وجوب طاعتهم ما قاموا الصلاة وما لم يظهر منهم الكفر البواح وما لم يأمر واجبة الله وظاهر ذلك انهم وان بلغوا في الظلم الى أعلى مراتبه وفعلاً أعظم أنواعه مما يخرج جوابه الى الكفر البواح فان طاعتهم واجبة حيث لم يكن مأمر وابه من معصية الله ومن جملة ما يأمر ونهى في الاعمال لهم والدخول في المناصب الدينية التي ليس الدخول فيها من معصية الله ومن جملة ما يأمر ونهى بالجهاد وأخذنا الحقوق الواجبة من الرعايا واقامة الشريعة بين المتخاصمين بينهم واقامة الحسد ودعوى من وجبت عليه وبالجملة طاعتهم واجبة على كل من صار تحت أمرهم ونهيهم في كل ما يأمر ونهى مما لم يكن من معصية الله ولا بد في مثل ذلك من المخاطبة لهم والدخول عليهم ونحو ذلك مما لا بد منه ولا يحصى عن هذا الذي ذكرنا من وجوب طاعتهم بالقيود المذكورة لتواتر الأدلة الواردة به بل قد ورد في الكتاب العزيز اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الامر منكم بل وردناهم يعطون الذي لهم من الطاعة وان منعوا ما هو عليهم للرعايا كما في بعض الاحاديث الصحيحة أعطوهم الذي لهم واسألوا الله الذي لكم بل ورد الامر بطاعة السلطان وبالغ في ذلك النبي صلى الله عليه وسلم حتى قال وان أخذت مالهك وضرب ظهرك فان اعتبرنا نطلق الميل والسكون فجرد هذه الطاعة المأمور بها مع ما نسبته من المخالطة هي مبطل وسكون وان اعتبرنا الميل

وهذا اغراء من الله تعالى للمؤمنين على قتال المشركين الكفار من اليهود والنصارى على مقاتلتهم هذه المقالة الشديدة والفرية على الله تعالى فأما اليهود فقوالوا في العزرائه ابن الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وذكر السدى وغيره ان الشبهة التي حصلت لهم في ذلك ان العماقة لما غلبت على بني اسرائيل فقتلوا علماءهم وسبوا كبارهم بنى العزيز بنى على بني اسرائيل وذهاب العلم منهم حتى سقطت جفون عينية فيمينا هو ذات يوم اذ مر على جبانة وإذا امرأة تبكي عند قبر وهي تقول وامطعتموها وكاسياً فقال لها ويحك من كان يطعمك قبل هذا قالت الله قال فان الله حتى لا يموت قالت يا عزيز بنى كان يعلم العلماء قبل بنى اسرائيل قال الله قالت فلم تبكي عليهم فعرف الله شئ قد وعظ به ثم قيل له اذهب الى نهر كذا فاغتسل منه ووصل هناك ركعتين فانك ستلقى هناك شيئاً فأطعمهم ففعل كما أمر به فاذا الشيخ فقال له افتح قل ففتح فقه فأتى

والسكون نظاراً وباطناً فلا يتناول النهر في هذا إلا بقدر ما لا يسم في الظاهر ولا يرم
 يقتضي ذلك شرعاً كالطاعة أو للتقية وخفاة الضرر منهم أو لطلب مصلحة عامة أو خاصة أو
 دفع مفسدة عامة أو خاصة إذا لم يكن له ميل إليهم في الباطن ولا محبة ولا رضى بأفعالهم
 قالت أما الطاعة على عمومها بجميع أقسامها حيث لم تكن في معصية الله فتبى على فرض
 صدق مسمى الركون عليها مخصوصة بعدم النهي عنه بدلتها التي قدمنا الإشارة إليها ولا شك
 في هذا ولا ريب فكل من أمر وبدأه أن يدخل في شيء من الأعمال التي أمر بها الله عليهم
 يمكن من معصية الله كالنصاب الدينية ونحوها إذا وقع من نفسه بالقصد بما وكل إليه
 فذلك واجب عليه فضلاً عن أن يقال جائز له وأما ما ورد من النهي عن الدخول في الامارة
 فذلك مقيّد بعدم وقوع الأمر من تحت طاعته من الأغاة والسلطين والأمراء جعابين
 الأدلة أو مع ضعف الأمور عن القيام بما أمر به كما ورد لتعليل النهي عن الدخول في الامارة
 بذلك في بعض الاحاديث الصحيحة وأما مخالطتهم والدخول عليهم لطلب مصلحة عامة أو
 خاصة أو دفع مفسدة عامة أو خاصة مع كراهة ما هم عليه من الظلم وعدم ميل النفس إليهم
 ومحبة لهم وكراهة المواصله لهم لولا جلب تلك المصلحة أو دفع تلك المفسدة فعلى فرض
 صدق مسمى الركون على هذا فهو مخصوص بالدلالة الله على مشروعية جلب المصالح
 ودفع المفساد والأعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما تولى ولا تخفى على الله خافية وبالجملة
 فمن ابتلى بمخالطة من فيه ظلم فعليه ان يزن اقواله وافعاله وما يأتي وما يذر بمنزلة الشرع فان
 راعى عن ذلك فعلى نفسه سائر اشر تقبى ومن قدس على الثمر انهم قبل أن يؤمر من جهة
 بامر يجب عليه طاعته فهو الاولى له والايق به ما لا يك يوم الدين اليك نعبذوا لك نستعين
 اجعلنا من عبادك الصالحين الامرين بالمعروف والناهين عن المنكر الذين لا يخافون
 فيسئلونهم لائمة لانهم وقروا على ذلك ويسر لنا واعنا عليه قال القرطبي في تفسيره وصحبه الظالم
 على التقية مستنباة من النهي بحال الاضرار انتهى وقال النيسابوري في تفسيره قال
 المحققون الركون المنهى عنه هو الرضا بما عليه الظلمة وتحسين الطريقة وترتيبها عند صغيرهم
 ومشاركتهم في شيء من ثلث الابواب فأما ما دخلتهم ادفع شيء من الضرر واجتلاب منفعة
 عاجلة فغير دخلة في الركون قال واقول هذا من طريق المعاش والرخصة ومقتضى
 التقوى والاحتساب عنهم بالكلمة أليس الله بكاف عبده انتهى (فكمكم النار) بحرهما
 بسبب الركون إليهم وفيه إشارة الى ان التلمذة اهل النار أو كانوا ومصاحبة النار واجب
 لا لاحتساب النار فيل هذا فمن ركن الى من ظلم فكيف بالظالم والجملة حاله أو مستأنفة قال
 ابو السعود وإذا كان حال الميل في الجملة الى من وجد منه ظلم مافي الاقضاء الى ماس النار
 هكذا فاختار عن ميل الى المحتجب في الظلم والعدوان من الاعظما وبها لا على
 مصاحبتهم ومنادمتهم وبلقي شر امره على مؤنسهم ومعاشرتهم وبهتج بالقرى بزهم وعند
 عيونه الى زهرتهم القانسة ويعطهم بما ولو امان القطوف الدانية وهو في الحقيقة من

فيه شيئاً كهيئة الجرة العظيمة ثلاث
 مرات فرجع عزير وهو من أعلم
 الناس بالتوراة فقال يا بني اسر ايل
 قد جنسكم بالتوراة فقلوا يا عزير
 ما كنت كذا يا فعده فربط على
 اصبع من أصابعه قلما وكتب التوراة
 يا صبعه كلها فلما راجع الناس
 من عدوهم ورجع العلماء أخبروا
 بشأن عزير فاستخرجوا النسخ التي
 كانوا اودعوا في الجبال وقابلوها
 فوجدوا ما جاء به صحيحاً فقال بعض
 جهلمهم اغلصن هذا لانه ابن الله
 واما ضلال النصارى في المسيح
 فظاهر ولهذا كذب الله سبحانه
 الطائفتين فقال ذلك قولهم
 بأفواههم أى لا مستند لهم فيما ادعوه
 سوى افتراءهم واختلافهم بضاهنون
 أى يشابهون قول الذين كفروا
 من قبل أى من قبلهم من الانتم
 ضلوا كما ضل هؤلاء فآلهم الله قال
 ابن عباس لعنهم الله أى يؤفكون
 أى كيف يضلون عن الحق وهو ظاهر
 ويعبدون الى الباطل وقوله اتخذوا
 أحبارهم وروهبانهم أرباباً من دون
 الله والمسيح بن مريم روى الامام

الحبة طفيف ومن جتاح البعوض خفيف بمعدل عن أن تعيل اليه القلوب ضعف الطالب
والمطلوب والآية المبلغ ما تصور في النهي عن الظلم والتعدي عليه وخطاب الرسول صلى الله
عليه وسلم ومن معه من المؤمنين تثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الميل الى أحد
طرفي الافراط والتفريط ظلم على نفسه أو على غيره انتهى (ومالك من دون الله من
أولياء) ان ركتم اليهم والمعنى انتم انتمسكم النازل عدم وجود من نصركم ويصدقكم منها
وفي الأولياء ليس بطريق نفي أن يكون لكل واحد منهم أولياء حتى يصدق أن يكون له
ولي بل المكان لكم بطريق انقسام الاتحاد على الاتحاد لكن لا على معنى نفي استقلال كل
منهم نصير بل على معنى نفي أن يكون لواحد منهم نصير بقية المقام (ثم لا تنصرون) من
جهة الله سبحانه اذ قد سبق في علمه انه يعذب بكم بسبب كونكم الذي نهيتكم عنه فلم تنتهوا
عنادا وتمردا والجلالة خالية أو مستأنفة معترضة وأتى بتم هذا تنبيها على تراخي رتبة كونهم
غيره نصورين من جهة الله بعد ما وعدهم بالعذاب وأوجب عليهم ويجوز أن يكون منزلا
منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله تعالى معذبهم وان غيره لا يصدقهم انتج انهم
لا ينصرون أصلا (وأقيم الصلاة طرقي النهار) لما ذكر الله سبحانه الاستقامة خص من
أنواعها إقامة الصلاة لكونها رأس الإيمان والمراد صلاة الغداة والعشي وهما الفجر
والعصر قاله الحسن وقيل الظهر موضع العصر وقيل الطرفان الصبح والمغرب قاله ابن
عباس وقيل هما الظهر والعصر وقال مجاهد صلاة الفجر وصلاة العشي يعني الظهر
والعصر ورجح ابن جرير انهما الصبح والمغرب قال والدليل عليه اجماع الجميع على ان أحد
الطرفين الصبح فدل على ان الطرف الآخر المغرب قال الرازي كثرت المذاهب في تفسير
طرفي النهار والاشهر انهما الفجر والعصر لان أحد طرفي النهار هو طلوع الشمس والثاني
هو غروبها فالطرف الأول هو صلاة الفجر والطرف الثاني لا يجوز أن يكون صلاة المغرب
لانها داخلية تحت قوله وزلفان الليل فوجب حمل الطرف الثاني على صلاة العصر
(وزلفا) أي في زلف (من الليل) الزلف الساعات القريبة بعضها من بعض ومنه سميت
المزدلفة لانها منزل بعد معرفة بقرب مكة وقرى زلفا بنضم اللام جمع زلف ويجوز أن يكون
واحدة زلفة وقرى باسكان اللام وقرأءة هذاني على وزن فعلى وقرأ السابقون زلفا بنسخ
اللام كتحفة وغرف قال ابن الاعرابي الزلف الساعات واحدها زلفة قال قوم الزلف أول
ساعة من الليل بعد مغيب الشمس وفي القاموس الزلفة الطائفة من الليل والجمع زلف
وزلفات والزلف ساعات الليل الآخذة من النهار وساعات النهار الآخذة من الليل قال
الافنسي معنى زلفان الليل صلاة الليل قال ابن عباس صلاة العتمة وقال الحسن هما
زلفتان صلاة المغرب وصلاة العشاء وعن مجاهد والحسن نحوه وقال أيضا ساعة بعد
ساعة يعني صلاة العشاء الآخرة (ان الحسنات) أي الواجبة والتدوية وغيرها على
العموم ومن جعلها بل عمادها الصلوات عن ابن مسعود قال هي الصلوات الخمس وزاد ابن

أحمد والترمذي وابن جرير من طرق
عن عدى بن حاتم رضى الله عنه أنه
لما بلغته دعوة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فرأى الشام وكان قد تنصر
في الجاهلية فأمرت أخته وجاعة
من قومه ثم رسل رسول الله صلى الله
عليه وسلم على أخته وأعطاهما
فرجعت الى أخيهما فرغبت في الاسلام
وفي القدوم على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقدم عدى المدينة وكان
رئيسا في قوم مطيء وأبوه حاتم الطائي
المشهور بالكرم فحدث الناس
بقدموه فدخل على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وفي عنق عدى صليب
من فضة وهو يقرأ هذه الآية
اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا
من دون الله قال فقلت انهم
لم يعبدوهم فقال بلى انهم حرموا
عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام
فأعوههم فذلك عبادتهم اياهم
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا عدى ما تقول أيضا ترك ان يقال
الله أكبر فقل تعلم شيئا أكبر من
الله ما يضرك أن يقال لا اله الا الله
فهل تعلم الها غير الله ثم دعاه الى

عباس والباقيات الصالحات (بذهبن السبائ) على العموم وقيل المراتب الصغار ومعنى
 يذهبن يكفرن بها حتى كأنهن لم تكن أخرج البخاري ومسلم وأهل السنن وغيرهم عن ابن
 مسعود أن رجلاً أصاب من امرأته قبله فأتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكر ذلك له
 كأنه يسأل عن كفارته فأنزلت عليه وأقم الصلاة طرقي النهار إلا به فقال الرجل
 يا رسول الله إلى هذه قال هي لمن عمل بها من أمي وأخرج أحمد ومسلم وأبو داود وغيرهم
 عن أبي أمامة أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله أقم في حدة الله
 مرة أو مرتين فأعرض عنه ثم أقبلت الصلاة فلما فرغ قال أين الرجل قال أنا ذا قال أعمت
 الوضوء وصليت معنا أنفاً قال نعم قال فأنك من خطيئتك كيوم ولدتك أمك فلا تعد وأزل
 الله حينئذ على رسوله وأقم الصلاة طرقي النهار وفي الباب أحاديث كثيرة بالفاظ مختلفة
 ووردت أحاديث صحيحة أيضاً أن الصلوات الخمس كفارات لما يهنن وقال مجاهد الحسنات
 قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر والاولى وأولى به قال ابن المسيب
 والقرطبي والضحك وجهه المفسرين أي الصلوات الخمس وله تبدل الأحاديث (ذلك)
 إشارة إلى قوله فاستقم وما بعده وقيل إلى القرآن (ذكرى للذاكرين) أي موعظة
 للمعظمين عن الحسن قال هم الذين يذكرون الله في السر والعلانية والضرع والشد والرخاء
 والعافية والبلاء وعن ابن جرير قال لما نزع الذي قبل المرأة نذكر ذلك قوله ذلك
 ذكرى للذاكرين (واصبر) على ما أمرت به من الاستقامة وعدم الطغيان والكون
 إلى الذين ظلموا وقيل إن المراد الصبر على ما أمر به دون ما نهى عنه لأنه لا مشقة في
 اجتنابه وفيه قطران المشقة في اجتناب المنهي عنه كاشنة وعلى فرض كونها دون مشقة
 امتثال الأمر فذلك لا يخرجها عن مطلق المشقة (فإن الله لا يضيع أجر المحسنين)
 أي يوفيه أجورهم ولا يضيع منها شيئاً فلا يملكه ولا يخسره بنقص قيل المحسنون
 المصلون (فلولا كان) هذا دعوى إلى أحوال الأمم الخالية لبيان أن سب خلول عذاب
 الاستئصال بهم إنما كان فيهم من ينهي عن الفساد ويأمر بالرشاد فقال فلولا أي نهلاً
 كان (من القرون) الماضية المهلكة بالعذاب الكاشنة (من قبلكم أولو بقية)
 من الرأى والعقل والدين والبقية في الأصل اسم لما يستبقه الرجل عما يجرحه وهو
 لا يستبقى الأجوده وأفضله فصار لفظ البقية مشابهاً في الجودة يقال فلان ذو بقية إذا
 كان فيه خير والمراد به احتجته بحجج الشئ وخياره من قولهم فلان بقية الناس
 وبقية الكرام وانما أضفة على فعلية للمبالغة بمعنى فاعله ولذلك دخلت التاء فيها وقيل
 معناها أولو بقية من خير يقال فلان على بقية من الخير إذا كان على خصلته محموداً ومنه
 قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا وقيل إنما مصدر بمعنى البقوى كالبقية بمعنى
 التقوى أي نهلاً كان منهم ذوو بقاء على أنفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه وقرئ
 بتخفيف الياء وهي اسم فاعل من بقي والتقدير ولوطا بقية بقية أي باقية وقرئ بضم الياء

الاسلام فاسلم وشهد شهادة الحق
 قال فلقد رأيت وجهه استبشرتم
 قال ان اليهود مغضوب عليهم
 والنصارى ضالون وهكذا قال
 حذيفة بن اليمان وعبد الله بن
 عباس وغيرهما في تفسير اتخذوا
 أحبارهم ورجبا منهم أرباباً من دون
 الله انهم اتبعوهم فيما حلوا وأحرما
 وقال السدي استنصحو الرجال
 ونبذوا كتاب الله وراءه وظهرهم
 ولهذا قال تعالى وما أمرنا الا
 ليعبدوا الله واحداً أي الذي إذا
 حرم الشيء فهو الحرام وما حله فهو
 الحلال وما شرعه اتبع وما حاكم به
 نقذ لا اله الا هو سبحانه عما يشركون
 أي تعالى وتقدس ونزهة عن الشركاء
 والنظراء والاعوان والاضداد
 والاولاد لا اله الا هو ولا رب سواه
 (يريدون أن يطفئوا نوراً لله بأقوالهم)
 ويأبى الله إلا أن يسمي نوره ولو كره
 الكافرون هو الذي أرسل
 رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره
 على الدين كله ولو كره المشركون
 يقول تعالى يريد هؤلاء الكفار من
 المشركين وأهل الكتاب أن يطفئوا

وسكون القاف أخرج ابن مردويه عن أبي بن كعب قال أقرأني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أولو بقية وأحلام (ينهن) قومهم (عن الفساد في الأرض) ويمنعونهم من ذلك لكونهم ممن جمع الله بين جودة العقل وقوة الدين وفي هذا من التوبيخ للكفار لما لا يخفى والاستمناة في قوله (الأقليل) منقطع أي لكن قليلا (عن أشيئنا منهم) أي من الأمم الماضية وهم أباغ الانبياء وعن الفساد في الأرض وسائرهم تركوا النهي وقيل هو متصل لأن في حرف التخصيص معنى التي فكلالة قال ما كان في القرون أولو بقية ينهن عن الفساد في الأرض الأقليل ممن أشيئنا منهم أي لأنه يؤدي إلى النصب في غير الموجب وإن كان غير النصب أولى قال الزحرجي أن جعلته متصلا كان المعنى فاسد الآن الكلام بول إلى أن التابعين لا يحضون على النهي ومن في من يسيئة لأنه لم ينبج إلا الناهون قيل هؤلاء القليل هم قوم يؤنس لقوله فيما امر الأقوم يؤنس وقيل هم أتباع الانبياء أهل الحق من الأمم على العموم (وأتبع الذين ظلموا) أنفسهم بسبب مباشرتهم للفساد وتركهم للنهي عنه (ماتوا تروا فيه) أي أنعموا من السموات فاهتو بتحصيل أسبابها وأعرضوا عما وراء ذلك والمترف الذي أبطرت النعمة يقال صبي مترف منع البدن وفي القاموس الترف بالضم النعمة والطعام الطيب والشيء الطريف تخص به صاحبك وترف كترف ترف وترفته النعمة أطعمته وأترف فلان أصر على المكر والمترف ككرم المتروك يضع ما يشاء ولا يمنع والمنع لا يمنع من تنعمه أي صار وتابعين للنعم التي صاروا بها مترفين من خصب العيش ورفاة الحال وسعة الرزق وآثروا ذلك على الاشتغال بأعمال الآخرة واستغفروا بأعمارهم في السموات النفسانية وقيل المراد بالذين ظلموا نازكو النهي وردبانه يستلزم خروج مباشري الفساد عن الذين ظلموا وهم أشد ظلاما من مباشر وكان ذنبه ترك النهي وقري وأتبع على البناء للمفعول ومعناه أتبعوا جزاء ما أترفوا فيه قال مجاهد وأتبع الذين ظلموا أي في ملكهم وتجبسهم وتركهم للحق وقال ابن عباس أترفوا بظنوا ووجه (وكانوا مجرمين) متضمنة لبیان سبب اهلا كهم أي وكان هؤلاء الذين اتبعوا ما أترفوا فيه مجرمين كالذين والجرام الاستنام والمعنى أنهم أهل الجرام بسبب اتباعهم للشهوات واشتغالهم بها عن الأمور التي يحق الاشتغال بها ويجوز أن تكون معطوفة على وأتبع الذين أي اتبعوا شهواتهم وكانوا بسبب ذلك الاتباع مجرمين (وما كان ربك ليهلك القرى) أي ماضح ولا استقام بل استحلال في الحكمة أن يهلك القرى التي أهلها حسب ما بلغك أنبأوا هو يعلم من ذلك حال باقيها من القرى الظالمات واللام لتأ كيد النبي (بظلم) أي متلبسا به قيل هو حال من الفاعل أي ظالماتها والتسكير للتفخيم والایذان بان اهلا ك المصلحين ظلم عظيم والمرا دتزه الله تعالى عن ذلك بالكلية بتصوره بصورة ما يستحيل صدور روعته تعالى والأفلاظ فيما فعله الله تعالى بعبادهم كاتبها ما كان لما تقر من قاعدة أهل السنة قال الزجاج يجوز أن يكون المعنى وما كان ربك ليهلك أحمدا وهو ظلمه وإن كان على

نور الله أي ما بعث به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الهدى ودين الحق بجبر دجله والهم واقتراهم فقلهم في ذلك كشل من يريد أن يطفئ شعاع الشمس أو نور القمر ننفضه وهذا السبيل إليه فكذلك ما أرسل به رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بد أن يتم ويظهر ولهذا قال تعالى مقابله اللهم فيما امره وأرادوه وبأبي الله الآن يستموره ولو كره الكافرون والكافرون هو الذي يستتر الشيء ويغطيه ومنه سمي الليل كافر لأنه يستتر الأشياء والزراع كافر لأنه يغطي الحب في الأرض كما قال يجب الكفار بساتنه ثم قال تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق فالهدى هو ما جاء به من الأخبار الصادقة والايان الصحيح والعلم النافع ودين الحق هو الأعمال الصالحة النافعة في الدنيا والآخرة ليظهره على الدين كله أي على سائر الأديان كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله زوى لي الأرض

نهاية الإصلاح لان تصرفه في ملكه دليله قوله تعالى ان الله لا يظلم الناس شيئا وقوله وان
الله ليس بظالم للعبيد (وأجلها يصلحون) حال من المفعول والعامل عامله ولكن لا باعتبار
تقييده بما وقع جال من فاعله أعني بظلم لادلائه على تقييده في الإهلاك لظلم الجال كون
أجلها يصلحون ولا ريب في قاده بل مطلقا عن ذلك وقيل المراد بالظلم الشرك والباء
السيبية أي لاجل ذلك القرى بسبب اشراك أهلها أي بمجرد الشرك وحده حتى ينضم اليه
الفساد في الارض ومتابعة الهوى كما أهلك قوم شعيب بقصص الميكال والميزان وبخس
الناس أنفسهم وأهلك قوم لوط بسبب ارتكابهم الفاحشة المتعمدة وهم مصلحون
يتعاطون الحق فيما بينهم لا يظلمون الناس شيئا وذلك لقرط رحته ومناجحته في حقوقه
تعالى ومن ذلك قدم الفقهاء عند تراجم الحقوق حقوق العباد الفقراء على حقوق الله
الغني الحميد وقيل الملك يتي مع الكفر ولا يتي مع الظلم وأنت تدري ان مقام النهي عن
المشكرات التي أفجها الاشراك بالله لا يلاءمه فان الشرك داخل في الفساد في الارض
دخولا أولا ولذلك ينهى كل من الرسل الذين قصت انباؤهم أمته أولا عن الاشراك ثم عن
سائر المعاصي التي كانوا يتعاطونها فالوجه جعل الظلم على مطلق الفساد الشامل للشرك
وغيره من أصناف المعاصي وجعل الإصلاح على إصلاحه والإقلاع عنه بكون بعضهم
متصددين للنهي عنه وبعضهم متوجهين الى الاعتباط غير مصرين على ما هم عليه من
الشرك وغيره من أنواع الفساد وقيل المعنى وما كان حكمهم بنفوسهم وهم محضون في
الايان فالظلم المعاصي على هذا أخرج الطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه والديلمي عن
جبريل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستل عن تفسير هذه الآية فقال وأهلها
ينصف بعضهم بعضا وروى موقوفا على جبريل والمراد بالهلاك عذاب الاستبصال في
الدنيا وأما عذاب الآخرة فهو لازم لهم (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) أي أهل
دين واحد أما أهل ضلالة أو أهل هدى وقيل معناه جعلهم مجتمعين على الحق غير مختلفين
فيه أو مجتمعين على دين الاسلام دون سائر الأديان ولكنه لم يثأ ذلك فلم يكن ولهذا قال
(ولا يزالون مختلفين) في ذات بينهم على أديان شتى ما بين يهودى ونصرانى ومجوسى
ومشرك ومسلم فكل هؤلاء قد اختلفوا في أديانهم اختلافا كثيرا لا تحيط به وقيل مختلفين
في الحق أو دين الاسلام وقيل مختلفين في الرزق فهذا معنى وهذا فقير وعن ابن عباس في
الآية قال أهل الحق وأهل الباطل عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
قال افرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين والنصارى كذلك وستفرق
أمتي على ثلاث وسبعين فرقة أخرجه أبو داود والترمذي بنحوه عن مغاوية قال فام قينا
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ألا ان من قبلكم من أهل الكتاب افرقوا على
اثنتين وسبعين فرقة وإن هذه الأمة ستفرق على ثلاث وسبعين اثنتان وسبعون في النار
وواحدة في الجنة وهي الجماعة أخرجه أبو داود قال الخطابي فيه دلالة على ان هذه

مشارقتها ومغارها وسيلخ
ملك أمسى ما زوى لي منها وقال
الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر
حدثنا شعيب عن محمد بن أبي يعقوب
سمعت شقيق بن حبان يحدث عن
مسعود بن قبيصة أو قبيصة بن
مسعود يقول صلى هذا الحديث من
محارب الصبح فلما صلوا قال شاب
منهم سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول انه سيقتل لكم
مشارق الارض ومغارها وان
عمالها في النار الا من اتقى الله
وآدى الأمانة وقال الامام أحمد
حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان
حدثنا سليمان بن عاصم عن عيم الداري
رضي الله عنه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ليبلغن هذا
الامر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك
الله بيتا مدر ولا وبر إلا أدخله هذا
الدين يعز عزرا ويذل ذللا لا عزاب
الله به الاسلام ولا يذل الله به
الكفور فكانت تميم الداري يقول قد
عرفت ذلك في أهل بيتي لقد أصاب

الفرق غير خارجة عن الملة والدين ان جعلهم من أمتهم وقال غيره المراد بها أهل البدع والاهواء الذين تفرقوا واختلقوا وظهروا بعده كالخوارج والقدرية والمعتزلة والرافضة وغيرهم والمراد بالواحدة هي فرقة السنة والجماعة الذين اتبعوا الرسول في قوله وفعله ولم يقدروا أحد في خلافه (الامن رحم ربك) أي الأهل رحمته فانهم لا يختلفون وعن عطاء ابن أبي رباح قال لا يزالون مختلفين أي اليهود والنصارى والمجوس والحنيفية وهم الذين رحمهم ربك وقال الحسن الناس مختلفون على أديان شتى الامن رحم ربك فمن رحم ربك غير مختلف وعن مجاهد قال من اختلف أهل الباطل ومن رحم أهل الحق فمن الله عليهم بالتوفيق والهداية الى الدين الحق فانهم لم يختلفوا والامن رحم ربك من المختلفين في الحق وأدين الاسلام بهدايته الى الدواب الذي هو حكم الله وهو الحق الذي لا حق غيره أو الامن رحم ربك بالجماعة والاولى بنفسه لم يجعل الناس أمة واحدة بالجمعة على الحق حتى يكون معنى الاستثناء في الامن رحمهم واختلافهم محتاج الى تكلف (وذلك) أي ولما ذكر من الاختلاف أو لورحمته وصح تذكير الاشارة الى الرحمة لكون تأنيدهم غير حقيقي والضمير في (خلقهم) ان كان راجعا الى الناس فالاشارة الى الاختلاف واللام للعاقبة أو اليه والى الرحمة وان كان الى من قال في الرحمة وقيل الاشارة بذلك الى مجموع الاختلاف والرحمة ولا مانع من الاشارة به الى شئين كما في قوله عوان بين ذلك وقوله واستغ بين ذلك سبيلا وقوله فبذلك فليفرحوا قال مجاهد خلقهم للرحمة وعن عكرمة نحوه وقال ابن عباس خلقهم فريقين فريقا يرحمهم فلا يختلف وفريقا لا يرحمهم فيختلف فذلك قوله فثم شقي وسعيد وقال الحسن وعطاء خلقهم للاختلاف وقال أشهب سألت مالك بن أنس عن هذه الآية فقال خلقهم ليكون فريق في الجنة وفريق في السعير وقال الفرغاني أهل الرحمة للرحمة وأهل الاختلاف للاختلاف قال شيخ الاسلام ابن تيمية في كتاب الرد على المنطقيين ان القوم كلما بعدوا عن اتباع الرسل والكتب المنزل كان أعظم في تفرقهم واختلافهم فانهم لم يكونوا أضل وقد أمر الله بالجماعة والاتسلاف ونهى عن الفرقة والاختلاف فقال تعالى واخصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا قال تعالى ان الذين يفرقوا بينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء وقال ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وقد أخبر ان أهل الرحمة لا يختلفون فقال تعالى ولا يزالون مختلفين الامن رحم ربك ولذلك يوحد اسمع الناس للرسول أقلهم اختلافًا. كاهل الحديث والسنة فانهم أقل اختلافًا من جميع الطوائف ثم من كان اليهم أقرب كان من الاختلاف أبعد فاما من بعد عن السنة كالعامة والرافضة فتجددهم أكثر الطوائف اختلافًا واما الاختلاف الفلاسفة فلا يحصره أحد وقد ذكر أبو الحسن الأشعري في كتاب المقالات مقالات غير الاسلاميين عنهم من المقالات ما لم يذكره الفارابي وابن سينا وأمثالهما وكذلك القاضي أبو بكر بن الطيب في كتاب الدفاع الذي رد فيه على الفلاسفة والمخمين ورجح فيه منطق

من اسلم منهم الخير والشرق والعز ولفد أصاب من كان كافرا منهم الذل والصغار والجزية وقال الامام أحمد حدثنا ابن يمين عبدربه حدثنا الوليد بن مسلم حدثني ابن جابر سمعت سليمان بن عامر قال سمعت المقداد بن الأسود يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يبق على وجه الأرض بيت مدر ولا وبر الا دخلته كلمة الاسلام يعز بن اويذل ذليلا اما يعزهم الله فيجعلهم من أهلها واما يذلهم فيسند نون لها وفي المسند أيضا حدثنا محمد بن أبي عدي عن ابن عون عن ابن سيرين عن أبي حذيفة عن عدي بن حاتم سمعه يقول دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عدي اسلم تسلم فقلت اني من أهل دين قال انا أعلم بدينك منك فقلت أنت أعلم بديني مني قال نعم ألتست من الركوسية وأنت تأكل من باع قومك قلت بلى قال فان هذا لا يجعل لك في دينك قال فلم يعد

المتكلمين من العرب على منطق اليونان وكذلك متكامة المعتزلة والشيعة وغيرهم في
 ردهم على الفلاسفة كروا أو أعا من المقالات وردوها ولكن مذهب الفلاسفة الذي
 نصره الفارابي وابن سينا وأمثالهما كالسهروردي المقتول على الزندقة وكاتب بكر بن
 الصانع وابن رشد الحفيد ومذهب المشائين أتباع أرسطو صاحب المنطق وهو الذي
 يذكره الغزالي في كتاب مقاصد الفلاسفة وعليه رد في التفات وهو الذي يذكره الرازي
 في المنخص والمباحث المشرقية ويذكره الأمدى في ذائق الحقائق ورموز الكونوز وغير
 ذلك وعلى طريقهم مشي أبو البركات صاحب المعبر لكن لم يقدّم قلبه غيره بل
 اعتبر ما ذكره بحسب نظره وعقله وكذلك الرازي والأمدى يعترضان عليهم في كثير
 مما يذكرونه بحسب ما يسخن لهم وابن سينا أيضاً قد يخالف الأولين في بعض ما ذكره
 والفلاسفة طوائف كثيرون وبينهم اختلاف كثير في الطبيعيات والآلهيات وفي الهيئة
 أيضاً وأول من خلط منطقهم بأصول المشائين أبو حامد الغزالي وتكلم فيه علماء المسلمين
 بما يطول ذكره وهذا الرد عليهم مذكور في كثير من كتب أهل الكلام والفلاسفة
 ليسوا أمة واحدة لهم امقالة في العلم الإلهي والطبيعي وغيرهما بل هم أصناف متفرقون
 وينهم من التفرق والاختلاف ما لا يحصى الله أعظم مما بين الملة الواحدة كاليدود
 والنصارى أضاعوا مضاعفة المقصودان نظار المسلمين ما زالوا يصنفون في الرد عليهم في
 المنطق وغير المنطق ويثبتون خطأهم فيما ذكره جميعاً أذ لا يحكم بين الناس فيما تنازعوا
 فيه إلا الكتاب منزل وبني مرسل كما قال تعالى وأمرل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين
 الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعدما جاءتهم البينات بغيا
 بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى
 صراط مستقيم ولهذا قال تعالى فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم
 تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً انتهى المقصود بتصرفي في العبارة
 وحاصل الآية أن الله خلق أهل الباطل وجعلهم مختلفين وخلق أهل الحق وجعلهم
 متفقين وحكم على بعضهم بالاختلاف ومصيرهم إلى النار وحكم على بعضهم بالرحمة
 ومصيرهم إلى الجنة وهم أهل الاتفاق ويدل لصحة هذا قوله (واعتكك ربك) أي ثبتت
 كما قدر في آياته وأدانت وحقت ووجب امتنع من التغيير والتبديل وقيل الحكمة هي
 قوله للملائكة (لا ملأ من جهنم من الجنة) أي الجن والنساء للمبالغة (والناس أجمعين) أي
 من يستحقها من الطائفتين (وكل) أي وكل بما للتنوين عوض عن المضاف إليه (نقص
 عليك) أي في خبرك به بما يحتاج إليه وقوله (من أنباء الرسل) بيان لكلا وقوله (مانت به
 فؤادك) يدل منه والظاهر أن يكون المضاف إليه المحدث في كلا المفعول المطلق لنقص
 أي كل اقتصاص أي كل أسلوب من أساليبه نقص عليك من أنباء الرسل وقوله ما ثبت
 مفعول نقص وقائده التنبه على أن المقصود بالاقصا زيادة يقينه عليه السلام

أن قالها فتواضعت لها قال أما إن
 أعلم ما الذي يمنعك عن الاسلام
 تقول أعتابته ضعفة الناس ومن
 لا قوة له وقدرتهم العرب تعرف
 الحيرة قلت لم أرها وقد سمعت بها
 قال فوالذي نفسي بيده ليقن الله
 هذا الأمر حتى يخرج الطائفة من
 الحيرة حتى تطوف بالبيت من غير
 جوار أحد ولتقتن كنوز كسرى
 ابن هرمز قلت كسرى بن هرمز قال
 نعم كسرى بن هرمز وليبذل المال
 حتى لا يقبله أحد قال عدى بن
 حاتم فهذه الطائفة تقتن من الحيرة
 فتطوف بالبيت من غير جوار
 أحد ولقد كنت حين فتح كنوز
 كسرى بن هرمز والذي نفسي بيده
 لتكون الثالثة لأن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم قد قالها وقال مسلم
 حدثنا أبو معن زيد بن يزيد الرقاشي
 حدثنا خالد بن الحرث حدثنا عبد
 الجبار بن جعفر عن الأسود بن
 الزناد عن أبي سلمة عن عائشة رضي
 الله عنها قالت سمعت رسول الله

وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال آذية الكفار بالوقوف على تفاصيل
أحوال الأمم السالفة في معادهم في الضلال ومالقي الرسل من جهتهم من مكابدة المشاق
لان تكاثرا لادلة ثبوت القلب وأرسخ في النفس وأقوى للعالم (وجاء في هذه) أي السورة
قاله ابن عباس وأبو موسى الأشعري وسعيد بن جبير والحسن وعليه الاكثر اوفي هذه الدنيا
قاله قتادة وفيه بعد لانه لم يجر للدنيا ذكر وقيل في هذه الآية وفي هذه الانباء (الحق) أي
البراهين القاطعة الدالة على صحة المبدأ والمعاد وقيل النبوة وعلى الاول يكون تخصيص
هذه السورة بجبي الحق فيها مع كونه قد جاء في غير هامن السور لقصد بيان اشتمالها على
ذلك لبيان كونه موجودا في هادون غير هاد وقيل لانها جمعت من اهلالات الامم وشرح
حالهم ما لم يجمع غيرها وقيل خصها بالذكر تشريفا لها والتعريف في الحق اما للجنس
أو للعهد وانما عرفه ونكر تاليه تفخيما له لكونه يطلق على الله بخلاف تاليه (وموعظة)
يتعظ بها الواقف عليها اذا تذكر أحوال الامم الماضية (وذكرى المؤمنين) أي يذكر
بهم ان تفكر فيهم امنهم وخص المؤمنين لكونهم المتأهلين للاتعاظ والتذكر (وقل للمؤمنين)
لا يؤمنون بهذا الحق ولا يتعظون ولا يتذكرون (اعملوا) حال كونكم قارين وثابتين
(على مكاتبتكم) على مكاتبتكم وحالكم وجهتكم من الكفر وقد تقدم تحقيقه وقال
قتادة على منازلكم (انما عاملون) على مكاتبتنا وحالنا وجهتنا من الايمان بالحق والاتعاظ
والتذكر وفي هذا تشديد للوعيد وتهديد لهم (وانظروا) عاقبة أمرنا وقال ابن جرير
انظروا ما وعيد الشيطان اياكم على ما ين لكم (انما منظرون) عاقبة أمركم وما يحل
بكم من عذاب الله وعقوبته وفيه من الوعيد والتهديد ما لا يخفى (ولله غيب السموات
والارض) أي علم جميع ما هو غائب عن العباد فيها وخص الغيب مع كونه يعلم عما هو
مشهود كما يعلم عما هو مغيب لكونه من العلم الذي لا يشاركه فيه غيره وقيل ان غيب
السموات والارض نزول العذاب من السماء وطلوعه من الارض والاول أولى وبه قال أبو
علي الفارسي وغيره وأضاف الغيب الى المفعول توسعا (واليه يرجع) بالبناء للفاعل يعود
وللمفعول يرد (الامر كله) أي أمر الخلق كلهم في الدنيا والآخرة فيجازي كلا بعمله فينتقم
من عصى وينيب من أطاع وقال ابن جرير فيقضى بينهم بحكم العدل (فاعبده وتوكل
عليه) فانه كافيك كل تذكره ومعطيك كلما تحب والبقاء لترتيب الامر بالعبادة والتوكل
على كون من يرجع الامور كلها الى الله سبحانه قيل هذا الخطاب له ولجميع الخلق مؤمنهم
وكافرهم وفي تأخير الامر بالتوكل عن الامر بالعبادة اشعارا بأنه لا ينفع دونها (ومبارك
بغافل عما تعملون) بل عالم بجميع ذلك ومجاز عليه ان خيرا وخيرا وان شرافته وقرأ أهل
المدينة والشام وحفص بالقوية على الخطاب وهي سبعة والباقيون بالتحسية وهم الجمهور
وأخرج عبد الله بن أحمد وابن الدريس وابن جرير وأبو الشيخ عن كعب الاحبار قال

صلى الله عليه وسلم يقول لا يذهب
الليل والنهار حتى تعب سادات
والعزى فقلت يا رسول الله ان كنت
لا ظن خين أنزل الله عز وجل هو
الذي أرسل رسوله بالهدى ودين
الحق الآية ان ذلك نام قال انه
سيكون من ذلك ماشاء الله عز وجل

فاتحة التوراة فاتحة الانعام وخاتمة التوراة
خاتمة هود والله غيب السموات
والارض الى آخر
الآية

ثبعت الله رحمة طيبة فيه وفي
كل من كان في قلبه مثقال حبة
يخردل من ايمان فيبقي
من لا خير فيه
فيرجعون الى
دين آبائهم

الى هذا ما ينحصر الجزء الرابع وبالله
الاعانة اوله يا أيها الذين آمنوا
ان كثيرا من الاحبار والرهبان

ولما اقتطف من جنى هذا التفسير الداني وقاز من لطائف مسامحته بما يرى بغزالة
الحور والغواني الخبر الفهامة والبحر التكلامة ترجمان القرآن وشارح قول سيد
عدنان زبدة الفضلاء الكرام عمدة العلماء الاعلام الشيخ محمد بن عبد الله الزوال
مفتي مدينة الزيدية رفع الله شأنه في البرية كتب مقرطاله مائنه

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي أهل لخدمة كتابه العزيز من اختاره من عباده وجعلهم خزانة علمه وعبدة
اسراره ومطلع أنواره وخلفاء أنبيائه في أقطار بلاده والصلاة والسلام على نبي الرحمة
وهادي الامة وأفضل ناطق بالحكمة وعلى آله الائمة وأصحابه مصابيح الظلمة
(وبعد) فقد وقفت على هذا التفسير الخطير والمنهل العذب النير الذي جمع بين
الرواية والدرابة وسبق بسهولة التعبير وحسن التقرير الى أقصى غاية فلقه مدح
الله مؤلفه من مفاتيح الغيب علما كشافا للمشكلات التأويل وفهما يعلم الخبر الخبير أسرار
البلاغة في معالم التنزيل كيف لا ومؤلفه المتسلسل من ذوا به أبي السيطيين والحائز
للشرفين السيد الامام صدر العلماء الاعلام أجل المسنين وعدة الحفاظ
المحدثين المعتمدين شريف البحار عظيم المقدر الذي افتخرت به به وبال على جميع
الاقطار وانتشرت بوجوده علوم السنة والآثار (نواب والاجاء أمير الملك السيد محمد
صديق حسن خان بهادر) لا زال مشرقا بدر كماله الباهر محيا بحماية الملك القادر فقد
برحن هذا التفسير الجليل بأنه حفظه الله قد جلى في سبقه وسطعت شمس العلوم من آفقه
ولعت أنوار التحقيق عن برقه واستمد البحر والنهر من ودقه أغزر الله وبه وأحيابه العلم
وأهله وبارك في عمره ونشر في الآفاق أعلام فضله ونوره آمين
يا طالب التفسير ان أغلقت * أبوابه دونك قسح البيان

4826

وان تكن أجهالة أشكلت * واستجمت فهو لها ترجان
 لله نفس نير يدع بدا * ألقه الحبير ووحيد الزمان
 أتى أخير العصر لكبه * سباق غيايات يوم الرهان
 يقول من يسمع ألقاطه * هدا جنانا نفع أم جنان
 لا زال يدرا في سماه العلي * ينظر الملائم مع المكان
 كنه العبد الفقير محمد بن عبد الله الرواة المعروف بابن صائم
 الدهر الحسيني مفتي مدينة الزيدية فقير الله له آمين
 تاريخ مصلح ذي الحجة الحرام

ختم سنة ١٢٩١

الهجرة

(تم الجزء الرابع وبلغه الجزء الخامس أوله سورة يوسف)

